www.KitaboSunnat.com

الأستاذ أبو الحسن الندوي

الوجه الآخر من كتاباته

تأليف
صلاح الدين مقبول أحمد

غراس
للنشر والتوزيع

بسم اللہ الرحمن الرحیم

معزز قارئین توجہ فرمائیں!

کتاب وسنت ڈاٹ کام پر دستیاب تمام الیکٹرانک کتب ....

- عام قاری کے مطالعے کے لیے ہیں۔
- مجلس التحقیق الاسلامی کے علمائے کرام کی باقاعدہ تصدیق واجازت کے بعد آپ لوڈ (Upload) کی جاتی ہیں۔
- دعوتی مقاصد کی خاطر ڈاؤن لوڈ، پرنٹ، فوٹو کاپی اور الیکٹرانک ذرائع سے محض مندرجات نشرواشاعت کی مکمل اجازت ہے۔

☆ تنبیہ ☆

- کسی بھی کتاب کو تجارتی یا مادی نفع کے حصول کی خاطر استعمال کرنے کی ممانعت ہے۔
- ان کتب کو تجارتی یا دیگر مادی مقاصد کے لیے استعمال کرنا اخلاقی، قانونی و شرعی جرم ہے۔

﴿اسلامی تعلیمات پر مشتمل کتب متعلقہ ناشرین سے خرید کر تبلیغ دین کی کاوشوں میں بھرپور شرکت اختیار کریں﴾

- نشرواشاعت، کتب کی خرید وفروخت اور کتب کے استعمال سے متعلقہ کسی بھی قسم کی معلومات کے لیے رابطہ فرمائیں۔

kitabosunnat@gmail.com

www.KitaboSunnat.com

www.KitaboSunnat.com

بسم اللہ الرحمن الرحیم

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الأستاذ أبو الحسن الندوي

الوجه الآخر من كتاباته

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ لِلمُؤَلِّفِ

الطَّبعَة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

غراس
للنشر والتوزيع

الكويت - الجهراء - ص ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ٠١٠٣٠
نقال: ٤٥٧٨٨٦٨ - هاتف وناسوخ: ٤٥٧٨٨٦٨ - نداء: ٩٣٢٦٩٩٢
e-mail: gherasall@hotmail.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان وتوضيح)

هذا الكتاب أُلِّفَ قبل وفاة الأستاذ الندوي - رحمه الله - بمدَّة ، وكان المؤلف حريصاً على أن يطلع عليه الأستاذ قبل طبعه ، ليرى فيه رأيه فيثبت في الكتاب ابتغاء الصراحة واحترام الرأي الآخر .

ومن هذا المنطلق أرسل الكتاب إليه - وكان حينئذ في طور تنضيد الحروف - كما أرسلت صورة منه إلى سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية : العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - فأبدى الأستاذ الندوي عليه بعض الملاحظات ، وقد أثبتت في المقدمة كما هي ، مع التوضيح والبيان .

وقد توفى الأستاذ الندوي - رحمه الله - في آخر يوم من نهاية القرن العشرين الميلادي الماضي .

والآن يطبع الكتاب ليستفيد منه القراء الكرام . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

* إلى كل عالم يرى العودة بالأمة إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح مفتاح كل خير وسعادة ، ومغلاق كل شر وشقاء .

* إلى كل داعية يعتبر منهج الإسلام فوق جميع المناهج والأيديولوجيات ، والأطروحات .

* إلى كل طالب يقدّم مصلحة عقيدته ودينه فوق جميع المصالح ـ شخصية كانت أو جماعية ـ .

* إلى كل شابٍّ يتحرّى الصدق والأمانة ، والنزاهة والديانة في اختيار الطريق وانتخاب الرفيق .

* إلى كل مسلمٍ يؤكّد على حتمية الاعتصام بالكتاب والسنة للوصول إلى سبيل الرشاد ، والصراط المستقيم .

ـ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام] .

ـ وقال صلى الله عليه وسلم : «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها ـ بعدي ـ إلا هالك» (أحمد : ٤/ ١٢٦ ، وابن ماجه في المقدمة رقم ٤٣ بإسناد صحيح) .

إلى هؤلاء جميعاً نهدي هذه الدراسة ، رجاء النظر فيها ، وعدم التعجل في الحكم عليها إلا بعد استيعابها ، لأن نشدان الحق مطلوب ، وليس في العلم كبير . ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف] .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾ (النساء]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب] .

أما بعد :

فـ «سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي يُعدّ في طليعة أولئك العلماء والمفكّرين القلائل الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية المبدعة ، وجهودهم الدعوية القوية ، في النهضة الإسلامية الواعية منذ نصف قرن ، وسدّوا الثغرات العلمية والأدبية الهامّة ، وملأوا الفراغ الفكري ، في تفهّم أسرار الشريعة ، وفي تحليل الوقائع والأحداث ، بالدقة العلمية والغوص العميق ، وتشخيص الأمراض واتخاذ الوسائل والأساليب لمعالجتها ، مع المميّزات الروحية المشرقة ، وأخلاق علماء السلف الكريمة .»[١]

---

(١) أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً (ص ٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هكذا عرفته ـ حفظه الله ـ فأولعت بقراءة كتاباته في العربية ، قبل الأردية . وكنت أتمتع بأسلوبه الرائع ، وتعبيره البليغ ، وتصويره الدقيق لما يكتب ويقرّر من المطالب والأهداف ، والوقائع والأحداث .

ولكني ـ مع هذه المميزات الأدبية ـ كنت أفاجأ ، حيناً لآخر ، بتقريرات تنم عن مفاهيم تحيك في صدري ، لا لأنها كانت فوق مستواي في الفهم والاستيعاب ، بل بحكم نشأتي ودراستي في بيئة تختلف عن بيئته قليلاً أو كثيراً ، والبيئة لها دور رائد في ترسيخ العقائد ، وتثبيت القواعد ، وتكوين السير ، وتربية الشخصيات ، وتنمية المواهب ، وتوجيه الكفاءات إلى حيث ما أراد الله .

وقد شدّ انتباهي ـ مع ما كان يحيك في صدري ـ قوله بمراعاته بالذوق العربي السليم في كتاباته بالعربية ، إلى قراءة كتاباته بالأردية حتى أطلع على ما أريدَ للعجم من إرشادات وتوجيهات حسب ذوقهم .

فوقفت في التفريق بين الذوق العربي والذوق العجمي على نصيحة من شيخه المجدّدي له حيث قال :

« . . . بعض الناس يستفزّون من بعض الاصطلاحات . . . . فلا حاجة أن يسمّي ذاك الشيء المصطلح ، بل يقدّم إليهم أصله فيقبلون .»[1]

---

(١) قد استغل الأستاذ الندوي حظوته عند كبار العلماء ، ووجهاء البلاد ، وخيرة الشباب في العالم العربي ، وعضويته في الجامعات الإسلامية ، والجمعيات العلمية ، والمجامع اللغوية والرابطات الأدبية ، في العالم الإسلامي ، لنشر التصوف بهذا الأسلوب ، وقد صرَّح بذلك بنفسه ، حيث قال تحت عنوان «وحشة بعض الناس من التصوف وسببها وعلاجها» : «قدّمت إلى الشاه محمد يعقوب المجددي كتابي «ربانية لا رهبانية» وقلت : إن حكماء نجد وكثيراً من المثقفين العرب الآخرين يتوحشون من التصوف . وقال لي صديق نجدي فاضل : إن ألفت أنت كتاباً حول التصوف ، يمكن لعلمائنا ومثقفينا أن يقرؤوه و يتعذّر عليهم أن يقرؤوا في هذا الموضوع كتاب أي رجل آخر ، فألفت هذا الكتاب شعوراً بهذه الحاجة ، وبأنه إن لم يكن شيء فتقلّ وحشتهم ـ على الأقل ـ من هذا الطريق من التربية والإصلاح ، وينشأ الشعور بالحاجة إلى ذلك قليلاً أو كثيراً .

فقال «أي المجددي» : أحسنت ! يحتاج إلى أن تقلّ وحشة العباد المخلصين المقبولين ، ولكنهم يعذرون أيضاً =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

اختار الأستاذ هذا الدرب بحكم بيئته ونشأته ، وقطع شوطاً بعيداً في هذا المجال ، وقد انتبه له عالمان من كبار شيوخه :

(أحدهما) : الشيخ خليل بن محمد اليماني [1] ، حيث قال في رسالة موجهة إليه ، في بداية العقد السادس من هذا القرن الميلادي بقوله : « . . . متّع الله المسلمين بعلومه ، عدا التصوف .» [2]

(والثاني :) : العلامة محمد تقي الدين الهلالي [3] ، وقد وجه إليه انتقاداً شديداً بعد

= لأنه دخل في التصوف العربي ما يوجب أهل العلم التوحش منه فطرياً . . . بعض الناس يستفزون من بعض الاصطلاحات . . . فلا حاجة أن يسمى ذلك الشيء المصطلح ، بل يقدم إليهم أصله فيقبلون . . . .» (ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي : (٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

(تنبيه) : أقرب مثال لأثر هذا الأسلوب المتستّر في نفوس قرائه هو كتاب «الحبّ الخالد» (المستفاد من أشعار الجلال الرومي صاحب ابن عربي) الذي ألّفه صاحبه بعد قراءة كتاب «ربانية لا رهبانية» للندوي . وقد ردّ عليه الشيخ رضا علي بن عبدالله ـ كثَّر الله أمثاله ـ في جريدة «المسلمون» (العدد ٦٣٤ وما بعده) .

(١) قال الأستاذ الندوي في الشيخ اليماني :

«لقد كان الشيخ فريداً لا يوجد له مثيل في تطعيمه للطلاب بذوقه ورأيه ، فكان يملك صلاحية غريبة مدهشة في صبغ الطالب بأفكاره وآرائه ، بحيث تتغلغل في أحشائهم وتمتزج بلحومهم ودمائهم . . . لقد كان هو نادرة في هذا الأمر ، لا يوجد مثله في الآلاف إلا الواحد بعد الواحد من الأساتذة البارعين وأصحاب النبوغ الماهرين ، وهي ملكة موهوبة وليس بمكتسبة» (في مسيرة الحياة : ١/ ٧٩) .

(٢) راجع «مجموعة رسائل المشاهير إلى الندوي» (ص٢٥) ، وهي مجموعة صغيرة ، وذكر الأستاذ الندوي بالهامش أن الشيخ كتب هذه الرسالة بالأردية خلاف عادته ، وعلق عليها أيضاً أنه في آخر حياته قلّت وحشته من التصوف نوعاً ما بعد قراءة كتابه «تذكرة فضل رحمن» . والله أعلم .

(٣) ذكر الأستاذ الندوي مقدم العلامة الهلالي إلى ندوة العلماء بلكهنؤ ، فقال : «من أهم أحداث هذه الفترة التي صنعت تاريخاً مجيداً ، مقدم العلامة المحقق في اللغة العربية وآدابها والمعلّم الناجح : الأستاذ تقي الدين الهلالي المراكشي إلى دار العلوم ندوة العلماء ، وهو من أساتذة اللغة العربية وفضلائها المعدودين الذين يحتج برأيهم وحكمهم على صحة الكلمات وأصالتها ، ويكفي لإبراز مكانته الممتازة أنه إذا حدث خلاف بين العلامة السيد رشيد رئيس تحرير مجلة «المنار» الغراء وأمير البيان الأمير شكيب أرسلان صاحب تعليقات «حاضر العالم الإسلامي» في قضية من قضايا اللغة العربية وتعبيراتها ، كان الحكم بينهما هو الأستاذ الهلالي» (في مسيرة الحياة : ١/ ٩٧ نقلاً عن كتاب الأمير شكيب أرسلان «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

اطلاعه على بعض صوفياته .(١)

* * *

يظهر من تقريرات الأستاذ الندوي ـ منذ زهاء نصف قرن ـ أنه لم يفكِّر يوماً في مراجعة كتاباته مراجعة نقدية ، والمراجعات في حياة «رجال الفكر والدعوة» ، وتأريخ «الإيمان والعزيمة» ليست بدعاً ولا عيباً ، وقد ذكر الأستاذ نفسه في كتاباته من المراجعات :

ـ رجوع أبي الحسن الأشعري من الاعتزال إلى مذهب أهل السنة .

ـ ورجوع أبي حامد الغزالي من الكلام والفلسفة والباطنية إلى التصوف .

ـ ورجوع الإمام السرهندي من وحدة الوجود إلى وحدة الشهود .

ـ ورجوع الإمام الدهلوي إلى مذهب فقهاء المحدثين .

ولكن الأستاذ لم يطرأ على باله ـ خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن ـ أي تفكير عن مراجعة ما هو فيه ، فضلاً عن الرجوع عنه ، بل زاد به «سروراً ، ونشوة ومتعة»(٢) بمرور الأيام ، وذكر صلته بالمشايخ الصوفية ،(٣) فقال :

« . . . وأدعو الله أن يثبتني على ذلك ، إلى أنفاسي الأخيرة :

---

(١) راجع «السراج المنير» للهلالي (٧٦ـ٧٧ ، ط سنة ١٣٩٩ـ١٩٧٩م) وقال أيضاً بعدما ذكر مبايعة الندوي للشيخ عبدالقادر الراي فوري وهو من مشايخ السلسلة الجشتية : «لم أكن أعلم أن الأستاذ عليا أبا الحسن الندوي هو أخ للشيخ محمد إلياس في الطريقة الصوفية مع أنه أفضل تلامذتي في الأدب العربي بعد مسعود عالم الندوي ، فإني كنت أظنه من أتباع الشيخ محمد إلياس في التصوف . . . . فعسى الله أن يتوب عليه من التقليد ، ويهبه الاتباع كما تاب على مسعود عالم الندوي ، فإن التقليد يحول بين صاحبه وبين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في العقائد والعبادة والسلوك ، إن الله تواب رحيم» (المصدر المذكور : ٧٠ـ ٧١) وسيأتي التفصيل في ترجمة الشيخ أحمد بن عرفان البريلوي في باب «تراجم الصوفية» وفي باب «الردود» إن شاء الله .

(٢) «الإمام السرهندي» للندوي (ص ٥ ـ المقدمة) .

(٣) ستأتي أحوالهم وأقوالهم من نقل الأستاذ الندوي نفسه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أتاني هـواهـا قــــبل أن أعــــرف الهـــــوى
فـــصـــادف قلبــاً فـــارغـــاً فـــتــمكنا»(١)

* * *

أي نوع من التصوف تمكَّن من قلب الأستاذ؟

أهـــو التصوف الذي سماه «إحساناً» ، أم التصوف الطرقي الذي شغل مساحة واسعة من كتاباته(٢) وهو الذي نقل عن بعض مشايخه تمثيل «الأنهار الأربعة» التي ذكرت في القرآن(٣) بالسلاسل الصوفية الأربع ، فإنه قال :

(أنهار من ماء غير آسن) هذه نسبة سهروردية .

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) هذه نسبة نقشبندية .

(وأنها رمن خمر لذَّة للشاربين) هذه نسبة جشتية .

(وأنها رمن عسل مصفًّى) هذه نسبة قادرية .(٤)

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ـ على حيطة وحذر ـ كل ما يوجد عند غلاة المتصوفة من الصوفيات ،(٥) ففيها :

ـ التباكي على قتل الحلاج .

ـ والدفاع عن ابن عربي ، وتأويل أباطيله .(٦)

---

(١) ربانية لا رهبانية (ص ١٣٧ ـ ط . أردية) .

(٢) منها : كتب مفردة ، وكتب ذات أجزاء ومجلدات ، ومنع دخول بعضها إلى بعض بلاد الإسلام لدعوة سافرة إلى التصوف بأمر من المفتي العام ـ حفظه الله ـ (مجلة البحوث الإسلامية : ع ١٥ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(٣) قال الله تعالى : ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى . . .﴾ [محمد : ١٥] .

(٤) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص ٨٥) .

(٥) راجع باب «الصوفيات» من هذا الكتاب .

(٦) وقد شكر الأستاذ الندوي سعي محمود الغراب حين ألَّف كتابه «شرح كلمات الصوفية والردّ على ابن تيمية» ، فقال : «أرجو مواصلة هذا الإخراج العلمي الجميل لعلوم الشيخ الأكبر . ولكم شكر الناس ، وجزاء من الله كريم» . (المصدر المذكور : ص ١٣) راجع التفصيل في آخر مبحث «وحدة الوجود والدفاع عن ابن عربي وأمثاله» من الباب الثالث : الصوفيات .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

- وتقرير فكرة «وحدة الشهود» إزاء «وحدة الوجود» .
- وتأثير الصوفية في الأكوان والأشخاص .
- ومكاشفتهم القلوب ، وإشرافهم على الخواطر .
- والمراقبة عند القبور .
- والقول بأن الأقطاب وغيرهم يسمعون .

قد هان على الأستاذ الندوي بعد هذه الطامات ـ وقد تكون عنده من «الإحسان» ـ أن يمجد من ترك الجمع والجماعات والأعياد من الصوفية ، ويذكرهم في مصاف أعلام الإسلام وعظماء التأريخ(١) ، ويستسلم لهم في أكثر أمورهم حتى أجاز «السماع الصوفي» مستدلاً بقول أحدهم الذي أفتى علماء عصره بضلالته ، ونفيه من البلاد ، لإفراطه في السماع .(٢)

وقد وقر هذا النوع من التربية والإصلاح في سويداء قلبه ، وأثّر في أسلوب تفكيره ، فسادَ أكثر كتاباته .(٣)

رأينا في كتاباته انتقاداً على الحضارة الغربية ، ومؤاخذة على القومية العربية ، وتزييفاً للنحلة القاديانية ، ورداً على الأستاذ المودودي والأستاذ سيد قطب في تفسيرهما السياسي للإسلام .

ولكن عجزنا أن نرى فيها مساساً بجانب هذه «الثقافة الصوفية» التي اهتم بذكرها هو نفسه في كتاباته ، واعتزّ بها بمناسبة ودون مناسبة .

---

(١) النبوة والأنبياء (ص ١٢٨) ذكر الخواجه نظام الدين الدهلوي ، والخواجه شرف الدين المنيري ـ وهما من كبار صوفية الهند ـ مع أعلام الأمة وتأتي ترجمتهما في «تراجم الصوفية» إن شاء الله .

(٢) راجع مبحث «السماع» في «الصوفيات» .

(٣) ليست سلسلة «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (٤ أجزاء) ، وتأريخ الدعوة والعزيمة (٥ أجزاء) ، و«ربانية لا رهبانية» إلا جهودا مضنية في تحقيق هذا الهدف كما صرح هو نفسه بذلك (الإمام السرهندي : ص١٢٣) . راجع تعليق الأستاذ عبدالماجد الدريابادي على تصوفه في باب الردود .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد بلغت به الغيرة على التصوف وأهله إلى أن تغاضى عن ذكر دور أهل القرون الأربعة الأولى في نشر الإسلام في شبه القارةالهندية ، وأرَّخ بداية العهد الإسلامي في الهند بالصوفية في القرن الخامس ، فقال : «إن العهد الإسلامي في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية»(١) .

وقال : «هكذا كل ما ذُكِر الله ، وعُمل للإسلام في الهند ، جدير بأن يُعدّ من حسنات الجشتيين ومآثرهم ، ومؤسس سلسلتهم : صاحب الهمة العالية المخلص حضرة الخواجة معين الدين الجشتي (ـ٦٢٧هـ) ، ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة»(٢) .

* أين جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من المجاهدين الأوفياء والتجار المسلمين في القرون الأربعة الأولى ، إذا كانت بداية العهد الإسلامي في الهند بهؤلاء الصوفية في القرن الخامس الهجري؟ !

* لماذا هذا الجفاء والتغاضي عن دور أهل الفضل الأوائل على الهند والسند أمثال محمد بن القاسم الثقفي ، والحجاج بن يوسف ، ووليد بن عبدالملك الخليفة الأموي ، الذي في عهده أسند حاكمه على العراق الحجاج ، مهمة الزحف إلى الهند وفتح السند إلى محمد بن القاسم أعظم فاتح وقائد في تاريخ الفتوحات الإسلامية في الهند؟ !

* ألا يستحق هؤلاء الأبطال الأفاضل من أعلام التأريخ حتى تذكر أسماؤهم في كتاب «المسلمون في الهند»(٣) فضلاً عن الإشادة بدورهم في سطر أو سطرين ، في حين يذكر دور الصوفية بمناسبة وبدون مناسبة؟

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن] .

* أي تأريخ للمسلمين في الهند ، إذا بدأ دورهم بدور الصوفية؟ !

---

(١) المسلمون في الهند (ص١٢) ، وأول من نزل إلى الهند من الصوفية المعروفين هو الشيخ الهجويري في القرن الخامس ، كما ذكر الندوي نفسه .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٩) . وستأتي ترجمة الجشتي في «تراجم الصوفية» إن شاء الله .

(٣) لم ترد في كتابه «المسلمون في الهند» حتى أسماء هؤلاء الأعلام ، فنسأل الله السلامة !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وأي تأريخ للدعوة الإسلامية في الهند ، إذا تغاضينا عن جهود أهل القرون الأربعة الأولى؟

* * *

هناك زلات ـ في نظري ـ وقعت في كتابات الأستاذ الندوي في باب العقائد ، والحديث والسنة ، والفقه والتأريخ ، وهي ـ طبعاً ـ حسنات عنده . فكما له في هذه الأمور رأي ، فهذا رأي آخر ، والتحاكم عند التنازع في هذه الأمور إلى الكتاب والسنة . ﴿ . . . فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)﴾ [النساء] .

* * *

أما ما يتعلّق بالردّ والنقد : النقد النزيه أو الردّ البناء ، فهو في «طليعة العوامل التي صانت الأمة الإسلامية عن الانحراف عن الجادة» ، وقد قرر الأستاذ الندوي نفسه هذه القاعدة الذهبية بأساليب مختلفة بشيء من التفصيل في مقدّمة كتابه «التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات المودودي وسيد قطب» ، فإنه قال :

«والذين يحاولون أن يخدموا الدين بكل جدّ وإخلاص ، ولا يريدون إلا إعلاء كلمة الله ورفع شأن الإسلام ، وينشدون الحق والصواب ، ويحرصون على تصحيح «الفهم الديني» وتصعيده وإكماله ، والحق هو المقياس الوحيد لديهم ـ أولاً وأخيراً ـ لا جماعة من الجماعات ـ مهما كان وثيق الصلة بها ، ولا فرد من الأفراد ـ مهما كان عظيماً عنده ـ فإنهم دائماً يتلقون النقد الإيجابي البنّاء ، والآراء والتوجيهات المخلصة مهما خالفت آراءهم ، بصدر رحب ، وقلب منشرح .

وكانت هذه الحسبة العلمية المخلصة النزيهة ، في طليعة العوامل التي صانت الأمة المسلمة عن الانحراف عن الجادة ، والتحريف للدين والشذوذ الجماعي ، والعثرة المردية ، في تأريخها الطويل ، ورحلتها الشاقة الشاسعة في ميادين الاجتهاد ، والتجربة ، والاستنباط والاستنتاج ، وإجهاد الفكر والرأي .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد فقدت هذه الحسبة العلمية الدينية أو ضعفت ضعفاً كبيراً في ديانات أخرى ، . . . ولذلك شددّت الشريعة الغراء على وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بهما في كل زمان ومكان ، وحذّرت من التواني فيهما والمحاباة لأهل الوجاهة والسلطان ، وجعلت «كلمة حق عند سلطان جائر» أفضل الجهاد ، وقام به المسلمون ، وخصوصاً علماؤهم بهذه الفريضة في كل زمن فاسد وحكم جائر ، وسمح له أمير المؤمنين عمر لكل ضعيف ومغمور ورحّب به ، فقال : «لا خير فيهم إذ لم يقولوها لنا ، ولا خير فينا إذ لم نقبل»[1] .

وقال مرّة : «امرأة أصابت ورجل أخطأ .»[2]

ولا يمنع من هذا التنبيه على خطأ أوزلة ، والإرشاد إلى الأنفع الأصلح ، أو الأقوم الأسلم ، تبوأ من تعرّض لهذا الخطأ الاجتهادي أو السهو والنسيان اللذين هما من خصائص الإنسان مكان قيادة ، أو اشتغاله بمصلحة اجتماعية للأمة ، أو سلامة نية ، أو غناؤه في كفاح أو نضال ، فإن كان الصحابة رضي الله عنهم ينبّهون أفضل الرسل وخير البشر صلى الله عليه وسلم على السهو ، وقد قال ذو اليدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلّى الرباعية اثنتين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله .[3]

وعزل أمير المؤمنين عمر ـ وهو أعرف بمصالح الإسلام والمسلمين ـ سيدنا خالداً في معركة اليرموك ، وهي المعركة الحاسمة المصيرية في تأريخ الإسلام ، ونصب أبا عبيدة مكانه ، ولو أخذ المسلمون في ماضيهم عدم إحداث التشويش في صفوف المسلمين بعين الاعتبار ، وكفوا عن التنبيه على الزلل والخطأ ، لانقطع هذا التيار الحيوي المبارك من حركة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحسبة في الدين ، والشهادة بالحق ، عن جهاز الأمة الاجتماعي والخلقي ، ووقف القلب عن توزيع الدم الصحيح

---

(١) كتاب الخراج للإمام أبي يوسف (ص ٧) .

(٢) نيل الأوطار (٦/ ١٧٠) .

(٣) متفق عليه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إلى الشرايين والعروق ، وكان ما يعقب ذلك من التباس الأمور على أهل العلم والرأي ، وانجراف العامة للتيارات ، واختفاء كثير من حقائق الدين ، أعظم وأجلّ من اعتراف هذا القائد أو الإمام أو العبقري بخطئه في التعبير ، أو تقصيره في الفهم أو التفهيم ، فإن العصمة لله وحده ، وكل يؤخذ من قوله ويُردّ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1] .

❊ ❊ ❊

وقد ضرب الأستاذ الندوي لذلك أمثلة عملية في كتاباته :

❊ فقد قام بتخطئة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ على اجتهاده في تعيينه بعض عماله ، ومنهم الوليد بن عقبة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ومروان بن الحكم ـ رضي الله عنهم ـ ثم لمز هؤلاء الثلاثة باستغلالهم لقرابة الخليفة الراشد .

❊ ولمز معاوية بإنهاء الخلافة ، والاستبداد بالحكم ، ونصّ على أنّ يزيد لم يكن أهلاً للحكم على الصحابة والصالحين[2]

❊ وأبدى ملاحظات على بعض آراء أبي حامد الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية من المتقدّمين ، والإمام محمد بن عبدالوهاب من المتأخرين ،[3] والأستاذ المودودي والأستاذ سيد قطب من المعاصرين .[4]

❊ ❊ ❊

---

(١) التفسير السياسي للإسلام (٢٣ ـ ٢٦ باختصار) .

(٢) راجع التفصيل في مبحث «بين الرفض والنصب» باب «التأريخ» ، وفي آخر باب «الردود» .

(٣) ستأتي التفاصيل في محالها إن شاء الله .

(٤) رد في كتاب مستقل على بعض أفكارهما ، أسماه «التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي ، والشهيد سيد قطب» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

معلوم أنّ التحذير من كتاب ، أو الردّ على فكر ، لا يعني القدح في صاحبه اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بعقائد الإسلام ، وقواعده ، أو كان النقد موجهاً إلى أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل ، وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقال فيهم بعد ما علم ما لهم وما عليهم ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وكذلك هناك فرق بين «خلاف شخصي حاقد» و«اختلاف مبدئي هادف» فالأول مذموم ، والآخر ممدوح .

«فردّ المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء ، بل مما يحبّونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه ، فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكلية .

فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق ، فلا عبرة بكراهته لذلك ، فإن كراهة إظهار الحق - إذا كان مخالفاً لقول الرجل - ليس من الخصال المحمودة ، بل الواجب على المسلم أن يحبّ ظهور الحق ومعرفة المسلمين له ، سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته .

وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم ، وذلك هو الدين ، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .(١)

وأما بيان خطأ من أخطأ من العلماء قبله إذا تأدّب في الخطاب ، وأحسن في الردّ والجواب ، فلا حرج عليه ولا لوم يتوجه إليه . . . سواء كان الذي بيَّن الخطأ صغيراً أو كبيرا . . .»(٢)

* * *

---

(١) عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الدين النصيحة» ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (مسلم رقم ٥٥ ، والبخاري تعليقاً في كتاب الإيمان) .

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب (٣٢ - ٣٣) باختصار .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ليس كتابنا هذا، إلا حسبة دينيَّة، ومحاولة علمية مخلصة إن شاء الله ـ وإن كانت من صغير لكبير ـ تحثّ على مراجعة ما سلف، وتدارك ما فات، وتبحث عن الأصلح الأقوم، والأنفع الأسلم لهذه الأمة، وتحتاج إلى النوعية الواعية من العلماء والدعاة الذين ينتبهون للأخطار والأفكار التي تهدّد كيانها من الخارج والداخل على السواء. ولا ريب أن الأستاذ الندوي له في القلب منزلة بل منازل، وهو عزيز، ومثله لا يفرّط فيه، ولكن الحق أعزّ وأولى من الرجال.

فإن كان له رأي، فليتفضّل ـ بصدر رحب وقلب منشرح ـ بالنظر في رأي آخر، يمكن أن يكون فيه ما ينير معالم الطريق، ويزيل السحابة السوداء عن شمس الحقيقة.

فلنتق[1] الله عز وجل ـ جميعاً، في عقيدتنا وديننا، ومنهجنا وسلوكنا، ونراجع جميع أمورنا قبل فوات الأوان، والاختبار على مستوى المسؤولية.[2]

* * *

وأختم هذا التمهيد بما ختم به الأستاذ الندوي كتابه «التفسير السياسي للإسلام»، فإنه قال: «إن الإخلاص الصادق، وعاطفة نشدان الحق، وحبّ صيانة الدين عن كل شائبة من التحريف، وإعلاء كلمة الله في الأرض، والإيمان بأن كلاً يؤخذ من قوله ويردّ إلا النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك سيجعل الإنسان لا يتضايق بهذه الملاحظات والتنقيحات، بل سيتقبّلها بصدر رحب وقلب منشرح، لمايراها

(١) اللهم لا تجعل أحداً منّا إذا قيل له «اتق الله أخذته العزة بالإثم».

(٢) قال رسول الله صل يالله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» (صحيح ـ رواه الترمذي في كتاب الزهد من جامعه، والبخاري تعليقاً في كتاب المرضى عن سعد بن أبي وقاص).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تُعِينه على فهم الإسلام ، وتفهيمه وصيانته ، مما سيدلّ على أن الغرض هو اتباع الحق ورضا الله ، ولا تضخيم الشخصية ، أو تنميق الكلام ، أو تحبير الحديث .»

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود] .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

صلاح الدين مقبول أحمد

الكويت

يوم الأربعاء :٣/ ١١/ ١٤١٧هـ ١٢/ ٣/ ١٩٩٧م

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الرسائل والخطابات حول الكتاب

* خطاب الشيخ الرحماني (المؤرخ ١١/ ٤/ ١٤١٨هـ) المشفوع بنسخة من الكتاب ، إلى الأستاذ الندوي .

* خطاب الأستاذ الندوي (المؤرخ ٣٠/ ٤/ ١٤١٨هـ) إلى الشيخ الرحماني ، وهو يشتمل على ملاحظتين على الكتاب .

* خطاب المؤلف (المؤرخ ٨/ ٥/ ١٤١٨هـ) إلى الأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الرسائل والخطابات حول الكتاب

كنت أدعو الله تعالى ـ وأنا أقوم بتأليف هذا الكتاب ـ أن يكمل في حياة الأستاذ الندوي ، «وإن كان الحق حقيقاً بأن يُقال في الحياة وبعد الممات . . . والحق أولى من الرجال ، ولكن إبداء ما يريب ويحيك في الصدر في حياة من يتّصل به هذا التعليق أو النقد : أولى وأجمل ، وأيسر وأسهل ، من إبدائه بعده . . .»[1]

وحقّق الله عزّ وجلّ رجائي هذا ، وتمّ الكتاب ـ وبنعمته تتم الصالحات ـ وأُرسل ـ وهو في مرحلة صفّ حروفه ـ إلى الأستاذ الندوي ، ليطّلع عليه قبل طبعه ، ويرى فيه رأيه ، ويعلّق عليه تعليقاته ـ إن كانت ـ حتى تلحق بالكتاب كما هي ، لأنّي ما أردت بهذه الحسبة (وهي ـ على حدّ قوله ـ في طليعة العوامل التي صانت الأمة الإسلامية عن الانحراف عن الجادّة .[2]) إلاّ بيان الحقّ . والحقّ أحقّ أنْ يُتَّبع .

ثمّ ماذا جرى بعد هذا؟

سيظهر التفصيل عنه بمراجعة هذه الخطابات الثلاثة :

(الأوّل) : خطاب الشيخ الرحماني (المؤرخ ١١/ ٤/ ١٤١٨هـ) المشفوع بنسخة من هذا الكتاب ، إلى الأستاذ الندوي .

(الثاني) : خطاب الأستاذ الندوي (المؤرخ ٣٠/ ٤/ ١٤١٨هـ) إلى الشيخ الرحماني (بالأوردية) ، وهو يحتوي على ملاحظتين على الكتاب .

(الثالث) : خطاب المؤلف (المؤرخ ٨/ ٥/ ١٤١٨هـ) إلى الأستاذ الندوي .

وإليكم ـ الآن ـ هذه الخطابات الثلاثة ، وبالله التوفيق .

---

(١) «التفسير السياسي للإسلام» للندوي (ص ٢٢) .

(٢) المصدر المذكور (ص ٢٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

TEL. OFF. 6842920, 6821827, 6831682
FAX " 6821856, 6849538
TEL. RES. 6840181

بسم الله الرحمن الرحيم

Abdul Hameed Abdul Jabbar Rehmani

54-A, ZAKIR NAGAR,
NEW DELHI-110025 India

عبد الحميد عبد الجبار الرحماني

٥٤ - اے - ذاكر نگر
دهلي الجديدة ١١٠٠٢٥ — (الهند)

يوصل إلى الشيخ صلاح الدين
فوراً

Ref. No. ....

Dated. ....

الرقم ٦٤٥/١٩٩٧

التاريخ ١١-٤-١٤١٨هـ
١٦/٨/١٩٩٧م

حضرة الأستاذ الفاضل فضيلة الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الحي الندوي/المحترم حفظه الله وتولاه

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

تجدون بطيه كتابا ألفه شاب صالح – أحسبه كذلك والله حسيبه – وقد ناقش هو في تأليفه هذا بعض أفكاركم الموجودة في مؤلفاتكم عامة وفي كتاباتكم في لغة أردو خاصة ، وقد تفحصت الكتاب فوجدت المؤلف طالب علم ، باحثا ، محققا ، منصفا في نقاشه ، صادقا في دراسة آرائكم وترجمة أفكاركم ، موقرا شخصيتكم ، مقدرا جهودكم وأعمالكم ، مجتنبا الظلم والاعتساف ، سالكا درب العدل والانصاف ، متأدبا في الأسلوب ، أمينا في الحكم ، قاصدا اتباع الحق ، محاولا اجتناب الباطل ، ملتزما الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في بحثه ودراسته ، متمسكا بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة ، سائرا على طريق أصحاب الرسول والسلف الصالح من خير القرون .

والكتاب كان جاهزا للطباعة ولكني طلبت من المؤلف الأخ صلاح الدين مقبول أحمد سلمه الله وبارك له أن يأذن لي بتقديم الكتاب إلى فضيلتكم قبل النشر حتى تعرف مرئياتكم حول الكتاب فقبل طلبي مشكورا جزاه الله خيـرا .

فضيلة الشيـخ ! لست أنا غريبـا عليكم وقد سبق أن تشرفت بزيارتكم مرات : في لكناؤ وفي رائے بريلي وفي نيودلهي ، كما أنه حصل بيني وبين فضيلتكم نقاش حول الموضوعات المذكورة في الكتاب ثلاث مرات : مرة في سكنكم في دار الضيافة في دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ قبل أربع وعشرين سنة تقريبا وقد كان زميلي الأخ عبد النور بن عبد العظيم الندوي رحمه الله رتب هذا اللقاء بمناسبة مشاركتي في بعض برامج مجلس التعليم الديني الذي كنت عضوا في مجلسه التنفيذي في لكناؤ واستمر النقاش قرابة ساعتين من بعد الغداء إلى صلاة العصر بكل هدوء في جو من التأدب والاحترام والتوقير مني لشخصيتكم المهمة والاشفاق منكم علي ولم يكن معنا في هذا المجلس أحد سوى الله ، والنقـاش الثاني والثالث كانا مختصرين ، أحدهما كان في منزل كرامة الله وسـلامة الله في حارة نظام الدين ، نيودلهي وكان أكثر الإخوان من خريجي دار العلوم لندوة العلماء العاملين في مجال التدريس في مدينة دلهي موجودين في المجلس .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

TEL. OFF. 6842920, 6821827, 6831682
FAX " 6821856, 6849538
TEL. RES. 6840181

Abdul Hameed Abdul Jabbar Rehmani

54-A, ZAKIR NAGAR,
NEW DELHI-110025 India

٥٤-اے - ذاکر نگر
دهلی الجدیدة ٢٥-١١٠٠ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

Ref. No. .... الرقم ....

Dated. .... التاريخ ....

(٢)

والثاني كان في منزل الدكتور عبد الله عباس الندوي في جامعة نغر ، نيودلهي وكان معي في هذا المجلس أساتذة جامعة الإمام - رئيس وأعضاء الدورة التدريبية الأولى للمدرسين والدعاة التي كانت عقدت من قبل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في مركز "أبو الكلام آزد" للتوعية الإسلامية .

وفي هذه المجالس كلها تقريبا كان النقاش مع فضيلتكم حول كتاباتكم في تأريخ الإسلام والمسلمين في الهند وحول منهجكم في التعليم والتربية والدعوة .

وبما أن موضوع هذا الكتاب يدور حول هذه الأمور نفسها ولذا طلبت من المؤلف التأني في الطباعة لكي تحصل لي فرصة أخرى للاستفادة من آرائكم ولو كتابة واغتنم هذه الفرصة لتذكير فضيلتكم مع كل أدب واحترام بما جرى بيني وبينكم من النقاش في هذا الموضوع وأعترف لكم بتشريفكم إياي وبحسن استماعكم إلى تلميذ صغير مثلي وأشكر لكم على تبشيركم إياي بالمراجعة في بعض المواضيع التي عرضتها على فضيلتكم .

وقد كنت وما زلت آملا من المولى الكريم غير قانط ولايأيس من رحمته أن يوفقني وإياكم دائما للرجوع إلى الحق في عقيدتنا وأفكارنا وأعمالنا .

ورجائي الوحيد من فضيلتكم في آخر هذه الكلمة أن تتكرموا بقراءة هذا الكتاب بكل أناة وروية في جو من الهدوء والطمانينة في أوقاتكم الخاصة ، وإذا كان وقت القراءة قبل صلاة الفجر يكون أفضل وأحسن ، كما أني أرجو أن تكون قراءتكم له بينكم وبين الله ولا تستعملوا في هذا الشأن بطانتكم التي ربما تحول بينكم وبين الانصاف مع مؤلف الكتاب الذي هو بمنزلة تلميذكم وربما تحول بينكم وبين الرجوع إلى الحق مع العلم بأن كل بني آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون .

وآمل من سماحتكم التكرم بإرسال انطباعاتكم وملاحظاتكم حول محتويات الكتاب في أقرب فرصة ممكنة حتى نطلب من المؤلف طباعتها مع الكتاب ليعرف القارئ وجهة نظركم حول الموضوع والله هو الموفق لكل خير .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

TEL. OFF. 6842920, 6821827, 6231682
FAX " 6221856, 6849532
TEL RES. 6840181

بسم الله الرحمن الرحيم

Abdul Hameed Abdul Jabbar Rehmani

54-A. ZAKIR NAGAR,
NEW DELHI-110025 India

عبد الحميد عبد الجبار الرحماني
٥٤۔ اے۔ ذاکرنگر
دہلی الجدید ۲٥-۱۱۰۰ (الهند)

Ref. No. .... الرقم ....

(۳)

Dated. .... التاريخ ....

وختاما أتقدم إلى فضيلتكم باعتذاري إذا كان صدر مني شيئ من إساءة الأدب في جنابكم وأطمنكم بأني ما أردت إلا الإصلاح والتعاون على البر والتقوى وأسأل المولى الكريم أن يجنبنا التعاون على الإثم والعدوان وأن يخلص نياتنا ويصلح أعمالنا ويسدد خطانا ويحسن لنا الخاتمة ، إنه سميع قريب مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وبارك وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم في الله

عبد الحميد بن عبد الجبار الرحماني

ملاحظة :

اسم الكتاب المرفق : الأستاذ أبوالحسن الندوي ، الوجه الآخر من كتاباته وصفحاته ٦٩٥ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بسم اللہ الرحمن الرحیم

Phones : 73864, 72336, 72338

Abul Hasan Ali Nadwi
P. O. BOX, No. 93, NADWATUL ULAMA,
LUCKNOW—226 007. U. P. (INDIA)

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

التاریخ : ۳۰ ربیع الآخر ۱۴۲۰ھ

Ref :

فاضلِ گرامی قدر مخدومی جناب مولانا عبد الحمید رحمانی صاحب وفقہ اللہ لما یحب و یرضی

السلام علیکم ورحمۃ اللہ وبرکاتہ۔ عنایت نامہ مورخہ ۲۶ / اگست لکھنؤ میں ملا، میں اپنے ضعف و علالت کی بنا پر آجکل اپنے وطن رائے بریلی میں ہوں، ابھی ہفتہ عشرہ ان شاء اللہ قیام رہیگا۔

آپکا ہدیہ سامیہ "غایۃ المرام" پہونچا، راقم شاید کسی کتاب سے اتنا متاثر و مستفید نہیں ہوا جتنا مولانا قاضی محمد سلیمان صاحب منصورپوری رحمۃ اللہ علیہ کی کتاب "رحمۃ للعالمین" سے، جیسا کہ راقم نے "میری علمی و مطالعاتی زندگی کی محسن کتابیں" کے سلسلہ میں اور کاروانِ زندگی کے حصہ اول میں لکھا ہے۔ قاضی صاحب نے کانپور کے ندوۃ العلماء کے جلسہ میں میرے والد مرحوم مولانا حکیم ڈاکٹر سید عبد الحی صاحب رحمۃ اللہ علیہ سے فرمایا کہ میں نے سیرت رحمۃ للعالمین کا ایک نسخہ آپکے چھوٹے بھائی کو بھیجا ہے۔ بنا بریں قاضی صاحب کو راقم اپنا بڑا محسن سمجھتا ہے اور انکا معتقد ہے۔

ان شاء اللہ "غایۃ المرام" پر نظر ڈالوں گا۔ آپ اسکی طباعت و اشاعت کا انتظام فرمائیں، وقت کی ضرورت ہے۔

صلاح الدین مقبول احمد صاحب کی کتاب کا مطالعہ نہیں کر سکا اور شاید

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

جلد اسکی نوبت نہ آئی لیکن بعض رفقاء نے کتاب پر نظر ڈالی انہوں نے
بتایا کہ جہاں حضرت شاہ اسماعیل شہیدؒ کا ذکر کیا ہے انکو شہید لکھا ہے اور جہاں
انکے امام و امیر اور مرشد حضرت سید احمد شہیدؒ کا ذکر کیا ہے انکو "القتیل"
لکھا ہے۔ معلوم نہیں کہ اس بخل و کفایت شعاری کی کیا وجہ ہے کیا جنت میں انکی جگہ
نہیں ہے یا انکے صاحب طریقہ ہونے کی وجہ سے مؤلف کا قلم انکو یہ درجہ دینے کیلئے تیار
نہیں۔ اگر وہ حضرت شاہ صاحبؒ کا تالیف کردہ رسالہ "منصب امامت" دیکھ لیتے
یا صراط مستقیم تو انکو معلوم ہوتا کہ حضرت شاہ صاحب شہیدؒ انکا کس درجہ معتقد
و مداح ہیں اور کیسے آخر وقت تک رفاقت کی اور انکا جھنڈا انکے نیچے بالاکوٹ میں
شہادت حاصل کی۔ دوسرا یہ بھی معلوم ہوا کہ اشعری کو ایک جگہ کلابیہ
یا کلابی لکھا ہے۔ یہ تو شیخ الاسلام ابن تیمیہؒ اور حافظ ابن قیمؒ کا بھی دستور
اور زبان نہیں۔ ایسی صورت میں ایک کتاب پر نظر ڈالنا مشکل ہے۔ کوئی جانے
والا ملے تو اسکو واپس کیا جا سکتا ہے۔ اللہ تعالیٰ ہم سب کو حق کے اعتراف اور
محسنین امت و خادمین ملت کی حق شناسی کی توفیق عطا فرمائے
امید ہے کہ مزاج بخیر ہوگا اور اس خط سے گرانی اور ناگواری نہیں ہوئی ہوگی

والسلام

خاکسار

ابوالحسن علی ندوی

[illegible]

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تعريب الجزء المراد من هذا الخطاب

قال الأستاذ الندوي في خطابه إلى الشيخ الرحماني :

« . . . لم أستطع مطالعة كتاب صلاح الدين مقبول أحمد ، ولعلّه لا تسنح فرصة لها في وقت قريب .

ولكن ألقي بعض رفقائي نظرة على الكتاب ، وأخبرني بأنه حيث ذكر الشاه إسماعيل الشهيد وصفه بـ «الشهيد» ، وحيث ذكر إمامه وأميره ومرشده السيد أحمد الشهيد وصفه بـ «القتيل» .[1]

لا أدري ما سبب هذا البخل والتقشّف؟

أليس في الجنة هذا القدر من المكان ، أم قلم «المصنّف» لا يستعدّ أن يمنحه هذه المكانة ، لكونه صاحب «الطريقة»؟

لو رأى «منصب الإمامة» للشاه ، أو «الصراط المستقيم»[2] ، لعلم أن الشاه كم

---

(١) لم يرد من كلام المؤلف في هذا الكتاب إطلاقاً وصف شخص بعينه بـ «الشهيد» لأنه لا يعلم إلا بالوحي ، وكذلك لم ترد كلمة «القتيل» في السيّد أحمد في الكتاب كلّه ـ وهو موجود عند الأستاذ الندوي ـ وكذلك أترك الحكم إلى القراء الكرام أيضاً . وراجع ردّ المؤلف على هذا الخطاب .

(٢) كتاب «منصب الإمامة» للشاه إسماعيل الدهلوي ، يوجد فيه من الصوفيات ما لا دليل عليه من الكتاب والسنّة . وورد ذكره في كتابنا هذا تعليقاً . (راجع «جهود الدهلوي في نشر الحديث» ـ ترجمة ولي الله الدهلوي ـ الباب الثاني) .

أما كتاب «الصراط المستقيم» (في التصوف بالفارسية) «فجمع فيه ما صحّ عن شيخه السيّد الإمام أحمد بن عرفان قولاً وفعلاً ، وفيه بابان من إنشاء صاحبه الشيخ عبد الحي البدهانوي . ونقله الأخير إلى العربي في الحجاز لأهل الحرمين الشريفين» (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٢ ، ٦٠ ، ٢٥٦) .

يوجد فيه الشيء الكثير من الصوفيات والمخالفات ، وورد ذكره في كتابنا هذا تعليقاً (راجع «اعترافات» ـ ترجمة السيد أحمد ـ آخر الباب الثاني) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كان معتقداً في السيّد أحمد، ومدّاحاً له، وكيف كان رفيقاً له إلى آخر حياته، واستشهد في «بالاكوت» تحت لوائه؟[1]

ثانياً: أُخبرتُ أيضاً أنه قال في «الأشاعرة» في موضع: «كلابية» أو «كلاب»[2]. وليس هذا حتى من دستور شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم، ولا من لغتهما.

وعلى هذا، يصعبُ أن أراجع هذا الكتاب، ويمكن إرجاعه إليك إذا وجد من يسافر.

وفّقنا الله جميعاً للاعتراف بالحق، ولمعرفة حق محسني الأمة، وخدّام الملّة...»[3].

---

(١) هذه الاعترافات التي أشار إليها الأستاذ الندوي كلّها توجد في هذا الكتاب بأساليب مختلفة وفي مواضع متفرّقة. وللاطلاع عليها يحتاج إلى مراجعة الكتاب بدقة، بعيداً عن الحسّاسية.

(٢) نشأ هذا الخطأ لعدم القراءة الصحيحة لهذه الكلمة، وهي «كُلاّبية» و«ابن كُلاّب» ـ بضم الكاف وتشديد اللام ـ. راجع ردّ المؤلف على هذا الخطاب.

(٣) «ربنا تقبّل منا إنّك أنت السميع العليم».

قال الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٣):

«معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كلّ ما قالوه... ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلّة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتّبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» (كتب حذّر منها العلماء: ١/ ١٢ ـ ١٣) وهذا ما نراه ونعتقد به.

وقال الإمام ابن رجب في «الفرق بين النصيحة والتعيير» (ص ١٢). ـ وهو يبين مشروعية الردّ على أهل البدع والأهواء ـ:

«هذا كلّه في حق العلماء المقتدى بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبّه بالعلماء وليس منهم، فيجوز بيان جهلهم، وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم» (كتب حذّر منها العلماء: ١/ ١٥).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٨جمادي الأولى١٤١٨هـ

فضيلة الأستاذ أبي الحسن الندوي حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، وبعد ..

فقد اطلعتُ على خطابكم الموجه إلى الشيخ عبدالحميد الرحماني ، المؤرخ (٣٠/ ربيع الآخر١٤١٨هـ) بشأن كتابي " الأستاذ الندوي:الوجه الآخر من كتاباته ".

وقد تبين من خطابكم أنكم ما استطعتم الاطلاع على الكتاب المذكور شخصيا لظروفكم الصحية - شفاكم الله وعافاكم -، ولكن حولتموه الى " بعض الرفقاء " ليقوم بالمراجعة والإفادة .

وبناء على افادة هذا الرفيق جاء في خطابكم المذكور:

" إن المؤلف حين ذكر الشاه اسماعيل وصفه بـ"الشهيد"، وحين ذكر أميره ومرشده السيد أحمد وصفه بـ"القتيل".

لا أدري ما سبب هذا البخل والتقشف ...؟

أليس في الجنة هذا القدر من المكان ، أم قلم " المصنّف " لا يستعدّ بأن يمنحه هذه المكانة لكونه صاحب الطريقة (أي الصوفية) ؟.

* وثانيا : علمت أيضا بأنه قال في "الأشاعرة" أنهم " كلابية" أو "كلاب" ، وليس هذا حتى من دستور شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم ، ولا من لغتهما .

وعلى هذا ، يصعب أن أراجع هذا الكتاب ..." (انتهى الخطاب).

أناشدكم با لله ..!

أناشدكم با لله الذي لا إله إلا هو ، أن تراجعوا الكتاب غير مأمورين ، لا تجدون فيه ما ذكرتم ، بناء على كلام "الرفيق المؤتمن" من الأمرين المذكورين ، لأنهما لم يُذكَرا في الكتاب بتاتا .

أما (**الأول**) فهو خلاف ما في الكتاب صراحة .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

و(**الثاني**) : يتعلق بمستوى " الرفيق المؤتمن " العلمي ، بحيث لم يفرق بين (ابن كُلّاب) ، و(كِلاب) (جمع كلب: حيوان معروف) وهكذا أوغر صدركم بإفادته الخاطئة على الكتاب ومؤلفه من غير حق ، ومن دون أن تراجعوا الكتاب .

(ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) (المائدة:٨).

وفيما يلي بيان هذين الأمرين باختصار :

(الأمر الأول) :

أفادكم هذا " الرفيق المؤتمن " بأن المؤلف حين ذكر الشاه اسماعيل وصفه بـ"الشهيد " وحين ذكر مرشده السيد أحمد بن عرفان ذكره بـ"القتيل ".

وهذا لم يحصل :

هذا لم يحصل في الكتاب بتاتا ، لأن المؤلف لا يرى استعمال كلمة "الشهيد" على وجه الجزم في شخص بعينه ، إلا فيمن ورد فيه النص عن النبي صلى ا لله عليه وسلم ، بناء على ما بوّب عليه البخاري في صحيحه (٩٧/٦رقم ٢٨٩٨- كتاب الجهاد) من قوله :

" باب لا يقال : فلان شهيد " - (أي على وجه الجزم في شخص بعينه).

بل على العكس من هذا :

ردّ المؤلف على كلامكم حين وصفتم الشاه اسماعيل بـ"شهيد الاسلام " على وجه الجزم فقال :

" مع الاعتراف بآثار الشيخ اسماعيل الخالدة ، ومآثره الجليلة... لا يوصف-رحمه ا لله- هو ولاغيره على وجه الجزم والقطع بأنه شهيد ، لأنه لا يعلم على وجه التحقيق الا بالوحي ". (ص٦٣٠).

والذي حصل :

هو استعمال كلمتي "قُتِل" و"استشهِد" على غير وجه الجزم استبشارا ، وكلتاهما استعلمت في حق هذين العالمين معا ، ومن غير تخصيص، وإليكم ما جاء في الكتاب :

* ذكر المؤلف التزام الشيخ اسماعيل الدهلوي بمرشده الشيخ أحمد بن عرفان في التصوف وقال:

"... حتى استشهد هو ومرشده في بالاكوت سنة ١٢٤٦هـ"(ص٣٤٥).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أين في هذا الكلام تخصيص أحدهما بالشهادة ؟.

* وقال في " السيد أحمد " :

"الشيخ المجاهد أحمد بن عرفان البريلوي (١٢٠١-١٢٤٦هـ) ولد في زاوية جده علم ا لله النقشبندي (محل أسرة الأستاذ الندوي) ... ثم غلب عليه شوق الجهاد في سبيل ا لله ...وأول من دخل في بيعته الشيخ عبدالحي ، والشيخ إسماعيل .

وقتل في معركة بالاكوت ضد "السيخ" مع كثيرين من أصحابه ، وعلى رأسهم الشيخ إسماعيل الدهلوي سنة ١٢٤٦هـ " (ص٢٧٣).

هل في هذا الكلام تخصيص أحدهما بالقتل دون الآخر ؟.

* وكتب المؤلف معترفا بفضل السيد أحمد فقال :

" لاريب أن السيد أحمد بن عرفان البريلوي وأصحابه وعلى رأسهم : الشاه إسماعيل الدهلوي – قائد الجناح العسكري– أقاموا دولة إسلامية ، ولكن أمراء بعض القبائل ، والمغرضين من الشعب تخاذلوا عن تأييدها ، لقلة الوازع الديني ، وعدم التربية على منهاج النبوة ، حتى قتل السيد أحمد والشاه إسماعيل الدهلوي مع كثير من أصحابهما ، على يد "السيخ" في ساحة "بالاكوت" في الرابع والعشرين من ذي العقدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية "(ص٣٥٦).

إن كان في الكتاب غير هذا ، فلتيفضل " الرفيق المؤتمن " مشكورا .

ثم أتساءل :

– أين هذا التحيز الذي أوغر به صدركم على الكتاب ومؤلفه في هذه القضية ..؟.

– وأين هذا كله من تلك الإفادة المغرضة من قبله بتخصيص أحدهما بالقتيل (وهي كلمة لم ترد في الكتاب إطلاقا) والآخر بالشهيد (وهي أيضا لم ترد في حق شخص بعينه في كلام المؤلف بتاتا، اللهم إلا إذا وردت نقلا عن الآخر)..

– ولا أدري ما سبب خيانة هذا " الرفيق المؤتمن " في نقله المشوّه إليكم ، الذي يدين شخصه عند المحاكمة إلى العلماء في الدنيا ، وعند ا لله يوم القيامة إن شاء ا لله ..؟.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

- وأخيرا ، في أي معجم من معاجم اللغة وقواميسها ، يوجد اطلاق كلمة "القتيل "على من لا يدخل الجنة ، وقد قال الله تعالى في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :(...أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...) (آل عمران- ١٤٤).

ولكن الحساسية الزايدة ... ولنسأل الله السلامة ..!

(الأمر الثاني) :

قلتم في الخطاب بناء على الإفادة :

" ان المؤلف قال في الأشاعرة " كلابية " أو "كلاب" - وبهذه الإفادة أوحي اليكم بأن نسبهم الى "الكلاب " (جمع كلب : حيوان معروف) ، كما هو ظاهر من أسلوبكم الغاضب ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

وإن دلت هذه الإفادة على شيء فإنما تدل على ثقافة هذا " الرفيق" الواسعة .

ولا أدري كيف غاب عنكم بأن (الكُلاَّبِيَّة) من أتباع (عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب القطان) ، الذي سلك أبو الحسن الأشعري مسلكه في بعض الأمور ، وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية "ابن كُلاَّب" و"الكُلابية" مرارا وتكرارا في فتاواه .("١/٧٧،١١٩،١٢٢،١٢٣،٢٢١،٢٢٢،٢٣٠،٢٣٣"،"٢/٤٩٠،٥٣٠" - الفهارس العامة).

وكذلك ذكره الحافظ ابن القيم في " اجتماع الجيوش الاسلامية " (ص١٨١).، والحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤-٣٨٠).

وقال الحافظ ابن حجر في اللسان (٣/٢٩٠) : "ويقال : إنه قيل فيه : " ابن كُلاَّب" لأنه كان يخطف الذي يناظره ، وهو بضم الكاف وتشديد اللام ".

- أين هذا كله مما أفادكم ذلك " الرفيق المؤتمن " بأن المؤلف قال في الأشاعرة "كلابية " نسبة إلى الكلب أو " كلاب" (جمع كلب)،كما يدل عليه أسلوبكم حتى قلتم في آخر الخطاب :" ...ليس هذا حتى من دستور ابن تيمية وابن القيم ولا من لغتهما ، وعلى هذا يصعب أن أراجع هذا الكتاب ".

-- هل يعتمد على مثل هذا " الرفيق" الذي يخون الأمانة ، أو على الأقل لا يكون على مستوى أداء الأمانة ؟.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

- أهكذا تكون الأمانة العلمية عند العلماء ؟!.

توضيحات :

* لعلي بهذا البيان قد أزلتُ هاتين الشبهتين اللتين حالتا دون مراجعة الكتاب ، وهو موجود عندكم ، " وليس الخبر كالمعاينة ".

صحيحا قالوا :" آفة الأخبار رواتها " (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات :٦).

* ثم ندوة العلماء كبرى المؤسسات العلمية في الهند ، وفيها علماء أكفاء بارزون ، وأهل الإختصاص ومتمكنون من اللغة العربية ، وأنا أناشدكم با لله العلي العظيم أن تقدموا الكتاب إليهم ، وانظروا هل هم يوافقون هذا " الرفيق" على رأيه في هذين الأمرين ؟!.

وإذا كان كذلك - ولا أظن ذلك - فإلى ا لله المشتكى ..!!

(وأفوض أمري إلى ا لله وا لله بصير بالعباد)(غافر- ٤٤).

* أخيرا أقول : إن التحذير من كتاب ، أو الرد على فكر لا يعني القدح في صاحبه ، بل "كانت هذه الحسبة العلمية المخلصة النزيهة، في طليعة العوامل التي صانت الأمة الاسلامية عن الإنحراف عن الجادة " على حد تعبيركم .

اللهم اجعلنا من (الذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه ،أولئك الذين هداهم ا لله وأولئك هم أولوا الألباب) (الزمر-١٨).

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنّا إنك رؤوف رحيم) (الحشر-١٠) .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى ا لله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

والسلام عليكم ورحمة ا لله وبركاته ،،،،

صلاح الدين مقبول أحمد

الأربعاء ٨جمادي الأولى١٤١٨هـ

الموافق ١٠/٩/١٩٩٧م.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الاعتذار من العلم : الميزان المقلوب

قد مضى ما يقارب نصف سنة على وصول هذا الكتاب إلى الأستاذ الندوي ، وأبدى عليه ملاحظتين ، كلتاهما نشأت لعدم دقة بعض رفقائه في القراءة ، وعدم ضبطه بعض الكلمات ضبطاً صحيحاً . وبناءً على إفادته الخاطئة ترفّع الأستاذ عن أن يقرأ الكتاب على حدّ قوله .

وقد أزلت هاتين الشبهتين في خطابي الموجّه إليه ، ورجوت منه الاطلاع على الكتاب ، وذلك قبل خمسة أشهر تقريباً .(١)

ومما يثير الأسى ويحزّ في النفس أن الموازين انقلبت ـ رأساً على عقب ـ في هذا العصر حتى في ساحة الدعوة الإسلامية ، لأن المخطىء خطأً بيّناً ، مع ادّعائه للاعتراف بالحقّ ، ودعوة الناس إليه ، يقدّم نفسه مصيباً على رؤوس الأشهاد ، بدون تحرّج .

والمصيب يترجّى ويُجامل ، ويدافع عن نفسه ، ويعتذر عن علمه . وقد رثى الإمام عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦هـ) هذه الظاهرة الخطيرة في زمانه ، في القرن الثالث ـ فكيف بزماننا في القرن الخامس عشر؟ ـ فقال :

«وقد كنَّا زماناً نعتذرُ من الجهل ، فقد صِرْنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم ، وكنَّا نؤمّل شكر الناس بالتنبيه والدلالة ، فصرنا نرضى بالسلامة ، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال ، ولا ينكر مع تغير الزمان ، وفي الله خلفٌ وهو المستعان» .(٢)

* * *

(١) تقدّم التفصيل عنه آنفاً .

(٢) «إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث» للدينوري (ص ٤٧) ، وعنه في «كتب حذّر منها العلماء» (١/ ١٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الأول

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

- التصوف في أسرته الحسنية في ضوء كتاباته .
- التصوف في أسرته العلمية في ضوء كتاباته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الأول

أولئك آبائي فجئني بمثلهم [١]

التصوف في أسرته الحسنية وأسرته العلمية في ضوء كتاباته

أسرة الأستاذ الندوي وبيئته :

ألف الأستاذ الندوي في سيرة والده السيد عبد الحي الحسني مؤلفاً أثبت فيه نسبة أسرته إلى التصوف ، فقال :

«والسيد محمد ظاهر الحسني [٢] (أبو جدة السيد عبد الحي) يلتقي بالسيد علم الله [٣] في الجد الخامس . وكان كاملاً في علوم الظاهر والباطن [٤] على

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي الشيخ أحمد بن عرفان البريلوي فقال : حق لمن انتمى إليه ـ مباشرة أو بواسطة ـ أن يقول في ثقة واعتزاز :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(الإمام السرهندي : ص٣٣٣) .

(٢) هو : محمد ظاهر بن غلام جيلاني الحسني والحسيني (ـ ١٢٧٨هـ) ، أخذ الطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان البريلوي ، ومن مصنفاته : «خير المسالك» في السلوك ، ورسالة في بحث وحدة الوجود (نزهة الخواطر للسيد عبد الحي : ٧/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧) .

(٣) هو : الشيخ علم الله النقشبندي البريلوي (١٠٣٣ ـ ١٠٩٦هـ) ، كان عالماً ربانياً وله كشوف وكرامات (نزهة الخواطر : ٥/ ٢٨٦) .

(٤) العلوم الظاهرة هي العلوم الشرعية المعروفة . ولكن ما المراد بعلوم الباطن يا ترى؟ !

* فإن أريدت بها علوم لم توجد في كتاب الله ، ولم يطلع عليها النبي ﷺ ، فثقوا بأن الأمة الإسلامية ليست في حاجة إليها إلى يوم القيامة .

* وإن أريدت بها علوم استأثر بها النبي ﷺ على نفسه ، ولم يبلغها إلى صحابته ، ففيه مخالفة صريحة لأمر الله تعالى في تبليغ الرسالة ، وهذا محال في حق النبي ﷺ ، لأنه قام بإبلاغ جميع ما أرسله الله به أتم قيام . عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب ، وهو يقول عز وجل : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . .﴾ [المائدة : ٦٧] . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

= ـ وفي الصحيحين عنها أيضاً ، أنها قالت : «لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن ، لكتم هذه الآية : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائى قال : قلت لعلي بن أبي طالب : هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن .؟

فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة .

قلت : وما في هذه الصحيفة؟ .

قال : العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر .

وثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : «أيها الناس إنكم مسؤلون عني ، فما أنتم قائلون؟»

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ـ فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول : «اللهم هل بلغت؟ !» (تفسير ابن كثير : المائدة : ٦٧) .

* وإن أريدت بعلوم الباطن شطحات الصوفية وخزعبلاتهم ، مثل :

ـ قول أبي يزيد البسطامي : «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله» .

ـ وقول أبي تراب النخشبي لمريده : « . . . لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة ، كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة» (إحياء علوم الدين للغزالي) .

ـ وقول الحلاج : «ما في جبتي إلا الله» ، «وأنا الحق» (راجع تأويل بعض هذه الشطحات في «ملفوظات المجددي» للندوي) .

ـ وقول أبي حامد الغزالي : «لا إله إلا الله توحيد العوام» ، «ولا هو إلا هو» توحيد الخواص (روضة الطالبين له) .

ـ وقول ابن عربي :

الرب عبد والعبد رب ... ويا ليت شعرى مَن المكلف
إن قلت عبد فذاك حق ... أو قلت رب أنى يكلف

ـ وقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله» لأصحابه في بيان مكاشفاته . (شذرات الذهب ، والبداية والنهاية) .

ـ توغل الشيخ علي بن عثمان الهجويري في حقائق التصوف في كتابه «كشف المحجوب» (وقبره في لاهور» يعبد من دون الله) .

ـ ومعارف الشهاب السهروردي في «عوارف المعارف» ، وخواص أوراده .

ـ وتبادل الجلال الرومي الحقاق والمعارف مع ابن العربي والقونوي وغيرهما (تاريخ الدعوة العزيمة للندوي) .

ـ وتلقين الخواجه معين الدين الجشتي أحد مريديه اختباراً لمدى تعلقه به بقول : «لا إله إلا الله ، الجشتي =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

= رسول الله» (فوائد فريدية) . وقبره في «أجمير» (الهند) وثن يعبد من دون الله تعالى .
- ودقائق الشيخ علي بن شهاب الهمداني الكشميري في شرحه على فصوص الحكم لابن عربي ، والميمية لابن الفارض . (نزهة الخواطر) .
- واستغراق الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي في بحار المعارف ، أنه تواجد بعد سماع الغناء وغشي عليه وتوفى في تلك الحالة . (نزهة الخواطر : للسيد عبدالحي ، والد الأستاذ الندوي) .
- وتصرف الخواجه فريد الدين الأجودهني تصرفات عجيبة . (نزهة الخواطر) .
- ومجاهدة الخواجة علاء الدين الكليري . (نزهة الخواطر) وقبره وثن يعبد في «كلير» من دون الله تعالى .
- ذكر الخواجه نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني المعروف بأولياء ، اسم شيخه فريد الدين مسعود الأجودهني بعد كل صلاة بلذة ، حباً واعتقاداً . (تاريخ الدعوة والعزيمة للندوي) .
- وهيام شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري في غابة «بهيا» و«جبل راجكير» من أعمال «بهار» نحو اثنى عشر ، أو ثلاثين عاماً ، على اختلاف الرواية . (تاريخ الدعوة والعزيمة ، ونزهة الخواطر) وقبره يتبرك به ويطاف حوله .
- وإفشاء عبد القدوس الكنكوهي أسرار «التوحيد» على عامة الناس واستغراقه في بحار الجذبات والسكر . (نزهة الخواطر) .
- وتقرير الحاج إمداد الله (شيخ كبار علماء الديوبنديّة) بوحدة الوجود . (شمائم إمدادية له) .
- واعتقاد الشيخ قاسم النانوتوى (موسس دار العلوم ديوبند) بحياة النبي ﷺ حياة دنيوية لا برزخية («آب حيات» له) .
- واكتحال الشيخ أحمد علي السهارنبوري (مؤسس مدرسة مظاهر علوم) بتراب عتبة النبي ﷺ ، وتعليقه على بعض الكتب الستة لتأييد المذهب الحنفي (نزهة الخواطر) .
- وقول الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي : «بقيت صورة الشيخ إمداد الله ثابتة في قلبي ثلاث سنوات كاملة وما عملت عملاً إلا بإذن منه . .» (أرواح ثلاثة لأشرف علي التهانوي) .
- وتقرير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الاستفادة من روحانية المشايخ من صدورهم أو قبورهم . (المهند على المفند له) .
- وتحريف الشيخ محمود حسن الديوبندي آية وحديثاً حتى يوافقا المذهب الحنفي . (سنن أبي داود وحاشيته ، و«إيضاح الأدلة» له) . (وصحّحت الآية الآن ، فالحمد لله) .
- ونورانية قلب الشاه عبد الرحيم الراى فورى ، حتى تنكشف عورات مريديه عنده . (أرواح ثلاثة) .
- وتبرير الشاه محمد يعقوب المجددي لشطحات الحلاج وغيره من الصوفية . (ملفوظات المجددي للأستاذ الندوي) .
- وقوة نسبة الشيخ عبد القادر الراى فورى ومكاشفته لقلوب مريديه . (سيرته للندوي) .
- وحيازة الشيخ حسين أحمد المدني حظاً وافراً من كشف القلوب وكشف القبور . («عقائد وكمالات =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السواء، فقيهاً عالي الرتبة، ومرجعاً للفتاوي في هذه الديار..»[1].

وذكر أن أباه السيد عبد الحي تأثر منذ طفولته بجدته من أمه: السيدة حميراء بنت السيد سراج الدين الهسوي[2] (المتوفي ١٢٧٧هـ) ـ وهي بايعت السيد

= علماء ديوبند للشيخ «الله يار» الديوبندي).

ـ وقول الشيخ أشرف علي التهانوي: «كنت على صلة وارتباط مع الشيخ إمداد الله ـ وهو في مكة وأنا في الهند ـ فما قمت ولا قعدت إلا بإذن منه، ثم كنت على صلة مثلها برسول الله». (إمداد المشتاق للتهانوي).

ـ وتقرير أنور شاه الكاشميري عن طيّ الزمان والمكان على طريقة الصوفية. («فيض الباري» له).

ـ وإجازة الشيخ محمد إلياس (مؤسس جماعة التبليغ) لولده: محمد يوسف، نيابة عن الرسول ﷺ، ومراقبته عند قبر عبد القدوس الكنكوهي (رئيس الطريقة الجشتية الصابرة)، وجلوسه في الخلوة قرب قبر «نور سعيد البدايوني»، وصلاته بالجماعة هناك. (سيرة محمد يوسف للأستاذ محمد الثاني الحسني وبتقديم الندوي).

ـ ومراقبة محمد يوسف الكاندهلوي عند قبر والده محمد إلياس، رجاء حصول النور الذي يوزعه بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به. (شهادة زميله: محمد سردار الباكستاني).

ـ وسفر الشيخ محمد زكريا إلى البلاد الأخرى بإشارة من النبي ﷺ. (بهجة القلوب: لمحمد إقبال).

ـ وقوة تسخير الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آباوى. (شيخ أعضاء ندوة العلماء الأوائل) (تذكرته للندوي).

ـ واستغراق الشيخ محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء)، وغلبة الحب عليه في آخر حياته. (نزهة الخواطر).

ـ وتمتع السيد فخر الدين (جد الأستاذ الندوي) بالكمال الباطني. (حياة السيد عبد الحي للندوي).

ـ وحصول السيد عبد الحي (والد الأستاذ الندوي) على المدارج بالتفات والده، والسيد ضياء النبي في ساعات التي لم يحصل عليها من طرق أخرى في سنوات. (حياة عبد الحي «للأستاذ الندوي»).

ـ وتلذذ الأستاذ الندوي بذكر هؤلاء القوم وشطحاتهم، ومكاشفتهم لقلوب مريديهم، وإشرافهم على خواطرهم في كتاباته، وتمجيد دورهم بقوله: «هكذا كل ما يوجد من ذكر الله، وعمل للإسلام في الهند، جدير بأن يعد من حسنات الجشتيين ومآثرهم، وعلى رأسهم مؤسس هذه السلسلة المخلص صاحب الهمة العالية الخواجة معين الدين الجشتي، ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة». (تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي: ٣/ ٢٩ ـ الأردية). إن أريدت بالعلوم الباطنية هذه الشطحات وغيرها. فاللهم سلّم سلّم!!

(١) «حياة عبدالحي» للأستاذ الندوي (ص٢٨).

(٢) هو: سراج الدين بن مهدي (ـ ١٢٧٧هـ)، أخذ الطريقة عن الإمام أحمد بن عرفان البريلوي (نزهة الخواطر: ٧/ ٢٠٠).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أحـمـد[1] ـ وبجدته من أبيه : السيدة فاطمة بنت السيد محمد ظاهر الحسني ، التي كـانت تواظب على قـراءة القـرآن ، ومطالعـة الفـقـه والحـديث ، وعلى ورد «دلائل الخيرات» ، و«الحزب الأعظم» ، و«حزب البحر» ، وغيرها من الكتب[2] . . . إلى أن قال : وأدت أمومتهما الرحيمة ، وتربيتهما العاقلة دوراً أساسياً في تكوينه الخلقي والفكري . . .»[3] .

* السيد فخر الدين (جد الأستاذ الندوي) :

قال الأستاذ الندوي في ترجمة جده السيد فخر الدين (١٢٥٦ ـ ١٣٢٦هـ) : «نكتفي في ترجمته بما كتب ابنه السيد عبد الحي» ـ ثم نقل عنه ما يقارب سبع صفحات» (١٤ ـ ٢١) .

ولكنه في الحقيقة لم يكتف بما كتب السيد عبد الحي بن السيد فخر الدين ، بل زاد عليه الندوي ما يدل على شدة تعلقه بالتصوف ، وقد أهمله أبوه في «نزهة الخواطر»[4] لسبب أو آخر ، وإليكم ما قال الأستاذ :

« . . . مع هذه الكمالات العلمية التي فصلها السيد عبد الحي أيما تفصيل ، كان يتمتع بالكمال الباطني[5] أيضاً . وكان هذا الجانب مستوراً ، وأكثر خفاء من كمالاته

---

(١) هو : السيد الإمام أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني (١٢٠١هـ ـ ١٢٤٦هـ) ، بايعه الناس ـ وعلى رأسهم الشاه إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي (ـ ١٢٤٦هـ) على الجهاد واستشهد في معركة «بالاكوت» ، (نزهة الخواطر : ٧/ ٢٨) .

(٢) ستأتي نبذة عن بعض هذه الكتب في مبحث «الكتب المهمة عند الصوفية» في باب «الصوفيات» .

(٣) حياة عبد الحي (ص ٤٦) .

(٤) راجع (٨/ ٣٥٤) .

(٥) قال الإمام أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (ـ٥٩٧هـ) : «وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسموا هواجس النفس العلم الباطن ، واحتجوا له بحديث لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم» (تلبيس إبليس : ٣٦١ ـ ٣٦٢ باختصار) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العلمية . وقد ربّاه السيد أحمد [(١)] تربية باطنية بعناية خاصة . . . -إلى أن قال- :
«كتب السيد فخر الدين في كتابه «مهرجهان تاب» :

* ربما كنت أُصاب بشيء من المرض ، وأشعر بالضعف والتعب ، فكان يدرك ذلك بوجدانه وفراسته من غير أن أظهر عنده شيئاً من ذلك . ويقول : «اليوم مصاب بالصراع ، لذا لا تعقد حلقة الدرس» [(٢)]

* وفي العشر الأخير من شهر رمضان كانت تعقد حلقة «المراقبة» [(٣)] ، بعد قيام الليل ، وذات ليلة بدأ الشيخ أحمد يستريح بعد الصلاة ، فقال الخواجه فيض الله -رحمه الله- (خليفته الأعظم ورأس الحلقة) : هناك حلقة أخرى من شاء أن يحضرها فليحضر بعد أن يستأذن الشيخ ، فحضرها الزملاء جميعاً ، وحضرتها أيضاً ، ولكني انزعجت ، لأنني كنت متعلقاً بذيله الخاص . فلماذا اليوم عدم الالتفات [(٤)] هذا؟

كنت في الحلقة ، ولكني لم أتمتع بالفائدة المرجوة وبشرح الصدر ، لأجل هذا الهم والغم . وحينما انعكس خيالي هذا بعد انتهاء الحلقة ، قال الشيخ : تعال ، واجلس معي هنيهة . ثم التفت إليّ التفاتاً خاصاً ، وحضر الزملاء الآخرون أيضاً ، وتمتعت بالحظ واللطف الخاص ، وانحلت عقدة القلب» [(٥)] .

* «ذات مرة ذكر (أي السيد أحمد) الشيخ محمد يعقوب [(٦)] بذوق

---

(١) هو : الخواجه أحمد بن ياسين النصير آبادي (١٢٤١ــ١٢٨٩هـ) . قال السيد عبدالحي : « . . . كان قوي النسبة . . . أخذ عنه السيد الوالد ، وخلق كثير من العلماء والمشايخ» . (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٩) .

(٢) حياة عبدالحي (ص٢٠) .

(٣) راجع التفصيل عن «المراقبة» في باب «الصوفيات» .

(٤) راجع «الالتفات والتوجه» في باب «الصوفيات» .

(٥) حياة عبدالحي (٢١-٢٢) .

(٦) هو : محمد يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي (١٢٠٠-١٢٨٢هـ) ، سبط الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي ، وحصلت له الإجازة عنه في العلم والطريقة ، وأخذ عنه السيد صديق حسن القنوجي البوفالي ، وخواجة أحمد بن ياسين النصير آبادي (نزهة الخواطر : ٧/ ٥٥٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ووجد[١] ، وقال : «أنا أريد أن تجدد البيعة [٢] حتى أمنحك تلك النسبة [٣] التي حصلت عليها من الشيخ المعنوي محمد يعقوب ـ نور الله مضجعه ـ .

قال هذا العبد (أي السيد فخر الدين) : حبا وكرامة !

قال : أعطيك إياها كتابة« في الليلة السابعة والعشرين من هذا الشهر ، التي هي ليلة القدر ، وأخبرك عن صيغ هذه الطريقة [٤] التي هي من طرق أخرى شفهياً ، فأوفى بوعده في هذه الليلة المباركة ، وزيادة على ذلك أني تمتعت بالألطاف التي لا أستطيع أن أعبر عنها بلساني القاصر» [٥] .

هذه من زيادات الأستاذ الندوي في ترجمة جدّه على كتابات أبيه . وهذه هي الكمالات الباطنية المستورة في حياته ، التي وصفها بأنها كانت أكثر خفاء من كمالاته العلمية .

* السيّد عبد الحي الحسني (والد الأستاذ الندوي) :

قال الأستاذ الندوي ـ وهو يذكر شيوع التصوف في عصر أبيه ـ :

«ولد في عصر كان فيه ذوق التصوف والسلوك شائعاً ، ووجد المشايخ أولوا

---

(١) (الذوق) في اصطلاح الصوفية : «عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره» (التعريفات للجرجاني : ص ١٤٤) .
و(الوجد) : ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع ، وقيل : «هو بروق تلمع ، ثم تخمد سريعاً» (التعريفات : ص ٣٢٣) .

(٢) يأتي التفصيل عن البيعة والنسبة والطريقة وغيرها من اصطلاحات الصوفية في باب «الصوفيات» إن شاء الله .

(٣) (النسبة) : «إيقاع التعلق بين شيئين» (التعريفات : ص ٣٠٨) أو بين شخصين .

(٤) الطريقة في اصطلاح الصوفية : هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات» (التعريفات : ص ١٨٣) .

(٥) حياة عبدالحي (ص ٢٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الرتب العالية في كل مكان ، بجهود مجدد الألف الثاني (١) وخلفائه ، وبجهود المشايخ أهل العشق والورد من السلسلة الجشتية (٢) ـ الذين خلقوا حرارة باطنية ، وحرقة داخلية في هذا المجتمع ، الذي كان يميل إلى الزوال ميلاً سريعاً ـ ، ولا تكاد تخلو قرية من هؤلاء .

ـ في جانب كان «عين الأسرة المجدّدية ومشعلها» الشاه أحمد سعيد (٣) (المهاجر المدني) ، وخلفاء الشاه محمد آفاق (٤) المعروفون .

---

(١) هو : الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي (٩٧١ ـ ١٠٠٢ هـ) ، المعروف بمجدد الألف الثاني ، قضى على كثير من الانحرافات في عصره ، وأعاد الثقة بالإسلام والنبوة المحمدية ، ورد على عقيدة وحدة الوجود ، وأثبت وحدة الشهود ، وخلف خلفاء حملوا عنه طريقته المجددية التي أسسها ، ومن أهمهم : معصوم بن أحمد النقشبندي ، والسيّد آدم البنوري . («الإمام السرهندي : حياته وأعماله» للندوي ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام) . وستأتي ترجمته إن شاء الله .

(٢) نسبة إلى قرية «جشت» في «هراة» ، أسسها أبو إسحاق الدمشقي ، وانتشرت في الهند بواسطة الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري (ـ ٦٢٧ هـ) ستأتي ترجمته إن شاء الله .

(٣) هو أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري (١٢١٧ ـ ١٢٧٧ هـ) ، قال السيد عبدالحي : «له رسائل في الفقه والتصوف ، ومنها : «الأنهار الأربعة» في شرح الطرق الجشتية والقادرية والنقشبندية والمجددية» (نزهة الخواطر : ٧/ ٤١ ـ ٤٢) .

وقال الأستاذ الندوي : «كان خليفة الشيخ غلام على الحقيقي ـ الذي نشر طريقته في الآفاق ـ الشيخ أحمد سعيد بن الشيخ أبي سعيد ، الذي كان سليل الأسرة المجددية ، وتلقى التربية في أحضان الشيخ غلام علي . . . وقضى ٢٣ سنة كاملة ـ من ١٢٥٠ إلى ١٢٧٣ هـ ـ في الجهود المتواصلة لنشر الطريقة المجددية . . .» (الإمام السرهندي : ص ٣٢١) .

(٤) هو : محمد آفاق بن إحسان الله النقشبندي الدهلوي (١١٦٠ ـ ١٢٥١ هـ) من ذرية الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية ، أخذ الطريقة عن الشيخ ضياء الله الكشميري ، ورزق قبولاً عظيماً (نزهة الخواطر : ٧/ ٤٣٣) .

قال الأستاذ الندوي : «كان خليفة الشيخ محمد آفاق ، الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي (١٢٠٨ ـ ١٣١٣ هـ) ، الذي عمر الهند وأضاءها ـ ولا سيما المنطقةالشمالية منها ـ بروحانيّته وطهارة أنفاسه ، وحرارة حبه ولوعته . . . وبتعبير دقيق «قامت به سوق الحب الإلهي ونفقت نفاقاً عظيماً» (الإمام السرهندي : ص ٣١٥) .

وقد ألف الأستاذ الندوي كتابا مستقلا في سيرة الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي ، ـ وهو شيخ أعضاء ندوة العلماء الأوئل ـ غالي فيه مغالاة عجيبة اقتداء بأبيه السيد عبدالحي حيث قال في «نزهة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ وفي آخر ، كان المسترشدون للحاج إمداد الله [(١)] (المهاجر المكي) .

=الخواطر» (٨/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) : «وأما كشوفه وكراماته فلا تسأل عن ذلك ، فإنها بلغت حد التواتر ، وإني ما وجدت في الأولياء السالفين من يكون مثله غير الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رضي الله عنه ـ» . وسوف يأتي ما ذكره الأستاذ الندوي من كشوفاته وكراماته .

(١) هو : إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي (١٢٣٣ ـ ١٣١٧هـ) مجدد الطريقةالجشتية الصابرية [الصابرية نسبة إلى علي الصابر الكليري] التي كان رئيسها الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي (ـ ٩٤٤هـ) القائل بوحدة الوجود ، في عصره ، ولعل هذا البلاء العظيم ، والشر المستطير قد تعدى إلى من جاء بعده من شيوخ هذه السلسلة ، وقد جمع الحاج إمداد الله في شخصه كثيرا من هذه الشطحات ، ومنها :

* **القول بوحدة الوجود** : قال : «القول بوحدة الوجود حق وصواب ، وأول من خاض في المسألة هو الشيخ محيي الدين ابن عربي» («شمائم إمدادية» له : ص ٣٢ ، وعنه في «الديوبندية» ص ٣٠) .

ـ وقال أيضاً : «التفريق بين العبد والمعبود وهو الشرك عينه» (شمائم إمدادية : ص ٣٧) .

* **الاستعانة بالأرواح** : قال : «إن الاستعانة بأرواح المشايخ أمر ثابت عند صاحب كشف الأرواح» (الفتاوى الإمدادية : ٤/ ١٠٤ ، وعنه في «الديوبندية» : ص ٧٨) .

* **قوة التصرف** : ذكر التهانوي أنه أنجى باخرة الحجاج من الغرق ، وهو في بيته ، وذلك على استعانة أحد مريديه به ، فرفعها على ظهره ، ورأى خادمه خدشا في ظهره ، فقال : من أين هذا ، وأنت لم تخرج من البيت؟ ، فقال : استغاث بي أخ لك في الدين والسلسلة ، فرفعت الباخرة على ظهري ، فلعل هذا الخدش من أثره .

وذات مرة أنجى هو ، والشيخ ضامن على باخرة أخرى للحجاج من الغرق ، وهما في الهند . (كرامات إمدادية للتهانوي ص ٧ ـ ١٨ باختصار ، وعنه في «الديوبندية» : ٧٠ ـ ٧٢) .

* **طي الزمان والمكان** : ذكر التهانوي أنه قال لأحد مريديه في مكة : «هيا نخرج للتنزه ، ـ وقال المريد ـ وأخذ بيدي في يده المباركة ، وصعد بي فوق جبل ، ونزلنا منه فإذا نحن بالمدينة فصلينا هناك ، ثم رجعنا وصلينا الصلاة الثالثة في مكة المكرمة . (كرامات إمدادية : ص ٤٠) . هذا وغيره من الشطحات والدعاوي الصوفية .

ـ قال الندوي في الحاج إمداد الله : شيخ العرب والعجم الشيخ الأجل . .» (الإمام السرهندي : ص ٣٢٩) .

ـ وقال أيضاً : « . . . وعاش أياماً طويلة في عسر شديد وفقر وفاقة شأن الأولياء المتقدمين ، وهو صابر محتسب . . حتى جاء الله بالفرج . . واشتغل بالمجاهدات والعبادات متوجهاً إلى الله بقلبه وقالبه . . . حتى غرس الله حبه في قلوب عباده ، وعطف قلوب العلماء الكبار ، والمشايخ الأجلاء إلى الرجوع إليه ، والاستفادة منه . . . بارك الله في تربيته وطريقته فانتشرت أنوارهما في الآفاق ، وجدد به الطريقة الجشتية الصابرية ، وانتمى إليها ودخل في سلكها كبار العلماء والفضلاء . .»(زيادة الندوي على نزهة الخواطر : ٨/ ٧١) .

ومن هؤلاء العلماء والفضلاء الذين دخلوا في سلكه : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مجدد «السلسلة الجشتية الصابرية» في عصره .

= * الشيخ محمد قاسم النانوتوي (مؤسس دار العلوم بديوبند) : كان يعتقد بحياة النبي ﷺ حياة دنيوية لا برزخية . («آب حيات» له : ص٢) .

ـ وذكروا أن له زيارة النبي ﷺ في اليقظة ، وتقديمه إليه حساب المدرسة ، وفرحه بذلك . (أرواح ثلاثة للتهانوي : ص٤٣٤) .

ـ وذكروا أنه أصابته رصاصة في أحد صدغيه ، وخرجت من الجانب الآخر مروراً بالدماغ ، فأقبل عليه حضرة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وقال له : ما بك؟ ثم وضع عمامته عن رأسه ، ونظر إلى الرأس فما كان هناك أثر للرصاصة . والعجب أن الملابس كلها كانت مبللة بالدم» . («سوانح قاسمي» لمناظر أحسن الكيلاني : ٢/ ١١٧) .

ـ ذكر النانوتوي : أن الخواجه أحمد جام كان مشهوراً مستجاب الدعوات ،فجاءت امرأة بابن لها أعمى وقالت : امسح بوجهه ، وردّ عليه بصره . فقال «أنا لست أهلا لذلك» فألهم الله إليه أن يمسح على بصره ، وقال تعالى بالفارسيه «ما ميكنم» (أي أنا أفعل) ففعل ، فرجع بصره .

ثم علق عليه النانوتوي وقال : «إن الحمقى من الناس يزعمون أن كلمة «ما ميكنم» كلام هذا الولى نفسه ، كلا ، بل هو قول الحق تعالى . .» (أرواح ثلاثة : ٢٢٦ـ ٢٢٧) . تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

ومن مؤلفاته :

«تحذير الناس» ، و«اللطائف القاسمية» ، و«تصفية العقائد» وغيرها .

ووصفه الأستاذ الندوي بالعالم الرباني ، والعالم المجتهد ، وأشاد بمؤلفاته في علم الكلام وقال : «واتصلت مدرسة ديوبند الشهيرة بحركة إصلاحية كبيرة في ذلك العصر ، فكان مؤسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي (١٢٩٨هـ في نزهة الخواطر : ١٢٩٧هـ) ، ومربيها الأخير الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي من كبار مسترشدي الحاج إمداد الله ، وخلفائه ، ومن نالوا الإجازة (في البيعة والإرشاد) منه . .» («المسلمون في الهند» للندوي : ١١٠ ، ٤٥ ، ١١٢) .

*الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي من خلفاء الحاج إمداد الله :

ـ قال الكنكوهي متبسماً : « . . وأما ضامن على الجلال آبادي (هو الذي ساعد الحاج إمداد الله في إنجاء باخرة الحجاج من الغرق ، وهما في الهند) فكان غريقاً في التوحيد» (تذكرة الرشيد للميرتهي : ٢/ ٢٤٢) .

والتوحيد عند هؤلاء القوم هو وحدة الوجود .

ـ قال الشيخ أشرف علي التهانوي : «جرى نقاش في مجلس الشيخ الكنكوهي ، حول مسألة تصور الشيخ ، وكان متحمساً فقال : «لقد بقيت صورة الشيخ إمداد الله ثابتة في قلبي ثلاث سنوات كاملة ، وما عملت عملاً إلا بإذن منه . . ثمّ أخذه الحماس مرة أخرى فقال : «مضت على سنوات ورسول الله ﷺ في قلبي ، ولم أعمل خلال هذه المدة عملاً بدون سؤال رسول الله ﷺ عنه ثمّ ازداد تحمساً . . وقال : «بأنه ارتقي إلى مرتبة الإحسان» . (أرواح ثلاثة : ص٣٥٨) . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=ـ قال الشيخ عاشق إلهي الميرتهي : إنه سمع من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي عدة مرات يقول : «اسمعوا ، الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد ، وأقسم بالله أني لست بشيء ، إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على اتباعي في هذا الزمان» . (تذكرة الرشيد : ٢/ ١٧٢) .
ـ كان يرى هو ، والشيخ أشرف علي التهانوي مثل النانوتوي حياة النبي ﷺ حياة دنيوية عنصرية .
وصفه الأستاذ الندوي في كتاباته بـ «المربي» ، و«العالم الرباني الجليل» (المسلمون في الهند : ١١٠ ، ١٧٨) .

وقال : «وكان متخرجو المدارس الواقعة في شمال غربي الهند كديوبند وسهارنفور ، يتجهون إلى «تهانه بهون» و«كنكوه» و«راى فور» حيث كان خلفاء الحاج إمداد الله المهاجر المكي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وخلفاؤه يقومون بالإرشاد والنصح والتربية» . (المصدر المذكور :١١٣) .
وقال أيضاً : «كان آية باهرة ونعمة ظاهرة في التقوى واتباع السنة النبوية ، والعمل بالعزيمة والاستقامة على الشريعة ، ورفض البدع ومحدثات الأمور . . . لا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين . . . دائر مع الحق حيث ما دار . . .» (زيادة الندوي على نزهة الخواطر :٨/ ١٥٠) .
*** الشيخ أشرف علي التهانوي من خلفاء الحاج إمداد الله :**
ـ تبع التهانوي في إثبات وحدة الوجود شيخه إمداد الله (شمائم إمدادية : ص٨٣) .
ـ قال التهانوي : كنت على صلة وارتباط مع الشيخ إمداد الله ، كان هو في مكة وأنا في الهند ، فما قمت ولا قعدت إلا بإذن منه . ثم كنت على صلة مثلها برسول الله ﷺ» . (إمداد المشتاق له : ص١٩٩) .
ـ ويرى أن النور المحمدي هو أول الخلق مطلقاً ، وله الأولية الحقيقية («نشر الطيب» له : ٥ ـ ٦) .
ـ وقال التهانوي : «إن أهل التصرف يقدرون على العناصر ، فيركبون الأجساد ، ويتشكلون في الأشكال ، وذلك لأن الروح ذات انبساط ، فيوفقون بينها وبين عدد من الأجساد ، مما يسهل عليهم التشكل في أشكال مختلفة» («مقالات حكمت» له : ص ٣١) .
ـ كتب أحد مريدي التهانوي إليه فقال : «أني رأيت نفسي في المنام أني كلما أحاول أن أنطق كلمة الشهادة على وجهها الصحيح يجري على لساني بعد لا إله إلا الله : أشرف علي رسول الله» .
فأجاب التهانوي قال : «إنك تحبني إلى غاية الدرجة ، وهذا ثمرة هذا الحب ونتيجته» . (مجلة «برهان» (دلهي) ص : ٧ فبراير ١٩٥٢م) .
وزاد هذا المريد أنه بعد استيقاظه من النوم أراد أن يتدارك هذا الخطأ فقال : « . . ولكني أقول اللهم صلّ على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف علي ، والحال أنني مستيقظ ولست في رؤيا ، ولكني مع هذا أنا مضطر ومجبور ، ولا أقدر على لساني .
فأجابه التهانوي : «في هذا تسلية لك بأن الشيخ الذي ترجع إليه هو بعون الله تعالى متبع للسنة» (مجلة «إمداد» (تهانه بهون) ص٣٥/ شوال ١٣٣٥هـ) .
ـ وقال التهانوي : «إن قلب الشاه عبد الرحيم الراى فورى (وكان من خلفاء الكنكوهي) كان نورانياً =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

علو مرتبته وكمال باطنه أسوة بكاملي هذه الطريقة ، وواصليها في الفناء والإنكار . . . تحتاج كمالاته الباطنية وكراماته إلى ديوان . . .» [١] .

* السيد ضياء النبي :

نقل الأستاذ الندوي عن أبيه في «نزهة الخواطر» (ج٨) أنه قال :

«أخذت عنه الطريقة الأحسنية» [٢] .

«والطريقة الأحسنية» هي طريقة السيد آدم البنوري [٣] الخاصة ، التي شاعت

=فقال السيد عبدالحي للشيخ عبدالشكور : «خالي [أي السيد عبدالسلام] كان قوي النسبة ، عندما وضعت يدي على نبض أبيك جرت لطائفي كلها ، (حياة عبدالحي ٣٩ ـ ٤٠ تعليقاً) .

(١) حياة عبدالحي (٣٩ ـ ٤٠) .

(٢) قال السيد عبدالحي في ترجمته : «السيد الشريف العفيف ضياء النبي (١٢٤٣ ـ ١٣٢٦هـ) . . الشيخ الأجل قطب الأقطاب النقشبندي البريلوي ، بركة الدنيا وسر الوجود ، لب لباب العرفان ، كان آية من آيات الله ، أخذ الطريقة عن خواجه أحمد بن ياسين النصير آبادي . . فلما رجع إلى بلده انتفعوا به وأخذوا عنه الطريقة . . . وإني أيضاً صحبته برهة من الدهر وأخذت عنه الطريقة الأحسنية» . . . وهو قرأ عليّ «الحصن الحصين» واستجازني وتلك مفخرة عظيمة ، لعل الله سبحانه يتجاوز عن خطيئاتي ، ويعفو ويسامحني بذلك السبب ، والحمد لله زوجني بابنته خير النساء . . .» (باختصار) .

وقال الأستاذ الندوي في «زوائده على النزهة» : «كان عاكفاً على الذكر والعبادة ، ربما سمع القرآن في ليلة واحدة . . . كان شديد الاتباع للسنة . . . قوي الإفاضة على المستفيدين والمسترشدين ، قوي النسبة . . .» (نزهة الخواطر : ٨/ ١٩٦ ـ ١٩٨) .

(٣) قال الأستاذ الندوي نقلاً عن النزهة (٥/ ١) : «الشيخ العارف الولي الكبير آدم بن إسماعيل البنوري (ـ ١٠٥٣هـ) أحد كبار المشايخ النقشبندية أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، وأنه حصلت له نفحة من الجذبات الربانية . . . وبالجملة فإنه بلغ رتبة لم يصل إليها كثير ممن عاصره من المشايخ . . . وللشيخ آدم رسائل في حقائق ومعارف . . . وكان أمياً ما قرأ شيئاً من الكتب على أهل العلم . . .» (الإمام السرهندي : ٣١ ـ ٣١١) .

وأما «الطريقة الأحسنية» فقال الأستاذ الندوي : «وبالرغم من أن الشيخ آدم البنوري من المنتمين إلى طريقة الإمام السرهندي . . . كان مؤسس طريقة جانبية ، تسمى لكثير من خصائصها الاجتهادية بـ «الطريقة الأحسنية» ، وكان من مظاهر حكمة الله ـ عز وجل ـ وقدرته أن حظيت هذه الطريقة العالية التي أسست بيد رجل أمي بكثير من العلماء النابغين ، والمحدثين البارعين ـ وذكر مؤسس دار العلوم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٢. ما المقصود بكل محور ؟ بلاد ما وراء النهر – بلاد السند
٣. سمي الفاتح لكل محور ؟ قتيبة بن مسلم الباهلي، المهلب بن أبي صفرة
ما الدور الذي لعبة كل من هو لاء في الفتح الإسلامي :- محمد بن القاسم الثقفي
٤. طارق بن زياد
٥. السمح بن مالك
٦. عنبسة بن سحيم الكلبي
٥ أرخي المعارك التاريخية التالية :-
شذونة - بلاط الشهداء – تهوذة
ما الأسباب التي أدت إلى :-
٧. ثورة عبد الرحمن بن الأشعث
فشل المحاولة الأولى لفتح القسطنطينية
٩. اهتمام الوليد بن عبد الملك بالأسطول الإسلامي

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أسئلة مراجعة على الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي

أكملي ما يأتي :-

١. تمكن الخليفة عبد الملك بن مروان من فتح عدة حصون في آسيا الصغرى مثل مرعش.. وعمورية .. و انطاكية.

٢. تنحصر العوامل المباشرة لفتح أسبانيا في .... و .... و .....

٣. شارك في فتح فرنسا ثلاثة من القادة هم السمح.. و عنبسة و عبد الرحمن الغافقي

٤. تمكن المسلمون من فتح عدة جزر في البحر الأبيض المتوسط مثل قبرص و رودس

٢. ما المقصود بكل مما يأتي :-

الثغور - الصوائف و الشواتي - بلاد الغال

(سعى الحجاج بن يوسف الثقفي ميادين القتال في الميدان الأسيوي في إلى محورين)

... ١ المحور الشمالي - المحور الجنوبي

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

في حلقة الشاه علم الله[1] والسيد أحمد الشهيد . .»[2] .

ثم قال الأستاذ : «ليس هناك أي تعبير أحسن عن بيان ميزته الدينية من ألفاظ الحديث القدسي : «قرب بالفرائض»[3] .

وقال أيضاً :

«وكان شيخاً كاملاً في تربية السلوك ، والفيض الباطني ، وكانت نسبته قوية والتفاته مؤثراً جداً يبين مريدوه ومستفيدوه وقائعه في قوة النسبة والتأثير وقال السيد عبد الحي (رحمه الله) الذي استفاض من مشايخ الهند ، وكان ذا بصيرة في علم الباطن :

«إن المدارج التي حصلت عليها بالتفات السيد ضياء النبي ووالدي (أي السيد فخر الدين) في ساعات ما حصلت عليها من طرق أخرى في سنوات . . .»[4] .

=ديوبند الشيخ قاسم النانوتوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مع أخلاط من الناس وقال ـ : كلهم ينتمون إلى الطريقة المجددية النقشبندية ، بوساطة المشايخ الكبار للطريقة الأحسنيّة ، وكانوا أصحاب الإجازة والخلافة فيها» (الإمام السرهندي : ٣٢٥ـ٣٢٦) .

(١) قال السيد عبدالحي : «السيد الشريف العفيف ناصر السنة البيضاء ، قامع البدعة الظلماء ، عمدة العلماء الربانيين ، وارث الأنبياء والمرسلين ، الإمام الهمام ، الداعي إلى دار السلام علم الله بن فضيل البريلوي (١٠٣٣ـ١٠٩٦هـ) ، وينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام حسن السبط الأكبر ـ عليه وعلى جده السلام ـ قرأ العلم ، وارتحل إلى الشيخ آدم البنوري ، وأخذ الطريقة عنه . . . وله كشوف وكرامات . .» (نزهة الخواطر ٥/ ٢٨٦ـ٢٨٨) .

وذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ آدم البنوري قال له عند توديعه : «سر على بركة الله ، وتصدَّ للتربية والإرشاد بجمعية القلب ، وطمأنينة البال ، فإنك ستكون بين مشايخ ولاية «أوده» كالشمس بين النجوم» (الإمام السرهندي : ص ٣٢٧) .

(٢) حياة عبدالحي (ص ٤٢ ـ تعليقا) .

(٣) المصدر المذكور (ص ٤٢) .

(٤) المصدر المذكور (ص٤٤) (تنبيه) : هذا هو الأسلوب المتبع عند الصوفية في تزكية أنفسهم ومشايخهم في باب التصوف ، من غير حيطة وحذر ، مع أن هذه المدارج ليست لها قواعد وضوابط ، وقد تكون أوهاماً ليس لها ثبات وقرار ، وهذا من سلبيات التصوف .

أما في باب العلم فالسيد عبدالحي نفسه في مقدمة «نزهة الخواطر» ، يتواضع غاية التواضع يقول : « . . هذا مع اعترافي بقصور باعي وفتور همتي ، ونضوب طباعي في القوانين العربية ، ودواوين المثاني الأدبية : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم قال الأستاذ الندوي ـ وهو يبين أثر السيد عبد السلام والسيد ضياء النبي في حياة السيد عبد الحي ـ :

«قضى السيد عبد الحي طفولته في ظل عطف هاتين الشخصيتين البارزتين من الأسرة . وكل صغير وكبير من الأسرة كان يحبهما ويعظمهما ، والسيد عبد الحي كان يرى الناس يتوافدون إليهما من أنحاء بعيدة ، ويحضر العلماء والأمراء والرؤساء بكل أدب واحترام في مجالسهما ، التي تتسم بالسكينة والوقار ، وهو لم يكن يعرف لصغر سنه (١) ماذا يدور في هذه المجالس ، وما هي طريقة الإفادة والاستفادة منها .

ولكن بتوافد الناس إليهما ، وعقد هذه المجالس ، نقشت على لوح قلبه عظمة هذا الدين وأهله ، وتيقّن بأن الدين والروحانية أكبر شيء للعز والشرف ، وما يحصل من العز والشرف لكاملي هذه الطريقة لا يحصل لأي طبقة أخرى .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً فارغاً فتمكنا» (٢)

= مالي وللأمر الذي قلّدته ... ما للذباب طعمة العنقاء
أبكي بعجزي وهو يبكي ذلة ... شتان بين بكائه وبكائي

(نزهة الخواطر : ١/ ٣ المقدمة)

(١) كان عمر السيد عبدالحي (١٢٨٦ ـ ١٣٤١هـ) عند وفاة السيد عبد السلام (ـ ١٢٩٩هـ) نحو ثلاث عشرة سنة ، وعند وفاة السيد ضياء النبي (ـ١٣٢٦هـ) زهاء أربعين سنة .

(٢) حياة عبدالحي (ص ٤٥) .
هذا ، وقد ألف السيد عبدالحي رسالة في «سلاسل النقشبندية» (بالفارسية) ، كما أنه ألف كتبا عديدة من أهمها : «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (في تراجم أعيان الهند ومآثرهم وقد طبع جديداً باسم «الإعلام بمن في الهند من الأعلام») ، و«معارف العوارف» (المطبوع باسم «الثقافة الإسلامية في الهند» في أنواع العلوم والمعارف) ، و«الهند في العهد الإسلامي» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* السيد عبد العلي الحسني (أخو الأستاذ الندوي) :

تربى السيد عبد العلي بن عبد الحي الحسني [1] (ـ ١٣٨٠هـ) في حجر أبيه ، في بيئة كانت تعتز بالانتساب إلى التصوف ، وتعتبره سبباً للعز والشرف . وعلى هذا ، كان تأثره بما امتازت به أسرته من التصوف منذ قرون ، أمراً فطرياً .

ويظهر ذلك جلياً من أمرين :

(الأول) : توجيه السيد عبد العلي أخاه الصغير ومرباه الأستاذ الندوي للكتابة في سير بعض الصوفية ، وخاصة سيرة الإمام السرهندي (ـ ١٠٣٤هـ) ، وسيرة صوفي القرن الرابع عشر الكبير فضل رحمن الكنج مراد آبادي (ـ ١٣١٣هـ) . وألف الأستاذ الندوي في سيرتهما كتابين مستقلين طاعة لأخيه الكبير ومربيه السيد عبد العلي [2] .

(الثاني) : لا توجد للسيد عبد العلي كتابات مستقلة ، ولم يذكرها الأستاذ الندوي أيضاً ، إلا أنه توجد مقدمة على كتاب أبيه (نزهة الخواطر) باسمه ، ذكر فيها نوابغ الهند في مجالات شتى .

ومن ينظر في هذه المقدمة المنشورة في نحو ثلاث عشرة صفحة ، يتعجب من إيراد أسماء المتصوفة فيها (وهي منتخبة من نزهة الخواطر) على رأس قائمة النوابغ في كل مجال .

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي أن أباه توفي وكان عمره تسع سنوات ، ومنذ ذلك الحين كان أخوه الكبير السيد عبدالعلي مربياً له ، وهو كان يجمع بين الثقافتين القديمة والجديدة ، كان عالماً راسخ العقيدة ، وماهراً في العلوم الجديدة على السواء ، وكان قلبه يطفح بحب آل البيت ، والاعتقاد لسيدنا علي المرتضى ـ رضي الله عنه ـ (لأجله حثه على الكتابة في سيرة علي ـ رضي الله عنه ـ) وكان أميناً لندوة العلماء قرابة ثلاثين عاماً ، وهو والد الأستاذ محمد الحسني (ـ١٣٩٩هـ) مدير مجلة «البعث الإسلامي» سابقاً . («المرتضى» : ٢١ ـ ٢٢ مع التعليق (بالأردية) يوجد في أسرة الأستاذ الندوي وصية لتقديم علي رضي الله عنه على سائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من قبل صاحب الوجد والسماع ، والتوحيد الوجودي : على أكبر المودودي الجشتي (ـ١٢١٠هـ) . (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٣٨) .
وسيأتي إن شاء الله ما يتعلق بهذا الموضوع في مبحث «بين النصب والرفض» في باب «التاريخ» .

(٢) سيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى بأنه كيف انتهى بالأستاذ الندوي السير أخيراً إلى سرور ونشوة ومتعة روحية ، في كتابة سير الصوفية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والأعجب من ذلك أنه ذكر المعروفين من أهل الحلول والاتحاد بأسلوب الرضا والقبول ، وفي سياق الثناء والمدح ، فقال :

«ومن حاملي لواء التوحيد الوجودي ، وأصحاب الأذواق ، والعلوم الوجدانية : الشيخ عبد القدوس الكنكوهي (ـ ٩٤٤هـ) ، والشيخ عبد الرزاق الجهنجهانوي (ـ ٩٤٩هـ) ، والشيخ عبد العزيز الدهلوي ، المعروف بشكربار (ـ ٩٧٥هـ) ، والشيخ محمد بن فضل الله البرها نبوري (ـ ١٠٢٩هـ) ، والشيخ محب الله الإله آبادي (ـ ١٠٥٨هـ) ، والشيخ محمد حسين الإله آبادي (ـ ١٣٢٢هـ) ، كان كل واحد منهم فريد عصره ، ووحيد دهره ، كان كل واحد منهم ابن عربي عصره ، وابن فارض مصره .»[1] .

هذه النبرات تشير إلى تعلقه بالتصوف ، ونشأته في ظله ، حتى استأنس بما فيه من التوجيهات ، وحث أخاه الندوي على الكتابة في أهله ، وفاء بحقهم ، وعرفاناً بجميلهم .

وزد إلى ذلك أن السيد عبد العلي (ـ ١٣٨٠هـ) بايع الشيخ حسين أحمد[2]

---

(١) نزهة الخواطر (١/ و ـ ز ـ المقدمة) .

(٢) هو : حسين أحمد المدني بن حبيب الله ، الملقب عند الديوبندّية بـ «شيخ الإسلام» مؤلف «نقش الحياة» و«الشهاب الثاقب» .

كان شديد الحب للشيخ عبدالقادر الجيلاني ، ويلقبه في كتبه بالغوث الأعظم ، وغوث الثقلين ، وشديد الانتصار لابن عربي وغيره من أهل الحلول والاتحاد . وكان شديد العداوة لأئمة الدعوة ، أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب» حتى قال : : «محمد بن عبدالوهاب النجدي كان يحمل خيالات باطلة ، وعقائد فاسدة ، وقاتل أهل السنة والجماعة . . . وكان يسيء القول في السلف الصالح . . . فالحاصل أنه كان ظالما باغيا سفاكا فاسقا ، ولهذا بغضه العرب ، كما أبغضوا أتباعه . . . نعم يجب بغضهم وعداوتهم لما صدر منهم من أنواع الإيذاء لهم . . .

إن بين عقائدنا وعقائد أكابرنا ، وبين عقائد الوهابية بونا بعيداً ، وفرقا شاسعا ، كما بين السماء والأرض . . . (الشهاب الثاقب : ٤٢ ـ ٤٣ ، وعنه في «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» : ١/ ٥٢١ ـ ٥٢٣ ، ٣/ ١٨٠٨) وكان سبب تأليف «الشهاب» هو التبرىء من عقائد أهل التوحيد الذين يلمزهم هو وأمثاله بالوهابية .

كان الأستاذ الندوي على علاقة حميمة بالشيخ حسين المدني من صغره حتى وفاته وتتلمذ عليه أيضاً =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المدني (ـ ١٣٧٧هـ) (رئيس هيئة التدريس ، وشيخ الحديث بدار العلوم بديوبند ، بعد الشيخ أنور شاه الكشميري) في التصوف ، وكان هو والأستاذ الندوي على اتصال دائم به حتى وفاته [١] .

* الأستاذ أبو الحسن علي الندوي :

نشأ الأستاذ الندوي ـ منذ نعومة أظفاره ـ في هذه البيئة العلمية الصوفية ، وبعد وفاة أبيه ـ وكان حينئذ عمره تسع سنوات ـ تربى تحت رعاية أخيه الكبير : السيد عبد العلي ، وله أثر كبير في تحويل نشاطاته العلمية الأدبية إلى كتاباته الصوفية .

وقد سرد الأستاذ الندوي قصة تعلقه بالتصوف ، وبين أنه كيف انتهى به السير في آخر المطاف إلى سرور ونشوة ومتعة روحية ، فقال :

« . . . فإن الحكاية يرجع تاريخها إلى عام ١٣٥٤ ـ ١٣٥٥هـ (٣٥ أو ١٩٣٦م) حين أوصاني أخي ومربيى الدكتور السيد عبد العلي الحسني ـ رحمه الله ـ (أمين ندوة العلماء سابقاً) بقراءة «رسائل الإمام الرباني مجدد الألف الثاني : الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي [٢]» ، وقد كنت إذ ذاك في الثانية والعشرين ، أو الثالثة والعشرين من عمري . . . ولم يكن لي آنذاك اتجاه كبير إلى الأبحاث العميقة في الحقائق الدينية ، وحقيقة الإحسان [٣] ، كما لم أكن على اطلاع على مصطلحات القوم وتعبيراتهم [٤] ، بل كان يغلب عليّ الذوق الأدبي . . . ـ وقد كان أخي الأكبر الذي كنت تربيت في

=(في مسيرة الحياة للندوي : ١/ ١٢٤ ـ ٤٣٧) ولقبه بـ «العالم الصالح المحدث . . . . . والعالم الجليل المجاهد . . . . وكان في آخر عمره غلبت عليه الحمية الدينية والغيرة . . .» .

(١) «شخصيات وكتب» (٢٣ ـ ٣٠) .

(٢) ستأتي ترجمته في باب «تراجم الصوفية» إن شاء الله .

(٣) يعني به «التصوف» ، كما سيأتي ، وكما يدل عليه قوله : «كما لم أكن على اطلاع على مصطلحات القوم وتعبيراتهم . . .» أما «الإحسان» المذكور في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس له اصطلاحات ولا تعبيرات تحتاج إلى حل . (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) .

(٤) سيأتي بيان مصطلحات القوم من كتابات الأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

حجره[1] ، ونشأت في عطفه وكنفه ، نشأة علمية وعقلية ـ يعرف هذه النزعة الموجودة عندي معرفة جيدة ، ولكن لعله بإشارته عليّ لقراءة تلك المجموعة من الرسائل للإمام السرهندي كان يريد أن يذكرني بما امتازت به أسرتي التي أنتمي إليها ، من أصالة في الفكر ، وعمق في البحث ، وتقدير للقيم الروحية ، والمثل الخلقية .

وكانت أسرتي منذ ثلاثة قرون ـ على أقل تقدير ـ ذات اتصال وثيق ـ فكرياً وروحياً ـ مع أسرتي الإمام السرهندي ، والإمام أحمد بن عبد الرحيم المشهور بولي الله الدهلوي[2] .

وكانت عندنا في مكتبة والدي نسخة عتيقة من مجموعة «رسائل الإمام السرهندي» . . . فبدأت بمطالعتها نزولا على رغبة أخي الأكبر ، وبدافع الطاعة له ، إلا أنني لم أستطيع المضي في الطريق ، ولم أصبر معها طويلاً حتى تركت الكتاب . . . ولكن إلحاح أخي الأكبر وتوجيهه ـ باستمرار ـ إلى قراءة هذه الرسائل . . . دفعني إلي اجتياز هذه العقبة ، مهما كلف ذلك من مشقة وعنت ، وهاجت الغيرة في نفسي وتحمست وقلت : لا يتسنى لي إهمال وصية أخي الأكبر ، وهو من هو في عطفه وحنانه ، ثم يسبّب هذا الإهمال الحرمان من قراءة كتاب مبارك عرف كبار العلماء والمشايخ الأجلاء بإجلاله وتقديره والعناية به .

وحالفني التوفيق فمضيت ،وكلما ازددت قراءة لهذه الرسائل ازددت رغبة فيها وتذوقاً لها ، وبدأت أسيغ الموضوع في حدود علمي وقدرتي على الفهم ، حتى أخذ الكتاب بمجامع قلبي وأصبحت له أسيراً ، أشعر فيه بلذة غريبة ، وطعم لذيذ لا أكاد أجده في الكتب الأدبية الممتعة ، وكانت هذه الفترة الزمنية من أدق

---

(١) توفي السيد عبدالحي (والد الندوي) وكان عمره تسع سنوات ، فتربى تحت رعاية أخيه الكبير السيد عبدالعلي الحسني كما تقدّم .

(٢) ألف الأستاذ الندوي في سيرة هذين العالمين وأعمالهما كتابين مستقلين ضمن «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ولهما حسنات جلى ، وفي بعض كتاباتهما طامات المتصوفة ، ونسأل الله منها السلامة . وعفا الله عنا وعنهم جميعاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فترات حياتي ، فقد كان الزمن زمن المراهقة الفكرية وشرخ الشباب ، والصراع النفسي والعقلي ، لأسباب يطول ذكرها ، اعتورتني فيها بعض الابتلاءات القاسية ، فكان الكتاب في كل ذلك خير مرشد وموجه ، فقد كنت أشعر أثناء قراءة الكتاب ، بسكينة تغشاني ، وتملأ جوانحي ، وتغمر قلبي ، لعلها كانت جديدة عليّ تماماً ، لم يسبق لها في حياتي مثيل ، وقد انتهى هذا السير الذي كنت أسير في الكتاب لمجرد طاعة أخي الأكبر ، والذي يغلب عليه دافع الغيرة واتباع الأمر ، إلى سرور ونشوة ، ومتعة روحية .» (١) .

هذه نقطة تحول في حياة الأستاذ الندوي العلمية ، وبعد ذلك بدأ يستعذب الكتابة في سير الصوفية وتراجمهم (٢) . وتغلغل التصوف في كتاباته ، أصبح لها طبيعة وذوقاً ، وسمة وشعاراً ، وسروراً ونشوة ، ومتعة ولذة ، حتى أن سلسلته المعروفة بـ «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» سلسلة تصوف ويسميه بالسلوك والتربية الربانية الصافية . (٣)

ذكر الأستاذ الندوي «دور الصوفية في التربية الخلقية وتكوين السيرة» وتأثره بهم ثم قال في آخر كلامه :

« . . . وأدعو الله أن يثبتني عليه إلى أنفاسي الأخيرة :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا (٤)

---

(١) الإمام السرهندي (٣ ـ ٥) .

(٢) ستأتي نماذج من كتاباته في سيرهم في باب «التراجم» إن شاء الله .

(٣) راجع «الإمام السرهندي» (ص١٢٣) . وسيأتي التفصيل عن التربية الصوفية وأسلوب نشرها في كتابات الأستاذ الندوي ، وتقدّم رأي شيخه المجددي في تأييد أسلوبه ويأتي أيضاً في باب «الصوفيات» إن شاء الله .

(٤) ربانية لا رهبانية (١٣٧ ـ ط . أردية) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصوف في أسرته العلمية في ضوء كتاباته

أكابر ندوة العلماء الأوائل والتصوف :

أكابر «ندوة العلماء» الأوائل كان لهم شغف كبير بالتصوف ، واهتم الأستاذ الندوي بذكر هذا النوع من التربية والإصلاح في سيرهم وتراجمهم .

* الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي :

ألف الأستاذ الندوي «تذكرة الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي[1]» ، وذكر في مستهل كتابه هذا بعض ما يتعلق بصوفياته ، ثم بين بعض الأسباب لتأليف هذا الكتاب ، وقال :

« بالنظر إلى هذه الأمور لعل أخي الكبير المربي السيد عبد العلي (مدير ندوة العلماء) ، كان يتقاضى مني منذ سنوات أن أرتب تذكرة الشيخ «فضل رحمن» الكنج مراد آبادي . . .

وهناك داعية أخرى غير هذه الدواعي لتأليف هذا الكتاب ـ وإن كانت ثانوية إلا أنها عزيزة ـ وهي أن الشيخ «فضل رحمن» شيخ الأعضاء والمؤسسين لندوة العلماء ، وشيخ أكثر العاملين الأوائل فيها ، ومشرفهم الروحي . . .»[2] .

ومن هؤلاء الأعضاء البارزين :

ـ السيد محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء) :

«هو الذي أسس «ندوة العلماء» سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف ، لإحياء

---

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله .

(٢) «تذكرة الشيخ» فضل رحمن (ص ١٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المدارس العربية ، وإصلاح نظام الدرس ، ورفع النزاع من الفرق الإسلامية ، والذب عن الإسلام . فبارك الله سبحانه في مساعيه ، وأسس أعضاء الندوة مدرسة عظيمة بمدينة لكهنؤ سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف ، وهي التي اشتهرت بـ «دار العلوم» نفع الله بها المسلمين» (١) .

قال الأستاذ الندوي :

« . . . وعكف مولانا محمد علي (١٢٦٢ـ١٣٤٦هـ) على الذكر والعبادة وتربية النفوس . . . وقد غلب عليه الحب والاستغراق في آخر حياته ، وقوى تأثيره وانتشرت بركته .

كان مولانا محمد علي عالماً ربانياً ، ومصلحاً كبيراً ، صاحب جذبة إلهية ونسبة قوية ، أثنى عليه شيخه مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي ثناء بالغاً .

وقال : إن روحه من بقية أرواح المتقدمين ، وإن أمثاله قليلة في كل عصر . . . قوي الإفاضة على الطالبين المسترشدين . . . تروى له كشوف وكرامات ووقائع في التأثير . . . وله «إرشاد رحماني» في أحوال مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي وأقواله وتعاليمه . . .» (٢) .

وقال الأستاذ الندوي :

«قال شيخ بداية القرن الرابع عشر الشهير الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي ـ رحمه الله ـ ذات مرة للشيخ محمد علي المونغيري (المدير الأول لندوة العلماء) :

هل رأيت أي دكان للعشق أيضاً؟

فسكت الشيخ محمد علي ، وتكلم الشيخ نفسه ، وقال :

---

(١) نزهة الخواطر (٨/ ٤٤٥) ـ ٤٤٦) وقال : «وإنه في شبابه أخذ الطريقة عن الشيخ كرامة علي القادري ، ثم أخذ عن شيخنا الكبير «فضل رحمن» البكري . . .» .

(٢) زيادة الندوي على نزهة الخواطر (٨/ / ٤٤٦ ـ ٤٤٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ورأينا دكانين ! أحدهما للشاه غلام علي [١] والثاني للشاه آفاق [٢] ، وكانت تباع فيهما بضائع العشق» .

واستطرد الأستاذ الندوي قائلاً :

«وإن كانت المادية استتبت في هذه البلاد بجهود الإنجليز في بداية هذا القرن وأهل القلوب كانوا يقولون بكل هم وغم : «إن الذين كانوا يبيعون أدوية القلوب ذهبوا بدكاكينهم» [٣] .

---

(١) هو : غلام علي النقشبندي الدهلوي (١١٥٦ ـ ١٢٤٠هـ) .
قال السيد عبدالحي : « . . . وكان يشتغل بالنفي والإثبات كل يوم عشرة آلاف مرة ، وباسم الذات ما لا يحصى بحد وعد ، وبالاستغفار والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلّم ما لا يستقصى . .
ونقل من برامجه : أنه بعد الصبح يتوجه إلى أصحابه ، ويلقي عليهم النسبة ، فيشتغل بها إلى صلاة الإشراق ثم يصلي . . . ويقيل اتباعا للسنة . . .
. . . وكان نومه قعودا على هيئة الاحتباء ، ولم يكن يمد رجليه من غاية الحياء إلا قليلاً ، حتى كان موته على هيئة الاحتباء ، وكان من الحياء بمكان لم ينظر إلى وجهه في المرآة فضلا عن النظر في وجوه الناس . .» (نزهة الخواطر : ٨/ ٣٦٥ـ ٣٦٧)

(٢) هو محمد آفاق بن إحسان الله النقشبندي الدهلوي (ـ١٢٥١هـ) ،وكان الشيخ فضل رحمن من خلفائه ، وتقدمت ترجمته آنفاً وذكر الشيخ الندوي الشاه محمد آفاق (صاحب دكان العشق في «تذكرة فضل رحمن» فقال : ولد الشاه محمد آفاق في سنة ١١٦٠هـ وأكمل «السلوك» مثل آبائه على الطريقة النقشبندية المجددية على يد الخواجه ضياء الله «وكان مجسما في النسبة المجددية» وامتاز في خلفائه وكان في السلوك نشيطاً عالي الهمة والإرداة مثل شيوخه الكرام وآبائه العظام .
* كان الشيخ «فضل رحمن» يقول : «شيخنا (أي الشاه محمد آفاق) كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف مرة ، ويكرر الكلمة (أي كلمة التوحيد لا إله إلا الله) خمسين ألف مرة وكان من عادته تلاوة عشرة أجزاء من القرآن المجيد في صلاة التجهد ، وكان يصلي صلاة التسبيح في الأوقات الخمسة .
* وقال (أي الشيخ فضل رحمن) أيضاً : «شيخنا (أي محمد آفاق) كان يقول كل شيء وفق السنة ولكنه كان يتواضع ، ويقول : وإذا ما أقول ما يوافق السنة ينزل من العرش «الفيض» الذي نبتل به (ص ٢٢ ـ ٢٣ نقلاً عن أسرار المحبة ص ٢) .
قال الشيخ «فضل رحمن» : «إنه كان يتمتع بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في صغره» (ص٢٩ نقلاً عن أسرار المحبة» مجموعة رسائل التصوف ص ٦٤) .
سيأتي التفصيل عن هذه الأوراد والوظائف والأذكار في فصل مستقل إن شاء الله من باب «الصوفيات» .

(٣) ترجمة شطر أو عجز بيت في الأوردية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مع هذا كانت توجد محلات العشق الإلهي في بعض الأمكنة ، التي كانت تباع فيها أمتعة الجذب والشوق والوجع والحب .

وكان دكانان من هذه الدكاكين مرجعاً للخاصة والعامة من الناس :

ـ دكان في «كنكوه» (١) .

ـ ودكان في «كنج مراد آباد» .

«وهما قد نفق فيهما سوق الوجع والحب ، واتباع السنة ، ونشرا هذا الجنس النادر من البضاعة نشراً عاماً» (٢) .

*** وذكر السيد محمد علي مرشده الأول الشاه كرامت علي وقال :**

« . . . ببركة التفاته وفيض صحبته جرت معي حالات عجيبة ، وتمتعت بعناية النبي ﷺ وإكرامه لعبده ، حتى لا أستطيع أن أقول إلا : «ما العجب من الملوك إذا أنعموا على الفقراء» (٣) .

واستطرد الأستاذ الندوي قائلاً :

«ولما حضر الشيخ محمد على إلى الشيخ «فضل رحمن» أول مرة ، قال له : ماذا تدرس؟ قال : «قاضي مبارك» (أي كتاب قاضي مبارك) (٤) .

قال الشيخ : اذهب إلى قبر القاضي مبارك وانظر حاله ، واذهب إلى قبر رجل لا علم له ولكن له نسبة مع الله كيف تنزل الأنوار والبركات على قبره . . .»(٥) .

---

(١) صاحبه هو : الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١٢٤٤ـ١٣٢٣هـ) من مريدي الحاج إمداد الله ، وتقدمت ترجمتهما .

(٢) تذكرة «فضل رحمن» للندوي (٩ ـ ١٠) .

(٣) ترجمة شطر بيت بالفارسية ، وراجع «تذكرة فضل رحمن» (ص ٩٨) .

(٤) هو : مبارك بن محمد الناصحي العمري (ــ١١٦٢هـ) كان من مشاهير الأذكياء ، (نزهة الخواطر : ٦/ ٢٤٩) .

(٥) تذكرة «فضل رحمن» (ص١٠٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* «وقال الشيخ محمد علي : أنا أردت أن أبايعه بعد صلاة الإشراق صباحاً ، فقبل ذلك وأدخلني في السلسلة ، وتوجّه إليّ توجهاً طويلاً .

وقال لي بعد ما فرغ من ذلك : توجهت إليك توجهاً بعيداً ـ ثم أعطاه الحمص ووزنه كلوان أو كلوان والنصف ، وقال ـ :

«خذ هذا دنيا نعطيك إياها للعيش» ـ وأعطاه «التنبول»[1] بعد مضغه أيما مضغ وقال ـ : «خذ ، هذا تنبول المعرفة»

قال الشيخ محمد علي : كان هذان الأمران خلاف العادة ، ولذا يصدق عليهما ما أنشده «مولانا روم» :

«قوله كان قول الله وإن خرج من حلقوم عبد الله» [2]

وهذا هو الشيخ محمد علي (مؤسس ندوة العلماء) في تصوّفاته ، مع علمه وفضله كما ذكره الأستاذ الندوي .

ـ السيد عبد الحي الحسني (مدير ندوة العلماء) :

كان السيد عبد الحي (والد الأستاذ الندوي) من مريدي الشيخ «فضل رحمن» ، وقد ذكر في مقاله «جذب القلب» ما يدل على تعلقه به في التصوف وأوراده .

*«وذكر السيد عبد الحي أن الشيخ «فضل رحمن» علّمه كلمات البيعة تعليماً خفيفاً ، وقال اذكر «اسم الذات» كل يوم مائة مرة . واذكر بلسان القلب ، مع غمض العينين ،وإمساك اللسان ، واقرأ «قل هو الله أحد» مائة مرة ، وسورة «يس» بعد صلاة الصبح ، وسورة «الواقعة» بعد المغرب . . .» [3] .

---

(١) «التنبول» نبات معروف يمضغ أهل القارة الهندية ورقه فيحمر الفم والشفتين ، وأغلب الناس يمضغونه مع «التنباك» ، والظاهر أن الشيخ كان يمضغه مع «التنباك» ، لأنه كان يحب هدية «التنباك» كما سيأتي .

(٢) ترجمة بيت بالفارسية ، راجع «تذكرة فضل رحمن» (١٠١ ـ ١٠٢) ـ نقلاً عن «الإرشاد الرحماني والفضل اليزداني للمونكيري : ٣ ـ ٩) .

(٣) «تذكرة فضل رحمن» (ص١٠٦) ، سيأتي التفصيل عن مثل هذه الأذكار وطرق الذكر في فصل مستقل إن شاء الله . وقد تقدّم ما يتعلّق بتصوف السيد عبد الحيّ آنفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* أراد السيد عبد الحي أن يطلب من الشيخ «فضل رحمن» إجازة «الحصن الحصين» ولكنه كان يتردّد لشدته أن يطلبها منه ، ثم قال :

«قلت للشيخ : أتمنى أن آخذ إجازة الحديث منك ، فقبل ذلك بلطفه ، وأجازني ، وقال : أجيزك «الحصن الحصين»[(١)] أيضاً ، وقد صار بقراءته سبعمائة شخص (أو ذكر عدداً يقاربه) أولياء الله» .

* وذكر السيد عبد الحي تدريسه لصحيح البخاري ، فقال :

« . . . الكيف الذي في تدريسه فوق ما نرى ونسمع ، كانت تنعكس الأنوار الباطنية على الآخرين في ذلك الوقت ، وتطرأ كيفية خاصة على الجميع . . .»[(٢)] .

ـ الأمير حبيب الرحمن الشيرواني (العضو التأسيسى لندوة العلماء) :

ذهب الشيرواني (ـ ١٣٧٠هـ)[(٣)] إلى الشيخ «فضل رحمن» ، وبايعه . وذكر ما حدث ، في مقاله «عتبة الفقراء» .

* ذكر فيه وصوله إلى «كنج مراد آباد» ، وجلوسه عند مقبرة في داخل مسجد الشيخ ، وقال : « . . . هذا المسجد قديم جداً . . . هناك مقبرة في الجانب الأيمن بعد

---

(١) أشار السيد عبدالحي بإجازة الشيخ له «الحصن الحصين» ، إلى أنه كاشف قلبه ، لأنه نوى في طلب الإجازة منه لهذا الكتاب ، ولكنه تردد في ذلك لأجل شدته .
ثم ذكر ما يدل على مكاشفته القلب وإشرافه على الخواطر فقال : لما كنت في طريقي إلى الشيخ ، استنجيت بالماء ، ولم استعمل «الكلوخ» ، فقال زميلي : أنا أشتكيك عند الشيخ على تركك «الكلوخ» ، فلمّا دبر لنا الشيخ السكن في المقبرة للمبيت ، وضع لنا «الكلوخ» كذلك والتفت إليّ وقال : «اقتضاء العلم العمل» (تذكرة فضل رحمن للندوي : ١٠٦ـ١٠٧) .

(٢) تذكرة فضل رحمن (ص١٠٧) .

(٣) قال الأستاذ الندوي في زوائده على «نزهة الخواطر» : (٨/ ١٠٣) : «وكانت له عناية كبيرة بندوة العلماء ، ومن أول عهد قيامها ، إلى آخر يوم من أيام حياته ، فكان عضوا تأسيسياً في لجنتها في أول يوم ، واختير ثلاث مرات رئيساً لحفلاتها السنوية ، وكان من أبرز أعضائها العاملين ، شديد الاقتناع بمبادئها التعليمية والإصلاحية . . .» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدخول من باب المسجد . . . وفي جانبها الغربي عدة قبور ، وبئر ، وحجرة الشيخ المباركة ، والبنايات كلها قديمة ، وليس هناك شيء يستأنس به أهل الدنيا ، ولكن يتردد إليه مئات الأمراء والفقراء ، والأقوياء والضعفاء ، هناك جذب يجذب الناس جميعاً .

رجل أي فن من الفنون لا ندري مدى براعته في ذلك الفن ، من غير أن نتخصص فيه ، هل هو كامل أم ناقص؟ وهل هو أستاذ أم أخرق؟

. . . وتشبهه حالة التصوف ، وإلى ما لا نكون من «أصحاب الحال» لا نستطيع أن نحل هذا اللغز [١] ، ولا يمكن أن يتضح هذا المطلب . . .» [٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) ولا ريب «أنه لغز» ، ولا أدري كيف تجرأ من سوّى بينه وبين «الإحسان»؟ !

(٢) «تذكرة فضل رحمن» (١١٠ ـ ١١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثاني

تراجم الصوفية

* أبو حامد الغزالي .

* الشيخ عبد القادر الجيلاني .

* جلال الدين الرومي .

* الشخصيات المضنون بها على غير أهلها .

* الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي .

* الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي .

* الشيخ أحمد بن عرفان البريلوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثاني

قال الأستاذ الندوي في مقدمة «الطبعة الثالثة» لسلسلة «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»(١/ ٧) :

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد : فقد ظهرت الطبعة الثانية لكتاب «رجال الفكر والدعوة» في سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وقد وجدت للمؤلف دراسات وتأملات ، ألحقها بالطبعة الأردية ، ومؤلفات اشتغل بها المؤلف في هذه الفترة عن العناية بهذا الكتاب ، وتجهيزه للطبعة الجديدة ، رغم إلحاح بعض دور النشر على ذلك ، وشعور المؤلف بفراغ واقع في المكتبة الإسلامية الحديثة ، بنفاد الطبعة الثانية من زمان ، وحاجة الشباب الإسلامي إلى مثل هذه الكتب ، في إيجاد الثقة بتاريخ الإصلاح والتجديد ، وبصلاحية الإسلام وتعاليمه في إنشاء المصلحين والدعاة وأصحاب الرسالة والإبداع في التفكير والإنتاج ، وما يعتقده المؤلف ـ وكثير من رجال التربية والتعليم ـ أن خير وسيلة لإشغال المواهب وإثارة الروح ، وتقويم الأخلاق ، والعزم على مكافحة البيئة الموبوءة ، والمجتمع الفاسد ، والتسامي لمعالي الأمور : هي سير عظماء الرجال ، وزعماء الإصلاح والتجديد والربانيين والصديقين ، فحمله كل ذلك على إعادة النظر في هذا الكتاب ، وتناوله بالزيادة والتنقيح وتقديمه للطبع والنشر في أول فرصة .»

وانطلاقاً من هذا المبدأ ، ألف الأستاذ الندوي كتباً مستقلة في سير الشخصيات وتراجمها ، وركز فيها على إبراز الجانب الصوفي في سلوكها ، منها :

ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام (أربعة أجزاء في العربية ، وخمسة أجزاء في الأردية) .

ـ سيرة السيد أحمد بن عرفان (جزءان كبيران بالأردية) .

ـ إذا هبت ريح الإيمان (في التعريف بحركة السيد أحمد بن عرفان وزملائه) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ قافلة الإيمان والعزيمة (في التعريف بالمنتمين إلى هذه الحركة بالأردية) .

ـ حياة عبد الحي (سيرة والده) .

ـ الشيخ محمد إلياس (مؤسس جماعة التبليغ) ودعوته الدينية .

ـ حياة الشيخ محمد زكريا (صاحب تبليغي نصاب) .

ـ سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري .

ـ ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي .

ـ تذكرة الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي .

ـ المرتضى كرم الله وجهه (في سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

ستأتي مقتطفات من هذه الكتب وغيرها من كتبه (مثل «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» و«الأركان الأربعة» و«المسلمون في الهند») في أبواب هذا الكتاب إن شاء الله .

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أبو حامد الغزالي

(٤٥٠ـ٥٠٥هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أبو حامد الغزالي

(٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ)

تناول الأستاذ الندوي ترجمة الغزالي ، وذكر هيامه في أودية الكلام والفلسفة والباطنية والتصوف ، ونقل عن «شبلي النعماني» [١] قوله في الغزالي بسياق الرضا والقبول :

« . . . وفي الآخر لبس حلساً وخرج من بغداد ، تاركاً كل ما كان عنده ، وبدأ يقطع الصحاري والبراري ، ووصل إلى سر المحفل بعد مجاهدات ورياضات شديدة . . .» [٢] .

الاستقرار على طريق الصوفية :

قال الأستاذ الندوي تحت هذا العنوان :

«وهنا يذكر الغزالي الغاية التي وصل إليها ، والنتيجة التي اقتنع بها في هذه الرحلة الشاقة ، والتأملات العميقة الكثيرة ، والبحث المضني :

«ودمتُ على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذي أذكره ينتفع به . إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن

---

(١) هو : العلامة شبلي بن حبيب الله النعماني (ـ ١٣٣٢هـ) ولتصلّبه في المذهب الحنفي انتسب إلى «النعمان» أبي حنيفة الإمام ، كان عضواً من أعضاء «ندوة العلماء» البارزين ، واشتغل بنظارة «دار العلوم» التابعة لها ، ثمانية أعوام ، كان قوي الحفظ ، سريع الملاحظة ، معتزلياً في الأصول ، شديد النكير على الأشاعرة ، له كتب ورسائل : منها : «سيرة النبي (مجلد) ، و«الفاروق» ، و«سيرة النعمان» (ورد عليه الشيخ عبد العزيز الرحيم آبادي في كتابه القيم : «حسن البيان فيما في سيرة النعمان) ، و«الغزالي» ، وسيرة الرومي» وغيرها . (نزهة الخواطر : ٨/ ١٧٤ ـ ١٧٧) .

(٢) تاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ١٤٧) نقلاً عن «الغزالي» للأستاذ شبلي : (ص٦٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ؛ بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ؛ ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً ؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم [١] ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة[٢] ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور

(١) وقال الأستاذ القرضاوي : «هكذا كان دخول الغزالي إلى التصوف دخول المحب العاشق ، لا دخول الفاحص الناقد ، فلم ينظر إلى علوم الصوفية وتراثهم بعين النقد التي نظر بها إلى علوم الفلاسفة والمتكلمين والباطنية ، بل بعين الرضا والحب ، والحب يعمي ويصم .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا!
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع!

وسر هذا أنه تعامل مع التصوف بقلبه قبل عقله ، وبذوقه قبل فقهه ، وهذا ما جعله يقبل أشياء مما أخذ على القوم في الفكر ، وفي السلوك ، دون أن يعرضها على قانون الفقه ، أو منطق العقل .

ومن أجل هذا أنكر عليه العلامة ابن الجوزي وغيره من الناقدين قبوله لكثير من أفكار الصوفية وأعمالهم وأحوالهم ، وهي مخالفة لقانون الشرع ، منحرفة عن الكتاب والسنة الصحيحة .

وربما اعتذر أبو حامد في بعض الأحيان عن تجاوزات بعض القوم باعتذارات لا يقبلها منه الفقهاء ، كقوله بعد حكاية الصوفي الذي عرفه الناس بالصلاح في محلة ، فخاف على نفسه الفتنة ، فدخل الحمام ، وسرق بعض الثياب الفاخرة ، ولبسها وخرج . . . . فلحقه الناس وأخذوا منه الثياب وصفعوه . . وصار يعرف بعد ذلك بـ (لص الحمام)؟ فسر بذلك وسكنت نفسه !

قال أبو حامد : «فهكذا كانوا يروضون أنفسهم ، حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ، ثم من النظر إلى النفس ، وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه ، مهما رأوا صلاح قلوبهم ، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير» (الإحياء : ٣/ ٢٨٨ . ط بيروت) .

وابن الجوزي شدد النكير على أبي حامد في حكاية هذا وأمثاله ، واستحسانه وتبريره . فقال :

«كيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي؟ أو قد عدم في الشريعة ما يصلح منه قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها؟ . . . وكيف يجوز للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه : سارق ! وهل يجوز أن يقصد وهن دينه عند شهداء الله في الأرض؟ !» (تلبيس أبليس : ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، وعنه في «الإمام أبو حامد الغزالي» للقرضاوي» : ١٣١ ـ ١٣٢) .

(٢) وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على مثل هذا الغلو ، فقال :

«محمد ﷺ أرسل إلى كل أحد : من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم ، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة ، في عقائده وحقائقه ، وطرائقه وشرائعه ، فلا عقيدة إلا عقيدته ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا طريقة إلي طريقته ولا شريعة إلا شريعته ولا يصل أحد من الخلق إلى الله والي رضوانه =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

يستضاء به»(١) .

=وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده ، وأحوال القلب وحقائقه ، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح .

وليس لله ولي إلا من اتبعه باطناً ، وظاهراً ، فصدقه فيما أخبر به من الغيوب ، والتزام طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات . فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ، ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به في الأمور الباطنة التي في القلوب ، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان ، لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلا من أهل الأحوال الشيطانية ، المبعدة لصاحبها عن الله ، المقربة إلى سخطه وعذابه» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) .

(١) المنقذ من الضلال (١٣١ ـ ١٣٢) ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ١٦٠ ـ الغزالي) .

(تنبيه) : هناك تنشأ تساؤلات عديدة تجاه هذا النقل الذي أورده الأستاذ الندوي عن الغزالي في ترجيح الصوفية على غيرهم من أمة محمد ﷺ ، ومنها :

(أولاً) : ما هو الدليل من الكتاب والسنة على هذا الانسحاب من معترك الحياة طوال عشر سنوات (٤٨٨ ـ ٤٩٩ هـ) بل إحدى عشرة سنة ، وخاصة في تلك الفترة العصيبة من التأريخ الإسلامي ، التي عاث فيها الصليبيون فساداً في بلاد المسلمين ، فغزوا «أنطاكية» ، ثم «معرة النعمان» سنة ٤٩١هـ ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة ، فإن لله وإنا إليه راجعون ، (ابن كثير : ١٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

وأخذت الفرنج بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين فجاسوا خلال الديار ، وتبروا ما علوا تتبيراً . (المصدر المذكور : ١٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .

هذه بعض مداهمات الأعداء على بلاد المسلمين في مدة انسحاب الغزالي عن معترك الحياة ، ونرى أبا سعد الهروي ، وابن عقيل البغدادي ، وأبا المظفر الأبيوردي وغيرهم من أعيان الفقهاء والشعراء ساروا في الناس يحرضونهم على الجهاد وهم من معاصري الغزالي .

«فما لنا لم نسمع صوت الغزالي هنا ، وهو صاحب الكلمة المسموعة ، والصيت المدوي ، والبيان المؤثر ، والحجة البالغة؟ ما له لا يتحدث عن الجهاد؟ ما له لا يحرك الجماهير . . . ما سر هذه السلبية؟ . . . بعد ترك العزلة والعودة إلى حياة الإفادة والتدريس والدعوة لم يبد منه على عنايته بهذا الأمر الذي يتعلق بمصير الأمة وسيادتها في أرضها . . .» (الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه للقرضاوي : ١٧٢ ـ ١٧٣ باختصار) «فالذي يسافر في البراري الخالية بغير زاد . . . هل يتصور منه أن يلبس لامة الحرب ودروع القتال . .» (أهمية الجهاد للعلياني : ص٤٨٨) .

وأين هذا التصرف الصوفي من قوله تعالى : **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** [التوبة : ٤١]؟

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=وأين هذا من التوجيه النبوي : «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» (صحيح البخاري : ٣/ ٢٠٨) .

(ثانيـــــا) : هل التسكع في البراري والصحاري ، والانزواء إلى الخلوات والزوايا مع المجاهدات والرياضات ، وترك الجمع والجماعات ، والابتعاد عن الأهل والأولاد مقتبس من نور مشكاة النبوة؟ أليست هذه هي الرهبانية ، التي نهى الله عز وجل عنها النصارى فكيف بالمسلمين (. . ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . . .﴾ [الحديد : ٢٧] .

وقال ﷺ : «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ، ولا تكونوا كرهبانية النصارى» (البيهقي : ٧/ ٧٨ وعنه في الصحيحة رقم ١٧٨٢) .

(ثالثا) : هل يحتاج المسلم في تحقيق عبودية الله تعالى إلى هذا النوع من الرحلات الشاقة ، والرياضات المضنية ، والتأملات العميقة في الخلوات مع الوقوع في الفناء ووحدة الوجود ، التي هي انحراف واضح جلي عن جادة التوحيد الخالص في باب الاعتقاد؟

(رابعاً) : ادعى الغزالي أنه انكشف له أثناء الخلوات أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ! أين هذا الادعاء من الحقيقة؟ الطريق إلى الله مستضاء بنور الكتاب والسنة ، ونور النبوة ، «ليس من وراء نور النبوة نور يستضاء به» .

الطريق إلى الله هو المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

الضمان للوصول إلى هذا الطريق هو التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة قال ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي» .

يحكم في ضوء هذا النص النبوي من هم السالكون لطريق الله؟

لأنه ليس من وراء نور النبوة نور يستضاء به .

وأين الكشف والأماني ، وهواجس النفس من نور النبوة؟

(خامساً) : أنى للغزالي أن يثبت أن جميع حركات الصوفية وسكناتهم وظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة؟

هذه التزكية العامة من قبل الغزالي للمتصوفة ، مع مخالفتهم الصريحة للكتاب والسنة الصحيحة في كثير من أمور العقيدة والعبادة ، إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه تسكع في مجاهل التصوف ، فرأى ناره فحسبها نوراً لأنه لم يواجه غيرها حتى يميز نور مشكاة النبوة من نار توهمات التصوف ، وشتان بينهما !

* قال الإمام ابن الجوزي : «وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار ، وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . (تلبيس أبليس «ص١٦٦ ، وعنه في «زوابع» : ص٣٩٤) .

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «علم أبو حامد بذكائه وصدق طلبه ، ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب ، وآتاه الله إيماناً مجملاً ، كما أخبر به عن نفسه ، وصار يتشوف إلي تفصيل =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

صرح الأستاذ الندوي بأن «التصوف» كان غاية الغزالي من رحلاته الشاقة ، وأنه بعد تسكعه في غياهب الكلام والفلسفة والباطنية استقر أمره على طريق التصوف ، إلا أنه نقل بنفسه عن ابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) اشتغاله بالحديث في آخر حياته ، حيث قال :

* «وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ، ومجالسة أهله بمطالعة الصحيحين للبخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام . . .»[(١)] .

* وزد إلى ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قال بعد ما ذكر بعض مخالفاته :

« . . . مع أنه بعد ذلك قد ردّ على الفلاسفة ، وبين تهافتهم وكفرهم ، وبين أن طريقهم لا توصل إلى حق ، بل وردّ أيضاً على المتكلمين ، ورجح طريق الرياضة والتصوف .

ثم لما لم يحصل مطلوبه من هذه الطريق بقي من أهل الوقف ، ومال إلي طريقة أهل الحديث ، فمات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم»[(٢)] .

* **وقال ابن كثير :**

«ويقال : إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفيظ للصحيحين»[(٣)] .

=الجملة ، فيجد في كلام المشايخ والصوفية ما هو أقرب إلى الحق ، وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين لكن لم يبلغه من الميراث النبوي الذي عند خاصة الأمة ، وما وصل إليه السابقون من العلم والعبادة ، فصار يعتقد أن تفصيل الجملة يحصل بمجرد تلك الطريق ، لانسداد الطريقة السنية النبوية عنه ، بما كان عنده من قلة العلم بها ، ومن الشبهات تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين» (نقض المنطق : ص٥٤) .

(١) تاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ١٨٩) ، نقلاً عن «تبيين كذب المفتري» (ص٢٩٦) .

(٢) الصفدية (٢١١ ـ ٢١٢) .

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ١٧٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه الأقوال تدل على مجالسة الغزالي أهل الحديث ، وميله إلى طريقتهم في آخر حياته ، وهي تخالف ما تغنى به الأستاذ الندوي من استقرار أمره الآخر على طريق التصوف[١] .

وقد كان الغزالي ينقل عن أئمة التصوف كراهيتهم للمريد اشتغاله بالحديث ، وكان يتكلم بالكشوفات المنافسة لعلوم الحديث ، ثم في آخر حياته بدأ يشتغل بالحديث .

وعلى هذا «اشتغاله بالحديث له دلالته الأكيدة على حدوث تغيير في الغزالي»[٢] وبعد هذا كله التناغم باستقراره على طريق الصوفية لا يتعدى كونه نفثة مصدور ، والله يغفر له ولنا جميعاً .

* إحياء علوم الدين وسبب أثره في نفوس قرائه :

ذكر الأستاذ الندوي تأثير هذا الكتاب في حياة المسلمين ، وبين سبب تأثيره أيضاً ، فقال :

«ألف هذا الكتاب بكيفيات خاصة ، وعواطف خاصة ، إن الرحلة التي بدأها من بغداد في البحث عن الحق واليقين [٣] انتهت بعد عشر سنوات من

---

(١) قال الأستاذ القرضاوي : «ولعله لو استقبل من أمره ما استدبر لبدأ بطلب الحديث ، والاعتصام بصحيح السنة ، وهدى النبوة . فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ» (الإمام الغزالي : ص١٥٥) .

(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف (ص٣٦٨) .

(تنبيه) : اشتغال الغزالي بالكتاب والسنة واهتمامه بهما في أخريات أيامه ، لا يجعلنا أن نتغاضى عما خلف من تراث صوفي بل يجب التحذير منه ، وكذلك لا يوجد له كتاب يتبرأ فيه مما ألف من التأليفات ، وهي مليئة بالمخالفات فلذا وجب التنبيه .

(٣) غاية التصوف هي البحث عن «الحق واليقين» ، وهو «معرفة الله» و«التوحيد» ، ويريدون به معرفة «وحدة الوجود» بالذوق والمشاهدة ، قال الغزالي :

« . . . فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله ، فهو الكل على =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المجاهدات ، والتسكع في الصحاري والبراري ، وكان «إحياء علوم الدين» هدية هذه الرحلة التي جاء بها الغزالي إلى أهل بلده [1] ، وهو مرآة لتأثيراته القلبية ، وتجاريه العلمية ، وأفكاره الإصلاحية ، وكيفياته الوجدانية» [2] .

وقال في الطبعة العربية :

« . . . وصنف هذا الكتاب بعد ما تذوق كلا من هذه الأحوال ، فجاء الكتاب صورة لنفسيته وانطباعاته وتأملاته ، ولذلك كان شديد التأثير في نفوس قرائه ، ولذلك نجده يتدفق حياة وقوة» [3] .

ونقل عن الأستاذ شبلي النعماني قوله في سبب أثر «الإحياء» ، حيث قال :

=التحقيق . . .» (الإحياء : ١/ ٢٥٤ ، وعنه في الكشف عن حقيقة الصوفية : ص٢٩٦) .

وقال أيضاً : « . . . فغاية المعاملة المكاشفة ، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى : ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفاً ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين ، هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث . . . فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين» (الإحياء : ١/ ٤٦ وعنه في الكشف : ص٢٨٦) .

وقال أيضاً : « . . . ليس كل سر يكشف ويفشى ، ولا كل حقيقة تعرض وتجلي ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، ولقد قال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر» (مقدمة كتاب مشكاة الأنوار للغزالي ، وعنها في الكشف : ص٣٠) .

وقال أيضاً : « . . . العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق . . . وانتفت منهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة ، فلم يبق عندهم إلا الله فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم : «أنا الحق» وقال الآخر : «سبحاني ما أعظم شاني» ، وقال الآخر : «ما في الجبة إلا الله» . (مشكاة الأنوار : ص١٢٢ ، وعنه في «الكشف» : ص٢٩٧) .

هذه هي رحلة الغزالي في البحث عن الحق واليقين التي أشار إليها الأستاذ الندوي .

(١) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ١٥٩) .

(٢) تاريخ الدعوة والعزيمة : (١/ ١٤٧) .

(٣) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ١٨١٠ ـ الغزالي) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وسببه الكبير أن العصر الذي ألف فيه هذا الكتاب كان مؤلّفه مليئاً بكيف التأثير» (١) .

في هذا التقرير نغمة صوفية ظاهرة ، وقديماً قيل : «المشايخ لا يطيرون ، ولكن مريديهم هم الذين يطيرونهم» .

* كتاب إصلاحي وتربوي (يعني كتاب تصوف) :

قال الأستاذ الندوي بعد ما ذكر شيئاً من ميزات «الإحياء» :

« . . . ولذا هذا الكتاب يشمل الشعب الثلاث (٢) : من العقيدة ، والفقه ،

---

(١) الغزالي للأستاذ شبلي (ص٣٣) ، وعنه في تاريخ الدعوة (١/ ١٦٧) .

(تنبيـه) : يبدو من أسلوب الأستاذ الندوي أن الغزالي أودع روحانيته في «الإحياء» حين تأليفه إياه ، ولأجل هذا كان شديد التأثير في نفوس قرائه ، لأن مؤلفه كان مليئاً بكيف التأثير حينئذ .

في هذا الكلام لوثة صوفية ظاهرة . وإثبات هذا النوع من التأثير منشأه التصوف ، وفيه تأكيد لما يراه الصوفية من إمداد المشايخ بروحانيتهم بعد وفاتهم (النقشبندية : ص ٧١) ، وسيأتي توضيحه من كلام الأستاذ الندوي إن شاء الله .

وهذا التقرير مردود لأن الواقع يكذبه ، بحيث رد العلماء على الغزالي في إحيائه ، في حياته وبعد مماته ، ولا يزالون يردون عليه حتى الآن .

فلو كان ذاك التأثير الروحي المشار إليه ، في نفوس قرائه تلقائياً لما حصل ما حصل .

والأهم من ذلك أن كتاب الله عز وجل أيضاً لم يرد في حقه ذلك التأثير بل يتأثر به من يكون مهيأ لسماعه ، ويخشى ربه ويتعظ . ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك هدي الله يهدي به من يشاء ، . ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [الزمر : ٢٣] .

* وقال تعالى : ﴿ . . . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصلت : ٤٤] .

هذا كتاب الله عز وجل وأثره في قرائه ، فأين الإحياء المليء بالضعاف والمناكير ، والموضوعات والأباطيل من كلام رب العالمين؟ !

ولا ننسى أن مثل هذه المبالغات والتزكيات هي التي كانت ولا تزال وراء نشر مخالفات المتصوفة ، ومناكير التصوف .

(٢) إليكم شيئاً من هذه الشعب الثلاث ، كما قررها الغزالي في «الإحياء» :

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق والكيفية الإحسانية «ومجموعها يسمى

=* **(العقيدة)**: تقدم آنفاً بيان نوع عقيدة الغزالي وتوحيده، وهاكم ما يوضحه تماماً، فإنه قال:
«وللتوحيد أربع مراتب:
(والثانية): أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام. [تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله].
(والثالثة): أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار. [ففي هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل . . . فليزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد.].
(الرابعة): ألا يرى في الوجود إلا واحداً. وهي مشاهدة الصديقين، وتسمية الصوفية، الفناء في التوحيد. [هذه المرتبة تقرر وحدة الوجود]..
ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله:
«والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد.
فإن قلت: كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة؟ فكيف يكون الكثير واحداً؟
فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات، [يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات، فما تلك العلوم، إنها قطعا شيء آخر غير الكتاب والسنة . . . .].
وأسرار هذا العلم لا تسطر في كتاب. [يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف!].
فقد قال بعض العارفين: «إفشاء سر الربوبية كفر.» [هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية، غير أنهم يضنون بها على الكتب . . . . ومعناه مرة أخرى: إن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد!].
ثم ضرب الغزالي مثلاً عن شهود الوحدة في الكثرة وقال:
«ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام تبلغه، وتؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك . . . . وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق، تارة تدوم، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار، فقال: في ماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل، وقد كان من المتوكلين.
فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟، فكأنّ الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع، فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال . . . . أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه، وليس التوكل مبنياً عليه . . . .» =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصوف» .(١)

كيفية الإحسان تنشأ بالتمسك بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل

=(الإحياء : ٤/ ٢١٢ ، والزيادات ما بين المعكوفات من «هذه هي الصوفية» للشيخ عبدالرحمن الوكيل (٤٧ ـ ٤٩) .

قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل : «عجيب أن يمجد الغزالي صوفياً يزعم أن الله آكل شارب ، يحب الحياة ، ويخاف الموت ويمحقه العدم ، ويقتله الحزن ونزل به الشهوات لأنه عين خلقه !!

وقال الحلاج في الطواسين (ص ١٣٠ ـ ١٣٢) :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل الشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

***

مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال

ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في بلوغ أسمى مراتب التوحيد ، ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر ، فينصرف عنهما إلى تمجيد زندقة الحلاج ، وقتل سنة ٣٠٩هـ لثبوت زندقته وسعيه لهدم دولة الإسلام !! . .»

وقال : «لقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج ، وهذا وحده كاف في إدانة الغزالي بالحلاجية ، ولقد علمت ما هي؟ !» (هذه هي الصوفية : ٤٧ ـ ٤٩) ، وسيأتي إعجاب الجلال الرومي بالحلاج ، وذكر الندوي إياه في الأردية ، والتغاضي عنه في العربية إن شاء الله .

* (الفقه) : فقه الغزالي في «الإحياء» فقد خرج فيه عن قانونه ، وقال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله : « . . . . وإنما كان سبب إعراضه ـ فيما وضعه ـ عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية ، فرأى حالتهم الغاية . . . .» (المنتظم : ١٧/ ١٢٥ ـ الغزالي) .

* (تزكية النفس) : ذكر الأستاذ الندوي : «قد جمع فيه (أي الإحياء) أقوالاً كثيرة في الزهد وقهر النفس وعصيانها ، لا تخلو من المبالغة والإسراف» (رجال الفكر : ١/ ١٩٨) .

ثم قال : «ومجموعها يسمى التصوف» ـ لا أدري أراد به مجموع العقيدة والفقه وتزكية النفس . . . . ـ فإذن هو يرادف الإسلام .

أم أراد به «تزكية النفس وتهذيب الأخلاق والكيفية الإحسانية» ـ والغزالي في بيانها في الإحياء كثير المبالغة والإسراف على حد قوله .

إذن لا تنشأ كيفية الإحسان في الإنسان إلا بالتربية على منهاج النبوة مع الاعتصام بالكتاب والسنة عقيدة وعملاً وسلوكاً .

(١) تاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ١٦٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والسلوك ، لا بالرياضة على الطريقة الصوفية وشتان بينهما !

* تضرر بعض الناس من كتاب الإحياء :

قال الأستاذ الندوي :

«ولكن مما يلاحظ أن كثيراً ممن يقتصر على مطالعة هذا الكتاب ، أو يكثر من قراءته ويشغف به ، ينشأ عنده غلو في الزهد والتقشف ، ومخالفة النفس في المباحثات ، والكراهة للحياة ، والإكثار من الرياضات والمجاهدات ، حتى تتأثر بذلك صحته وعقله ، خصوصاً في هذا العصر الذي ضعفت فيه القوى والأجسام ، لذلك يمنع بعض المربين الحكماء عن مطالعة هذا الكتاب في بداية الحال ، خصوصاً الذين عندهم تأثر قوي ، وانفعال سريع ، ولعل السبب في ذلك أن الغزالي صنفه في حالة قد غلبت عليه فيها الخوف والهيبة ، وكان متأثراً شديد التأثر ، فجاء كلامه صورة نفسيته وتأثره ، وقد جمع فيه أقوالاً كثيرة في الزهد وقهر النفس وعصيانها ، لا تخلو من المبالغة والإسراف .»[1]

والحق ، أن السيرة النبوية ـ ويدخل فيها الحديث الصحيح ـ على صاحبها

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي هنا بعض الأضرار والسلبيات التي تنشأ بمطالعة «الإحياء» ومنها :

١ ـ الغلو في الزهد والتقشف .

٢ ـ مخالفة النفس في المباحات .

٣ ـ الكراهة للحياة .

٤ ـ الإكثار من الرياضيات والمجاهدات ، التي لأجلها تتأثر الصحة والعقل .

[وكل هذا يحصل لأجل محتوياته التي لا تخلو من المبالغة والإسراف . وهذا الغلو والإسراف قد شمل جميع فصول الكتاب ، ومنها «العقيدة» و«التوحيد» أيضاً ، ولكنه تغاضى عن ذكر أضراره في عقائد الناس ، وكان له أن يذكرها أولاً ، لأن الانحراف عن العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص ، يتأثر به دين الإنسان وعلى هذا يزاد :] .

٥ ـ الانحراف عن العقيدة الصحيحة في الله ورسوله ، (كما تقدم) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصلاة والتحية ـ هي المدرسة الوحيدة التي تربي تلاميذها على الاعتدال الكامل والتوازن الصحيح ، و«كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر» . . .(١)

هذا هو الحق ، ولكن ما قيل في «الإحياء» ينسحب على «التصوف» بجميع أشكاله ومظاهره لأنه لايربي الناس على منهاج النبوة . وبالتالي نشوء هذه المخالفات لابد منه ، لأن الأمر ليس بالأماني :

ألقاني في اليم مكتوفاً وقال لي
إياك إياك أن تبتل بالماء

رأينا أن الناس قد تضرروا بمطالعة «الإحياء» لأجل الإفراط والتفريط والمبالغة والإسراف في محتوياته .

ولكن هل رأيتم أحداً تضرر بتمسكه بالكتاب والسنة عقيدة وعملاً ومنهجاً وسلوكاً؟ وقد قرأنا عن كثير من المتصوفة ممن قد يوصفون بالاستقامة ـ فضلاً عن غيرهم ـ بأنهم وقعوا لأجل بعدهم من المنهل الصافي للإسلام في أوحال الحلول والاتحاد ، وجعلوا غايتهم في التوحيد عقيدة وحدة الوجود(٢) ، بغض النظر عن

---

(١) رجال الفكر (١/ ١٩٧ـ ١٩٨) من كلام الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٢) إليكم بعض الأمثلة من أقوال كبار المتصوفة :

* قال السهروردي شهاب الدين في تفسير قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق : ٣٧] . . . . قال بعضهم : لمن كان له قلب سليم من الأغراض والأمراض ، قال الحسين بن منصور [الحلاج] : لمن كان له قلب لا يخطر فيه إلا مشهود الرب . . .» (العوارف : ١/ ٢١٣ ، وعنه في الكشف ص ١٣٩) ، وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص : ٨٨] . . . قال بعضهم في بعض غلباته : «ليس في الدارين غير الله . . .» (العوارف : ١/ ٢٣٤ ، وعنه في الكشف : ص ١٤٠) .

* وقال الجنيد : «المعرفة وجود جهلك عند قيام عمله ، قيل : زدنا قال : هو العارف وهو المعروف» (التعرف لمذهب أهل التصوف : باب ٢٢ ص ٦٦ ، وعنه في الكشف : ص ١٠٥ ، وقال : فالعارف : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشطحات الأخرى .[1]

ولا ريب أن «السيرة النبوية هي المدرسة الوحيدة التي تربي تلاميذها على الاعتدال الكامل والتوازن الصحيح» .

وبعد هذا كله ، هل عنى الأستاذ الندوي بقوله في «الإحياء» : « . . . ولا يزال الكتاب . . . ثروة زاخرة في الدين ، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح

=(وهو مخلوق) هو نفس المعروف (الذي هو الله) .

* قال الشبلي : «كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت» (الحلاج لطه عبدالباقي سرور : ص ١٠٤ ، وعنه في الكشف : ص ١٠٨) .

* قال القشيري : « . . . وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة ، لأن باب المفاعلة في العربية بين اثنين ، وهذا وهم من صاحبه ، فان ظهور الحق سبحانه بثبور الخلق وباب المفاعلة جملتها لا تقضي مشاركة الاثنين ، نحو سافر ، وطارق النعل ، وأمثاله . . .» (القشيرية : ص٤٠ ، وعنه في الكشف : (ص١١٨) وقال : «يفهمنا القشيري أن المشاهدة لا تكون بأن تشاهد الله سبحانه خارجاً عنك فتكونا اثنين ، لا ، بل تشاهد في ذاتك ، وتشاهده أنك هو . . .) .

* قال أبو حامد الغزالي : « . . . فإن قلت كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثير؟ فكيف يكون كثيرا واحداً؟
فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات . . . والفرق بينهما أن في حالة الاستغراق والاستهتار به ستفرق بواحد ليس فيه تفريق ، وكأنه في عين «الجمع» والملفت إلى الكثرة في «التفريق» . . .» (الإحياء : ٤/ ٢١٣ ، وعنه في الكشف : ص١٢٢) .

(١) * ذكر الشطنوفي المصري الحكاية المعروفة عن الشيخ عبد القادر أنه قال : «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله» ـ ساقها عنه من طرق متعددة ـ .
قال ابن رجب : أحسن ما قيل في هذا الكلام ما ذكره السهروردي في «عوارفه» أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدي بهم فيها ، ولا تقدح في مقاماتهم ومنازلهم . فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم» (شذرات الذهب : ٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

* مما يرويه أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي : أن أبا تراب النخشبي كان معجباً ببعض المريدين ، فقال له يوماً ، لو رأيت أبا يزيد :
فقال : إني عنه مشغول . . . قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد ! قال أبو تراب : ويلك تغتر بالله عز وجل : لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة . . .» (القوت : ٢/ ٧٠ ، والإحياء : ٤/ ٣٠٥ ، وعنهما في الكشف : ص٤٢٥) .

* قال عاشق إلهي الميرتهي : إنه سمع من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي عدة مرات يقول : «اسمعوا ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والتربية»[١] إلا الدين والإصلاح والتربية على طريقة الصوفية .

نقّاد إحياء علوم الدين :

ذكر الأستاذ الندوي تحت هذا العنوان بعض من انتقد «الإحياء» كابن الجوزي ، وابن تيمية ، ثم قال :

«انتقده ابن تيمية في أربعة أمور :

(١) إيراد الغزالي في الإحياء أقوال الفلاسفة ، وتأثره بها في أمور التوحيد والنبوة والمعاد . . . .[٢]

=الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد ، وأقسم بالله أني لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة موقوفتان على اتباعي في هذا الزمن» (تذكرة الرشيد : ٢/ ١٧ ، وعنه في الديوبندية : ص١٨٢) ولا ريب أنه تحجر واسعاً فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) رجال الفكر والدعوة : ١/ ١٩٨ .

(٢) إليكم نبذة من هذه الأمور الثلاثة :

(التوحيد) : وقد تقدم آنفاً ما يكفي لمعرفة عقيدة الغزالي وتوحيده في «الإحياء» .

(النبوة) : قال أبو بكر الطرطوشي : شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه ، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة ، ومعاني «رسائل إخوان الصفا» ، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق» (سير أعلام النبلاء للذهبي : ١٩/ ٣٣٤) .

وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن حمدين القرطبي :

«ونقل (أي الغزالي) عن بعضهم قال : للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلم سر لو كشف لبطلت الأحكام» (قال الذهبي : سر العلم قد كشف بصوفية أشقياء فحلوا النظام ، وبطل لديهم الحلال والحرام) .

ثم قال الغزالي : والقائل بهذا إن لم يرد إبطال النبوة في حق الضعفاء ، فما قاله ليس بحق ، فإن الصحيح لا يتناقض ، وإن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه .

وقال الغزالي في العارف : فتتجلى له أنوار الحق ، وتنكشف العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوة ، وجميع ما روت به ألفاظ الشريعة التي نحن عنها على ظاهر ، لا على حقيقة .

وقال : وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=(الله الله الله) على الدوام، فليفرغ قلبه، ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث. [سيأتي حكم الذكر بالاسم المفرد مفصلاً إن شاء الله].

قال: فإذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة في بيت مظلم، وتدثر بكسائه، فحينئذ يسمع نداء الحق: ﴿يا أيها المدثر﴾ و﴿يا أيها المزمل﴾. (السير: ١٩/ ٣٣٣ـ ٣٣٤).

قال الذهبي: «سيد الخلق إنما سمع ﴿يا أيها المدثر﴾ من جبريل عن الله، وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبداً، بل سمع شيطاناً أو سمع شيئاً لا حقيقة من طيش دماغه، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع» (المصدر المذكور: ١٩/ ٣٣٤).

(المعاد) دخل الغزالي في علوم الخواطر ثم شابهها بآراء الفلاسفة، وألف فناقض كلامه بكلامه، قال الفيلسوف محمد بن الطفيل القيسي الأندلسي (ـ٥٨١هـ):

«وأما كتب الشيخ أبي حامد الغزالي، فهو بحسب مخاطبته للجمهور، يربط في موضع ويحل في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها، ثم إنه من جملة ما كفر به الفلاسفة في كتاب «التهافت» إنكارهم لحشر الأجساد، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة.

ثم قال في أول كتاب الميزان: «إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع».

ثم قال في كتاب «المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال»: إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفيه، وإن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث».

وفي كتبه من هذا النوع كثير يراه من تصفحها وأمعن النظر فيها. وقد اعتذر عن هذا الفعل في آخر كتاب «ميزان العمل»، حيث وصف أن الآراء ثلاثة أقسام:

١ـ رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه.

٢ـ ورأي بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد.

٣ـ ورأي يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده» (حي بن يقظان: ١١٣ـ ١١٤، عنه في الكشف (٦٤٢ـ ٦٤٣) وقال: «إن ما أورده ابن طفيل هنا، وارد في كتاب «الإحياء»، وقد مرت نصوصه في الفصول السابقة، ورغم هذا كله، يسمون الغزالي «حجة الإسلام»؟!

وقال الدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان «الغزالي وإنكار البعث الجسماني»:

«وأخطر من هذا كله ـ مما أصاب الغزالي من الصوفية، وربما من الفلسفة أيضا ـ ما اتهمه به الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل قديماً، وردده بعض أساتذة الفلسفة الإسلامية حديثاً، أنه كفر الفلاسفة الإسلاميين لإنكارهم البعث الجسماني، واعتقادهم أن البعث للنفوس خاصة، وأن كل اللذائذ والآلام في الآخرة روحية محضة، ثم يراه ينتحل هو هذا المذهب ويقره.

ثم وفق الأستاذ القرضاوي بين موقفي الغزالي فقال:

«أما انتحاله للمذهب الذي أنكره، فيبدو هذا في أوائل كتابه «ميزان العمل» حيث ذكر أن الناس في أمر =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(٢) وجود المباحث الكلامية فيه، التي تخالف روح الكتاب والسنة..[١]

=الآخرة أربع فرق [ثم ذكر هذه الفرق الأربع وقال]:
«والذي أراه أن في كلام الغزالي هنا - عن توقف الصوفية من قضية البعث الجسماني والجزاء المادي في الآخرة - غموضاً وإجمالاً، ولا يستطيع المتأمل المنصف لكلامه أن يقطع بأنه يصفهم بإنكار الجزاء المادي الأخروي جملة.
إنما الذي يفهم منه أنهم لا يعيرون اللذات والآلام المادية التفاتاً... ولهذا يعتبرون التطلع إلى هذه الماديات انحطاطاً ولؤماً، كما نقل الغزالي عنهم: من عبدالله طلباً لجنته أو خوفاً من ناره فهو لئيم...
فهم هنا لا يجحدون أن لله جنة يطلبها بعض الناس، وناراً يخافها بعض الناس، وهم في نظرهم «اللؤماء» الذين لا يصنعون خيراً إلا لجزاء مادي ينالونه... وهذا يعتبر منهم خطأ وضلال، لأنه مناف لما في القرآن الكريم، ولكن ليس كفراً يخرج صاحبه من الملة... [ثم دافع عن الغزالي وبرأه من هذه التهمة] (الإمام أبو حامد للقرضاوي: ١٤٢ - ١٥٠ باختصار).
وهل يبقى «الإحياء» - بعد هذا كله - «ثروة زاخرة في الدين، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح والتربية» على حدّ قول الأستاذ الندوي؟! (رجال الفكر والدعوة: ١/ ١٩٨).

(١) إضافة إلى ما مضى من مخالفاته في «الإحياء» في التوحيد والنبوة والمعاد، أدخل «علم الكلام الذي أنكره نظرياً واستخدمه عملياً في كل كتبه، وخاصة في «الإحياء» استعمله بمهارة ولباقة، وأدخله في أصول العقائد والعبارات حيث جاء إلى الاعتقادات الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي فأخذ يستنبطها بأساليب علم الكلام، ليبرر تلقيها عن الكشف، بعد أن كانت لا تؤخذ إلا من نصوص القرآن وصحيح السنة.» (الكشف: ٦٣٩ - ٦٤٠).
* قال الإمام محمد بن علي المازري الصقلي (ـ٥٣٦هـ) (صاحب «الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء») بعدما أثنى على أبي حامد في الفقه:
«هو بالفقه أعرف منه بأصوله، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين، فإنه صنف فيه، وليس بالمتبحر فيها، ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها، وذلك أنه قرأ علوم الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول، فأكسبته الفلسفة جرأة على المعاني، وتسهلا للهجوم على الحقائق، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها، لا يزعها شرع، وعرفني صاحب له أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة، ألفها من قد خاض في علم الشرع والنقل، وفي الحكمة، فمزج بين العلمين، وقد كان رجل يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تصانيف، وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره، وقد رأيت جملاً من دواوينه، ووجدت أبا حامد يعوّل عليه، في أكثر ما يشير إليه من علوم الفلسفة».
* وقال أيضا - وهو يتكلم عن «الإحياء»:
«فأنا أقتصر على ذكر حاله وحال كتابه، وذكر جمل من مذاهب الموحدين والصوفية، وأصحاب الإشارات والفلاسفة، فإن كتابه متردد بين هذه الطرائق». (سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٤١).
* وقال عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي أبو الحسن الشافعي (ـ٥٢٩هـ): =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(٣) شموله أقول المتصوفة، ومغالطاتهم وترهاتهم وشطحاتهم . . .[١]

=«ومما نقم عليه ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتاب «كيمياء السعادة والعوم» وشرح بعض الصور والمسائل، بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملة، وكان الأولى به ـ والحق أحق ما يقال ـ ترك ذلك التصنيف، والإعراض عن الشرح له . . .» (السير : ١٩/ ٣٣٦) .

* قال الذهبي : «ما نقمه عبدالغافر على أبي حامد في الكيماء، فله أمثاله في غضون تواليفه حتى قال أبو بكر ابن العربي : «شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع» (المصدر المذكور : ١٩/ ٣٢٧) .

* وقال أيضاً :

«قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب «التهافت»، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، تلف، فالحذار الحذار من هذه الكُتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة . . .» (المصدر المذكور : ١٩/ ٣٢٨ـ ٣٢٩) .

هل يبقى «الإحياء» بعد هذا كله ـ «ثروة زاخرة في الدين، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح والتربية» على ما يراه الأستاذ الندوي؟! (رجال الفكر والدعوة : ١/ ١٩٨) .

(١) إضافة إلى ما مضى من مخالفات «الإحياء» في باب الاعتقاد، وتأثره بعلم الكلام إليكم شيئاً مما ورد فيه من شطحات المتصوفة وأغاليطهم :

* قال الغزالي : « . . . حكي أن أبا التراب النخشتي كان معجباً ببعض مريديه . . . فقال له يوماً : لو رأيت أبا يزيد، فقال : إني عنه مشغول . . . قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد :

قال أبو تراب . . . فقلت : ويلك، تغترّ بالله عز وجل! لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة، كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة!!

قال : فبهت الفتى من قوله وأنكره، فقال : وكيف ذلك! قال له : ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره، فعرف ما قلت . . .» (الإحياء : ٤/ ٣٠٥، وعنه في الكشف : (ص٤٢٥)، وقال : «ولا يسعنا إلا السكوت أمام أمثال هذه المكاشفات الضلالية التي أوردها صاحب «قوت القلوب»، و«إحياء علوم الدين»)، وقال ابن الجوزي بعد ذكر هذه الحكاية : «هذا فوق الجنون بدرجات» (تلبيس إبليس : ص ٣٩٨) .

* وقال الغزالي نقلاً عن «قوت القلوب» :

« . . . ولما دخل الزنج البصرة، فقتلوا الأنفس، ونهبوا الأموال، اجتمع إلى سهل إخوانه، فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت . ثم قال : إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة! ولكن لا يفعلون . قيل : لم؟ قال : لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر من إجابة الله لهم أشياء لا يستطاع ذكرها، حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها . . . .» (الإحياء : ٤/ ٣٠٥، وعنه في الكشف : ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ وقال : لا نستطيع التعليق =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=على هذه القصة . . . ولكن إذا كان قوله : «لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها» بكل ما فيه من تطاول وضلال يستطاع ذكره ، فما هي الأشياء التي لا يستطاع ذكرها؟ !) .

* وقال : « . . . وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر ، فقيل له : لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال : اعتراضي فيما قضى أشد عليّ من ذهاب ولدي» (الإحياء : ٤/ ٢٩٩ ، وعنه في الكشف : ص ٤٣١ ، وقال : «سؤال . . . ما معنى قوله سبحانه : ﴿ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] وهل نسخها كشفهم؟ !) .

* وقال : « . . . فقد امتنع طائفة منهم [من الصوفية] عن الحلال المحض خيفة أن يشغل ، وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر ، وهو الطهر المحض» (الإحياء : ٢/ ٩٥ ، وعنه في الكشف : ص ٥٣٠ ، وقال : («ماذا فعل إذن؟ لعله يتيمم بالتراب ، وهو غير مجزىء ـ والتراب أولى من ماء البحر أن يحترز منه ، إذ قد يكون سقط عليه نجاسة») .

** وقال : « . . . قال سهل : من طعن على التكسب فقط طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد» (الإحياء : ٤/ ٢٢٣ ، وعنه في الكشف : ص ٥٦٩ ، وقال : هذا اعتراف منه أن الصوفية ليست من الإسلام ، إذ يجعل التوحيد مخالفاً للسنة في التكسب ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «من رغب عن سنتي فليس مني») [متفق عليه] .

* وقال :

« . . . . قال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد ، فأصابتني فاقة ، فرأيت المرحلة من بعيد ، فسررت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أن سكنت واتكلت على غيره (أي على غير الله) ، وآليت أن لا أدخل مرحلة إلا أن أحمل إليها ! فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري ، فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً : يا أهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه . . . .» (الإحياء : ٤/ ٢٣٣ ، وعنه في الكشف : ص ٥٦٩ ، وقال : «هذا شيطان يضحك على ذقنه وذقونهم . . . لأن خروجه هكذا ليس من الإسلام في شيء . . . . وادعاؤه الولاية هو افتراء على الله الكذب ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ [النساء : ٤٩ ـ ٥٠] .

* وقال : « . . . . ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرّح به فرعون من قوله : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، ولكنه ليس يجد له مجالاً ، وهو كما قال . . .» (الإحياء : ٣/ ٢٤٣ ، و ٤/ ٦١ ، وعنه في الكشف : ص ٥٧٥ ، وقال : . . . مع الرجاء أن ينتبه القارىء إلى قوله : «ما من إنسان» ، وكذلك إلى قوله : «وهو كما قال») .

* قال ابن الجوزي :

««وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي ، فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ، ثم لبست مرقعتي وخرجت ، فجعلت أمشي قليلاً قليلاً ، فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني ، فصرت بعد ذلك =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد : هكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس ، وأرباب الأحوال ، ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام .

قلت [أي ابن الجوزي] سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل .

والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه .؟

وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي وهل عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها؟

وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه ، وقتل من لا يجوز قتله ، ويسمونه سياسية ومضمون ذلك الشريعة ما تفي بالسياسة .

وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق ، وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض؟

ولو أن رجلاً وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك .

ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه؟

ثم في نص مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ، ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم؟

كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه .

فعجبي من هذا المستلب الثياب . (تلبيس إبليس : ٣٩٨ ـ ٣٩٩) .

* وقال ابن الجوزي أيضاً :

«وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء» :

«كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع .

قال : وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل .

قال : وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم .

قال : وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعا .

قال المصنف (ابن الجوزي) رحمه الله : «أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد ، كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات :

ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(٤) وجود الأحاديث الضعيفة والموضوعة(١) .

=وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه .

وإن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك .

وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان .

وإن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم .

وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز ، وليلة على الخبز دون الماء ، ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وإني لأتعجب من أبي حامد يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة؟

وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً؟

وكيف يحل رمي المال في البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال؟

وهل يحل سب مسلم بلا سبب؟

وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك؟

وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج؟

وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف !» . (تلبيس إبليس : ٣٩٦ـ٣٩٧) .

هذا غيض من فيض مما أورده الغزالي في «الإحياء» من شطحات الصوفية وأغاليطهم ، وترهاتهم وأباطيلهم . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهل يعتبر هذا الكتاب ـ بعد هذا كله ـ «ثروة زاخرة في الدين» ، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح والتربية ـ على حد قول الأستاذ الندوي؟ ! (رجال الفكر والدعوة : ١/ ١٩٨) .

(١) إضافة إلى ما مضى في «الإحياء» من المخالفات في باب الاعتقاد ، وتأثره بالمباحث الكلامية ، واحتوائه على شطحات الصوفية ، إليكم نبذة عما ورد فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

* «وقد جمع الإمام السبكي في طبقاته (٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) الأحاديث الواقعة في كتاب «الإحياء» التي لم يجد لها إسناداً ، وعدتها (٩٤٣) حديثاً تقريباً .

وقد خرج أحاديث «الإحياء» كلها الحافظ أبو الفضل عبدالرحيم العراقي (المتوفى سنة ٨٠٦هـ) في كتاب سماه« المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار » (وهو مطبوع مع الإحياء وكذلك مطبوع في كتاب مستقل محقّق) وقد عزا كل حديث إلى مصدره ، وأبان عن درجة كل واحد منها ، وكثير منها حكم عليه بالضعف والوضع ، أو أنه لا أصل له من كلام الرسول ﷺ .

فليحذر الكتاب والخطباء والمدرسون والوعاظ من تناول ما في الإحياء من الأحاديث ، والاستشهاد بها ما لم يتبينوا صحتها من تخريجات الحافظ العراقي ، فقد قال محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=الحسني : لا يجوز إسناد حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا نص على صحة هذا الحديث حافظ من الحفاظ المعروفين ، فمن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم صحة ذلك من طريق أحد الحفاظ ، يوشك أن يصدق عليه حديث «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» (انظر مجلة الهداية الإسلامية : ٨/ ٢٦٤ . وعنها في التعليق على «سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٣٤٩ - ٣٤٠) .

* وقال الأستاذ محمود القاسم :

«مر معنا في ثنايا الكتاب النصوص الكثيرة المنقولة من «الإحياء» ، والمشحونة بالكفر والزندقة ، وهي بعض من كثير .

. . . . يضاف إليها أكثر من أربعمائة حديث موضوع ومكذوب . يقول الحافظ العراقي : (مخرج أحاديث «الإحياء») ، عن قسم منها : «لم أجده» ، أو : «لم أجد له أصلاً» ، مما يجعلنا نظن أن الواضع لها ، أو لبعضها على الأقل ، هو الغزالي نفسه ، أو كشفه . (أما إذ أردنا الحق ، فيبقى الغزالي متهماً بوضعها كلها ، حتى يثبت العكس) .

- يضاف إليها أكثر من هذا العدد من الأحاديث الضعيفة ، وبذلك يكون مجموع الأحاديث الموضوعة والضعيفة قريباً من نصف مجموع أحاديث الكتاب ، إن لم تكن أكثر . . . .

- ومن أعاجيب المتصوفة في المغالطة ، أنهم عندما يقول لهم قائل : إن كتاب «الإحياء» مشحون بالأحاديث الموضوعة والضعيفة . يكون الجواب الذي سمعناه مراراً : «لقد خرجها الحافظ العراقي وانتهى الأمر ! !» ، أو ما يدور حول هذا المعنى ! فنقول :

- يا هؤلاء ! اتقوا الله واخشوا يوماً تقفون فيه بين يديه ، حيث لن تنفعكم جذباتكم ، ولا شيوخكم الذين يوصلونكم إلى جذباتكم .

- يا هؤلاء ! إن الأخذ جهلاً بالحديث الموضوع ، يمكن أن يكون معه عذر الجهل ، أما الأخذ به بعد تخريجه ، ومعرفة وضعه ، فهو الشرك الأعظم .

والأخذ بالأحاديث الضعيفة بعد معرفة ضعفها هو طريق يؤدي في النهاية إلى الضلال .

ولا بأس من إيراد كلمة في وصف «الإحياء» لأبي بكر الطرطوشي ، يقول : «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أعلم كتاباً على بسيطة الأرض أكثر كذباً منه .

- نقول : إن قول أبي بكر الطرطوشي هذا ، كان قبل تأليف كتب المتصوفة الأخرى» (الكشف : ٦٣٧ - ٦٣٨) .

* وقال محمد بن الوليد الطرطوشي أيضاً في رسالة له إلى ابن مظفر : «فأما ما ذكرت من أبي حامد ، فقد رأيته وكلمته ، فرأيته جليلاً من أهل العلم ، واجتمع فيه العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وكان على ذلك معظم زمانه ، ثم بدا له عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، وهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وعلى الرغم من ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« . . وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة . . . ما هو أكثر مما يردّ منه .

فلهذ اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه»(١) .

❋ ❋ ❋

إليكم ما سبقه من كلام شيخ الإسلام فإنه قال :

و«الإحياء» فيه فوائد كثيرة ، لكن فيه مواد مذمومة ، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة ، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين .

=شابهها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين ، فلما عمل «الإحياء» ، عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات» (سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٣٣٩) .

❋ قال الإمام محمد بن علي المازري (صاحب «الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء» : وفيه الكثير من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم لفّق فيه الثابت بغير الثابت . . . . .) (السير : ١٩/ ٣٣٠) .

❋ وقال أيضاً : «وفي الإحياء من الواهيات كثير . . . .» (المصدر المذكور : ١٩/ ٣٤١) .

❋ وقال الإمام الذهبي : أما في الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية ، فنسأل الله علماً نافعاً .

تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول قولاً وفعلاً ، ولم يأت نهي عنه . قال عليه السلام : « من رغب عن سنتي فليس مني» [البخاري رقم (٥٠٥٣) ومسلمَ (١٤٠١)] (السير ١٩/ ٣٤٩ـ٣٤٠) .

هل يبقى «الإحياء» بعد وجود هذا الكم الهائل من الضعاف والموضوعات والمناكير والأباطيل في محتوياته «ثروة زاخرة في الدين ، ومصدرا قوياً من مصادر الإصلاح والتربية» على ما قال الأستاذ الندوي؟ !

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة للندوي (١/ ١٨٢ـ١٨٣ ، نقلاً عن «الفتاوى» : ١٠/ ٥٥٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد أنكر أئمة الدين على «أبي حامد» هذا في كتبه ، وقالوا : مرضه «الشفاء» يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة . وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة . وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم .

وفيه مع ذلك كلام المشايخ . . . .»[1]

هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في وصف «الإحياء» وهو وصف دقيق لمحتوياته ويشمل مالها وما عليها .

وما أحال إليه الأستاذ الندوي من بعض ثناء شيخ الإسلام عليه ، بعد ذكر مؤاخذاته عليه ، فهو من كمال أصالته ، وغاية إنصافه ، حتى مع من يخالفه في الرأي ، ويختلف معه في كثير من الأمور .

أما تشبّث الأستاذ الندوي بثناء شيخ الإسلام على «الإحياء» وتغاضيه عن مآخذه عليه قائلاً : « . . . ولا يزال الكتاب . . . ثروة زاخرة في الدين ، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح والتربية»[2] فإنه يدل على عدم اعتباره بالانتقادات الموجهة إليه في جميع أبوابه ، بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة .

ولا ريب أنه أسلوب من الأساليب العصرية لتقليل أهمية الانتقادات في قلوب الناس . وفي الوقت نفسه هو دعاية للكتاب أيضاً ، والحث على عضه بالنواجذ .[3] .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٥٥١ـ٥٥٢) .

(٢) رجال الفكر والدعوة (١/ ١٩٨ ـ الغزالي) اللهم إلا أنه أراد بالدين والإصلاح والتربية على طريقة الصوفية .

(٣) كلام الأستاذ الندوي في «الإحياء» لا يختلف كثيراً عن كلام الأستاذ سعيد حوى حيث قال : « . . . وإن الذين كتبوا في هذه الشؤون من أمثال حجة الإسلام الغزالي كتبوا في الحقيقة في أرقى الأمور وأعلاها على الإطلاق ، وأنه خسارة للبشرية كلها أن لا يقرأ ما كتب أمثال هؤلاء (تربيتنا الروحية : ص =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وهاكم آراء بعض العلماء الثقات من معاصري الغزالي وغيرهم في «الإحياء» ، ومحتوياته لتكمل الحجة :

* قال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ـ ٥٢٠هـ) صاحب كتاب في «الرد على الإحياء» :

«شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه ، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة ، ومعاني «رسائل إخوان الصفا» ، وهم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق»(١) .

=١١٣ ، وعنها في «زوابع» : ص٤٠٠) .

معلوم أن أرقى الأمور وأعلاها على الإطلاق هو «التوحيد» وعرفنا ماذا كتب أبو حامد وأمثاله في هذا الباب ، فنسأل الله السلامة ! .

كان لمثل هذه التصريحات أثر بالغ في قلوب السذج من المسلمين قديما وحديثاً ، فقرأوا الكتاب والسنة للتبرك بهما ، ودرسوا «الإحياء» وغيره من كتب الصوفية للتمسك بها عقيدة وعملاً ، وإنه لخسارة للبشرية كلها أن تقرأ أمثال هذه الكتب التي تتدفق بسيول من المخالفات في جميع أبواب الدين ، وقد تقدم من النصوص الصوفية ما يكفي للاعتبار ، وليس الخبر كالمعاينة .

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد تواصى رجال الفكر الصوفي والدعوة الصوفية ، ولا يزالون يتواصون بالإحياء بأسلوب أو آخر ، وقد أدى «الجامع الأزهر» دورا عجيبا في نشر التصوف بواسطة طلابه الوافدين من جميع أنحاء المعمورة .

وقال الأستاذ محمود القاسم : يجب ألا ننسى الجهود التي نشكوها إلى الله ، والتي قدمها في خدمة التصوف كثير من شيوخ الأزهر ، عبر تاريخ الجامع الأزهر ، حيث كان طلاب العلم يأتونه من مختلف البلاد الإسلامية ، فيتعلمون فيه العلوم الإسلامية ممزوجة بالتصوف وعلم الكلام ، (أي الطريقة البرهانية الغزالية) ثم يعودون إلى بلادهم لنشرها في مجتمعاتهم التي كانت تحترمهم وتأخذ عنهم لأنهم تخرجوا من الجامع الأزهر !» (الكشف : ص ٦٤١) .

(١) سير أعلام النبلاء : (١٩/ ٣٣٤) ، والكشف : (ص ٦٣٨) .

(**فائدة**) : قال الذهبي : «ولأبي الحسن ابن سكر رد على الغزالي في مجلد سماه «إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء» (السير : ١٩/ ٣٤٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وقال الإمام محمد بن علي المازري (ـ ٥٣٦هـ) صاحب كتاب «الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء» :

« وقد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في الكتاب المترجم بـ «إحيا علوم الدين» ، وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت وتعصبت لإشهاره ، وطائفة حذرت منه ونفرت ، وطائفة لكتبه أحرقت ، وكاتبني أهل المشرق أيضاً يسألوني ، ولم يتقدم لي قراءة هذه الكتاب سوى نبذ منه . . . فأنا أقتصر على ذكر حاله وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين والمتصوفة ، وأصحاب الإشارات ، والفلاسفة ، فإن كتابه متردد بين «هذه الطرائق . . .»[1] .

* وقال القاضي عياض اليحصبي (ـ ٥٤٤هـ) :

«والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمة ، والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها ، فامتثل ذلك . مولده سنة خمسين وأربع مئة»[2] .

* **وقال أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ـ ٥٩٧هـ) صاحب «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» :**

«صنف أبو حامد «الإحياء» ، وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها ، وتكلم على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه ، وقال : «إن المراد بالكوكب والقمر

---

(١) سير أعلام النبلاء : (١٩/ ٣٤٠) .
(٢) المصدر المذكور (١٩/ ٣٢٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والشمس اللواتي رآهن إبراهيم ، أنوار هي حجب الله عز وجل ، ولم يرد هذه المعروفات ، وهذا من جنس كلام الباطنية»[(١)] .

* **وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ـ٧٢٨هـ) في «الإحياء» :**

« . . . فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين . . .»[(٢)] .

* **وقال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ـ٧٤٨هـ) في الغزالي وكتبه :**

« . . . ولو لا أبو حامد من كبار الأذكياء ، وخيار المخلصين لتلف فالحذار الحذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العبودية ، وليُدْمِن الاستغاثة بالله ، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يتوفى على إيمان الصحابة ، وسادة التابعين ، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو إن شاء الله»[(٣)]

وقال الإمام الذهبي أيضاً :

« . . . أمّا «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً ، تدري ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول ﷺ قولاً

---

(١) المصدر المذكور (١٩/ ٣٤٢) وقال : «وقد رد ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب «الإحياء» ، وبين خطأه في مجلدات ، سماه «الإحياء» (المصدر المذكور) .
وقد ذكر ابن الجوزي بنفسه اسم الكتاب فقال : «وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بـ «تلبيس إبليس» (المنتظم : ١٧/ ١٢٥) في هامش «المنتظم» وسميته أغلاط الإحياء بأغلاط الأحياء» . والله أعلم .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وفعلاً ، ولم يأت نهي عنه ، قال عليه السلام : «من رغب عن سنتي ، فليس منـي»(١) ، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله ، وبإدمان النظر في «الصحيحين» ، و«سنن النسائي» ، و«رياض النواوي» و«أذكاره» ، تفلح وتنجح ، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة ، فواغوثاه بالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم .»(٢) .

---

(١) البخاري (رقم ٥٠٦٣) ، ومسلم (رقم ١٤٠١) .

(٢) السير : (١٩/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) .

(فائدة) : ألا يكفي هذا النصح الأمين للمهتمين بنشر الفكر الصوفي في صفوف المسلمين؟ !

ـ هل أراد هؤلاء الأعلام بتوجيهاتهم إلا الخير لأهل دينهم وملتهم؟

ـ هل كان بين هؤلاء الأوفياء لدينهم وبين الغزالي عداوة شخصية أو منافسة دنيوية في المنصب والجاه؟

قال الدكتور القرضاوي بعد ما أشار إلى دفاع التقي السبكي وابنه التاج عن الغزالي وتصوفاته :

«ومما ينبغي أن نسجله هنا : أن الذين انتقدوا الغزالي ولم يغمطوا حقه في ما أحسن فيه ، بل كلهم أشادوا بعلمه ونبوغه وفضله . . . .

مع هذا لم يسعهم أن يسكتوا عما يرونه خطأ أو باطلاً من كلام الغزالي نصحاً لله ولرسوله وللمؤمنين . فلم يكن بينهم وبين الغزالي محاسدة أو منافسة ، ولكن ليس في العلم كبير ، وكل أحد ـ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يؤخذ منه ويرد عليه» (الإمام الغزالي : ١٢٨ ـ ١٢٩ باختصار) .

ـ أليس التنازل عن القيام بدعاية «الإحياء» في صالح أبناء هذه الأمة المرحومة؟

ـ إلى متى يبقى «الإحياء» . . . ثروة زاخرة في الدين ، ومصدراً قوياً من مصادر الإصلاح والتربية ـ على حد قول الأستاذ الندوي . (رجال الفكر : ١/ ١٩٨) .

ـ أما آن الأوان بأن ننتبه نحن ـ المسلمين ـ أيضاً ، إلى خطورة «الإحياء» ـ وقد عرفنا أثره البالغ في قلوب قرائه ـ ، كما تفطن لها المستشرقون ، وهم يتلذذون بذكرها لإيذاء المسلمين .

* قال أحد المستشرقين :

إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية ، الذين كانوا إخواناً في ذلك الدين الحر ما لكلمة الدين الحر من معنى» (في التصوف الإسلامي : ص١٠٤ ـ ترجمة الدكتور عفيفي) .

* قال جولد زيهر (المستشرق المجري اليهودي) :

«وابن عربي الذي أشرنا إليه من قبل إلى تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحا فيه منحى التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي» (مذاهب التفسير لجولد زيهر : ص٢٥٩) . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=* وقال أيضاً : خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها ، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية وفي الإسلام ، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة (كذا ! !) قوى روحية» (العقيدة والشريعة لجولد زيهر : ص ١٥٩) .

* وقال أيضاً : «إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام» (المصدر المذكور : ص ١٦١) [وهكذا الغزالي لم يعمل للإسلام بل للصوفية . وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها ، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها] .

*وقال كارل بكر : »لقد سادت روح «الغنوص» فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً من أهل السنة» («التراث اليوناني : ص ١٠ ـ ترجمة الدكتور بدوي) [هذا هو خطر الغزالي ! صور التصوف للمسلمين رحيقاً خالياً من السم ، فترشفوه ففتك بهم] (راجع أقوال هؤلاء المستشرقين في «هذه هي الصوفية» : ٥٠ ـ ٥١ والزيادات ما بين القوسين منه) .

هذا الوصف للغزالي وتصوفه لا يبعد عما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « . . . . فإذا ذكر معارف الصوفية كأنه أمسك عدواً للمسلمين ، ألبسه ثياب المسلمين . . .» (مجموع فتاواه : ١٠/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) .

وما كان أن ذكر ـ هنا ـ أقوال هؤلاء المستشرقين ـ المعروفين بعداء الإسلام وأهله ـ في الغزالي وتصوفه ، بعدما أوردت آراء العلماء الفطاحل الأوفياء لدينهم وعقيدتهم ـ ولكن غير خاف على من يطلع على كتابات الأستاذ الندوي أنه يحيل أحيانا إلى أقوال المستشرقين للاستئناس بها . فذكرتها لذلك . لعل . . . . وعسى . .

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ عبدالقادر الجيلاني

(٤٧٠ ـ ٥٦١هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ عبد القادر الجيلاني

(٤٧٠ ـ ٥٦١هـ)

الحاجة إلى الدعوة الشعبية والإصلاح العام :

قال الأستاذ الندوي :

«لقد قام حجة الإسلام الغزالي ، بشخصيته الفريدة القوية ، وجهاده العلمي والإصلاحي ، بدور عظيم في تاريخ الإصلاح والتجديد ، وكان الرجل المطلوب للدفاع عن الإسلام عند هجوم الفلسفة اليونانية ، وإلحاد الباطنية وانحراف العلماء(١) .

ولكن ظل العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى داع شعبي ، وشخصية روحية رفيعة ، أكثر اتصالاً بالشعب وطبقات الجماهير ، ينفخ في المجتمع ، بدعوته ومواعظه وبتزكيته للنفوس وإصلاحه للأخلاق ، روحاً دينية وحياة إيمانية . . ـ إلى أن قال ـ :

«لقد وجد هذا المصلح في شخص الشيخ «عبد القادر الجيلاني» (٢) ، الذي ظهر

---

(١) تقدم آنفاً في ترجمة أبي حامد الغزالي ، ما يكفي لمعرفة دوره في المجالات المشار إليها ، مع نبذة من آرائه في العقيدة والفقه والتصوف . ومع هذا كله إبراز الأستاذ الندوي أبا حامد «الرجل المطلوب للدفاع عن الإسلام» ، يدل على أنه يرتب تاريخ الفكر الصوفي والدعوة الصوفية ، لا تاريخ «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» يكاد المريب أن يقول خذوني .

(٢) هو : محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلاني الحنبلي شيخ بغداد (٤٧١ ـ ٥٦١هـ) مولده بـ «جيلان» (بلاد متفرقة وراء طبرستان) ،ويقال لها : «كيل وكيلان» ، والنسبة إليها : «جيلي ، وجيلاني ، وكيلاني» (الأنساب : ٣/ ٤١٤) :

قال ابن النجار في «تاريخه» : دخل الشيخ عبد القادر بغداد (شاباً) في سنة ثمان وثمانين وأربعمائه ، فتفقه . . حتى أحكم الأصول والفروع والخلاف ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه . ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياسة والمقام في الخراب والصحراء ، وصحب [حماد بن مسلم] الدباس ، [وكان يتصوف ،ويدعي المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن ، وكان عارياً عن علم الشرع ، ونفق على الجهال [السير : ١٩/ ٥٩٥] ، ثم إن الله أظهره للخلق ، وأوقع له القبول العظيم ، فقعد مجلس الوعظ في سنة إحدى وعشرين ، وأظهر الله الحكمة على لسانه ، ثم درّس وأفتى ، وصار يقصد بالزيارة والنذور ، وصنف في الأصول والفروع ، وله كلام على لسان أهل الطريقة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

في بغداد في آخر القرن الخامس ، وتسلم الزعامة الدينية ، وعاش نحو قرن فرداً فريداً في الدعوة إلى الله ، والتف حوله العالم الإسلامي ، وأثر فيه تأثيراً لم يؤثر مثله عالم أو مصلح من مدة طويلة .» [1] .

دراسته ونبوغه :

قال الأستاذ الندوي :

«ولد الشيخ عبد القادر سنة ٤٧٠ هـ في جيلان ، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ ، دخل بغداد سنة ٤٨٨ هـ ، وله ثماني عشرة سنة ، وهي السنة التي خرج فيها أبو حامد الغزالي من بغداد تاركاً لتدريس النظامية ، زاهداً في الدنيا طالباً للمعرفة واليقين [2] . . .

قرأ العلوم السائدة في عصره على أساتذتها الكبار المبرزين فيها ، وأتقنها ومهر فيها ، وحصلت فيها اليد الطولى ، ومن شيوخه [3] :

=عال . . .» (سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ٤٤٤) .

قال ابن الجوزي : «كان أبو سعد المخرمي (مبارك بن علي البغدادي شيخ الجيلاني ، ت٥١٣هـ) قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج ، ففوضت إلى عبد القادر ، فتكلم على الناس بلسان الوعظ . . . ويتوب عنده في المجلس خلق كثير فعمر بالمدرسة ، ووسعت ، وتعصب في ذلك العوام ، وأقام فيها يدرس ويعظ إلي أن توفى» (المنتظم : ١٠/ ٢١٩ وعنه في السير : ٢٠/ ٤٤١) .

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٠٠ ، ٢٠٣) .

(٢) يراد بالمعرفة واليقين «معرفة وحدة الوجود» ، كما تقدم في ترجمة الغزالي من أقواله مفصلاً (تنبيه) : أحاله الأستاذ الندوي إلى «البداية والنهاية» ، وفيه ذكر خروج الغزالي من بغداد لا دخول الشيخ عبد القادر في بغداد .

(٣) شيوخ الشيخ عبد القادر الجيلاني كلهم علماء معروفون بطول باعهم في علوم شتى ، اللهم إلا الدباس فإنه كان قليل العلم أمياً لا يكتب ، قالوا : كان من أولياء الله أولى الكرامات قيل : كان يقبل النذر ثم تركه لقول النبي ﷺ : «إنه يستخرج من البخيل» (البخاري رقم ٦٦٩٣ ، ومسلم ١٦٣٩) ، ثم صار يأكل بالمنام (أي كان الرجل يجيء فيقول : قد رأيت في المنام : أعط حماداً كذا ، فاجتمع له أصحاب ينفق عليهم ما يفتح له) .

قال ابن الجوزي : «كان يتصوف ، ويدعي المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن ، وكان عارياً عن علم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ أبو الوفاء ابن عقيل .(١)

ـ ومحمد بن الحسن الباقلاني .(٢)

=الشرع ، ونفق على الجهال . كان ابن عقيل ينفر الناس عنه ، وبلغه عنه أنه كان يعطي المحموم لوزة وزبيبة ليبرأ ، فبعث إليه إن عدت لهذا ، ضربت عنقك» . ودافع عنه ابن الأثير في الكامل وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، أثنى عليه السخاوي خيراً . (سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٥٩٤ ، و«العبر» : ٢/ ٤٢٥ ، و«البداية والنهاية» : (١٢/ ٢١٧) ، («شذرات الذهب» : ٤/ ٧٣) .

من أقوال الدباس أنه قال :

« . . . وإن قال لك : اعبدني ، قل : وفّقني ، وإن قال لك وحدني . قل : اجذبني» (طبقات الشعراني : ١/ ١٣٥ ، وعنها في الكشف : ٣٩٤ـ ٣٩٥ ، وقال : لننتبه إلي ربطة التوحيد بالجذبة ، ونتذكر ماذا يعنون بكلمة التوحيد) .

(تنبيه) : ولم يترجم الأستاذ الندوي ـ هنا ـ من شيوخ الجيلاني إلا الدّباس والمخرِّمي لأن (الأول) كان معروفاً بالتصوف «كما تقدم» ، و(الثاني) أكمل الجيلاني الطريقة عنده ، وحصلت له الإجازة عنه ـ على حد قوله . وبهذا الاهتمام البالغ بالتصوف والمتصوفة دون غيرهم ، كانت سلسلة رجال الفكر (الصوفي) والدعوة (الصوفية) .

(١) هو : أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (ـ ٥١٣هـ) شيخ الحنابلة ، وصاحب التصانيف ومؤلف كتاب «الفنون» الذي يزيد على أربعمائة مجلد . وكان إماماً مبرزاً كثير العلوم خارق الذكاء ، مكباً على الاشتغال والتصنيف ، عديم النظير . . . أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال : أبي علي بن الوليد ، وأبي القاسم بن التبان ، صاحبي أبي الحسين البصري فانحرف عن السنة فأراد الحنابلة قتله ، ثم أظهر التوبة ، وكتب بخطه بالتبرى من موالاة أهل البدع ، وأشهد عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء كان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لامه بعض أصحابه ، فلا يلوي عليهم ، فلهذا برز على أقرانه ، وساد أهل زمانه في فنون كثيرة مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال وقد متع الله جميع حواسه إلى حسن موته (سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٤٤٣ ـ ٤٥١ ؛ والعبر : ٢/ ٤٠٠ـ ٤٠١ ، والبداية والنهاية : ١٢/ ١٩٧ وشذرات الذهب : ٤/ ٣٥ ـ ٤٠) .

(فائدة) : لأجل تأثر ابن عقيل بالمعتزلة ، وإقدامه على تأويل النصوص ، وانحرافه عن السنة أراد الحنابلة ـ وهو ينتمي إليهم ـ قتله حتى أظهر التوبة . وكتب بخطه بالتبري من موالاة أهل البدع .

أما الصوفية فمهما انحرف واحد منهم عن السنة ، وادعى المكاشفة وعلم الباطن ، ازداد ـ عندهم ـ كرامة وشرفاً . هذا هو الفرق بين السنة والتصوف . وشتان بين أهلهما ! !

(٢) هو : أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني البغدادي (ـ ٥٠٠هـ) الشيخ الصالح المحدث . كان كثير البكاء من خشية الله ، صبوراً على إسماع الحديث . (سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، والعبر : ٢/ ٣٨٠ ؛ وشذرات الذهب : ٣/ ٤١٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ وأبو زكريا التبريزي .(١)

ـ وأخذ الطريقة عن الشيخ أبي الخير(٢) حماد بن مسلم الدباس (وذكر في الهامش : قال الشعراني : «انتهت إليه رئاسة تربية المريدين ، وانتهى إليه معظم مشايخ بغداد ، وصوفيتهم في وقته(٣) ، توفى سنة ٥٢٥هـ) .

ـ وأكملها عند القاضي أبي سعيد المخرّمي . وحصلت له الإجازة عنه .

(ذكر في الهامش : هو المبارك بن علي بن الحسين . قال عنه ابن كثير : سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرّس . كان حسن السيرة ، جميل الطريقة سديد الأقضية . توفى سنة ٥١١هـ(٤)) (٥) .

الاستقامة والتحقيق :

---

(١) هو : يحيى بن علي التبريزي (ـ ٥٠٢هـ) الخطيب ، صاحب التصانيف ، أحد أئمة اللغة والنحو ، كان شيخ بغداد في الأدب ، قال ابن نقطة : ثقة في علمه ، مخلّط في دينه ، لُعَنة بلسانه . قيل : إنه تاب . (سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، والعبر : ٢/ ٣٨٤ ؛ والبداية والنهاية : ١٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣ ، وشذرات الذهب : ٤/ ٥ ـ ٦) .

(٢) هو : أبو عبد الله الرحبي الدباس (ـ ٥٢٥هـ) ، لم تذكر كنيته بأبي الخير في المصادر المذكورة في ترجمته المتقدمة آنفاً .

(٣) نقله في الهامش عن الشعراني ، لتلميع الدباس كمتصوف . كما تقدم ، أيضاً قوله الدال على اعتقاده بوحدة الوجود آنفاً .

(٤) ما نقل عن المخرمي ـ ههنا ـ فيه ثلاثة أخطاء :

(الأول) : كنيته أبو سعد ، وليست أبا سعيد . (السير : ١٩/ ٤٢٨ ، العبر : ٢/ ٤٠٢ ، البداية والنهاية : ١٢/ ١٩٨ ، وشذرات الذهب : ٤/ ٤٠ ـ ٤١) .

(الثاني) : في «البداية» ، «جميل الطريق» ، لا «الطريقة» ـ على وزن الحقيقة ـ ، وهي في الشذرات .

(الثالث) : وفاته في سنة ٥١٣هـ ، ليت في سنة ٥١١هـ ، ومنشأ الخطأ هنا هو عدم الانتباه لكلام ابن كثير ، إنه قال : «وناب في القضاء . . . ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة . وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة وتوفى في المحرم من هذه السنة . . .» [أي السنة التي أورد فيها ترجمته ، وهي سنة ٥١٣هـ] (البداية والنهاية : ١٢/ ١٩٨) .

(٥) رجال الفكر والدعوة : (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الأستاذ الندوي :

«وقد اتجه التصوف في القرن الخامس اتجاهاً فيه الاستقلال الذي قد ينتهي إلى الانفصال عن الشريعة ، وأصبح ـ أو كاد يصبح ـ مؤسسة أو مدرسة قائمة بنفسها ، لا تتصل بالشريعة إلا اتصالاً شكلياً(١) ، وشاعت شطحات الصوفية (٢) ودعاوي الوصول إلى الحقيقة والنهاية التي تسقط فيها الفرائض والتكاليف الشرعية ، وظهرت نزعة «وحدة الوجود» (٣)وبدأت الفوضى في بعض زوايا الصوفية ؛ فكان

(١) كان التصوف من بداية أمره مدرسة منفصلة عن الشريعة في كثير من الأمور ، فله رموزه وإشاراته ، وألغازه واصطلاحاته ، وعرضه الصوفية شيئاً مستقلاً عما جاء به الكتاب والسنة ، ولكن لا يبوحون بالأسرار حتى لا يحكم عليهم بالردة والكفر والزندقة . كما قال قائلهم :

ولولا اللغز كان القول كفراً   وأدى العـالمين إلـى الفساد

فدولة التصوف مستقلة عن دولة الشريعة . قال ابن عربي :

« . . . كما أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا ، واستحبوا أموراً لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر ، فكذلك العارفون أوجبوا أموراً وحرموا وكرهوا واستحبوا أموراً في دولة الأعمال الباطنية ، فالاجتهاد دوافع في الدولتين . . .» (اليواقيت والجواهر : ١٤ ـ ١٩ ، وعنه في الكشف : ص٨٦ ، وقال : «فالمجتهدون استنبطوا أحكاماً من النصوص وهي موافقة لكليات الشريعة الإسلامية ، بينما هؤلاء «العارفون» أوجدوا ـ عن طريق الكشف ـ عقائد لا تمت إلى الإسلام بصلة . . .») وسيأتي التصريح بالرموز والإشارات التي يتواصى الصوفية بكتمانها عن غير أهلها .

(٢) وادي التصوف شائك خطير ، لا ينجو السالك فيه من المخالفات العقدية والعملية . أما التزكيات والدعاوي والشطحات فحدِّث عنها ولا حرج . هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يوصف بالاستقامة ، قد بلغته شظايا شطحاتهم فقال ما لا ينبغي أن يقول ـ إن صَحَّ عنه ـ ، ومن شطحاته :

١ ـ قال : «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله» . . . قال ابن رجب أحسن ما قيل في هذا الكلام ما ذكره السهروردي في عوارفه أنه من شطحات الشيوخ . . .» (شذرات الذهب : ٤/ ٢٠٠) .

٢ ـ وكان يقول : «أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي ، يخفف الله عنه العذاب يوم القيامة» (الغنية (ترجمة المؤلف) : ص٤ ، وعنها في الكشف : ص٤٩١) .

٣ ـ قال السهروردي «تلميذه» : «قال له بعض الصالحين : لم تزوجت؟ فقال : ما تزوجت حتى قال لي الرسول ﷺ تزوج . فقال له ذلك الرجل : الرسول ﷺ يأمر بالرخص ، وطريق القوم التزام بالعزيمة ، فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه . . .» (العوارف : ص١٥٤) .

(٣) ظهرت نزعة وحدة الوجود ، ولا تزال توجد في زوايا الصوفية ، حتى السلسلة القادرية التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر لا تخلو من هذه النزعة ، وستأتي من كتابات الشيخ الجيلاني نفسه ـ إن صحت عنه =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ عبد القادر من أكبر المعارضين لهذا الاتجاه الثائر ، ومن أكبر الدعاة إلى إخضاع «الطريقة» للشريعة ، والتمسك بالكتاب والسنة وتحكيمهما في جميع الأحوال والأعمال ، وقد استطاع بقوة شخصيته وبإخلاصه وعلمه القوي ، أن يمنع هذا الاتجاه الخطير ، ويرجع بالتصوف إلى ما كان عليه في العصر الأول»[1] .

=ـ ما يشير إلى وحدة الوجود .

أما قول الأستاذ الندوي : «فكان الشيخ عبد القادر من أكبر المعارضين لهذا الاتجاه الثائر» فيحتاج إلى دليل من الواقع ، لأن الجيلاني في كتاباته الصوفية ترك منافذ للدخول في متاهات وحدة الوجود وغيرها من مخالفات الصوفية .

ألقاني في اليم مكتوفاً وقال لي   إيـاك إيـاك أن تبتل بالمـاء

هذا ، وقد أيد الأستاذ الندوي نفسه فكرة وحدة الشهور التي قدمها الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي إزاء عقيدة وحدة الوجود ، (وسيأتي التفصيل عنها في محلها إن شاء الله) .

قال أحمد زيني الدحلان (وهو الشاهد من أهله) : «وسئل والد الشيخ محمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود ، فقال : يقتل هذا المرتد ، وترمى جيفته للكلاب ، لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً ، وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى ، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى . . .

فمن زعم أن وحدة الوجود غير وحدة الشهود لم يشم رائحة معنى الوحدة ، فوحدة الوجود ترجع إلى وحدة الشهود غير حلول ولا اتصال ، هذا هو القول الحق» (التصوف عند المستشرقين لأحمد الشرباطي : ص٧٩ ـ وعنه في الكشف : ص٧٩) .

(١) كان التصوف منذ نشأته يحيطه الكثير من الغموض . وجاء الشيخ عبد القادر الجيلاني فلم يغير شيئاً من الواقع القائم حينئذ . وكتاباته في التصوف ـ مثل كتابات غيره من المتصوفة ـ تحتوي على مصطلحات ورموز وإشارات وألغاز ، يتواصون بكتمانها عن غير أهلها ، حتى لا تنكشف أسرارهم .

وإليكم بيانها من أقوال القدامي من الصوفية والمحدثين :

* قال أبو الحسن أحمد بن محمد النوري البغدادي (ـ ٢٩٥هـ) مخاطباً الجنيد : «يا أبا القاسم غششتهم فأجلسوك على المنابر ، ونصحتهم فرمونى على المزابل» (التعرف لمذهب أهل التصوف : ١٤٦ ، وعنه في الكشف : ٢٢) .

* وقال الجنيد (ـ ٢٩٧هـ) للشبلي (ـ ٣٣٤هـ) : «نحن حبرنا هذا العلم تحبيرا ، ثم خبأنا في السراديب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ» . فقال : «أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري» (التعرف لمذهب أهل التصوف : باب ٦٥ ص١٤٥ ، وعنه في الكشف : ٩١٨) .

* وقال الحسين بن منصو الحلاج المصلوب (ـ ٣٠٩هـ) : « . . . من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا» (أخبار الحلاج : ص٥٧ ، وعنه في الكشف : ص٢١) .

* قال أبو طالب محمد علي الحارثي (ـ ٣٨٦هـ) : « . . . فتفصيل معاني التوحيد من شواهد الناظرين =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ونقل الأستاذ الندوي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قوله :

=أضيق الضيق ، وشهادة الجمع في التفرقة ، والبقاء في الفناء أخفى ، وشرح غريب عن الأسماء ينكر أكثره أكثر من سمعه غير أن من له نصيب منه يشهد ما رمزناه ، فيكشف ما أعطيناه . (قوت القلوب : ٢/ ٨١ ، وعنه في الكشف : ٢٥) .

* وقال محمد بن إبراهيم الكلاباذي (ـ ٣٨٠ أو ٣٩٠هـ) : «إن للقوم عبارات تفردوا بها ، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم . . . وإنما نقصد في ذلك معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة . فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف ، وأمّا كُنْهُ أحوالهم ، فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة» (التعرف : ص ١١١) .

* وقال أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ـ ٤٠٠ ـ ٤٠٧هـ) : رسالة «يا هذا ثاكلاً فنح على ما أصبت به ، وإن كنت مكروباً بالسر فبح فلعلك تشفي غليلك فيه .» (الإشارات الإلهية : ص٤٨) .

* وقال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ـ ٤٦٥هـ) : « . . . وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينها ، قصدوا بها الكشف عن معاينهم لأنفسهم ، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم» (الرسالة القشيرية : ص ٣١) .

* وقال أبو حامد الغزالي (ـ ٥٠٥هـ) : « . . . وليس كل سر يكشف ويفشى ، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى ، بل صدور الأحرار قبور الأسرار ، ولقد قال بعض العارفين : «إفشاء سر الربوبية كفر» . . فاقنع بإشارات مختصرة ، وتلويحات موجزة» (مقدمة مشكاة الأنوار ، وعنها في الكشف : ص ٣٠) .

* وقال أبو عبد الله الدباس (ـ ٥٢٥هـ) شيخ الجيلاني : «البكاء من بقيه الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه ، وفهم . وهو عزير الفهم ، عزير الوجود» . (العوارف : ص ١٨١) .

* وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني (ـ ٥٦١هـ) : « . . . .هم (أي الواصلون) أبداً في سرادق القرب ، فإذا جاءت نوبة الحكم كانوا في صحن الحكم . وإذا جاءت نوبة الخروج كانوا على الباب يأخذون القصص من الخلق يصيرون وسائط بينهم وبين الحق عز وجل ، هذه أحوالهم ولكن من الحال ما يكتم .» (الفتح الرباني : ص٢٠٠ ، وعنه في الكشف : ص٤٥) .

* وقال يحيى بن حبش السهروردي المقتول (ـ ٥٨٧هـ) :

وبالسر إن باحوا تباح دماءهم وكذا دماء البائحين تباح

(التصوف في الإسلام : «لعمر فروخ» : ص١١٥ ، وعنه في الكشف : ص٥٣) .

*وقال أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري المغربي (ـ ٥٩٤هـ تقريباً) :

وفي السر أسرار دقاق لطيفة تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

(الفتوحات الإلهية : ص٤٥ ، وعنها في الكشف : ص٥٠ ـ ٦٩) .

* وقال الشهاب السهروردي البغدادي (ـ ٦٣٢هـ) تلميذ الجيلاني : «ثم لما تقادم زمان الرسالة . . . واختلفت الآراء . . . تفرد طائفة بأعمال صالحة . . . فأثمر لهم صالح الأعمال . . . فصار لهم بعد =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه، ويدك في يد الرسول ﷺ. اجعله وزيرك ومعلمك. دع يده تزينك، وتمشطك، وتعرضك عليه» (١).

=اللسان لسان، وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان . . . فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها، وإشارات يتعاهدونها، فحرروا لأنفسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها، وتعرب عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف، حتى صار ذلك رسما مستمراً، وخبراً مستقراً في كل عصر وزمان . . .» (العوارف: ٦٤ ـ ٦٥) وسيأتي عن السهروردي ما يكفي إن شاء الله.

* وقال عمر بن الحسن المصري المعروف بابن الفارض (ـ ٦٣٢هـ):

وإن أودعوا سراً رأيت صدورهم   قبوراً لأسرار تنزه عن نقل

(ديوان ابن الفارض: ص٩١، وعنه في الكشف: ص٥٢).

* وقال ابن عربي: يحيى بن محمد بن علي الطائي (ـ ٦٣٨هـ): «وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو، فغوره بعيد، والتلف فيه قريب . . .» (رسائل ابن عربي: كتاب الفناء: ص٣، وعنها في الكشف: ص٥٤).

هؤلاء هم رموز التصوف في العصر الأول والآخر، فأين أثر التغيير والإصلاح الذي قام به الشيخ عبد القادر في مفاهيم التصوف وأما بعد ابن عربي فبدأ التصوف ينحى منحى خطيراً أكثر مما كان عليه من قبل، لأن أهله بدأوا يجاهرون بما كان عندهم من الحلول والاتحاد، ويدافعون عن أهله على رؤوس الأشهاد. وما حصل من المناقشات والمناظرات بين شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على ابن عربي، وبين أنصاره في الحلول والاتحاد، ليس عنكم ببعيد.

تواصي الصوفية بكتمان هذه الأسرار دائماً، وإذا اضطروا إلى التعبير عنها فلجأوا إلى رموز وإشارات وألغاز لئلا تقطع رقابهم كفراً وردة هذه هي أساليبهم في نشر أفكارهم وعقائدهم وهذه هي شهاداتهم بأنفسهم على أنفسهم. معاذ الله أن نفتري عليهم. والله يعلم النيات والسرائر. (الكشف: ١٧ـ ٨٨).

(١) الفتح الرباني: المجلس الرابع والأربعون، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢٠٩).

(ملاحظة): إليكم بعض النصوص من كتاب الجيلاني هذا نفسه في هذا الموضوع ـ إن صحت عنه ـ لنرى التناقض الواضح، والغموض المحير في عباراته، إنه قال:

١ ـ « . . . إذا قال لك القلب: «لا» فهو حرام، وإن قال: «نعم» فهو حلال، وإن سكت فلم يقل: «نعم» ولا «لا» فهو شبهة . . .» (الفتح الرباني: ص٣٥٧).

طار الجيلاني ـ في هذا النص ـ بجناحي القلب، لا بجناحي الكتاب والسنة، وجعله وزيره ومعلمه غير النبي صلى الله عليه وسلم. ليتبين الأمر تماماً، دقق في النص الآتي.

٢ ـ وقال: « . . . فانظر إلي وزيريك: الكتاب والسنة، خذ مشورتهما، فإن أفتياك توقف، لا تستعجل، لا تشر، استفت نفسك، وإن أفتاك المفتون. النفس إذا جاهدتها وخالفتها انسكبت مع =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقال الشيخ عبدالقادر :

«تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ، ثم تدلى فيه صورة تناديني : يا عبد القادر ! أنا ربك ! وقد حللت لك المحرمات ، فقلت : اخسأ يا لعين ! فإذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبني : يا عبد القادر ! نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقلت : لله الفضل ، فقيل له : كيف علمت أنه شيطان؟ قال : بقوله : قد حللت لك المحرمات»(١) .

=القلب ، صار شيئاً واحداً . . .» (الفتح الرباني : ص ٣٧٠) ، وعنه في الكشف : ص ٤٩١ ، وقال : «وللعلم : قائل هذا الكلام هو عبد القادر الجيلاني . . . وهو يقرّر أن عليك ألا تلتزم بالكتاب والسنة ، وإن تستشيرها فقط ، ثم تعود إلى مشورة قلبك؟ أرجو من القارئ أن يبحث عن حكم الإسلام في هذا .) .

يوجد في كتابات الشيخ عبد القادر ـ إن صحت عنه ـ الشيء الكثير من مثل هذه التناقضات التي تحير القارئ ، بل وتوقعه أحياناً في متاهات التصوف . وما سببه إلا الاعتماد على الكشف والمجاهدة والرياضة في تقرير كثير من الأمور .

* وأما قوله : « كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهو زندقة» . فقد قال الشيخ الجيلاني نفسه وفي الكتاب نفسه : « . . . هم (أي الواصلوان) أبداً في سرادق القرب . فإذا جاءت نوبة الحكم كانوا في صحن الحكم . وإذا جاءت نوبة الخروج كانوا على الباب يأخذون القصص من الخلق ، يصيرون وسائط بينهم وبين الحق ـ عز وجل ـ هذه أحوالهم ، ولكن من الحال ما يكتم» . (الفتح الرباني : ص ٢٠٠ ، وعنه في الكشف : ٤٥ ـ ٤٦) أي شريعة تشهد لهذه الحقيقة؟ .

(١) الطبقات الكبرى للشعراني : ص١٢٧ ، وعنها في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢١٠) .

(ملاحظة) : يظهر من هذا الحادث أن الشياطين لهم شغل خاص بإضلال أهل الطرق الصوفية ، لأنهم أسهل تناولاً من غيرهم ، لأجل اغترارهم بمجاهداتهم ومقاماتهم وكشوفاتهم المتعرية عن العلم بالكتاب وصحيح السنة . ولا ريب أن الشيخ عبد القادر الجيلاني نجا من هذا المقام الخطير الذي ضل فيه سبعون من أهل الطريق (على حد قول الشيطان) ، بعلمه بالكتاب والسنة . ولكنه حينما تغاضى عن هذا العلم ، واعتمد على كشفه ومقامه فأخطأ حيث جعل الواصلين من الصوفية شركاء الله في صحن الحكم ، ووسطاء بينه وبين الخلق على الباب ، ونسب إليهم هذا التصرف في أمور العباد . وقال : «هذه أحوالهم ولكن من الحال ما يكتم» ـ (كما تقدم آنفاً) . فهذا خلاف العلم المبتنى على الكتاب والسنة . وفيه مخالفة صريحة لما في الكتاب : ﴿ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا .﴾ [الكهف : ٢٦] .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التفويض والتوحيد :

قال الأستاذ الندوي :

«كانت قدمه ـ رحمه الله ـ على التفويض ، والموافقة مع التبرى من الحول والقوة[1] ، كان الشيخ عدي بن مسافر[2] يقول :

«كان الشيخ عبد القادر ـ رضي الله عنه ـ طريقته الذبول[3] ، تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح»[4] .

وقد جاهد في ذلك نفسه مجاهدة شديدة يقول في مقالة : جاهدت نفسي في ترك الاختيار والإرادة حتى حصل لي ذلك ، فصار القدر يقودني ، والمنة

---

(١) أي مع القول بأن : لا حول ولا قوة إلا بالله . هذا هو الزهد في الإرادات وسيأتي التفصيل عنه قريباً إن شاء الله تعالى .

(٢) هو : عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري (ـ ٥٥٥ ، أو ٥٥٧ ، أو ٥٨٥هـ) تلميذ الجيلاني شيخ الطائفة العدوية . [وقد تطورت هذه الطريقة ، وأتباعها اليوم هم «اليزيديون» عبدة الشيطان بشمالي العراق] ، أصله من البقاع غربي دمشق من قرية «بيت نار» ، ثم دخل في بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر ، والشيخ حماد الدباس ، والشيخ عقيل المنبجي ، وأبي الوفاء الحلواني ، وأبي النجيب السهروردي وغيرهم . ثم انفرد عن الناس ، وتخلى بجبل «هكار» وبنى له هناك زاوية ، اعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى منهم من يغلو غلوا كثيرا منكراً ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً . هذا اعتقاد فاحش يؤدي إلي الخروج من الدين جملة . (البداية والنهاية : ١٢/ ٢٦١ = في حوادث سنة ٥٥٥هـ) .

وقال الذهبي : « . . . ولأصحابه فيه عقيدة تتجاوز الحد» (العبر : ٣/ ٢٨ = في حوادث سنة ٥٥٧هـ) وقد نسبوا إليه كشوفات وكرامات فيها شرك واضح وكفر بواح (شذرات الذهب : ١٧٩ ـ ١٨٠ = حوادث سنة ٥٥٧هـ) ـ أرى أن اهتمامه بالكشوف والكرامات ، وادعاؤه لها من غير الاعتماد على الكتاب والسنة ، هو الذي جعل مريديه يعمهون في غيهم حتى وصل الأمر إلى أنهم جعلوا الشيطان إلهاً يعبد . فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(٣) الذبول : هو« انتقاص حجم الجسم بسبب ما ينفصل عنه في جميع الأقطار على نسبة طبيعية» (التعريفات للجرجاني : ١٤٣) .

(٤) هذا قوله في الشيخ عبد القادر . والشيخ عبد القادر أيضاً كان يثني عليه كثيراً ، ويشهد له بالسلطنة على الأولياء . (شذرات الذهب : ٤/ ١٨٠) مثل هذه التزكيات يجعل أهل الطرق يعتقدون في مشايخهم ما لا ينبغي اعتقاده إلا في الله ـ عز وجل ـ . كالنفع والضر والتصرف في الكون وهلم جرا .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تنصرني والفعل يحرّكني ، والغيرة تعصمني ، والإرادة تطيعني ، والسابقة تقدّمني ، والله عزّ وجلّ يرفعني .» (١) .

ثم قال الأستاذ الندوي :

«وقد تجلّى هذا الذوق وهذا الاتجاه في كلامه واضحاً قوياً ، وقد وصف رجلاً تجرد عن إرادته واختياره ، واستسلم للقضاء وإرادة الله سبحانه وتعالى ـ وإنما يعني نفسه ـ يقول رحمه الله ـ :

---

(١) الفتح الرباني : المجلس الثالث والأربعون ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢١٠)

(توضيح) : الزهد في الإرادات لا يخلو من أحد أمرين :

ـ إما أن يكون المراد به ترك إرادة ما تهواه النفس فهو «طريقة شرعية صحيحة» .

ـ وإما أن يكون المراد به ترك الاختيار والإرادة مطلقاً ، فيكون معناه الوقوف مع الإرادة الخلقية القدرية مطلقاً ، وهو غير مقدور عقلاً ، ولا مأمور شرعاً ، وذلك لأن من الحوادث ما يجب دفعه ، ولا تجوز إرادته . . . وأما الامتناع عقلاً ، فإن الإنسان مجبول على حب ما يلائمه ، ويغض ما ينافره . وعلى هذا ، خلو الإنسان عن الإرادة مطلقاً ممتنع . . . وهذا موضع يغلط فيه كثير من خاصة «السالكين» وشيوخهم ، فضلاً عن عامتهم . . .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد ما أول مثل هذا الكلام للشيخ عبد القادر ، وحمله على محمل حسن ـ : «هذا الموضع يلتبس على كثير من السالكين فيظنون أن الطريقة الكاملة أن لا يكون للعبد إرادة أصلاً ، وأن قول أبي يزيد : «أريد أن لا أريد ـ لما قيل له : ماذا تريد؟ نقص وتناقض ، لأنه قد أراد ، ويحملون كلام المشايخ الذين يمدحون بترك الإرادة على ترك الإرادة مطلقاً ، وهذا غلط منهم على الشيوخ المستقيمين ، وإن كان من الشيوخ من يأمر بترك الإرادة مطلقاً ، فإن هذا غلط ممن قاله ، فإن ذلك ليس بمقدور ولا مأمور .

فإن الحي لابد له من إرادة ، فلا يمكن حياً أن لا تكون له إرادة . فإن الإرادة التي يحبها الله ورسوله ، ويأمر بها أمراً يجاب أوأمر استحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة ، وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركاً لما هو خير له .

والله تعالى قد وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة ، فقال تعالى :

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . . .﴾ [الأنعام : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ [الإنسان : ٩] . وقال تعالى : ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ [الإسراء : ١٩] (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٤٨٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«إذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولاً في نفسه بنفسه ، فإن لم يتخلص منها استعان بغيره من الخلق ـ إلى أن قال ـ ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة ، استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء ، والافتقار مع الخوف منه والرجاء ، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء ولم يجبه ، حتى ينقطع عن جميع الأسباب ، فحينئذ ينفذ فيه القدر ، ويفعل الفعل ، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات [1] ، فيبقى روحاً فقط ؛ فلا يرى إلا فعل الحق عز وجل ، فيصير موقناً موحداً ضرورة ، ويقطع أن لا فاعل على الحقيقة إلا الله [2] ؛ ولا محرك ولا مسكن إلا الله ، ولا خير ولا شر ، ولا ضر ولا نفع ، ولا عطاء ولا منع ، ولا فتح ولا غلق ، ولا موت ولا حياة ، ولا عز ولا ذل ، ولا غنى ولا فقر إلا بيد الله ، فيصير حينئذ كالطفل الرضيع في يد الظئر ، والميت

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «والرضا الثابت بالنص هو أن يرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً . . . . وأما بالنسبة إلى القدر فيرضى عن الله إذ له الحمد على كل حال . . . هذا هو موضع يغلط فيه كثير من خاصة «السالكين» وشيوخهم فضلاً عن عامتهم ، ويتفاوتون في ذلك بحسب معرفتهم بالأمر الشرعي وطاعتهم له . فمنهم من هو أعرف من غيره بالأمر الشرعي وأطوع له . . . ومنهم من يبعد عن الأمر الشرعي ويسترسل حتى ينسلخ من الإسلام بالكلية ، ويبقى واقفاً مع هواه والقدر . ومن هؤلاء من يموت كافراً ومنهم من يتوب الله عليه ، ومنهم من يموت فاسقاً ، ومنهم من يتوب الله عليه .

وهؤلاء ينظرون إلي الحقيقة القدرية معرضين عن الأمر الشرعي . . . إذ الاسترسال مع القدر مطلقاً ممتنع لذاته لما تقدّم من أن العبد مفطور على محبة أشياء وبعض أشياء» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٤٨٥) .

(٢) هذا هو الغلو في القدر وإثباته الذي ذهبت إليه «الجبرية» ، وإنهم يقولون : إن العبد مجبر علي ما يصدر منه ، لا اختيار له فيه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «العباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى : ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير : ٢٨ ـ ٢٩] .»

قوله : «العباد فاعلون حقيقة» رد على الجبرية لأنهم يقولون : إن العباد ليسوا فاعلين حقيقة ، وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز .

وقوله : «والله خالق أفعالهم» رد على القدرية النفاة ، لأنهم يقولون : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، وإنما هم خلقوها استقلالاً دون مشيئة الله وتقديره لها . (العقيدة الواسطية لابن تيمية ، مع شرحها للشيخ صالح بن فوزان الفوزان : ١٧٥ ـ ١٧٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الغسيل في يد الغاسل (١) والكرة في صولجان الفارس ، يقلب ويغير ويبدل ويكون ، ولا حراك به في نفسه ولا في غيره ، هو غائب عن نفسه في فعل مولاه ؛ فلا يرى غير مولاه وفعله ولا يرى سواه (٢) لا يسمع ولا يعقل من غيره ؛ إن أبصر فلصنعه أبصر ،

---

(١) «وأمّا كونه هو من أفعاله الاختيارية يصير مستسلماً لما يستعمله القدر فيه : كالطفل مع الظئر ، والميت مع الغاسل ، فهذا ما لم يأمر الله به ولا رسوله ، بل هذا محرم ، وإن عفى عن صاحبه ، وحسب صاحبه أن يعفى عنه لاجتهاده وحسن قصده .

أما كونه يحمد على ذلك ، ويجعل هذا أفضل المقامات ، فليس الأمر كذلك . وكونه مجرداً عن هواه ليس مسوغاً له أن يستسلم لكل ما يفعل به . . .» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٥٣٧ ، ٤٨٥) .

(٢) وقال الشيخ عبد القادر أيضاً : « . . . فإذا تحقق عندكم العمل ، رأيتم القدرة ، فحينئذ يجعل التكوين في أيدي قلوبكم وأسراركم ، إذا لم يبق بينك وبين الله حجاب من حيث قلبك ، قدرك على التكوين وأطلعك على خزائن سره ، وأطعمك طعام فضله ، وسقاك شراب الأنس ، وأقعدك على مائدة القرب منه ، وكل هذا ثمرة العلم بالكتاب والسنة اعمل بهما ولا تخرج عنهما ، حتى يأتيك صاحب العلم ، الله عز وجل ، فيأخذك إليه ، إذا شهد لك معلم الحكم بالحذق في كتابه ، نقلك إلى كتاب العلم ، فإذا تحققت فيه أقيم قلبك ومعناك ، والنبي في صحبتهما آخذ بأيديهما ، ويدخلهما إلى الملك ، ويقول لهما : ها أنتما ربكما» (الفتح الرباني : ص٢١٧ ، وعنه في الكشف : ١٢٨ ، وقال : «أرجو الانتباه إلى حدود العمل بالكتاب والسنة «حتى يأتيك صاحب العلم» .)

وقال أيضاً : « . . . ويكون «أي العارف أو الواصل» نائب الرسول في المتابعة ، يترك ثم يؤخذ ، ثم يؤخذ ، يترك المتروك ويأخذ المأخوذ ، يضيء لك الأمر كفلق الصبح ، يجدد على العبد ثوبي الوجود تارة والفناء تارة ، يفتقد ، فيقبل الحق عليه ، وتارة يوجد ، فيخبو عن الحق «روى قلبي عن ربي . . .» (الفتح الرباني : ص٣٥٥ ، وعنه في الكشف : ص١٣٠ ، وقال :

«قبل الانتقال إلى كتاب آخر من كتب الشيخ ، يجدر الانتباه إلى قوله : يجعل التكوين في أيدي قلوبكم وأسراركم» ، و«قدرك على التكوين» ، وقوله في نص سابق : «فإذا جاءت نوبة الحكم كانوا في صحن الحكم» ، ثم عرض هذه الأقوال على الآية القرآنية الكريمة : ﴿ . . . ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ ، وقوله : «ها أنتما ربكما» ، طبعاً ، الأمر واضح ، إن الذي يعتقد أن مخلوقاً ما ، سواء كان إنساناً أو ملكاً ، يمكن له «التكوين» ، وأن يتصرف في الكون ، إنما هو كافر ، لأنه يناقض نص الآية الصريح .

ـ لكن ! همسة أهمسها في أذن القارئ : إنهم يؤولون ـ كما يقول الإمام الغزالي ـ النصوص المخالفة للكشف لتتفق مع كشفهم ! ! . وعليه فهم يؤولون هذه الاية ، ليصبح معناها : «إن كل من يحكم فهو الله» ، لأن الله لا يشرك في حكمه أحداً ، وبما أن هناك من يحكم ولو في أمر واحد ، إذن فهو الله ، لأن الحاكم هو الله وحده ، ولأنه لا يشرك في حكمه أحداً ؛ وطبعاً ، هذه هي وحدة الوجود») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وإن سمع وعلم ، فلكلامه سمع ، ولعلمه علم . . .»[1] .

(١) فتوح الغيب : المقالة الثالثة ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة : ١/ ٢١٠ ـ ٢١١) .
(**نظرات في هذه النصوص**) : قال الأستاذ محمود عبد الرؤف القاسم : «كل العبارات الدالة على وحدة الوجود في هذا النص ، مرت معنا فيما سبق ، مثل : «يفني العبد عن جميع الأسباب . .» ، و«يصير موحداً» ، و«لا فاعل إلا الله» ، و«غائب عن نفسه في فعل مولاه» . لكن أمامنا الآن عبارة جديدة هي : «فيبقى روحاً فقط» ، وكذلك المفردات المتلاحقة : «لا خير ولا شر ولا ضر . . .» ، والتي يفهم الصوفي والمتمرس بعباراتهم إلى ماذا ترمز وتشير ، وكذلك قوله : «فلا يرى غير مولاه وفعله» .
وقال الجيلاني : « . . . والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله ، لما رأي رب العزة في المنام فقال : كيف الطريق إليك؟ قال : اترك نفسك وتعال ، فقال : فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها . . .» (فتوح الغيب : ص٢٥)
* في هذا النص تزكية واضحة لأبي يزيد البسطامي ولمكاشفته ، وهذا يعني أنه يؤمن بعقيدة أبي يزيد ، وبالتالي يمكننا أن نكون موقنين أنه يتبنى أقواله التي مرت فيما سبق . كما يتبنى قوله في هذا النص ، الذي هو : «فانسلخت من نفسي . . .» ، والذي نعرف ، بعد قراءتنا لهذا الركام من أقوالهم وإشاراتهم ، أنه يعني به الانسلاخ من فكرة تفريق الخلق عن الحق ومن الشعور بها .
وقال الجيلاني : « . . . . فحينئذ يصير محقاً من أهل الحقيقة . . . وإن كنت في حالة «حق الحق» ، وهي حالة «المحو والفناء» ، وهي حالة الأبدال المنكسري القلوب لأجله ، الموحدين العارفين ، أرباب العلوم والعقل ، السادة الأمراء خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام . .» (فتوح الغيب : ص٢٨)
* ما يجب الانتباه إليه : قوله : «حق الحق ، المحو ، الفناء ، الموحدين ، العارفين ، خفراء الخلق وما بعدها . .» ، ومن لم يعرف معناها ومرماها فعليه البدء بقراءة الكتاب (أي «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» من أوله ، بوعي وحفظ» (الكشف : ١٣١ ـ ١٣٢) .
* أضف إلى ذلك بعض النصوص الأخرى من «فتوح الغيب» للجيلاني ، ليتجلى الأمر واضحاً .
ـ إنه قال : « . . . فبظاهره ينظر إلى ما في السوق ، وبقلبه ينظر إلي ربه عز وجل : إلى جلاله تارة ، وإلى جماله تارة أخرى» (فتوح الغيب : ص١٦٢)
وماذا في السوق حتى ينظر إليه في الظاهر ، وينظر إلي الله عز وجل بالقلب . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
ـ وقال أيضاً : « . . . ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه . . .﴾ [الجاثية : ١٣] ، فقال : «في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه ، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ، باطن بقدرته ، ظاهر بحكمته ، ظهر بصفاته ، وبطن بذاته . . . فهو باطن في غيبه ، وظاهر في حكمته وقدرته ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ . . .» [الشورى : ١١] (فتوح الغيب : ص١٦٥ ، وعنه في الكشف : ١٣٤ ـ ١٣٥ ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=وقال :

١ ـ نسبة هذا التفسير لابن عباس غير صحيحة .

٢ ـ يريد الشيخ أن يجعل ابن عباس يفسر . . . أن السماوات والأرض جميعاً هي من الله ، بمعنى هي جزء منه ! لذلك جعله (ناقلاً) يقول : «في كل شيء اسم من أسمائه ، واسم كل شيء من أسمائه» ـ ومعنى هذا واضح ـ فالشمس ـ مثلاً ـ هو من أسماء الله ! والقمر هو من أسمائه سبحانه ، وكذلك كل ما في السماوات والأرض ، مثل المريخ ، المشترى ، الثريا ، الهواء ، التراب . . . ومنها الدنسيات (جل الله وعلا علواً كبيراً) . وهنا نرى بوضوح أن هذه العبارات : « في كل شيء اسم من أسمائه ، واسم كل شيء من أسمائه . . .» تحمل نفس معنى قول قائلهم : «وما الكلب والخنزير إلا إلهنا» وقول الآخر : «ولا يهولنك صدور الكائنات الدنسية من سنخ القدسية» وما ماثلها مما ورد في هذا الكتاب ومما لم يرد .

ثم جعله يقول : «فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله» . وهذا واضح أيضاً . إنه يعني : إنك ، يا مخاطب ، بما أنك موجود بين الأشياء التي في الأرض ، من هواء وماء وتراب وأحجار وغيرها ، وفي السماوات ، وبما أنها كلها أسماء الله وصفاته وأفعاله ، إذن ، فأنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ! ! «ولا ننسى أن عبارة «أفعال الله» يعنون بها حركاته جل وعلا) .

وقوله : «ظاهر بصفاته . . .» ، يعني أن كل ما يظهر لنا ونراه ونلمسه هو صفات الله ! فهو ظاهر بها ، فالحجر ـ مثلاً ـ يحمل صفة الحجرية التي نراها وهذه الصفة الحجرية تحجب عنا حقيقة كونه من الذات !؟

وقال الجيلاني أيضاً : «يا هذا ، الفناء إعدام الخلائق ، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة ، ثم الفناء عن طبع الملائكة ، ثم لحوقك بالمنهاج الأول ، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك ، ويزرع فيك ما يزرع؟ ! (فتوح الغيب : ص١٧٠ ، وعنه في الكشف : ص١٣٥ ، وقال : «يفسر كلمة «الفناء» ، إنها إعدام الخلائق . . . ثم لحوقك بالمنهاج الأول ، فما هو المنهاج الأول؟ إنه القول الذي يكررونه «كان الله ولا شيء معه» هذا هو المنهاج الأول ! وسنراه فيما يأتي ، وقد مر معنا فيما سبق .»)

* **(الأقطاب والأبدال)** : لقد أظهر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الحلاج بمظهر المعلم الحكيم حتى عند الصلب حين قال : «قيل للحلاج حين صلب : أوصني ، قال : نفسك إن لم تشغلها ، وإلا شغلتك .» (الفتح الرباني : ص٣٦٠)

ـ وقال أيضاً : « . . . وإذا كان القطب اطلع على أعمال أهل الدنيا وأقسامهم وما تؤول أمورهم إليه ، ويطلع على خزائن الأسرار ، ولا يخفى عليه شيء في الدنيا من خير أو شر ، لأنه مفرد الملك ، بطانته ، نائب أنبيائه ورسله ، أمين المملكة ، فهذا هو العين القطب في زمانه . . .» (الفتح الرباني : ص٣٥٤) .

ـ وقال : « . . . ويكون «أي العارف أو الواصل» نائب الرسول في المتابعة يترك ثمّ يؤخذ ، ثم يؤخذ ، يترك المتروك ، ويأخذ المأخوذ ، يضيء لك الأمر كفلق الصبح ، يجدّد على العبد ثوبي الوجود تارة ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* هذا الكلام الرمزي ، والأسلوب الإشاري الذي نراه في أقوال الشيخ عبد القادر ، كان هو بارعاً فيه ، ولم يكن يفهمه حقاً إلا المتمرسون من أصحابه وأتباعه[(١)] . ولعل له ـ والله أعلم ـ في ذلك قصداً . ولهذا قال : «ولكن من الحال ما يكتم» [(٢)] ، وأما ما فعله الوزير جلال الدين عبد الله بن يونس البغدادي (ـ٥٩٣هـ) الفقيه الحنبلي ، من تخريب بيت الشيخ عبد القادر ، وتشتيت أولاده ، ونبش قبره ليلاً ، ورمي عظامه في «دجلة» ، معللاً بأنه وقف لا يحل أن يدفن فيه أحد» [(٣)] فهو أمر يحيطه كثير

=والفناء تارة ، يفتقد فيقبل الحق عليه ، وتارة يوجد ، فيخبر عن الحق «روى قلبي عن ربي . . .» (الفتح الرباني : ص٣٥٥)

ـ وقال أيضاً وهو يصف الجمال والجلال ، والبسط والقبض «يكشف للأولياء والأبدال في أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم ، فهي على قسمين : جلال وجمال ، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح . . . أما مشاهدة الجمال فهو تحلي القلوب بالأنوار والسرور والألطاف والكلام اللذيذ والحديث الأنيس والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية . . .» (الفتح الرباني : ص٢٢ ، وعنه في الكشف : ص٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، وقال : «وهو معنى قوله أيضاً الذي مر معنا : « . . وبقلبه ينظر إلي ربه عز وجل : إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى») .

(١) قال الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ـ ٥٦٢ أو ٥٦٣هـ) ـ وكان يوصف بسرعة الفهم ـ : « . . . مضينا لزيارته (أي الجيلاني) ، فخرج وقعد بين أصحابه ، وختموا القرآن ، فألقى درساً ما فهمت منه شيئاً ، وأعجب من ذا أن أصحابه قاموا ، وأعادوا الدرس ، فلعلهم فهموا لإلفهم بكلامه وعبارته» (سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ٤٤١ ، ٤٦٢) .

وقال إمام النحو أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي المعروف بابن خشاب النحوي (ـ ٥٦٧هـ) ـ وقد فاق أهل زمانه في علم اللسان ـ : « . . . فاتفق أني حضرت يوماً مجلسه ، فلما تكلم لم أستحسن كلامه ولم أفهمه . وقلت في نفسي : ضاع اليوم مني . فالتفت إلي ناحيتي . وقال : ويلك تفضل النحو على مجالس الذكر ، وتختار ذلك؟ اصحبنا نصيرك سيبويه» (السير : ٢٠/ ٤٤٩ ، ٥٢٣ـ ٥٢٤)

ولأجل هذا الرمز والإشارة في كلامه قال الأستاذ محمود القاسم : «عرفنا فيما سبق أن عبد القادر الجيلاني له أسلوب هو في القمة من حيث التعمية والإلغاز . . . مع العلم أن أسلوب عبدالقادر الجيلاني في الرمز واللغز لا يفوقه إلا أسلوب تلميذه عمر السهروردي» (الكشف : ص١٣٤) ، وسيأتي التفصيل عن السهروردي وكتابه «عوارف المعارف» قريباً ، إن شاء الله .

(٢) الفتح الرباني (ص٢٠٠ ، وعنه في الكشف : ص٤٥) وتقدم سياق الكلام آنفاً .

(٣) شذرات الذهب (٤/ ٣١٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

من الغموض ويحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق .

إحياء القلوب الميتة :

قال الأستاذ الندوي :

«اتفق المؤرخون على كثرة كرامات الشيخ عبد القادر ؛ قال الشيخ موفق الدين صاحب المغني : لم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر» .

«وذكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : «إنه لم تتوافر كرامات أحد من المشائخ إلا الشيخ عبد القادر ؛ فإن كراماته نقلت بالتواتر» . «وكذلك قال الشيخ ابن تيمية» (١) .

وقال الأستاذ الندوي :

«وكان الشيخ يعتقد ـ بحق ـ أنه مكلف بذلك مأمور به يقول في المجلس :

«سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق ، وجعله أكبر همي ! إني ناصح ولا أريد

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ، وجلاء العينين للآلوسي ، وعنهما في «رجال الفكر والدعوة» : ١/ ٢٠٦ .

(ملاحظة) : نقل الإمام الذهبي قولاً آخر لموفق الدين ابن قدامة (صاحب المغني) (ـ٦٢٠هـ) فقال : «قال الفقيه محمد بن محمود المراتبي قلت للشيخ الموفق : هل رأيتم من الشيخ عبد القادر كرامة؟ قال : لا أظن ، لكن كان يجلس يوم الجمعة ، فكنا نتركه ونمضي لسماع الحديث عند ابن شافع [أبو الفضل أحمد بن صالح الجيلي ت٥٦٥هـ كهلاً] ، فكل ما سمعناه لم ننتفع به . قال الحافظ السيف : يعني لنزول ذلك» (سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ٤٤٣) أي لنزوله في الحديث لأنه ولد سنة ٥٢٠هـ وتوفى ٥٦٥هـ ، وله خمس وأربعون سنة ، إلا أنه ـ كما قال الموفق ـ : كان إماماً ثقة حافظاً ، إماماً في السنة يقرأ قراءة مليحة بصوت رفيع . (السير : ٢٠/ ٥٧٢) .

ولا ريب أنه كان ذا أحوال صالحة ، يتكلم على الخواطر ، ولكن بين الحكاية والحقيقة بوناً بعيداً ، قال الذهبي : «ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر ، لكن كثيراً منها لا يصح ، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة» (السير : ٢٠/ ٤٥٠) . وقال ابن كثير : « . . . ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة . . .» (البداية والنهاية : ١٢/ ٢٧٠)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

على ذلك جزاء ؛ أجرتي قد حصلت لي عند ربي عز وجل ؛ ما أنا طالب دنيا ، ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة ، ولا ماسوى الحق عز وجل ، ما أعبد إلا الخالق الواحد الأحد القديم . فرحي بفلاحكم ، وغمي لهلاككم»[(١)] .

عقيدته :

كان الشيخ عبد القادر ـ رحمه الله ـ حنبلياً على عقيدة أهل السنة والجماعة في

---

(١) الفتح الرباني : المجلس السادس ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(تنبيه) : هذا الكلام في الظاهر في غاية من الروعة والجمال ، ولكن قوله : «ما أنا عبد الدنيا والآخرة» يحتاج إلى وقفة ، لأنه إذا قورن بأقواله الأخرى يظهر أن له معنى آخر قال : « . . . فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز وجل من باطنه : اترك نفسك وتعال ، اترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق ، واخلع نعليك «دنياك وآخرتك» ، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأماني بأسرها ، وتعرّ عن الجميع وافن عن الكل ، وتطيب بالتوحيد ، واترك الشرك ، وصدق الإرادة . . .» (فتوح الغيب : ص١٢٧) . وقال : «إلى متى المعاد؟ إلى متى الحق؟ إلى متى الهوى؟ إلى متى الرعونة؟ إلى متى الدنيا؟ إلى متى الأخرة؟ ! ! إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك والأشياء؟ المكون الأول الآخر الظاهر الباطن ، والمرجع والمصدر إليه» . (فتوح الغيب : ص١٤٤ ، وعنه في الكشف : ص١٣٢ وقال :

*** الملاحظات :**

قوله : اخلع نعليك : «دنياك وآخرتك» ، وقوله : إلى متى الآخرة؟ ! إذا خلعنا الآخرة ! فماذا بقي لنا؟ وماذا نفعل بعشرات الآيات التي تأمرنا بالإيمان بالله واليوم الآخر؟ ! وما معنى قوله سبحانه : ﴿ . . . لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . .﴾؟ ! وما معنى قوله : ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾؟ ! وما معنى قوله : ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ . وما معنى قوله سبحانه : ﴿ . . . والله يريد الآخرة﴾؟ ! وما معنى قوله سبحانه : ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ . وما معنى قوله سبحانه : ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ ، وقوله : ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ ، وقوله : ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ ، وقوله : ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾ ، وقوله :﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ ، وقوله : ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ ، وقوله : ﴿ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ . . . وغيرها وغيرها من الآيات .)

لعل سبب نشوء مثل هذه المخالفات في كلام الصوفية هو أنهم يفرقون بين الوصول إلى الجنة ، والوصول إلى الله . قال أبو علي الدقاق : «العبد يصل بطاعته إلى الجنة ، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى» (العوارف للسهروردي : ص٢٥٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصفات ، التي حمل لواءها الإمام أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله ـ إمام السنة .

ومن وصاياه لابنه عبد الوهاب ، في آخر حياته أنه قال :

« . . . التوحيد ، التوحيد جماع الكل . . . يمحوا الله ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب . ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون . أخبار الصفات تمر كما جاءت .»

ثم توفى ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ ، وهو يقول : «لا إله إلا الله محمد رسول الله .» (١)

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشيخ عبد القادر من المشايخ المستقيمين ، فيؤوِّل كلامه تأويلاً حسناً ، ويحمله على محمل حسن أحياناً ، ويرد عليه حيناً آخر (٢) .

وقال الذهبي : «وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن ، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه ، والله الموعد ، وبعض ذلك مكذوب عليه .» (٣) .

وقال ابن كثير :

« . . . وقد صنف كتاب «الغنية» ، و«فتوح الغيب» (٤) ، وفيهما أشياء حسنة وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة ، بالجملة كان من سادات المشايخ . . .»(٥) .

---

(١) آخر كتاب «فتوح الغيب» ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢١٣ ـ ٢١٥) .

(٢) راجع «مجموع فتاوي شيخ الإسلام» (١٠/ ٤٥٥ ـ ٥٤٩) شرح كلمات للشيخ عبدالقادر الجيلاني في «فتوح الغيب» .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٥١) . أما المآخذ فقد تقدمت نماذج منها آنفاً . وأما ما هو مكذوب عليه فهو بريئ منه وأمره إلى الله تعالى ، إلا أنه يجب الرد على ذلك ، لأنه معتمد ملايين البشر شرقاً وغرباً ، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ بعض التفاصيل عن تهالك الناس فيه . فنسأل الله السلامة والإيمان !

(٤) كان «فتوح الغيب» من مصادر الأستاذ الندوي في ترجمة صاحبه ، غير «الغنية» ، ولذا اعتمدنا على «الفتوح» فقط في النقل .

(٥) البداية والنهاية (١٢/ ٢٧٠) . وهل ابتعدت الأمة الإسلامية عن العقيدة الصحيحة الصافية إلا بالاعتماد على الضعاف والموضوعات ، التي شوهت جمال الإسلام ، ودفعت المسلمين إلى حضيض الذل والهوان في العقيدة والعمل ، والمنهج والسلوك؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* مكانته في التصوف :

ذكر الأستاذ الندوي مكانته في التصوف ، فقال[1] :

«إنه إمام شهير ، مؤسس السلسلة القادرية ، بل تاج تدوين هذا الفن على رأسه . .[2]

(١) لم ينشر الأستاذ الندوي هذه الدرر والنفائس عن السلسلة القادرية في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (وهو بالعربية) . ضناً بها على غير أهلها . وذكرها في طبعته الأردية المسماة «تاريخ الدعوة والعزيمة» (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣) ، وزد إلى ذلك أن الأستاذ الندوي نقل عن مرشده : الشاه محمد يعقوب ، عن الشاه أحمد سعيد في تفسير قوله تعالى : ﴿ . . . وأنهار من عسل مصفى . . .﴾ أنه قال : « . . . هذه نسبة قادرية . . .» (ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي : ص٨٥) ، وسيأتي التفصيل عن بقية الأنهار قريباً إن شاء الله .

(٢) قد غالى المنحرفون من المتصوفة في الشيخ عبد القادر الجيلاني مغالاة كثيرة ، حتى جعلوه «سيد السماوات والأرض» ، «والنفاع الضرار» والمتصرف في الأكوان . تعالى الله عما يشركون .
أنا لا أعجب من هؤلاء ، بل عجبي من أولئك «الأعلام» من الديونبدية التي عرفها الأستاذ الندوي بقوله : «هي عبارة عن أصحاب العقيدة السنية الصحيحة ، في التوحيد ، واتباع السنة ، والاجتناب عن البدع» (أضواء على الحركات : ٣٧ ـ ٣٨ تعليقاً) ، وهم وصفوا الشيخ الجيلاني بصفات لا ينبغي أن يوصف بها مخلوق ، وأطلقوا فيه إطلاقات لا يجوز إطلاقها إلا في حق الرب جل وعلاء ومنها :
* وصفهم الجيلاني بـ «الغوث» ، و«الغوث الأعظم» ، و«الغوث المطهر» ، و«غوث الثقلين» ، و«القطب الرباني» . (الشمائم الإمدادية لإمداد الله : ٤٢ ـ ٤٣ ، «والشهاب الثاقب» : ص٥٩ و«نقش الحياة» : ص١٠٦ كلاهما لحسين أحمد المدني ، و«فضائل الحج» لمحمد زكريا الكاندهلوي : ص١٣١) .
(الغوث) : هو «القطب حينما يلتجأ إليه ، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً» (التعريفات للجرجاني : ص٢٠٩) .
(القطب) : «وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم [وهو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية ، لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة ، أو المنع مما يوافقها الباطنة . (كشف الظنون : ٢/ ١٤٤)] من لدنه ، وهو يسري في الكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعظم . . . فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل . . .» (المصدر المذكور للجرجاني : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ـ «إلى آخر الكفر البواح» (جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية : ٣/ ٧٢٧ ـ ٧٢٨ مع التعليقات) .
(تنبيه) : مؤلفو تلك الكتب المذكورة التي وصف فيها الجيلاني بالغوث والقطب كلهم من أعلام =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=الديوبندية .

* فالحاج إمداد الله شيخ أوائل الديوبندية (أمثال الناتونوي مؤسس دار العلوم بديوبند ، والكنكوهي ، والتهانوي وغيرهم) في التصوف ، ووصفه الأستاذ الندوي بـ «شيخ العرب والعجم» (السرهندي : ص٣٢٩) ، وقال : بارك الله في طريقته وتربيته فانتشرت أنورهما في الآفاق ، وجدد به الطريقة الجشتية الصابرية ، وانتمى إليها ودخل في سلكلها كبار العلماء والفضلاء» (زيادة الندوي على نزهة الخواطر : ٨/ ٧١)

* والشيخ حسين أحمد المدني (رئيس هيئة التدريس في دار العلوم بديوبند سابقاً) ، وهو مرشد الدكتور عبد العلي الحسني (أخي الأستاذ الندوي الأكبر) ، وكان الأستاذ الندوي تلميذه وعلى صلة وطيدة به حتى وفاته ووصفه بالشيخ العالم المحدث ، الغيور على الشرع والسنة النبوية . كان لا يتحمَّل تفريطاً فيها ، يشدد الإنكار على من خالف السنة ، أو استخف بشعائر الإسلام . (أضواء على الحركات : ٢٩ ـ ٣٢ ، وسيرة الحياة : ١/ ١٢٤ ، ٤٣٧ الأردية) .

* والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (صاحب «المقرر التبليغي» المعروف بـ «تبليغي نصاب») يعرف بشيخ الحديث وريحانة الهند . وللأستاذ الندوي كتاب مستقل في سيرته .

* **كون الجيلاني في مرتبة «الألوهية»** : من شطحات الشيخ عبدالقادر : «الحكاية المعروفة عنه أنه قال : «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله» . قال ابن رجب : أحسن ما قيل في هذا الكلام ، ما ذكره السهروردي في «عوارفه» أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها ، ولا تقدح في مقاماتهم ومنازلهم . فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم» (شذرات الذهب : ٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)

ولكن الحاج إمداد الله «شيخ الديوبندية في التصوف» تلقف من هذا الشطح دليلاً للحكم في التفضيل بين الشيخ عبد القادر والشيخ معين الدين الجشتي [ـ ٦٣٣هـ] ـ مجدد الطريقة الجشتية في الهند ، [ستأتي ترجمة الأستاذ الندوي له قريباً إن شاء الله] ـ فجعل الجيلاني في مرتبة «الألوهية» ، والجشتي في مرتبة «العبودية» وإليكم ما قال الحاج إمداد الله : «لقد تناظر رجلان فقال أحدهما : إن الشيخ معين الدين الجشتي رحمة الله عليه أفضل من حضرة الغوث الأعظم [الجيلاني] قدس سره . وقال الآخر : إن حضرة الغوث المطهر [الجيلاني] أفضل من الشيخ [الجشتي] ؛ فقلت : لا ينبغي لنا أن نفضل بعض الأولياء على بعض ، وإن كان الله تعالى قال : ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ . فقال «مفضل الجيلاني على الجشتي» : لما قال حضرة الغوث المطهر [الجيلاني] : «قدمي على رقاب أولياء الله» ـ قال حضرة معين الدين [الجشتي] : «بل على عيني» . فثبت أفضلية الغوث [الجيلاني] [على الجشتي] [قال إمداد الله إمام الديوبندية] فقلت : هذا يدل على أفضلية حضرة معين الدين [الجشتي] على حضرة الغوث [الجيلاني] ؛ لأن حضرة الغوث [الجيلاني] في ذلك الوقت كان في مرتبة «الألوهية» وكان حضرة الشيخ [الجشتي] في مرتبة «العبودية» . [الشمائم الإمدادية : ٤٢ ـ ٤٣ ؛ وعنه في جهود علماء الحنفية : ١٢/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦ ـ وقال : «قلت : سبحانه وتعالى عن أن يكون معه أحد في مرتبة «الألوهية» !!! ، والغوثية؟؟؟ .

وأقول [أي صاحب «جهود علماء الحنفية»] : ما كنت أظن أن الديوبندية قد وصلوا في خرافاتهم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=القبورية الصوفية إلى حد التنصيص على «ألوهية» الجيلاني . ولكن تبين أن الديوبندية كمن قيل فيه :

«وكنت أرى زيداً كما قيل سيداً إذ أنه عـبد القفا واللـهازم»

(تنبيه) : كتاب «الشمائم الإمدادية» في إثبات وحدة الوجود ، ومؤلفه جاهر بها ، وصرح بأنها عقيدته وعقيدة جميع مشايخه ، وعقيدة جميع مريديه ، وذكر منهم الشيخ النانوتوي الإمام الأول للديوبندية ، والشيخ الكنكوهي الإمام الثاني لها . (٣١ ـ ٣٢)» .

بعد هذا كله زكاهم الأستاذ الندوي بأنهم «أصحاب العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد ، واتباع السنة ، والاجتناب عن البدع» (أضواء على الحركات : ٣٧ ـ ٣٨ تعليقاً) .

هذا الأسلوب من التزكية يجعلنا نحتار في تعيين مراده بالتوحيد والسنة والبدعة ، لأنه كثيراً ما ينسب المترجم له إلى إحدى السلاسل الصوفية ، ويذكر من كشوفاته وكراماته أحياناً ما قد يخالف هدي النبي ﷺ ، ثم قلما يفوته أن يعقب بأنه كان من أهل التوحيد ، متبعاً للسنة ، مجتنباً عن البدع ، معظماً للشريعة .

* وهاكم مثالاً واحداً (وستأتي الأمثلة الأخرى في حينها إن شاء الله) : نقل الأستاذ الندوي كتاب «تقوية الإيمان» للشاه إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (وهو مثل كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب في الإفادة والتأثير) إلى العربية وأسماه «رسالة التوحيد» ، وهو عمل جيد مفيد .

رد المؤلف في الكتاب على الأطعمة التي تصنع باسم غير الله ، ويقيد فيها بأنها يأكلها فلان وفلان ، ولا يأكلها فلان ـ إلى أن قال ـ :

«وإن الخبيص [الحلواء المخبوص] الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق ، لا يأكله من يستعمل «النارجيلة» [أي الشيشية] . . . وكل ذلك يتحقق منه الشرك ، ويسمى «الإشراك في العادة» وفي [رسالة التوحيد : العبادة] أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظماً ، لايليق إلا بالله» .

علق الأستاذ الندوي على اسم الشيخ عبد الحق فقال :

«يعني الشيخ عبد الحق الردولوي (ـ ٨٣٦هـ) ، من كبار المشايخ والمربين ، ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند . . . كان له شأن رفيع في التوحيد ، وتعظيم الشريعة ، والمحافظة على الفرائض والسنن ، ودعاء الخلق إلى الله ، والتجريد والتفريد» (رسالة التوحيد : ٤١ ـ ٤٤ مع التعليق ، وعنها في «جهود علماء الحنفية» : ١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، وقال : «قلت : إذا كان هذا الرجل الذي جعل إلهاً ، وجعل قبره وثناً ، من أئمة الصوفية الجشتية فماذا يكون توحيده ، وتجريده ، وتفريده؟

فالأسف على الندوي يتكلم بالتوحيد ، ثم يعظم أهل البدع ! وكم له من الطامات») .

والمراد في اصطلاح الصوفية بـ :

ـ (التوحيد) : هو وحدة الوجود . كما تقدم .

ـ (التجريد) : «إماطة السوى والكون على السر والقلب» . (التعريفات للجرجاني : ص٧٣)

ـ (التفريد) : «وقوفك بالحق معك ، هذا إذا كان الحق عين قوى العبد» (المصدر المذكور : ص٨٧)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومن أشهر من قام بدعوته بعده : شيخ الشيوخ أبو حفص شهاب الدين السهروردي (١) (ابن أخي أبي النجيب السهروردي) (٢) ، مؤسس الطريقة السهروردية (٣) . . . .

(١) هو : عمر بن محمد بن عبد الله التيمي البكري (٥٣٩ ـ ٦٣٢هـ) ابن أخي أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله الصوفي (٤٩٠ ـ ٥٦٣هـ) ـ أوحد الصوفية وشيخهم في بغداد ، وقدوة أهل التوحيد وصحب قليلاً الشيخ عبد القادر ، وولي عدة ربط للصوفية ، ونفذ رسولاً بين الخلفاء والملوك مراراً إلى عدة جهات : إلى الشام مراراً ، وإلى السلطان خوارزم شاه ، ورأى من الحرمة والجاه ما لم ير أحد ، وحصلت له أموال جزيلة ، ثم إنه أضر وأقعد ، ومع هذا ، فما أخل بالأوراد ، وحضور الجمع ، والمضي إلي الحج إلى أن دخل في عشر المأة وضعف فانقطع ، قال ابن كثير : «وفيها (أي سنة ٦٠٥هـ) عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاه الجيش ومعه أموال كثيرة أيضاً لنفسه ، وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً ، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الربط التي يباشرها ، ووكل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى منه خلق كثير .

فقال المحيي ابن الجوزي في مجلس وعظه : «لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها ، ولو ترك على ما كان تركها أولى به من تناولها ، وإنما أراد أن ترتفع منزلته ببذلها . ويعود على حاله كما كان مباشره لما بذلها» .

فليحذر العبد الدنيا فإنها خداعة غرارة تسترق فحول العلماء والعباد ، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم» . (البداية والنهاية : ١٣/ ٥٧) .

* ونقل الذهبي عن ابن النجار أنه قال : «وكان تام المروءة ، كبير النفس ، ليس للمال عنده قدر ، لقد حصل له ، ألوف كثيرة ، فلم يدخر شيئاً ، ومات ولم يخلف كفناً . . .»

توفى ببغداد في أول ليلة من سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . وفي ذريته فضلاء كبراء . . .» (سير أعلام النبلاء : ٢٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٧ ، والعبر : ٣/ ٢١٣ ، والبداية والنهاية : ١٣/ ٥٧ ، ١٤٩ ، وشذرات الذهب : ٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .

(تنبيه) : قال الذهبي : «وصحب قليلاً الشيخ عبد القادر» (سير أعلام النبلاء : ٢٢/ ٣٧٤) وهو عند الأستاذ الندوي : من أشهر من قام بدعوته بعده» .

(٢) هو : عبد القاهر بن عبد الله أبو النجيب الصوفي (٤٩٠ ـ ٥٦٣هـ) ، درس بالنظامية ، وابتنى لنفسه مدرسة ورباطاً . وكان مع ذلك متصوفاً ، يعظ الناس ، ودفن بمدرسته» (البداية والنهاية : ١٢/ ٢٧٣) .

(٣) ينتسب علماء الديوبندية إلى السلاسل الأربع في التصوف ، ومنها «السهروردية» أيضًا قال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ـ ١٣٤٦هـ) في كتابه «المهند على المفند» (٢٩ ـ ٣٠) : «ليعلم أولاً ـ قبل أن نشرع في الجواب : أنا بحمد لله ومشايخنا ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وجميع طائفتنا وجماعتنا . . . منتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية ، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجشتية ، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية ، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

.ومؤلف «عوارف المعارف»(١) (كتاب التصوف المشهور) .

=السادة السهروردية» .

(ملاحظة) : أرجو الانتباه إلي أمرين :

(الأول) : كتاب «المهند على المفند» لسان عقيدة الديوبندية وعليها توقيعات جم غفير من كبار علمائها وهو رد على كتاب «حسام الحرمين» لأحمد رضا البريلوي (رأس الطائفة البريلوية) ، والأسف أنه لا يوجد كبير فرق بين الديوبندية والبريلوية في كثير من الأمور العقدية ، ومن يشك في هذا ، فليراجع «المهند» ير العجب العجاب .

(الثاني) : مؤلف «المهند على المفند» ، وهو صاحب «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» ، قال فيه الأستاذ الندوي : «العالم الكبير ، العالم الفقيه . . . أحد العلماء الصالحين ، وكبار فقهاء المحدثين . . عين أستاذاً في «مظاهر العلوم» بسهارنفور ، ثم في دار العلوم بديوبند ، ثم انتقل إلى «مظاهر العلوم» ، وتولى رئاسة التدريس فيها ، ثم تولى نظارتها . . . نفع الله به خلقاً كثيراً . . . ونبغت بتربيته جماعة من أهل التربية والإرشاد . . . من أجلهم المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، صاحب الدعوة المشهورة المنتشرة في العالم [أي جماعة التبليغ] ، والمحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

وكان . . . شديد الاتباع للسنة ، نفوراً عن البدعة» (أضواء على الحركات : ٣٣ ـ ٣٦) .

(١) قال ابن النجار : «صنف في التصوف كتاباً يشرح فيه أحوال القوم ، وحدث به مراراً ـ يعني «عوارف المعارف» . (سير أعلام النبلاء : ٢٢/ ٣٧٦) .

وقال الشهاب السهروردي (مؤلف العوارف) : «وهذا المختصر المؤلف يحتوي على علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ، ويجعله حجة لنا لا حجة علينا . وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون ، وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون . وهي علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان ، كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه» (العوارف : ص٣٧) .

* ههنا تنبيهان :

(الأول) : سمى السهروردي علماء الكتاب والسنة علماء الدنيا ، وزكى الصوفية ـ وهو منهم ـ بأنهم علماء الآخرة ، والله تعالى قال : ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي﴾ . [النجم : ٣٢]

(والثاني) : وقال : «وهي علوم ذوقية» ، أي لا يصل إليها إلا الصوفية بذوقهم ووجدانهم إذن لا توجد هذه العلوم في الكتاب والسنة ، وإذا كان الأمر كذلك ، لا حاجة لأمة محمد ﷺ إليها إلى قيام الساعة . ويكفيها ما في الكتاب والسنة . و قال ﷺ : «تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي» . (مالك في الموطأ : ٢/ ٨٩٩ ، و «الصحيحة» للألباني رقم (١٧٦١) .

وهذا الكتاب ـ مثل غيره من كتب الصوفية ـ يحتوي على اصطلاحات ورموز وإشارات ، يتواصى الصوفية بكتمانها عن غير أهلها كما تقدم آنفاً . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=ولنتذكر ما قاله السهروردي في هذه الاصطلاحات والإشارات : « . . . ثم لما تقادم زمان الرسالة ويعد عهد النبوة ، وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوى ، واختلفت الآراء . . . تفرد طائفة بأعمال صالحة . . . فأثمر لهم صالح الأعمال سنى الأحوال . . . فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها ، وإشارات يتعاهدونها ، فحرروا لأنفسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها ، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسماً مستمراً ، وخبراً مستقراً في كل عصر وزمان ، فظهر هذا الاسم منهم ، وسمّوا به» (العوارف : ٦٤ ـ ٦٥) .

وقال : «وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يعز ذكرها ، ويكبر نشرها لتصور الأفهام عن إدراكها ، فربما يقابل ذكرها بالإنكار . . .» (العوارف : ص١٨٢) . هذه الاصطلاحات والرموز والإشارات تخفى في ثناياها من الطامات ما يلي :

* **وحدة الوجود** : قال السهروردي : « . . . وربما يتراءى له أنه بالله يصول وبالله يقول ، وبالله يتحرك ، فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها ، ولا يقع هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال ، وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل ، وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك» (العوارف : ص١٢٠ ، وعلى هامش الإحياء : ٢/ ٩٩ ، وعنه في الكشف : ص٥٤ ، وقال :

«الأسلوب الإشاري في القمة ، يشبه أسلوب عبدالقادر الجيلاني ، أو يفوقه ، ولا غرو فقد تخرج في مدرسته ، انظر إلى قوله : «بالله يصول ، وبالله يقول ، وبالله يتحرك» حيث يمكن تفسيره بتفسير ظاهر لا غبار عليه ، وآخر باطن هو ما يريده ويرمز إليه ، ومن السهل معرفته بشيء من التأمل ، كما يمكن التعرف أيضاً بشيء من التأمل إلى ماذا ترمز العبارة : «ابتلى بنهضة النفس ووثوبها» . والجملة : «وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص . . .» ، توضح الإشارة وتشرح العبارة وتحل الرمز .) .

* وقال : « . . . فالملامتي وإن كان متمسكاً بعروة الإخلاص ، مستفرشاً بساط الصدق ، ولكن بقى عليه بقية رؤية الخلق ، والصوفي صفا عن هذه البقية (رؤية الخلق) في طرفي العمل ، والترك للخلق ، وعزلهم بالكلية ، ورآهم بعين الفناء والزوال ، ولاح له ناصية التوحيد ، وعاين سر قوله : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ كما قال بعضهم في بعض غلباته : «ليس في الدارين غير الله» (العوارف : ص٧٤ ، وعلى هامش الإحياء : ١/ ٣٢٤ ، وعنه في الكشف : ص١٤٠ ، وقال : «بالرغم من أن الأسلوب الإشاري عند عمر السهروردي هو في القمة العليا من حيث الرمز واللغز ، ولكن العبارة خانته في هذه الفقرة ، فكانت وحدة الوجود فيها واضحة تماماً ، كما أنها ، في الفقرات السابقة ، واضحة لمن عرف لغة القوم» .

* وقال : «وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه . . . فربما يقابل ذكرها بالإنكار ، ويخفي بالاستنكار ، ولكن يعرفها من وجدها قدماً وصولاً ، أو فهمها نظراً كثيراً ومثولاً ، وهو بكاء الوجدان ، وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين . ومن حق اليقين في الدنيا إلمامات يسيرة . . . نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجرداً عن الآثار ، منغمساً في الأنوار ثم يرتقى منه إلي مقام البقاء ، ويرد إليه الوجود مطهراً ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=فتعود إليه أقسام البكاء خوفاً وشوقاً وفرحاً ووجداناً . . .» (العوارف : ص١٨٢ ، وقال : «حق اليقين ما كان بتحقق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال» (المصدر المذكور : ٤٧٧) ، وقال الجرجاني في التعريفات (ص١٢٠) : «حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق ، والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً ، لا علماً فقط . . .» .

* وقال : « . . . وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ، ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد ، وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن . . .» (العوارف : ص ٤٧١) ونقل عن الخراز أنه قال : «الفناء هو التلاشي بالحق» ، (المصدر المذكور : ص٤٧٠) .

* وقال : «ومنها (أي من الكلمات في اصطلاح الصوفية) الغيبة والشهود . فالشهود هو الحضور وقتاً بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة ، فما دام العبد موصوفاً بالشهود والرعاية فهو حاضر ، فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج عن دائرة الحضور فهو غائب .

وقد يعنون بالغيبة عن الأشياء بالحق ، فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعاً إلى مقام الفناء» (العوارف : ص٤٧٨) .

* وقال أيضاً : « . . . وذلك أن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها ، فإذا انتهت إلى غاية جهدها وقفت . . . ونظراً إلى قصوره بعد استنفاد جهده ، فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

(العوارف : ص٤٥٨) .

* وقال : «وقد ورد : جذبة من جذبات الحق يوازي عمل الثقلين» (العوارف : ص١١٧) ولنتذكر قول الدباس [شيخ شيخه الجيلاني] حيث قال : «إن قال لك وحدني ، قل : اجذبني» كيف ربط التوحيد بالجذبة ، وهو وحدة الوجود عند القوم كما تقدم .

* وقال : «قال بعضهم : إني لا أجد الحضور ، فأقول : يا الله ، أو يا رب ، فأجد ذلك على أثقل من الجبال . قيل : ولم؟ قال : لأن النداء يكون من وراء حجاب . وهل رأيت جليساً ينادي جليسَه ، وإنما هي إشارات وملاحظات ومناغمات وملاطفات . قال السهروردي معلقاً عليه : «هذا الذي وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ، ولكنه مشعر بمحو ، ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه في نور روحه ، لغلبة سكره ، وقوة محوه . . .» (العوارف : ص٤٦٤) .

(السكر) : استيلاء سلطان الحال . (العوارف : ص٤٧٧) ، وقال الجرجاني : «هو غيبة بوارد قوى ، وهو يعطي الطرب والالتذاذ ، وهو أقوى من الغيبة ، وأتم منها» (التعريفات : ص١٥٩) .

(المحو) : «المحو بإزالة أوصاف النفوس . . . أو محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه وما منه» =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=(العوارف : ص٤٧٧) .

وقال الجرجاني : «رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ، وتحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها . كالسكر من الخمر» .

ومحو الجمع والمحو الحقيقي : «فناء الكثير في الوحدة» (التعريفات : ص٢٦٤) .

هذا هو الأسلوب الرمزي ، والكلام الإشاري في الوصول إلى محض التوحيد عند القوم ، ثم إثبات وحدة الوجود . وقد يأتي السهروردي يقول : «ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه ، أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت .» (العوارف : ص٤٥٩) . وربما يكون هذا من باب كتمان السر عن غير أهله . لأنه يستشهد بكلام الحسين بن منصور الحلاج ، ويدافع عنه أيضاً .

* قال السهروردي في تفسير قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق : ٣٧] « . . . قال بعضهم بمن كان له قلب سليم من الأعراض والأمراض .

وقال الحسين بن منصور : لمن كان له قلب لا يخطر فيه إلا شهود الرب ، وأنشد :

أنعى إليك قلوباً طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

(العوارف : ص٢٢ ، وبهامش الإحياء : ١/ ٢١٣ ، وعنه في الكشف : ١٣٩ـ ١٤٠ وقال : إنه يستشهد بالحلاج ، وبتفسير الحلاج ، وحكمة الحلاج . إذن فهو يؤمن بالحلاج وعقيدته وأقواله . وهذا واضح) .

* قال : وهو يدافع عن الحلاج والبسطامي ـ : «ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول . . . ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات ، إشارة إلى هذا الوهم ، ويتخايل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمر الشيء مما زعموا ، مثل قول الحلاج : «أنا الحق» ، وما يحكى عن أبي يزيد في قوله «سبحاني» ـ حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى .

وهكذا ينبغي أن نعتقد في قول الحلاج ذلك ، ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمر الشيء من الحلول رددناه كما نردهم .» (العوارف : ص٧٨) .

(ملاحظة) :

* قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «نحن نعوذ بالله أن نقول عليه [أي على الحلّاج] ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله . . والصوفية مختلفون فيه ، فأكثرهم نفي أن يكون الحلاج منهم ، وقبله من المتقدمين أبو العباس بن عطاء البغدادي [وقتل لأجل موافقة الحلاج على ضلاله سنة ٣٠٩هـ] ، ومحمد بن خفيف الشيرازي [ـ ٣٧١هـ ، وكان يذهب مذهب الإباحية «البداية والنهاية» : ١١/ ٣١٩] ، وإبراهيم بن محمد النصر آبادي ، وصححوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم رباني . . . وقال النصرآبادي : «إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج . .

وأما الفقهاء فحكى عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله ، وأنه كان كافراً منحرفاً مموِّهاً =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=مشعبذا وبهذا قال أكثر الصوفية فيه .

وقال سفيان بن عيينة : «ومن فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والانحراف» (البداية والنهاية : ١١/ ١٤١ـ١٤٢) .

* وقال أيضاً : «وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ، وحكى اختلاف الناس فيه ، ونقل عن الغزالي أنه ذكره في «مشكاة الأنوار» وتأول كلامه وحمله على ما يليق .

ثم نقل ابن خلكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه . . .» (المصدر المذكور : ١١/ ١٥٤) .

* وقال محمد بن داود بن علي الأصبهاني الفقيه : «إن كان ما أنزل الله على نبيه حقاً ، فما يقول الحلاج باطل» (العبر : ١/ ٤٥٨) .

* وقال ابن خلدون : «قتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن : أهل الشريعة وأهل الحقيقة ، لأنه باح بالسر ، فوجبت عقوبته» .

وممن أفتى بقتله جنيد والشعبي غيرة على السر أن يفشى لغير أهله. فالواجب كتم الأسرار وإظهار شريعة النبي المختار . . .» (الفتوحات الإلهية : حاشية الإيقاظ : ٣٤٦ـ٣٤٧ ، وعنها في الكشف : ص٧٢ ، وقال : «قوله : « . . . كتم الأسرار وإظهار شريعة النبي ﷺ» واضح الدلالة على أن الأسرار تناقض شريعة المختار») .

ولا غرو أن السهروردي لم يعلم بهذا الكم الهائل من أقوال الحلاج وأبياته التي تؤديه إلى مهاوي الحلول والاتحاد ، والانحلال والانحراف ، والكفر والزندقة ، ولكن غيره من العلماء الأعلام علموا بضلاله ، فحكموا عليه بما يستحق .

ولا يلام السهروردي في موقفه هذا من الحلاج ، لأن من قبله من بعض كبار الصوفية أيضاً قد غرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ، ولا باطن قوله فاستشهدوا بحكمه وأقواله ، أمثال أبي حامد الغزالي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ـ كما تقدم ـ وقال الشبلي : «كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت .

وقد روى عن الشبلي من وجه آخر أنه قال ـ وقد رأي الحلاج مصلوبا ـ : ألم أنهك عن العالمين . (البداية والنهاية : ١١/ ١٤٢) .

هذا ، وقد بكى الجلال الرومي أيضاً على صلبه ظلماً ، وذكره الأستاذ الندوي في معرض الاستشهاد به ، لا للإنكار عليه كما سيأتي في ترجمة الرومي مفصلاً إن شاء الله . وكذلك يأتي تأويل الشاه محمد يعقوب المجددي (من مرشدي الأستاذ الندوي) لبعض أقوال الحلاج المنحرفة في محله إن شاء الله تعالى ، وقد ذكره الندوي في كتابه «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» .

* **تأويل الآيات لتأييد الصوفية** : ومن مخالفات «العوارف» (كتاب التصوف الشهير على حد قول الأستاذ الندوي) أن السهروردي قال : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

(١) ـ «فعلى المشايخ وقار الله ، وبهم يتأدب المريدون ظاهراً وباطناً . قال الله تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة المتقين . .» (العوارف : ص ٨١)

معلوم أن الله عز وجل ذكر في سورة الأنعام [٨٣ـ٩٠] ثمانية عشر نبياً بأسمائهم ، ثم أمر محمداً نبينا ﷺ باقتداء هداهم بقوله : ﴿ . . . فبهداهم اقتده﴾ ، وطبقها السهروردي على اقتداء المريدين بهدي مشايخهم» .

(٢) ـ وقال : «الباب الثاني والثلاثون» : في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب» ثم قال : «كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ ، فإنه عليه السلام مجمع الآداب ظاهراً وباطناً ، وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه في الحضرة بقوله : ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم : ١٧] . وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله ﷺ . . . وأخبر الله عن اعتدال قلبه المقدس ، فما التفت إلى ما أعرض عنه ، ولالحقه الأسف على الغائب في إعراضه قال الله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ [الحديد : ٢٣] . . .

. . . فموسى عليه السلام صح له في الحضرة أحد طرفي ما زاغ البصر ، وما التفت إلى باقيه وما طغى متأسفاً لحسن أدبه ، ولكن امتلأ من المنح ، واسترقت النفس السمع ، وتطلعت إلى القسط والحظ ، فلما حظيت النفس استنفضت ، وطفح عليها ما وصل إليها ، وضاق نطاقها ، فتجاوز الحد من فرط البسط ، وقال : ﴿أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف : ١٤٣] فمنع ولم يطلق في قضاء المزيد ، وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام .

وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية ، فكل قبض يوجد عقوبة لأن كل قبض سد في وجه باب الفتوح . . .» (العوارف : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ باختصار) .

وفي هذا البيان إشارة لطيفة للوصول إلى آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب : الصوفية ، استنباطاً مما حصل لنبينا ﷺ وموسى عليه السلام ، حتى لا يقعوا فيما وقع فيه موسى عليه السلام . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

(٣) ـ وقال : «ومنها (أي من الأحوال الصوفية) القرب . قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق : ١٩] .

وقد ورد : «أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده» فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب ، لأنه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ، ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب» .

وقال بعضهم : إني لا أجد الحضور ، فأقول يا الله أو يا رب ، فأجد ذلك عليّ أثقل من الجبال . قيل : ولم؟ قال : لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه ، وإنما هي إشارات ، وملاحظات ومناغمات وملاطفات» (العوارف : ٤٦٣ ـ ٤٦٤) هذا هو التفسير الصوفي للقرب من الله العزيز الجبار عز وجل .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=* **تأويل الأحاديث لتأييد الصوفية :**

(١) ـ قال : «ومما ينكر على المتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يبتدأون بالسلام ، ويقول المنكر : هذا خلاف المندوب ، ولا ينبغي للمنكر أن يبادر إلى الإنكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه ـ ثم ذكر وجوها لتركهم السلام منها ـ :

«أنه لم يدخل على غير بيته ، ولا هو غريب منهم ، بل هم إخوانه . . .

كما يمهد عذرهم في ترك السلام ، ينبغي لهم أن لا ينكروا على من يدخل ، ويبتدى بالسلام ، فكما أن من ترك السلام له نية ، فالذي سلم له أيضاً نية .» (العوارف : ١٣١ ـ ١٣٢) .كأنه جعل عمل الصوفية عياراً على حديث السلام ، والعكس هو الصحيح .

(٢) ـ وقال : «وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر ، وجهه من السنة منع النبي ﷺ عن طروق الليل . . . لحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : «إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلاً» .

وروى كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ «كان لا يقدم من السفر إلا نهاراً في الضحى .» (العوارف : ص١٣٣) .

إذا كان الأمر يتعلق بالعمل بالسنة في القدوم من السفر ، فلماذا تخصيص الكراهة بعد العصر فقط ، لا قبله ، لأن بعده ليس بأحسن حالاً من قبله نظراً إلى الحديث . . . ولكن تصويب ما عليه الصوفية . . .

(٣) ـ وقال : «وأحسن حكماً في هذا (أي الأكل من الفتوح) أن بعضهم رأي النوري يملأ يده ، ويسأل الناس . قال : فاستعظمت ذلك منه ، واستقبحته له ، فأتيت الجنيد ، فأخبرته ، فقال لي : لا يعظم هذا عليك ، فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة ، فيؤجرون من حيث لا يضره .

وعلق عليه السهروردي بقوله : «وقول الجنيد يعطيهم كقول بعضهم «اليد العليا» يد الآخذ ، لأنه يعطي الثواب» (العوارف : ١٤٤ ـ ١٤٥) .

هكذا يتلاعبون بالحديث لتصحيح أعمال الصوفية ، فنسأل الله السلامة !

(٤) ـ وقال : «ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده ، إلا أن يكون صوفياً عالماً بآفة نفسه ، يختار الوحدة على بصيرة من أمره ، فلا بأس بالوحدة» (العوارف : ١٢٤) . فيه معاكسة ظاهرة لحديث النبي ﷺ فهو ينهى عن السفر وحده ، وهذا يقول : لا بأس بالوحدة ، وما جرأه على هذا إلا تصويب عمل الصوفية وخروجهم في البراري والفلوات فرادى .

(٥) ـ وقال : ولهذا قيل : السماع لقوم كالدواء ، ولقوم كالغذاء ، ولقوم كالمروحة .

ومن عود أقسام البكاء ما روى أن رسول الله ﷺ قال لأبيّ : «اقرأ» فقال : أقرأ عليك ، وعليك أنزل . فقال : أحب أن أسمعه من غيري ، فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء : ٤١] . فإذا عيناه تهملان» (العوارف : ص١٨٣) .

أورده السهروردي في الباب الرابع والعشرين : (في القول في السماع ترفعاً استغناء) فهل يريدون =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=بالسماع سماع كتاب الله عز وجل ، حتى استدل السهروردي بهذا الحديث على البكاء ، ومن يختلف في هذا؟

ولكنه يوفر دليلاً للصوفية بهذا السماع الخاص على سماعهم الصوفي ، وببكاء النبي ﷺ ، على بكائهم .

(٦) ـ وقال : «فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير ، وأجمع لهمه ، وألذ بعيشه . . . والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص . . . (واستدل على الابتعاد عن الزواج بحديث) أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» . (العوارف : ١٥١ ـ ١٥٢) .

هذا تحريف معنوي عجيب في فهم هذا الحديث ، وقد تغير معناه تماماً عما ورد فيه والمهم عند القوم تصويب رأيهم ولو بهذا النوع من الاستدلال الغريب الذي قد يؤدي إلي التحريف والتبديل .

* **معاكسة الرعيل الأول في العمل** : قال الله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب :٢١] .

وقد تربى الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ على الالتزام بالكتاب والسنة حسب التوجيه النبوي . فبلغوا الذروة العليا من العلم والعمل ، والورع والتقوى ، حتى قال الله فيهم : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة : ١٠٠] .

ولكن الصوفية قد يتقالون ما عمل به النبي ﷺ ، وربّى عليه أصحابه من العقيدة والدين ، والعلم والعمل . وقد يبلغ بهم الغرور إلى أنهم يعتبرون الصحابة أهل الرخص ، ويضعون أنفسهم موضع أهل العزائم ، وذلك لبعدهم من المنهل الصافي للكتاب والسنة . وهاكم بعض الأمثلة من كتاب «العوارف» على ما قلت :

(١) ـ قال السهروردي : «وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها ، لا يرون النزول إلى الرخص خوفاً من فوت فضيلة الزهد في الدنيا ، واللباس الناعم من الدنيا .

وقد قيل : من رق ثوبه رق دينه ، وقد يرخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ، ويقف على رخصة الشرع .

روى علقمة عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، فقال النبي ﷺ : «إن الله جميل يحب الجمال» .

فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لا بهوى نفسه في ذلك ، غير مفتخر به ومختال . فأما من لبس الثوب للتفاخر في الدنيا ، والتكاثر بها ، فقد ورد فيه وعيد» (العوارف : ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .

وهذا يشمل لبس الصوف أيضاً وإذا كان للتفاخر والتباهي ، فأين ذلك الأمر الذي يريد إثباته؟ وعلى هذا يبقى الحديث على أصله . «إن الله جميل يحب الجمال» . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=(٢) ـ وقال : « . . . التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص . . . »
قال أبو سليمان الداراني : «ثلاث من طلبهن فقد ركَن إلى الدنيا ، من طلب معاشاً ، أو تزوج امرأة ، أو كتب الحديث» .
وقال : «ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته» . (العوارف : ١٥١ ـ ١٥٢) .
أي المرتبة التي أراد الصوفية بلوغها بعدم الزواج؟
أكان النبي ﷺ من أهل الرخص (نعوذ بالله من ذلك) وقد تزوج ، وأمر أصحابه بالزواج بقوله : «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»
ـ أكان هذا الأمر لأهل الرخص؟
ألا يعلم السهروردي أن شيخه عبد القادر الجيلاني تزوج بأربع ، وأنجب تسعة وأربعين ولداً من الذكور والإناث كما تقدم .
(٣) ـ وقال : «إذا كمل شغل الصوفي ، وكمل زهده لكمال تقواه ، يحكم الوقت عليه بترك التسبب وينكشف له صريح التوحيد ، وصحة الكفالة من الله الكريم . . . فإذا أوقف الحق عبده في هذا المقام ، يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ، ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام . . .» (العوارف : ص ١٤١) .
هل كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في رتبة العوام لتكسبهم ، وأمرهم الله عز وجل بذلك في قوله : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة : ١٠] .
كيف يتجاسر أهل البطالة أن يضعوا أنفسهم في مرتبة الخواص لعدم تكسبهم ومخالفتهم في هذا الباب صريح الكتاب والسنة؟
وأين قول السهروردي هذا العاطل من أقواله في ترك البطالة؟ !
* **شطحات الصوفية** : وجدت شطحات كثيرة في «العوارف» مثل كتب الصوفية الأخرى ، منها :
(١) قال السهروردي : «وحكى من بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان» .
قال أبو نصر السراج : «أنكر قوم هذه المخالفة ، وإن كان الصوم تطوعاً ، واستحسنه آخرون ، لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع ، وأن لا يتمتع برؤية الصوم .
(قال السهروردي) : «ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم ، وهذا يتسلسل ، والأليق بموافقة العلم إمضاء الصوم ، قال الله تعالى : ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [محمد : ٣٣] .
ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون ، والصدق محمود لعينه كيف كان ، والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب» . (العوارف : ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، وبهامش الإحياء : ٣/ ٢٣٣ ، وعنه في =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=لكشف : ص ٥٢١ ، وقال : «ما الفائدة من تعاليم الإسلام؟ وأين ذهبت؟ وما فائدة الرسل؟؟» .

(٢) وقال : «وقد يكون من الأنس الأنس بطاعة الله ، وذكره ، وتلاوة كلامه ، وسائر أبواب القربات . وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ، ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين» . (العوارف : ص٤٤٣) وما وراء الأنس بجميع أبواب القربات إلا الأنس الصوفي الذي يؤدي إلى وحدة الوجود !

(٣)ـ وقال : «قالت رابعة : كل مطيع مستأنس ، وأنشدت :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجلوس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

(العوارف : ٤٦٢ و ١٥٨)

(٤) وقال : «وما يعتمده الفقراء من تغميز القادم فخلق حسن . . . وأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز . . . فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزاً» .

وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز ، واستلذه ، واستدعاه يحتلم ، فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز . ولأرباب العزائم أمور لا يسعهم فيها الركون إلى الرخص» (العوارف : ١٣٤ـ ١٣٥) .

(٥)ـ وقال : «ومن هذا القبيل (أي من كون السماع نوع تمتع للنفس) ما نقل أن أبا محمد الراشي كان يشغل أصحابه بالسماع ، وينعزل عنهم ناحية يصلي .

فقد تطرق مثل هذه النغمات مثل هذا المصلي فتتدلى إليها النفس متنعمة بذلك ، فيزداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعد النفس عن الروح في تمتعها . . . ويكون طروق الألحان بسمعه في الصلاة ، غير محيل بينه وبين حقيقة المناجاة ، وفهم تنزيل الكلمات ، وذلك كله لسعة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن المنان» (العوارف : ١٨٢ـ ١٨٣) .

* وقال في دعاء عجيب : «اللهم إني أعوذ باسمك المكنون المخزون ، المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس ، يا دهر يا ديهور ياديهار ، يا أبد يا أزل ، يا من لم يزل ولا يزال ولا يزول ، هويا هو ، لا إله إلا هو ، يا من لا هو إلا هو ، يا من لا يعلم ما هو إلا هو ، يا كان يا كينان ، يا روح ، يا مكائن قبل كل كون ، يا مكوناً لكل كون ، أهيا ، أشراهيا ، أدوناي ، أصبؤت ، يا مجلي عظائم الأمور ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .» (العوارف : ٣٤٨ ، وبهامش الإحياء : ٤/ ١٩ ، وعنه في الكشف : ص١٤٠ ، وقال : «الكلمات : «أهيا» ، «أشراهيا» . . .» هي كلمات عبرية ، وفيها إشارة إلى أثر اليهودية في الصوفية») .

ـ هذا هو شهاب الدين السهروردي (ـ ٦٣٢هـ) مؤسس الطريقة السهروردية ، التي نقل وصفها الأستاذ الندوي عن مرشده الشاه محمد يعقوب المجددي ، عن الشاه أحمد سعيد في تفسير قوله تعالى : ﴿ . . . فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومن خلفاء السهروردي في الهند: الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني (١) الـــذي

=وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد: ١٥].

أنه قال:

﴿أنهار من ماء غير آسن﴾ هذه نسبة سهروردية.

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ هذه نسبة نقشبندية.

﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ هذه نسبة جشتية.

﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ هذه نسبة قادرية.

(ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي: ص٨٥) وسيأتي التفصيل في محله إن شاء الله.

ـ وهذا هو كتابه «عوارف المعارف» الذي وصفه الأستاذ الندوي بأنه كتاب التصوف الشهير.

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

(١) هو: أبو محمد زكريا بن محمد بن علي القرشي الأسدي (٥٦٦هـ وقيل: ٥٧٨ ـ ٦٦٦هـ).

وقال السيد عبد الحي الحسني (والد الأستاذ الندوي): «... ولما بلغ الثانية عشرة من سنه توفي والده فسافر إلى بخارا، وأخذ العلم بها من كبار الأساتذة، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأقام بالمدينة المنورة خمس سنين، وأخذ الحديث عن الشيخ كمال الدين محمد اليماني. ثم رحل إلى القدس الشريف، وزار المسجد الأقصى ومشاهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رحل إلى بغداد وأخذ الطريقة عن االشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب «العوارف» ثم عاد إلى ملتان، وتصدر للإرشاد فرزق من القبول مالم يرزق أحد من المشايخ، وكان قد منحه الله سبحانه أموالاً غزيرة، وجعله ممن قال في حقهم: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾، [النحل: ١٢٢]، قيل: إنه لما توفي إلى رحمة الله سبحانه خلف سبعة بنين غير البنات فقسموا بينهم ما ترك من الأموال على تخريج الشرع، فنال كل واحد منهم سبعين «لكا» (سبعة ملايين) من الدنانير فضلاً عن الدور والظروف والأقمشة وغيرها» (نزهة الخواطر: ١/ ١٢٠).

* أما ابنه الشيخ صدر الدين محمد زكريا الملتاني (ـ ٦٨٤هـ) فكان عكس أبيه في جمع المال حتى أنه بذل ما وصل إليه من متروكات أبيه... فقسم كلها على الفقراء والمساكين وغيرهم من أرباب الحقوق، وما ادخر شيئاً من ذلك إلا ما كان على جسده وأجساد أهله وعياله من الألبسة.

فقال له أحد أصحابه: إن أباك جمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والدور وغيرها، وإنك ضيعت كلها في يوم واحد. وما ادخرت لأهلك شيئاً!

فضحك ثم أجاب: بأن أبي كان غالباً على الدنيا، فهي ما كانت تستطيع أن تزل قدمه، وأنا ما بلغت إلى تلك المنزلة فخفت أن تغلب علي...» (المصدر المذكور: ١/ ١٦١).

* وكان شهاب الدين السهروردي (شيخ الملتاني) أيضاً عكسه، فإنه جمع أموالاً جزيلة، ثم أنفقها، ولم يدخر شيئاً، ومات ولم يخلف كفناً. (كما تقدم).

وقال السيد عبد الحي أيضاً: «قال الشيخ محمد نور بخش في سلسلة الذهب: إنه كان رئيس الأولياء ببلاد الهند، وكان عالماً بالعلوم الظاهرة، صاحب أحوال ومقامات من مكاشفات ومشاهدات، مرشداً يتشعب منه كثير من طرق الأولياء، وله في الإرشاد وهداية الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أفاض (١) على أهل الهند . . .» (٢) .

=المعصية إلى الطاعة ، ومن النفسانية إلى الروحانية شأن كبير .» (المصدر المذكور : ١/ ١٢١) .

إذا نظرنا في رموزه وإشاراته في بعض أقواله ووصاياه علمنا أنه على خط شيخه : الشهاب السهروردي في التصوف ، ومنها :

*قوله : إن الواجب على العبد أن يعبد الله بالصدق والإخلاص ، وذلك بنفي الأغيار ، ومحو الأشخاص في العبادات والأذكار . . .» (نزهة الخواطر : ١/ ١٢١) .

عبارة «نفي الأغيار» ، و«محو الأشخاص» لهما دلالتهما الخاصة في الفكر الصوفي التي تؤدي إلى وحدة الوجود .

* ومن وصاياه لبعض أصحابه : «عليكم بدوام الذكر ، وبالذكر يصل الطالب إلى المحب ، والمحبة نار تحرق كل دنس . فإذا تحقق المحبة كان الذاكر ذاكراً مع مشاهدة المذكور ، وهذا هو الذكر الكثير الموعود به الفلاح في قوله تعالى : ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة : ١٠] (المصدر المذكور : ١/ ١٢١) .

ـ إذا ضمت عبارة : «فإذا تحقق المحبة كان الذاكر ذاكراً مع مشاهدة المذكور» مما سبق من كلمتي «نفي الأغيار ، ومحو الأشخاص في العبادات» تنحل الرموز والإشارات نوعاً ما وتتضح نوعية اتجاهه في التصوف ، التي تحوم حول وحدة الوجود .

ـ وقد عرفنا من قوله المتقدم أن «الذكر الكثير» هو الذكر مع مشاهدة المذكور ، على الطريقة الصوفية .

وقال ابنه الصدر محمد زكريا الملتاني في تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب : ٤١] : « . . . إذا أراد الله بعبد خيراً ، وكتبه سعيداً ، وفقه لدوام الذكر باللسان مع مواطاة القلب ، ورقاه عن ذكر اللسان إلى ذكر القلب حتى لو سكت اللسان لا يسكت القلب ، وهو الذكر الكثير . . .» (المصدر المذكور : ١/ ١٦٢) .

قوله : « . . . حتى لو سكت اللسان لا يسكت القلب . . .» ، هذه الكيفية مستحيلة في حق البشر ، الذي هو معرض للخطأ والسهو والنسيان ، حتى قال النبي ﷺ : «إنه ليغان على قلبي ، حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة» (رواه مسلم) .

الغين : الغيم . وقيل : شجر ملتف .

«أراد (في الحديث) ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر ، لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى ، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشري يشغله من أمور الأمة والملة ، ومصالحهما عد ذلك ذنباً وتقصيراً ، فيفزع إلى الاستغفار» (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : ٣/ ٤٠٣ ـ الغين) هذا كان يحصل مع النبي ﷺ ، فكيف بغيره؟

إذاً : ادعاء استمرار القلب بالذكر مع سكوت اللسان وبدون «الغين» ، ادعاء صوفي يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة ، ولا دليل .

(١) لا ريب أنه أفاض على أهل الهند بتصوفه ، على طريقة شيخه السهروردي . «وتشعب منه كثير من طرق الأولياء» ـ على حد قول والد الأستاذ الندوي ، كما تقدم آنفاً .

(٢) تاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣ باختصار) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

دعوته للإسلام :

بين الأستاذ الندوي أن وجود الشيخ عبد القادر الجيلاني ، كان دليلاً على خلود الإسلام ، وصلاحيته للبقاء ، وصلاحيته للإنتاج ، ثم قال :

« . . . فإن كان الإسلام دين عقيدة وإيمان ، وعمل وجهاد ، ودعوة وإصلاح ـ وهو كذلك ـ فلابد أن يظهر في مختلف أعصاره وأمصاره رجال عبقريون ، أقوياء في إيمانهم ، أقوياء في علمهم ، أقويا في دعوتهم ، يمثلون سيرة الأنبياء وخلفائهم بالحق في عصرهم . . .»(١) .

* * *

لا ريب أن الأمة الإسلامية في جميع عصورها تحتاج إلى هذه النوعية المثالية الواعية من الرجال ، التي تتحلى بالعقيدة والإيمان ، والعمل والجهاد ، والدعوة والإصلاح على منهاج النبوة .

ولن تتحقق هذه الصفات العالية الجليلة ، والأخلاق الفاضلة النبيلة ، إلا بالاستضاءة من نور النبوة ، لأنها مصدر التلقي الوحيد في الإسلام .

الإسلام دين عقيدة وعمل وخلق ، وهذه الأمور لها أصولها ومصادرها وحدودها في الكتاب والسنة .

---

(١) «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١/ ٢١٣) .

(ملاحظة) : تقدم بيان عقيدة القوم بشيء من التفصيل ، كذلك نوعية العمل والجهاد ، والدعوة والإصلاح .

ـ الإسلام دين عقيدة تنبني على الكتاب والسنة : وهما المصدران الأساسيان ـ في العقائد والأعمال .

ـ الإسلام دين عمل ، يقوم على أسس موحاة من رب العالمين .

ـ الإسلام دين خلق يستفاد من خلال سيرة النبي المعصوم ﷺ ، و(كان خلقه القرآن) .

أما العمل العام والخلق العام ـ اللذان يتبناهما القوم ـ فهما أمران مشتركان بين الأمم ، ولا يتميز المسلم بهما عن غيره من الناس إلا بعقيدته في الله إلهاً ورباً ، وفي محمد رسولاً ونبياً ، وفي الإسلام شريعة وديناً .

وقال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ، ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه) . وسيأتي ذكر جهاد الصوفية في باب «التأريخ» إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فمعاذ الله أن نظن سوءا في أولئك القوم الذين ضربوا أروع الأمثلة ـ في الظاهر ـ في القناعة باليسير ، والاجتناب عن الكثير ، والزهد في الدنيا وزخارفها .

معاذ الله ثم معاذ الله أن نشكّ في إخلاصهم في عبادتهم ، وذكرهم ، ورياضتهم ومجاهدتهم ، حتى سهرهم ، وجوعهم ، وتركهم التكسب ، واستغنائهم عن الزواج ، وحتى هيامهم في البراري والفلوات بحثاً عن الحق واليقين على حد زعمهم .

لا نشك في إخلاصهم في ممارسة هذه الأعمال .

ولكن نبحث عن مدى استنارتهم في أدائها من نور مشكاة النبوة ، التي تركت الأمة على محجة بيضاء ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا هالك . **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** [الحشر : ٧] .

فلنبحث في مصدر التلقي في القيام بهذه الأعمال لنكون على بيِّنة من مصداقيتها في الثواب ويكون جزاؤها موفوراً عند الله تعالى . ما أروع وأجمل ما قاله الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ فصلاً في هذا النزاع :

«إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً لم يقبل . وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . وهذا هو المذكور في قوله تعالى : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** [الكهف : ١١٠]»[1] .

❊ ❊ ❊

(١) تفسير ابن القيم (ص٧٤) وعنه في «هذه هي الصوفية» (ص١٦٤) ، وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « . . . وهذان ركنا العمل المتقبل ، لابد أن يكون خالصاً لله ، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

جلال الدين الرومي

(٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

جلال الدين الرومي

(٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ)

* أصحاب الجلال الرومي :

قال الأستاذ الندوي في «تأريخ الدعوة والعزيمة» :

«إنه (أي الجلال الرومي)(١) كان يجالس الشيخ محيي الدين ابن عربي(٢) ، . . . .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد بن حسين المعروف بمولانا جلال الدين القونوي (ـ ٦٧٢هـ) صاحب «المثنوي» بالفارسية . . .» إنه انقطع ، وتجرد ، وهام ، وترك التصنيف والاشتغال . وسبب ذلك أنه كان يوماً جالساً في بيته ، وحوله الكتب والطلبة ، فدخل عليه «شمس الدين التبريزي» ، وقال له : ما هذا؟ فقال له الرومي : هذا لا تعرفه؟ ـ فما فرغ من هذا اللفظ إلا والنار عمّالة في البيت والكتب ـ .
فقال للتبريزي : ما هذا؟
فقال له التبريزي : هذا لا تعرفه؟ ثم قام وخرج من عنده ، وخرج الرومي على قدم التجريد ، وترك أولاده وحشمه ومدرسته ، وساح في البلاد ، وذكر أشعارا كثيرة .
ولم يتفق له اجتماع بالتبريزي ، وعدم التبريزي ولم يعرف له موضع . فيقال : إن حاشية الجلال قصدوه واغتالوه» .
وذكر سبب آخر في تجريده هو« أن التبريزي حمل ما كان عنده من الكتب ، ورماها في بركة ماء كانت بالمدرسة ، فقال : ما هذا؟ ! فقال : علم حال لا تعرفه أنت؟ ثم أخرجها جميعاً ، ولم يصبها بلل ، ولا في جلودها أثر بلة قط . فتجرد بعد ذلك» .
(الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : ٣/ ٣٤٣ رقم ١٥١٨ مع التعليق) .
وقد ذكر الأستاذ الندوي من هيامه في عشق «شمس الدين التبريزي» ، وسماعه لتخفيف وطأته ، وعرضه الحلاج وغيره من أهل الحلول والاتحاد أبرياء ، (وموافقته على ذلك) ، وأبياته في «المثنوي» ، التي تدل على تغلغله في وحدة الوجود ـ ما لا ينبغي أن يذكر صاحبها بين العلماء فضلاً عن أن يذكر في «تأريخ الدعوة والعزيمة» في مصاف «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ، ولكن التصوف . . . وحب الشيء يعمي ويصم . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وسيأتي بيان كل ما أشرت إليه آنفاً إن شاء الله .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي ، (أبو عبد الله) الطائي الأندلسي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) ، صاحب التصانيف ، وقدوة العالمين بوحدة الوجود ، تنقل في البلاد ، وسكن الروم مدة ، وأقام بمكة مدة ، صنف فيها «الفتوحات المكية» . قال ابن كثير : «فيها ما يعقل ، وما لا يعقل وما ينكر وما لا =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=ينكر، وما يعرف وما لا يعرف. وله كتابه «المسمى» بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح» (البداية والنهاية: ١٣/ ١٦٧).

وقال الذهبي: «قدوة العالمين بوحدة الوجود»، سكن الروم مدة، واتهم بأمر عظيم» (العبر: ٣/ ٢٣٣).

وقال: «وقد عظمه جماعة، وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات».

ونقل عن العز ابن عبد السلام قوله في ابن عربي: «شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً».

ثم قال: «إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت، فقد فاز، وما بذلك على الله بعزيز».

وقال أيضاً: «لا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل، إلا كتاب «الفصوص»! وقال: «... من أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر. نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله!» (سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٤٨ ـ ٤٩).

* **نماذج من كتابات ابن عربي**: فيما يلي بعض النماذج من كتاباته، ليرى القارئ مدى تغلغله في وحدة الوجود.

ـ **(الإله)**: قال ابن عربي: «... العارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو ملك...» (الفصوص: ١/ ١٩٥، وعنه في «هذه هي الصوفية: ٣٨).

ـ **(الرب إنسان كبير)**: وقال: «فما يحدّ شيء إلا وهو حد الحق، فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، فهو الشاهد من الشاهد، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبّر له، فهو الإنسان الكبير» (الفصوص: ص ١١١، ط. الحلبي وعنه في «هذه هي الصوفية»: ٣٦).

ـ **(ربوبية كل شيء)**: «إن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء» (الفصوص: ص٣٧٤ بشرح بالي، وعنه في «هذه هي الصوفية»: ٣٥).

ـ **(الرب هو صور العالم)**: قال: «... هو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمَّ من يراه غيره، وما ثمّ من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه، وهو المسمّى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المرئيات» (الفصوص: ١/ ٧٧ ط. الحلبي، وعنه في «هذه هي الصوفية: ص٣٦).

أبو سعيد الخراز: هو أحمد بن عيسى ممن تكلّم في الفناء الصوفي، توفى سنة ٢٧٩هـ.

ـ **(التجسّد في النساء)**: قال: «... ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبّة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعمّ الشهوة أجزاء كلها. ولذلك أمر بالاغتسال منه ـ فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها ـ عند حصول الشهوة، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذّ بغيره، فطهّره بالغسل... فشهوده للحق في المرأة أتمّ وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة. فلهذا أحبّ ﷺ النساء، لكمال شهود الحقّ فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجرّداً عن المواد أبداً. فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح» (الفصوص: ١/ ٧٦، ط. الحلبي وعنه في «هذه هي الصوفية: ٣٩ ـ ٤٠).

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والشيخ سعد الدين الحموي (١) ، والشيخ عثمان الرومي ، والشيخ أوحد الدين الكرماني (٢) ، والشيخ صدر الدين القونوي (٣) ، وكانوا يتبادلون «الحقائق والمعارف»

=(تنبيه) : والسبب في عبودية ابن عربي المرأة ـ كما يقال ـ : إنه أحبّ ذات مرّة امرأة فنظم فيها ديوانه «ترجمان الأشواق» ، ومضى وراءها يمجدها ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة ، منحها ابن عربي وجوداً حياً صريحاً ، وأمدّها مثله الأحبار معه ومن بعده ، وهكذا تغزل الصوفية في «ليلى ، وبثينة ، وسعاد» (وكذا سعدى ، والرباب) . (هذه هي الصوفية : ٤١ ـ ٤٢) .

* ومن أبياته : قال :

تجسّدت أسمائي فكنت كثيراً ولم يرني غيري فكنت بصيراً
فيا قائلاً بالغير أين وجوده وأين يكون الغير كنت غيورا

(الفتوحات : ٣/ ٣٦١) .

وقال :

إن قيل هو قيل لهم ليس هو لأنه مطلوبكم بالفكر
أو قيل ما هو قيل هو إنه عين الذي تشهده بالنصر

(الفتوحات : ٢/ ٣٧٦ ، وعنها في الكشف : ١٥٠ ـ ١٥١) .

هذا هو ابن عربي بفصّه وفصوصه ، الذي كان الجلال الرومي يتبادل معه الحقائق والمعارف على حد قول الأستاذ الندوي .

(١) هو : محمد بن المؤيد الجويني الصوفي (ـ ٦٥٠هـ) ، صاحب عدة مؤلفات في التصوف . قال الذهبي : «صاحب أحوال ورياضات ، وله أصحاب ومريدون ، وله كلام على طريقة الاتحاد» (العبر : ٣/ ٢٦٥ ، ومعجم المولفين : ٣/ ٤٧٦) .

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول أوحد الدين الكرماني الدالَ على وحدة الوجود :

ما غبتَ عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

ثم رد عليه قائلاً : «فهذا قول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض ، فإن مبناه على أنه يرى الله بعينه . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «واعلموا أن أحداً منكم لم ير ربه حتى يموت» وقال أيضاً : « . . . وأما تناقضه فقوله . . . يقتضي المغايرة ، وأن المخاطب غير المخاطب . . . والشاهد غير المشهود .

وقوله : «ما بينكم وبيننا من بين» ـ فيه إثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب ، وهذا إثبات للاثنين . وإن قالوا : هذه مظاهر ومجالي . قيل : فإن كانت المظاهر والمجالي غير الظاهر والمتجلي فقد ثبتت التثنية وبطلت الوحدة . وإن كان هو إياها ، فقد بطل التعدد ، فالجمع بينهما تناقض» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٢/ ٢٩٠ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٨) .

(٣) هو : محمد بن إسحاق بن محمد الرومي (ـ ٦٧٣هـ) ، تلميذ ابن عربي ، وابن زوجته ، وكانت له مكاتبات مع النصير الطوسي (ـ ٦٧٢هـ) وزير هولاكو . وله مؤلفات عديدة في التصوف (معجم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فيما بينهم»[(١)] .

=المؤلفين : ٣/ ١٢٣) .

قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية :

«أما صاحبه (أي صاحب ابن عربي) الصدر الرومي ، فإنه كان متفلسفاً ، فهو أبعد عن الشريعة والإسلام ، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف (ـ ٦٩٠هـ) يقول :

كان شيخي القديم متروحناً متفسلفاً ، والآخر فيلسوفاً متروحناً ـ يعني الصدر الرومي ـ فإنه كان قد أخذ عنه . . .

فحقيقة قوله : «أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ، ولا حقيقة ، ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات ، ولهذا يقول هو وشيخه (أي ابن عربي) : إن الله تعالى لا يرى أصلاً ، وأنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة ، ويصرّحون بأن ذات الكلب والخنزير ، والبول والعذرة عين وجوده ـ تعالى الله عما يقولون» .

أما الفاجر التلمساني ، فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر . . .» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٢/ ٤٧١) .

وقال أيضاً : «ومن تأمل كلام النصير الطوسي الصابئ الفيلسوف ، وكلام الصدر القونوي النصراني الاتحادي الفيلسوف ، وكلام الإسماعيلية في البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم . . . عرف ما بين هؤلاء من المناسبة .

وكذلك المراسلة بين الصدر والنصير في إثبات النصير لواجب الوجود . . . وجعل الصدر ذلك هو الوجود المطلق . . . علم حقيقة ما قلته ، وعلم وجه اتفاقهم على الضلال والكفر . . .

ولهذا كان الصدر أكفر قولاً ، وأقلّ كفراً في عمله ، والنصير أكفر عملاً وأقل كفراً في قوله . وكلاهما كافر في قوله وعمله ، ولهذا يظهر للعقلاء من عموم المسلمين من كلام الصدر أنه إفك وزور وغرور ، مخالف لما جاء به الرسول . كما يظهر لهم من أفعال النصير أنه مروق وإعراض عما جاء به الرسول .

ولهذا كان النصير أقرب إلى العلماء لأن في كلامه ما هو حق ، كما أن الصدر أقرب إلى العباد لأن في فعاله ما هو عبادة» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٢/ ٩٢ ـ ٩٣ ، والكشف : ٢٠٣ ، ٨٤٦ ، وجهود علماء الحنفية : ٣/ ١٣٢٥ ، ١٣٥٢) .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٤٢) ، وقال في «رجال الفكر والدعوة في الرسلام» : « . . . وكانت له مجالس لطيفة مع الشيخ محيي الدين ابن عربي . . . وقد اجتمعوا في «دمشق» في ذلك العصر» .

(تنبيه) : قارن كلام الأستاذ الندوي بالأردية : «كانوا يتبادلون الحقائق والمعارف فيما بينهم» ، بكلامه في العربية : «وكانت له مجالس لطيفة مع ابن عربي . . .» ـ تجد ما هنالك من الرموز التي تكتم عن غير أهلها .

وقد تقدمت آنفاً نبذة من حقاقهم ومعارفهم . فنسأل الله السلامة !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* المحفل العلمي :

وقال الأستاذ الندوي :

«بعد ما رجع «الجلال» من دمشق (سنة ٦٣٤ أو ٦٣٥هـ) أقام في «قونية» وبعد وفاة السيد برهان الدين (سنة ٦٣٧هـ) قضى خمس سنوات في لباس علماء الظاهر، واشتغل بالعلم والتدريس. ولما مات الشيخ محيي الدين ابن عربي سنة ٦٣٨هـ، انتقل أفراد محفله العلمي الذين كانوا حوله، إلى «قونية» . . . وصارت «قونية» في هذه الفترة مدينة العلماء، وكانت مكانة الشيخ (الرومي) فيها أرفع من غيره من العلماء، وكانت أشغاله حينئذ ما كان لعلماء الظاهر»[(١)] .

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٤٢) .

(تنبيهان) : ههنا تنبيهان لابد من بيانها :

(الأول) : يدندن الأستاذ الندوي كثيراً حول العلم الظاهر والعلم الباطن . وقد تقدم المراد بالعلم الظاهر وهو علم الكتاب والسنة والشريعة، وقال ﷺ : «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» (سنن ابن ماجه : المقدمة حديث رقم ٤٣) .

أما العلم الباطن ـ عند القوم ـ هو علم الحقائق والمعارف والأسرار، الذي لا يدرك إلا بالمجاهدة والرياضة، والخروج في البراري والفلوات، وقمع الشهوات . . .

فإذا كان الأمر كذلك، فما الفائدة من إنزال الكتاب، وإرسال الرسول والحث على طلب العلم بالكتاب والسنة، وتفاني العلماء في استنباط الكثرة الكاثرة من المسائل منهما .

وقد أجاد الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ حيث قال : «وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن . . .» (تلبيس أبليس : ص ٣٦١) .

(الثاني) : ذكر الأستاذ الندوي محفل «ابن عربي» العلمي بأسلوب الرضا والقبول، لأن أحد «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» الذي يتجمل به «تأريخ الدعوة والعزيمة» كان أحد أعضائه، الذين كانوا يتبادلون «الحقائق والمعارف فيما بينهم» .

وقد عرفنا آنفاً هوية هذا «المحفل العلمي» وأعضائه المعروفين بالحلول والاتحاد والضلال والزندقة، بشهادة كبار علماء الإسلام : أمثال العزا بن عبد السلام، وابن تيمية، والذهبي، وابن كثير قديماً، وأمثال نعمان الآلوسي، وعبد الرحمن الوكيل، ومحمود عبد الرؤوف القاسم وشمس الدين الأفغاني حديثاً .

بعد كل هذا، لا أدري ماذا يراد بهذا التأريخ؟ وأي نوع من الشخصية الإسلامية يتكون به لشباب هذه الأمة المسكينة؟ ! اللهم سلّم سلّم ! !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* من الظاهر إلى الباطن :

ثمّ ذكر الأستاذ الندوي نقطة تحول في حياته من الظاهر إلى الباطن بعد ما لقي «شمس الدين التبريزي» (١) (محمد بن علي بن ملك داد) بشيء من التفصيل والإسهاب وبأسلوب التقدير والإعجاب يدلّ على فقد توازنه العقلي في هيامه في عشق شيخه التبريزي .

وهاكم شيئاً مما ذكره الأستاذ الندوي بعد تأثر الرومي بالشمس التبريزي :

«وقضى أربعين يوماً مع «شمس تبريز» في حجرة معزولة ، وفي رواية : أنه قضى معه ستة أشهر في حجرة صلاح الدين زركوب (الدّقاق) وما كان يدخل فيها إلا صاحبها صلاح الدين .

وقد أفاض عليه لقاء الشمس روحاً جديدة ، وعالماً جديداً عن الحقائق والأذواق . . وقد ترك الشيخ التدريس والوعظ بتاتاً بعد لقائه معه . . .» (٢) .

ثم ذكر : أن الناس بدأوا يعادون «شمس تبريز» لأنه عزل الشيخ عنهم فغاب عن «قونية» خشية الفتنة وشقّ ذلك على الشيخ مشقة عظيمة ، وحصل خلاف ما أراده مريدوه حتى زال عنهم التفاته ذلك اليسير أيضاً ، الذي كانوا يتمتعون به من قبل .وقد حرم أهل الصدق والوفاء من صحبة الشيخ لأجل هؤلاء القاصرين .

ولم يزل هذا الانقطاع الكلي إلى أن وصلت رسالة «شمس تبريز» من «دمشق»

---

(١) شمس الدين التبريزي ، وصفه ابن أبي الوفاء الحنفي بالإمام الصالح المشهور (الجواهر المضيئة : ٣/ ٣٤٥ ـ ترجمة الجلال الرومي) .

وقال الأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم : «لعله إسماعيلي» (الكشف : ص ٣٦٠) .

وقال الأستاذ الندوي : « . . . كان (أي التبريزي) من صغر سنه يتحلى بالصلاحية العالية ، وطموح العشق والمحبة ، ونقل في «مناقب العارفين» على لسانه أنه قبل سن البلوغ لم يكن يشتهي الطعام إلى ثلاثين وأربعين يوماً ، في عشق النبي ﷺ . . .» (تأريخ الدعوة : ١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

هذه المعلومة المفيدة في عشق النبي ﷺ لا توجد في الطبعة العربية ، ضنا بها على غير أهلها .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إلى الشيخ فجأة ، فتغيرت حاله شيئاً ، وتوجّه إلى السماع في عشقه ، والشوق إليه ، وبدأ يفيض عنايته السابقة على الذين لم يشاركوا في المؤامرة ضد «الشمس» .

وأرسل أثناء هذه المدة أربع رسائل منظومة ذكر فيها كيفيته واضطراره إلى لقائه قال في الرسالة الأولى :

أيهـــا النور في الفـــؤاد تعـــال
غـــاية الوجـــد والمراد تعـــال
أيهـــا الســـابق الذي ســـبقت منـ
ـــمصـــدوقـــة الوداد تعـــال
جـــون بيـــائى ، زهى كـــشـــاد ومـــراد
جـــون نيـــائي ، زهى كـســـاد ، تعـــال[1]
أنـت كـــالشـــمس إذ دنت ونأت
يا قـــريبـــاً على البـــعـــاد تعـــال

رجع «الشمس» إلى الشيخ ، وأقام عنده حتى نشأت ضجة كبيرة مرة أخرى فغاب عن «قونية» مرة ثانية . . . وقد أبعد الشيخ من صحبته كل من تسبب في إيذاء «الشمس» ، ولكنه بالعكس من السابق بدأ يقضي وقته في التغزل والسماع[2] ، وذلك سنة ٦٤٥هـ .

ولما غاب «الشمس» بحث عنه الشيخ في كل ناحية يومين لكنه لم يجده . فبدأت حاله تتغير ، وقد سبق أنه اختار «السماع» من قبل ، ولكنه الآن ما كان له أن يقضي لحظة من غير السماع ، وقد تغزل الشيخ في هذه المدة في فراق «شمس تبريز» تغزلاً

---

(١) معناه بالعربية :

يا ســـروراً إذا أتيت هـــنـــا ‏ ‏ يا كـــســـاداً إذا أبيتَ ، تعـــال

(٢) لاحظوا جيداً ، هكذا بدأت نقطة تحول في حياته من الظاهر إلي الباطن .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

يوجع القلب . . . خرج الشيخ إلى الشام في البحث عنه ، فلما لم يجده قال :

«أنا والشمس ليسا شخصين . . .»[١] .

ثم رجع إلى الروم وأقام في «قونية» ثم هاج عشقه ، وسافر إلى «دمشق» للبحث عنه ، ورجع إلى «قونية» وطاف بخياله في هذه المرة أنه عين «شمس تبريز» ، ولم يكن هناك البحث عن الشمس بل كنت أبحث عن نفسي ، وما كان يوجد في الشمس يوجد نفسه فيّ . . .»

بعدما رجع الشيخ من دمشق هذه المرة اختار صلاح الدين زركوب (الدقاق) خليفة له وسَمَراً في محل شمس الدين .

وبعد وفاة صلاح الدين (ـ ٦٥٧هـ) جعل حسام الدين جلبي خليفة له[٢] .

* انتخاب الرومي رفقاء له وسببه :

ذكر الأستاذ الندوي سبب اختيار الجلال الرومي رفقاء له ، بعد ذكر هذه «المسرحية الصوفية الغرامية الطويلة» فقال :

«لم يكن الشيخ يهدأ له بال من غير رفيق . . . وبالتالي يظهر من ذلك أنه كان في حاجة إلى باعث لإظهار الكمالات الخفيّة في باطنه ، و«الديوان» ، و«المثنوى»[٣] من

---

(١) قال الجلال الرومي أيضاً : « . . . من ناحية تبريز أشرقت شمس الحق ، فقلت لها : نورك مقترن بالأشياء ، وهو في الوقت نفسه مفارق لها . إن شمس محيا «شمس الدين» بهاء الأفق ، لم تشرق يوماً على ما هو فان إلا وهبته طبيعة البقاء . . .» (الصوفية بين الأمس واليوم : ٧٣ ـ ٧٤ ، وعنه في الكشف : ص٥٦٣ ، وقال :

«يعني بشمس الحق أستاذه «شمس الدين» ، ووحدة الوجودة ظاهرة في النص») .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٤٧ ـ ٣٥٣) .

أهكذا يكون أبطال «تأريخ الدعوة والعزيمة» ، و«رجال الفكر والدعوة في الإسلام»؟

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

(٣) ذكر الأستاذ الندوي ما يقارب ستة وسبعين بيتاً من «المثنوي» للرومي ، وثلاثة أبيات من «ديوانه» في فصل «أهمية الدعوة إلى العشق وبيان مكانة الإنسانية» من فصول كتابه «ربانية لا رهبانية» : (٧٣ ـ ٨٦

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شواهد ظاهرة على الإثارة الباطنية من رفقائه . . .» (١) .

* رياضته ومجاهدته :

قال الأستاذ الندوي معجباً به وبرياضته ومجاهدته وعشقه وسماعه :

« . . . إذا غلب النوم على مريديه في مجالس السماع اتكأ إلى الجدار مطأطئاً رأسه على ركبتيه مراعياً لهم ليناموا من غير كلفة ، ثم كان يقوم ويشتغل بالذكر والشغل . . .

وكان يصوم في أغلب الأحوال ، ولم يأكل شيئاً عدة أيام متتالية . . .» (٢) .

=طبعة أردية) .

وسيأتي ما لهذا «المثنوي» وما عليه . (وقد سموه «قرآناً بهلويا» «أي فارسياً») . وكيف يتواصون بقراءته والاستدلال به مع ما فيه من الدعوة الصريحة إلى الحلول والاتحاد . وصنيع الأستاذ الندوي في الاستدلال به على موضوعه أكبر شاهد على ما قلت . وراجع ردّ الأستاذ رضا علي على كتاب «الحب الخالد» في آخر باب «الردود» تجد ما هنالك من أثر لمثل هذه الكتابات الصوفية في نفوس الشباب المسلم .

(١) تاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) ما هذه الكمالات الخفية إلا الولوج في أوحال وحدة الوجود .

(٢) هذه الفقرة تحتوي على أمور ، منها :

ـ (السماع) : سيأتي التفصيل عنه في موضعه إن شاء الله تعالى في باب «الصوفيات» .

ـ (مطأطأة الرأس) : ليست هذه بفضيلة ، لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء ، لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ [ق : ٦] .

وقال تعالى : ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض . . .﴾ [يونس : ١٠١] .

إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ، ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً . . .

وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد . وربما قيل له : ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة . . .

«وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . . .» (تلبيس أبليس : ٣٢٧ ـ ٣٢٩) .

ـ (السهر) : السهر ليس بفضيلة ، لو كان كذلك لما نهى عنه النبي ﷺ ، فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها . . .» (تلبيس أبليس : ص٣٦٤) .

ـ (الوصال في الصوم) : الوصال المنهى عنه في الشرع ، لو كان فضيلة لكان أصحاب رسول الله ﷺ أولى به .

نقل ابن الجوزي عن إبراهيم بن أدهم : «أنه اشترى زبداً وعسلاً وخبزاً فقيل له : هذا كله تأكله ، فقال : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقال :

«ويتّضح من أحواله أنه كان يتمتّع بطبع متدفق أشرب العشق في لحمه ودمه ، وقد أخمد توغله في «العلم الظاهر» (١) ، و«العقليات» هذه النار إلى أن أثارت صحبة «شمس تبريز» الدافئة طبعه ، فانكشف ما استتر من حاله من أجل التربية والبيئة ، فصار يحترق ويتناغم . . .

هذه هي النار الحارقة التي كانت تجرّه إلى السّماع ، وكان يتقوى به ويتغذى . . . . .»(٢) .

الدعوة إلى العشق :

قا الأستاذ الندوي تحت العنوان المذكور :

«وما هبّ من ريح علم الكلام والعقليات في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً تبردت به مجامر القلوب ، وإن كانت شرارة العشق في مكان مطمور تحت أكداس مكدسة من الرماد . . .

في هذا الجو البارد المنوم ، رفع الشيخ (أي الرومي) نداء العشق ، فكأنه كهرب جسم العالم الإسلامي من جديد .

دعا الشيخ إلى العشق نهاراً وجهاراً ، وبين كرامة المحبة ، وعجائب

=إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال . وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال» (تلبيس أبليس : ص٢٤٥) .

(١) نقل ابن الجوزي عن سهل بن عبد الله التستري : أنه قال : «احفظوا السواد على البياض ، فما أجدمن ترك الظاهر إلا تزندق» .

وقال ابن عقيل : «جعلت الصوفية الشريعة اسما ، وقالوا المراد منها «الحقيقة» ، وقال : «وهذا قبيح ، لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم ، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع» (تلبيس أبليس : ٣٦٥ـ٣٦٦)

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) ، وسيأتي رأي الأستاذ الندوي في «السماع» في مبحث «السماع» في باب «الصوفيات» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العشق . . .»[١] .

* معاني بعض أبياته الفارسية :

قال الأستاذ الندوي :

«انتقد الشيخ أيضاً أهل الحكم ،والسلطة في أبياته الفارسية ومنها ما معناه :

«إن الحكم إذا كان في يد شارب الخمر
لا جرم أن ذا النون [٢] يسجن
وإذا كان القلم بيد غدّار
لا جرم أن منصوراً [٣] يصلب
وإذا كان السفهاء أولى الأمر
يلزم أنهم يقتلون الأنبياء» [٤]

* * *

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٦٨) ، راجع للتفصيل «ربانية لا رهبانية» (٧٣ ـ ٨٦ طبعة أردية) .

(٢) هو : ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض ، ويقال : الفيض بن إبراهيم (ـ ٢٤٥هـ) ، أحد مشايخ الطريق المذكورين في رسالة القشيري ، وهو أول من عبر عن علوم المنازلات وأنكر عليه أهل مصر ، وقالوا : حدثتَ علماً لم تتكلم فيه الصحابة ، وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة ، وأحضروه من مصر على البريد ، فلما دخل سر من رأى وعظه ، فبكى المتوكل وردّه مكرماً . . . وقال السلمي : «وكان أهل مصر يسمّونه بالزنديق» . (شذرات الذهب : ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨ ، والطبقات للشعراني : ١/ ١٥ ، واليواقيت والجواهر : ١/ ١٣ وعنهما في الكشف : ص٨٤٢) .

(٣) منصور : هو أبو منصور «سعيد بن منصور الحلاج المصلوب (سنة ٣٠٩هـ) لزندقته في الاتحاد بفتوى الفقهاء والعلماء من أهل الظاهر والباطن ـ على حد قولهم ـ كما تقدم ، وسيأتي أيضاً عند تأويل الشاه محمد يعقوب المجددي (مرشد الأستاذ الندوي) لكلام الحلاّج أيضاً .
وقد صرح الجلال الرومي بأنه من أهل وحدة الوجود حيث قال : « . . . لا لا بل هو الذي ظهر في صورة إنسان ، وصاح «أنا الحق» ، ليس «منصور» هو الذي صلب على الدار ، ولو ظن الجاهلون خلاف ذلك . . .» (في التصوف الإسلامي وتأريخه : ١٠٥ ـ ١٠٦ ، وعنه في الكشف : ص١٥٣) وسيأتي في بيان عقيدته مفصلاً إن شاء الله .

(٤) «الديوان» للرومي (ص ١٣١) ، وعنه في «تأريخ الدعوة والعزيمة» (١/ ٣٨٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه الأبيات تعطينا فكرة واضحة عن موقف الجلال الرومي من وحدة الوجود ، ثم الدفاع عن أصحابها نظماً ونثراً ، ومنهم الحلّاج .

والجدير بالذكر أن الأستاذ الندوي لم يذكر ترجمة هذه الأبيات في الطبعة العربية ، ضناً بها على غير أهلها ، بل ذكر معناها العام ، وجعل الحلاج وغيره من الأبرياء والصلحاء ، فقال :

«بل إنه قرر أن تعطّل الصالحين ، وقعودهم عن الجهاد ، وتوكلهم العجمي الذي لا يتفق وتعاليم الإسلام : أفضى إلى سيادة الفسّاق والظالمين ، وحكومة السفهاء والجاهلين ، الذين سفكو دماء الأبريا ، وقتلوا العلماء والصلحاء ، وجاروا في الحكم ، وخانوا أموال الناس وتسلط في عهدهم الحمقى ، وتوارى الحكماء العقلاء ، ووسّد الأمر إلى غير أهله»[1] .

بهذا الأسلوب الخطابي العام وضع أهل الحكم الذين عاقبوا المنحرفين عن الصراط المستقيم في العقيدة والعمل ، حسب فتوى العلماء وشهادة الفقهاء ، في قفص الاتهام ، ورماهم بالفسق والظلم والسفاهة ، والجهالة ، وبَرّأ ساحة المجرمين ، بل وصفهم بالعلم والصلاح .

هكذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً !!

* أثر المثنوي في العالم الإسلامي :

بين الأستاذ الندوي «أثر المثنوي» فقال :

«أثّر المثنوي[2] في أفكار العالم الإسلامي وأدبياته تأثيراً عميقاً بالغاً ، قلّما تجد في

---

(١) «الديوان» للرومي (ص ١٣١) ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١/ ٢٩١ ـ الرومي) .

(٢) هناك كتب كثيرة ، فيها نفع قليل ، انتفع به كثير من الناس ، ولكنّه مشوب بشر كثير ، وخرافات صوفية . وهذا النقد في مثل هذه الكتب في غاية من الإنصاف ، وعلى محكم الأساس ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس . . .﴾ [البقرة : ٢١٩] .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الأدب الإسلامي كتباً بقيت تأثيراتها في أوساطها الواسعة، إلى مثل هذا الأمد الطويل . . . ولذا جعله أهل المحبة والمعرفة في كل عصر من العصور بمثابة سراج المحفل، وترجمان القلب»[(١)] .

=قال الدكتور الشيخ شمس الدين الأفغاني (صاحب «الماتريدية» : ١/ ٥٣ ـ ٥٥) :

« وعلى هذا المنوال كتاب «المثنوي» للرومي الحنفي إمام الطريقة الصوفية المولوية الذي تهافت عليه كثير من الحنفية الرومية والتركية والإيرانية والأفغانية والهندية، فقد بالغوا في إكبار هذا الكتاب الخرافي، إلى حد سموه «قرآن البهلوي»، ولقد بالغ مؤلفه المولوي الرومي الصوفي الحنفي، في إجلال كتابه المثنوي وإكبار هذا المعدن الخرافي .

فقال : «وهو أصول أصول الدين، في كشف أسرار الوصول واليقين، وهو فقه الله الأكبر، وشرع الله الأزهر، وبرهان الله الأظهر، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، يشرق إشراقاً أنور من الإصباح . . .، يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، وإنه شفاء الصدور وجلاء الأحزان، وكشاف القرآن . . .، بأيدي سفرة كرام بررة، يمنعون أن لا يمسَّه إلا المطهرون، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . .» (مقدمة المثنوي : ص ٧٠، وعنها في «الماتريدية» : ١/ ٥٣ ـ ٥٥، وقال :

«قلت : هذا كما ترى فيه مضارعة ومضاهاة ومصارعة للقرآن، مع ما فيه من الضلال والإضلال والعدوان والبهتان .

أقول : وللحنفية المولوية الصوفية الرومية التركية عجائب أخرى في إجلال المثنوي وغرائب أخرى في إكبار هذا الكتاب الخرافي . (رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار : ص ٣١٠ ط . طلال) .

ولا عجب من هؤلاء الخرافية وإنما العجب من فضيلة الشيخ الندوي رأس الندوية، كيف يكبر هذا الرومي الصوفي؟ ولم يجل كتابه «المثنوي» . اهـ) [قرآن البهلوي» : أي قرآن الفارسية، (المثنوي المعرب (١/ ٨) للدكتور كفافي] .

(١) قد وجد في القوم ـ في كل عصر من العصور المتلاحقة ـ من يثني على «المثنوي» للرومي، مثل هذا الثناء البالغ المشوب بالعاطفة الصوفية، الذي جعل الناس يتهافتون عليه من غير علم ولا هدى، اعتماداً على ما قال فيه كبراؤهم، حتى بلغ بهم الإعجاب به إلى أن أسموه «قرآن البهلوي»، ووصفوه بـ «المثنوى العظيم» و«مصدر إيمان جديد» (كما في رجال الفكر والدعوة : ١/ ٢٧٨)، وتواصوا بقراءته، مدارسته، وتدريسه .

* وقد قال الأستاذ الندوي في ترجمة الشيخ إمداد الله المكي (ـ ١٣١٧هـ) شيخ الديوبندية في التصوف :

«وكان الشيخ إمداد الله . . . مولعاً بالمثنوي المعنوى، دائم الاشتغال به تأملاً، وتدريساً، وتذوقاً، وتلقيناً، ينصح أصحابه بقراءته، والتأمل فيه، له مصنفات لطيفة كلّها في الحبّ الإلهي والمعرفة والتصوف . . .» (من زياداته على نزهة الخواطر : ٨/ ٧٢) .

* وقال في ترجمة الشيخ أشرف علي التهانوي (ـ ١٣٦٢هـ) تلميذ الحاج إمداد الله وأحد كبار علماء الديوبندية :

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ليست محتوياته أرفع من الانتقاد، ولا أنزهه من الأخطاء والزلات أبداً[(١)] وقد استغلّه فاسدو العقيدة من الصوفية وأهل الهوى أحياناً استغلالاً سيئاً، وكذلك القائلون بوحدة الوجود[(٢)]، ويستدلون به على مذهبهم حتى الآن - وهو - على كل

=«... وكان... كثير الإنشاد لأشعار «المثنوى» لمولانا جلال الدين الرومي في المواعظ والمجالس في مجالها...» (من زياداته على «نزهة الخواطر»: ٨/ ٥٩).

وقد ذكر الشيخ شمس الدين الأفغاني «بعض التبركات البدعية عند الديوبندية»، ومنها:

- التبرك بختم كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي (ـ ٥٠٥هـ). (كما في «إمداد المشتاق للشيخ أشرف علي التهانوي المذكور: ص٩٢).

- التبرّك بالمثنوى للرومي الحنفي (ـ ٦٧٢هـ) إمام الصوفية المولوية. للديوبندية شغف بهذا المصحف وختمه والاحتفال به. (إمداد المشتاق: ٨٧ - ٨٨). وقد تهافت عليه القبورية الرومية والتركية والإيرانية والأفغانية، والهندية تهافت الفراش على النار». (كشف الظنون: ٢/ ١٥٨٧، وتأريخ الدعوة للندوي: ١/ ٣٣٥ - ٤٠٠)، ورحلة ابن بطوطة (تحفة النظار): ١٣٠ط. طلال، وعنها في «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية»: ٢/ ٧٩٩ - ٨٠٠).

معروف أن الحاج إمداد الله، ومريديه المشهورين: الشيخ النانوتوي، والشيخ الجنجوهي والشيخ أشرف علي التهانوي كانوا يعتقدون بوحدة الوجود. كما تقدم وسيأتي أيضاً في الهامش القادم إن شاء الله.

(١) ليس الأمر بهذا الهون، الذي يوحي إليه هذا الأسلوب المستريب، بل هو أكبر مما يتصور. وقديماً قيل: «يكاد المريب أن يقول خذوني».

وسيأتي بيان ذلك كله بالأدلة إن شاء الله تعالى.

(٢) نحن نتغاضى - هنا - عمن استغل «المثنوي» من فاسدي العقيدة من الصوفية استغلالاً سيئاً، لفساد معتقدهم ووهاء مسلكهم في التصوف.

ولكن ماذا عن أولئك الذين وصفهم الأستاذ الندوي بالاستقامة، والغيرة على الدين، واتباع السنة، والاجتناب عن البدع، وهم يجاهرون بعقيدة وحدة الوجود، وكانوا من المولعين بالمثنوى - أيضاً - تأملا وتدريساً وتذوقاً وتلقيناً، واستشهاداً به في مواعظهم ومجالسهم، على حد قول الأستاذ الندوي نفسه، كما تقدم آنفاً في الهامش السابق.

وإليكم المزيد من البيان ليخرج الأمر من حيز التعمية والإلغاز.

* قد صرح الحاج إمداد الله بأن عقيدة وحدة الوجود هي عقيدته وعقيدة جميع مشايخه وعقيدة جميع مريديه، وذكر فيهم: «الشيخ النانوتوي الإمام الأول للديوبندية (مؤسس دار العلوم بديوبند)، والشيخ الكنكوهي (الإمام الثاني للديوبندية) (بيان وحدة الوجود: ١٣٠ - ١٣٣، والشمائم الإمدادية: ٣١ - ٣٢ - كلاهما لإمداد الله).

* ونقل الشيخ أشرف علي التهانوي (ـ ١٣٦٢هـ) شيخهم الثالث في التصوف، عن شيخه الحاج إمداد الله المكي (ـ١٣١٧هـ) أنه قال: =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

حال ـ عمل إنسان لم يكن معصوماً[1] . . . على الرغم من ذلك لا ينكر أنه مـأثرة علمية كبيرة لعصره ، وشاهد على تقدّم الإسلام العلمي ، وحياته الأبدية[2] . . .

يوجد في الهند كثير من أهل العلم ، الذين يعترفون اعترافاً صريحاً بأنهم تمتعوا

=«أعجبتني بعض الأمور الطيبة في الحرمين ، منها : أن عقيدة وحدة الوجود انتشرت كثيراً في الناس ، وارتكزت فيهم حتى الأطفال ، فقد ذهبت مرة إلى مسجد قباء فسمعت شخصاً يقول : يا الله يا موجود ، فقال الآخر : بل في كل الوجود .

فلما سمعت ذلك طرأ عليّ حال .

ثم رأيت الأطفال يلعبون . فقال أحدهما : يا الله ليس غيرك . فطربت منه إلى حد زالت قواي ، فقلت لهم : لم تذبحونني؟ ! (إمداد المشتاق : ص٩٥ ، وعنه في «جهود علماء الحنفية» : ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩١ ، وقال : وقوله : «طرأ على حال» . نعوذ بالله من الأحوال الصوفية .

وقوله : «لمَ تذبحونني؟» معناه : أنه من شدة حبه لعقيدة وحدة الوجود ، ونهاية عشقه لها ، كان يطرب حتى يغمى عليه ، فخاف على نفسه الموت ، لذا قال لهؤلاء الأطفال : «لم تذبحونني» شوقاً وعشقاً لوحدة الوجود) .

* وقد اعترف الشيخ أنور شاه الكشميري الملقب بإمام العصر (ـ ١٣٥٢هـ) بأن مشايخنا مولعون بعقيدة وحدة الوجود ، ولكني لست بمتشدد فيها» (فيض الباري : ٤/ ٤٢٨) .

تبيّن من هذه التصريحات الواضحة الجريئة بأن أهل الاستقامة من الصوفية ـ فضلاً عن المنحرفين منهم ـ أيضاً يعتزون بعقيدة وحدة الوجود ، وهم من المولعين بالمثنوى .

فقولوا لي بالله : ما الفرق بين استقامة هؤلاء القوم ، وانحراف أولئك؟ اللهم إلا التحيز ، والتعصب ، والإلغاز ، والتعمية . . .

علينا جميعاً أن نخاف الله عز وجل ، ونتجنب من هذه الأساليب الملتوية المتعرجة ، ونحترم عقيدتنا لأنها أصل ديننا ، ولا دين بدون عقيدة . لأن الأوامر الخلقية العامة هي المشتركة بين الأمم ، ويتميز المسلم عن غيره من الناس بعقيدته التي وردت في الكتاب والسنة . والله الموفق .

(١) ليس الأمر بأنه لم يكن معصوماً ، بل كان من أصحاب الحلول والاتحاد ، ومن تلاميذ ابن عربي ، ومن المدافعين عن الحلاج ، كما تقدم مفصلاً ، وسيأتي أيضاً في موضعه إن شاء الله .

(٢) قال الأستاذ الندوي أيضاً : « . . . ولذلك كان «المثنوى العظيم» (؟) مصدر إيمان جديد ، وإذعان مزيد في كل عصر ، تنشرح بقراءته الصدور الحرجة ، وتطمئن بدراسته العقول المضطربة . . . وهو من هذه الناحية مؤسس علم جديد . . .» (رجال الفكر والدعوة في الإسلام : ١/ ٢٧٨ ـ الرومي) .

ـ ليست الأمة بحاجة إلى مصدر إيمان جديد بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

ـ ومن لم ينشرح صدره بقراءتهما ، ولم يطمئن عقله المضطرب بدراستهما فلا يَلُمْ إلا نفسه . والله المستعان وإليه المشتكى !

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بنعمة الإســـلام لأجـــل «المثنـــوى» مرة ثانية . ومن فضله وفيضه هم مسلمون وأهل الإيمان[١] .

واعترف مفكر القرن العشرين الفيلسوف المسلم الدكتور «محمد إقبال»[٢] كثيراً

---

(١) مصدر التلقي المعصوم هو الوحي ـ كتاباً وسنة ـ عند أهل الإسلام ، ومن يتمسّك بهما على فهم السلف الصالح ، يتمتّع بنعمة الإسلام حقاً . ومن تمتع بنعمة الإسلام بعد دراسة «المثنوي» فالله أعلم بحاله وحال إسلامه .

وأتساءل : ما الدليل على أن هؤلاء «الكثيرين من أهل العلم» لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من «أهل الإيمان والإسلام والاستقامة» ـ على حد قول الأستا ذالندوي ـ الذين تقدم ذكرهم آنفاً . هم كبار الديوبندية الأوائل؟ !

(٢) ينتمي الدكتور محمد إقبال (١٨٧٣ ـ ١٩٣٨م) إلى أسرة كشميرية وثنية هندوسية من البراهمة ، وقد اهتدى أحد أجداده إلى الإسلام ، على يد أحد رجال الصوفية في كشمير ، وظلّت النزعة الصوفية متغلّبة على أفراد أسرته ، حتى تأثر بها هو نفسه فيما بعد .

«لقد تعرف العالم الإسلامي ـ في المنطقة العربية ـ على إقبال من خلال شعره قبل فكره ، وكانت الصياغة المترجمة لأشعاره متأثرة بالأسلوب الأدبي ، وتحمل من المشاعر الإسلامية الرائعة ، أكثر مما تهتم في تحديد الأفكار ، وإبراز المبادئ» (النزعة المادية في العالم الإسلامي : ص ٢٨٠) .

قام فريق من العلماء بتصدير أفكاره خارج القارة الهندية . ومنهم :

* الأستاذ أبو الأعلى المودودي (ـ ١٩٧٩هـ) أثنى على إقبال وجهوده ، وعلى رغبته هاجر المودودي إلى البنجاب ليتعاون معه في مشروع «تجديد الفكر الديني في الإسلام» ولكنه توفى بعد هجرته بشهر . وقد كان بينهما انسجام كبير في الآراء ، وكان كل منهما قريباً من قلب الآخر ، لما بلغته وفاة محمد إقبال ، كتب كلمة قصيرة ، قال فيها :

«فقد أكبر سند لي في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم» . (الإمام أبو الأعلى المودودي لخليل الحامدي : ٢٩ ـ ٣٠ ، وأبو الأعلى المودودي لأسعد جيلاني : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، وعنهما في دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة : ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

* «كما أن تقريظ أبي الحسن الندوي لشخصية إقبال وأفكاره ، وتأليف الكتب حول آثاره وروائعه ، ساهم في غض الطرف عن انحرافات إقبال وتجاهلها .

* كما قامت جهود كبيرة في عرض فكر إقبال والثناء عليه ، وترجمة إنتاجه الفكري والتركيز عليه ، كما فعل العقّاد وعبد الوهاب عزام وهذه شهادات لها قيمتها بين شباب الأمة الإسلامية (لأن المودودي وأبا الحسن الندوي لهما شأنهما بين الدعاة المسلمين ، كما أن العقاد وعزاماً لهما شأنهما في عالم الفكر والأدب) ، وبهذه الطريقة كان دخول إقبال إلى قلب العالم الإسلامي ، رغم الانحراف الظاهر في فكره . . .» (النزعة المادية : ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=يظهر من أشعار «محمد إقبال» النابضة بالحماسة الإسلامية، والحمية الدينية، والحيوية الخلقية، والنشاط السياسي، واستنهاض همم الأمة: أنه كان يحمل في جنبه قلباً مخلصاً للإسلام والمسلمين.
ولكن الإخلاص وحده ـ من دون العلم الكافي بالكتاب والسنة، والبصيرة النافذة في علوم الشريعة، والإيمان بعصمة مصدر التلقي ـ لا يكفي لتحديد خط السير للمسلمين إلى الإسلام الصحيح، مع تقريبهم إلي المستجدات الحضارية. (دعوة شيخ الإسلام: ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).
وقد انحرف الدكتور «محمد إقبال» عن الخط المستقيم في عدة أمور، منها:
* ترك الأحاديث على رأي أصحاب النزعة الحرة بأن تجعل أصلاً من أصول التشريع أولا، يظهر من أسلوبه أنه لا يرغب أن تجعل أصلاً. (مفهوم تجديد الدين: ص١٤٠).
* اعتباره بأن الجنة والنار حالتان لا مكانان، ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفساني أي لصفة أو حال. (تجديد الفكر الديني في الإسلام لمحمد إقبال: ص ١٤١، وعنه في «مفهوم تجديد الدين»: ص١٣٨).
* الدعوة إلى الحرية العقلية في الإسلام: من حيث جعل تركيا «هي الأمة الإسلامية الوحيدة التي نفضت عن نفسها سبات العقائد الجامدة ... وهي وحدها التي نادت بحقها في الحرية العقلية، وهي وحدها التي انتقلت من العالم المثالي إلى العالم الواقعي» (تجديد الفكر: ١٨٦، وعنه في «مفهوم تجديد الدين: ١٣٦ ـ ١٣٧، وقال:
«من هذه الآراء تنكشف معالم التجديد الذي يدعو «إقبال» الأمم الإسلامية إليه».
* التقاؤه بالمعطلة من القدرية الذين يعتبرون الإنسان سيد مصيره، ومالكاً لحريته المطلقة. (النزعة المادية: ٢٨٢).
* نزعته إلى وحدة الوجود: كما أنه كان متأثرا بفلاسفة الشرق والغرب أمثال ابن سينا والفارابي، والرازي، وهيجل، وكومت، ونتشه، وغوبته وغيرهم. كذلك كان متأثراً بالصوفية أيضاً أمثال الجنيد، والبسطامي، والحلاّج، والغزالي، وابن عربي، والرومي، والعطّار، والقلندر، ومعين الدين الجشتي وغيرهم.
«وهو يعد الجلال الرومي مثله الأعلى ورائده في الحياة، ويوقر الحلاج وابن عربي وغيرهم من أصحاب الحلول والاتحاد، ويأخذ من أفكارهم» (النزعة المادية: ٢٨٠) وسيأتي التفصيل في الهامش الآتي عن مدى تأثره بالرومي والحلاّج وابن عربي، واستدلاله بأقوالهم في أشعاره ـ إن شاء الله ـ.
وقد ناقش بعض أفكاره عدة من الكتاب، ومنهم:
* الأستاذ سيد قطب في «خصائص التصور الإسلامي».
* والدكتور محمد البهي في «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي».
* والأستاذ بسطامي محمد سعيد في «تجديد مفهوم الدين».
* والأستاذ عادل التل في «النزعة المادية في العالم الإسلامي».
* والمؤلف في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة».

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بفضل الشيخ الرومي ، وفيضه ، وإرشاده [1] .

---

(١) يعتبر الدكتور محمد إقبال ، الجلال الرومي مرشده الروحي ، وقدوته المثلى ، في تكوين شخصيته . قال ما معناه :

بفيضه صارت عيني بصيرة   وبفيضه انحسر نهر «جيحون» في كأسي

(كليات إقبال : ٣٢٠ =الأردية ط . سادسة . لاهور ١٩٨٦م) .

ـ وقد نظم «مكالمة طويلة» بين الشيخ الرومي ، والمريد الهندي ، تحتوي على ثمانية وخمسين بيتاً . (كليات إقبال : ٤٢٦ ـ ٤٣٤ ، وراجع ذكر «الرومي» في الصفحات ذات الأرقام : ٣٣١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٤٤٠ ، ٥٨٣) .

* تمجيده للحلاج واستشهاده بكلامه :

ـ قال في قصيدته المسماة «الزهد والزندقة» على لسان أحد ناقديه ، بأنه قال فيه ما معناه :

هو مجموع الأضداد ليس إقبالاً   قلبه ديوان الحكمة وطبعه خفقاني

وهو على معرفة بالزندقة والشريعة على السواء   لو سألته عن التصوف فهو ثاني المنصور

لا تنكشف عليّ حقيقة هذا الرجل   لعله يكون مؤسساً لأي إسلام آخر» .

(كليات إقبال : ٦٠) .

ـ وقال ما معناه :

«العداوة بين «العلم» و«المعرفة» نشأت من خطأ «المنبر» ، لأنه زعم «صليب الحلاج» عدواً له» (كليات إقبال : ٣١٥) .

ـ وأنشد بيتين عنونهما بـ «إقبال» فقال :

«كان الحكيم السنائي (الشاعر الصوفي المعروف المتوفى ٥٢٥هـ) يقول للرومي (ـ ٦٧٢هـ) في الفردوس لم تزل في المشرق نفس الكاسة .

ولكن في رواية للحلاج : أن رجلاً قلندر يا كشف عن سر الاعتماد بالذات (الأنانية) أخيراً» (كليات : ٥٨٠) .

ـ وقال :

«ضبط النفس ، والاعتماد على الذات (الأنانية) ، والقول بـ «أنا الحق» ـ هذه هي مقامات السالك إذا كان حراً» (كليات : ٦٨٠) .

* استشهاده بابن عربي :

نظم مكالمة بين «الله عز وجل وإبليس» . وقال : هي مأخوذة من كلام محيي الدين ابن عربي» (كليات : ٥٠٨ ـ ٥٠٩) .

هذه هي نبذة عن الدكتور محمد إقبال والوجه الآخر من كتاباته وأشعاره .

وهذا هو «المثنوي» ، وأثره في تكوين شخصيته ، بأنه جعله يستفيد من ابن عربي ويمجّد الحلاج ، ويعتبره رمزاً للحرية ، يعتقد بما اعتقده هؤلاء القوم من الحلول والاتحاد في الظاهر ، والله أعلم . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومع هذا ، يشكو ويحتج على طائفة ركّزت نظرها على ألفاظه ، وظاهر معانيه ، فجعلته ذريعة الرقص والوجد ، بدل قهر النفس وحرقة القلب . . .»[١] .

* مكانته في التصوف :

يعتبر الجلال الرومي مؤسس «الطريقة المولوية» (أو الجلالية) في التصوف ، كان على صلة وثيقة بابن عربي ، وتلاميذه ، ومنهم السعد الحموي ، والصدر القونوي في دمشق . وفي «قونية» وصل إلى مقام «الفرق الثاني» [٢] على يد «شمس تبريز» : محمد بن علي بن ملك داد (لعله إسماعيلي) [٣] .

* وحدة الوجود :

بما أن الجلال الرومي كان أحد أفراد «المحفل العلمي» الذي رأسه ابن عربي ، نرى تشابهاً كبيراً بينهما في القول بوحدة الوجود .

ـ قال الجلال الرومي مؤسس «الطريقة المولوية» :

«نفسي ، أيها النور المشرق ، لا تنء عني لا تنء عني

حبي ، أيها المشهد المتألق ، لا تنء عني لا تنء عني

انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي

=بعد كل هذا ، يبث إقبال شكواه ويحتج على أولئك المنحرفين الذين جعلوا «المثنوي» ذريعة للسماع والوجد والرقص ، على ما قال الأستاذ الندوي .

وسيأتي في آواخر هذا البحث ، رأيه في الإنسان الكامل ، والنيابة الإلهية ، والعشق الصوفي ، وهو متأثر في جميع هذه الأمور بالرومي وغيره من أهل الوحدة والحلول والاتحاد .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩) .

(٢) الفرق الثاني : عند القوم هو : «شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة ، من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر» (التعريفات : ص٢١٣) .

(٣) الكشف (ص٣٦٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بل انظر إلى زنار زاردشت حول خصري

أحمل الزنار ، وأحمل المخلاة [الزنار ، والمخلاة للاستجداء ، من شعار الهندوسية والبراهمة أيضاً] .

لا بل أحمل النور ، فلا تنء عني ، لا تنء عني

مسلم أنا ، ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي

توكلت عليك أيها الحق الأعلى ، فلا تنء عني لا تنء عني

ليس لي سوى معبد واحد ، مسجداً كان أو كنسية أو بيت أصنام

ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ، فلا تنء عني لا تنء عني» (١) .

ـ **وقال :**

«مجهول أنا عند نفسي ، بربك خبرني ما العمل»

ولا بهذا الكون ولا ذاك ، ولا في الجنة ولا النار موطني

ولا طردت من عدن ولا يزدان ، ولا من آدم أخذت نسبتي

بل من مقام ما أبعده من مقام ، وطريق خفي المعالم

تجردت عن بدني وروحي ، فمن جديد أحيا في روح محبوبي (٢) .

---

(١) في التصوف الإسلامي وتأريخه (ص٩٤) ، وعنه في الكشف (ص١٥٢) .

وقارن هذه الأبيات بما قاله ابن عربي في المعنى نفسه في تقرير وحدة الوجود ، ووحدة الأديان لأن ـ عندهم ـ كل المعبودات هي الله ، وكل شيء هو الله :

لقد صارت قلبي قابلاً كل صورة … فمرعي لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف … وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أني توجهت … ركائبه فالحب ديني وإيماني

(ديوان ترجمان الأشواق ، ومحاضرة الأبرار (ص٤٠٢) وعنه في الكشف : ص١٥٢ ، وقال :

«وبدهي أن هذه العقيدة تنبثق من «وحدة الوجود» ، ولنعلم أنه كان ينشر هذا الكلام في زخمة الحروب الصليبية») .

(٢) في التصوف الإسلامي وتأريخه (ص٩٥) وعنه في «الكشف» : (ص١٥٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ وقال :

«يظهر الجمال الخاطف كل لحظة في صورة ، فيحمل القلب ويختفي ، في كل نفس يظهر ذلك الصديق في ثوب جديد ، فشيخاً تراه تارة وشاباً تارة أخرى . . . انظر إليه وقد خرج من طينته الفخار ، وانتشر في الوجود يظهر بصورة نوح وأغرق الدنيا بدعاء منه . . . وفي نهاية المطاف ظهر بصورة عربي ، ودان له ملك العالم . . . . . ذلك الجميل فتان القلوب قد ظهر بصورة سيف في كفّ علي ، وأصبح البتار في زمانه ، لا لا ! بل هو الذي ظهر في صورة إنسان ، وصاح «أنا الحق» ، ليس (منصور) هو الذي صلب على الدار ، ولو ظن الجاهلون خلاف ذلك . . .»[1] (منصور هو الحلاج) .

ـ وقال :

«أنا سرقة اللصوص ، أنا ألم العصا ، أنا السحاب ، وأنت الغيث ، أنا الذي أمطرت في المروج»[2] .

ـ وقال على لسان قطب يخاطب البسطامي :

«إن الله هو ما تراه فيّ بعين قلبك ، لأنه اختارني بيتاً له ، فإذا رأيتني فقد رأيته ، وطفت حول الكعبة الحنيفيّة ، وإذا عبدتني فقد عبدته وسبحت له ، فلا تظن أنني شيء غيره»[3] .

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه (١٠٥ ـ ١٠٦) ، وعنه في «الكشف» (ص١٥٣) .

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص١٥٢) ، وعنه في «الكشف» (ص١٥٤) .

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص١٥٧) ، وعنه في «الكشف» (١٥٤) ، وقال :

«النص الأخير واضح جداً» «أي في وحدة الوجود» ـ نسأل الله السلامة !

ومن ناحية أخرى ، يوجد في قول الرومي هذا نوع تأييد لما رآه الجهلة في الحلاج من رجوعه إليهم بعد صلبه بثلاثين يوماً . ذكر ابن كثير عن الخطيب أنه قال :

« . . . وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً ، وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم ، وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال : لعلك من هؤلاء النفر الذين =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تمجيده للحلاج :

عرض الرومي أبا منصور الحلاج في شعره رمزاً للبراءة والعلم والصلاح(١) .

وكذلك اعتقد الرومي فيه بأنه لم يصلب ، وقال : «لا لا ! بل هو الذي ظهر في صورة إنسان ، وصاح «أنا الحق» ، ليس (أبو) منصور هو الذي صلب على الدار ، ولو ظن الجاهلون خلاف ذلك»(٢) .

* * *

=ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول ، إني لست به ، وإنما ألقي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتم . وكانوا بجهلهم يقولون : إنما قتل عدو من أعداء الحلاج . فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال : إن كان هذا الرأي صادقاً فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به . كما ضلت فرقة النصاري بالمصلوب» . (البداية والنهاية : ١١/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .

(١) راجع «تاريخ الدعوة والعزيمة» (١/ ٣٨٢) ، وقارنه بما في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» . (١/ ٢٩١) .

(٢) كما تقدم آنفاً مع الهامش السابق .

(تنبيه) : يظهر من دراسة التصوف أن تمجيد الحلاج (ـ ٣٠٩هـ) المصلوب لأجل طاماته ، والدفاع عنه والاستشهاد به ، وتأويل كلامه ، وجعله رمزاً للعلم والصلاح والبراءة والحرية ـ لمن مواطن الضعف والوهن في الصوفية ، حتى «أهل الاستقامة» من أبطال «تاريخ الدعوة والعزيمة» و«رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ـ أمثال الغزالي (ـ ٥٠٥هـ) ، والجيلاني (ـ ٥٦١هـ) ، والسهروردي (ـ٦٣٢هـ) ، والرومي (ـ ٦٧٢هـ) وغيرهم ، ممن ذكرهم الأستاذ الندوي وسيأتي بيان غيرهم في موضعه إن شاء الله ـ نراهم على خط الدفاع عن الحلاج ، ما يجعل له مكانة سامية في نفوس قراء كتاباتهم .

هذا الأسلوب من الإعجاب بأهل الحلول والاتحاد ، والانحلال والإباحية ، والضلال والزندقة أضرّ على الأمة من السم الناقع ، لأنه يبرئ ساحة المنحرفين عن الصراط المستقيم مما نسب إليهم من الطامات من جهة .

ومن جهة أخرى ، يوقع شباب الأمة الذين يثقون بكتاباتهم ، في متاهات التصوف أيضاً ـ شعروا ، أم لم يشعروا ، بعدم اتضاح رؤية صحيحة في وسط الغيوم المتلبدة من الغش والغبش . «ومن غشنا فليس منا» .

وإن شباب الصحوة الإسلامية ، والدعوة الدينية يعانون كثيراً من آثار هذه الكتابات الملتوية الملغزة ، وما أكثرها !

متى يكمل البنيان يوماً تمامه فإنك تبنيه وغيرك يهدم

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا هو الجلال الرومي «الرجل المطلوب» لتأسيس علم الكلام الجديد !

هذا هو ديوانه «المثنوي العظيم» (مصدر إيمان جديد) ـ على حد قول الأستاذ الندوي ـ الذي غير مجرى حياة كثير من «أهل العلم» .

وهذه هي آثاره في نفوس قرائه !

أنا لا أعجب من أولئك الكثيرين من «أهل العلم» الذين أكبّوا على دراسة «المثنوي» ، ثم وقعوا فيما لا تحمد عقباه من السماع ، والوجد ، والرقص ، ووحدة الوجود .

ولكني أعجب من الفيلسوف الدكتور محمد إقبال ، والأستاذ الندوي ، اللذين يلومانهم على انحرافاتهم ، ويغضان الطرف عن الرومي ، الذي كان نفسه مبتلى بالتغزل ، والسماع ، والوجد ، ووحدة الوجود .

ليس المتهالكون في «المثنوي» أحق باللوم من صاحبه قطعاً .

وهل من الإنصاف في شيء أن يجعل رئيس العصابة بريئاً ، وتدان العصابة بجريرته . «أحشفاً وسوء وكيل» .

ألقاني في اليم مكتوفاً وقال لي
إياك إياك أن تبتل بالماء

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الحاجة إلى متكلم جديد :

بعد ما ذكر الأستاذ الندوي ثورة علم الكلام ونتائجها ، قال :

«كان العالم الإسلامي حينئذ في حاجة شديدة إلى شخصية قوية عبقرية مجددة ، قد وصلت بدراستها إلى أحشاء الفلسفة ثم خرجت منها سالمة ، وقد شاهد بتجاربه الواسعة أن الفلسفة سراب يحسبه الجاهل ماء ، وإن تدقيقاتها وما تزهى به من بحث وتحقيق طلاسم لفظية وطبول فارغة ، يرغب فيها من لم يختبرها ويتعمق فيها .

كان العالم الإسلامي في حاجة إلى شخصية تستطيع أن تنفخ بقلبها الولوع وعاطفتها القوية روحاً جديدة في المجتمع ، الذي طغى عليه العقل ـ على حساب العاطفة ـ وساد عليه الخمود ، شخصية تستطيع أن تؤسّس كلاماً جديداً لا يضارع العقول ، ولا يكتفي بإفحام المجادلين ، بل يحل العقد النفسية والفكرية التي خلفها علم الكلام ويملأ القلوب سكينة وإيماناً .

لقد وجد هذا الرجل المطلوب في شخصية مولانا «جلال الدين الرومي»[(١)] . وقد كان ديوان شعره الذي يعرف عادة بـ «المثنوي المعنوي» ثورة على علم الكلام الذي فقد جدته وقوته ، ونقد الفلسفة في اتجاهها ومنهجها ، وعلى الفلسفة التي تجاوزت حدودها ، وبالغت في تقدير الحواس وتقديس العقل ، وكان أساساً لكلام جديد كان أكثر إقناعاً للعقول الجامحة الثائرة ، والنفوس المضطربة الحائرة من علم الكلام ، الذي تزعم ذلك وتكفل به طوال القرون»[(٢)] .

---

(١) ما هكذا يكوت أبطال «تاريخ الدعوة والعزيمة» ، و«رجال الفكر والدعوة في الإسلام» . ولا ينكر نفع «المثنوي» القليل ، المشوب بكثير من الطامات . ولو لم تكن فيه إلا عقيدة وحدة الوجود ، لكفته شناعة وبشاعة وشراً . فكيف بغيرها من المخالفات . وسيأتي بعضها إن شاء الله تعالى .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المباحث الكلامية وأسلوب «المثنوي» فيها :

قال الأستاذ الندوي :

«ولم يقتصر جلال الدين على النقد الإجمالي للتفكير الفلسفي . . . بل بحث في المباحث الكلامية ومعضلاتها بأسلوب طريف بديع . . . . فالمسائل التي تتعب فيها الفلسفة . . . وهو لا يحرص ـ كالفلاسفة والمتكلمين ـ على أن يعجز مخاطبه بالدلائل الطويلة العريضة ، والمقدمات المرصوفة المنسقة يفخِّمها ، بل يحرص على أن يقبلها قلبه كأنه شيء محقق ، وكأنه يعبر عن خواطره وأفكاره ؛ لذلك كان «المثنوي» (١) العظيم مصدر إيمان جديد وإذعان مزيد في كل عصر ، تنشرح بقراءته الصدور الحرجة ، وتطمئن بدراسته العقول المضطربة ، ويجد فيه كثير من القراء حلاً لمعضلاتهم ، وشفاء لدائهم ، وهو من هذه الناحية مؤسس علم جديد . وإذا كان لابد من مصطلح الفلسفة فهو مؤسس فلسفة جديدة ، وهو في ذلك إمام

---

(١) ما تعجبت حينما رأيت أن المتصوفة يسمون «المثنوى» قرآناً بهلوياً (أي فارسياً) ، ويتبركون به ، ويتواصون بقراءته ، ويكبون عليه «تأملا وتدريساً وتذوقاً وتلقيناً ، وإنشاداً ، واستشهاداً به في مواعظهم ومجالسهم . . .» .

ما تعجبت من هذا كله مثل ما أتعجب الآن ، لأني أواجه أسلوباً منكوراً غير مستساغ ، من قبل رجل معروف له احترامه في قلوب الناس ، للتعريف بهذا الديوان :

(المثنوى العظيم ـ مصدر إيمان جديد وإذعان مزيد في كل عصر ـ تنشرح بقراءته الصدور الحرجة ـ يطمئن بدراسته العقول المضطربة ـ يجد فيه كثير من القراء حلاً لمعضلاتهم ـ وشفاء لدائهم) .

أليست أوصاف «المثنوى» هذه ـ وقد سمى عند القوم بالقرآن البهلوي ـ بهذا السياق أوصاف كتاب الله عز وجل؟ !

ـ قال تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر : ٨٧] .

ـ وقال تعالى : ﴿الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد : ٢٨] .

ـ وقال تعالى : ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس : ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء : ٨٢] .

هذا ، وقد قيل لأبي زرعة : «في هذه الكتب عبرة» .

قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة» . (الميزان للذهبي : ١/ ٤٣١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مجتهد مــن أئمة الكــلام ، لا يقلد ولا يتبع إلا القرآن الحكيم [١] ، ولا يستــوحــي إلا فــطرته السليمة»[٢] .

* * *

---

(١) قولوا لي بالله ! بأي «قران» اتبع الرومي في اعتقاده بوحدة الوجود ، وجعل الإنسان خليفة الله في الأرض ، ودعوته إلى العشق الصوفي ، وعدم تفريقه بين مسجد وكنيسة ومعبد وثني ، بل تسويته بين الإسلام والنصرانية ، والهندوسية والمجوسية ، كما تقدم ، وسيأتي المزيد إن شاء الله .

هذا التعظيم والإجلال لأمثال هؤلاء وكتاباتهم من قبل المعروفين من الكتاب ، هو الذي جعل الأمة تضيع في التيه المعمى من الغموض في أمور العقيدة وأصول الإيمان ، فو اغاثاها بالله !

وما كان يخاف منه وقع . فهذا صاحب كتاب «الحبّ الخالد» قد جمع كتابه هذا مستفيداً من الرومي ، بعدما رأى ثناء الأستاذ الندوي البالغ عليه في كتابه «ربّانية لا رهبانية» الذي أهداه إليه بنفسه (راجع للتفصيل آخر باب «الردود» .) .

(٢) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٧٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

من المثنوي

نذكر هنا بعض المقتطفات التي اقتبسها الأستاذ الندوي لأهميتها البالغة من «المثنوي العظيم» (مصدر إيمان جديد) ، حتى يعلم الباحث عينات الدرر والنفائس التي نظمها الرومي في ديوانه هذا ، وأثيرت زوبعة على ضرورة ذلك . ومنها :

(١) دعوة إلى الحكمة الإيمانية :

مهد الأستاذ الندوي لما سيأتي من قول الرومي فقال :

«المعرفة الصحيحة لا تأتي إلا بتزكية النفس ، فإذا تجرّد لوح القلب عن نقوش العلوم المرسومة وصفا ، تجلت فيه الحكمة الإيمانية ، ووردت عليه علوم الأنبياء الصحيحة ، وجرت على لسانه ينابيع الحكمة ، يقول (أي الرومي) :

«جرّد نفسك من صفاتك حتى تشاهد نفسك وحقيقتها ، إنك ترى في قلبك علوم الأنبياء من غير كتاب ومعلم ومعيد ، فإن المرآة كلما صفت تجلّت فيها الأنوار ، وإذا تفتحت نافذة نفسك دخل منها النور الإلهي من غير واسطة ومن غير حجاب»[١] .

❊ ❊ ❊

عزيز عليّ أن يصدر مثل هذا التمهيد لكلام صوفي مشتهر بعقيدة وحدة الوجود فإن خطورة ما ذهب إليه في كلامه هذا ، من الدعوة إلى تجريد النفس من الصفات لتلقي علوم الأنبياء من غير كتاب ومعلم ومعيد ، لا تخفى على من مارس أسلوب القوم في التعمية والإلغاز ، وهي دندنة حول وحدة الوجود .

ـ ومن يتجرأ أن يدعي أن «المعرفة الصحيحة» أو الولاية الحقة ، لا تحتاج إلى كتاب (أيّ كتاب ، ولو كان كتاب الله تعالى) ، ولا إلى معلّم (أيّ معلم ولو كان محمداً ﷺ) ، بل تتلقى «علوم الأنبياء الصحيحة» ، و«الحكم الإيمانية» «من غير واسطة ومن

---

(١) المثنوي (ص٨٦) وعنه في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

غير حجاب» من الملأ الأعلى ، بعد تجريد النفس من الصفات؟ !

- أليس في هذا التقرير إسقاط للرسالة وتوهين للنبوة ، وتأييد لقول أبي يزيد البسطامي : «مساكين ، أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت» (١) .

- وهل لأولياء الله طريق إلى المعرفة والولاية والحقيقة غير طريق الأنبياء عليهم السلام؟ !

- أليس في هذا الكلام إشارة خفية إلى أن الولاية إن لم تكن أفضل من النبوة فهي - على الأقل - تضاهيها ، بدليل أن «علوم الأنبياء الصحيحة» . و«الحكم الإيمانية» تتجلى في القلب ، بعد تجريد لوحه من العلوم ، من غير واسطة ، ومن غير حجاب .؟ !

- أليس في هذا الكلام تأييد لمن يقول : «أنا محتاج إلى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة . . .

أو يقول : «إن محمداً ﷺ بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن ، مع العلم بأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الإيمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة؟ !(٢) .

---

(١) تلبيس أبليس (ص٣٦٣) . وقال أبو الوفاء ابن عقيل - رحمه الله - :

«ومن قال حدثني قلبي عن ربيّ فقد صرّح أنه غني عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة ، تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا أنه قد عطل أمر الشرع ، وما يؤمن هذا القائل : «حدثني قلبي عن ربي» أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال عز وجل : ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ [الأنعام : ١٢١] ! وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم ، وعوّل على ما يلقي في قلبي الذي لم يثبت حراسته من الوساوس . . .» (المصدر المذكور : ص٤٢٠) .

(٢) راجع «فتاوي شيخ الإسلام» (٢/ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وزاد :

«فإذا ادعى المدعي أن محمداً ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أومن ببعض ، وأكفر ببعض ، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم أعود فأقول : إن الكلمات الواردة في كلام الرومي : «تجريد النفس من الصفات ، ومشاهدة الحقيقة ، رؤية القلب علوم الأنبياء من غير كتاب ومعلم ، (وكذا تجريد لوح القلب من نقوش العلوم المرسومة أيضاً) دندنات حول وحدة الوجود ، جعلها الأستاذ الندوي «دعوة إلى الحكمة الإيمانية» ، وشتان بينهما !

❋ ❋ ❋

(٢) ـ غاية الخلق :

قال الأستاذ الندوي :

«ثم يقرّر أن الله لم يخلق هذا الكون ، ولم يخلق لفائدة تعود عليه ؛ إنما خلقه لفائدة الإنسان نفسه ، وليبلغ كماله المطلوب ، ويستخدم قواه ويستعمل مواهبه ، يقول (أي الرومي) :

«قال الأنبياء : إن الله يقول : غايتي في الخلق الإحسان إليهم والمنّ عليهم ، إنما خلقتهم لينتفعوا بي وينتفعوا بخيراتي ونعمتي ، لم أخلقهم لأنتفع بهم وأقضى بهم حاجة لنفسي ، إنما خلقتهم إفاضة للوجود ، وإظهاراً للسخاء والجود» (١) .

❋ ❋ ❋

هذه الغاية لخلق الإنسان والكون ، ممزوجة بخيال صوفي وفكر فلسفي . وبيانه فيما يلي :

=وهؤلاء . . . يدعون أن «الولاية» أفضل من «النبوة» ويلبّسون على الناس فيقولون : ولايته أفضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى ، فضلاً عن أن يماثله هؤلاء . . .» .

(١) المثنوي (ص١٥٩) ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١/ ٢٨٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(أولاً) : خطأ أن ينسب قول إلى الأنبياء ، من غير دليل من الكتاب والسنة ، اللهم إذا كان تلقي مثل «علوم الأنبياء» بتجريد النفس عن الصفات ، من غير معلم ولا كتاب فهذا شيء آخر . !!(١)

غاية الخلق هي عبادة الله الواحد الأحد الصمد الغني عن العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ ، فإنه قال : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾** [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .(٢)

وهذه هي غاية بعثة النبي ﷺ ، ومن قبله من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، حتى يتحقق التوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له . وقال عز وجل : **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** [الأنبياء : ٢٥](٣) .

(ثانياً) : قوله : « . . . لم أخلقهم لأنتفع بهم . . .» .

---

(١) تقدم ما له وما عليه آنفاً .

(٢) كتاب الله عز وجل مليء بهذا البيان ، واقرأ سورة الأعراف ، وسورة هود خاصة تجد فيها آيات كثيرة فيها نماذج دعوة الأنبياء قومهم إلى إخلاص العبادة لله تعالى : ﴿ . . . يا قوم اعبدوا الله . . . ﴾ .
هذا ، وخلق الله عز وجل هذا الكون ، وسخره لهم ـ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ـ بما فيه من الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، والبحار والأنهار ، وشتى أنواع الحيوانات والنباتات والجمادات : ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ [لقمان : ٢٠] .

(٣) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ستة أقوال متقاربة في معنى قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات : ٥٦] ، ورجّح القول السادس ، الذي عليه جمهور المسلمين ، وقال : «إن الله خلقهم لعبادته ، وهو فعل ما أمروا به ، ولهذا يوجد المسلمون قديماً وحديثاً يحتجون بهذه الآية على هذا المعنى حتى في وعظهم وتذكيرهم وحكاياتهم . . .
قالوا : ويؤيده قوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين﴾ وقوله : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ وهذا اختيار الزجاج وغيره . وهذا هو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت ؛ قال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا أبو أسامة عن شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾ لآمرهم وأنهاهم» كذلك روي عن الربيع بن أنس قال : «ما خلقتهما إلا للعبادة» . (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٨/ ٥١ ـ ٥٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أراد القوم الفرار من نسبة العبث إلى الله تعالى ، فوقعوا فيما فرّوا منه ، لأجل خيال صوفي (١) ، ولا يمكن الخروج منه إلا أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يحبّ الأفعال المحمودة ، ويجازي فاعليها بالأجر والثواب ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يكره الأفعال المذمومة ، ويجازي فاعليها بالعذاب والعقاب . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«وكل ما خلقه الله ، فله فيه حكمة . . . وهو ـ سبحانه ـ غني عن العالمين .

«**فالحكمة**» تتضمن شيئين :

(أحدهما) : حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها .

(والثاني) : إلى عبادة ، وهي نعمة عليهم يفرحون بها ، ويلتذّون بها . وهذا في المأمورات وفي المخلوقات . . .

أما في «المأمورات» فإن الطاعة هو يحبها ويرضاها ؛ ويفرح بتوبة التائب

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مثل هذا الرأي : «ومنهم من قال :« . . . فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود إليه من ذلك حكم ؛ ولا قام به فعل ولا نعت .

فقال لهم الناس : أنتم متناقضون في هذا القول ، لأن الإحسان إلى الغير محمود ، لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لأجله ، إما لتكميل نفسه بذلك ؛ وإما لقصده الحمد والثواب بذلك ؛ وإما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بالإحسان ذلك الألم وأما لالتذاذه وسروره وفرحه بالإحسان ؛ فإن النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها ، فالإحسان إلى الغير محمود ، لكون المحسن يعود إليه من فعله هذه الأمور حكم يحمد لأجله ، أما إذا قدر أن وجود الإحسان وعدمه بالنسبة إلى الفاعل سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه ، بل مثل هذا يعدّ عبثاً في عقول العقلاء ، وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه ، لا عاجلة ولا آجلة كان عابثاً ، ولم يكن محموداً على هذا ، وأنتم عللتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث ؛ فإن العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ؛ ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا أحد من العقلاء أحداً بالإحسان إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة ، وإلا فأمر الفاعل بفعل لا يعود إليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر . . .» . (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ٨/ ٨٩ـ ٩٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أعظم فرح يعرفه الناس ! فهو يفرح أعظم مما يفرح الفاقد لزاده وراحلته في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس . . .

. . . ففي الجهاد عاقبة محمودة للناس في الدنيا يحبونها : وهي النصر والفتح ؛ وفي الآخرة الجنة ؛ وفيه النجاة من النار ؛ وقد قال في أول السورة : **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾** [الصف : ٤] فهو يحب ذلك ؛ ففيه حكمة عائدة إلى الله تعالى وفيه رحمة للعباد ؛ وهي ما يصل إليهم من النعمة في الدنيا والآخرة ؛ هكذا سائر ما أمر به ؛ وكذلك ما خلقه خلقه لحكمة تعود إليه يحبها ، وخلقه لرحمة بالعباد ينتفعون بها» (١) .

(ثالثاً) : قوله : « . . . إنما خلقتهم إفاضة للوجود . . .»

من ينتبه إلى هذا القول يعرف أنه فكر فلسفي للخلق ، نسب إلى الأنبياء عليهم السلام ، ويُعدّ أفلاطون ، مدرسته من القائلين بنظرية الإفاضة ، بمعنى «أن الوجود واحد ، ومنه كانت المخلوقات عن طريق الفيض» (٢) .

وانتقلت هذه النظرية من الفلاسفة إلى الصوفية الغلاة من أهل الوحدة والحلول والاتحاد ـ والرومي من كبارهم ـ فقالوا :

« . . . الوجود واحد ، وعين الوجود الواجب القديم «الخالق» ، هو عين الوجود الممكن «المخلوق» المحدَث .

وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود ، كابن عربي الطائي ، وابن سبعين ، وأتباعهما . . .» (٣) .

«فأعوذ بالله من قياس فلسفي وخيال صوفي» (٤) .

* * *

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٨/ ٣٥ ـ ٣٧) .
(٢) النزعة المادية (ص٢٨٢ مع التعليق) .
(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٩/ ٢٨٤) .
(٤) قاله السهيلي . كما في «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٥/ ٣٥٧ ـ طبعة جامعة الإمام) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(٣) ـ بين النبي وضمير الأمة مناسبة وصلة :

قال الأستاذ الندوي :

«ويعتقد مولانا جلال الدين أن المعجزات لا توجب الإيمان ، لأنها لقهر العدو ، وإسكات الخصم ، وإعجاز العنيد ، إن الذي يولد الإيمان في القلب ، ويخضع الإنسان للمحبة والطاعة هو المجانسة والمناسبة الروحية ، إن المعجزة تقهر ، والمقهور لا ينشرح صدره ، ولا يتفتح قلبه» (١) .

* * *

تحجّر الرومي واسعاً في هذا التقرير وبيانه فيما يلي :

(أولاً) : حصر سبب وقوع المعجزات في قهر العدو فقط ، مع أن كثيراً منها وقعت بركة للمسلمين ، وتوسعة عليهم في حال ضيقهم ، مثل ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ قال :

«كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل ، قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» (٢) .

(ثانياً) : تقرير الرومي بأن المعجزات لا توجب الإيمان ، لأنها تقهر العدو . . . والمقهور لا ينشرح صدره . . .» .

هذا أيضاً ليس على الإطلاق ، بل الواقع يخالف ذلك .

---

(١) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٨٢) .

(٢) البخاري (رقم ١٦٩) وراجع البداية والنهاية (٦/ ١٠٠ ـ ١٠١) ، وقال : رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

روى البيهقي . . . . عن عبدالله بن عمر بن الخطاب في قوله : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ . قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهده»[(١)] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم ، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقّنوه»[(٢)] .

وذكر ابن كثير إيمان الأعرابي الذي رأى نزول العذق من النخلة ـ بعد دعاء النبي ﷺ قال : «أشهد أنك رسول الله» ! .

قال ابن كثير : «قلت : لعله قال أو لا : إنه سحر ، ثم تبصّر لنفسه ، فأسلم ، وآمن لما هداه الله عز وجل . والله أعلم»[(٣)] .

هذه الوقائع تدلّ أن الناس تيقنوا بصدق المعجزات ، وانشرحت لها صدورهم فآمنوا بها أيضاً .

(٤) ـ الجبر والاختيار :

قال الأستاذ الندوي :

«إن الجبر والاختيار من المسائل المهمة العريضة التي شغلت حيزًا كبيراً من كتب علم الكلام ، وذهبت فرقة إلى نفي الاختيار المطلق ، وإثبات الجبر المحض ، وسميت في تاريخ الملل والنحل بالجبرية ، يردّ عليها جلال الدين رداً واضحاً معقولاً . . .»[(٤)] .

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٧٨) وقال : «وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد قال : مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي : حسن صحيح» .

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٧٩) .

(٣) المصدر المذكور (٦/ ١٣٠) .

(٤) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٨٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا ، ولكن رجلاً آخر من «رجال الفكر والدعوة» ، قد قارب رأى «الجبرية» لمبالغته في ترك الاختيار والإرادة وذكره الأستاذ الندوي تحت عنوان «التوحيد والتفويض» ، وأثنى عليه بقوله :

«وقد تجلّى هذا الذوق وهذا الاتجاه في كلامه واضحاً قوياً ، وقد وصف رجلاً تجرد عن إرادته واختياره ، واستسلم للقضاء وإرادة الله سبحانه وتعالى ـ وإنما يعني نفسه ـ يقول ـ رحمه الله ـ ، ثم نقل عنه كلاماً طويلاً[(١)] ، وفيه : « . . . فيصير حينئذ كالطفل الرضيع في يد الظئر ، والميت الغسيل في يد الغاسل . . .»[(٢)] .

لا ينبغي أن يتفاعل «الكاتب» مع المترجم له في كل أموره ، إلى أن «يصير كالميت في يد الغاسل» ، وإلا يكون إمّعة ، ويقع في تناقض عجيب .

والحق في المسألة ـ كما قال ابن الجوزي رحمه الله ـ :

«فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المسبِّب غلط ، والعمل على الأسباب مع تعلّق القلب بالمسبّب هو المشروع . . .»[(٣)] .

(٥) ـ دعوة إلى الكدح والجهاد :

قال الأستاذ الندوي :

يحث جلال الدين على الكسب والجهد . . . فقال :

« . . . فاكسب ، وصبَّ عرق الجبين ، ثم توكّل على الرزاق ذي القوة المتين» .

علق عليه الأستاذ الندوي بقوله :

«لقد شاع في الناس أن التصوف مرادف بالبطالة و الاستسلام للأوضاع الفاسدة ، والحكومات الجائرة ، وأن لا شأن له بالجهاد في سبيل الله ، والكفاح لإعلاء كلمة الله .

---

(١) تقدم في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني .

(٢) فتوح العيب (المقالة الثالثة) ، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢١٠ ـ ٢١١) .

(٣) صيد الخاطر (ص ١٢١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(وزاد في الهامش : وقد تناول المؤلف موضوع نفي هذه الشائعة في ضوء التاريخ في كتابه «ربانية لا رهبانيّة»)[1] .

* * *

يسرنا أن يخرج التصوف من زواياه المتقوقعة على نفسها إلى صهوة الخيل في ميدان الجهاد ، ونتمنى أن يكون أهله فرساناً بالنهار ، وقواماً بالليل ، ولكن الواقع التاريخي للتصوف لا يساعد على تحقيق هذه الأمنية ، ودون ذلك خرط القتاد .

وأما ما ذكره الأستاذ الندوي في كتابه «ربانية لا رهبانية»[2] ، فهي حوادث شاذة ـ والشاذ لا حكم له ـ حصل مثلها لبعض الأشخاص في العصر القريب أو البعيد ، وهم على ثلاثة أنواع :

ـ إما أنهم ليسوا بصوفية ، وحشرتهم الصوفية في زمرتهم .

ـ وإما أنهم صوفية في طرائقهم ، ولكنهم في أمر الجهاد والكفاح تأثروا بشخصيات غير صوفية .

ـ وإما أنهم كافحوا الاستعمار ، حينما تخلّى عن تحقيق مصالحهم الشخصية ، فكان الكفاح لأغراض ذاتية ، لا دينية ، وهذا خارج عن نطاق بحثنا .

وكل هذا ، لأن التصوف أسس ـ أصلاً ـ على البطالة والكسل .

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

«أسس التصوف على الكسل»[3] .

وقال أبو الوفاء ابن عقيل ـ رحمه الله ـ :

«نصيحتي إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ، ولا تصغى

---

(١) رجال الفكر (١/ ٢٩٠) .

(٢) سيأتي الرد عليه في باب «التأريخ» إن شاء الله تعالى .

(٣) تلبيس أبليس (ص ٣٦٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية، والوقوف على الظواهر أحسن من توغّل المنتحلة. وقد خبرتُ طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح»(١).

(٦) ـ تعطل الصالحين مهد سيادة الفساق والظالمين:

قال الأستاذ الندوي:

«بل إنه يقرّر، أن تعطل الصالحين وقعودهم عن الجهاد، ، وتوكلهم العجمي الذي لا يتفق وتعاليم الإسلام، أفضى إلي سيادة الفساق والظالمين وحكومة السفهاء والجاهلين، الذين سفكوا دماء الأبرياء، وقتلوا العلماء والصلحاء، وجاروا في الحكم، وخانوا في أموال الناس، وتسلّط في عهدهم الحمقى وتوارى الحكماء والعقلاء، ووسد الأمر إلى غير أهله»(٢).

هذا هو المعنى الإجمالي الذي ذكره الأستاذ الندوي لبعض أبيات المثنوي، التي ذكر فيها الرومي، أبا منصور الحلاج وغيره رمزاً للبراءة، والعلم، والصلاح، كما وضّح الأستاذ الندوي نفسه بذكر تلك الأبيات في الطبعة الأردية، وأجمل معناها ـ ههنا ـ ضناً بها على غير أهلها(٣).

لقد عتب الأستاذ الندوي على المتصوفين العجم، وتوكلّهم العجمي(٤)، وعاب مرشده الشاه محمد يعقوب المجدّدي، التصوف العربي.(٥)

والتصوف الذي ذكره الأستاذ الندوي هذه هي حاله.

فأين التصوف المنزه من المخالفات، بل الطامات؟

إذاً. لماذا هذه الدندنة حول ضرورته؟!

* * *

(١) المصدر المذكور (٤١٩ ـ ٤٢٠). (تنبيه): سيأتي في باب «التأريخ» بيان عن حقيقة دور الصوفية في الجهاد، ونشر الإسلام مفصلاً إن شاء الله تعالى.

(٢) المثنوي (١٣١، ٣٣٥)، وعنه في «رجال الفكر والدعوة» (١/ ٢٩١).

(٣) تقدمت معاني الأبيات الفارسية آنفاً.

(٤) رجال الفكر (١/ ٢٩١، ٢٩٨).

(٥) تقدمّ، وسيأتي أيضاً إن شاء الله في باب «الصوفيات».

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدعوة إلى العشق في المثنوي :

ذكر الأستاذ الندوي في الطبعة الأردية من كتابه «ربانية لا رهبانية» أن الرومي دعا إلى العشق دعوة سافرة ، وبين كرامات المحبة ، وعجائب العشق . ثم أورد ما يقارب تسعة وسبعين بيتاً من «المثنوي» تدليلاً على ما قال . ونقل معانيها إلى العربية في ترجمة الرومي من «سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام» .

والجدير بالذكر أنه كلما وردت كلمات («العشق» و«العاشق» و«المعشوق») في الأبيات استبدلها بكلمات («الحبّ» ، و«المحبّ» ، و«المحبوب») في الترجمة ، لئلا يتوحش منها الطبع العربي السليم .

ولكني أرجع الكلمة الأصلية في الأبيات المترجمة إلى مكانها ، لتعرف دعوته إلى العشق معرفة تامة .

إليكم بعض كرامات العشق وعجائبه :

* قال الأستاذ الندوي :

«ويذكر (أي الرومي) أن «العشق» غني أبيّ ، لا يحتفل بالملك والسلطان ، من ذاقه مرة لم يسغ شراباً يقول :

«إن (العشق) غني عن العالمين ، إن كان الشغف بالمحبوب ، ونفي ما سواه جنوناً فهو سيد المجانين . . .»(١) .

* * *

(١) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٩٣) .

(تنبيه) : «قال إسحق بن داود بن صبيح : قلت لعبد الرحمن بن مهدي : يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية ، فقال : لا تقرب هؤلاء ! فإنا قد رأينا من هؤلاء قوماً قد أخرجهم الأمر إلى الجنون ، وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة» . (تلبيس أبليس : ص٢٤٤) .

وقال أبو بكر العنبري في الصوفية :

فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد

يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وقال :

«إن هذا العشق البري السامي يصل بالإنسان إلى حيث لاتوصله الطاعات[1] والمجاهدات (يقول الرومي) :

«لم أر طاعة أفضل من هذا الإثم . . . إن الأعوام التي تنقضي بغيره لا تساوي ساعة من ساعات العشق» [2] .

* * *

* وقال :

«ثم إنه يفضل حيرة العاشقين على حكمة الحكماء الباحثين ، ويحث على الحرص عليها والتنافس فيها ، لأن الحكمة ظن وقياس ، والحيرة مشاهدة وعرفان»[3] .

* * *

=(المصدر المذكور :ص ٤٢١) .

وقال الإمام ابن قيمّ الجوزية ـ رحمه الله ـ : « . . . وأمّا سكرة العشق ، فقل أن يستفيق صاحبها ، إلا إذا جاءت الرسل تطلبه للقدوم على الله تعالى . . . فكيف إذا خرج العشق إلى حد الجنون المطبق . . .»؟ !

(إغاثة اللهفان : ٢/ ١٥٣ـ ١٥٤) .

(١) لا ريب أن الطاعات والمجاهدات توصل الإنسان إلى الجنة . فهذا العشق يصل به إلى أين؟ ! لعله يشير «بالعشق البرى» إلى حديث : «من عشق فكتم وعف ، فمات فهو شهيدٌ» ـ وهو موضوع (ضعيف الجامع رقم : ٥٦٩٨) .

(٢) رجال الفكر (١/ ٢٩٣) . وزاد في ترجمة النص الفارسي «عند من يسميه إثماً» فحذفته .

راجع «ربابية لا رهبانية» (ص ٧٥ ـ طبعة أردية) .

(٣) المصدر المذكور (١/ ٢٩٤) .

(تنبيه) : «وضعوا في الحيرة حديثاً وهو «زدني فيك تحيراً» ـ وهو من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ ، وأمره الله تعالى بسؤال الزيادة من العلم بقوله ﴿ربّ زدني علماً﴾ [طه : ١١٤] هذا يقتضي أنه كان عالماً لا حائراً . . .

وفي الجملة ، فالحيرة من جنس الجهل والضلال ، والنبي ﷺ أبعد الخلق عن الجهل والضلال .

وما ورد من الحيرة في كلام بعض العلماء فهم يريدون بها معنى صحيحاً آخر . ولم يمدح الحيرة أحد =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

*** وقال :**

«إنه يقـول : «ليس لكل أحـد أن يكون محـبـوباً . . . ولكن يمكن له أن يكون (عاشقاً) ، يقول :

«فإذا فاتك أن تكون يوسف ، كن يعقوب (في بكائه وابتلائه) .

وإن لم تكن من حظك أن تكون «شيرين» (المعشوقة) ، كن «فرهاد» (العاشق) .

وإن فاتك أن تكون «ليلى» ، كن «مجنوناً»[(١)] .

*　*　*

*** وقال :**

«ويزيد الشيخ على ذلك إن لذة (العـاشق) لاتَعدلُها صولة (المعشـوق) . فإذا عرف (المعشـوقون) ما ينعم بـه العشـاق المقيـمون ، والمحِبون المخلصـون ، لتمنّوا مكانهم ، وخرجوا من صفّ (المعشوقين) السعداء ، إلى صف (العاشقين) البؤساء»[(٢)] .

*　*　*

*** ثم تساءل الأستاذ الندوي «إلى من يوجه هذا (العشق)» وقال :**

ولكن إلى من يوجـه هذا (العـشق) الذي هو نور الحيـاة وقـيمـة الإنسـان؟ «إن

=من أهل العلم والإيمان ، ولكن يمدحها طائفة من الملاحدة : كابن عربي وأمثاله (والرومي من تلاميذه المعروفين) الذين هم حيارى ، فمدحوا الحيرة ، وجعلوها أفضل من الاستقامة» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ باختصار) .

(١) رجال الفكر (١/ ٢٩٤) ، و«ربانية لا رهبانية» (ص٧٧ ـ أردية) .

أهكذا يكون حب الله عز وجل؟ !

(٢) رجال الفكر (١/ ٢٩٤) . قولوا لي بالله كيف ينزل هذا العشق مكان حب الله سبحانه وتعالى؟ !

(تنبيه) : أهدى الأستاذ الندوي كتابه «ربانية لا رهبانية» إلى رجل قرأه ، فتأثّر بما جمعه الندوي في الحبّ والعشق عند الرومي مع الثناء العاطر عليه . فالمهدى إليه تأثّر به ، وألف كتاباً أسماه «الحبّ الخالد» ـ وقد ردّ عليه الأستاذ علي رضا بن عبد الله ، في («جريدة المسلمون» : السنة : ١٣ ، العدد : ٦٣٤ ـ ١٩/ ذي القعدة ١٤١٧ هـ) وراجع الباب العاشر الأخير من هذا الكتاب .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(العشق) خالد لا يجدر إلا بالخالد . إنه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول . إنه حقُّ الحي ، الذي لا يموت ، الذي يفيض الحياة على كل موجود» . ويستدل الرومي على ذلك بقصّة سيدنا إبراهيم بقوله : «لاأحبّ الآفلين» [١] .

* * *

أليس هذا من سوء الأدب مع الله ـ عز وجل ـ أن يتغزل الصوفية في «شيرين» و«ليلى» وغيرهما من رموز العشق ، ثم يحملونه على صفات الباري ـ سبحانه وتعالى ـ؟ !

أهذا هو العشق الذي يصل بالإنسان إلى ما لا توصله الطاعات؟ !

ويزداد الأمر شناعة حين نرى أن لفظ «العشق» لم يرد في الكتاب ، ولا في الأحاديث الصحيحة في حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولا في حق غيره .

ولكن أهل الوحدة والحلول والاتحاد يرون فيه رأياً آخر ، هو أنهم «زعموا أن الحق ـ عز وجل ـ اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية ، وأزال عنها معاني البشرية .

«ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات .

ومنهم من قال : حالّ في المستحسنات» [٢] .

وكثير منهم يجعله ديناً ، ويرى أنه يتقرب به إلى الله [٣] والله المستعان !

* * *

---

(١) رجال الفكر (١/ ٢٩٥) .

(٢) تلبيس أبليس (ص١٩٥) ، وقال : « . . . وهذا جهل من ثلاثة أوجه (أحدها) : من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح (والثاني) : أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال : يعشق ، ويحب ولا يقال : يعشق كما يقال : يعلم ولا يقال : يعرف ، و(الثالث) : من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي ﷺ : من قال : إني في الجنة فهو في النار» ـ (تعليقاً على قول النوري : أنا أعشق الله وهو يعشقني») .

(٣) راجع «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ١٥٦) وقال نقلاً عن شيخه ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ :
« . . . وأصله العشق الذي يبغضه الله ، فكثير منهم يجعله ديناً ، ويرى أنه يتقرب به إلى الله .
إما لزعمه أنه يزكي النفس ويهذّبها . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* كرامة الإنسان وشرفه :

بين الأستاذ الندوي أنه نشأ باستهانة الحكومات الشخصية المستبدّة بقيمة الإنسان وشرفه «مقت شديد في الناس للحياة» ، وجاء بعض المتصوفين العجم فغلوا في إنكار الذات ، ونشأ بتأثير هذه الأفكار أدب متشائم ، وشعر متشائم وأصبح الإنسان في هذا المجتمع :

« . . . لا يعرف لنفسه قيمة ، ولا لإنسانيته شرفاً ، ولا يعرف ذلك الجو الفسيح الذي هيأه الله لطيرانه ولتحليقه ، ولا يعرف تلك الكنوز البديعة ، والقوى الجبارة ، والمواهب العظيمة التي أودعها الله في باطنه ، ولا يعرف أنه قد خلق ليكون «خليفة رب العالمين في هذا العالم الفسيح» ، و«وصياً عليه» ، وأخضع له هذا الكون ، وما كان سجود الملائكة لأول بشر إلا إشارة لهذا الخضوع ؛ فإنهم هم الذين يتصرّفون في هذا الكون بأمر الله ، ويبلغون رسالاته ؛ فإذا خضعوا فقد خضع له الكون بالأولى .

في هذا المجتمع الثائر على الإنسانية الذي كفر بالإنسان وقيمته ومركزه في هذا العالم ، قام مولانا «جلال الدين الرومي» يمثّل الفكرة الإسلامية الصحيحة في شعره الرنّان ، ويثير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب المتشائم ، والشعر المتراجع المنهزم ، وبدأ يتغنى بكرامة الإنسان وفضل الإنسانية . . . وانطلقت في عالم التصوف

=وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمي ، ثم ينقله إلى عبادة الله وحده .
وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده ، ويسميها «مظاهر الجمال الأحدى» .
وإما لاعتقاده حلول الرب فيها ، واتحاده بها .
ولهذا تجد بين نساك هؤلاء وفقرائهم وأمرائهم وأصحابهم توافقاً وتآلفاً على اتخاذ أنداد من دون الله يحبونهم كحب الله . إما تديّنا ، وإما شهوة ، وإما جمعاً بين الأمرين . ولهذا يتآلفون ويجتمعون على السماع الشيطاني ، الذي يهيج الحبّ المشترك ، فيهيج من كل قلب ما فيه من الحب .
وسبب ذلك : خلو القلب مما خلق له ، من عبادة الله تعالى التي تجمع محبته وتعظيمه ، والخضوع والذل له ، والوقوف مع أمره ونهيه ومحابه ومساخطه . . .» .
وقارن كلام هؤلاء العلماء في «العشق» بما سجّله الأستاذ الندوي من هيام الجلال الرومي في عشق «شمس تبريز» ، حتى وصل إلى درجة الجنون ، وقال : «أنا وشمس تبريز ليسا بشخصين» . وتقدم التفصيل عنه آنفا .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

موجة جديدة تستحق أن تسمى «الاعتزاز بالإنسانية»[١] .

* * *

تنبيهات على أوهام :

(الأول) : «الاستهانة بقيمة الإنسان ، والحط من قدره وشرفه» ، والعمل بالجملة المأثورة في الأدب الصوفي : «موتوا قبل أن تموتوا» ـ هذه الأفكار لم تكن وليدة عصر الرومي بل لها جذورها في نشأة التصوف الأولى ، فلا ينسب هذا الانحطاط الفكري في السلوك الصوفي إلى الحكومات ، بل الصوفية هم المسئولون عن انحدارهم إلى هذا الحضيض ، وعن كل ما نشأ من جرائه من «أدب متشائم ، وشعر متشائم» .

وقد وجد الأفذاد من العلماء في عصر الرومي (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) في القرن السابع ، الذين يتجمل بذكرهم التأريخ الإسلامي ، ولم يعرفوا هذا الانحدار في حياتهم ، ومنهم :

ـ أبو عبد الله محمدبن يوسف البرزالي (ـ ٦٣٦هـ) محدث الشام ومفيده .

ـ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ـ٦٤٣هـ) ، صاحب «المختارة» .

ـ تقي الدين أبو عمرعثمان بن عبد الرحمن ، المعروف بابن الصلاح (ـ٦٤٣هـ) صاحب «علوم الحديث» .

ـ أبو عمرو عثمان بن عمر المالكي المعروف بابن الحاجب (ـ ٦٤٦هـ) صاحب التصانيف ، من أذكياء العالم .

ـ أبو البركات عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني (الجدّ) (ـ ٦٥٢هـ) صاحب «منتقى الأخبار» .

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ـ ٦٦٠هـ) .

ـ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ـ ٦٧٦هـ) صاحب شرح مسلم ، ورياض الصالحين ، والأذكار»[(١)] .

وقد وجد في عصر الرومي (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) المنحرفون من الصوفية أيضاً مثل علي بن أبي الحسين المعروف بالحريري (ـ ٦٤٥هـ) ، وكان عنده من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون فيها ، من إظهار شعائر أهل الفسق والعصيان شيء كثير .

وقد أنكر عليه الشيخ العزا بن عبد السلام (ـ ٦٦٠هـ) ، والشيخ ابن الصلاح (ـ ٦٤٣هـ) ، والشيخ أبو عمرو بن الحاجب (ـ ٦٤٦هـ) شيخ المالكية وغيرهم .[(٢)] .

(الثـــاني) : فكرة كون الإنسان «خليفة رب العالمين في هذا العالم» ليست

---

(١) كان الإمام النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) مع علمه الغزير ، وورعه وتقواه يأمر الأمراء بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وله في ذلك مواقف معروفة معهم . (البداية والنهاية : ١٣/ ٢٩٤) .

ولقد اتصل الإمام النووي بأول قدومه إلى دمشق سنة تسع وأربعين وستمائة ، (وعمره ثماني عشرة سنة) بالمتصوفة ، وسار في طريقهم ، وعندما اتسعت معارفه وفهم الإسلام ، ترك الصوفية بدون ضجيج ، وردّ عليهم بكتابين (أو قل بثلاثة) :

١ ـ «رياض الصالحين» : بين فيه بالنصوص الصحيحة (إلا قليلاً منها) طريق الصلاح ، وحيث يتبين طريق الصلاح ، فكل الطرق من دونه ضلال .

٢ ـ «الأذكار» : يبين فيه الأذكار الإسلامية : نصوصها وأوقاتها وأماكنها ، كل ذلك بأسانيد أكثرها صحيح . وإذا تبين ذلك ، يتبين أن الذكر الصوفي الذي يستعمله السالكون إلى «الجذبة» ، ليس من أذكار الإسلام . (الكشف : ص٦٢٤) .

٣ ـ «بستان العارفين» : يبين فيه عدم جواز تفضيل الولى على النبي ، وعدم جواز رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا ، وأن أجل الكرامات دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي . (طبعة الجابي سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ١٨٥) وزاد : . . . وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ، يجمع مجلسه الغناء الدائم ، والرقص والمردان . . . فأضل خلقاً كثيراً ، وأفسد جما غفيراً ، ولقد أفتى في قتله مراراً جماعة من علماء الشريعة ، ثم أراح الله سبحانه وتعالى . . .» نقله من أبي شامة في الذيل . وما نقله الذهبي عن أبي شامة في «السير» (٢٣/ ٢٢٦) من انتصاره له ، فلا يوجد في «الذيل» ، فليتنبه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بصائبة ، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ جل عن أن يكون له خليفة ، أو نائب ، أو ولد .

وقوله تعالى : **﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . . .﴾**[البقرة : ٣٠] ، لايؤيد معنى كون الإنسان «خليفة الله في الأرض» .

بل جاء تفسير هذه الآية في آية أخرى خلال قوله تعالى : **﴿هو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات . . .﴾**[الأنعام : ٦٥] .

وإن فكرة الخلافة التي تمثل النيابة الإلهية وجدت عند اليهود والنصارى قال الله تعالى : **﴿وقال اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . . .﴾** [التوبة : ٣٠] .

وأصل هذه النظرية عند الفلاسفة أيضاً ، أن الوجود واحد ، ومنه كانت المخلوقات عن طريق الفيض . ويُعدُّ أفلاطون ومدرسته من القائلين بنظرية الإفاضة .

ولقد انتقلت هذه الأفكار من طريق الفلسفة إلى القدرية ، وظهرت بأوضح صورة عند غلاة الصوفية من جماعة الحلول والاتحاد مثل الحلاّج وابن عربي والرومي[(١)] .

وإنهم يبحثون عن «الإنسان الكامل» الذي هو ظل الإله في الأرض ، ولا فرق بين مرتبتهما إلا بالربوبية والمربوبية «فلذلك صار خليفة الله سبحانه وتعالى . . .» .

(الثالث) : وصف الأستاذ الندوي «المثنوي» بأنه مصدر إيمان جديد ، ووصف صاحبه «الرومي» بأنه يمثل الفكرة الإسلامية الصحيحة في شعره الرنّان . . . وبفضله انطلقت في عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمّى «الاعتزاز بالإنسانية» .

معلوم أن الرومي ممن يرى عقيدة وحدة الوجود ، وهو من أنصار الحلاج ، وتلاميذ ابن عربي ، وأحد أعضاء «محفله العلمي»[(٢)] .

---

(١) «النزعة المادية» (٢٨١ ـ ٢٨٢) وبما أن الدكتور محمد إقبال تأثر بالرومي ، رأى أن الخلافة ، تمثل النيابة الإلهية ، وهذا تتفق مع مفهومه عن الذات بأنها واحدة ، ولها مظاهر شتى . . . كما سيأتي إن شاء الله .

(٢) كما تقدم مفصلاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأين فكرة إسلامية صحيحة عن «العقيدة» ـ أولاً ، وقبل كل شيء ـ في شعره الرنان؟ !

أما مصدر «الاعتزاز بالإنسانية» عند المسلمين فهو «الإسلام» ، المتمثل في الكتاب والسنة(١) . اللهم إلا إذا كان عالم التصوف يختلف عن عالم الإسلام ، وجاز له أن يكون عنده «مصدر إيمان جديد» ، فجاز له ـ أيضاً ـ أن يكون له مصدر جديد للاعتزاز بالإنسانية أيضاً ، ولا خلاف حينئذ . والله المستعان !

* * *

*** بعد ما ذكر الأستاذ الندوي أن الجلال الرومي بيّن كرامة الإنسان وشرفه ، وردّ على استهانته بقيمته ، قال :**

---

(١) من الغيرة على التصوف أن الصوفية لا يستسيغون أن يكون عندهم مصدر العز والشرف والكرامة ، إلا مصادر أهله : أمثال الغزالي ، والجيلاني ، والرومي . إذا أعجبهم ـ أحياناً ـ أحد من غيرهم ، حاولوا جهدهم المضني لإدخاله في صفوف الصوفية ـ وصنيع الأستاذ الندوي في ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ خاصة ـ في سلسلة «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» يدل على ذلك ، حيث حاول في فصل كامل (وكذا في «ربانية لا رهبانية») أن يثبت أنه كان «عارفاً بالله» على الطريقة الصوفية . كأن العبادة ، والورع والتقوى والإنابة إلى الله ميراثهم الخاص ، لا يشارك فيه غيرهم ! !

لا أدري كيف يوفق الأستاذ الندوي بين النقيضين في «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» .

هذا شيخ الإسلام ابن تيمية يسجن ويعذّب لأجل ردّه على ابن عربي ، بمؤامرة من أعوانه وأنصاره وعلى رأسهم : نصر المنبجي الحلولي المعروف ، أستاذ الجاشنيكير .

وهذا هو الرومي «الرجل المطلوب» في عصره ـ وهو تلميذ ابن عربي ـ ، الذي كان له معه «مجالس لطيفة» يتبادلون فيها «الحقائق والمعارف» فيما بينهم .

كيف يوفّق الأستاذ الندوي بين هذين الشخصين (الرومي وابن تيمية) في «رجال الفكر والدعوة» ، إلا أن يتنازل أحدهما عن فكره ودعوته للآخر ، لأنهما على طرفي نقيض .

ومستحيل أن يتخلّى الرومي عن أفكاره ، لأنه «الرجل المطلوب» ، وديوانه «مصدر إيمان جديد» وقد أثار موجة جديدة في عالم التصوف للاعتزاز بالإنسانية .

أما ابن تيمية ، فسهل أن يجعل «عارفاً بالله» على «الطريقة الصوفية» ـ وبهذا يحصل التوفيق بين المتناقضين ، وينتهي الخلاف ، ونسأل الله السلامة ! ! (وسيأتي التفصيل في موضعه إن شاء الله تعالى) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ولا يقتصر الردّ على ذلك ؛ بل يقول :

«إن الإنسان مظهر لصفات الله ، وهو المرآة الصادقة التي تجلّت فيها آياته .

يقول : «إن الذي يتراءي في الإنسان (من الكمالات والمحاسن) عكس لصفات الله ، كعكس القمر المنير في الغدير الصافي ، إن الخلق كالماء المنير تتجلّى فيه صفات الله ، وينعكس فيه علمه وعدله ولطفه ، كما ينعكس ضوء الكوكب الدري في الماء الجاري»[١] .

* * *

هذا التقرير يحتوي على أمور ، منها :

١ ـ قوله : «إن الإنسان مظهر لصفات الله» .

ـ « . . . عكس لصفات الله» .

ـ «هو المرآة الصادقة التي تجلت فيها آياته» .

يعني أهل الوحدة والحلول والاتحاد من الصوفية (والرومي من كبارهم) بمثل هذا التعبير أن «الإنسان» ظل الإله [٢] .

وهذا يؤيد أيضاً كون «الإنسان» خليفة الله في الأرض[٣] .

٢ ـ وقوله : «إن الخلق كالماء المنير تتجلى فيه صفات الله . . . كما ينعكس ضوء الكوكب الدرّي في الماء الجاري» .

ـ هذا لا يختلف عن قول أحمد الصاوي المالكي الخلوتي (ـ ١٢٤١هـ) في شرح الصلوات الدرديرية :

«تتجلى الأسماء والصفات» أي : بظهور أسمائك العظيمة وصفاتك

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٣٠٠ ـ الرومي) .

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١٨٦) .

(٣) تقدم آنفاً ، وسيأتي المزيد قريباً إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الكريمة ، بحيث لا نشهدها حادثاً من الحوادث ، ولا كوناً من الأكوان ، إلا بشهود الأسماء والصفات قبله ، لكون الأكوان آثارها ، وهو معنى قولهم : «العارف يرى الله في كل شيء» ، قول بعض العارفين :

وفي كل شيء له آية   تدلّ على أنه واحــد[1]

ـ وقال الشيخ حسن رضوان (ـ ١٣١٠هـ) في هذا المعنى ، في منظومته «روض القلوب المستطاب» :

وحسبه من ذلك المقصود   إشـراق نور وحدة الوجود

وكـل ما سواه نجـم آفل   بـل في شهود العارفين باطل

فليس إلا الــله والمظاهر   لجملة الأسماء وهو الظاهر[2]

فقول الرومي : «إن الخلق تجلى فيه صفات الله . . . كما ينعكس ضوء الكوكب في الماء» يشبهه قول الشاعر : «فليس إلا الله والمظاهر»[3] .

«فاحذروا من هؤلاء الليسية»[4] ، فإنهم بهذا الأسلوب الغامض يدندنون حول وحدة الوجود ، ولا يخفى هذا على من يعرف طرائقهم ، ومعروف أن الجلال الرومي من كبارهم ، وهو متوغّل فيها ، شاء الناس أم أبوا .

* * *

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية : (ص ٦٠ ، وعنها في الكشف : ٢١٠ ـ ٢١١) وزاد : « . . . وهذا المقام هو المسمى بوحدة الوجود . . والتي هي شهود المولى من حيث قيام الأسماء والصفات به» .

(٢) التصوف الإسلامي لزكي مبارك (١/ ٢٦٠ ، وعنه في الكشف : ص ٢١١ ، وعلق عليه قائلاً : « . . . بل في شهود العارفين باطل» هي شهادة واضحة وجريئة من «عارف» أن العقيدة الإسلامية باطلة في شهود «العارفين» ، لأنها لا تؤمن بوحدة الوجود . . .» .

(٣) ومثله قوله : «لا موجود إلا الله ، ولا مقصود إلا الله ، ولا محبوب إلا الله» ـ في باب وحدة الوجود . (الأرواح الثلاثة : ص ١٧٧ ، وحكايات الأولياء : ص ١٤٤ كلاهما للشيخ أشرف على التهانوي ، وضياء القلوب : ص ٣٩ ، وبيان وحدة الوجود : ص ١٣٢ ، كلاهما للحاج إمداد الله ، وعنها في «جهود علماء الحنفية» : ٢/ ٧٩٤) .

(٤) كان الشيخ قطب الدين القسطلاني يسميهم الليسية ، ويقول : «احذروا هؤلاء الليسية» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢/ ٣٠٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وقال الأستاذ الندوي :

«وقد ندر وجود الإنسان الحقيقي في عصره ، كما ندر في عصر غيره ، حتى أصبح في حكم العنقاء المغرب ، والكبريت الأحمر ، وحتى اضطرّ الباحثون أن يبحثوا عنه بمصباح ديوجانس ، وقد حكى الرومي حكاية لطيفة في هذا الموضوع في ديوان شعره فقال :

«رأيات البارحة شيخاً يدور حول المدينة ـ وقد حمل مشعلاً ـ ، وكأنه يبحث عن شيء ! فقلت : يا سيدي ! تبحث عن ماذا؟ قال : قد مللت معاشرة السباع والدواب وضقت بها ذرعاً ، وخرجت أبحث عن إنسان عملاق وأسد مغوار ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم ، حولي ، فقلت له : إن الذي تبحث عنه ليس يسير المنال ، وقد بحثت عنه طويلاً فلم أجده ، فقال : إني مغرم بالبحث عمن لا يوجد بسهولة ، ولا يعثر عليه في (الطرقات)» .

* * *

قوله : «الإنسان خليفة الله في الأرض» .

وقوله : «الإنسان مظهر لصفات الله ، وعكس لها» .

ثمّ قوله : «الإنسان الحقيقي الكامل عسير المنال» .

ـ هذه التقريرات كلها تنصب في مصب واحد ، وهو التصور عن «الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية» ، الذي هو ظلّ الإله .(١)

«ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية ، من العقول والنفوس الكلّية والحسّية ، ومراتب الطبيعة إلى تنزلات الوجود ، وتسمّى بالمرتبة العمائية أيضاً ، فهي مضاهية للمرتبة الإلهية ، ولا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية ، فلذلك صار خليفة الله سبحانه وتعالى . . . .» (٢)

* * *

---

(١) التعريفات (ص ١٨٦) .

(٢) نتائج الأفكار القدسية (حاشية العروسي) (ص ٥ ، وعنها في الكشف : ص ٢٠٨) وغاية الإنسان الكامل هي تحقيق «وحدة الوجود» ، قال محمود أبو الفيض المنوفي : « . . . تلك الحقيقة العليا هي =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أثر الرومي في فكر الشاعر محمد إقبال :

هذا ، وبما أ الدكتور محمد إقبال تشبع بأفكار الرومي[١] وغيره من أهل وحدة الوجود ، نراه يبالغ في مواصفات «الإنسان الكامل» ويعتبره «نائب الحق» في الأرض ، على الطريقة القدرية الصوفية الحلولية ،[٢] ويقول : «فإن الإنسان يحمل في داخله بذور النيابة الإلهية»[٣] .

«وقد ظهر هذا الانحراف في تصوير الله بأنه يماثل الإنسان ، في عقائد اليهود والنصارى وانتشر بين الفلاسفة ، وقد أخذ بهذا القول ابن عربي وأتباعه من الحلولية ، حيث يقول ابن عربي في فصل «حكمة إلهيّة ، في كلمة آدمية» :

«لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء ، أن يرى أعيانها وإن شئت قلت : أن يرى عينه في كون جامع ، يحصر الأمر كله ، لكونه متصفاً بالوجود ، وسره إليه .

فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي إلا قبل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة» .[٤]

ثم قال : «فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم ، المعبر عنه ، في اصطلاح القوم ، بالإنسان الكبير»[٥] .

=غرض الدين ، وأمنية الفلسفة ، وموضع دهشة العلم ، وهي نفسها غاية «الإنسان الكامل» من الوجود ـ وهي بالذات موضوع بحث التصوف الحق . . .» (معالم الطريق إلى الله : ص ١١٦ ، وعنها في الكشف : ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وقال : «نسأل هذا العارف» : ما هو دليله من الكتاب والسنة على أن «وحدة الوجود» هي غرض الدين . . .») .

(١) وقد ذكره الأستاذ الندوي ممن تأثر بالرومي على وجه الخصوص ، بأسلوب التقدير والإعجاب كما تقدم آنفاً .

(٢) راجع «النزعة المادية» (٢٨٣ ـ ٢٩٠) للتفصيل .

(٣) أسرار خودي (ص ٤٠ وما بعدها ، وعنه في «النزعة المادية» : ص ٢٨٣) .

(٤) الفصوص (ص٤٨) .

(٥) المصدر المذكور (ص٤٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم عبر ابن عربي عن صورة الإنسان كما فعل إقبال :

«فسمي هذا المذكور : إنساناً وخليفة ، فأما إنسانيته ، فلعموم نشأته ، وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين . . . فهو الإنسان الحادث الأزلي ، والنشيء الدائم الأبدي»[(١)] .

ثم قال : «فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى» . . . .

ولا يختلف إقبال في إبراز هذه المعاني عن الحلاج ، أو ابن عربي ، أو الرومي[(٢)] .

لقد اهتم إقبال بإبراز شخصيته ، ونسب إليها مظاهر التقديس الإلهي ، كما فعل أقطاب الصوفية المشهورون ، حيث ادّعوا أعمالاً خارقة ، وحالات غريبة ، كالطيران في الهواء أو السير على سطح الماء ، أو الاتصال بالملأ الأعلى ، ولم يخرج إقبال عن هذه القاعدة ![(٣)] .

وقد وصف نفسه بهذا الشعر :

«إنني أحلق عالياً ، بحيث إنه على ذرى الفلك الأعلى ، تحوم حومي مخلوقات الضياء ، آلاف المرات» .

وقد شرح المترجم هذه الأبيات :

«ذلك التحليق الرفيع بحيث وصل إلى ذروة مرتفعات الجوهر الروحي ، فيما وراء السماوات ، وكان على الملائكة أنفسهم ، وهي مخلوقات الضياء ، أن تطوف به آلاف المرات لتتجسس عليه ، وتتعرف على طريقته ومقصده . . . وإن صعود الإنسان إلى مثل تلك المقامات ، التي تخشى الملائكة ذاتها أن تطأها»[(٤)] .

---

(١) المصدر المذكور (ص٤٩) .

(٢) المصدر المذكور (ص٥٥) .

(٣) كان الدكتور محمد إقبال مطلعاً على كتابات هؤلاء وغيرهم من أهل الوحدة والحلول والاتحاد ، وقد تقدمت ترجمة بعض أبياته إلى العربية التي يُكْبِر فيها الحلاّج والرومي ، وتقدم أيضاً ، أنه نظم مكالمة بين «الله عز وجل وإبليس» ، وهي مأخوذة من ابنِ عربي ، كما نص عليه هو نفسه في آخرها .

(٤) العلامة إقبال للدكتور أحمد معوض (ص٨٨) ، وزبورعجم (ص ١٢٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إن هذا التصور عند إقبال مستمد ، من خلال مبادىء تطور الإنسان[١] وتفوقه ، ومفهوم الإنسان الكامل ، ومفهوم وحدة الذات ، وفكرة العشق[٢] ومبادىء الحب ، وتنتشر مثل هذه الشطحات عند غلاة الصوفية ، حيث يقوم المريدون بتعظيم الأقطاب وتقديسهم .

ومن شطحات إقبال المشهورة ، معراجه إلى السماء ، حيث تمثل منظومة «جاويد نامة» الشعرية مبادىء إقبال في التصوف والفلسفة والتاريخ ، وقد ذكر فيها معراجه إلى السموات ، وكان دليله ومرشده في ذلك ، الصوفي المشهور جلال الدين الرومي ، صاحب مذهب وحدة الوجود ، حيث يقوده في هذه المرحلة إلى «النهر الحيّ» ، ويعرج به في عدة سماوات ، ثم يشرف بالقرب الإلهي ، ويصبح على صلة بالأنوار الإلهية ، وقد أقام إقبال معراجه هذا على غرار معراج أبي يزيد البسطامي ، ومعراج ابن عربي المعروف «بالفتوحات المكية» ، بالإضافة إلى «رسالة الغفران» التي كتبها أبو العلاء المعري . . .»[٣] .

---

(١) يشارك إقبال الرومي في أفكاره ، وقد قال الرومي يصف التطور : «إن حياتي هي في ترق مستمر ، بدأت من تراب متحلل ، تمر بمراحل المعادن والنبات والحيوان ، ثم وصلت إلى محطة الإنسان» (محمد إقبال للدكتور أحمد معوض : ص ٣٩٦) وقال : «يظهر أن فكرة دارون عن التطور من مرحلة الحيوان إلى مرحلة الإنسان ، لم تكن جديدة ، وإنما لها جذور في الفلسفة القديمة» (النزعة المادية : ص ٢٨٧ تعليقاً) .

(٢) تقدمت آنفاً كرامات العشق وعجائبه ، من كلام الرومي ، التي ذكرها الأستاذ الندوي معجباً بها شرحاً لها وتفصيلاً .

وقد استغرق إقبال في مفهوم العشق المشهور عند الصوفية الحلولية ، وهو في معنى «الفناء» في الوجود ، والاتصال والاتحاد ، فيقول : «ومن لحاظ العاشق ينشق الحجر ، وآخر العشق الحق بلوغ الحق بتمامه» (أسرارخودي : ص ١٨) .

ويمثل إقبال لهذه الحالة باستخدام تعابير ومصطلحات الصوفية ، فيقول : «يصبح التراب بعشقه قرين الثريا» (المصدر السابق : ص ١٩) .

ويقول عن وصول الذات : «وعندما تصير الذات محكمة بالمحبة ، تصير قوتها حاكمة للعالم ، وتصير قبضتها من قبضة الحق ، وينشق القمر بأصبعها» (المصدر السابق : ص ٢٥) .

(٣) «النزعة المادية» (٢٨٣ ـ ٢٨٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«تعرض إقبال لمفهوم الوجود من خلال المنهج الماديّ ، والمذهب القدري ، وقد تجلّى فكره حول الذات متأثراً بمبدأ الحلول والاتحاد ، كما أن هذه الفكرة تنطلق من الفلسفة الأفلاطونية وقد وصف الذات بأنها واحدة في الوجود ، فقال :

«إن أصل العالم هو الذات ، وأن مسلسل الحياة في الوجود ، إنما يقوم على استحكام الذات ودعمها وحسب . إن الذات واحدة ، وإن ظهرت في الكون بمظاهر متعددة ، ولكأن بعضها يصارع البعض الآخر ، بل إن هذا الصراع في حقيقته ليس إلا مظهراً من مظاهر الكون ، ولتحقيق أهداف العمل ، تصبح الذات هي العامل والمعمول والأسباب والعلل ، فتقوم وتثير ، وتطير ، وتشع وتنفر أو تحرق وتشعل وتقتل وتميت . . . .»[1] .

تقوم فلسفة الذات عند إقبال على نقطتين وهما :

« ١ ـ أن الشخصية هي الحقيقة المركزية للكون ، وتتمثل في «الذات العليا» وأشار إليها العهد القديم ، عندما وصف الحقيقة المطلقة بأنها «الأنا الكبرى» إلا أن القرآن الكريم يشير إليها بمزيد من التوقير حسب ما جاء في صفات الذات العليا :

﴿لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . .﴾ [البقرة : ١٦٣] .

وقد أشار إقبال إلى هذه النقطة ، بتوسع ، في أسرار خودي ، في تفسيره لمعنى : أن الذات هي أصل الوجود .

٢ ـ وأن الشخصية هي الحقيقة المركزية في تكوين الإنسان وتتمثل في الذات الإنسانية ، وهي تتعلق «بالأنا» الصغرى أو المعتمدة على غيرها ، وقد وصفت بأوصاف مختلفة ، منها أن الإنسان ضعيف قتور كفور ، ومع ذلك وصفت بأنه في أحسن تقويم .

وهذه الأنا الضعيفة القابلة للفناء ، يمكن أن يكتب لها الدوام كعنصر في تكوين الكون ، إن هي تبنت لوناً معيناً من الحياة التي لها أن تختار طريقها فيها .

وهذه الذات قادرة على الانتشار بامتصاصها ليس فحسب عناصر الكون ، بل

---

(١) أسرار خودي لمحمد إقبال (ص١٣) ، عنه في «العلامة محمد إقبال» لأحمد معوض (ص٣٤٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بقدرتها على امتصاص «الصفات الإلهية» والتخلق «بأخلاق الله» ، ومن ثم تكتسب القدرة على «خلافة الله» في الأرض»[١] .

وقد تعرّض محمد إقبال لنقد شديد لتمسّكه بالأفكار الخاصة بالإنسان الكامل ، والتي تلتقي مع أفكار «نيتشه» و«دارون» و«ماركس» وغيرهم من الفلاسفة ولم ينكر أنه يلتقي بالأفكار ، وإنما أنكر أن يكون قد أخذ ذلك عنهم فيقول :

«لقد كتبت عن المبدأ الصوفي ، للإنسان الكامل ، قبل أن أقرأ و أسمع شيئاً عن نيتشه»[٢] .

ونحن لا نهتم بمصدر أفكار إقبال ، ولا نبحث من أين استلهمها [من الرومي أوغيره من أهل الوحدة والحلول والاتحاد] ولكن المهم هو مدى ارتباط هذه الأفكار بالإسلام ، أو انحرافها عنه .

ونحن نتعامل مع إقبال باعتباره فيلسوفاً ، وقد اعتمد على المنهج الفلسفي في تحديد أفكاره ، وهو يعلن ذلك بل يؤكد سيطرة الفلسفة على الدين ، حيث يقول :

«ومما لا شك فيه أن للفلسفة الحق بالحكم على الدين»[٣] .

كما أننا نتعامل مع إقبال باعتباره صوفياً ، وقد جعل مرشده ورائده في ذلك جلال الدين الرومي المتصوف ، وهو من أتباع القدرية الذين يؤمنون بوحدة الوجود»[٤] .

---

(١) إملاء «محمد إقبال على «نذيرنيازي» ، راجع «العلامة إقبال» (ص٣٣٤) ، وعنه في «النزعة المادية» (٢٨٠ ـ ٢٨١) .

(٢) محمد إقبال لأحمد معوض (ص٣٩٢) .

(٣) تجديد الفكر الديني (ص ٧) .

(٤) راجع التفصيل عن «إقبال» في «النزعة المادية في العالم الإسلامي» للأستاذ عادل التل (٢٨٠ ـ ٢٩٠) وقد تقدّمت الإشارة في محله ، إلى من ردّ على «إقبال» في محاولته صياغة التصور الإسلامي في قالب فلسفي مستعار من القوالب المعروفة عند «هيجل» من «العقليين المثاليين» وعند «أوجست كونت» من «الوضعيين الحسيين» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه هي بعض أفكار الدكتور محمد إقبال ، في الفلسفة والتصوف . وقد تأثر بالرومي ، واعترف بفضله عليه فقال :

«وبفيضه صارت عيني بصيرة ، وبفيضه انحسر نهر «جيحون» في كأسي»[1] .

ومع هذا كله ، نرى أيضاً في كتاباته الاعتراف بأن وحدة الوجود ليست من الإسلام في شيء ، قال : «في نظري ليس التصوف الوجودي جزءاً من الإسلام ، بل هو خلاف الدين الإسلامي ، وقد تسرّب إلى المسلمين من غير المسلمين» .[2]

وقال أيضاً : ليس هناك أدنى شك في أن التصوف نبتة أجنبية في أرض الإسلام الذي ترعرع في مناخ الأعاجم الفكري .»[3]

نهاية المطاف :

* هذا هو الجلال الرومي (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) مؤسس «علم كلام جديد» والرجل المطلوب في عصره ، وأحد أبطال «تأريخ الدعوة والعزيمة» و«رجال الفكر والدعوة في الإسلام» .

* هؤلاء بعض من تأثروا باعتقاده بوحدة الوجود[4] ، وتشبعوا بأفكاره حول الإنسان الكامل ، والنيابة الإلهية ، والعشق الصوفي .[5]

* هذه هي بعض المقتطفات من ديوانه «المثنوي العظيم» (مصدر إيمان جديد وإذعان مزيد ، ومصدر الاعتزاز بالإنسانية) ، على حد تعبير الأستاذ الندوي .

---

(١) كليات إقبال : (ص ٣٢٠) .

(٢) خطوط إقبال «مكتوباته» : (ص ١٢٧) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للصوفية (ص ٧٧) .

(٣) إقبال نامه (١/ ٧٨) ، وعنه في المصدر المذكور (ص٧٧) .

(٤) وما أمر الحاج إمداد الله (ـ١٣١٧هـ) شيخ الديوبندية في التصوف ، وتلميذه الشيخ أشرف على التهانوي (ـ١٣٦٢هـ) وغيرهما عنكم ببعيد ، وهم كانوا من المولعين بالمثنوى «تأملا وتدريساً ، وتذوقاً وتلقيناً ، وإنشاداً واستشهاداً به في المواعظ والمجالس» كما تقدم من كلام الأستاذ الندوي في زيادته على «نزهة الخواطر» (٨/ / ٥٩ ، ٧٢) .

(٥) تقدمت جملة من أبيات الرومي في «العشق الصوفي» آنفاً ، من نقل الأستاذ الندوي نفسه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وهذه هي بعض التنبيهات على تلك «الدرر والنفائس» التي لقطها الأستاذ الندوي من بحر «الرومي» .

ولا أرى لهذه الأفكار والنظريات تأويلاً ، أو تفسيراً آخر ، لما لصاحبها من جولات وصولات في عقيدة وحدة الوجود ، وما يتفرع عنها من طامات .

وأقول ، مثل ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مثل هذه المقالات وأهلها ، وأعوانهم وأنصارهم ، والمعظّمين لهم :

«وليس لهذه المقالات وجه سائغ ، ولو قدّر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحاً فإنما يحمل عليها إذا لم يعرف مقصود صاحبها ، وهؤلاء قد عرف مقصودهم ، كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة ، ولهم في ذلك كتب مصنفة ، وأشعار مؤلفة ، وكلام يفسّر بعضه بعضاً .

وقد علم مقصودهم بالضرورة ، فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلفت إليه ، ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها ، وخيف عليه أن يحسن الظن بها أو أن يضل ، فإن ضررها على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم ، وأعظم من ضرر السرّاق والخونة ، الذين لا يعرفون أنهم سرّاق وخونة .

فإن هؤلاء : غاية ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله ، وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة .

وأما هؤلاء : فيسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه ، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله ، وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله ، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين ، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين ، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمناً ولياً لله ، فيصير منافقاً عدواً لله . . .

وقد رأيت وسمعت عمّن ظن هؤلاء من أولياء الله ، وأن كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من أهل الخير والدين ما لا أحصيهم .

فمنهم من دخل في إلحادهم وفهمه وصار منهم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم ، ويعظّم ما لا يفهم ، ويصدّق بالمجهولات .

وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالّين ، وهم بمنزلة من يعظّم أعداء الله ورسوله ، ويوالي المشركين وأهل الكتاب ، ظاناً أنهم من أهل الإيمان وأولي الألباب ، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهّال المعظّمين لهم من الشر على المسلمين ، ما لا يحصيه إلا رب العالمين . . . .»[1] .

* * *

ـ فليتق الله ، الدعاة إلى الله ، والكتاب ، والعاملون في حقل الدعوة الإسلامية ، وقادة الحركات ، وسادة الجماعات ، روّاد الفكر الإسلامي : في كتاباتهم ، وخطاباتهم ، ودعواتهم ، وتوجيهاتهم وإرشاداتهم !

ـ وليتقوا الله في شباب هذه الأمة ، الذين هم أمانة في أعناقهم ، وهم يسألون عنهم يوم القيامة !

ـ وليستشعروا عظم المسؤولية التي أنيطت بهم ، وليراقبوا الله عزّ وجلّ ، وليراجعوا أنفسهم قبل فوات الآوان ، والأعمال بخواتيمها ، والحقّ أحقّ أن يتّبع ، وهو من شيمة أهل الحق والدين ، والعلم ، والأدب ، والدعوة ، والعزيمة .

ـ فليتقوا الله :

اللهم لا تجعل أحداً منّا مثل من ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة : ٢٠٦] .

اللهم اجعلنا من عبادك المبشرين ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر] .

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشخصيات المضنون بها على غير أهلها

- الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري
- الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي
- الخواجه فريد الدين «كنج شكر» الأجودهني
- الخواجه علاء الدين الكليري

* الخواجه نظام الدين الدهلوي المعروف بـ «أولياء» .

* الخواجه شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشخصيات المضنون بها على غير أهلها

خصص الأستاذ الندوي «الجزء الثالث» من كتاب «تأريخ الدعوة والعزيمة» بالأردية[1] بترجمة الاثنين من كبار صوفية الهند ، ألا وهما :

* الخواجه نظام الدين «الأولياء» (ـ٧٢٥هـ)

* والشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري (ـ ٧٧٢هـ) .

وفي الباب الأول من الكتاب المذكور ذكر تراجم بعض المعروفين من المتصوفة أيضاً ، تمهيداً لتأريخ التصوف في الهند ، وهم :

* الخواجه معين الدين الجشتي (ـ٦٣٣هـ) مؤسس الطريقة الجشتية في الهند .

* والخواجه قطب الدين بختيار الكعكي (ـ٦٣٤هـ) خليفة الجشتي .

* والخواجه فريد الدين مسعود الأجودهني (ـ٦٧٠هـ) خليفة الكعكي ، وشيخ الخواجه نظام الدين .

* والخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري (ـ٦٩٠هـ) خليفة الأجودهني .

هذه هي «السلسلة الذهبية» لإسناد التصوف في الهند ، التي ذكرها الأستاذ الندوي في «تأريخ الدعوة والعزيمة» (بالطبعة الأردية) بكل إجلال وإكبار .

وهؤلاء هم كبار صوفية الهند الأوائل[2] المعروفون بكشوفاتهم وكراماتهم ، ورياضاتهم ومجاهداتهم ، ومواجيدهم وأذواقهم ، ومراقباتهم واعتكافاتهم عند القبور ، وسكرهم وجذباتهم ، وإدمانهم على السماع الصوفي ، وضرب رؤوسهم

---

(١) هذا الجزء لم ينقله الأستاذ الندوي إلى العربية .

(٢) من القبور المعروفة قبل الخواجة معين الدين الجشتي (ـ٦٣٣هـ) ، هي : قبر الزنجاني اللاهوري (من القرن الخامس) ، والهجويري اللاهوري (ـ٤٦٥هـ) ـ سيأتي ذكرهما آنفاً ـ ، وقبر السيد سالار مسعود (ـ٥٥٧هـ) ، كان غازياً أيام أبناء السلطان محمود سبكتكين ، فقتل وهو عزب شاب ، ومدفنه في «بهرائج» (الهند) ، وهو من أكبر مظاهر الشرك ، يحتفلون لعرسه سنوياً ، ويزوجونه لأنه مات عزباً . (نزهة الخواطر : ١/ ٨٦ـ٨٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بالأسطوانات والجدران في حالة التواجد ، وحتى موتهم في حالة السكر والوجد .[1] .

هؤلاء هم أبطال «تأريخ الدعوة والعزيمة» ، المسؤولون أمام الله تعالى عن نشر طرقهم الصوفية ، باسم الإسلام ، في شبه القارة الهندية .

وإليكم نبذة يسيرة عن هذه الشخصيات المضنون بها على غير أهلها ، نقلاً عن السيد عبدالحي في «نزهة الخواطر» ، معرضاً عما قام به الأستاذ الندوي من دعايات صوفية تجاهها لتجليل الحقائق ، ليتضح الأمر ، ويستبين الوجه الآخر من حقيقة «دعوتهم وعزيمتهم» وبالله التوفيق :

---

(١) ما خلت هذه العصور من الغيورين على دينهم ، الذين كانوا يحتجون على تصرفات الصوفية ، وينكرون على بدع بعض كبارهم ، ويفتون بضلالتهم أحياناً ، ولكنهم كانوا قلة قليلة ، يسمع دوي أصواتهم وسط الضجيج الصوفي هنا وهناك .
والأسف على أن هذه الأصوات المتسمة بنبرات الحمية الدينية والغيرة الإسلامية لا تجد آذاناً صاغية في تأريخ الدعوة والعزيمة ، وإن ذكرت فلإبطال أثرها ، وإضاعة مصداقيتها ، وتهوين شأنها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري
(٥٣٧ ـ ٦٣٣هـ)

هو الحسن بن الحسن السجزي ، معين الدين الأجميري ، مؤسس الطريقة الجشتية في الهند[(١)] . كان مولده في «سجستان» ، توفي أبوه ـ وهو في الخامسة عشرة من سنه ـ وأعقب له بستاناً ورحى فاسترزق بهما مدّة .

ثم أخذته الجذبة[(٢)] الربانية ، فترك ماله من العروض والعقار وسافر إلى «سمرقند» ، فحفظ القرآن وقرأ العلم حيثما أمكن له ، ثم سافر إلى بلاد أخرى ،

---

(١) الجشتية : نسبة إلى قرية «جشت» في هراة ، (في الشمال الغربي من أفغانستان) ، مؤسسها أبو إسحاق الدمشقي الجشتي ، وهو من أحياء العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري ، ولعله أدرك بعض الأولى من القرن السابع ، وهي منتشرة في الهند ، نشرها هناك خواجه معين الدين حسن السجزى الأجميري ، مات في أجمير سنة (٦٢٠ أو ٦٢٧هـ أو ٦٣٤هـ) وقبره محجة للمسلمين والهندوس على السواء ، وقد كان لبعض أتباعها دور في نشر الإسلام بين الهندوس ، ويقول مؤلفُ الثقافة الإسلامية في الهند» : إنها أول طريقة أخذها أهل الهند . (الكشف : ص ٣٥٧) .

(٢) الجذبة : يدعي الصوفية أن رياضتهم هي الطريق إلى الله ، لأنها توصلهم إلى الجذبة !! وسموها «الجذبة» لأن الله تعالى يجذب بها العبد إليه ، ومن نتائجها ـ عندهم ـ : الكشف ، والعلوم اللدنية ، والمناظر الإلهية ، والمشاهدات وغيرها . (الكشف ٦٦٥ ـ ٦٦٨) ، ومناقشتها فيما يلي :

١ ـ معلوم أن كون الجذبة ولاية وصديقية وقرباً ، أمر غيبي لا يعرف إلا بنص من الكتاب والسنة .

٢ ـ ادعاء الولاية والصديقية هو تزكية النفس على الله ، وهو من كبائر الإثم ، ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى﴾ [النجم : ٣٢] (المصدر المذكور : ٦٦٥ ـ ٦٦٦] .

(تنبيه) : إن رجلاً جاء الجشتي للمبايعة ، وقبّل رجليه وقال : إني جئت لأكون مريدكم .

فقال الجشتي : هل تفعل ما آمرك؟

فقال : أنا أعمل بكل ما تريد .

فقال : اقرأ كلمة الإسلام مرة هكذا (لا إله إلا الله ، الجشتي رسول الله) .

فقرأ كما أمره الخواجه ، فبايعه .

ثم قال : إنما اختبرتك لأعرف مدى حبي وتقديري في قلبك . ما كنت قاصداً منك قراءة كلمة الإسلام بهذا الطريق . . . هكذا ينبغي للمريد أن يكون صادقاً في جناب شيخه .

(فوائد فريدية : ص ٨٣ ، وعنها في «الديونيدية» : ١٨٤ ـ ١٨٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ودخل «هارون» ـ قرية من أعمال «نيسابور» وأدرك بها الشيخ عثمان الهاروني[1] ، فلازمه ، وأخذ عنه الطريقة ، وصحبه عشرين سنة .

ثم قدم الهند ، وأقام بـ «لاهور» ، واعتكف على قبر الهجويري[2] والزنجاني[3] .

---

(١) من المشايخ الجشتية .

(٢) هو : أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري الغزنوي اللاهوري (ـ٤٦٥هـ) صاحب (كشف المحجوب) في التصوف ، ساح معظم المعمورة ثم قدم الهند ، وسكن بمدينة «لاهور» وقبره بها ، وهو ظاهر مشهور يزار ويتبرك به ، (نزهة الخواطر : ١/ ٦٦ ـ ٦٧) . وهو من أكبر مظاهر الشرك في «لاهور» الآن . فنعوذ بالله من الشرك والخذلان !!

قالوا : جاء «سلطان الهند في التصوف» : الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري ، إلى «لاهور» ليعتكف على قبر الهجويري ، بإشارة من النبوة» (كشف المحجوب : ص ١٠ ـ مقدمة فيروز الدين ـ طبعة أردية) ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾ [الكهف : ٥] .

(٣) الزنجاني : هو فخر الدين حسين الزنجاني اللاهوري (من القرن الخامس) ، قدم الهند وسكن بلاهور ، ومات بها يوم وفد إليها علي الهجويري ، كما في «فوائد الفؤاد» (نزهة الخواطر : ١/ ١٠٤) . واعتكف الهجريري (ـ ٤٦٥هـ) على قبر الزنجاني ، وجاء الجشتي فاعتكف على قبرهما وهكذا اعتكف على قبر الجشتي في أجمير صوفية آخرون منهم : أحمد بن مجد الشيباني (ـ٩٢٧هـ) اعتكف على قبره (٧٢) سنة (نزهة الخواطر : ٤/ ٢١) . وحلقات الاعتكاف عند القبور متصلة بعضها ببعض حتى الآن ، فنسأل الله السلامة والإيمان !! .

هذا الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ـ١٣٤٦هـ) صاحب (بذل المجهود» و«المهند على المفند») الذي «نبغت بتربيته جماعة من أهل التربية والإرشاد» على حد قول الأستاذ الندوي (أضواء : ص ٣٥) ذهب ـ ومعه الشيخ أشرف على التهاونوي (ـ١٣٦٢هـ) وكلاهما من كبار علماء الديوبندية ـ ، إلى ضريح الخواجه معين الدين الأجميري (ـ٦٣٣هـ) وبمجرد وصوله إلى قبره جلس مراقباً ، واستغرق إلى حد لم يشعر بما جرى وبما يجري ، والناس يسجدون إلى القبر ويطوفون به ، ويرتكبون أنواعاً من الشرك (تذكرة الخليل : ٣٧١ ـ ٣٧٢ ، وعنها في «جهود علماء الحنفية» : ٢/ ٧٨٩ ، وقال : «قلت مع هذا الشرك البواح لم تتمعر جباه هؤلاء الأئمة ، ولم ينكروا على هؤلاء الوثنية ، الذين جعلوا هذا القبر وثناً يعبدونه من دون الله ، بكلمة واحدة ، بل جلس هذا الإمام للمراقبة إلى القبر ، لأن هذا كان يهمه ، وقد فعل») .

بعد كل هذا ، يقال : : «طريقتنا لا تخالف شريعتنا» ، ويقال : «أين الضلال في تصوفنا»؟ ومن العجب العجاب أن الأستاذ الندوي يبالغ في تمجيد هذه الشخصيات ، ويزجر الذين يقعون في الشركيات بعد تأثرهم بها في أعمالهم وتصرفاتهم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم قدم «دهلي» ، ثم سار إلى «أجمير» ، وسكن بها ، وكانت تحت سلطنة الهنود في ذلك الزمان ، فأسلم على يده خلق كثير .(١)

«يذكر له كشوف وكرامات ، ووقائع غريبة ، والإحاطة ببعض البعض من مناقب هذا الإمام تقصر عنها ألسن الأقلام(٢) . . . توفي وله خمس وتسعون سنة ، وقبره مشهور ظاهر بمدينة «أجمير»(٣) يزار ، ويتبرك به»(٤) .

=فهل من الإنصاف في شيء أن توبخ العامة من الناس على الإشراك بالله تعالى ، ويمجد من شق لهم الطريق إلى ذلك؟ ! (سيأتي المزيد في موضعه إن شاء الله) .

(١) قال الدكتور اشتياق أحمد الظلّي الإصلاحي (الأستاذ في قسم التأريخ بجامعة علي كره الإسلامية بالهند) في مقاله : «دور الصوفية في نشر الإسلام» : «في الحقيقة لم يكن السعي لنشر الإسلام من أهداف التصوف الأساسية أبداً» (جريدة «آئين» الأسبوعية الصادرة من لاهور (طبعة شهرية) ديسمبر ١٩٨٨م (ص٤٥) ، وعنها في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للطرق الصوفية» : ص ١٨٥) .

كان جل همّ المتصوفة يتركّز في المراقبة عند القبور ، والوصول إلى الكشوف والكرامات ، والذين أسلموا على أيديهم ، لم يسلموا على بصيرة وهدى ، بل كانوا ضعفاء الاعتقاد فتأثروا بكشوفهم وكراماتهم وتصرفاتهم . («آب كوثر» (ماء الكوثر) : ص ٢٨٣ ، وعنه في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للطرق الصوفية» : ٨٥) .

(٢) مثل هذه الإطراءات والمبالغات هي التي جعلت الناس يتساقطون على الصوفية ، ويأخذون عنهم كل ما هب ودب .

أما «مناقب هذا الإمام» ـ وقد عرفنا أنه قضى عشرين سنة مع شيخه في الطريقة ، واعتكف على قبر الهجويري والزنجاني مدة ـ فكلها تدور حول كشوفه وكراماته ، ومجاهداته ، ورياضاته ، ومراقباته واعتكافاته ، ومواجيده وأذواقه ، ما اختلفنا في هذا كله .

ولكن أين جهده المضني المنظم لتعريف الناس بالإسلام ، والعودة بهم إلى المنهل الصافي : الكتاب والسنة ـ عقيدة ومنهجاً وسلوكاً ـ ، النقي من أكدار الشرك والوثنية ، والإلحاد والزندقة ، وكانت الهند لوثنيتها وكثرة آلهتها ، أحوج بلاد الله ـ ولا تزال ـ إلى التوحيد الخالص ، ولكن يقال : «فاقد الشي لا يعطيه» .

ولا ريب أنه ربط المسلمين بالقبور ، فكما أنه اعتكف على قبر «الهجويري» و«الزنجاني» كذلك هم يعتكفون على قبره ، من عصره حتى الآن . «والأرواح جنود مجندة» (كما تقدم آنفاً) .

(٣) «أجمير» مدينة كبيرة في الهند ، فيها قبر الخواجه معين الدين الجشتي ، وعليه عمارة شامخة . يحج إليه مبتدعة القارة الهندية ، حتى بعض كبار الديوبندية اعتكفوا عند قبره ، وهو من أكبر مظاهر الشرك بالهند الآن . فنعوذ بالله من الشرك والوثنية والكفران ! ! (جهود علماء الحنفية» : ٢/ ١٤١ تعليقاً) .

(٤) نزهة الخواطر (١/ ١٠٤) ، و«الثقافة الإسلامية»(١٨٠ ـ ١٨١) ، كلاهما للسيد عبدالحي (والد الندوي) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي

(ـ٦٣٣هـ)

ولد بـ «أوش» في حدود ما وراء النهر، ثم رحل إلى بغداد، ولازم الشيخ معين الدين الجشتي (ـ٦٣٣هـ)، ولبس منه الخرقة، وكان المجلس محفوفاً بالشيوخ كالشيخ شهاب الدين السهروردي[1] (ـ ٦٣٢هـ)، وأوحد الدين الكرماني[2]، وبرهان الدين الجشتي، ومحمود الأصبهاني، وغيرهم .

ثم عطف عنان «العزيمة» إلى أرض «الهند»، وأدرك الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني (ـ ٦٦٦هـ)[3]، والشيخ جلال الدين التبريزي بالملتان .

ثم قدم «دهلي»، فأكرمه السلطان «شمس الدين الأيلتمش»[4] غاية الإكرام، فتوطن بها . وكان الملك يتردد إليه كل أسبوع، فاجتمع لديه خلق كثير من المشايخ والعلماء، وانتفعوا به .[5]

---

(١) تقدم عن الشهاب السهروردي (مؤسس الطريقة السهروردية) ماله وما عليه في ضوء كتابه «عوارف المعارف»، وهو من تلاميذ الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ـ٥٦١هـ) .

(٢) الأوحد الكرماني من أصحاب الصدرالقونوي، والسعد الحموي، والجلال الرومي من أفراد محفل ابن عربي (على حد قول الأستاذ الندوي) الذي هو قدوة لهم في وحدة الوجود .
وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على الأوحد الكرماني في اعتقاده بوحدة الوجود . (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢١/ ٢٩٠، ٣٣٥، ٣٣٨) . وتقدم في ترجمة الرومي .

(٣) بهاء الدين زكريا الملتاني، من تلاميذ الشهاب السهروردي . تقدمت ترجمته في ترجمة الشيخ : عبدالقادر الجيلاني .

(٤) هو : شمس الدين الأيلتمش التركماني (ـ٦٣٣هـ)، كان من المماليك، فاشتراه الأمير قطب الدين أيبك، ورباه في مهد السلطنة وزوجه بابنته، وكان عادلاً صالحاً فاضلاً، ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم . وإنصاف المظلومين . (نزهة الخواطر : ١/ ١٢٦ـ١٢٧) .

(٥) هنا قاعدتان : إحداهما منقوضة، والثانيةسليمة .
أما (المنقوضة) فالمعروف أن الصوفية يدعون بعدهم عن السلطان والسلطنة، ولكن هنا «أكرمه السلطان غاية الإكرام فتوطن بها» .
أما (السليمة) فهي أن الناس على دين ملوكهم . «كان الملك يتردد إليه . . . فاجتمع لديه خلق» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وكان من الأولياء السالكين المرتاضين، يقوم الليل ويصوم النهار، ويشتغل بالذكر والفكر على الدوام، فارغاً قلبه عن هواجس الخطرات، زاهداً متورعاً عزباً، يستمع الغناء ويتواجد، ويستغرق في بحار «المعارف»[(١)]، حتى أنه توفي في تلك الحالة.

قال الخواجه نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني[(٢)] (ـ٧٢٥هـ):

«إنه حصل مرة في مجلس «السماع» بزاوية الشيخ علي السجزي، وكان المغني يغني بأبيات الشيخ الجامي، فلما أنشد هذا البيت [وهو بالفارسية، ومعناه]:

«المقتولون. بخنجر الاستسلام، يُمَنّ عليهم بأرواح أخرى من الغيب في كل زمان».

تواجد الشيخ قطب الدين، وغشي عليه، فحمله أصحابه: الشيخ بدر الدين[(٣)]. والقاضي حميد الدين الناكوري[(٤)] وغيرهما، وأتوا به إلى بيته، وكان القوّال معهم يكرر البيت المذكور، فلم يفق إلى ثلاثة أيام، واشتدت إليه الحالة في اليوم الثالث إلى أن توفي....»[(٥)].

---

(١) «المعارف» ومثلها «الحقائق» وغيرهما من الكلمات، تشير إلى التوغل في وحدة الوجود.

(٢) هو: الخواجة نظام الدين الدهلوي، المعروف بالأولياء ـ على الجمع، وهو واحد ـ هو الذي خص الأستاذ الندوي لترجمته ـ مع المنيري ـ «الجزء الثالث» من «تأريخ الدعوة والعزيمة» وستأتي ترجمته مفصلاً إن شاء الله.

(٣) هو: بدر الدين الغزنوي (٦٥٧هـ) أحد كبار مشايخ الجشتية أخذ الطريقة عن الكعكي وكانت وفاته في حالة التواجد على طريق شيخه الكعكي بدهلي (نزهة الخواطر: ١/ ٩٦).

(٤) هو: محمد بن عطاء البخاري (٦٤٣هـ). أخذ الطريق عن الشهاب السهروردي ببغداد، واجتمع بقطب الدين الكعكي، بالهند، وقيل: إنه لبس الخرقة الجشتية منه أيضاً. وكان ممن يستمع الغناء، وأفرط في ذلك، فاحتسب عليه العلماء، وأفتوا بضلالته ونفيه من الهند» (نزهة الخواطر: ١/ ١٦٧).

وسيأتي تصريح الأستاذ الندوي في باب «الصوفيات» (مبحث السماع) بأنه على رأي القاضي حميد الدين الجشتي في مسألة «السماع»!

(٥) نزهة الخواطر (١/ ١٥٠ـ ١٥٢).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه فريد الدين مسعود الأجودهني المعروف بـ «كنج شكر»

(٥٦٩ ـ ٦٦٤هـ)

أدرك الخواجه فريد الدين بالملتان، الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي سنة أربع وثمانين وخمسمائة، فجاء معه إلى «دهلي»، ولازمه مدة، وأخذ عنه الطريقة، ورحل إلى «قندهار» وأدرك الشهاب السهروردي وغيره من المشايخ.

ثم جاء إلى «دهلي»، وصحب الشيخ قطب الدين المذكور، ثم رحل إلى مدينة «هانسي»، وأقام بها اثنتي عشرة سنة. واشتغل بالرياضة الشديدة، والمجاهدة القوية، فظهرت منه الخوارق، والكرامات، والتصرفات العجيبة.[1]

«وكان من أكابر أولياء الله تعالى، صاحب تصرفات عجيبة، وجذب قوي، له في أحوال الباطن شأن كبير بين المكاشفين، مشهور في ظهور الآفاق، ومذكور في بطون الأوراق، أخذ عنه خلق كثير، منهم:

ـ الخواجه نظام الدين الدهلوي.

ـ والخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري.»[2]

---

(١) ممارسة الرياضة والمجاهدة ـ على الطريقة الصوفية ـ ليست من الأعمال المأمورة، ولا المأجورة والمشكورة في الإسلام، ولهذا لا تسمى «خوارق الصوفية» كرامات، لأن الطريق إليها هو اتباع الكتاب السنة عقيدة وعملاً، ومنهجاً وسلوكاً.

قال الأستاذ أبو زهرة المصري: «نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا:

١ ـ (الينبوع الأول): هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة...

٢ ـ (والينبوع الثاني): الذي وجه النفوس، هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين: إحداهما فلسفية والأخرى من الديانات القديمة.

أما الفكرة الأولى: فهي فكرة الإشراقيين من الفلاسفة، وهم الذين يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي. والفكرة الثانية: فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية أو حلول اللاهوت في الناسوت. وتلك الفكرة قد ابتدأت تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام.. ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية...» (ابن تيمية لأبي زهرة: ١٩٧ ـ ١٩٨ـ، وعنه في «حقيقة الصوفية»: ص ١٥) فالرياضة تكون طريقاً إلى «الخوارق الصوفية»، لا «الكرامات»، وبهذا يبطل أيضاً الاستدلال بصدور التصرفات العجيبة عن رجل، على كونه ولياً لله تعالى.

(٢) نزهة الخواطر (١/ ١٧٧)، وستأتي ترجمة الخواجه الدهلوي والكليري قريباً إن شاء الله.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري

(ـ٦٨٩ ـ أو ٦٩٠ هـ)

كان الخواجه علاء الدين(١) ، إسرائيلي النسب ، لقي الشيخ فريد الدين الأجودهني في شبابه ، ولازمه مدة من الزمان بغاية «الترك والتجريد(٢) والزهد

(١) تنتسب إلى الخواجه علاء الدين علي الصابر ، «الطريقة الجشتية الصابرية» ، التي كان رئيسها في القرن العاشر الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي (ـ٩٤٤هـ) القائل بوحدة الوجود . قال فيه السيد عبدالحي (والد الندوي) : « . . . . وكان يستمع الغناء ويفرط فيه ، ويفشي أسرار التوحيد على عامة الناس ، ويستغرق في بحار الجذبات والسكر ، ومع ذلك كان لا يقصر في اتباع السنة ، والتزام العزائم . .» (نزهة الخواطر : ٤/ ١٧٤) .

وقد توارثت عقيدة وحدة الوجود في أولاده وتلاميذه :

* هذا ابنه : «أحمد بن عبدالقدوس (أخذ عن أبيه ، وسلك مسلكه في استماع الغناء والتواجد والقول بوحدة الوجود . وخالف في تلك المسائل ابنه الشيخ عبدالنبي بن أحمد (ـ٩٩١هـ) المحدث ، فطرده أبوه فسار إلى دهلي ، ونال الصدارة العظمى في عهد «أكبر شاه» التيموري سلطان الهند ، ثم أوذي ومات ٩٩١هـ» (نزهة الخواطر : ٤/ ٢٠ ، ١٩٣) .

* وهذا تلميذه : أحمد الملتاني قرأ عليه «العوارف» و«عرائس البيان» وغيرهما ، وقال بوحدة الوجود . (نزهة الخواطر : ٤/ ٢٨) .

هذا هو الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي (ـ٩٤٤هـ) الذي كان الشيخ محمد إلياس (ـ١٣٦٣هـ) مؤسس جماعة التبليغ يعتكف عند قبره .

كما أن الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي كان حامل لواء «الطريقة الجشتية الصابرية» في القرن العاشر ، كان الحاج إمداد الله (ـ١٣١٧هـ) (شيخ الديوبندية في التصوف القائل بوحدة الوجود) مجددها في القرن الرابع عشر ، قال الأستاذ الندوي : «وبارك الله في تربيته وطريقته ، فانتشرت أنوارهما في الآفاق ، وجدد به الطريقة الجشتية الصابرية ، وانتمى إليها ودخل في سلكها كبار العلماء والفضلاء . . .» (زوائده على نزهة الخواطر : ٨/ ٧١ ، وحياة عبدالحي : ٣٦ـ٣٧) كما تقدم .

ومن تلاميذ الحاج إمداد الله المعروفين : الشيخ محمد قاسم النانوتوي (مؤسس دار العلوم بديوبند) ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ أشرف على التهالوي . وقد تقدم غير ما مرة أن الحاج إمداد الله صرح بأسماء هؤلاء التلاميذ بأنهم على طريقته في وحدة الوجود .

هذا هو الحاج إمداد الله الذي أنشئت «المكتبة الإمدادية» في مكة المكرمة . تذكاراً له .

(٢) التجريد : في اصطلاح القوم : «إماطة السوي والكون على السر والقلب ، إذ لا حجاب سوى الصور الكونية ، والأغيار المنطبعة في ذات القلب ، والسر فيه كالنتوء والتشعيرات في سطح المرآة القادحة في =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والمجاهدة» ، فبلغ رتبة[1] فلما وصل إليها أصحابه ، فوجهه الشيخ إلى «كلير» ـ بفتح الكاف ، وكانت مدينة عامرة في أودية الجبال في وسط الهند ـ فاشتغل بها في العبادة والإفادة وأخذ عنه الشيخ شمس الدين التركماني . . .»[2]

إشارة غيبيّة :

بعدما ذكر الأستاذ الندوي هذه السلسلة الذهبية للطريقة الجشتية قال :

«بناء على هذه الحكم المعلومة وغير المعلومة ، اختارت القدرة الإلهية هذه السلسلة الجشتية لنشر الإسلام في الهند[3] ، وتلقى الجشتيون إشارة غيبية لأن يتجهوا إلى الهند . . .»[4] .

وقال أيضاً :

«وهكذا كل ما يوجد من ذكر الله ، وعمل للإسلام في الهند ، جدير بأن يعدّ من حسنات الجشتيين ومآثرهم[5] ، وعلى رأسهم مؤسس هذه السلسلة المخلص صاحب الهمة العالية الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري .

=استوائه ، المزايلة لصفاته .» (التعريفات للجرجاني : ص ٧٣) .

يريدون «بإماطة السوى والكون على القلب» قولهم : «ليس إلا الله» ، وهو عبارة عن وحدة الوجود ، فنسأل الله السلامة !

(١) ما هي الرتبة التي يرجى البلوغ إليها بعد الرياضة والمجاهدة ، وتحت إشراف الخواجه فريد الدين (المتقدم ذكره آنفاً) ، إلا «الخوارق الصوفية» ، التي كانت مبتغى القوم ، وبغيرها لم يكونوا يعتبرون من الكمّل من «أولياء الله» .

وبهذا تعرف نوعية «العبادة» و«الإفادة» اللتين اشتغل بهما الخواجه علاء الدين الكليري .

(٢) نزهة الخواطر (١/ ١٣٨) .

(٣) تقدمت حقيقة هذه الشائعة باختصار ، أن نشر الإسلام لم يكن من مقاصد التصوف الأساسية ، والذين أسلموا على أيدي المتصوفة بالهند ، لم يتأثروا بالتزامهم «الإسلام» المتمثل في الكتاب والسنة ، ولكنهم أسلموا متأثرين بكشوفهم وخوارقهم ، وتصرفاتهم ومكاشفاتهم ، التي حصلوا عليها بالرياضة والمجاهدة . وسيأتي المزيد في موضعه في باب «التأريخ» إن شاء الله .

(٤) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٢) .

(٥) وهكذا كل ما يوجد من خرق للتوحيد الخالص ، وشرك بالله في صفوف المسلمين ، جدير بأن يعد من سيئات الجشتيين ومساويهم أيضاً ، لأنهم ربطوا مريديهم بالقبور ، وشقوا الطريق إلى الشرك بالله في =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة .»[١] .

واستطرد قائلاً :

«انتقلت مركزية الهند السياسية ، وسلطتها من «أجمير» إلى «دهلي» في حياة الشيخ معين الدين الأجميري . . . . فأجلس فيها خليفته الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي ، وأقام نفسه في «أجمير» . . . .»[٢] .

ثم قال :

كما أن الخواجة معين الدين مؤسس للسلسلة الجشتية في الهند ، كذلك الخواجه فريد الدين مجددها وآدم الثاني لها ، وانتشرت هذه السلسلة بجهود الاثنين من خلفائه ، ألا وهما :

* سلطان المشايخ الخواجه نظام الدين الدهلوي .[٣]
* والخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري .

ولا تزال تستمر هذه السلسلة بجهود خلفائهما حتى الآن . . .»[٤] .

* * *

اندهشت من هذه التزكية العامة للسلسلة الجشتية ، وهذا الثناء البالغ على مشايخها المصرِّين ـ عبر القرون ـ على المراقبة والاعتكاف على القبور ، والرياضة والمجاهدة على غير السنة ، والإفراط في السماع ، والتوغل في وحدة والوجود والشهود .

لم أكن أتصور أن «داعية» يحترم عقيدته ودينه ، يدعو الله تعالى أن يثبته

=بلد هو أحوج بلاد الله إلى العقيدة الصحيحة ، والالتزام بالكتاب والسنة . . . وواقعهم أكبر شاهد على ذلك .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٩) .
(٢) المصدر المذكور (٣/ ٣٠) .
(٣) ستأتي ترجمته آنفاً .
(٤) المصدر المذكور (٣/ ٣٦ ـ ٣٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

على الاعتقادات بمثل هذه السلاسل الصوفية ومشايخها ، وأن يبقيه على ذلك إلى أنفاسه الأخيرة من حياته ، وينشد بفخر واعتزاز :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهواء فصادف قلباً خالياً فتمكنا(١)

وينصح المحتجين على الطريقة ، الغيورين على عقيدتهم ودينهم بقول الشاعر :

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سدوا(٢)

أيُّ مكان سُدَّ بهؤلاء ، إذا نقض التوحيد الخالص؟ !

فالعقيدة أولاً ، وقبل كل شيء لو كانوا يعلمون !

أما المجاهدة أو الرياضة ـ المتمثلة في الخلوة والصمت ، والسهر والجوع ، وتعذيب النفس بأنواع من المكاره باسم الزهد ـ وما يترتب عليها من الكشوف والخوارق والكلام على الخواطر ، فهي قدر مشترك في صوفية الأمم ، ولا يتميز فيه الصوفي المسلم عن غيره ، إلا بتمسكه بالكتاب والسنة عقيدة ، وعملاً ، ومنهجا وسلوكاً ، وأين الاستضاءة في هذه الأمور من الكتاب والسنة؟ وبالتالي صدور هذه الغرائب من رجل ، لا يكون دليلاً على كونه ولياً لله .

ثم ما لهذه الرياضات بعثت الأنبياء والرسل **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾** [البينة : ٧] .

وما بهذا النوع من الزهد طولب المسلمون؟

فلماذا الإصرار على ضرورة ذلك؟

المسلم لا يتحرج ، بل يحتاج ـ دائماً ـ إلى مراجعة حساباته مع الله في جميع أموره ـ وعلى رأسها العقيدة ـ ، حتى آخر لحظاته من هذه الحياة الفانية ، ولا يغتر ، لعله يخطىء ، وعسى أن يستدرك قبل فوات الأوان .

---

(١) «ربانية لا رهانية» (ـ١٣٧ طبعة أردية) .

(٢) المصدر المذكور (ص٢٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ «وإنما الأعمال بخواتيمها»[١] .

ولنا في مراجعات سلف هذه الأمة وعلمائها ، في أمورهم عبرة وعظة .[٢] فاعتبروا يا أولي الأبصار !!

سبب الانتخاب :

ذكر الأستاذ الندوي تلك الشخصيات[٣] المضنون بها على غير أهلها تمهيداً لترجمة الشخصين من كبار صوفية الهند في الجزء الثالث من «تأريخ الدعوة والعزيمة» ، ألا وهما :

* الخواجه نظام الدين الدهلوي .

* والخواجه شرف الدين المنيري .

ثم قال :

«سبب هذا الانتخاب أنهما يحتلان مكانة متميزة في التأريخ الإسلامي للدعوة والعزيمة ، وقادا الحركة الروحية والإصلاحية في الهند (التي هي مركز العالم الإسلامي ، ومنبع حركات الإصلاح والتجديد من بعد القرن السابع) ، وأثرا في جيلهما ، والأجيال المتلاحقة تأثيراً كبيراً . . . .»[٤] .

---

(١) البخاري (رقم٦٤٩٣)عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) وقد رجع الصحابة ـ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم ، ومن تبعهم من السلف الصالح ، إلى الحق في كثير من الأمور بعدما تبين لهم ، رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين .

وما أمر الأشعري ، والغزالي ، وابن عقيل ، والنووي ، والشوكاني ، وغيرهم من العلماء عنّا ببعيد ـ رحمهم الله تعالى .

(٣) وقد تقدم ذكرها آنفاً .

(٤) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٦ ـ المقدمة) .

(تنبيه) : تقدّم أن هذا الجزء الثالث من «تأريخ الدعوة» لم ينقل إلى العربية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه نظام الدين الدهلوي

المعروف بـ «أولياء»

(ـ٧٢٥هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني الدهلوي (ـ٧٢٥هـ)

ترجمته في «نزهة الخواطر» :

« . . أخذ عن الخواجه فريد الدين الأجودهني[(١)] (ـ٦٦٤هـ) ، ولبس منه الخرقة ، وصحبه مدة ، وأجازه في سنة تسع وستين وستمائة[(٢)] وأذن له إلى «دهلي» ، وأمره أن يقيم بها ، فرجع وأقام بـ«دهلي» . . . واشتغل بها بالمجاهدة من الصيام والقيام والذكر والفكر في «الأربعينات» على طريق السادة المشايخ الجشتية .[(٣)]

وكان شيخه فريد الدين أوصاه عند توديعه أن يحفظ القرآن الكريم وأن يصوم دائماً[(٤)] . . .

ولقد أحله الله تعالى من الولاية محلاً لا يرام فوقه ، وهدى به في عهده ، ثم

---

(١) تقدم أن الخواجة قطب الدين بختيار الكعكي (ـ٦٣٣هـ) كان يستمع الغناء ويتواجد ويستغرق في بحار المعارف (أي وحدة الوجود) حتى أنه توفي في حالة التواجد بعد السماع .

وهذا الخواجه فريد الدين (ـ٦٦٤هـ) تلميذ الكعكي وكان يشتغل بالرياضة الشديدة . فظهرت منه الخوارق والتصرفات العجيبة .

وتقدم أيضاً أن الخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري (ـ ٦٨٩هـ أو ٦٩٠هـ) تلميذ فريد الدين ، لازمه بغاية الترك والتجريد (أي وحدة الوجود) .

«والسلسلة الجشتية الصابرية» التي تنسب إليه ، تتسم بوحدة الوجود ، كما هو ظاهر من صنيع عبدالقدوس الكنكوهي (ـ٩٤٤هـ) في القرن العاشر ، والحاج إمداد الله (ـ١٣١٧هـ) في القرن الرابع عشر .

والتلميذ الثاني للخواجه فريد الدين هو الخواجه نظام الدين هذا ، وسيأتي عنه أنه كان على طريقة مشايخه .

(٢) وعلى هذا ، أجازه فريد الدين (ـ٦٦٤هـ) بعد وفاته بأربع سنوات ، وهو محال ، وقد تنبه الأستاذ الندوي لهذا المحال فحاول دفعه في تعليقه على «نزهة الخواطر (٢/ ١٢٠) وما استطاع إليه سبيلاً إلا بتقديم سنة إجازته إلى «تسع وخمسين» بناء على بعض المراجع ، وتأخير وفاة فريد الدين إلى سنة سبعين وستمائة ، بناء على الأخرى .

(٣) كان الخواجه نظام الدين في مجاهدته المتمثلة في الصيام والقيام والذكر والفكر في «الأربعينات» على الطريقة الجشتية ، لا على السنة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ التي تربى طلابها على العقيدة الصحيحة ، والعمل الصالح ، والمنهج القويم ، والسلوك المستقيم .

(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بأصحابه من بعده خلقاً لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالج[١] . فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين من بلاد الهند ، إلا ونمت فيها طريقته ، وجرى على ألسنة أهلها ذكره ، إليه ينتمون وبه يتبركون . . .[٢]

. . . وكان يستمع الغناء بالدف .[٣]

=وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه .» (متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ) .

أما الوصال في الصوم ، أو الصيام الدائم فهو خلاف السنة .

(١) عالج : «موضع بالبادية ، وفيه رمل» (مختار الصحاح =علج) ، «عد رمل عالج» يضرب مثلاً عن أمر محال .

(تنبيه) : ذكر السيد عبدالحي الحسني (والد الندوي) في هذا المكان محالين :

الأول : إعطاء فريد الدين بعد وفاته بأربع سنوات إجازة للخواجه نظام الدين !

والثاني : إحصاء من أسلم ، بل من دخل في الطريقة الجشتية النظامية على يد الخواجه نظام الدين ومريديه جيلاً بعد جيل !!

(٢) تقدم أن وقوع الكشوف والخوارق من إنسان لا يدل على كونه ولياً لله ، لأنه قدر مشترك بين مسلم وغيره ، والذين أسلموا على أيدي هؤلاء المتصوفة ، بل بالأحرى الذين دخلوا في طرقهم الصوفية ـ تأثروا بكشوفهم وخوارقهم ، ولم يعلموا من الكتاب والسنة إلا اسمهما تبعاً لمشايخهم .

ولأجل هذا نرى الجم الغفير من المسلمين في بلاد الهند من أقصاها إلى أدناها يتسكعون في التصوف ويهتمون بالقبور أكثر من اهتمامهم بالمساجد ، وبهذا يبتعدون عن المنهل الصافي للإسلام ، وقد يتبادر إلى ذهن المشاهد لما يقع منهم من تصرفات مناقضة للتوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة بأنهم أصحاب عقيدة أخرى ودين جديد .

(٣) قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : «أما الضرب بالدف ، فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف ـ وكانت هكذا ، فكيف لو رأوا هذه ـ وكان الحسن البصري يقول : ليس الدف من سنة المرسلين في شيء .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : من ذهب إليه من الصوفية ، فهو خطأ في التأويل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس .» (تلبيس إبليس : ص ٢٧٠) .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

«عن «جماعة» يجتمعون على قصد الكبائر : من القتل ، وقطع الطريق ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وغير ذلك ، ثم إن شيخاً من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك ، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية ، وهو بدف بلا صلاصل ، وغناء المغني بشعر =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وإذا أراد أن يستمع يقل في طعام الإفطار قبل ذلك بيومين[(١)] . . . . وكان مغنيه ذا دين .

وكان تواجده أن يقوم في سجادته ، ويبكي بكاء شديداً تبل دموعه المناديل .

وكان يحب أن يخفي الناس بكاءه ، وقلما رآه الناس باكياً ، وإنما يعرفون ذلك ببل المناديل ، فكان يمسحها بيده ومنديله .

ولم يسمع منه في ذلك الحال صوت التأوه قط .[(٢)]

وكان يحترز عن المزامير ، ويمنع أصحابه عن ذلك ، ويقول : إنها حرام في الشريعة المطهرة . . .

مات في سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وله تسع وثمانون سنة ، ودفن في مدينة «دهلي» ، في قاع خارج المدينة ، بنى فيه «محمد شاه تغلق» ، ومن بعده من

=مباح بغير شبابة ، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة ، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات ، ويؤدي المفروضات ، ويجتنب المحرمات ، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه ، لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا؟» .

فأجاب شيخ الإسلام عنه ، فقال بعد التمهيد :

«إذا تبين هذا فنقول للسائل : إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر ، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي ، يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة ، أو عاجز عنها ، فإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية ، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية .» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١١/ ٦٢٠ ـ ٦٢٤) .

(١) هذا يدل على أنه كان يستعد لسماع الغناء ويتفرغ له قصداً .

(٢) يظهر من هذا كله أنه كان يسمع الغناء على وجه القربة ، وفي مثل هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله ، فقد ضاهى هؤلاء [أي المشركين] في بعض أمورهم ، وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله أكابر المشايخ .

أما سماع الغناء على وجه اللعب ، فهذا من خصوصية الأفراح للنساء والصبيان ، كما جاءت به الآثار فإن دين الإسلام واسع لا حرج فيه» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/ ٤٢٧) وسيأتي المزيد في موضعه إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الملوك الأبنية الرفيعة . وقبره[١] مشهور ظاهر يزار ويتبرك به»[٢]

ترجمته في «تأريخ الدعوة والعزيمة» :

ذكر الأستاذ الندوي ترجمة الخواجه نظام الدين في هذا الكتاب بإسهاب وتفصيل . وإليكم بعض المقتطفات منها :

* ذكر اسم شيخه بعد كل صلاة :

بين الأستاذ الندوي مناسبته مع شيخه فريد الدين ، وانجذا به القلبي إليه ، فقال :

«إن الخواجه نظام الدين سمع من أبي بكر الخراط ذكر الشيخ «فريد الدين» فقال : انجذب قلبي إليه بمجرد سماع ذكره منه من غير اختيار مني ، ورسخ في قلبي حبه واعتقاده رسوخاً ، جعلني أتلذذ بذكر اسمه ، وبدأت أذكر اسمه بعد كل صلاة بلذة . . .»[٣] .

* تربية كسر الهمة :

قال الأستاذ الندوي :

«إن الشيخ الكبير (فريد الدين) كان يدرس عوارف المعارف[٤] (لشيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي) ونسخة الكتاب كانت سقيمة وخطها رقيق ، فتوقف الشيخ

---

(١) قبر الخواجه نظام الدين في «حي نظام الدين» بدلهي ، جنب مركز «جماعة التبليغ» . وهو الآن من أكبر مظاهر الشرك بالله تعالى في الهند ، فنعوذ بالله من ذلك ، وإليه المشتكى .

(٢) نزهة الخواطر (٢/ ١٢٠ـ ١٢٥) .

(٣) ، وتأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٥٤ ـ ٥٥ ، نقلاً عن سير الأولياء : ص ١٠٠ وفوائد الفؤاد : ص ١٤٩) . (تنبيه) قولوا لي بالله ! أي حب هذا ، وأي ذكر ؟ أيتلذذ المسلم بذكر اسم شيخه المحبوب في حين ذكر الله عز وجل بعد الصلوات ؟ ! هذا هو موطن الضعف في التربية الصوفية التي تؤدي أحياناً إلى مثل هذا الضلال . والعجب من الأستاذ الندوي أنه ذكر هذه الطامة معجباً بها تحت عنوان «مناسبته مع شيخه الكبير فريدالدين ، وانجذابه القلبي إليه» بدون نقد أو تعليق .

(٤) تقدمت نبذة عن محتويات «العوارف» ومؤلفه في ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلاني . . وفيها : دفاع =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

في مكان هنيهة ، فقال الشيخ نظام الدين : كنت رأيت نسخة مصحّحة عند الشيخ نجيب الدين المتوكل [1] (أخى الشيخ الكبير) .

فقال : لا طاقة للفقير لتصحيح النسخة السقيمة ـ وكررها مراراً وتكراراً ـ وغضب على الخواجة نظام الدين غضباً شديداً على ما قال ، ولم يرض عنه إلا بعد ما توسط له شهاب الدين بن الشيخ الكبير ، فأجازه للحضور في خدمته ، فحضر ، ووضع رأسه على قدمه فعفا عنه . . .»[2] .

=عن الحلاج ، وتأويل للآيات والأحاديث على الطريقة الصوفية ، وغيرها من المخالفات .

ومن تلاميذ الشهاب السهروردي : القاضي حميد الدين الناكوري (ـ٦٤١هـ) الذي كان يفرط في السماع ، وأفتى علماء عصره بضلالته ونفيه من البلاد ، كما تقدم ـ وسيأتي المزيد إن شاء الله .

(١) هو : نجيب الدين بن سليمان المشهور بالمتوكل (ـ٦٦٩هـ) أخذ عن صنوه فريد الدين ، وسكن في «دهلي» ولم يزل بها حتى مات . .» (نزهة الخواطر : ١/ ١٨٠) .

(٢) تقدم أن الخواجه نظام الدين لبس الخرقة من الخواجه فريدالدين ، ومن آدابه أن لا يعترض على الشيخ على خطأه حتى وإن كان في العلم .

وهذا من توجيهات الشهاب السهروردي في «عوارف المعارف» الذي كان يدرسه الخواجه فريد الدين . قال السهروردي :

« . . . فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه ، في جميع تصاريفه ، ويحذر الاعتراض على الشيوخ . فإنه السم القاتل للمريدين ، وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح . ويذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام . . . . فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة .» (العوارف : ص ٩٤) .

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني «شيخ السهروردي» : «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً» ـ .

وقال أبو احامد الغزالي : « . . . فيعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به كالأعمى على شاطىء النهر بالقائد . . . وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه ـ لو أخطأ ـ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب . . .» (الإحياء : ٣/ ٦٥ ، وعنه في الكشف : ٣١٧) .

هذه التوجيهات الصوفية تتطلب من المريد أن يكون عند شيخه كالميت في يد الغاسل مسلوب الإرادة والاختيار حتى في باب العلم .

إذا نشأ الشباب على مثل هذه التوجيهات ، تبقى الأمة بدون إرادة واختيار . وأي خسارة بعد هذه الخسارة للأمة الإسلامية ! !

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الأستاذ الندوي معلقاً على هذه القصة :

«لا يشتبه على أحد أن الشيخ الكامل أظهر هذا القدر من الغضب والتضجر تجاه إخبار صغير من تلميذه الرشيد لأن هذا الغضب ، والتكلف ـ كما يعلم من جملة الشيخ ـ لترقى الطالب الرشيد الباطني ، وكسر نفسه . . .» واستدل على ذلك بحادثة كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ (وصاحبيه) في قبول توبتهم حين تخلفهم من غزوة تبوك»(١) .

* عطايا الشيخ :

قال الأستاذ الندوي «تحت هذا العنوان» :

«دعى (الشيخ نظام الدين) بعد صلاة الجمعة في إحدى زياراته للشيخ الكبير ، فألقى لعابه في فيه ، وأوصاه بحفظ القرآن ، وقال : قد أعطاك الله الدين والدنيا ، هذا

=ثم يسأل عن «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟ !

ولنا في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة حيث نسى في صلاة ذات أربع ركعات ، فصلى ركعتين فقال له ذو اليدين : «يا رسول الله أقصرت الصلة أم نسيت» ، فاستجاب لما قيل له وتذكر وأكمل صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : «أنا بشر أنسى كما تنسون» (متفق عليه) ، هكذا تكون التربية على منهاج النبوة .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣١٣٦ نقلاً عن «فوائد الفؤاد» : ص ٢٧) مع التعليق) .

هذا أقرب مثال لكون الاعتذار أقبح من الذنب . وأغرب استدلال بحادثة كعب بن مالك رضي الله عنه على قبول توبة الخواجه نظام الدين من غير ذنب أصلاً ، مع ما فيه من مفارقات ومنافرات . والمهم الاستدلال بالحديث على تقرير هذا الخطأ المنكور ، وإن كان أجنبياً عن موضوع البحث !

وزد على ذلك أن الأستاذ الندوي ذكر هذا الحادث تحت عنوان «تربية كسر الهمة» ليرتقى الطالب الرشيد باطنياً .

ماهكذا تكون «التربية» ولا «كسر الهمة» ـ وخاصة في باب العلم ـ ، وإلا يسد باب المذاكرة والمدارسة ، ويفتح باب الجهل والضلال على مصراعيه ، وتفقد الأمة مقومات الثقافة .

وإذا كان هذا النوع من التربية الصوفية هو المطلوب ، فلماذا الدندنة «نحو التربية الإسلامية الحرة»؟ !

وما الحاجة حتى يبحث في «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هو كل شيء ههنا ، وسيّره إلى «دلهي» . وقال : «اذهب وخذ بلاد الهند» ، نظرة منك تكفيني»[1] .

* المحبة والذوق :

قال الأستاذ الندوي :

«النقطة المركزية لسيرة الشيخ نظام الدين وحياته ، التي هي محور أخلاقه وأحواله وأعماله ، هي النعمة غير المترقية للعشق الإلهي[2] ، التي بانت عليه منذ بداية أمره ، وشرارة المحبة هذه التي أودعت في طبعه صارت شعلة محرقة للنفس بصحبة الشيخ الكبير ونسبة الطريقة الجشتية[3] .

وكان من نتيجة هذه المحبة أنه لم يبق في قلبه مكان لخيال غير المحبوب ، وكان الالتفات إلى أى جهة أخرى ثقلاً عليه .

روى الأمير الحسن بن العلاء السنجري[4] أن الشيخ قال مرة : إن اتفق لي أن أطالع تلك الكتب التي درستها يتوحش الطبع ، وأقول في قلبي ، أين وقعت؟[5] .

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٦٦ ـ ٦٧) نقلاً عن «سير الأولياء» (ص١٧٣) .
(تنبيه) : هذا الكلام يؤكد على أن الخواجه نظام الدين حصل على العطايا من جهتين :
ـ من الله تعالى : حيث منحه «الدين والدنيا» ـ على قول الخواجة فريد الدين .
ـ ومن الخواجه فريد الدين نفسه ، حيث أعطاه «بلاد الهند» .
وقد رجح الأستاذ الندوي «عطايا الشيخ» على عطية الله عز وجل ، بحيث ذكر هذا الحادث تحت عنوان «عطايا الشيخ» ، فنسأل الله السلامة !

(٢) هذا «العشق الإلهي» هو الذي كان يثيره للسماع بالدف ، كما تقدم ، وتقدم أيضاً أنه لا يجوز استعمال كلمة «العشق» في حق الله سبحانه وتعالى .

(٣) تقدم أن الخواجه نظام الدين كان يشتغل بالذكر والفكر في «الأربعينات» على الطريقة الجشتية .

(٤) هو : الحسن السنجري (ـ٧٣٧هـ) من مسترشدي الخواجه نظام الدين ، والذي جمع ملفوظاته في مجلد أسماه بـ «فوائد الفؤاد» ، (نزهة الخواطر : ٢/ ٢٤) .

(٥) قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : «اعلم أنه أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم ، لأن العلم نور : فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء ، وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم بين على ذلك قصة الشيخ أبي سعيد أبي الخير أنه لما وصل إلى كمال حاله وضع تلك الكتب التي درسها في زاوية ، ثم رجع إليها يوماً يطالعها ، فهتف هاتف : يا أبا سعيد : ردّ إليّ عهدي أنت الآن انشغلت عنه بشيء آخر .[1]

لما وصل الشيخ نظام الدين إلى هذا المكان بكى وأنشد . . .»[2] .

* السماع :

ذكر الأستاذ الندوي «السماع» الذي أباحه الخواجه نظام الدين (مع الدفّ) ، ومجلس المناظرة الذي عقد لمناقشته ، بشيء من التفصيل ، ثم رجع إليه ، وقال :

«كان السماع إحدى الوسائل لتسكين حرارة المحبة وحرقتها ، يعني سماع أشعار العشق الإلهي[3] ، وأبيات المعرفة ، الذي به يجد القلب فرصة لتقليل شرارته ،

=(أحدها) : أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً . . .

(والثاني) : أنه أقنع قوماً منهم باليسير منه ، ففاتهم الفضل الكثير في كثرته . . . وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رئاسة ودنيا ، وإن للنفس في ذلك لذة . . . .

(والثالث) : أنه أوهم قوما منهم أن المقصود العمل ، وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال .

(والرابع) : أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن ، حتى إن أحدهم يتخايل له وسوسة ، فيقول : حدثني قلبي عن ربي .

وكان الشبلي يقول :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسمّوا هواجس النفوس العلم الباطن» (تلبيس إبليس : ٣٦١) .

(١) «من أكبر المعاندة لله ـ عز وجل ـ الصد عن سبيل الله ، وأوضح سبيل الله تعالى : العلم ، لأنه دليل على الله ، وبيان لأحكام الله وشرعه ، وإيضاح لما يحبه ويكرهه ، فالمنع منه معاداة للّه ولشرعه ، ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا» (تلبيس إبليس : ص ٣٧٠) .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١١٣ ـ ١١٤) .

(٣) «من سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر ، وحسن الصوت فمفتون . . . يعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه ، ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم . . . فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة ، والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام» (تلبيس إبليس : ٢٧٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وإخماد حرارته بقطرات من الدموع ، وكذلك يتغذى به الجسم المتعب بالمجاهدات ، وينشط به دماغ «النفي المضروب» . . . .»[١] .

ثم ذكر بعض أبيات الرومي[٢] («صاحب السماع الكبير» على حد قول الأستاذ الندوي) التي تشيد بالسماع وتبين حكمته .

ثم قال : وقد بين الشيخ نظام الدين نفسه حكمة «السماع» بقوله :

«السماع حق المريدين والمعتقدين وأصحاب الرياضة ، كلما ينهك الجسم والنفس يحق لهما ذلك «إن لنفسك عليك حقاً» [٣] ، لمآ تتمتع النفس بالسماع لمدة ، يشغلونها بشغلها مرة ثانية» .

وبين الأستاذ الندوي حكمة أخرى للسماع فقال :

«وهناك حكمة أخرى للسماع ـ غير هذه ـ عند هؤلاء الأفاضل وهي : أنها تنشئ كيفية الحضور ، ولذة التوجع ، والذوق والوجد ، وهذه اللحظات تجعل بقية الأوقات أيضاً بفضلها طاهرة ونورانية . . .»[٤] .

(١) لعله يريد به أن الدماغ لما يتعب بتكرار النفي (لا إله) يستريح بعد ذلك بالسماع . والله أعلم .

(٢) تقدمت في ترجمة الرومي نماذج من أشعاره العشقية ، وكذلك «تغزّل في فراق شيخه «شمس تبريز» تغزّلا يوجع القلب» على حد قول الأستاذ الندوي (تأريخ الدعوة : ١/ ٣٥٠) .

(٣) جزء من حديث متفق عليه .

(٤) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) .

(تنبيه) : لم يكن علماء عصر الخواجه نظام الدين موافقين على مخالفاته في باب السماع وغيره من البدع ، بل باحثوه بأمر من السلطان غياث الدين تغلق (ـ٧٢٥هـ) ، ونصحوه وزجروه ، ووبخوه ، وبدّعوه ، وشددوا النكير عليه ، وشنعوا عليه استماع الغناء . ومن هؤلاء العلماء والقضاة : جلال الدين الولوالجي ، وحسام الدين شيخ زادة ، وكمال الدين وغيرهم .

وبما أن هؤلاء القضاة لم يكونوا على علم بالأحاديث في هذاالموضوع ، فكانوا يسردون أقوال الفقهاء ، وقالوا : «الغناء حرام والرقص فسق» عند الإمام أبي حنيفة .

واستدل الخواجه نظام الدين على جواز السماع بأحاديث ضعيفة وموضوعة .

فقالوا : الرواية الفقهية مقدمة عليها ، وقال بعضهم : إن ذلك الحديث متمسك للشافعي وهو عدو مذهبنا فلا نستمعه ولا نعتقده . . . =

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الأستاذ الندوي معلقاً على «السماع» :

«كُتبت في مسألة السماع» (من غير المزامير) كتابات موافقة لها ومخالفة ، الوسط فيها ـ في نظري ـ أنه ليس بحرام مطلقاً ، ولا هو عبادة ولا طاعة ، ولا أمر مقصود ، بل هو تدبير وعلاج إذا كان بالاعتدال وبالشروط الخاصة ، وهو مباح لأهل الضرورة والأهلية على قدر الحاجة ، ومفيد لهم في بعض الأحيان . ونرى قول الشيخ الجشتي المعروف بالقاضي حميد الدين الناكوري جامعاً ومعتدلاً[1] بهذا الصدد حيث قال :

«أنا حميد الدين أحب السماع وأبيحه على رواية العلماء لأني مصاب بوجع

=وقال الخواجه نظام الدين : «إني عجبت من أمر الفقهاء كيف أنكروا الأحاديث» . .

هكذا كانت المناظرة في أدلتها من الفريقين ، واستغلها الأستاذ الندوي لإثبات رسوخ الخواجه نظام الدين في الحديث والفقه ، كما سيأتي إن شاء الله .

هذا ، وأما الشيخ عمر بن محمد السنامي (صاحب «نصاب الاحتساب») ـ وكان شديد النكير على أهل البدع والأهواء ـ فكان ينقم على الخواجه نظام الدين سماعه الغناء ، وهو لا يجيبه إلا بالمعذرة .

ولما أراد الخواجه نظام الدين زيارةالسنامي في مرض موته ، واستأذن منه الدخول ، فقال : إنه لا يحبّ أن يرى المبتدع في آخر عهده من الدنيا ، فأجابه الخواجه نظام الدين : أن المبتدع جاء تائباً من البدعة ، فأمر السنامي أن تفرش عمامته ليضع الشيخ قدمه عليها .»

ولمامات السنامي بكى عليه الخواجه نظام الدين ، وقال : «مات من كان متفرّداً في حمايةالشرع والذب عنه» (نزهةالخواطر : ٢/ ٩٣ـ ٩٥) .

هكذا ذكره السيد عبدالحي (والد الندوي) ، ولكن الأستاذ الندوي حاول في الهامش أن يشكك في هذه الرواية ، على رأي أحد من المعاصرين . والله أعلم .

(١) كان القاضي حميد الدين محمد بن عطاء الناكوري (ـ٦٤٣هـ) من تلاميذ الشهاب السهروردي ، وقطب الدين بختيار الكعكي (ـ٦٣٣هـ) الذي مات في حالة التواجد بعد سماع الغناء . وقال السيد عبد الحي : «وكان ممن يستمع الغناء وأفرط في ذلك ، فاحتسب عليه العلماء وأنكروا عليه ذلك ، وشددوا عليه النكير ، وأفتوا بضلالته ، وحرضوا سلطان العهد على إجلائه من الهند ، فضاق عليه الأمر ، ثم لما ولي القاضي منهاج الدين عثمان بن محمد الجوزجاني القضاء ـ وكان ممن يستمع الغناء ـ ركد غبار الفتنة . كما في «سير الأولياء» (نزهةالخواطر : ١/ ١٦٧) .

هذا هو القاضي حميد الدين الذي أفرط في السماع ، والعجب من الأستاذ الندوي أنه يميل إلى رأيه في السماع ، ويصفه بالاعتدال ، والجامعية ، لعل هذا لأجل كونه شيخاً جشتياً معروفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

القلب ، والسماع دواء له ، وقد أجاز الإمام أبو حنيفة التداوي بالخمر إذا لم يكن هناك ما يتداوى به غيرها ، واتفق الأطباء أيضاً على ذلك إذا لا يمكن الصحة بغيرها . وعلى هذا التقدير دواء المرض العضال «السماع» ، ولهذا هو مباح لنا وحرام عليكم»[١] .

* كيفيته عند السماع :

قال الأستاذ الندوي :

« . . . كان من حال الشيخ (نظام الدين) أنه كانت تطرأ عليه رقة شديدة بمجرد سماع أشعار المعرفة والعشق ، من حيث أنه لم يكن يطلع الناس على ذلك . وخدامه يقدمون إليه «مناديل» وهي تبتل بدموعه ، والناس يفهمون برؤيته أنه أخذه البكاء»[٢] .

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١١٥ تعليقاً ، نقلاً عن «سير الأقطاب / نسخة خطية) .

(تنبيه) : هذا هو التحقيق الفريد من نوعه ، الذي استأنس به الأستاذ الندوي !

هل في هذا القول أثارة من العلم حتى يستأنس بها؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن رجل يحب السماع والرقص ، فقال هذه الأبيات :

اعبدالله يا فقيه وصلّ ... والزم الشرع فالسماع حرام

بل حرام عليك ثم حلال ... عند قوم أحوالهم لا تلام

فأجاب : الحمد لله رب العالمين ، هذا الشعر يتضمن منكراً من القول وزوراً ، بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة ، وآخره يفتح باب الزندقة والإلحاد . . .» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١١/ ٦٠٥) .

* وسئل شيخ الإسلام أيضا : «عمن قال إن السماع على الناس حرام وعليّ حلال هل يفسق في ذلك أم لا؟

فأجاب ـ رضي الله عنه ـ : من ادعى أن المحرمات تحريماً عاماً : كالفواحش ، والظلم والملاهي ، حرام على الناس حلال له فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، ومن ادعى في الدفوف والشباب أنهما حرام على بعض الناس دون بعض فهذا مخالف للسنة ، والإجماع ، وأئمة الدين وهو ضال من الضلال ، ومن تم مصرا على مثل ذلك كان فاسقاً . والله أعلم» (مجموع فتاواه : ١١/ ٦٠٣) .

(٢) هذا يدل على أنه كان مخلصاً في سماعه ، ويتقرب به إلى الله . .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«والذين يتقربون بسماع القصائد والتغبير ونحو ذلك هم مخطئون عند عامة الأئمة ، أنه ليس في هؤلاء من يقول : إن الغناء قربة مطلقاً ، ولكن لقوله في صورة مخصوصة لبعض أهل الدين ، الذين =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الالتزام بالشريعة والاهتمام باتباع السنة :

قال الأستاذ الندوي :

«كان الشيخ يهتم باتباع السنة اهتماماً بالغاً . . . وكان يؤكد ذلك على أصحابه وخدامه تأكيداً شديداً . ومن تأكيداته أنه لا تفوتهم حتى المستحبات والآداب ، فضلاً عن السنن . . .»[(١)] .

* * *

معروف أن الخواجه نظام الدين كان يشتغل بالرياضة والمجاهدة والذكر والفكر في «الأربعينات» على الطريقة الجشتية .

ـ وكان يصوم دائماً على وصية شيخه الخواجه فريد الدين .

ـ وكان يستمع الغناء بالدفّ . وباحثه علماء عصره وقضاته في المسألة ، وبدّعوه ، وكان مصراً على رأيه .

بعد كل هذا ، قوله : «إنه كان يهتم باتباع السنة اهتماماً بالغاً» ـ يغلب عليه الجانب الدعائي على غير ما التزام بمنهج معين في التزكية .

ما هكذا يكون «الإحسان»؟ !

وليست هذه من صفات «الربانيين» !

* نظره في الحديث والفقه :

قال الأستاذ الندوي :

=يحركون قلوبهم بهذا السماع إلى الطاعات ، فيحركون به وجد المحبة والترغيب في الطاعات ، ووجد الحزن والخوف والترهيب في المخالفات ، فهذا هو الذي يقول فيه طائفة من الناس : إنه قربة ، مع أن الجمهور على أنهم مخطئون لو جعلوا هذا قربة ، لكونه بدعة ليست واجبة ولا مستحبة ، ولاشتماله على مفاسد راجحة على ما ظنوه من المصالح ، كما في الخمر والميسر ، فإنه وإن كان فيهما منافع للناس ، فإثمهما أكبر من نفعهما . والشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٢٧/ ٢٩ ـ ٢٣٠) .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٢٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«تقدر مكانته العلمية وسعة نظره من تقريراته وتنقيحاته ، التي قام بها في مجلس المناظرة ، الذي عقد في مسألة «السماع» في بلاط السلطان غياث الدين تغلق . . .» .

ثم نقض ما أثبته بقوله :

«الأحاديث التي استدل بها الشيخ نفسه على حل السماع في مجلس المناظرة (إن صح تقريرها) ليست أحاديث الصحاح ، ودرجتها عند المحدثين ليست بقوية . . .»[(١)] .

* * *

واقع مجلس المناظرة لا يدل على مكانته العلمية ، ونظره الواسع في الحديث والفقه ، لما عرفنا من تقريره المختصر عما دار فيه من البحث والمناقشة .

وبالتالي الاستدلال به على مكانته العلمية لا يكفي .

ولكن أين ، علمه الغزير ، ونظره الواسع في الكتاب والسنة والفقه في كتبه ـ إن كانت ـ ، وفي ملفوظاته وأقواله؟ !

بل واقع الخواجه نظام الدين يعاكس العلم والفقه حيث كان يتوحش من مطالعة الكتب والنظر فيها[(٢)] ، لأنه انشغال عن «العهد» ويؤكده الأستاذ الندوي نفسه بقوله :

«أراد عدة من العلماء أن يجيزهم الشيخ (أي نظام الدين) للبحث والمذاكرة أيضاً ، مع الاشتغال بذكر الحق تعالى . فقال لمن توسط لهم : «ماذا أعمل ، أنا في حاجة إلى أن أشغلهم في شغل آخر»[(٣)] .

* قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ نقداً لمثل هذا الكلام :

«من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله ، وأوضح سبيل الله : العلم

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .
(٢) كما تقدم آنفاً من نقل الأستاذ الندوي نفسه ، وسيأتي مزيد دليل على ذلك .
(٣) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٤٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبّه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ، ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا»[١] .

* ثم ما هو ذلك الشغل الآخر ـ عند القوم ـ لعل أبا حامد الغزالي أحسن من يوضح هذا الشغل فإنه قال :

«اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون . بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة ، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ، ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول : الله الله الله ، إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ، ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ» .

*قال الإمام ابن الجوزي معلقاً على كلام الغزالي هذا :

«عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه ، فإنه لا يخفى قبحه . فإنه على الحقيقة طيّ لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . . .»[٢] .

* هذا ، وقد قال سهل بن عبد الله التستري : «احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق»[٣] .

* الكشف والكرامات حجاب الطريق :

قال الأستاذ الندوي :

«قيل : كل ما يظهر من الأولياء هو نتيجة لسكرهم[٤] وسرورهم ، لأنهم هم

---

(١) تلبيس إبليس (ص ٣٧٠) .

(٢) المصدر المذكور (ص ٣٦٤) .

(٣) المصدر المذكور (ص ٣٦٥) .

(٤) السكر :ـ عند القوم ـ هو «غيبة بوارد قوي ، وهو يعطي الطرب والالتذاذ ، وهو أقوى من الغيبة ، وأتم منها» (التعريفات للجرجاني : ص ١٥٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أصحاب السكر . وبالعكس من ذلك أن الأنبياء أصحاب «الصحو»[١] ، وأن الكشوفات والكرامات تحجب الطريق . وتنشأ المحبة بالاستقامة»[٢] .

* * *

هذه العبارة يحيطها الشيء الكثير من الغموض والتناقض على الطريقة الصوفية ، وبيانه فيما يلي :

(أولاً) : المراد بالأولياء هم «الصوفية» .

(ثانياً) : الصوفية هم أهل السكر .

(ثالثاً) : إطلاق المصطلح الصوفي (الصحو) على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، ولا ينبغي أن يستعمل في حقهم .

(رابعاً) : تخصيص الصحو بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، والسكر بالصوفية . فيه نوع من مضاهاتهم مع الأنبياء . وهو خلاف الأدب معهم عليهم السلام .

(خامساً) : الزهد في الكشوفات والكرامات يخالف روح التصوف ، لأن الصوفية وصلوا إليها بعد المجاهدة الشديدة والرياضة الشاقة . وإذا كانت هي تحجب الطريق فطريقهم محجوب لوصولهم إليها ، فلماذا هذا الزهد فيها؟

(سادساً) : المحبة الصوفية تنشأ بالاستقامة على الطريقة الصوفية .

ومحبة الله ورسوله تنشأ بالاستقامة على الطريقة النبوية . ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [آل عمران : ٣١] .

---

(١) الصحو : هو «رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه» (المصدر المذكور : ١٧٣) . قال السهروردي : «السكر : استيلاء سلطان الحال ، والصحو : العود إلى ترتيب الأفعال ، وتهذيب الأقوال» قال محمد بن خفيف : «السكر» غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب» (عوارف المعارف : ص ٤٧٧) .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٣٢) نقلاً عن «فوائد الفؤاد» ص ٧ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* اعترافات :

قال الأستاذ الندوي في نهاية ترجمة الخواجه نظام الدين :

« . . . وقبل أن أنتهي من كتابة هذه الصفحات الذهبية من تأريخ السلسلة الجشتية أرى لزاماً عليّ أن أظهر هذه الحقيقة المرة أن منيت خصائص هذه السلسلة مع مرور الزمن بالانحطاط والتدلي ، ويدلنا تأريخ التصوف والروحانية أن كل سلسلة تبدأ بالجذب القوي ، فتنتهي بالسلوك ، وأخيراً بالتقاليد .

هذا الذي حصل مع السلسلة الجشتية أيضاً ، التي ابتدأت [١] بالعشق والتوجع ، والمحبة ، والزهد والإيثار ، والفقر والاستغناء ، والرياضات والمجاهدات [٢] والدعوة والتبليغ [٣] ، وانتهت تدريجياً إلى طريق بقيت فيه ثلاثة عناصر واضحة في هذه السلسلة :

---

(١) ابتدأت السلسلة الجشتية ـ مثل أخواتها من السلاسل الصوفية ـ بداية على غير هدى من الكتاب والسنة :

* ابتدأت بالعشق ، تلك الكلمة التي لم ترد في الكتاب ولا في صحيح السنة . ولا ينبغي أن تستعمل في حق الله تعالى . لأنهم يريدون بها «العشق الإلهي» ، يتغزلون في «شيرين» و«ليلى» و«سعدى» و«لبنى» ، ويحلونه على صفات الباري عز وجل . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

* وابتدأت بالاعتقاد الزائد بالمشايخ .

* وابتدأت بسماع الغناء بالدف .

* ابتدأت بالاعتكاف على القبور .

* ابتدأت بالدعوة إلى وحدة الوجود .

هكذا كانت بدايتها . . . فلماذا تلام على نهايتها؟

ابتدأت بكل ما ذكر من الأمور ، ولكن للأسف على أنها لم تبتدىء بما بدأت به دعوة الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ من التوحيد الخالص ، وتصفية العقيدة من الشرك والوثنية ، والكفر والزندقة . ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة : ٥] .

(٢) «الزهد والإيثار ، والفقر والاستغناء ، والرياضات والمجاهدات» ـ هذه الأمور قدر مشترك في صوفية الأمم الأخرى ، والمسلم لا يتميز عن غيره من صوفية الأمم ، إلا بمتابعته الكتاب والسنة .

(٣) وزد : «سماع الغناء» و «الاعتكاف على القبور» ، والاعتقاد الزائد بالمشايخ» ، و«وحدة الوجود» كما تقدم . أما الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة ، فلم تكن من مقاصد التصوف الأساسية ، والذين أسلموا على أيدي المتصوفين تأثروا بمجاهداتهم وخوارقهم لا بالتزامهم بالإسلام ، فأخذوا منهم ، ما كانوا عليه من الخير والشر على السواء ، ولأجل هذا نرى هذه الكثرة الكاثرة من المخالفات في مجتمع أهل الطرق . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١ ـ الغلو في عقيدة وحدة الوجود ، والاشتغال بنشرها ، وذكر محتوياتها الدقيقة(١) .

٢ ـ كثرة محافل السماع ، وشدة الوجد والرقص(٢) .

= لم تكن المخالفات في أمور العقيدة والسلوك ـ عند القوم ـ وليدة اليوم ، بل بذرت بذورها في أول يوم من تأسيس الطرق .

هذا هو محل الخلاف بيننا وبين المؤيدين للتصوف ، فإنهم يرون أن البداية كانت بالعشق . . . : أي بالأمور الفاضلة عندهم ، والواقع التأريخي للتصوف لا يساعدهم في هذاالرأي كما تقدم .

ونحن نرى أن الجشتية ـ مثل أخواتها من السلاسل الصوفية ـ انتهت كما بدأت بفارق يسير بين البداية والنهاية ، ، لما تقدم من أحوال مؤسسيها في الهند ، ومريديهم المعروفين بالاعتكاف على القبور ، والسماع بالدف ، ووحدة الوجود ، وغيرها من الطامات ، وعدهم الأستاذ الندوي من رجال «تأريخ الدعوة والعزيمة» .

ما هكذا يكون رجال الدعوة والعزيمة في الإسلام؟ !

(١) الغلو في وحدة الوجود ليس من صنيع المتأخرين فقط ، بل وجد من مؤسسها الأول ، وقدوتهم فيها : ابن عربي الطائي .

واطو الكشح عنه ، هذا الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي (ـ٦٣٣هـ) [تلميذ معين الدين الجشتي (ـ٦٣٣هـ) مؤسس الطريقة الجشتية في الهند] يستغرق في بحار المعارف (أي وحدة الوجود) .

وهذا الخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري (ـ٦٩٠هـ) ، يراوض نفسه على التجريد (أي وحدة الوجود) .

وهذا الخواجه عبدالقدوس الكنكوهي (ـ٩٤٤هـ) حامل لواء السلسلة الجشتية الصابرية ، معروف بتوغله في وحدة الوجود وكذا أولاده وتلاميذه ، اللهم إلا حفيده الشيخ عبدالنبي بن أحمد بن عبدالقدوس الكنكوهي ، الذي رسخ فيه مذهب المحدثين ، ونصر السنة المحضة وخالف أباه وأعمامه وغيرهم من الصوفية في مسألة السماع والتواجد ووحدة الوجود ، والأعراس (أي الاحتفال بالقبور) ، فطرده أبوه أحمد بن عبدالقدوس» (نزهة الخواطر : ٤/ ١٩٣) .

وهذا الحاج إمداد الله المكي (ـ١٣١٧هـ) شيخ الديوبندية في التصوف ، يرى عقيدة وحدة الوجود ، ويؤكد أن تلاميذه كلهم على هذه العقيدة ، وهو مجدد الجشتية الصابرية في القرن الرابع عشر ، كما ذكره الأستاذ الندوي نفسه .

(٢) سماع الغناء لم يكن مما جدّ من المنكرات في المجتمع الصوفي في العصور الأخيرة ، بل تقدم أن الخواجه قطب الدين الكعكي (تلميذ مؤسس الجشتية في الهند) مات في حالة التواجد بعد سماع الغناء . وكذا تلميذه بدرالدين الغزنوي (ـ٦٥٧هـ) توفى هذه الحالة . وهذا تلميذه الآخر : القاضي حميد الدين الناكوري (ـ٦٤٣هـ) كان يستمع الغناء ، وأفرط في ذلك فأفتى علماء عصره بضلالته ، ونفيه من أرض الهند .

وهذا الخواجه نظام الدين الدهلوي نفسه ، كان يستمع الغناء بالدف ، فناظروه وبدّعوه كما تقدم وقيل : إنه تاب .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ الاهتمام بالاحتفال بالقبور ، وتنفيق سوقها الذي تعدى حدود الشرع[(١)] .

وأهم من هذه الأمور كلها ، أن رجال الله[(٢)] ، الذين كان هدفهم أن يمنعوا عباد الله من الخضوع أمام عتبات غيره . . . بتغير الزمان صارت ذواتهم تطلب[(٣)] ، وقبورهم يقصد إليها ، وصارت عتباتهم تسجد إليها» [(٤)]

* * *

الحمد لله ، بهذا تنتهي ترجمة الخواجه نظام الدين الدهلوي (ـ ٧٢٥هـ) ، وهو أول الاثنين اللذين خص الأستاذ الندوي لترجمتهما «الجزء الثالث» من كتابه «تأريخ الدعوة والعزيمة» بالأردية .

وأما ثاني الاثنين فهو الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري (ـ٧٧٢هـ) . وإليكم نبذة من ترجمته :

---

(١) الاحتفال بالقبور أيضاً ، ليس مما لم يعهده المتقدمون ، بل هذا الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري (ـ٦٣٣هـ) اعتكف على قبر الزنجاني والهجويري في «لاهور» مدة من الزمان ، هكذا اعتكف على قبر الخواجه معين الدين الجشتي (مؤسس الجشتية في الهند) مريدوه ومن بعدهم حتى الآن .
هذا أحمد بن مجد الشيباني (ـ٩٢٧هـ) تلميذ الجشتي اعتكف على قبره نحو اثنين وسبعين عاماً .
وهذا الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ـ١٣٤٦هـ) (صاحب «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» و«المهند على المفند») جلس مراقباً ـ ذات مرة ـ عند قبر الجشتي ـ ومعه الشيخ أشرف على التهانوي ـ وكلاهما من كبار الديوبندية ـ فلم يعرف بما جرى حوله كما تقدم .

(٢) يسمي الصوفية علماء الشريعة : «أهل الظاهر ، وأهل الرسوم ، وعلماء الدنيا» ويصفون أنفسهم بـ «رجال الله ، وأهل الله ، وأهل القلوب ، وعلماء الباطن ، وعلماء الآخرة» .

(٣) «رجال الله» هؤلاء هم الذين فتحو الثغرات للشرك بالله عز وجل باعتكافهم على القبور ، ومراقبتهم عندها ، واعتقادهم بوحدة الوجود ، وإفراطهم في السماع وغيره من المخالفات ، مع البعد عن «الدعوة إلى الله على منهاج النبوة» ، والإعراض عن العلم بالكتاب والسنة ، كما تقدم .
ولو كان «هدفهم منع عباد الله والخضوع أمام عتبات غيره» ، لما اعتكفوا على «عتبات غيره» أبداً ، وهذا الذي جعل كبار مريديهم ـ فضلاً عن صغارهم من سفهاء الأحلام ـ يقعون في المخالفات العقدية والشرعية اتباعاً لمشايخهم . وهكذا صارت ذواتهم مطلوبة ، وقبورهم مقصودة ، وعتباتهم مسجودة .
إذاً ، لماذا يلام الصغار ـ فقط في العصور المتأخرة ، حتى أيام الناس هذه ـ على صنائعهم الشركية ، ولا يدان الكبار عليها ، بل يُعدون أبطال «تأريخ الدعوة والعزيمة» و«رجال الفكر والدعوة في الإسلام»؟ !
ما هكذا يكتب تأريخ الدعوة والعزيمة في الإسلام؟ ! وما هكذا يكون رجاله؟ !

(٤) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٧٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخواجه شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري
(٦٦١ ـ ٧٧٢هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري

(٦٦١ ـ ٧٧٢هـ)

* قيامه في دهلي :

«أدرك في «دهلي» الخواجه نظام الدين[(١)] (ـ٧٢٥هـ) وخلقاً آخرين من المشايخ .[(٢)]

ولقى في «باني بت» شرف الدين أبا علي القلندر[(٣)] (ـ٧٢٤هـ) ، ثم رجع إلى

---

(١) تقدمت ترجمته آنفاً ، وبالتفصيل . وإليه تنسب السلسلة الجشتية النظامية ، التي جددها فخر الدين الدهلوي (ـ ١١٩٩هـ وتقدمت ترجمته) في القرن الثاني عشر ، وكان صاحب وجد وسماع . وكان الناس يسبونه ، والعلماء يفسقونه . وهو على ذلك . (نزهة الخواطر : ٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣) .

(٢) قبل الذهاب إلى «دهلى» لازم الشيخ شرف الدين أبا توأمة الدهلوي الدفين بمدينة «سنار كاؤن» كان من كبار الأساتذة ، وزوجه أبو توأمه بابنته ، فرزق منها ثلاثة أبناء . ثم توفيت صاحبته وبنوه إلا واحداً منهم فجاءبه إلى «مَنْيَر» (أو مَنِيْر) ، في سنة تسعين أو إحدى وتسعين وستمائة . وكان والده قد توفي قبل أن يصل إلى بلدته فلبث بها برهة من الزمان ، ثم ترك ولده عند أمه ، وسافر إلى «دهلى» . (نزهة الخواطر : ١/ ١٢٥ ؛ ٢/ ٧) .

(٣) هو أبو علي شرف الدين القلندر الباني بتي (ـ ٧٢٤هـ ، وله مائة وعشرون سنة) ، اشتغل بالعلم ثلاثين سنة ، ثم انقطع إلى الله تعالى ، حتى صار مغلوب الحالة ، فلم يفق من ذلك إلى أن توفى . . . قال : «أني دخلت «دهلى» حين ناهزت أربعين سنة ، فطفت حول مرقد الشيخ قطب الدين بختيار الأوشي الكعكي (ـ٦٣٣هـ ، وتقدمت ترجمته ، وكان يستمع الغناء ويتواجد وتوفى في هذه الحالة) .
ثم تقدمت للدرس والإفتاء ، واشتغلت بها عشرين سنة . ثم أخذتني الجذبة الربانية فتركت البحث والاشتغال ، وخرجت من «دهلى» ، فسافرت البلاد ، وأدركت الشيخ شمس الدين التبريزي (شيخ الرومي) ، وجلال الدين الرومي [تقدمت ترجمته ـ إنه من تلاميذ ابن عربي ، وهو قدوتهم في وحدة الوجود) . . فلبست الخرقة منهما ، ورجعت إلى الهند ، وألقيت متاع المشيخة في نهر الجون» (نزهة الخواطر : ٢/ ٣ ـ ٤] .
(تنبيه) : لا يخلو كون هذا المتاع ثياباً وكتباً . قال ابن الجوزي : « . . . وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده ، فإن قال : تشغلني عن العبادة . قيل له : جوابك من ثلاثة أوجه :
(أحدهما) : أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم ، أو في العبادات .
(والثاني) : أن التي وقعت لك لا تدوم ، فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت ، بعد الفوات . . . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«دهلي» ، ولبس الخرقة[1] من الشيخ نجيب الدين الفردوسي[2] (ـ٦٩١هـ) . ثم عاد إلى بلاده[3] .

ولما وصل إلى «بهيا» ـ وكانت بادية عظيمة ـ من أعمال «بهار» ، غاب في تلك البادية[4] ، ولم يوجد له عين ولا أثر إلي اثنتى عشرة سنة .

ثم رحل إلى جبل «راجكير» ، وعاش به وبغيره من البوادي مدة مديدة . وكان يشتغل بالرياضة والمجاهدة منقطعاً إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولم يستأنس في تلك المدة بأحد من الناس وكان ذلك ثلاثين سنة تقريباً . . .[5] .

«ولما أراد الله أن ينفع به عباده ألقى في قلوب الناس أن يتحسسوا عنه ، فمال إليه الناس ، واستأنس بهم ، حتى صار يجيء معهم إلى العمران ، ثم يذهب إلى البادية . . .

=(والثالث) : أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها ، والغنى عن هذه الكتب ، فهلاّ وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك ، أو وقفتها على المنتفعين بها ، أو بعتها وتصدقت بثمنها . أما إتلافها فلا يحل بحال . . .» (تلبيس أبليس : ٣٦٨ـ ٣٦٩) .

(١) راجع التفصيل عن تأريخ لبس الخرقة ، وما فيه من كذب وافتراء على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين في «فتاوى شيخ الإسلام» (١١/ ١٠٣ ، ٥١٠ ، ٥٦٣) .

(٢) هو : نجيب الدين بن عماد الدين الدهلوي (ـ ٦٩١هـ) . . . كان صاحب وجد وحالة . . . أخذ عنه شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري . . .» (نزهة الخواطر : ١/ ١٨٠) .

(٣) ستأتي كيفية رجوعه إلى بلاده بأنه تم بإشارة غيبية كما نقله الأستاذ الندوي .

(٤) سيأتي سبب غيابه في البادية من نقل الأستاذ الندوي بأنه سمع صوت طاووس ، فشق جيبه ، وغاب .

(٥) وقع الشيخ شرف الدين المنيري بتصرفه هذا ، في مخالفات كثيرة ، منها :

(الأولى) : ترك الجمع والجماعات بدون عذر شرعي إلى هذه المدة المديدة .

(الثانية) : إلقاء النفس في التهلكة بالعيش في الأودية والجبال . ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥] .

(الثالثة) : عدم التزود ، والله عز وجل أمر الحجاج ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . واتقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة : ١٩٧] . فكيف بغيرهم؟

(الرابعة) : إجبار النفس على أكل العشب والورق وما لا يأكله إلا الحيوان . والله يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة : ١٧٢] .

(الخامسة) : السياحة في الأودية والجبال من غير مقصد شرعي . وهي ليست من الإسلام في شيء ، ولا من فعل الأنبياء ، ولا الصالحين . (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٦٤٣ قول أحمد) . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وبنى له نظام مولى البهاري[1] ، أحد أصحاب الخواجه «نظام الدين» داراً خارج البلدة[2] ، وألح عليه بأن يسكن فيها ، فقبله مستكرهاً . وقال :

«محبتكم أدتنى إلى أن أقمت في «بيت الصنم» . وكان ذلك فيما بين سنة إحدى

=(السادسة) : الإعرض عن الأهل والأولاد .

(السابعة) : ترك التكسب .

(الثامنة) : الوقوع في العزلة البدعية المنهى عنها .

(التاسعة) : حرمان الناس من الاستفادة من العلم والفضل .

(العاشرة) : الاشتغال بالمجاهدة والرياضة على غير هدى من الكتاب والسنة .

قال ابن الجوزي : «كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد ، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين .

وقد لبس أبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ، ويصبح وحده ، ففاتته الجمعة والصلاة ، ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب .» (تلبيس أبليس : ص٣٢٥) .

والذين يتمسكون في مثل هذه الخلوة بما حصل لنبينا ﷺ من تحنثه في غار «حراء» ، قبل مبعثه ، رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بقوله : « . . . فإنما علينا أن نطيع الرسول فيما أمرنا به ، ونقتدي به بعد إرساله إلينا . وأما ما كان قبل ذلك مثل تحنثه بغار حراء وأمثال ذلك : فهذا ليس سنة مسنونة للأمة فلهذا لم يكن أحد الصحابة بعد الإسلام يذهب إلى غار ، ولا يتحرى مثل ذلك ، فإنه لا يشرع لنا بعد الإسلام أن نقصد غيران الجبال ، ولا نتخلى فيها ، بل يسنّ لنا العكوف بالمساجد سنة مسنونة لنا . . .» (مجموعة فتاوي شيخ الإسلام : ٢٧/ ٥٠٠) .

(١) إذا كان هذا ، هو : نظام الدين الدرون حصاري من العلماء المذكرين بمدينة «بهار» .

وكان يذكّر ، فيأخذ تذكيره بمجامع القلوب . قيل : إنه كان يذكر يوماً من الأيام فحضر في مجلسه الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري وإذا هو ينشد (فذكر بيتين في الفارسية ومعناها :

«أيها القوم الذين تذهبون للحج ، أين تذهبون؟ تعالوا ، تعالوا ، المعشوق في هذا المكان .

أولئك الذين هم طلاب الله لا حاجة لهم إلى طلبه ، أنتم أنفسكم أنتم

فتأثر الشيخ شرف الدين ، وضرب رأسه على الأسطوانة ، وكادت روحه تزهق ، كما في «سيرة الشرف» (نزهة الخواطر : ٢/ ١٧١ ـ ١٧٢) ، إذا كان المذكور هذا هو ، فهو ذاك ، وإلا ما عرفته .

أما البيتان ففيهما دعوة صريحة إلى وحدة الوجود . وقد تواجد شرف الدين المنيري بعد سماعهما هذا التواجد الذي كاد أن يلقيه إلى التهلكة . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) ليس من السنة أن يسكن الإنسان خارج البلدة ، بعيداً عن المساجد ، فتفوته الجمع والجماعات ، ثم يعد هذا من الولاية . أهكذا يكون اتباع النبي ﷺ؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وعشرين وأربع عشرين من السبعمائة . كما في «سيرة الشرف» .

«ثم بنى له محمد شاه تغلق(١) خانقاها رفيعاً ، وأمر أن يقيم به ، لم يسعه إلا القبول ، فأقام به(٢) ونشر ما منحه الله تعالى من علوم أسرار الكتاب والسنة ، وكشف

---

(١) هو : أبو مجاهد محمد بن تغلق شاه (ـ ٧٥٢هـ) وصفه السيد عبد الحي بالجور بقوله : «السلطان الجائر المشهور بالعادل» (نزهة الخواطر : ٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧) . وقال فيه الأستاذ الندوي :

«الملك الجبار» . ولا يذكره في كتبه إلا برواية أعدائه من المتصوفة . (المسلمون في الهند : ١٤٢ ـ ١٤٣) .

مع أن ابن بطوطة ذكره في رحلته ما له وما عليه ، وذكره الشوكاني في «البدر الطالع» وأثنى عليه خيراً .

ما هو سبب الجفاء والتغاضي عن هذا الملك العادل؟ !

يذكر أنه كان شديداً على المتصوفة ، وتأثر في إصلاحاته ببعض تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذين وردوا إلى الهند في عصره ، مثل العلامة عبد العزيز الأردبيلي ، والشيخ علم الدين (حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني) ، والشيخ شمس الدين ابن الحريري ـ والعجيب أن الأستاذ الندوي لم يذكر ورودهم إلى الهند ، وأثر دعوتهم في الملك محمد تغلق ، حتى في كتابه «شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية» مع أنه يذكر مثل هذا التواصل التاريخي في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فإنه أخذ عنه السهروردي (صاحب العوارف) وعنه بهاء الدين زكريا الملتاني ، وبه تفرعت الطريقة القادرية في بلاد الهند .

وكذلك في كتابه «المرتضى» يذكر من كان من آل البيت ، وقام بالدعوة والإصلاح في الهند .

وسيأتي التفصيل عن هذه الأمور في باب «التاريخ» . إن شاء الله تعالى .

(٢) رد الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ على هدف بناء الأربطة والخانقاهات ، وما فيه من خطأ وانحراف فقال :

«أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد ، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه :

«أحدها» : إنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد .

«والثاني» : إنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها .

«والثالث» : إنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد .

«والرابع» : إنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة .

«والخامس» : إنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح .

«والسادس» : إنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد ، فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم .

وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة (أي النرد) ومناخاً للبطالة وإعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش ، متشاغلين بالأكل =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عن إشاراتهما الباهرة ولطائفهما الزاهرة بعبارته الجلية المشرق عليها نور الإذن الرباني ، واللائح عليها أثر القبول الرحماني ، وازدحم عليه الخاص والعام حينئذ للاستفادة ، وتلقى كل أحد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد [1] . هذه جملة صالحة من أخباره نفعنا الله ببركاته» .

«وأما مقاماته القدسية في العلوم والمعارف والقرب والوصول ، فلا تسأل عن ذلك ، فإنها كانت وراء طور العقل . وإن شئت الاطلاع فارجع إلى مصنفاته[2] ، فإن فيها ما يشفي العليل ، ويروي الغليل ، يوصل السالك إلى سواء السبيل . . .

وكانت وفاته ليلة السادس من شوال سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ـ وله عشرون ومائة [3] سنة ـ في عهد «فيروز شاه . . . .

=والشرب والغناء والرقص ، يطلبون الدنيا من ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس .
وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ، ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع» (تلبيس إبليس : (٢٠٠ ـ ٢٠١) .

(١) يمثل هذا النوع من المبالغة في المدح الجانب الدعائي في كتب الصوفية . وما المنيري إلا أحد من المتصوفين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، تقدم أنه تتلمذ على أصحاب السماع والوجد والحال من الصوفية ، ومنهم من طاف القبر ، وتتلمذ على الشمس التبريزي ، والجلال الرومي من أهل وحدة الوجود .
تقدم (وسيأتي المزيد إن شاء الله) أنه سمع صوت طاووس فشق قميصة وغاب في الأودية والجبال ثلاثين عاماً .
وأنه سمع بيتين بالفارسية وفيهما دعوة صريحة إلى وحدة الوجود ، فتواجد وضرب رأسه بالأسطوانة ، حتى كادت روحه تزهق .
لا أدري على أي علم من «علوم أسرار الكتاب والسنة» تستند هذه الأمور؟ ! كيف كشف عن إشارتهما الباهرة ، ولطائفهما الزاهرة بعد غيابه ثلاثين عاماً في الأودية والجبال ، ولم يلق أحداً خلال هذه المدة؟ !
أهكذا يكون نور الإذن الرباني ، وأثر القبول الرحماني؟ !

(٢) مصنفاته كلها في التصوف ، منها : مكتوباته في ثلاث مجلدات ، عددها ثلاثمائة وثمانية وعشرون مكتوباً ، ومنها : ملفوظاته المسماة بـ «زاد السفر» .
وما نقله الأستاذ الندوي من كلامه ، ففيه دندنة صوفية معروفة بالعشق الإلهي ، وتصور «الإنسان الكامل» ، وكونه خليفة الله في الأرض ـ وقد تقدم ما في هذه الأمور من مخالفات عقدية ، وما يراد بها عند الصوفية من وحدة الوجود في ترجمة الرومي ، فنسأل الله السلامة !

(٣) قال السيد عبدالحي الحسني (والد الندوي) : « . . . . ولد سنة إحدى وستين وستمائة في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن الأيلتمش الدهلوي (ـ٦٦٤هـ) .
وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة . وعلى هذا يكون عمره : عشر ، أو إحدى عشرة ومائة سنة ، « لا عشرون ومائة سنة» . والله أعلم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تغلق»[1] السلطان وصلى عليه السيد أشرف جهانكير السمنامي [2] بالناس . وقبره مشهور ظاهر ببلدة «بهار» يزار ويتبرك به»[3] .

يحتفلون على قبره سنوياً ، وهو من أكبر مظاهر الشرك بالله تعالى في منطقة «بهار» . فنعوذ بالله الواحد القهار !

* رجوعه من دهلى بإشارة غيبية :

ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ شرف الدين المنيري ، بايع الشيخ نجيب الدين

---

(١) هو : أبو المظفر كمال الدين فيروز شاه بن سالار رجب (٧٠٩ ـ ٧٩٩هـ) . السلطان الصالح . كان من بني أعمام محمد شاه تغلق .» (نزهة الخواطر : ٢/ ١٠٧ ـ ١١٠) .

(٢) هو : أشرف بن إبراهيم الحسنى والحسيني السمناني (ـ٨٠٨هـ) ولد بمدينة «سمنان» . . . قام بالملك في التاسع عشر من سنه مقام والده . . . ثم خلع نفسه وترك السلطنة ، وله ثلاث وعشرون سنة ، فأقام مقامه أخاه ، وظعن إلى الهند . . . ثم ارتحل إلى «بهار» لزيارة الشيخ شرف الدين المنيري ، فوصل إليه حين انتقل الشيخ إلى رحمة الله ، فصلى عليه صلاة الجنازة . . . . وسافر إلى العرب والعراقين ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ بهاء الدين محمد النقشبندي وكان رفيقه في ذلك السفر الشيخ بديع الدين المدار المكنبوري . . . وله كثير من المصنفات .

منها : شرح على عوارف المعارف ، وشرح على فصوص الحكم ، ورسالة في جواز سماع الغناء ، ورسالة في جواز اللعن على يزيد . . . وكانت وفاته سنة ثمان وثمانمائة . وقبره في «كجهوجهه» ، مشهور ظاهر يزار ، كما في «مهرجهان تاب» [للسيد فخر الدين ، جد الندوي] (نزهةالخواطر : ٣/ ٢٤ ـ ٢٦) وعدّه الأستاذ الندوي من المصلحين من آل البيت في الهند (المرتضى : ص٤٠٦) .

أما بديع الدين المدار المكنبوري المعمّر ـ فقال : السمناني : « . . . وجدت عنده علم الكيمياء والريميا ، والسيمياء ، والهيمياء ، وغيرها من العلوم الغريبة ، وشاهدت من غرائب الآثار ما لم يكن في غيره من الأولياء ، وكان له حظ وافر من السكر . . .

أما خرافة «المدارية» فلا تسأل عن ذلك قالوا : إنه عمّر إلى ستمائة أو أربعمائة سنة ، وحملة هذه الطريقة يتركون ستر العورة ، ويرتكبون الملاهي والمناهي . . . أما في عهد المدار كان التحاشي عن مخالفة ظاهر الشريعة ، وإفشاء أسرار الوحدة في الدرجة القصوى . . . كانت وفاته سنة أربع وأربعين ـ وقيل سنة ثمان وثمانين ـ وثمانمائة ، فدفن بمكنبور ، وعلى قبره عمارة عظيمة من أبنية الملوك والسلاطين ـ كما في «مهرجهان تاب» (نزهة الخواطر : ٣/ ٢٧ ـ ٣١) .

(٣) نزهة الخواطر (٢/ ٦ ـ ٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الفردوسي[١] . فأعطاه إجازة تحريرية ، وأمره أن يرجع من «دهلى» إلى بلاده .

فقال له الشيخ شرف الدين : لم تسنح لي فرصة البقاء في خدمتك إلا قليلاً . فأقنعه الشيخ نجيب الدين بأن هذا الأمر تم بإشارة غيبية ، وتكون تربيته من طرف النبوة[٢] . . .»[٣] .

* اضطراب العشق :

ذكر الأستاذ الندوي هروبه من معترك الحياة ، وتسكعه في الأودية والجبال بأسلوبه الخاص فقال :

«لما رجع (أي المنيري) من عند الشيخ نجيب الدين ، كأنه أصيب بنوع من الضرب والوجع في قلبه ، وسرت حرارة العشق الإلهي[٤] في لحمه ودمه ، حتى قال :

«وقر في قلبي حزن ووجع بعد ما لقيت الشيخ نجيب الدين الفردوسي ، وبدأ يزداد يوماً فيوماً» .

---

(١) كان الفردوسي صاحب وجد وحال . تقدمت ترجمته آنفاً من نزهة الخواطر (١/ ١٨٠) .

(٢) تقدمت بشيء من التفصيل ترجمة شرف الدين المنيري . وتقدم أيضاً ما يترتب على غيابه في الأودية والجبال ثلاثين عاماً من مخالفات صريحة للكتاب والسنة .

مع هذا كله ، قول الفردوسي بأن رجوعه إلى بلاده تم بإشارة غيبية لا يخلو من أحد أمرين . وكلاهما أشنع من الآخر :

ـ إما أنه خانه كشفه ، فحصل خلافه .

ـ وإما أنه أراد بقوله أنه يغيب هذه الغيبة الطويلة ، التي خالف فيها جملة من أوامر الله أوامر رسوله ، فكيف ادعى أن تربيته تكون من طرف النبوة؟ ثم كيف السبيل إلى التربية من طرف النبوة؟ ! وما المراد من طرف النبوة؟ !

والعجيب أن هؤلاء القوم ينسبون الأمور المهمة في نظرهم إلى النبوة ، فالخواجه معين الدين الجشتي اعتكف على قبر الهجويري في «لاهور» بإشارة من النبوة .

والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (ـ ١٤٠٢هـ) صاحب «تبليغي نصاب [من كبار جماعة التبليغ] كان يعمل بإشارة «النبوة» كما سيأتي .

والأعجب من هذا كله أن الأستاذ الندوي ذكر قول الفردوسي في المنيري بأسلوب الاستحسان والرضا ، فإلى الله المشتكى !

(٣) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٩٧) نقلاً عن «مناقب الأصفياء» (ص١٣٣) .

(٤) تقدم ما في نسبة «العشق» إلى الله عز وجل ، من شناعة وسوء أدب .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولما وصل إلى «بهيا» ، سمع صوت «طاووس»[(١)] ، فنشأ في قلبه «وجع» ، ففقد قوة الصبر والتحمل ، وشق جيبه[(٢)] ، وتطرق إلى الغابة ، واختفى فيها[(٣)] . وقد بحث عنه إخوته وزملاء سفره كثيراً ، ولكنهم لم يجدوه ، فرجعوا بإجازة الشيخ نجيب الدين وتبركاته[(٤)] ، وقدموها إلى والدته[(٥)]»[(٦)] .

---

(١) عجيب من أمر هؤلاء القوم الذين تنشأ فيهم أنواع من الوجد والحال بعد سماع أصوات الطيور ، والحيوانات والحشرات وغيرها .

* هذا الشيخ شرف الدين المنيري تواجد بسماع صوت طاووس فغاب في الأودية والجبال ثلاثين عاماً .

* وهذا أبو الحسين النوري ، شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال : طعنة وسم الموت ! وسمع نباح كلب ، فقال : لبيك وسعديك . (اللمع : ص ٤٩٢ ، وعنه في الكشف : ص ٥٣٩) .

* وهذا أحد النقشبنديين يقول : « . . وصلت مرة إلى كلب ، فحصل لي من لقائه أعظم «حال» فوقفت بين يديه ، واستولى عليّ بكاء شديد فاستلقى في الحال على ظهره ، ورفع قوائمه الأربع نحو السماء ، فسمعت له صوتاً حزيناً ، وتأوهاً وحنيناً ، فرفعت يديّ تواضعاً وانكساراً ، وجعلت أقول : «آمين» حتى سكت وانقلب .»

*قال هذا النقشبندي نفسه : «وخرجت يوماً من تلك الأيام ، إلى بعض الجهات ، فوجدت حرباء ، وقد استغرقت في رؤية جمال الشمس ، فاعتراني في مشاهدتها «وجد» وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها ، وهي في هذا المقام فوقفت على أتم هيئة من الأدب والاحترام ، ورفعت يدي فرجعت من استغراقها ، واستلقت على ظهرها ، وتوجهت إلى السماء ، وأنا أقول «آمين» . . .»(المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد أمين الكردي : ص ١٩٩ ط . أولى ١٣٢٩) ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

(٢) شق الجيب ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم قال : ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية» . (متفق عليه من حديث ابن مسعود)

(٣) تقدم ما في هذا الاختفاء في الأودية والجبال من مخالفات صريحة للكتاب والسنة .

(٤) تقدم أن الفردوسي أعطى المنيري إجازة تحريرية عندما أمره برجوعه إلى بلاده ، أما «تبركاته» ـ التي ذكرها الأستاذ الندوي ـ فما عرفت ما هي؟ ! والله أعلم .

(٥) كيف يكون وقع هذا الحادث الأليم على قلب والدته المسكينة التي لا يقل عمرها حينئذ على أقل تقدير ـ عن ستين سنة؟ وبعد غياب ثلاثين سنة أخرى تكون ابنة تسعين سنة تقريباً ، إن كانت من الأحياء .

معلوم أن الشيخ شرف الدين المنيري حينما سافر إلى «دهلي» ، ترك ابنه عند والدته ، والظاهر أنه سافر إلى «دهلي» بإذنها ، وقد توفي أبوه قبل سفره إلى «دهلي» . أما هذه الغيبة الطويلة في الأودية والجبال ، التي لم يره أحد من الناس خلالها ، فلو كان جهاداً في سبيل الله لما جاز له أن يخرج إليه إلا بإذنها ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «ففيهما فجاهد» . فكيف بغيبته عنها وعن ولده المتروك عندها ، لسماع صوت طاووس ، إلى هذه المدة المديدة ، التي فيها مخالفات صريحة للكتاب والسنة؟ ! ولكن «الكشف» ـ وللأسف ـ يتعدى حدود الكتاب والسنة ، و«الوجد» لا يعرف حرمتهما .

(٦) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١٩٧) ، نقلاً عن «مناقب الأصفياء» (ص ١٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* في غابة «راجكير» :

ذكر الأستاذ الندوي مهمات أشغال المنيري في الأودية والغابات ، فقال :

«وينقل أنه كان في غابة «بهيا» اثنى عشر عاماً ، ولم يعلم به أحد ورئى في غابة «راجكير» أيضاً ، ولكن لم يلقه أحد(١) كان هذا الجبل وتلك الغابة زاوية معزولة للمرتاضين من كل فرقة وملة ، جلس «بوذا»(٢) ، أيضاً ههنا ، وقضى عدة سنوات في التفكير .

ولما اشتغل مخدوم الملك(٣) (شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري) بالمجاهدة والرياضة في هذا المكان كان فيه النساك الهندوس(٤) أيضاً في خلواتهم هنا وهناك . نقلت في الكتب بعض محادثاته ومكالماته معهم ، توجد حجرته عند شلال ساخن في سفح الجبل حتى الآن ، ويعرف «شلال» باسم «مخدوم كند» أيضاً .

---

(١) كانت مدّة غيابه بين «بهيا» و«راجكير» ثلاثين عاماً كما تقدم من «نزهةالخواطر» (٢/٧) .

(٢) هو : سدهارتها غوتم الملقب بـ«بوذا» (٥٦٠ ـ ٤٨٠ق م) ، وإليه تنتسب الديانة البوذية ـ وهي ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية» [أي الهندوسية] ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، توجد فيها العناية بالإنسان ، ودعوة إلى التصوف والخشونة ، ونبذ الترف والمناداة بالمحبة ، ولكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ، وقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهوه (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ١٠٧ ـ ١١١) .

(٣) لقّبه الأستاذ الندوي هنا بمخدوم الملك ، لعل ذلك لأن بعض الملوك خدمه ببناء الرباط والخانقاه له ، وغيره . والله أعلم .

(٤) تقدم أن الرياضة أو المجاهدة لا يتميز بها المسلم عن غيره ، بل هي فكرة الإشراقيين الذين رأوا أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي .

وما ذكره الأستاذ الندوي من وجود المسلمين والنساك الهندوس في تلك الغابات ، وتبادل الآراء والأفكار بينهم يدل على ما ذكرت .

وهذا هو السبب للتشابه الكبير بين الهندوسية والتصوف في الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، والفناء ، والطاعة العمياء للشيخ ، والعشق ، والرياضة ، والشطحات وغيرها . (راجع «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة : ١٥ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢) وسيأتي التفصيل في موضع آخر إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقضى مدة اثنى عشر عاماً[1] هذه في الرياضات والمجاهدات، والخلوة، والمراقبة، والتحيّر والتفكير، والكسر، والانشغال عن النفس والذات[2]، وكان يتغذى بأوراق شجر الغابة[3].

وذكر ذات مرة لمريده: القاضي زاهد[4] تلك الرياضات التي كان يزاولها في ذلك الوقت، فقال:

«إن الرياضات التي مارستها، لو مارسها جبل لصار ماء، ولكن شرف الدين لم يصر[5] ....

(١) تقدم أن هذه المدة كانت ثلاثين عاماً، كما ذكره السيد عبدالحي (والد الندوي) في نزهة الخواطر».

(٢) هذه الرياضات والمجاهدات ليست من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يقم بها أصحابه ومن تبعهم بإحسان - رضي الله عنهم ورحمهم - وما لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ديناً وقربة، لا يكون اليوم ديناً، وبالتالي لا يكون ذلك، طريقاً إلى الزهد أيضاً. سئل محمد بن كثير الصنعاني: «أي شيء الزهد؟ قال: التمسك بالسنة والتشبه بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» (تلبيس إبليس: ص ٣٤١).

(٣) قال ابن الجوزي - رحمه الله - «.... وأي فضيلة في هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس؟ وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش؟ ومن فعل هذا من السلف؟

وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه، هل يرزقهم في البادية» (تلبيس إبليس: ص ٣٤٠)

وقال أيضاً: «قد لبس على خلق كثير منهم، فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد، وقد بيّنا فساد هذا فيما تقدم، إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به، فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك، وبأفعال أولئك، ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال، وخفيت على العوام طرق الصواب» (المصدر المذكور: ص ٣٣٨؛ .

(٤) هو: زاهد بن محمد بن نظام البهاري، المعروف بالقاضي زاهد، أحد رجال الطريقة، أخذ عن الشيخ شرف الدين المنيري ولازمه، وسأله عن بعض المسائل في الحقائق، فأجابه في مختصر مضبوط، وسماه «الأجوبة» كما في «سيرة الشرف» (نزهة الخواطر: ٢/ ٤٣ - ٤٤).

(٥) تقدم أنه «أشرق عليه نور الإذن الرباني، ولاح عليه أثر القبول الرحماني» على حد قول السيد عبدالحي الحسني، ثم ماذا يريد أن يصير بعد هذه الرياضات الشاقة الطويلةالتي ليس عليها دليل من الكتاب والسنة؟

يريد هؤلاء القوم بهذه الرياضات المخالفة للسنة «السير إلى الله»، و«الوصول إلى الجذبة» و«الفناء في الله» و«البقاء بالله»، والاستغراق في بحار «المعارف والحقائق» - إلى آخر ما عندهم من امتيازات =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شيئاً»(١) .

أين الدليل من الكتاب والسنة على هذه الرياضات ، حتى يعتبر صاحبها متبعاً ، لا مبتدعاً؟ !

* اتباع السنة :

بعد كل هذا ، قال الأستاذ الندوي تحت العنوان المذكور :

«كلما يترقى سالكو هذا الطريق في كراماتهم ومقاماتهم ، تزداد لديهم أهمية الاتباع الكامل للنبي ﷺ ، وحبهم له ، ويصير عندهم بدهيا أن الوصول إلي (الحق)(٢) ، والقبول عند (الله) لا يمكن من غير الفناء في اتباعه الكامل ، وسنته

=واصطلاحات ، ورموز وإشارات في التوغل في «وحدة الوجود» ، و«الحلول» و«الاتحاد» .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مثل هذه الرياضات : « . . . . كثير من العباد يرى نفس المشقة والألم والتعب مطلوباً مقرباً إلى الله ، لما فيه من نفرة النفس عن اللذات ، والركون إلى الدنيا ، وانقطاع القلب عن علاقة الجسد ، وهذا من جنس زهد الصابئة والهند وغيرهم .
ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من أنواع العبادات والزهادات ، مع أنه لا فائدة فيها ، ولا ثمرة لها ، ولا منفعة ، إلا أن يكون شيئاً يسيراً لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه .
ونظير هذا الأصل الفاسد مدح بعض الجهال بأن يقول : فلان ما نكح ولا ذبح ، وهذا مدح الرهبان الذين لا ينكحون ولا يذبحون .
وأما الحنفاء فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لكني أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني» [متفق عليه]» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ١٠/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣) .

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ / ١٩٧ ـ ١٩٨ ، نقلاً عن «سير الشرف» : (ص٧٢) .

(٢) أهل التصوف يفرقون بين «الفوز بالجنة» و «الوصول إلى الحق» . إن المسلم ـ عندهم ـ بالطاعة يصل إلى الجنة ، وبأدب الطاعة يصل إلى «الحق» ، مع أن كلا الأمرين يلزم الآخر .
ولكن هذا شبهتهم ، ولأجلها وقعوا في هوة أخرى ، وهي قول أحدهم : «لا نعبد الله طمعاً في جنته ، ولا خوفاً من ناره ، بل نعبده حباً له» وقال قائلهم :

أحـــبك لا أرجـــو بذلك جنة ... ولا أتقي ناراً وأنت مـــرادي

هؤلاء يخالفون بحبهم الصوفي هذا ، الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء : ٥٧] .
وقال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وشريعته . . .»[1] .

* * *

لقد تناول الأستاذ الندوي تراجم أهم الشخصيات الصوفية في شبه القارة الهندية على الإطلاق[2] ، وهي :

* الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري (ـ٦٣٣هـ) .

* والخواجه قطب الدين بختيار الكعكي الأوشي (ـ٦٣٣هـ) .

* والخواجه فريد الدين مسعود الأجودهني (ـ٦٦٤هـ) .

* والخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري (ـ٦٩٠هـ) .

* والخواجه نظام الدين البدايوني الدهلوي (ـ٧٢٥هـ) .

* والخواجه شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري (ـ٧٧٢هـ) .

هؤلاء هم رجال «تأريخ الدعوة والعزيمة» في بلاد الهند ، عند الأستاذ الندوي ، وقد اطلعنا على تراجمهم ، فرأيناهم ـ بلا ريب ـ :

على الكمال والتمام من الجانب الصوفي ، وما يتعلق به من كشوف وخوارق ،

=[السجدة : ٦] . وكذلك يكفي للرد على قولتهم المنكورة ما ورد في الأحاديث الصحيحة والأدعية المأثورة من طلب النبي ﷺ الجنة ، والتعوذ بالله من النار .

وما رواه مسلم . عن النبي ﷺ في فضل مجالس الذكر ، هو الفصل في هذا الباب ، وفيه :

« . . . ماذا يسألوني؟ قالوا يسألونك جنتك . . . قال : ومما يستجيروني . قالوا : من نارك يا رب . . . فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاوروا . فيقولون : يا رب فيهم فلان عبد خطّاء ، إنما مر فجلس معهم . قال : فيقول : وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (الترمذي رقم ٣٦٠٠) وهو صحيح .

فالحمد لله : القوم الذين لا يشقى جليسهم ، هم الذين يسألون الله الجنة ، ويستجيرونه من النار ، لا هؤلاء القوم الذين يستغنون بالحب عن الجنة والنار ، وبشبهتهم الباطلة . فنسأل الله السلامة !

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٢٢) .

(٢) وقد ورد ـ ضمنا ـ ذكر بعض شيوخهم وتلامذتهم أيضاً ، الذين كانوا على الطريقة نفسها في التصوف ، ووجد فيهم ما وجد في هؤلاء من المخالفات في العقيدة والعمل والسلوك .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ورياضات ومجاهدات، ومراقبات ومكاشفات، واعتكافات على القبور، وسياحة في الأودية والجبال، وانعزال في الخلوات، وترك للجمع والجماعات، واستغراق في بحار الوحدة، وإفراط في السماع، وغلبة وجذبة، وسكر وتواجد، حتى الموت في هذه الحالة(١).

ورأيناهم قد حكم العلماء والقضاة على بعضهم بالضلال، والفسق، والبدعة، والنفي من البلاد(٢).

وجدنا في تاريخ حياتهم كل هذا، إلا ما اتهمهم به الأستاذ الندوي من عقيدة صحيحة، ودعوة خالصة إلى الله، وطاعة كاملة للرسول، وعزيمة صادقة على التمسك بالكتاب والسنة، واتباع كامل للسنة، وفناء تامّ في الشريعة.

أين تلك الرياضات الشاقة على الطريقة الجشتية، والتوغل في عقيدة وحدة الوجود، والاعتكاف على القبور، والإفراط في السماع - من هذه الصفات الجليلة، والأخلاق النبيلة؟!(٣).

* * *

تنبيهات :

هناك تنبيهات تتعلق بهذا المبحث، لابد من ذكرها، منها :

(أولاً) : لا ننكر ما قام به هؤلاء الصوفية من مجاهدة مضنية، ورياضة شاقة، وما صدر منهم من كشوف عجيبة، ووقائع غريبة، وما اختاروا لأنفسهم من فقر مدقع، وزهد كامل في الدنيا.

لا ننكر وقوع هذه الأمور منهم : ولكن خلافنا معهم يدور حول أساس

---

(١) تقدمت نماذج لهذه الأعمال الصوفية نقلاً عن الأستاذ الندوي، ووالده السيد عبد الحي الحسني.

(٢) كما تقدم في ترجمة القاضي حميد الدين الناكوري، والخواجه نظام الدين، وفخر الدين الدهلوي.

(٣) سيأتي التفصيل عن مفهوم «اتباع السنة» عند الأستاذ الندوي، في موضعه إن شاء الله.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإسلام ، ومصدر التلقي ، وهو ينحصر في نقطتين :

١ ـ العقيدة : هم لم يبدأوا بما بدأ به الأنبياء والرسل دعوتهم ، من ترسيخ التوحيد الخالص في القلوب ، وتصفية العقيدة من جميع مظاهر الشرك بالله ، وخاصة في بلد ـ مثل الهند ـ ، هو أحوج بلاد الله إلي الدعوة على منهاج النبوة .

٢ ـ مصدر التلقي : إنهم بالغوا في القيام بالرياضات والمجاهدات ، وما يتعلق بها من أمور التصوف ، ولم يعتصموا فيها بالكتاب والسنة ، ولم يهتدوا بهديهما . وهما مصدر التلقي المعصوم عند أهل الإسلام .

ولأجل الخلل في هذين الأمرين نرى المخالفات منتشرة في جميع أبواب التصوف . فمجرد الإخلاص في العمل لا يكفي كونه مقبولاً عند الله ، من غير الأخذ من مصدر التلقي المعصوم كتاباً وسنة .

«ابتلوا العقائد قبل ابتلاء الأخلاق ! فما الخلق إلا نتيجة ، والصوفية نفسها تقرر أنه دين وعقيدة ، قبل أن تكون دعوة خلقية ، فلتحاسب على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية . وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض :

«إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل .

وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً ، لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً .

والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ . . . . فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] (١) .

(ثانيا) : هل تسلم إلى هؤلاء الصوفية أحوالهم أم لا؟

---

(١) تفسير ابن القيم (ص٧٤) ، وعنه في «هذه هي الصوفية» (١٦٤ ـ ١٦٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

رأينا أنهم يقعون في بعض الاعتقادات المخالفة ، والأعمال المناهضة للكتاب والسنة ، ويزاولونها على الرحب والسعة والاستحسان والرضا ، كعقيدة وحدة الوجود ، والاعتكاف على القبور ، والرياضة على غير هدي الإسلام وغيرها من الأمور .

فلو سلمت إليهم أحوالهم في هذه المخالفات ، لما بقي معنىً لكون الأمة الإسلامية خير أمة ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** . . .﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وأما ما صدر منهم من الشطحات والمنكرات في حالة الوجد والسكر من غير تكلف ، وهم مغلوبو الحال ، ثم أدركوا ما وقعوا فيه من المخالفات بعد زوال الحال ، أو لم يدركوا ما أخطأوا فيه من الأمور ، وإن تسلم إليهم أحوالهم فيها ، على أنهم أمناء الله على أنفسهم ، ولكن يجب بيان خطأهم حتى يجتهدوا في البعد عنه وعن أسبابه ، وليعلم الآخرون أيضاً حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من المخالفات . والله أعلم .

(ثالثاً) : تزداد ضرورة الرد على أقوال هؤلاء وأحوالهم وشطحاتهم ، حينما نرى الكتاب المنتسبين إلي طرقهم يزكونهم تزكية عامة بسلامتهم في العقيدة ، واتباعهم للسنة ، وغيرتهم على الدين ، ودعوتهم إلى الله(١) ، ويعدّونهم من عظماء التاريخ الإسلامي برقة عواطفهم ، ودقة معارفهم(٢) هذا من جهة .

ومن جهة أخرى يتهالك فيهم المنحرفون من أهل طرقهم باحتفالهم بقبورهم ، واعتقادهم بوحدة الوجود ، واشتغالهم بالسماع والوجد والرقص(٣) . وهم الكثرة الكاثرة ، بل الأغلبية الساحقة من المسلمين في شبه القارة الهندية .

---

(١) «المسلمون في الهند» (ص١٣٣) .

(٢) «النبوة والأنبياء في ضوء القرآن» للندوي (ص١٤٨) .

(٣) كما ذكر الأستاذ الندوي نفسه في آخر ترجمة الخواجه نظام الدين الدهلوي . وقد تقدم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عذري في الرد على هؤلاء عذر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الرد على أمثال هؤلاء حيث قال :

«ولولا أن أصحاب هذالقول كثروا وظهروا وانتشروا ، وهم عند كثير من الناس سادات الأنام ، ومشايخ الإسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق . وأفضل أهل الطريق ؛ حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين ، وأكابر مشايخ الدين : لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال ، وإيضاح هذا الضلال .

ولكن يعلم أن الضلال لا حدّ له ، وإن العقول إذا فسدت : لم يبق لضلالها حد معقول ، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان ؛ فجعل منه من هو أفضل العالمين ، وجعل منه من هو شر من الشياطين ، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء والأولياء ، كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولي الألباب ، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين ، الذين يفسدون الدنيا والدين .

والمقصود هنا : رد هذه الأقوال ، وبيان الهدى من الضلال .

وأما توبة من قالها وموته على الإسلام : فهذا يرجع إلي الملك العلام ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ومن الممكنات أنه قد تاب على أصحاب هذه المقالات ، والله تعالى غافر الذنب ، قابل التوب ، شديد العقاب ، والذنب وإن عظم ، والكفر وإن غلظ وجسم ، فإن التوبة تمحو ذلك كله ، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب ، بل يغفر الشرك وغيره للتائبين ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر] وهذه الآية عامة مطلقة لأنها للتائبين .

وأما قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

فإنها مقيدة خاصة ؛ لأنها في حق غير التائبين ، لا يغفر لهم الشرك ، وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى»[(١)] .

* * *

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي
المعروف بمجدّد الألف الثاني
(٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي

(المعروف بمجدد الألف الثاني)

(٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ)

* ترجمته :

«أخذ أكثر العلوم(١) ، والطريقة الجشتية عن أبيه(٢) . . . . . ولما فرغ من تحصيل ما تيسر له من العلوم الظاهرة ـ وكان إذ ذاك ابن سبع عشرة سنة ـ اشتغل بالتدريس والتصنيف . . . وألبسه أبوه خرقة الخلافة .(٣)

فلما توفي أبوه عام سبعة وألف ، ارتحل إلى «دهلي» يريد الحج ، فقاده قائد توفيق من الله عز وجل إلى الشيخ الأجل رضى الدين عبدالباقي النقشبندي(٤) ـ رضي الله

---

(١) نزهة الخواطر (٥/ ٤٣ ـ ٥٥) .

(٢) هو : عبدالأحد بن زين العابدين العمري السرهندي (ـ١٠٠٧هـ) ، أحد المشايخ الجشتية ، اشتغل بالعلم أياماً ثم سافر إلى «كنكوه» ، وأدرك بها الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي (ـ ٩٤٤هـ) [وكان يستمع الغناء ويفرط فيه ، ويفشي أسرار التوحيد على عامة الناس ، ويستغرق في بحار الجذبات والسكر وكان حامل لواء الطريقة الجشتية الصابرية ، وكان متشدداً في عقيدته بوحدة الوجود ، كما تقدم . وراجع : (نزهة الخواطر : ٤/ ١٧٤)] ، وأراد السرهندي أن يدخل في أصحابه ، فأبى وأمره بتكميل العلوم المتعارفة . . . والشيخ المذكور مات قبل تكميله . . . لازم «ابنه» الشيخ ركن الدين محمد بن عبدالقدوس الكنكوهي (ـ ٧٢ أو ٩٧٣هـ) ، وكان من المشايخ المشهورين في الطريقة الجشتية ، فاستخلفه الشيخ سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، فرجع إلى بلدته وتصدر بها للدرس والإفادة .

وكان يدرس في العلوم كلها من المعقول والمنقول . . . ويكشف القناع عن أسرار «التوحيد» ومعارف الشيخ محيي الدين ابن عربي ، ويقتفي أثره في ذلك . . .» (نزهة الخواطر : ٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨) .

(٣) أي على الطريقة الجشتية .

(٤) هو : عبد الباقي بن عبد السلام البدخشي المشهور بالباقي بالله (ـ ١٠١٤هـ) . . . تشرف في المنام بزيارة الخواجه بهاء الدين نقشبند (مؤسس النقشبندية) ، وظهر فيه ميل إلى طريقة أهل الله . . . حتى حضرت له روح الشيخ عبيد الله الأحرار ، فعلمه الطريقة النقشبندية ، وثم أمره . . . وما انتشرت هذه =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عنه ـ فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ، واشتغل بها وتدرج في أيام معدودات إلى أوج «القطبية»[١] و«الفردية» ، ثم إلى ما شاء الله تعالى ، حتى بشَّره الشيخ بحصول رتبة التكميل والترقي إلى مدارج القرب والنهاية .

ثم أجاز له بإرشاد الطالبين ، وألبسه خرقة الخلافة ، ولم يزل يكرمه ، ويجلّه ، ويفتخر به ، ويثني عليه بما لا يبلغ وصفه .

فرجع إلى «سرهند» وجلس على مسند الإرشاد ، وأخذ في الدرس والإفادة . . . وله مكتوبات في ثلاث مجلدات[٢] ، وهي الحجج القواطع على تبحره في العلوم الشرعية . وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان ، لمن ليس لهم درك في مقامات العرفان .[٣]

=السلسلة المباركة في الهند إلا منه رضي الله عنه . . . فإنه أرشد ثلاث سنين أو أربع وفي تلك المدة القليلة بلغ أصحابه إلى أعلى مدارج الكمال حتى أنهم محوا آثار الطرق السالفة ، وغلبت الطريقة النقشبندية على الطرق الأخرى» (نزهة الخواطر : ٢٠١ ـ ٢٠٤) .

(١) القطبية : درجة القطب . وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسرى في الكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد . . .» (التعريفات للجرجاني : ص٢٢٧) .

(٢) وهي تحتوي على ستة وعشرين وخمسمائة مكتوب .

(٣) إليكم بعض النماذج من مكتوباته : ويوجد فيها كل ما يوجد عند الصوفية من الإلغاز ، وتعقيد العبارة ، ووحدة الوجود ، والفناء في الشيخ وما إلى ذلك . ثمّ قدم فكرة وحدة الشهور بدل «عقيدة وحدة الوجود» . كما سيأتي .

* قال : « . . . والمنع من إظهار حقائق عالم الأمر ، إنما هو بسبب دقة تلك المعاني المكنونة . . .

وليس في بثي الأسرار مصلحة   وإن ظهرن لنا كالشمس في فلك

. . . وبقية الجواهر العليا التي فوق الصفات الحقيقة داخلة في دائرة حضرة الذات تعالت وتقدست ، ولهذا يقال لتجليات هذه المراتب الثلاثة تجليات ذاتية ، ولا مصلحة في التكلم وراء ذلك . «بلغ اليراع إلى هنا فتكسرا» . («المنتخبات من المكتوبات» : ص٧ ، وعنها في الكشف : ص٦٩ ، وقال : «أظن أن القارئ يعرف الآن أن عبارة «بسبب دقة تلك المعاني المكنونة» هي للمغالطة ، وأن السبب الحقيقي هو خوف التكفير» .

* وقال : « . . . وإذا قال هؤلاء الصوفية بنفسهم بأن ذات الحق سبحانه وتعالى لا يحكم عليها بحكم ؛ يكون الحكم عليها بالإحاطة والسريان مخالفاً لهذا القول ، والحق أن ذاته تعالى ليس كمثله شيء ، ولا سبيل لحكم من الأحكام إليها أصلاً ، بل في ذلك الموطن الحيرة الصرفة والجهالة المحضة ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

فكيف يتطرق السريان والإحاطة إليها؟ ويمكن الاعتذار من جانب الصوفية القائلين بهذه الأحكام بأن مرادهم بالذات هو التعين الأول ، فإنهم لما لم يقولوا بزيادة ذلك التعيين على المتعين ، قالوا لذلك التعين عين الذات ، وذلك التعين الأول المعبر عنه بالواحدية سار في جميع الممكنات . . .» (المنتخبات من المكتوبات : ص١٠ ، وعنها في الكشف : ١٩٠ ، وقال : «ـ لتسهيل التحليل ؛ يعني بالإحاطة قولهم : «الله محيط بكل شيء ، أو بالممكنات» ، ويشيرون بها إلى وحدة الوجود ، وبالسريان قوله : «الله سار في كل الممكنات ، أو الأشياء» ، ويعنون بها وحدة الوجود أيضاً . وطبعاً القول بالإحاطة هو حكم ، وكذلك القول بالسريان هو حكم أيضاً ، لذلك لا يقولون بها ، لأن ذات الحق لا يحكم عليها بحكم .

ويعني ، ويعنون بكلمة «المتعين» الجزء من الله (جل الله وعلا) ، الذي تشكل أو تعين بالمخلوقات ، ويقرر المجدد أنهم لم يقولوا بزيادة التعين (أي الخلق) على المتعين ، فهو هو . والمتعين الأول هو محمد ﷺ .

وطبعاً ، هذا أسلوب جديد يقدمه المجدد لتقرير وحدة الوجود بأسلوب موهم ، فيه شيء من التعقيد ، أرجو من القارئ أن يحلله بهدوء ليزداد تمرساً باللغة الصوفية ، وليتأكد أن العقيدة عندهم تلاعب الألفاظ») .

* وقال : « . . . وهذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل المكمل ، ثم بعد الوصول إليه ، ولا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه ، وكونه كالميت بين يدي الغسال لديه ؛ والفناء الأول هو الفناء في الشيخ ، ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في الله . . .» (المنتخبات من المكتوبات : ص ٢١ ، وعنها في الكشف : ٣٢٧) .

* وقال : « . . . ومن علومهم (أي الفلاسفة) علم الهندسة ، وهو لا يغني شيئاً . . . وعلم الطب وعلم النجوم وعلم تهذيب الأخلاق . . . وهؤلاء الأشقياء أخرجوا رقابهم عن ربقة التقليد ، وصاروا في صدد الإثبات بالدلائل ، فضلّوا وأضلّوا . ولما وصلت دعوة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى أفلاطون ، وكان هو أكبر هؤلاء الخذلة ، قال : نحن قوم مهديّون لا حاجة بنا إلى من يهدينا ، ما أسفهه وما أشقاه حيث أدرك شخصاً يحيي الأموات ويبرئ الأكمة والأبرص . . .» (المنتخبات من المكتوبات : ص٧٤ ، وعنها في الكشف : ٤٧٧ ، وقال : «أترك التعليق للقارئ ، ولكني أنبه إلى أن أفلاطون مات قبل ميلاد عيسى بـ (٣٤٧ سنة) ، فأين الكشف؟ مع العلم أن السرهندي يعترف أن الكشف قد يخطئ») .

* وقال : « . . . فما تكون نسبة الآخرين لهؤلاء الأكابر؟ وربما تصدر العبادة عن الآخرين وتكون غير مرضية ، وهؤلاء الأكابر يتركون العبادة في بعض الأحيان ويكون ذلك الترك مرضياً . فكان تركهم أفضل عند الحق جل وعلا من فعل غيرهم ، والعوام حاكمون بخلاف ذلك يعتقدون ذلك عابداً وهذا مكاراً أو معطلاً . . .» (المنتخبات من المكتوبات : ص١٥٢ ، وعنها في الكشف : ٥٩٠ ـ ٥٩١ ، وقال : « أقول : من مثل هذا يتبين لنا دور الكشف في تزوير عقول الأمة ، لأن هذا القطب المجدد عرف هذا الحكم عن الله الذي هو هو ، أثناء إحدى فناءاته ، وهو طبعاً ، يعتقد أن هذا هو حق لا ريب فيه») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فشدوا النطاق في خصامه، وسعوا إلى جهانكير[١] بن أكبر سلطان الهند، فأمر بإحضار الشيخ، ورضي بجوابه، فعرضوا عليه أن الشيخ ما سجد للسلطان تكبراً مع أنه ظل الله وخليفته، بل لم يتواضع تواضعاً جارياً، فغضب عليه السلطان وحبسه في قلعة «كواليار»[٢].

وكان شاهجهان[٣] ولد جهانكير مخلصاً للشيخ، فأرسل إليه «أفضل خان» والمفتي «عبدالرحمن» من رجاله مع بعض كتب الفقه، قبل أن يحضر عند السلطان، وقال: إن سجدة التحية تجوز للسلطان، فإن تسجدوا للسلطان عند اللقاء، فأنا ضامن من أن لا يصل إليكم ضرر منه، فلم يقبل الشيخ، وقال:

«هذه رخصة، والعزيمة أن لا يسجد لغير الله سبحانه».

فلبث في السجن ثلاث سنين، وحفظ القرآن في تلك الحالة، ثم أخرجه السلطان من السجن بشرط أن يقيم في عسكره، ويدور معه، فأقام الشيخ في معسكره ثماني سنوات.

وبعد وفاة السلطان رخصه ولده «شاهجهان» المذكور، فعاد إلى «سرهند».

ومن مصنفاته: «الرسالة التهليلية» و«إثبات النبوة»، و«المبدأ والمعاد» و«المكاشفات الغيبية» و«آداب المريدين»، و«المعارف اللدنية» و«الرد على الشيعة»، و«تعليقات على «عوارف المعارف» للسهروردي»، و«مكتوبات في ثلاث مجلدات» ...[٤].

---

(١) هو: السلطان نور الدين محمد جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر (٩٧٧ـ ١٠١٤ـ ١٠٣٦هـ) وكان من بطن بنت ملك هندوسي، لما استقل بالملك أمر بالعدل وقرب إليه العلماء، وكان صحيح العقيدة خلافاً لوالده ...» (نزهة الخواطر: ١٢٢٥ـ ١٢٣).

(٢) راجع موقف السلطان مع الشيخ، وسبب اعتقاله، وتأثيره في السجناء، والسلطان نفسه في (الإمام السرهندي للندوي: ١٣٩ـ ١٥١) مفصلاً.

(٣) هو: السلطان شهاب الدين محمد شاهجهان بن جهانكير (١٠٠٠ـ ١٠٣٦ـ ١٠٧٥هـ)، كان أشهر ملوك الهند، رفع سجدة التحية التي اخترعها جدّه أكبر بن همايون ... ومن آثاره: ... القلعة الحمراء، والجامع الكبير في «دهلي». (نزهة الخواطر: ٥/ ١٦٥ـ ١٦٧).

(٤) تآليفه تدل على توغله في التصوف. وما تقدم من مكتوباته من نماذج في الأمور الصوفية يكفي للدلالة على ذلك.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقال الشيخ محسن بن يحيى البكري التميمي[١] في اليانع الجني : « . . . وله في بيان العقائد على مذهب «الماتريدية»[٢] ، ولتهذيب الطريقة الصوفية النقشبندية لسان أي لسان !

* من أياديه على رقاب كثير من الناس أنه أوضح الفرق بين «وحدة الوجود» و«وحدة الشهود»[٣] . . . .

* ومنها أنه باحث الملاحدة الذين كانوا في زمانه . . . . وكذلك رد على الروافض ، ونقض بدعاتهم[٤] . . . . .

* ومنها أنه حقق الفرق بين البدعة والسنة وأقيسة المجتهدين .[٥] . . .

* ومنها أنه كان يأمر بما يراه معروفاً ، وينهى عن ضده ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يخاف من ذي سطوة في سلطانه . . . فنفع الله كثيراً منهم بذلك ، وصلحت بصلاحهم الرعية ، فسد الله ثلمة ظاهر الدين . . . وذلك لأنه كان فقيهاً ماتريدياً[٦] زكي النفس ، حريصاً على اتباع السنن مجتهداً فيه ، شديد النصح لأبناء

---

(١) هو : محسن بن يحيى الترهتي البكري ، التميمي ، صاحب «اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني» [شيخ الحنفية في الهند] . كان من كبار العلماء . (نزهة الخواطر : ٧/ ٤١٧) .

(٢) الماتريدية : فرقة كلامية تنتسب إلى الإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ـ٣٣٣هـ) وهي تعطل كثيراً من الصفات ، وتؤول نصوصها ، وتقول بالتفويض والإرجاء . وهي وإن كانت من أهل السنة بالمعنى العام في مقابلة الخوارج والروافض ، ولكنها ليست من أهل السنة المحضة . (الماتريدية : ١/ ٣٧٩ـ ٣٨٠) .

(تنبيه) : مثال من مكتوبات السرهندي لماتريديته :

قال : «وهو تعالى ـ منزه عن صفات الجواهر والأجسام والأعراض ولوازمها ، لا مجال للزمان والمكان والجهة في حضرته تعالى ، وهذه كلها مخلوقاته .

وزعم جماعة ممن لا خبر لهم : أنه تعالى فوق العرش .

وأثبتوا له ـ سبحانه وتعالى ـ جهة الفوق والعرش» (مكتوبات أحمد السرهندي : ٢/ ١١٠ ـ الدرر المكنونات ، وعنها في «الماتريدية : «١/ ٥٧٧) .

هذا ، وقال عز وجل : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] .

(٣) سيأتي التفصيل عنهما قريباً إن شاء الله تعالى .

(٤) تقدم أنه رد على الروافض بتأليف مستقل .

(٥) راجع «الإمام السرهندي» للندوي (٢٣٠ ـ ٢٣٧) .

(٦) تقدم آنفاً دليل على كونه «ماتريدياً» معطلاً لصفة الاستواء .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

زمانه ، فجاءت لذلك ـ والله أعلم ـ طريقته وعلومه ، وشمائله محمودة عند المحققين وأهل الإنصاف ، ورغب فيها الناس ، وقل ما تعقب به وردّ من قوله . . .[1]»

«وأما مخالفوه ، فمنهم الشيخ محمد صالح الأورنك آبادي ، ومحمد عارف ، وعبدالله السورتي من أصحاب الشيخ محمد صالح . . .

ومن خالفه الشيخ عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي[2] ، فإنه ألف رسالة في تعقّبه ، وأورد إيرادات شتى على مقالاته . . . . والمشهور أن الشيخ عبدالحق رجع في آخر عمره عن الإنكار عليه . . .»[3]

---

(١) كان الزمن زمن التصوف بسيادة المذهب الحنفي مع العقيدة الماتريدية ، وكان البحث عن «عنقاء مغرب» أسهل بكثير من البحث عن عالم ـ في تلك القرون ـ لا يجمع بين هذه الأمور الثلاثة . ففي هذه الظروف الصعبة الملتوية من الذي ينتبه إلى أخطاء الآخرين في العقيدة والفقه والتصوف .

مع هذا خالفه من بعض المعروفين والمجاهيل من سيأتي ذكرهم آنفاً .

(٢) الشيخ محمد صالح وأصحابه غير معروفين ، ولا أدري من هم؟

أما الشيخ عبدالحق الدهلوي (٩٥٨ ـ ١٠٥٢ هـ) فهو من علماء القرن الحادي عشر المعروفين ، و«هو أول من نشر علم الحديث بأرض الهند» .

قال الأمير صديق حسن خان القنوجي البوفالي :

«إن الهند لم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الإسلام ، بل كان غريباً كالكبريت الأحمر ، حتى منّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم على بعض علمائها كالشيخ عبدالحق الدهلوي . . . وأمثالهم ، وهو أول من جاء به في هذا الإقليم . . . وتحديث هؤلاء أهل الصلاح وإن كان على طريق الفقهاء والمقلدة القراح ، دون المحدثين المبرزين المتبعين الأقحاح ، ولكن مع ذلك لا يخلو عن كثير فائدة في الدين ، وعظيم فائدة بالمسلمين ـ جزاهم الله تعالى عن المسلمين خير الجزاء ، وأفاض عليهم رحمته السحّاء» ـ .

«وتصانيفه من الصغار والكبار كثيرة فيما يلي ما يتعلق بالتصوف والصوفية :

«تنبيه العارف بما وقع في العوارف» ، وزبدة الآثار في مناقب الجيلاني» و«شرح فتوح الغيب للجيلاني» ، «مرج البحرين في الجمع بين الطريقين» (أي الشريعة والحقيقة) ، و«قرع الأسماع باختلاف أقوال المشايخ وأحوالهم في السماع» ، و«وجوه الفناء في أحدية الذات بالغيبة عن جميع النسب والجهات» ، و«الأنوار الجلية في أحوال المشايخ الشاذلية» وغيرها .

وذكر السيد عبدالحي رسالة له في الرد على بعض أقوال السرهندي» (نزهة الخواطر : ٥/ ٢٠٦ ـ ٢١٥) .

(٣) نزهة الخواطر (٥/ ٤٣ ـ ٥٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* معارف الصوفية :

«ومن ألفاظه القدسية ما قاله في معارف الصوفية»[1] :

اعلم أن معارفهم وعلومهم في نهاية سيرهم وسلوكهم ، إنما هي علوم الشريعة ، لا أنها علوم أُخر غير علوم الشريعة . . . والفرق بينهم وبين العلماء أن تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية ، وبالنسبة إليهم كشفيه[2] وضرورية .»[3]

* الطريقة النقشبندية :

«وقال في فضل الطريقة النقشبندية :

---

(١) تقدم بعض ما قاله السرهندي في معارف الصوفية ، من كتمان السر ، والفناء في الشيخ ، وتعطيل صفة الاستواء ، وغيرها ، وأضف إلى ما تقدم ، ما يلي :

* قال أحمد الفاروقي السرهندي : «وجدت الله عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية ، ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان ، ثم ترقيت في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فوجدت الأشياء ثانياً فوجدت الله عينها بل عين نفسي ، ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي إلخ . . . .» (المواهب السرمدية : ص ١٨٢ ، والأنوار القدسية : ص ١٨١ ، وعنهما في «النقشبندية» ص ٥٩) .

* وقال الشيخ أحمد الفاروقي : «كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد ، ولقد عُرِج بي مرة ، فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه ، رأيت مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ «وذكر أسماء عديدة» ثم قال . . . «واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي» (المواهب : ١٨٤ ، والأنوار : ١٨٢ ، وعنهما في «النقشبندية» : ص ٤٨) .

* وقال : «أريت الكعبة المطهرة تطوف بي تشريفاً منه تعالى وتكريماً لي» (المواهب : ص ١٨٥ ، وعنها في «النقشبندية» : ص٤٨) .

(٢) الكشف عن القضايا التي خاض فيها معظم رجالات التصوف ، وخاصة المتأخرين منهم ، والكشف حالة قد تنكشف فيها بعض الأمور لبعض المؤمنين في مقام تكريم الله لهم ، لكن القوم قد جعلوا من الشكف بضاعة رائجة» . (الصوفية معتقداً ومسلكاً : ص ٢٥٩) .

والكشف يختلف باختلاف الناس وأحوالهم ، وقد يخطىء ، ولأجل هذا لا يستدل به على إثبات أمر أو نفيه ، ولا يقوم مقام النظر والاستدلال أبداً .

والصوفية لاعتمادهم على الكشف نراهم يقعون في أخطاء بل محظورات ، والعجب من السرهندي أنه يعتبر مثل هذه الأحوال أوهاماً وخيالات في موضع آخر كما سيأتي .

(٣) نزهة الخواطر (٥/ ٥٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«اعلم أن طريقة الخواجكان [أي الخواجاوات] قدّس الله أسرارهم - مبنية على اندراج النهاية في البداية .

وقال الشيخ نقشبند : «نحن ندرج النهاية في البداية» . وهذه الطريقة بعينها طريقة الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - فإن الصحابة تيسر لهم في بداية صحبتهم ما لم يتيسر لغيرهم في نهايتهم . . .»[١]

* * *

لا ريب ، هذا مما منَّ الله عز وجل على الصحابة - رضي الله عنهم - بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم المباركة .

أما ادعاء الخواجة نقشبند : «نحن ندرج النهاية في البداية» ، ففيه إشارة إلى أن القوم يقومون بالتيسير لغير الصحابة ما تيسر لهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، من الفضل والخير والبركة .

والعجب أن السرهندي وافقه على ذلك الادعاء في بداية كلامه صراحة ، وفي نهايته كناية .[٢]

* الشريعة :

وقال في الشريعة :

«اعلم أن الشريعة متكفّلة بجميع السعادات الدنيوية والأخروية ، ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة ، وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة ، وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير[٣] ، وأما الأحوال والمواجيد والمعارف

---

(١) نزهة الخواطر (٥/ ٥٣) وتمامه : «فلهذا لما تشرف قاتل حمزة - رضي الله تعالى عنهما - في بداية إسلامه مرة بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان أفضل من أويس القرني الذي هو خير التابعين ، فالذي تيسر لوحشي ، في بداءة تلك الصحبة ، ما تيسر لأويس القرني في نهايته» - بعد هذا ، ما معنى قول الخواجه نقشبند : «نحن ندرج النهاية في البداية» إلا مضاهاة لصحبة النبي صل يالله عليه وسلم .

(٢) راجع «المصدر المذكور» (٥/ ٥٣) .

(٣) تقرير عجيب يخالف آخره أوله ، فقوله : «تحصيلهما (أي الطريقة والحقيقة) لتكميل الشريعة لا غير» هذا يخالف صراحة قوله : «ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة» . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق فليست من المقاصد ، بل هي أوهام وخيالات تربى بها الأطفال فلا بد من العبور عنها في النهاية .»

* التوحيد :

وقال في التوحيد :

«اعلم أن التوحيد قسمان : توحيد شهودي ، وتوحيد وجودي ؛ والذي لابد منه هو التوحيد الشهودي الذي يتعلق به الفناء ، والتوحيد الشهودي لا يخالف العقل ولا الشرع بخلاف التوحيد الوجودي فإنه يخالفهما (١) .

ويتضح ذلك بمثال ، وذلك أنه قال شخص عند طلوع الشمس واختفاء الأنجم : «ليس في السماء إلا الشمس» ، فهذا القول صحيح لا يخالف العقل ولا الشرع ، إذ لا يرى حينئذ إلا الشمس لضعف بصره ، فلو أعطى حدة البصر لرأى النجم مع الشمس ، بخلاف ما لو قال ذلك قبل طلوع الشمس ، فإنه يكذّبه العقل والشرع (٢) .

=وسبب التناقض هو الاعتقاد بأن الطريقة والحقيقة لابد منهما لتكميل الشريعة ، هذا ، وقد رد السرهندي نفسه على اصطلاح البدعة الحسنة ، وأنكر وجود أي نوع من الحسن والخير فيها ، واعتبر أن هذا الاصطلاح مستلزم لعدم كمال الدين .

وإليكم ما قاله ، وكأنه يرد نفسه على نفسه : «لما كان كل محدث في الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فلا معنى للحسن في بدعة من البدع ، ولما كانت الأحاديث الصريحة تفيد بأن كل بدعة ترفع سنة ، من غير تخصيص وتقييد ، فلا معنى لذلك ، ولابد أن تكون كل بدعة سيّئة . . .» (الإمام السرهندي : ص٢٣٥) .

(١) سيأتي ما فيهما من موافقات ومفارقات إن شاء الله ، ويأتي كذلك مخالفة وحدة الشهود للعقل والشرع .

(٢) هذا التمثيل فيه ما فيه من مخالفة العقل والشرع ، وقد ذهب قبله إلى مثل هذا التأويل الشيخ شرف الدين المنيري (ـ٧٨٢هـ) فقال : «إن ما يظن وحدة الوجود . . . ليس إلا أفول الموجودات ، إزاء الوجود الحقيقي . . . كما يخبو ضوء النجوم . . . إزاء ضوء الشمس ، وتصبح الذرات كأنها لا حقيقة لها ولا وجود» (الإمام السرهندي للندوي : ص ٢٥٠) ، وسيأتي ما بين المنيري ، وابن تيمية من خلاف في وحدة الشهود ، على خلاف ما ذكره الأستاذ الندوي .

(فائدة) : إذا غلبت حالة وحدة الشهود على صاحب الفناء ، فإنه يغيب بمحبوبه عن نفسه كما يذكر : «أن رجلاً ألقى نفسه في اليم ، فألقى محبّه نفسه خلفه ، فقال : «أنا وقعت ، فما أوقعك خلفي ، قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ١٠/ ٢١٩) وسيأتي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأما أقوال المشايخ التي وردت في «التوحيد»[1] فلابد أن تحمل على التوحيد الشهودي حتى لا يخالف العقل ولا الشرع[2] .

فالتوحيد الوجودي في مرتبة «علم اليقين» ، والتوحيد الشهودي في مرتبة «عين اليقين» التي هي مقام الحيرة ، كقول الحلاج : «أنا الحق» ، وقول أبي يزيد : «سبحاني» وأمثالهما ، فإنها كلها في مقام «عين اليقين»[3] الذي هو مقام الحيرة قبل الوصول إلى «اليقين» ، فإذا عبروا من ذلك ووصلوا إلى مقام «حق اليقين» يتحاشون من أمثال هذه الأحوال ، كما وقع لشيخنا ولهذا الفقير ابتلاء بها في أثناء الطريق ، ثم العبور عنها في النهاية» .

*بين وحدة الوجود ووحدة الشهود :

اعتبر الأستاذ الندوي نظرية «وحدة الشهود» من أهم الإصلاحات التي قدّمها

---

(١) المراد «بالتوحيد» هو التوحيد الوجودي ، و«وحدة الوجود» .

(٢) قولوا لي بالله ! هل بمجرد حمل أقوالهم في «وحدة الوجود» على «وحدة الشهود» تتغير الحقيقة التي وردت فيها هذه الأقوال؟ فليعلم أن تغيير الاسم لا يغير الحكم أبداً ، فعندما تسمى «وحدة الوجود» بوحدة الشهود ، تبقى ـ أيضاً ـ إلحاداً وزندقة كما كانت ، وإلى الله المشتكي !

(٣) بالنظر في هذه العبارة يظهر تناقض عجيب ، وخلل مريب ، وهو أن «التوحيد الشهودي» يشمل ـ أيضاً ـ ما صدر من الحلاج ، والبسطامي من أقوال كفرية ، «فإنها كلها في مقام «عين اليقين» على حد قول السرهندي .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكأنه يريد تبرئة ساحة المشايخ من «وحدة الوجود» كما تقدم وذلك بإزالة اسمها من قاموس التصوف ، وإدخالها في «وحدة الشهود» ، بحيث تكون على مرتبتين :

(الأولى) : «وحدة الشهود في مرتبة عين اليقين» ، التي كان فيها الحلاج ، وأبو يزيد البسطامي وغيرهما .

(والثانية) : «وحدة الشهود في مرتبة حق اليقين» ، التي وصل إليها السرهندي وشيخه «عبدالباقي النقشبندي البدخشي» .

وقد نقل الأستاذ الندوي نفسه عن الإمام السرهندي نوعية اختلافه مع أقوال القائلين بوحدة الوجود وأحوالهم ، فإنه قال :

«أما الفقير لا يتردد في الاعتراف بحسن هذه الأقوال والأحوال الصادرة من فكرة وحدة الوجود ، إذا أدت بصاحبها إلى العبور ، (أي أن يعبر السالك هذا المقام إلى مقام أرفع (الإمام السرهندي : ص٢٥٨) وسيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإمام السرهندي (ـ ١٠٣٤هـ) في مجال التصوف ، إزاء نظرية «وحدة الوجود» . وتناول هاتين النظريتين بشيء من البيان والتفصيل في «الباب السادس» من كتابه «الإمام السرهندي»[١] .

* ذكر الأستاذ الندوي ما اعترضه من العقبات في تأليف هذا الكتاب ، فقال :

«ولكني كلما فكرت في إفراد كتاب لترجمة هذا الإمام اعترضتني عقبتان :

(أولاهما)[٢] : أن أي كتاب يتناول سيرة «الإمام السرهندي» ، لا يمكن أن يخلو من إثارة قضية «وحدة الوجود» و«وحدة الشهود» وشرحهما وإفهامهما للنشء الجديد ، والمقارنة بينهما ، وترجيح نظرية «وحدة الشهود» مع الأدلة العلمية ، والمناقشة الناقدة الدقيقة ، فحين كانت تتمثل لي هذه المهمة الضخمة تكل عنها قواي ، وينصرف عنها قلمي لأمور . . . . وإذا تجرّد الكتاب عن هذه الفصول المهمة ـ التي يعتبرها بعض العلماء مجالاً حقيقياً لتجديده ، ويتركز عندهم فيها سر عظمته ومأثرته التجديدية ـ فكيف يعتبر الكتاب ترجمة جامعة لحياته ، وتعريفاً كاملاً بأعماله؟ .

كان يعترضني ، ويمسك بعنان قلمي عن الجريان ، في هذا المجال وجود مكتبة ضخمة في هذا الموضوع ، وصدور كتب وبحوث حدثت بين آونة وأخرى ، لا يتيسر للمؤلف زيادة ذات قيمة فيها ، وقد غلب على ظنه أن كتابه لا يملأ فراغاً واقعاً في المكتبة الإسلامية .

وبعد طول تفكير وتردد ونظر ، انحلت المشكلة الأولى ، فقلت : ينبغي أن آخذ بمبدأ «ما لا يدرك كله لا يترك جله» وأقدم على حل هذه المصطلحات وشرحها مستعيناً في ذلك بما جاء في كتب الشراح المحققين من علماء المدرسة الفكرية للشيخ محيي

---

(١) وهذا الكتاب من الكتب التي يمنع دخولها إلى المملكة العربية السعودية ، بأمر من المفتي العام للمملكة : العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ كما في «القائمة الأولى» المنشورة في «مجلة البحوث العلمية» (العدد (١٥) ص (٢٨٦ ـ ٢٨٧) . وعنه في (كتب ـ أخبار ، رجال ، أحاديث تحت المجهر : للشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان : ٢/ ٢٠ ـ ٢٢) .

(٢) «أما العقبة الثانية : فهو بالنظر إلى المكتبة العظيمة الواسعة التي تكونت في سيرة الإمام السرهندي ، والتعريف برسائله العظيمة» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدين ابن عربي ، . وما جاء في هذه الرسائل نفسها من إشارات وتفسيرات ، حتى يتيسر للقارئ الوقوف على هذا العلم ـ بصورة إجمالية ـ ومن أحب أن يستزيد وساعده التوفيق يرجع إلى المصادر الأساسية ، أو يراجع العلماء المتخصصين في هذا الفن ، والغواصين في هذا البحر الزاخر ممن رسخوا في هذا العلم ، وتذوقوه وفقهوه ، «وقليل ما هم»(١) .

* ثم تفاعل الأستاذ الندوي مع ضرورة محتويات هذا الكتاب ، وتحمّس فقال :

«ورأى المؤلف أنه إذا تم هذا العمل بإخلاص وصفاء نية وجهود موفقة ، فإنه لا يكون عملاً نافعاً مستمراً فحسب ، بل سيكون ـ إذا قدر الله تعالى ـ هدية قيمة ، ورسالة حية للقرن الخامس عشر الهجري ، ووثيقة تأريخية لمنجزات عبد صالح من عباد الله المخلصين ، قام بها في دأب وصمت ، وتواضع وخشوع ، ولم يقتصر تأثيرها على قرن واحد ، بل امتدّ حتى شمل الألف الثاني كله ، وهي تحمل لهذا القرن الذي نفتتحه ، والذي تغيرت فيه الأوضاع تغيراً كبيراً ، درساً للعظة ، والعبرة ، والاستفادة»(٢) .

*** ذكر الأستاذ الندوي بعض طامات ابن عربي وأمثاله من أهل الحلول والاتحاد ، ثم قال دفاعاً عنه (٣) بأسلوب محايد :**

---

(١) «الإمام السرهندي» للندوي (٧ ـ ٩ مقدمة المؤلف) .

(٢) المصدر المذكور (ص٩) .

(٣) ستأتي نماذج من دفاع الأستاذ الندوي عنه وعن أمثاله في مبحث «وحدة الوجود» في باب «الصوفيات» .

وقال أيضاً : «وينبغي الإشارة هنا إلى أن فريقاً من المهتمين بعلوم الشيخ ابن عربي وكتاباته ، يقول بأن هناك إلحاقات وزيادات دُسّت في كتبه ، ولا سيما في كتابه «فصوص الحكم»» (الإمام السرهندي : ص ٢٤٦ تعليقاً) ، «شيخ الإسلام الحافظ أحمد ابن تيمية» له أيضاً : ١٤٨ ـ ٢٤٩) .

ما يوجد في كتابات ابن عربي في غير فصوصه ، من الحلول والاتحاد يكفي لإدانته ، ولا حاجة لمخالفيه أن يدسّوا فيها ، ثم أين النسخة غير المدسوس فيها مع كثرة مريديه ومدافعيه ـ حكومة وشعباً ـ من عصره حتى الآن .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ولا يمكن أن يقال إن مسئولية هذه الجراءة على الله ، والإباحية والفوضى الخلقية ، تقع على الشيخ محيي الدين ابن عربي وحده ، الذي كان يجتهد في اتباع السنة ، وكان عابداً زاهداً متنسكاً ، صاحب رياضات ومجاهدات ، ومحاسبة شديدة للنفس ومعرفة دقيقة واسعة بمصايد الشيطان ونزغاته ، وغوائل النفس وآفاتها [١] ولكن مع ذلك توجد عنده أقوال شاذة غريبة ، تكون مادة لمن يريد أن يجعل من الحبة قبة . . .ـ ثم ذكر بعض أقواله مع تأويلها ، ومنها :

ـ إن عباد العجل في عهد موسى عليه السلام ـ ما عبدوا إلا الله . . . لأنها في الحقيقة : عبادة الله ، إذا الموجود واحد .

ـ وإن فرعون كان صادقاً في قوله : ﴿أنا ربّكم الأعلى﴾ .

ـ وإن قوم نوح ما عبدوا إلا الله ، وأن طوفان نوح كان طغيان المعرفة الإلهية ، وهيجان بحرها الذي غرقوا فيه[٢] .

=أليس التشكيك في ثبوت هذا الإلحاد والزندقة في كتبه أوهن من بيت العنكبوت؟ أليس الاعتذار عنه وعن مقالاته في وحدة الوجود أقبح من ذنبه؟ !

أليس شيخ الإسلام ابن تيمية زجّ في السجن بمؤامرة الحكومة وقضاتها لأجل النكير عليه وعلى مهاتراته؟ يا ليت القوم يعلمون !

(١) قال الأستاذ الندوي : «كان الشيخ ابن عربي متبعاً لمذهب داود الظاهري ، الذي ينكر القياس ، ويأخذ ظاهر الحديث؟ (المصدر المذكور : ص ٢٤٦ تعليقاً) .

(٢) هل يقال فيمن يؤاخذ على ابن عربي ، في مثل هذه الأقوال الكفرية : إنه يريد أن يجعل من الحبّة قبة . . . نسأل الله السلامة !

ولتعلموا مدى تغلغل هذا الصوفي الحلولي في الإلحاد والزندقة ، والكفريات ، إليكم نصاً من «فصوصه» ـ وهو يصف ربه في تجليه في صورة المرأة التي يتصل بها زوجها ـ وهو يقول :

«ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة ، أي غاية الوصلة التي تكون المحبة ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها ، ولذلك أمر بالاغتسال منه ، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره .

فطهره بالغسل ، ليرجع بالنظر إليه فني فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك ، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهد في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولأجل ذلك كان كثير من المشايخ العارفين الذين كانوا يعترفون بمكانة الشيخ ابن عربي وعلو كعبه في العلوم ، ويرونه من الأولياء المقبولين[(١)] ، ينهون أصحابهم وتلامذتهم عن مطالعة كتبه . . .» .

وحدة الشهود :

ذكر الأستاذ الندوي تغلغل نظرية «وحدة الوجود» في أحشاء متصوفة الهند ، وأشار إلى كبار حامليها ، ومن ردّ عليها ، ثم قال تحت عنوان : «وحدة الشهود» :

«لا نعلم ـ في حدود دراستنا واطلاعنا ـ إلا شخصيتين شهيرتين ، نجد عندهما

=للحق في المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ، فلهذا أحبّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ النساء لكمال شهود الحق فيهن ، إذا لم يشاهد الحق مجرداً عن الموادّ أبداً» .

[ص ٣٧٤ فصوص الحكم شرح بالي أفندي) (٣٨٢ فصوص الحكم شرح القاشاني ، طبع استنابول) ، (ص ١٩١ ج ١ فصوص الحكم بشرح الدكتور أبو العلا عفيفي) وعنه في «صوفيات» للشيخ عبدالرحمن الوكيل ٣٧ ـ ٣٨)] .

(١) تقدم نموذج من كتاباته (مع شيء من دفاع الأستاذ الندوى عنه) بنقله آنفاً ، وبنقلنا أيضاً في الهامش المتقدم .

هذه اعتقاداته في ضوء كتاباته ، ومع هذا وذاك ، يراه كثير من هؤلاء القوم من الأولياء المقبولين ، مع النهي عن مطالعة كتبه ، على ما ذكره الأستاذ الندوي وهذا تناقض عجيب في حبهم لهذا الرجل ، بل طامة كبرى ، لا يستسيغها إلا من كان على شاكلته ، وهل يحكم على الرجل إلا من خلال كتاباته؟ وإلا فيحكم عليه بماذا؟

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية بدافع من الغيرة على الإسلام وعقائده : على ابن عربي ، ورأيه في وحدة الوجود ، فزُجَّ في السجن بمؤامرة من نصر بن المنبجي الحلولي ، ومريده : السلطان الجاشنيكير الجركسي سنة ٧٠٧هـ ، (البداية والنهاية : ١٤/ ٥٣ ـ ٥٤) .

والعجيب أن الأستاذ الندوي لم يذكر في كتابه «شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية» بأنه أدخل في السجن لأجل شدة النكير على وحدة الوجود ، التي حمل لواءها ابن عربي ، وكذلك لم يتعرض في كتابه المذكور إلى ردوده على الصوفية أيضاً .

والأعجب من هذا ، أنه اكتشف في حياة ابن تيمية اكتشافاً جديداً ، ونسبه إلى التصوف ، ولكن من غير أن يصرح بكلمة التصوف ، كأن الرجل عند هؤلاء القوم لا يكون عابداً زاهداً ورعاً تقيا إلا بنسبته إلى التصوف ، وإذا كان الأمر كذلك ، فأين أصحاب القرون المشهود لها بالخير من الصحابة والتابعين وأتباعهم من التصوف والمتصوفة ! ! (راجع مبحث «شيخ الإسلام» في باب «التأريخ») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فكرة وحدة الشهود إزاء نظرية وحدة الوجود ، وإشارات متفرقة إليها ، رغم ما بينهما من اختلاف في الذوق والمشرب ، وبون كبير في المنهج وأساليب الدعوة ، إلا أن بينهما وحدة الإخلاص وصفاء النية ، وسلامة الذوق ، واستقامة الفطرة ، التي تفتح لها أبواب الهداية الربانية ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

(أحدهما) : شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي كان محدثاً ومتكلماً وفقيهاً .

(والآخر) : الإمام شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري(١) الذي كان عارفاً محققاً ، وإماماً من أئمة التصوف والإحسان .

يتجلى من كتابه المتقدم الذكر «العبودية»(٢) . أنه من المطلعين على فكرة وحدة الشهود ، ويعرف هذه الحقيقة أنها مقام يعترض السالك أثناء تربيته وسلوكه ، وأنها منزلة لا تسمو إلى مكانة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأتباعهم بإحسان من الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم ، ولكنها على كل حال منزلة فوق منزلة «وحدة الوجود» وأفضل منها حالاً وأرفع مكاناً(٣) ، ولكنه ـ لعدم خوضه في هذا المجال ـ يكتفي بإيماءات وإشارات .

وأما الشيخ المنيري (م٧٨٢هـ) فقد قدّم هذه الفكرة في رسائله بتفصيل أكثر ، فيقول في ضوء تجاربه الشخصية ، وتحقيقه العلمي لهذا المقام الخاص :

«إن ما يظن وحدة الوجود ، وفناء كل موجود سوى واجب الوجود وعدمه عدماً كاملاً ، هو ـ في واقع الأمر ـ ليس إلا أفول الموجودات إزاء الوجود الحقيقي ،

---

(١) تقدمت ترجمته ، وهو صوفي تسكع في الغابات والجبال اثنى عشر عاماً على قول الأستاذ الندوي ، وثلاثين عاماً على قول والده : السيد عبدالحي ، ولما نزل في «الدار» سماها «بيت الصنم» رغبة عنها .
وأين رأيه في وحدة الوجود وتصحيح مفهومها وتأويلها من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية الواضحة المستنبطة من الكتاب والسنّة حولها وقد صرح أن من ظن أن الفناء عن شهود السوى ، غاية السلوك ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، كما سيأتي إن شاء الله .
وبعد كل هذا ، لا أدري ماذا يراد بإقحام ابن تيمية في معمعة وحدة الشهود؟ !
(٢) راجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٠/ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ العبودية) .
(٣) ولكنه لم يجعله غاية السلوك ، ولم يسمه «مقام العبودية والتوحيد» ، كما يراه الأستاذ الندوي في موافقة الإمام السرهندي ، وسيأتي التفصيل عنه قريباً إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وغروبها ، وانقهارها ، كما يخبو ضوء النجوم وينطمس إزاء ضوء الشمس الوهّاج ، وتصبح الذرات كأنها لا حقيقة لها ولا وجود»(١) .

إنه يلخص النظريتين في كلمتين خفيفتين ، فيقول : «عدم الأشياء وفناؤها شيء ، وعدم رؤيتها شيء آخر» ، ويقول : «إنه مقام دقيق خطير تتعسر فيه أقدام الكبار من المشايخ ، وتتعسّر الاستقامة إلا بتوفيق الله ، ثم بتربية المرشد المحنّك الخبير»(٢) .

* ذكر الأستاذ الندوي آراء في وحدة الوجود ، فقال :

«لقد كان هناك ثلاثة مذاهب ، بين المثبتين والنفاة لنظرية «وحدة الوجود» ، وهي :

١ ـ التأييد الكامل لنظرية وحدة الوجود ، وأنها حقيقة بدهية ، وغاية المعرفة والتحقيق .

٢ ـ المعارضة الكلية لنظرية وحدة الوجود ، وإنها ليست إلا نتائج القوة الوهمية والمتخيلة ، والمشاهدات الباطنية ليس غير .

٣ ـ عرض نظرية «وحدة الشهود» بدلاً من «وحدة الوجود» . . .»(٣) .

*مركز الإمام السرهندي الاجتهادي والتجديدي في نظر الأستاذ الندوي :

قال الأستاذ الندوي :

«اختار الإمام السرهندي مذهباً رابعاً إزاء هذه المذاهب الثلاثة ، وهو أن «وحدة الوجود مقام يعرض للسالك خلال السلوك ، فيشاهد ـ عند ذاك ـ عياناً وجهاراً ـ إنه لا وجود هناك إلا لواجب الوجود ، وكل ما يراه الإنسان من وجود ، فهو وجود واحد ، وما سواه فليس إلا «تنوعاته وتلويناته» وفي تعبير الشيخ محيي الدين ابن عربي والعارفين المتذوقين لهذا المشرب الوجودي إنما هي «تنزّلاته» .

---

(١) قف على هذا التأويل الصوفي لنظرية وحدة الوجود وتصحيحها ، ثم قارنه بما يأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية آنفاً ، تجد أنهما في واديين مختلفين ، جمعهما الأستاذ الندوي في واد واحد ، حتى يقلل وحشة الناس من وحدة الشهود إزاء نظرية وحدة الوجود .

(٢) «الإمام السرهندي» (٢٤٩ ـ ٢٥٠) ، نقلاً عن «الرسالة الأولى» من مكتوبات «سه صدى» .

(٣) الإمام السرهندي (ص ٢٥١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولكن لو حالف التوفيق الرباني ورافق الهدي النبوي ، وكان السالك صاحب طموح وعلو همة ، فإنه يفوز بمقام آخر ، وهو مقام «وحدة الشهود»(١) .

وهكذا يضيف الإمام السرهندي ـ مع نقضه لنظرية وحدة الوجود ، الذي كان مذهب غالب المتصوفين والحكماء المدققين ، والإشراقيين المتعمّقين ، واعترافه بعلو كعب مؤسس هذه النظرية : علمياً : ورائدها الأكبر الشيخ محيي ابن عربي ، في كثير من العلوم والتحقيقات ـ إضافة جديدة ، ويكتشف عالماً جديداً يوافق عقيدة جمهور المسلمين ، ويتفق مع الكتاب والسنة والشريعة الإسلامية(٢) ، في جانب ، ويضيف شيئاً ـ بدون أن يرجع بالعلوم القهقرى ، ويلغي تحقيقات جماعة كبيرة ذات شأن وعلومها ومداركها ـ ينسجم مع التحقيقات والكشوف الأخيرة في الأنفس والآفاق ، ويتلاءم مع النصوص الشرعية والأصول القطعية ، ويطابق بينهما جميعاً»(٣) .

---

(١) ونقل الأستاذ الندوي عن الإمام السرهندي أنه قال : «هو مقام العبدية والتوحيد الذي جاء به الأنبياء «عليهم السلام» (المصدر المذكور : ص ٢٥٨) ، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في هذا المقام : «من جعل هذا نهاية السالكين ، فقد ضل ضلالاً مبيناً» : (فتاواه : ٣/ ١١٩) ، فضلاً عن أن يجعله «مقام العبدية والتوحيد» وعقيدة جمهور المسلمين .

(٢) ولا ريب أن الإمام السرهندي قدّم نظرية وحدة الشهود إزاء وحدة الوجود ، ولكن يرى «بعض كبار العلماء المحققين» ـ على قول الأستاذ الندوي ـ : «إن هذا النزاع كان نزاعاً لفظياً صرفا» .

وقال بعضهم : «إن الإمام السرهندي أخطأه التوفيق في هذا المجال ، وأنه لم يطلع على جميع مؤلفات الشيخ الأكبر : ابن عربي» . ولأجل ذلك ألف الشيخ غلام يحيى البهاري (ـ ١١٨٠هـ) كتاباً ردّ فيه على تلك النزعة التطبيقية التي كان بعض أوساط السلسلة المجددية أيضاً يحاول على أساسها التوفيق بين وحدة الوجود ، ووحدة الشهود» . (الإمام السرهندي : ٢٦٢ـ٢٦٣) .

هذا ، وإن نزعة التوفيق والتطبيق بين النظريتين قائمة ، ولم يكن ردّ البهاري على النزعة التطبيقية نهاية هذه المشكلة .

إذن ، كيف يقال : «إن الإمام السرهندي اكتشف عالماً جديداً يوافق عقيدة جمهور المسلمين ، ويتفق مع الكتاب والسنة ، والشريعة الغراء . . .»؟ !

وكيف تكون وحدة الشهود عقيدة جمهور المسلمين ، وهي لم تعرف في جيل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؟ وبالتالي كيف تتفق هذه النظرية مع الكتاب والسنة ، وهذه هي حالها؟ !

وعلى هذا ، ليست وحدة الشهود إلا محاولة لتطوير وحدة الوجود ، فليعلم . . . أن التصوف المصطلح بعيد من روح الإسلام الخالص ، بحيث لم يستطيع أن يتفق مع الكتاب والسنة بعد إصلاحه وترميمه أيضاً .

(٣) «الإمام السرهندي» (ص ٢٥٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* نقل الأستاذ الندوي عن الإمام السرهندي انتقاله من مقام إلى مقام حيث قال :

«لقد كان كاتب السطور يعتقد أولاً في التوحيد الوجودي ، وكان على علم بهذا التوحيد من صغره ، وقد رسخ يقينه في قلبه ، إلا أنه لم يكن ـ عند ذلك ـ صاحب الحال في هذا المقام ، فلما شدا في طريق السلوك ، انكشف له طريق توحيد الوجود ، فجال في هذا المقام ومراتبه وصال ، لمدة طويلة من الزمن ، وفاز بعلوم كثيرة خاصة بهذا المقام ، وانحلت عقدة تلك الواردات والخواطر المشكلة التي تعرض لسالكي طريق الوحدة ، بهذه المكاشفات ، والعلوم المفاضة الموهوبة ، ثم استولت على هذا الفقير بعد مدة غير قليلة نسبة أخرى ، فتردد في طريق توحيد الوجود في حال استيلاء هذه النسبة ، ولكن هذا التردد كان يرافقه حسن الظن ، لا الإنكار والجحود ، وبقي متوقفاً متردداً مدة طويلة من الزمن ، حتى بلغ به الحال إلى الإنكار ، وكشف له أن هذه المنزلة أدنى وأحّط ، ووصل إلى مقام الظلّية الذي يفوقها ويفضل عليها ، وكان هذا الإنكار اضطراراً وعن اندفاع ، فإنه لم يكن يحبّ الخروج من هذا المقام ، لأن كبار المشايخ والعارفين ألقوا به عصا الترحال ، ولكنه لما بلغ مقام الظلّية ، ورأى نفسه والعالم كله ظلاً ، تمنى أن لا يفارق هذاالمقام ، لأنه كان يعتقد الكمال في وحدة الوجود ، ولهذا المقام مناسبة بها بالجملة ، ولكن كان من مقادير الله ، ولطفه وكمال شفقته عليه ، أن رقّاه وصعد به إلى مقام أسمى وأرفع ، هو مقام العبدية[1] ، فتجلى له ـ عند ذاك ـ كمال هذا المقام وعظمته ، وجعل يتوب إلى الله ، ويستغفره من المقامات السابقة ، فلو لم يكن لطف الله أرشد هذا المسكين إلى هذه الجادة الواضحة ، ولم يكشف له تفوق مقام على مقام ، لكان يعتقد انحطاطه وسقوطه في ذلك المقام ، لأنه كان يرى أن لا

---

(١) بعد هذا المشوار الطويل في أودية التصوف وصل الإمام السرهندي إلى هذا المقام فراراً من وحدة الوجود ، وقدم نظرية وحدة الشهود إزاءها ، ولكن لأجل تعلقه بها من الصغر ، كأنه لم يأت بشيء واضح في هذا المجال عند بعض كبار المحققين في التصوف حيث قالوا : «إن هذا النزاع كان نزاعاً لفظياً صرفاً» (الإمام السرهندي : ص ٢٦٢) .

واعتبر الإمام السرهندي هذا المقام مقام العبدية وغاية السالكين كما هو واضح من تقريره ، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية قال في هذا المقام : «من جعله نهاية السالكين فقد ضل ضلاً مبينا» (فتاواه : ٣/ ١١٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مقام أفضل وأعلى من مقام «وحدة الوجود ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .»[1] .

* رأي السرهندي في ابن عربي :

* ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «الرأي الوسط العادل عن الشيخ الأكبر» ، أن الإمام السرهندي يرى أن الناس سلكوا مسلك الإفراط والتفريط في ابن عربي . . . وأن كلا الفريقين جانبَ الاعتدال ، ثمّ نقل عنه قوله في ابن عربي حيث قال :

«ومما يعجب له أن الشيخ ابن عربي يبدو من المقبولين ، وتبدو أكثر معارفه وتحقيقاته التي جانبَ فيها أهل الحق خاطئة بعيدة عن الصواب»[2]

*** ويذكر - في موضع من رسائله - الفارق الحقيقي بينه وبين عامة المثبتين أوالنافين لوحدة الوجود ، فيقول :**

«إن اختلاف هذا الفقير مع القائلين بوحدة الوجود ، عن طريق الكشف والشهود ، والعلماء يستقبحون هذه الأمور (كوحدة الوجود ، والنفي المطلق لما سوى واجب الوجود) ، أما الفقير فلا يتردّد في الاعتراف بحسن هذه الأقوال والأحوال الصادرة من فكرة وحدة الوجود ، إذا أدت بصاحبها إلى العبور ، (أي أن يعبر السالك هذا المقام إلى مقام أرفع)[3] .

---

(١) «الإمام السرهندي» (٢٥٧ـ٢٥٨) .

(٢) الإمام السرهندي (ص٢٥٨) ، نقلاً عن «الرسالة» رقم (٢٦٦) المجموعة الأولى .

(٣) المصدر المذكور (ص ٢٥٨) وقال : «وهو مقام العبدية والتوحيد ، الذي جاء به الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامة - ، (الرسالة رقم (٤٢) المجموعة الثانية ، بعث بها إلى الشيخ جمال الدين حسين) .
وسيأتي ما في هذا المقام من الكلام قريباً إن شاء الله تعالى .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وحدة الشهود في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية :

ذكر الأستاذ الندوي فكرة وحدة الشهود في كتابات شيخ الإسلام فقال :

«لا نعلم ـ في حدود دراستنا واطلاعنا ـ إلا شخصيتين شهيرتين ، نجد عندهما فكرة وحدة الشهود إزاء نظرية وحدة الوجود ، وإشارات متفرقة إليها . . .

(أحدهما) : شيخ الإسلام ابن تيمية . . . .

(والآخر) : شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري . .

ويتجلى من كتابه «العبودية» أنه من المطلعين على فكرة وحدة الشهود ويعرف هذه الحقيقة أنها مقام يعترض السالك أثناء تربيته وسلوكه . . . ولكنه ـ لعدم غوصه في هذا المجال ـ يكتفي بإيماءات وإشارات .»(١)

هذه العبارة تحتاج إلى بعض التوضيحات حتى لا تحمل على غير محملها ، ومنها :

* قد يفهم من قوله في البداية أن شيخ الإسلام قدّم وحدة الشهود إزاء نظرية وحدة الوجود وهذا خلاف الواقع .

* ثم تنازل إلى قوله الواضح : «أنه من المطلعين على فكرة وحدة الشهود» . ولكن يعلم أن اطلاعه عليها شيء ، وتقديمه إياها إزاء نظرية وحدة الوجود شيء آخر ، بل قال : «من جعل هذا نهاية السالكين فقد ضل ضلالاً مبينا»(٢) ، فضلاً أن يجعله مقام العبدية والتوحيد .

* انبسط الأستاذ الندوي حين ذكر تقي الدين ابن تيمية وشرف الدين المنيري في فكرة وحدة الشهود ، وذكر أنهما يشتركان في سلامة الذوق وسلامة الفطرة .

فليعلم حتى لا يلتبس ، أن شرف الدين في وحدة الشهود في واد (هو وادي التصوف)(٣) ، وتقي الدين في واد آخر (هو وادي السنة) .

---

(١) الإمام السرهندي (٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١١٩) .

(٣) قارن قوله في هذه القضية ، بما يأتي عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ذكر الأستاذ الندوي شيخ الإسلام ابن تيمية في نظرية وحدة الشهود ، مثله مثل تشبّث الغريق بالحشيش ، ولعله أراد بنسبتها إلى شيخ الإسلام ـ أي نوع من النسبة ـ تقليل وحشة الناس من وحدة الشهود إزاء وحدة الوجود .

ولا ريب أن شيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر موسوعياً في كل ما يتناول من المباحث في كتبه ورسائله ، وفتاواه ، وقد ذكر مسألة «الفناء» أيضاً في فتاواه في عدة أمكنة(١) وهو لم يكتف بالإشارات والإيماءات(٢) فقط ، بل فصّلها حيناً ، ولخّصها حيناً آخر ، فيفهم تفصيله في ضوء تلخيصه ، وتلخيصه في ضوء تفصيله ، فقد ذكر في فتاواه خلاصة ما في هذا الموضوع فقال :

«والفناء يراد به ثلاثة أمور :

(أحدها) : هو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به : فيفنى عن عبادة غيره بعبادته ، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله ، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه ، وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله ، وعن خوف غيره بخوفه ، بحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، كما قال تعالى ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره**﴾ [التوبة : ٢٤] فهذا كله هو مما أمر الله به ورسوله .(٣)

وتقدم أن شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري سمع بيتين في الفارسية ، يدلان دلالة صريحة على وحدة الوجود ، فتواجد ، وضرب رأسه بالأسطوانة ، وكادت روحه تزهق .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣/ ١١٨ـ ١١٩) ، (١٠/ ٢١٨ ـ ٢١٩ العبودية) ، (١٠/ ٣٣٧ـ ٣٤٣) ، و«إبطال وحدة الوجود» (٦٣ ـ ٦٥) .

(٢) قال الأستاذ الندوي : «ولكنه لعدم خوضه في هذا المجال يكتفي بإشارات ، وإيماءات» (الإمام السرهندي ص ٢٢٠) .

(٣) قال شيخ الإسلام في «فتاواه» (١٠/ ٣٣٧) أيضاً :

(أحدها) : فناء القلب عن إرادة ماسوى الرب ، والتوكل عليه وعبادته ، ما يتبع ذلك ، فهذا حق =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأما (**الفناء الثاني**) : وهو الذي يذكره بعض الصوفية ، وهو أن يفنى عن شهود ماسوى الله تعالى [1] ، فيفنى بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته ، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى ، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله .

=صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص ، وهو في «الحقيقة» عبادة القلب ، وتوكله ، واستعانته ، وتألهه وإنابته ، وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له ، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال ، وليس لأحد خروج عن هذا .

وهذا هو «القلب السليم» الذي قال الله فيه : ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء : ٨٩] وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة ، والإرادات الفاسدة وما يتبع ذلك» .

(١) هذا الذي يسمونه بـ «وحدة الشهود» .

* قال شيخ الإسلام أيضاً في «فتاواه» (٢/ ٣١٤) : «ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ، ومنهم من يجعله غاية السلوك ، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية فلا يفرقون بين المأمور والمحظور ، والمحبوب والمكروه .

وهذا غلط عظيم . . . فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على هذا ، ولكن قد يكون معذوراً» .

* وقال (٢/ ٣٤٤) : « . . . هذا مقام الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة ، بخلاف «الفناء الشرعي» ، فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ما سواه . . .» .

* وقال (٢/ ٣٦٩) : « . . . لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه شهود هذا وهذا ، كان معذوراً للعجز ، لا محموداً على النقص والجهل» .

* وقال أيضاً في فتاواه (١٠/ ٢١٩) :

«فإذا قوى على صاحب الفناء هذا ، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات المعبدة ممن سواه ، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى . والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها . وإذا قوى هذا ضعف المحب حتى اضطرب في تمييزه فقد ظن أنه هو محبوبه ، كما يذكر : أن رجلاً ألقى نفسه في اليم فألقى محبّه نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت فما أوقعك خلفي؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني» .

* وقال في «فتاواه» (١٠/ ٢٢٠) أيضاً :

«وأكابر أولياء الله كأبي بكر وعمر ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يقعوا في هذا «الفناء» ، فضلاً عمن فوقهم من الأنبياء ، وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة . . . فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم ، أو يحصل لهم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم وللسابقين الأولين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين ، فهو ضالّ ضلالاً مبيناً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطىء ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك .

وأما (الثالث) : فهو الفناء عن وجود السوي ، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق ، وأن الوجود واحد بالعين ، فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد ، الذين هم من أضلّ العباد .»(١)

هذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مسألة الفناء ، في فتاواه ورسائله(٢) ، في مواضع عديدة .

=غشى ، أو صعق ، أو سكر ، أو فناء ، أو وله ، أو جنون . وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة فإنه كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن ، ومنهم من يموت : كأبي جهير الضرير ، وزرارة بن أوفى قاضي البصرة . . .» .

وفرق شيخ الإسلام بين الفناء الأول ، وهذا الثاني فقال في «فتاواه» (١٠/ ٣٣٨) :

«(الأمر الثاني) : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب ، فذاك فناء عن الأرادة ، وهذا فناء عن الشهادة . ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه ، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه ، فهذا الفناء فيه نقص ؛ فإن شهود الحقائق على ما هي عليه ، وهو شهود الرب مدبراً لعباده ، آمراً بشرائعه ، أكمل من شهود وجوده ، أو صفة من صفاته ، أو اسم من أسمائه ، والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك» .

* وقال في «فتاواه» (١٠/ ٥٩٤) أيضاً :

«والذين يسلكون في محبة الله مسلكاً ناقصاً يحصل لأحدهم نوع من ذلك يسمى «الاصطلام» و«الفناء» يغيب بمحبوبه عن محبته ، وبمعروفه عن معرفته ، وبمذكوره عن ذكره ، حتى لا يشعر بشيء من أسماء الله وصفاته وكلامه وأمره ونهيه .

و«منهم» من قد ينتقل من هذا إلى «الاتحاد» . فيقول : أنا هو ، وهو أنا ، وأنا الله ، ويظن كثير من السالكين أن هذا هو غاية السالكين ، وإن هذا هو «التوحيد» الذي هو نهاية كل سالك . وهم غالطون في هذا ؛ بل هذا من جنس قول النصارى ، ولكن ضلوا . لأنهم لم يسلكوا الطريق الشرعية في الباطن في خبر الله وأمره .»

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣/ ١١٨ـ ١١٩) .

(٢) وهذا الذي فهمه منه تلميذه الرشيد : الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمهما الله ـ ، وذكره في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٤٣٠ ـ ٤٣٢) ، ورد على ابن الصائف وشيعته في قولهم : «إن فناء =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وبعد هذا ، نتساءل :

ما الذي حمل الأستاذ الندوي أن يذكر شيخ الإسلام في هذا الباب ، وهو لم يستفد من كتاباته في «مسألة الفناء» ، مع وضوحها وجلائها؟ ! .

وما رآه الأستاذ الندوي مقام العبدية والتوحيد وغاية السلوك ، على مذهب الإمام السرهندي ، وهو الذي قال فيه ابن تيمية «ومن جعله نهاية السالكين ، فهو ضال ضلالاً مبينا»[1] .

لأجل هذه التناقضات والمخالفات خاصة في هذا الباب ، والباب الأخير من كتاب «الإمام السرهندي» للأستاذ الندوي ، نراه في «قائمة الكتب التي يجب منع دخولها إلى المملكة العربية السعودية ، أو طباعته فيها ، أو بيعها في المكتبات التجارية نصحاً لله ولعباده وحماية للمسلمين من شر ما فيها وذلك بعد التثبت والتأكد مما فيه من الجهة المختصة . . . .»[2] .

* * *

=شهود السوى هو عين الكمال» فقال :

«فيقال : هذا هو مقام الفناء الذي يشير إليه كثير من المتأخرين ، ويجعلونه غاية الغايات ونهاية النهايات ، وكل ما دونه فمرقاة إليه ، وعيلة عليه . . . وقد تبين ما في ذلك ، وما هو الصواب بحمد الله . . .» (المصدر المذكور : ٥٣٢ ـ ٥٣٣) .

وهذا الذي فهمه العلامة الشيخ محمد صالح بن عثيمين ـ حفظه الله ـ من المعاصرين ، فقال ، عند ذكره ثلاثة أقسام للفناء :

«القسم الثاني : صوفي بدعي ، وهو الفناء عن شهود السوى . . . وهو فناء ناقص من وجوه :

(الأول) : إنه دليل على ضعف قلب الفاني . . .

(الثاني) : إنه يصل بصاحبه إلى حال تشبه حال المجانين والسكارى . . .

(الثالث) : أن هذا الفناء لم يقع من المخلصين الكمّل من عباد الله . . .» (فتاوى ابن عثيمين : ٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١١٩) .

(٢) بتوقيع من «الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ حفظه الله ـ . (مجلة البحوث العلمية بالرياض : العدد (١٥) ص(٢٨٦ ـ ٢٨٧) وعنها في «كتب تحت المجهر» (٢/ ٢١ ـ ٢٢) للشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السلسلة المجددية

هذه السلسلة فرع من النقشبندية ، وهي تنتسب إلى الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي ، المعروف بمجدد الألف الثاني (٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ) .

مشاهير خلفائه :

قال الأستاذ الندوي :

«إن استيعاب أسماء خلفاء الإمام السرهندي العظام ، وإحصاء مآثرهم الجليلة ، وليس أمراً ميسوراً فقد بلغ عددهم الآلاف . . .»[١] .

ثم ذكر أسماء خلفائه المشاهير وتناول سيرة «خليفتيه الجليلين» بشيء من التفصيل ، ألا وهما :

* الشيخ محمد معصوم بن أحمد السرهندي[٢] (٧أو ١٠٠٩ ـ ١٠٧٩هـ) ، وكان أحب أولاد أبيه ، وإليه تنسب «السلسلة المجددية المعصومية» .

---

(١) الإمام السرهندي (ص٣٠٧ وما بعدها) .

(٢) الشيخ محمد معصوم ، «كان أحب أولاد أبيه ، وأشبههم سمتاً به . . . وأخصهم بمعارفه . . . لازم أباه ، وأخذ عنه الطريقة . . . وبلغ رتبة لم يبلغ إليها أحد من أصحابه ، فبشره والده بمقامات عالية من «القيومية» وغيرها . . .

وقال الشيخ مراد بن عبد الله القزاني في «ذيل الرشحات» : «إنه كان آية من آيات الله مثل والده الماجد . . . وصار ألوف من الرجال محرماً للأسرار الخفية ، وتحققوا بالحالات السنية بشرف صحبته العلية ، حتى قيل : إن جميع من بايعه في الطريقة تسعمائة ألف ، وعدد خلفائه سبعة آلاف . . .» اهـ .

وللشيخ معصوم مكاتيب في ثلاثة مجلدات ، مثل مكاتيب والده ، متضمنة لغوامض الأسرار ، واللطائف ، أكثرها في حل مغلقات معارف والده المرحوم . . .

توفى سنة تسع وسبعين وألف ، بمدينة سرهند ، وقبره مشهور ظاهر يزار ، ويتبرك به» . (نزهة الخواطر : ٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) .

مما ينسب إليه من الخوارق والكرامات والشطحات والدعاوي :

* قال الشيخ محمد معصوم : «رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام . . . ولما فرغت من طواف الزيارة ، جاءني ملك (من الملائكة) بكتاب قبول الحج من رب العالمين» . (المواهب السرمدية : ٢١٣ ، جامع كرامات الأولياء : ١/ ٢٠٤ ، الأنوار القدسية : ١٩٦ ، وعنها في =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* والسيد آدم البنوري[1] (ـ١٠٥٣هـ)، كان أمّياً، وهو صاحب «الطريقة المجدّدية الأحسنية» أو «الآدمية»[2].

=«النقشبندية: ٤٧».

* ونقل عنه أنه تكلم بالتوحيد وهو ابن ثلاث سنوات، فصار يقول: «أنا الأرض أنا السماء». (المصادر المذكورة، وعنها في «النقشبندية»: ص٤٧).

* ويقول كذلك: «أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم، والعالم يتنور به كالشمس». (المصادر المذكورة، وعنها في «النقشبندية»: ص٤٧).

* يروي أن أحد مريدي «الشيخ محمد معصوم» كان راكباً على فرس فجفلت فسقط على الأرض وبقيت رجله معلقة في الركاب، وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك، فاستغاث بحضرة «القيوم»، قال: فرأيته حضر، و أوقفها وأركبني». (المصادر المذكورة: ٢٥، وعنها في «النقشبندية»: ص٥٢) وفيه تطبيق لما بشّر به أبوه أحمد السرهندي من القيومية، وهي عند القوم ـ: الاستقامة عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها، والسير عن الله بالله في الله، بالانخلاع عن الرسوم بالكلية» (التعريفات للجرجاني: ص٢٣٤).

* ثم وقع نفس هذا المريد في البحر، ولم يكن يعرف السباحة، وكاد أن يغرق فناداه مستغيثاً به، فحضر وأخذه بيده وأنقذه.

* وكذلك استغاث به رجل في سفينة كادت تغرق به، فاستغاث بالشيخ، فمدّ الشيخ يده ـ وكان جالساً بين أصحابه في بيته ـ فمدّ يده وانتشل السفينة، وابتلّ كمّه لذلك، مع أن المسافة بين المستغيث والمستغاث به شاسعة، فتعجب تلامذته وأصحابه حين رأوا كمه قد ابتل بعد أن مد يده في الهواء...» (المصادر المذكورة، وعنها في «النقشبندية»: ٥٢).

(١) هو: آدم بن إسماعيل الحسيني (ـ١٠٥٣هـ)، «أحد كبار المشايخ النقشبندية، بشّر به والده في رؤيا له صالحة، بشره بذلك النبي ﷺ... لازم الشيخ أحمد السرهندي مدة من الزمان، وأخذ عنه، وقد ذكر في «خلاصة المعارف» أنه حصلت له نفحة من الجذبات الربانية، عن الشيخ محمد طاهر اللاهوري (ـ١٠٤٠هـ) بحق ما وصل إليه عن الشيخ سكندر [أحد المشايخ القادرية الأعظمية ت١٠٢٣هـ، النزهة: ٥/ ١٦١)]عن جده كمال الدين الكيتهلي [أحد كبار المشايخ القادرية، قيل: إنه استفاض من روحانية الشيخ عبد القادر فيوضاً كثيرة، ت٩٧١هـ. «النزهة: ٤/ ٢٤٥].

وبالجملة، فإنه بلغ رتبة لم يصل إليها كثير ممن عاصره من المشايخ...

وللشيخ آدم رسائل في «الحقائق والمعارف»، ومنها «خلاصة المعارف»... ومنها: «نكات الأسرار».

وكان الشيخ آدم أمياً، ما قرأ شيئاً من الكتب على أهل العلم.

مات سنة ثلاث وخمسين وألف بالمدينة المنورة، فدفن ببقيع الغرقد..» (نزهة الخواطر: ٥/ ١ـ٢).

(٢) الإمام السرهندي (٣١٠ـ٣١١، ٣٢٥).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السلسلة المجددية المعصوميّة ومشايخها الكبار :

ذكر الأستاذ الندوي مشايخ المجددية المعصومية بشيء من التفصيل ، ومن أهمهم :

(١) ـ سيف الدين بن معصوم بن أحمد السرهندي[(١)] (١٠٤٩ ـ ١٠٩٦هـ) ، وخليفته :

* السيد نور محمد البدايوني[(٢)] (ـ ١١٣٥هـ) ، وخليفته :

* مرزا مظهر جان جانان[(٣)] (ـ ١١٩٥هـ) ، وخليفته :

---

(١) كان سيف الدين خامس أبناء والده ، نشأ في مهد العلم والطريقة ، اختار للإقامة بلدة «دهلي» بأمر والده بعد ما صدرت بها إشارة غيبية . . . أخذ عنه السلطان أورنك زيب عالمكير وله جذب قوي ، وتصرف عال بحيث كان الناس يضطربون من قوّة توجهاته ، ويبقون بلااختيار في يده . . .
كان له شوكةٌ ظاهرة . . . وقع مرة على قلب بعض أن له كبراً ، فأشرف عليه وقال : «كبري من ظل كبرياء الحق عز وجل . . .» (نزهة الخواطر : ٥/ ١٦٣ ـ ١٦٤ ، والمواهب : ٢١٥ ، والأنوار : ٢٠٠ ، وجامع الكرامات : ١/ ٢٠٤ ، وعنها في «النقشبندية» : ٦٨ ، ٣٢ ، وقال : «فانظر إلى هذه الجرأة والتطاول على الله ، لقد توعّد الله كل من أراد منازعته في صفة الكبر الوعيد الشديد ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ ، قال الله عز وجل : «العز إزاري ، والكبر ردائي ، فمن ينازعني عذّبته» (مسلم رقم ٢٦٢٠) .

(٢) هو : نور محمد النقشبندي (ـ ١١٣٥هـ) ، أخذ عن الشيخ محمد محسن الدهلوي وسيف الدين الدهلوي واشتغل عليهما مدة طويلة ، حتى غلب عليه الاستغراق ، وامتد إلى خمس عشرة سنة ، فكان لا يصحو إلا في أوقات الصلوات ، ثم أفاق . . .» (نزهة الخواطر : ٦/ ٣٩٥) .

(٣) قال الأستاذ الندوي : «كان الشيخ مرزا جان جانان ، الشهيد (ـ ١١٩٥هـ) خليفة السيد نور محمد البدايوني ، الذي بقي ٣٥ سنة يشعل بحرارة أنفاسه مجامر القلوب ، وينور بإشراقه الأرواح والنفوس ، وأقام سوق الحب لله بدهلى العاصمة ، ثم ذكر ثناء ولي الله الدهلوي عليه . . .» (الإمام السرهندي : ٣١٧ ـ ٣١٨) .
وإليكم نبذة من أقواله وأحواله ومعارفه :
* حكى أنه كان يسافر مع أصحابه بغير زاد ، ولا راحلة ، فكانوا إذا نزلوا منزلاً تأتيهم الموائد من الغيب» (الأنوار القدسية : ٢٠٤ ، والمواهب السرمدية : ٢٢٤ ، وجامع كرامات الأولياء : ١/ ٣٨٩ ، وعنها في «النقشبندية» : ص٣٩) .
* وقال : «إن الصوفي الكامل هو الذي لا ينسب الخير والكمال لنفسه أصلاً ، ويعلم أنه مستعار ، وهذا هو الحق في معنى الفناء التام ، وحصول الشهود الصحيح . . . وهذا سر قول «الحلاج» : «أنا الحق» .
=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* عبد الله الدهلوي المعروف بغلام علي[1] (ـ ١٢٤٠هـ) ، وعنه من المشاهير :

. . . .

(المواهب : ٢٢٧ ، والأنوار : ٢٠٥ ، وعنهما في النقشبندية : ٣٧ ، ٧٥) .

* وحين توفى قيل : ارتفع نصف القرآن إلى السماء ، ووقع في الدين فتور» . (الأنوار : ٢٠٧ ، والمواهب : ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، وعنهما في «النقشبندية» : ٤٧ ـ ٤٨) .

(١) هو : عبد الله المعروف بغلام علي بن عبد اللطيف العلوي النقشبندي (١١٥٦ـ ١٢٤٠هـ) . لازم الشيخ مرزا جانجانان الدهلوي . . . واشتغل عليه بالأذكار والأشغال مدة طويلة ، ولما توفى شيخه المذكور ، تولى الشياخه مكانه . . .

وكان يشتغل بالنفي والإثبات كل يوم عشرة آلاف مرة وباسم الذات ما لا يحصى بحدّ وعدّو بالاستغفار والصلاة على النبي المختار ﷺ ما لا يستقصى ، وكان يقرأ القرآن الكريم قدر عشرة أجزاء كل يوم ، وكان يجتزي في إفطار الصوم بالماء ، وفي النوم على الأرض ، واظب على ذلك خمس عشرة سنة حتى نال مرتبة قلما يبلغ إليها الناس . . .» (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٦٥ـ ٣٦٧) .

وإليكم شيئاً مّما ينسب إليه من كشوف ، ومعارف ، وأسرار :

* قال : «كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين ، كذلك ترك الحلال فرض على العارفين» (المواهب : ٢٤٠ ، والأنوار : ٢١٣) .

* من كرامات الشيخ عبد الله الدهلوي تصرفه في باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم . (المصدران المذكوران ، وعنهما في «النقشبندية» : ٦٨ ، ومعلوم أنه كان يلقي على أصحابه النسبة يومياً .

ومن كراماته أيضاً : «أن زوجة أحد أصحاب هذاالشيخ قد مرضت ، فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل ، فألح عليه ، فقال له : لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً ، فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر» . (المصدران المذكوران ، وجامع الكرامات : ٢/ ١٢٩ ، وعنها في النقشبندية : ٦٨ ، وقال : «أي مخالفة لهذا الدين أعظم من تلك الفرية العظيمة؟ كيف علم هذا الولي أن المرأة ستموت بعد خمسة عشر يوماً تماماً؟ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً !) .

* والأغرب من ذلك أنه قال : «وللنقشبندية تصرفات عجيبة في جمع الهمة على مراد ، فيكون على وفق الهمة . . . والتصرف في قلوب الناس ، والإشراف على خواطر الناس ، و«ما يختلج في الصدور» وكشف الوقائع المستقبلية ، ودفع البلية النازلة ، وقال قبل ذلك : «ودفع المرض» . (شفاء العليل ترجمة القول الجميل : ص١٠٤ ، وعنه في «النقشبندية» : ٧٠) .

قال الأستاذ الندوي في الشيخ عبد الله الدهلوي ، المعروف بغلام علي : «وكيف قيض الله لنشر طريقته (أي طريقة مرزا مظهر جان جانان) ، بل الطريقة المجددية وتبليغها على النطاق العالمي الواسع خليفته الشيخ غلام علي البتالوى ، الذي يستحق أن يدعي بمجدّد الطريقة المجددية ، بل مجدد علم السلوك والإحسان والتزكية ـ الذي يعرف بعلم التصوف ـ في القرن الثالث عشر» (السرهندي : ٣١٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* خالد الرومي النقشبندي[١] .

* وأحمد سعيد بن أبي سعيد الدهلوي[٢] (١٢١٧ ـ ١٢٧٧هـ) ومن أجلة خلفائه :

* الشيخ عبد السلام الواسطي الهسوي[٣] (١٢٣٤ ـ ١٢٩٩هـ) .

* والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي[٤] (١٢٣٥ ـ ١٢٩٦هـ) ، وتخرج عليه في الحديث :

---

(١) قال الأستاذ الندوي : «قدر الله عز وجل أن تنشر سلسلة الشيخ غلام علي وطريقته ، ويمتد رواقها على العراق والشام وتركيا ، بالشيخ خالد الرومي السهروردي ، أحد الفضلاء الأكراد ، الذي بلغه صيت الشيخ غلام علي وإرشاده وتربيته في بلاده ، فشد رحله في شوق وحنين واضطراب ، وقطع المفاوز والمسافات الشاسعة ، حتى وصل في مّدة عام كامل إلى «دهلي» فألقى رحله زاويته ، ولزمها إلى أن أكرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد التربية والسلوك ، بالإجازة والخلافة . . .»(الإمام السرهندي : ٣١٩ ، ١٦٣) وجعل الأستاذ الندوي خالد النقشبندي أكبر وأفضل من شيخ الإسلام ابن تيمية لأجل هذه الميزة الصوفية (السراج المنير للهلالي : ص ٧٢) .

(٢) هو : أحمد سعيد بن أبي سعيد الفاروقي العمري المجددي ، من أسرة الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي . . . «حصلت له الإجازة من الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي للكتب الستة ، و«الحصن الحصين» و«دلائل الخيرات» و«القول الجميل» وغيرها .
وقرأ على الشيخ غلام علي الدهلوي «رسالةالقشيرية» و«العوارف» و«الإحياء» . . . و«المثنوي المعنوي» للجلال الرومي ، والمكتوبات لجده الشيخ أحمد السرهندي . . . . . وبايعه ، وكان الشيخ المذكور يحبه . . . ويأمره بجمع الحال والقال ، ويتوجه إليه بالهمة الصادقة القوية حتى بلغ رتبة الكمال . . . . له رسائل في الفقه والسلوك . . . . ومنها : «الأنهار الأربعة في شرح الطرق الجشتية ، والقادرية ، والنقشبندية والمجددية . . . .
توفي بالمدينة ـ ومات مهاجراً إليها ـ ، فدفن بالبقيع . . .» (نزهة الخواطر : ٧// ٤١ ـ ٤٢) .
هذا هو الشيخ أحمد سعيد الذي فسر «الأنهار الأربعة» الوارد ذكرها في (سورة محمد : ١٥) بالسلاسل الصوفية الأربع المعروفة بالجشتية والقادرية والنقشبندية والسهروردية . وذكره الأستاذ الندوي بأسلوب الرضا والاستحسان في كتابه «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» تقدم وسيأتي المزيد إن شاء الله .

(٣) تقدمت ترجمته في الباب الأول ، بنقل الأستاذ الندوي ، وكان صاحب «نسبة قوية عالية من أخوال والده السيد عبدالحي . (نزهة الخواطر : ٧// ٢٧٠ ـ ٢٧٢) وتقدم أيضاً جريان لطائفه على السيّد عبدالحي عندما فحص أحد مريدي الشيخ عبدالسلام لأنه كان قوي النسبة» .

(٤) هو : عبدالغني المجددي ، أخو أحمد الصغير ـ ولكنه الكبير منزلة ـ من ذرية الشيخ أحمد بن عبدالأحد =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الشيخ قاسم النانوتوي (١٢٤٨ـ١٢٩٧هـ) ، مؤسس دار العلوم بديوبند . وقد قام بالتعليق على خمسة أجزاء من آخر «صحيح البخاري» ، قال السيد عبد الحي : وكانت تلك الأجزاء عسيرة بما فيه من مقامات أورد فيها البخاري على أبي حنيفة ، فبذل جهده في تصحيح الكتاب ، وتحشيته ، وبالغ في تأييد المذهب حتى استوفى حقه»[١] .

* والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (١٢٤٤ـ١٣٢٣هـ) .

ذكر السيد عبد الحي جهده في تدريس الكتب السته في سنة واحدة ، فقال :

« . . . وكان يقرئ جامع الترمذي أولاً ، ويبذل جهده في تحقيق المتن والإسناد ، ودفع التعارض وترجيح أحد الجانبين ، وتشييد المذهب الحنفي . . .»[٢] .

هكذا كان تأييد المذهب الحنفي وتشييده من أهم أهداف القوم من تدريس الحديث النبوي ، وتأويله ، أوردّه في صالح الحنفية .

ولكن الأستاذ الندوي يعمّم فيقول :

«وتخرج على يديه (أي عبد الغني) أعلام العلماء :كالشيخ الأجل الإمام محمد قاسم الناتونوي ـ مؤسس دار العلوم ديوبند ـ ، والشيخ المحدث الكبير العلامة رشيد أحمد الكنكوهي ، وانتشر به علم الحديث . وأصبحت مدرسة«دار العلوم» بديوبند ، و«مظاهر العلوم» بسهارنفور العظيمتان مركزاً لتدريس الحديث الشريف»[٣] .

* * *

كلاهما (أي الناتونوي والكنكوهي) مع الشيخ أشرف علي التهانوي (ـ

=السرهندي «إمام الطريقة المجددية» «جمع بين تدريس الحديث الشريف ، والترية والتسليك . . . . وتخرج على يده أعلام العلماء . . . .» (الإمام السرهندي :٣٢٣ـ٣٢٤) .

(١) نزهة الخواطر (٧/ ٣٩٢) .

(٢) المصدر المذكور (٨/ ١٤٨ـ١٤٩) .

(٣) الإمام السرهندي (٣٢٣ـ٣٢٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٣٦٢هـ) ـ وهم كبار الديوبندية الأوائل(١) ـ من مريدي الحاج إمداد الله في التصوف ، المصرّح باعتقاده واعتقاد مشايخه وتلاميذه بوحدة الوجود(٢) ، المولع بالمثنوي المعنوي للجلال الرومي ، «تأملاً وتدريساً وتذوقاً وتلقيناً» ، المجدّد «للطريقة الجشتية الصابرية» ، على حد قول الأستاذ الندوي نفسه(٣) .

لقد عرف هؤلاء القوم بهذه العقائد والأعمال ، وسجّلوها في كتبهم ورسائلهم(٤) على وجه الاستحسان والقبول ، وافتخروا بها على غيرهم من الناس .

فما للأستاذ الندوي أن يأتي ويصف «الديوبندية» على رأيه الخاص بقوله :

«وهي عبارة عن أصحاب العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد ، واتباع السنة ، والاجتناب عن البدع»(٥) .

---

(١) تقدم ما لهم وما عيهم ـ باختصار ـ مراراً ، وهم ـ وخاصة هؤلاء الثلاثة الكبار ـ كانوا على مسلك شيخهم الحاج إمداد الله في التصوف ، وكانوا يرون ـ وخاصة النانوتوي ـ حياة النبي صلى الله عليه وسلم «حياة جسمية دينويّة» .

ولأجل هذا ، انقسمت الديوبندية في فرقتين : «حياتية» و«مماتية» .

(٢) بيان وحدة الوجود (١٣٠ ـ ١٣٣) ، والشمائم الإمدادية (٣١ ـ ٣٢) كلاهما لإمداد الله ، وعنهما في «جهود علماء الحنفية» (٢/ /٧٩٤) .

وقد اعترف الشيخ أنور شاه الكاشميري (ـ ١٣٥٢هـ) بأن مشايخنا مولعون بعقيدة وحدة الوجود ، ولكني لست بمتشدد فيها ، (فيض الباري : ٤/ ٤٢٨) .

(٣) زيادته على نزهة الخواطر (٨/ ٧٢) واعتبر الأستاذ الندوي نفسه «المثنوي» للرومي ، «مصدر إيمان جديد ، وإذعان مزيد» كما تقدم .

أما «الطريقة الجشتية الصابرية» فتعارف بعقيدة وحدة الوجود .

كان الخواجه معين الدين الجشتي (ـ ٦٣٣هـ) مؤسس الجشتية في الهند قد اعتكف على قبر الزنجاني والهجويري في لاهور «بإشارة نبوية» ، وكان الخواجه علاء الدين علي الصابر الكليري (ـ ٦٨٩ أو ٦٩٠هـ) مشتغلاً بالترك و«التجريد» ، وهو مؤسس «الجشتية الصابرية» ، وقد حمل لواءها في القرن العاشر الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي (ـ ٩٤٤هـ) ، وتوارثت هذه العقيدة في أولاده وتلامذته . وجددها الحاج إمداد الله التهانوي المكي (ـ ١٣١٧هـ) في القرن الرابع عشر ، كما ذكره الأستاذ الندوي . وقد تقدم آنفاً .

(٤) تقدم ذكرها مراراً .

(٥) «أضواء على الحركات» . . . للندوي (٣٧ ـ ٣٨) تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والحق أن هذا التعريف لا ينطبق على المعرّف به ، إلا أن يراد بالتوحيد «التوحيد الوجودي» أو «الشهودي» ، وبالسنة «السنة الصوفية» ، وبالبدع «بدع الالتزام بالكتاب والسنة» ، وإلا أي بدعة أخطر على هذه الأمة المسكينة من البدع الاعتقادية التي شوّهت جمال الإسلام ، وأودت بأهلها إلى حضيض الشرك ، والإلحاد والزندقة .

هذا هو التأريخ الصوفي وهو يحوي في طياته هذه الحقائق المرة ، التي لا تتغير بأسلوب منمّق ، وكلام معسول .

(٢) الشيخ محمد نقشبند (١٠٣٤ ـ ١١١٤هـ) :

قال الأستاذ الندوي :

«كان الابن الثاني للشيخ محمد معصوم . . الذي اشتهر بحجة الله نقشبند ، استخلفه الشيخ محمد معصوم ، وأجازه ، فانصرف ـ بعد وفاته ـ إلى التربية والإرشاد انصرافاً كلياً .[(١)]

كان من خلفائه :

* الشيخ محمد زبير بن أبي العلاء بن معصوم[(٢)] (ـ١١٥١هـ) ، وعنه ثلاثة مشاهير :

١ ـ الشيخ ضياء الله[(٣)] ، . . . .

(١) الإمام السرهندي (ص ٣١٤) .

(٢) قال السيد عبدالحي :« . . . توفي والده في صغر سنه فتربّى في مهد جدّه ، وأخذ عنه ولازمه زماناً وبشره جده بالقيومية ، ولما توفي جدّه ، تولّى الشياخة مكانه ، وكان كثير الذكر والمراقبة يشتغل بالنفي والإثبات كل يوم أربعة وعشرين ألف مرة وباسم الذات خمسة عشر ألف مرة بحبس النفس ، وكان يصلي صلاة الأوابين بعد صلاة المغرب ثم يشتغل بالنفي والإثبات عشرة آلاف مرة ، ثم يتوجه إلى مريديه من الرجال يلقى عليهم النسبة ، ثم يصلي العشاء ويدخل المنزل ويتوجه إلى من بايعته من النساء فيلقي عليهن النسبة إلى نصف الليل . . .» (نزهة الخواطر : ٦/ ٣٠٨) .

(تنبيه) : تقدم أن جده محمد معصوم أيضاً بشره أبوه الشيخ أحمد السرهندي ، بالقيومية ، حتى خاطبه بعض مريديه بـ «حضرة القيوم» ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(٣)قال الأستاذ الندوي : «كان الشيخ ضياء الله من أجلّة المشايخ ، وصاحب الصلة القوية مع الله ، حتى كان الشيخ غلام علي يقول : من لم يشهد النسبة المجدّدية ، فلينظر إلى الشيخ ضياء الله .»(الإمام =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عنه الشيخ محمد آفاق[1] (١١٦٠ ـ ١٢٥١هـ) ، عنه الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي[2] (١٢٠٨هـ ـ ١٣١٣هـ) الذي هو شيخ كبار أعضاء «ندوة العلماء» الأوائل في التصوف .[3]

٢ ـ والشيخ محمد ناصر عندليب[4] (ـ١١٧٢هـ) ، الذي خلفه ابنه الشاعر العارف «ميردرد» الدهلوي[5] .

٣ ـ والشيخ عبدالعدل ، الذي كان من خلفائه : الشيخ عبدالقادر[6] بن ولي الله

=السرهندي : ٣١٤ ـ ٣١٥) .

(١) هو : محمد آفاق بن إحسان الله العمري النقشبندي الدهلوي (١١٦٠ ـ ١٢٥١هـ) ، وفي «الإمام السرهندي» ١١٠٦ ـ ١١٥١هـ ، وهو خطأ) ، من ذرية الشخ أحمد السرهندي ، وكان مرزوق القبول ، سافر إلى أفغانستان ، فبايعه زمان شاه ملك «كابل» وخلق كثير» . (نزهة الخواطر : ٧/ ٤٣٣ ، والإمام السرهندي : ص ٣١٥) .

(٢) تقدمت ترجمته ، وسيأتي عنه المزيد إن شاء الله ، قال السيد عبدالحي : «وأما كشوفه وكراماته فلا تسأل عن ذلك ! فإنها بلغت حد التواتر ، وإني ما وجدت في الأولياء السابقين من يكون مثله غير الشيخ عبدالقادر الجيلاني» . (نزهة الخواطر : ٨/ ٣٦٤) . تقدم في ترجمة الجيلاني قول الذهبي وابن كثير ـ رحمهما الله ـ في كشوفه ، وكراماته بأن بعضها محال ، وأكثره مبالغ فيها ، ألف الأستاذ الندوي في سيرته كتاباً أسماه «تذكرة الشيخ فضل رحمن» ، (بالأردية) ، وكتب في سيرته فصلاً في كتابه «ربانية لا رهبانية» (بالعربية) .

(٣) تقدم بشيء من التفصيل عن نقل الأستاذ الندوي نفسه في «الباب الأوّل» .

(٤) هو : الخواجه محمد ناصر الملقب بعندليب النقشبندي الدهلوي (ـ١١٧٢هـ) من ذرية الشيخ بهاء الدين محمد نقشبند (مؤسس النقشبندية) والحسن العسكري قال ولده الخواجه «مير» في علم الكتاب : «إن والدي اعتزل عن الناس مرة في حجرته ، فلم يخرج عليهم سبعة أيام ولم يتكلم ولم يطعم شيئاً ، فظهر عليه روحانية السبط الأكبر الإمام حسن بن علي ـ عليه وعلى أبيه وجده السلام ـ فألقى عليه النسبة الجديدة ، لم يرض ـ عليه السلام ـ أن تنتسب تلك النسبة إليه ، فسماها «الطريقة المحمدية الخالصة» .

وله ديوان الشعر الفارسي ، «وناله عندليب» كتاب بسيط في مجلدين بالفارسي ، أودع فيه حقائقه ومعارفه . . .» (نزهة الخواطر : ٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .

(٥) هو معروف باسم «خواجه ميردرد» الدهلوي ، وهو شاعر أرد والكبير ، صاحب مدرسة خاصة في الشعر . (نزهة الخواطر : ٧/ ٤٧٧ تعليقاً) .

(٦) هو : الشاه عبدالقادر بن ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي (ـ١٢٣٠هـ) ، أول مترجم لمعاني القرآن =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدهلوي (ـ١٢٣٠هـ)[١] .

* السلسلة الأحسنية ومشايخها الكبار :

قال الأستاذ الندوي :

«وبالرغم أن الشيخ السيد آدم البنوري[٢] من المنتمين إلى طريقة الإمام السرهندي ، وتلقى التربية في أحضانه ، كان مؤسس طريقة جانبية ، تسمّى من خصائصها الاجتهادية بالطريقة الأحسنية ، وكان من مظاهر حكمة الله ـ عز وجل ـ وقدرته أن حظيت هذه الطريقة العالية التي أسست بيد رجل أمي بكثير من العلماء النابغين . . .»[٣] .

من خلفائه :

* ديوان خواجه أحمد النصير آبادي[٤] (ـ١٠٨٨هـ) .

* والشيخ بايزيد النقشبندي القصوري[٥] (ـ١٠٩٠هـ) .

=الكريم بالأردية لسان مسلمي الهند . (الإمام السرهندي : ٣١٤) .

وقال السيد عبدالحي : «من أعظم ما منّ الله سبحانه عليه أنه وفق لترجمة القرآن الكريم وتفسيره في لغة أهل الهند فداعتني بها العلماء واتفقوا على أنه معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله سلم . . .» (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) .

(١) الإمام السرهندي (٣٠٨ ـ ٣٢٥) .

(٢) تقدّمت ترجمته آنفاً .

(٣) الإمام السرهندي (٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(٤) هو أحمد بن إسحاق الحسني (ـ١٠٨٨هـ) . . . أخذ عن الشيخ محب الله الإله آبادي [(٩٩٦ ـ ١٠٥٨هـ) له مصنفات في الحقائق والمعارف ، وله مواجيد خاصة في «التوحيد» ، وأسلوب بديع في شرح أقوال ابن عربي لذا افترق الناس فيه إلى محسن ومسيء ، منهم من يقول : إنه كان عارفاً كبيراً ، ومنهم من يقول : إنه وقع في أودية الزندقة والإلحاد» (نزهة الخواطر : ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥)] ولازمه مدة من الزمان . . . ثم أخذته الجذبة الربانية ، فسار نحو الشيخ آدم البنوري ، ونال منه الخلافة .

توفي سنة (ـ١٠٨٨هـ) بنصير آباد ، فدفن بفناء مسجده . . .» (نزهة الخواطر : ٥ــ٣٩) .

(٥) هو : الشيخ بايزيد النقشبندي (ـ١٠٩٠هـ) أحد رجال العلم والطريقة ، أخذ عن البنوري وكان شديدالحسبة على الناس . . .» (نزهة الخواطر : ٥/ ٩٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* والشيخ فتح الله السهارنفوري[1] (ـ١١٠٠هـ) .

* والشيخ سعد الله البلخاري اللاهوري[2] (ـ١١٠٨هـ) .

ولكن انتشرت هذه الطريقة بالأعلام الأربعة . . . . وهم :

١ ـ الشيخ سلطان البلياوي .

٢ ـ والشيخ محمد شريف الشاه آبادي .

٣ ـ والسيد علم الله الحسني (١٠٢٣ ـ ١٠٩٦هـ) .

«قال الشيخ آدم البنوري له عند توديعه : «سر على بركة الله ، وتصدَّ للتربية والإرشاد بجمعية القلب ، وطمأنينة البال ، فإنك ستكون بين مشايخ ولاية «أوده» كالشمس بين النجوم» .

«واستمرت هذه الطريقة الأحسنية في أسرته . . .»[3] .

٤ ـ السيد عبدالله الأكبرآبادي .[4] وخليفته :

* الشيخ عبدالرحيم الفاروقي[5] (ـ١١٣١هـ) والد الإمام ولي الله

(١) هو : «فتح الله بن جميل الدين الأنصاري (ـ ١١٠٠هـ) ، أخذ الطريقة عن البنوري ، وكان شديدالحسبة على الناس ، وكان يبذل كل ما يحصل له على طلبة العلم . (نزهة الخواطر : ٥/ ٣١٣) .

(٢) «سعد الله» ، كذا في (الإمام السرهندي : ص ٣٢٦) ، أما في نزهة الخواطر (٦/ ١٠٠) فسعدي البلخاري اللاهوري ، كان في الثامنة من سنه إذ لقي الشيخ آدم البنوري ولازمه . . . مات سنة ثمان ومائة وألف في عهد «عالمكير» .

(٣) الإمام السرهندي (ص٣٢٦ ـ ٣٢٨) . وهي أسرة الأستاذ الندوي ، كما تقدّم .

(٤) المصدرالمذكور (ص٣٢٩) .

(٥) هو الشيخ عبدالرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي (ـ١١٣١هـ) والد الشيخ ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي (ـ١١٧٦هـ) ، وكان الشيخ عبدالرحيم من كبار المشايخ النقشبندية ، أخذ الطريقة عن السيد عبدالله الأكبر آبادي . . . وحصلت له الخرقة الجشتية عن الشيخ عظمة الله بن عبداللطيف الأكبر آبادي . فصار غرة زاهرة في جبين المعالي ، وحسنة من حسنات الأيام والليالي . . . إنه كان من وجوه مشايخ دهلي . . . وكان له حظ وافر من الأويسيّة .» (نزهة الخواطر : ٦/ ١٤٦ ـ ١٤٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدهلوي[(١)] (ـ١١٧٦هـ) .

وينتمي إلى هذه الطريقة الأحسنية المجددية في سلسلة ولي الله الدهلوي وابنه عبدالعزيز الدهلوي[(٢)] (ـ١٢٣٩هـ) :

* الإمام أحمد بن عرفان[(٣)] (ـ١٢٤٦هـ) ، وعن طريقه :

---

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله .

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ) صاحب تفسير القرآن «المسمى بفتح العزيز» و«تحفة الاثنى عشرية» وغيرهما من الكتب في فنون مختلفة . (نزهة الخواطر : ٧/ ٢٧٥ ـ ٢٨٣) .

(٣) هو : الشيخ المجاهد أحمد بن عرفان الحسني البريلوي (١٢٠١ ـ ١٢٤٦هـ) ، ولد في زاوية جده السيد علم الله النقشبندي البريلوي (محل أسرة الأستاذ الندوي) . . . بايع الشيخ عبدالعزيز ، وأخذ عنه الطريقة حتى نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة ، وفاق الأقران . . . وكان ذلك في سنة ١٢٢٢هـ ، ثم غلب عليه شوق الجهاد في سبيل الله . . . وأول من دخل في بيعته الشيخ عبدالحي بن هبة الله البدهانوي والشيخ إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي وقتل في معركة «بالاكوت» ضدّ السيخ مع كثير من أصحابه وعلى رأسهم الشيخ إسماعيل الدهلوي سنة ست وأربعين ومائتين وألف . .

وقد تفرَّق الناس فيه ، فمنهم من يقول : إنه نال درجة الشهادة ، ومنهم من يقول : إنه غاب وسيخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، «وللناس فيما يعشقون مذاهب» .

وقد صنف كثير من أصحابه كتباً مبسوطة في حالاته ومقاماته ، ومنها «الصراط المستقيم» بالفارسية إملاؤه على الشيخ إسماعيل والشيخ عبدالحي البدهانوي كليهما . . .» (نزهة الخواطر : ٧/ ٢٨ ـ ٣٢)

في «الصراط المستقيم» صوفيات كثيرة تخالف عقائد الكتاب والسنة ، مع أن الشيخ إسماعيل الدهلوي كان أقرب من غيره إلى مذهب المحدثين الذي قرّره جده ولي الله الدهلوي في كتبه ، ولكنه في باب التصوف قارب غيره في المخالفات خاصة في كتبة الأولى ، أما في الأخيرة فخفّت عليه وطأة التصوف على ما يبدو . والله اعلم .

فثناؤنا على هؤلاء نظراً إلى أنهم شقوا الطريق ـ في ذلك العصر المتعصب المتزمت ـ إلى العمل بالكتاب والسنة ، لا لأنهم قرروا بعض الصوفيات في كتبهم ، وما أحكم وأحسن قول الأستاذ مسعود الندوي في الشاه ولي الله الدهلوي : «نحن نعرف ولي الله المحدث الفقيه . . . أما ولي الله المتصوف الفلسفي فلا صلة لنا به» (تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، وعنه في «دعوة شيخ الإسلام : ١٠/ ٣٣ ـ ٣٤ المقدمة) .

هذا ، وقال الأستاذ الندوي :

«إن أعلام مشايخ «ديوبند» ، و«صادق بور» . . . ينتمون إلى الطريقة المجددية النقشبندية ، وحصلوا على الإجازة والخلافة فيها عن طريق الإمام أحمد بن عرفان الشهيد . . . . وحقّ لمن انتمى إليه ـ مباشرة أو بواسطة ـ أن يقول في ثقة واعتزاز : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الحاج عبدالرحيم الولايتي[1] (ـ١٢٤٦هـ) .

* والشيخ نور محمد الجهنجهانوي[2] (ـ١٢٥٩هـ) وعن طريقه :

*** الحاج إمداد الله[3] (ـ١٣١٧هـ) ، وخلفاؤه :**

* الشيخ محمد قاسم النانوتوي[4] (ـ١٢٩٧هـ) مؤسس «دار العلوم» بديوبند .

* والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[5] (ـ١٣٢٣هـ) .

=أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع .

(١) هو : الشيخ المعمر عبدالرحيم الأفغاني (ـ١٢٤٦هـ) أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ رحمة علي القميصي ، والطريقة الجشتية عن الشيخ عبدالباري الأمروهوى ، لقي الإمام أحمد بن عرفان ، وبايعه على الجهاد ، وسافر معه إلى بلاد الثغور الهندية ، فاستشهد بها» (نزهة الخواطر : ٧/ ٢٦٧) .

(٢) هو : «نور محمد الجشتي (ـ١٢٥٩هـ) أخذ الجشتية عن الشيخ عبدالرحيم الأفغاني . . . وسافر إلى بلاد الثغور معه ، وأخذ عن الإمام أحمد بن عرفان البريلوي وبايعه ثم رجع بأمره إلى الهند ، أخذ عنه الشيخ الكبير شيخنا إمداد الله التهانوي المهاجر إلى مكة المكرمة ، وخلق آخرون . . .» (نزهة الخواطر : ٧/ ٥٣٣) .

(٣) الحاج إمداد الله (ـ١٣١٧هـ) تقدمت ترجمته ، ذكر الأستاذ الندوي بأنه «جدّد الطريقة الجشتية الصابرية» ، وكان يرى عقيدة وحدة الوجود ، ويقول : هذه عقيدتي وعقيدة مشايخي وتلامذتي جميعاً ، وأشهر تلامذته هو : النانوتوي والكنكوهي ، والتهانوي من الديوبندية . (نزهة الخواطر : ٨/ ٧١ ـ ٧٢) .

(٤) هو : الشيخ محمد قاسم بن أسد علي النانوتوي (١٢٤٨ ـ ١٢٩٧هـ) . كان يرى حياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة جسمية دنيوية في قبره ، قال الشيخ مناظر أحسن كيلاني . .» إن الشيخ النانوتوي شكا إلى مرشده الحاج إمداد الله . فقال : كلما وضعت السبحة في يدي ابتليت بمصيبة ، وبلغ الثقل بحيث كأنه وضع عليّ أحد صخرات ، وكأن وزن كل صخرة المئات من المنّ ، ووقف اللسان والقلب . فقال الحاج إمداد الله : إن هذا فيضان النبوة على قلبك ، وهذا هو الثقل الذي كان يحسّه النبي صلى الله عليه وسلم وقت الوحي ، فيستخدمك الله لعمل كان يفعله الأنبياء» («سوانح قاسمي» : ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، والديوبندية : ١٨٣ ـ ١٨٤) .

قال فيه الأستاذ الندوي : «الشيخ الإمام العالم الكبير محمد قاسم الصديقي ، أحد العلماء الربانيين . . . وهو جدير بأن يعتبر من أركان النهضة التعليمية الدينية السنية الإصلاحية على الطراز القديم» (أضواء : ٢٦ ـ ٢٧ ، ونزهة الخواطر : ٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٣) .

(٥) هو : الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (ـ١٣٢٣هـ) وكان على رأي شيخه في التصوف ، قال : « . . . لقد بقيت صورة الشيخ إمداد الله ثابتة في قلبي ثلاث سنوات كاملة ، ما عملت عملاً إلا بإذن =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* والشيخ أشرف على التهانوي[1] (ـ١٣٦٢هـ) .

ثم عن طريق الكنكوهي :

* الشيخ محمود حسن الديوبندي[2] . (ـ١٣٣٩هـ) .

* والشيخ عبدالرحيم الراى بوري[3]

=منه . . .» («أرواح ثلاثة» للتهانوي : ٣٥٨ ، والديوبندية : ٤٩) .

وذكر الأستاذ الندوي أن الكنكوهي كان آية باهرة ونعمة ظاهرة في التقوي واتباع السنة ، والعمل والعزيمة والاستقامة على الشريعة ، ورفض البدع ومحدثات الأمور . . .» (نزهة الخواطر : ٨/ ٤٨ ـ ١٥٢ ، وأضواء : ٢٧) .

(١) هو : الشيخ أشرف علي بن عبدالحق التهانوي (١٢٨٠ ـ ١٣٦٢هـ) كان على رأي شيخه في التصوف .

قال : «كنت على صلة وارتباط مع الشيخ إمداد الله ، وكان هو بمكة وأنا في الهند ، فما قمت ولا قعدت إلا بإذن منه ، ثم كنت على صلة مثلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» (إمداد المشتاق للتهانوي : ص ١٩٩ ، والديوبندية : ص ٥٠) .

وكان مولعاً بالمثنوي للرومي مثل شيخه ، كثير الإنشاد لأشعاره في المواعظ والمجالس .

قال الأستاذ الندوي : «ويلحق بهؤلاء الأعلام من المشرفين على مدرسة ديوبند والمنتمين إليها : المصلح الكبير والمربي الجليل الشيخ أشرف علي التهانوي . . . وقد كان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم . . .» (نزهةالخواطر : ٨/ ٥٧ ، وأضواء : ٢٨) .

(٢) هو : الشيخ محمود حسن المعروف بشيخ الهند (ـ١٣٣٩هـ) ، كان شديد التعصب للمذهب الحنفي ، حرّف آية وحديثاً وترجمة باب في سنن أبي داود ، في تأييد المذهب . أما تحريفه الآية فصححوه الآن في الطبعةالمتأخرة من الكتاب ، بعد التنبيه المتكرر من العلماء على ذلك .

وأما تحريفه في حديث «عشرين ليلة» إلى «عشرين ركعة» فهو الآن كما كان ، وكذلك تحريفه في «ترجمة باب» في سنن أبي داود (نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود) للشيخ سلطان محمود ، وجماعة التبليغ : للقائد محمد أسلم(١٨ ـ ١٩) وزوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً : ٣٢٨ ـ ٣٣١) .

أما في باب الاعتقاد فإنه يرى الاستغاثة بالميت ، وحضوره لمساعدة من يعتقد فيه («سوانح قاسمي» : ١/ ٣٣١ ، وعنه في الديوبندية : ص ٨٠) .

قال فيه الأستاذ الندوي : « . . . قد انتهت إليه الإمامة في العصر الأخير في البغض لأعداء الإسلام ، والشدة عليهم . . كثير الأدب مع المحدثين ، والأئمة المجتهدين . . له تعليقات لطيفة على سنن أبي داود . . .» (زيادته على نزهة الخواطر : ٨/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) .

(٣) قال الشيخ أشرف علي التهانوي : « . . . إن قلب الشاه عبدالرحيم الرايفوري كان نورانياً جداً ، فكنت أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي» (أرواح ثلاثة : ص ٤٢٢ ، والديوبندية : ١٥٢) وهو شيخ الشيخ عبدالقادر الراي فوري الذي هو مرشد الأستاذ الندوي . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* والشيخ خليل أحمد السهارنفوري[1] (ـ١٣٤٦هـ) صاحب «بذل المجهود» و«المهند على المفند» .

* والسيد حسين أحمد المدني[2] (ـ١٣٧٧هـ) صاحب «الشهاب الثاقب» .

ومن خلفاء عبدالرحيم الرائي بوري :

* الشيخ عبدالقادر الراى بوري[3] .

ومن خلفاء الشيخ خليل أحمد السهانفوري :

* الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي[4] (ـ١٣٦٣هـ) مؤسس «جماعة التبليغ» .

---

(١) كان السهارنفوري يرى حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره حياة دنيوية بلا تكليف ، وهو الذي جلس مراقباً على قبر الخواجه معين الدين الجشتي ، فلم يعرف ما جرى حوله ، ويرى تأويل صفة الاستواء ، والاشتغال بشغل الصوفية من الذكر والفكر والفناء الكلي فيه ، والتوسل بالنبي والأولياء» ويرى ترك التقليد زندقة إلى غير ذلك . (المهنّد على المفند ، والديوبندية : ٥٧ ، ١٣١ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٦١) .

قال فيه الأستاذ الندوي : «الشيخ الكبير ، العالم الفقيه ، أحد العلماء الصالحين ، وكبار الفقهاء المحدثين . . . نبغت بتربيته جماعة من أهل التربية والإرشاد . . . من أجلّهم المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس [مؤسس جماعة التبليغ] . . . والمحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي . . . وكان شديد الاتباع للسنة ، والنفور من البدعة . . .» (أضواء على الحركات : ٣٣ـ٣٦)

(٢) كان الشيخ حسين أحمد المدني ، يرى مخاطبة الأرواح وكشف القبور (نقش الحياة : ٤٧٢) والتوسل وشد الرحال ، والاستغاثة ، وغيرها (الديوبندية : ١٢٢ـ٢١٨ ، ٢٢٥) وكتابه «الشهاب» في الرد على الوهابية والبريلوية) .

قال فيه الأستاذ الندوي :

«الشيخ العالم الصالح المحدّث . . . (١٢٩٦ـ١٣٧٧هـ) ، وكان في آخر عمره ، غلبت عليه الحمية الدينية والغيرة للشرع والسنة النبوية فكان لا يتحمل تفريطاً فيها يشدّد الإنكار على من خالف السنة ، أو استخف بشعائر الإسلام» (أضواء : ٢٩ ـ ٣٢) وذكره الأستاذ الندوي في كتابه «شيخصات وكتب» (٢٣ ـ ٣٠) وهو كتاب يحتوي على تراجم أهم الشخصيات والكتب التي تأثر بها الأستاذ .

(٣) وهو مرشد الأستاذ الندوي في التصوف ، وقد ألف في سيرته كتاباً مستقلاً ، ذكر فيه فصلاً كاملاً في إشرافه على الخواطر وكشفه القلوب .

وذكر ترجمته أيضاً في كتابه «شخصيات وكتب» (٣١ ـ ٤٠) ، وسيأتي عنه المزيد في موضعه إن شاء الله تعالى .

(٤) قال الأستاذ محمد الثاني الحسني : «إن الشيخ محمد إلياس كان يجلس في أكثر الأحيان خلف قبر عبدالقدوس الكنكوهي ـ رئيس الطريقة الجشتية الصابرية ـ [وحامل لواء وحدة الوجود في القرن

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العاشر] وكان يجلس في الخلوة قرب قبر نورسعيد البدايوني، ويصلي بالجماعة هناك» (سيرة محمد يوسف: ١٣٥، وعنها في «الديوبندية»: ص١٣٢).

قال سردار محمد الباكستاني: «... وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ في ذلك الوقت قريباً من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس في محلة نظام الدين في مقر الجماعة بدهلي، فكنا نجلس حول قبره وقتاً طويلاً في حالة المراقبة، ساتري الرؤوس».

قال: «وكان الشيخ محمد يوسف يقول: إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به.

وكذلك كنا نجلس أيضاً على قبر الشيخ عبدالرحيم الراى فوري في هيئة المراقبة.

وكان الشيخ محمد يوسف يجلس مراقباً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم عدة ساعات خلال إقامته في المدينة المنورة». (القول البليلغ: ٦٥ـ٦٦، والديوبندية: ١٣٢ـ١٣٣).

وقال العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي: «.. هذا يسمى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف «استمداداً»... وقال: «وقد أخبرني الثقات أن علياً أبا الحسن الندوي، كان يجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع، لا يتكلم ساعتين أو أكثر، فاستغربت هذا الأمر، وفهمت أنه «استمداد»، ولم أكن أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه الله خيراً» (السراج المنير للهلالي: ص ٧٦، والديوبندية: ١٣٣ـ ١٣٤).

معلوم أن العلامة الهلالي هو شيخ الأستاذ الندوي درّسه في «دار العلوم» بندوة العلماء.

ويرميه الأستاذ بالشدة في السلفية، (راجع ترجمته في «المصابيح القديمة» للندوي بالأردية).

هذا، وقد ذكر الأستاذ الندوي أول ترجمة للشيخ محمد إلياس الدهلوي (ـ١٣٦٣هـ) منشئ جماعة التبليغ في كتابه «شخصيات وكتب» (١٥ ـ ٢١) وهو كتاب يحتوي على شخصيات وكتب أثرت في تكوين شخصيته، كما تقدم.

قال الأستاذ الندوي ـ وهو يذكر شغف الأستاذ حسن البنا بدعوته وأثره العميق في أصحابه ـ:

«وكان من هذا القليل النادر الشيخ محمد إلياس الدهلوي... ونجله وخليفته الشيخ محمد يوسف، فقد كانا مثالين فذّين في هاتين الناحيتين كلتيهما.» (شخصيات وكتب: ص ٩١، ومذكرات الدعوة والداعية: ٩ ـ مقدمة الندوي).

(١) هو الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي (ـ١٤٠٢هـ)، وهو من أنجب تلامذة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري والمتخرجين عليه وأشهرهم. (أضواء للندوي: ص ٣٦ـ ٣٧).

وهو صاحب «تبليغي نصاب» الذي تتمسك به جماعة التبليغ في دعوتها في شبه القارة الهندية، وهو مع وجود الآيات والأحاديث الصحيحة ـ مليء بسيل من الضعاف والموضوعات والغرائب والمنكرات، والأعاجيب من القصص والحكايات المنسوبة إلى الأولياء والصالحين. (راجع في الرد =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كلهم أصحاب الإجازة والخلافة في هذه الطريقة [أي الأحسنية ، أو

=عليه : «جماعة التبليغ وعقائدها» للقائد محمد أسلم ، والقول البليغ في الرد على جماعة التبليغ للشيخ التويجري ، والسراج المنير للهلالي ، وتبليغي نصاب : دراسة نقدية ، لتابش مهدي ، وجماعة التبليغ في مرآة «نصابه» (أي منهجه) لمحمد قاسم خواجه ، وزوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً (٤٠٥ ـ ٤٢٣) .

وأما أقوال الشيخ زكريا في الحقائق المعارف فكثيرة ، منها :

* «أريد أن أسجل هنا قصتين لأكابرنا كنموذج ، إحداهما رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرة الكنكوهي ، قدس سره ، التي كتبها إلى شيخه شيخ العرب والعجم الحاج إمداد الله أعلى الله مرتبته ، وهي «مطبوعة في مكاتيب رشيدية» أيضاً ، يقول : «إن إطالة الكلام إساءة أدب ، اللهم اغفر ، فإنما كتب بأمر الشيخ ، ، أنا كذاب ، أنا لا شيء ، لا ظل إلا ظلك ، ولا وجود إلا وجودك ، من أنا؟ لا شيء ، وما أنا هو أنت ، وتفريق أنا وأنت هو في شرح محض ، استغفر الله استغفر الله ، استغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، (فضائل الصدقات» للشيخ زكريا : ص ٥٥٦) .

* وقال في كتابه : «تبليغي نصاب» :

«إن الحق سبحان منبع في الواقع لكل حسن وجمال ، والحق أنه لا يوجد في الكون جمال سواه» . (تبليغي نصاب : ٣٠٠٠ «فضائل القرآن)

* وقال بيتاً في أبي منصور الحلاج المصلوب ـ الداعي المعروف إلى عقيدةوحة الوجود ـ ما معناه :

«إنما صلب أبو منصور لتركه التأدب مع الله ، فقوله «أنا الحق» كان حقاً ، إلا أن فيه لفظاً يؤدي إلى إساءة أدب» (الولي الكامل للمفتي عزيز الرحمن الديوبندي : ص ٢٤٩) .

* هذا ، وقد قال صوفي إقبال : «وهو من أخص أصحاب الشيخ محمد زكريا ـ بيتاً يمدح به الشيخ محمد زكريا ويذكر منّه على طائفته ، ما معناه :

«من الذي أوقفنا على سر الوحدة (وحدة الوجود) حيث بيّن لنا أن العشق والمعشوق والعاشق كلها شيء واحد» («محبت» : ص ٧٠ ، الديوبندية : ٣٦ : ٣٧) .

هذا ، وقد ذكره الأستاذ الندوي في «شخصيات وكتب» (٤١ ـ ٥٤) ، وألف في سيرته كتاباً مستقلاً ، ذكر فيه أنه زار ذات مرة قبر الشيخ الراي فوري ، ليختم القرآن عنده ، لأنه كان يحبّ أن يسمعه منه ، وكان الجو في غاية من الحرارة حينئذ ، فتغير الجو أيام اعتكافه على قبره . . . وهو يقول :

«كان الشيخ ـ نوّر الله مرقده ـ يتفكر دائماً في راحة هذا المذنب (أي زكريا) في حياته ، وقد ظهر هذا الآن أيضاً ، من حيث إن ثلاثة أيام في «دهديان» صارت كأيام «منصوري» ، و«جكروته» ، وكنت أضطر إلى أن ارتدي في الليل وفي نصف النهار أيضاً كنت أتمتع بالهواء العليل .» (سيرة الشيخ زكريا للندوي : ٩٢ ـ ٩٣ باختصار) ، وراجع مبحث «التصرف والتأثير» في باب «الصوفيات» تجد فيه وقائع أخرى من هذا النوع من نقل الأستاذ الندوي ، وإليكم مثالا منها :

* ذكر الأستاذ الندوي هدوء جو «راي فور» (محل مرشده الشيخ عبدالقادر الراي فوري) .

فقال : « . . . وكان يرى أهل النظر والبصيرة أن ذلك الهدوء نسبة سكينة حضرات النقشبنديين التي تسود البيئة كلها . . .» («سيرة الشيخ عبدالقادر الراي فوري» للندوي : ص ١٢٢) والعجيب أن =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«الآدمية»] . . .»(١) .

=الأستاذ الندوي لم يذكر في كتابه «سيرة الشيخ محمد زكريا الكاندهوي» شيئاً خاصاً بتصوفاته ، بل أحال إلى الكتب التي ألفت فيها .

وإليكم نبذة من تصوّفات الشيخ زكريا من أحد هذه الكتب :

ألف المدعو محمد إقبال (أحد مريديه) رسالة أسماها (بهجة القلوب في مبشرات النبي المحبوب صلى الله عليه وسلم) ، وذكر فيها أربعين بشارة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقطب العالم شيخ الحديث مولانا محمد زكريا دامت بركاتهم» (كذا) بطريق المكاشفة .

ذكر مؤلف الرسالة «أن الشيخ لم يكن يخرج من المدينة إلى البلاد الأخرى للدعوة والتبليغ بإصرار من أحد ، أو برضا عن نفسه ، بل على إشارة الإذن من الروضة المقدسة . .»(٣٨ ـ ٣٩) .

وطريقة الاستئذان من (الروضة المقدسة) ـ كما هي مذكورة في البشارات ـ أن الشيخ بنفسه كان يستأذن من النبي صلى الله عليه وسلم أو كان يرسل أحد مريديه إلى الروضة المقدسة ليبلغ سلامه إلى صاحبها صلى الله عليه وسلم ، ويستأذن منه لخروجه في السفر . فكان يحصل له إشارة الإذن أو المنع عن طريق المكاشفة ، ثم كان الشيخ يبني سفره عليها أو يلغيه .

وفي هذه البشارات والإشارات من البدع والشركيات ما الله به عليم . وهاكم بعضها :

١ ـ مبشرات فيصل آباد (باكستان) :

(٢ / جمادى الأول ١٤١٠ ، ٢٧ مارس ١٩٨٠م) قدم أحد مريديه اليوم بعد الصلاة والسلام على الروضة المقدسة طلباً من قِبل الشيخ إليها يشمل الدعاء لصحته ، وتعيين المكان لقضاء شهر رمضان المبارك ، والتوجّه إليه .

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم .

فعرض عليه المريد المذكور هذا الطلب مرة أخرى . وقال أيضاً بأن قلبه (أي قلب الشيخ) يميل إلى باكستان .

فقال صلى الله عليه وسلم : من الله جاء ذلك في القلب .

فقال المريد المذكور : يراد شيء منك أيضاً .

فكأنه صلى الله عليه وسلم بدأ يدعو له ، وتوجه إليه وقتاً طويلاً ثم قال :

«رحلة الخير الكثير إلى باكستان إن شاء الله . . .» (بهجة القلوب ص ١٥٠) .

٢ ـ الهند بعيد (كذا) (٢٩/ جمادى الآخر ١٣٩٧هـ) اليوم بعد المغرب استأذن أحد المشايخ من النبي صلى الله عليه وسلم لذهاب الشيخ إلى الهند . فأشير عليه كل مرة «الهند بعيد ، الهند بعيد» (كذا) (بهجة القلوب ص ٤٢) .

٣ ـ بين أحد المشايخ مكاشفته الطويلة التي رأى فيها إنعامات وألطاف خاصّة على الشيخ . فتخيل له أن الشيخ قطب زمانه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أي شيء القطب؟ وهو قطب الأقطاب» . (بهجة القلوب ص ٦٣) . . . . هذا هو الشيخ محمد زكريا مؤلف «تبليغي نصاب» والموجه الروحي لجماعة التبليغ؟

(١) الإمام السرهندي (٣٢٥ ـ ٣٣٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* اعتراف بالفضل :

كان الشيخ أحمد بن عبدالأحد العمري ، المعروف بمجدد الألف الثاني (٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ) :

* ماتريدياً في العقيدة .

* حنيفياً في الفقه .

* نقشبندياً في التصوف ، مؤسساً للطريقة النقشبندية المجددية ، وقد تفرعت عنها طرق أخرى ، مثل «الطريقةالمجددية المعصومية» ، و«الطريقة المجددية الأحسنية» أو «الآدمية» .

وقدّم فكرة «وحدة الشهود» إزاء «وحدة الوجود» ، وقد تقدّم ما لهما وما عليهما .

مع هذا كله ، قام في عصره بخدمات جليلة كثيرة منها :

* إنه رد على الروافض ، وحذر العامة والخاصة منهم .

* وأحيا كثيراً من معالم الإسلام التي اندرست ، أو كادت تندرس بتصرفات السلاطين الجهلة بأمور الدين ، وتغاضي العلماء والقضاة عنها .

* ورد على التفريق بين «البدعة الحسنة» و«البدعة السيئة» في الأعمال وذهب إلى أن «كل بدعة ضلالة» .

وأما الاعتقادات ، فقد وقع فيها فيما حذر منه في باب الأعمال من البدع وما تقدم يكفي للتدليل .

فالبداية في التجديد من التمسك بالكتاب والسنة عقيدة وعملاً ، ومنهجاً وسلوكاً ، وتجديد العهد مع الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بربوبيته ، وبأسمائه وصفاته كما جاءت ، ليعرف العبد ربه الذي يعبده ، وخاصة في تلك البلاد التي هي أحوج بلاد الله تعالى إلى مثل هذه الركائز الإيمانية الصلبة إزاء الشرك والوثنية ، والكفر والإلحاد .

هذا هو المنطلق الإسلامي المرسوم للدعوة والعزيمة ، والتجديد والإصلاح ، ومن هنا نبدأ معاً للعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فالعقيدة أولاً ، وقبل كل شيء .

﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر : ١-٣] .

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإمام أحمد بن عبدالرحيم
المعروف بولي الله الدهلوي
(١١١٤ ـ ١١٧٦هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإمام أحمد بن عبدالرحيم
المعروف بولي الله الدهلوي
(١١١٤ ـ ١١٧٦هـ)

* **عصره وبيئته :**

ذكر الأستاذ الندوي وضع العالم الإسلامي العلمي والديني ، والخلقي والاجتماعي ، ثم قال :

«كان العالم الإسلامي رغم كل ذلك يعاني من الجمود ، والانحطاط ، وقد تسربت الأدواء إلى الأخلاق والاجتماع وقبل المسلمون كثيراً من العادات والشعائر والتقاليد العجمية غير الإسلامية وكانت طبقات أخرى تهيم في الأوهام والخرافات ، وكانت تتراءى نماذج عبادة القبور وتقديس الأولياء ، وتعظيمهم إلى حد التأليه وتعدى حدود التوحيد ، حتى ظهرت مظاهر الشرك الجلي في بعض المواضع»(١) .

* ثم قال :

«سوف لا يكون خطأ ولا غير لائق بالمكان أن ننقل شيئاً من هذا التصوير بدون أن نتحمل مسؤولية صحته مائة في المائة(٢) . يقول المؤلف الأمريكي [الدكتور لوتروب استودرد] في كتابه الشهير : «حاضر العالم الإسلامي» :

«في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمق دركة ، فأربد جوّه ، وطبقت الظلمة كل صقع من

---

(١) الإمام الدهلوي (٣٢ـ٣٣) .

(٢) ليس ما يذكره الأستاذ الندوي الآن ، أسوأ ، ولا أبشع ، ولا أشنع مما ذكره المؤرخ عبد الرحمن بن الحسين الجبرتي المصري (١١٦٧ ـ ١٢٣٧هـ) في «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ، من وصف «مولد العفيفي» ، الذي ينبو عنه السمع ، ويشمئز منه الطبع ، ويتقطع عليه القلب حزناً وأسى ، فإنه قال :
«ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي ، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقرادين =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أصقاعه ، ورجأ من أرجائه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي» .

«واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركية وأواخر ملوك المغول في الهند ، يحكمون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب «الرسالة» الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء» .(١)

* ذكر الأستاذ الندوي وضع الهند السياسي والروحي والخلقي ، والاجتماعي والعقدي ، في القرن الثاني عشر ، ثم قال :

«وبالجملة فإن الهند في القرن الثاني عشر الهجري كانت قد تردت من الناحية

=والحواة ، فيملئون الصحراء ، والبستان فيطئون القبور ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة ، ولو لم يكن ذلك ، لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلونه ، فالله يتولى هدانا أجمعين» (ص٢٢٥ ج ١ ـ تأريخ الجبرتي ط١٣٢٢هـ ، وعنه في «هذه هي الصوفية» : ١٦٠ ـ ١٦١ تعليقاً) .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد … إن كان في القلب إسلام وإيمان

(١) حاضر العالم الإسلامي (تعريب الأستاذ عجاج نويهض) (١/ ٢٥٩ ـ ٢٩٠) ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (٣٢ ـ ٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السياسية والإدارية ، والخلقية والاجتماعية ، والاعتقادية إلى حد كبير في الحضيض ، وصلت إلى آخر نقطة من الانحطاط والانهيار ، وهي التي تكون مرحلة خطيرة مؤسفة لسقوط البلدان الإسلامية وانحطاط المجتمع المسلم . . .»[(١)] .

* * *

هكذا كانت الهند في القرن الثاني عشر ، الذي عاش فيه الإمام الدهلوي ، على حد تقرير الأستاذ الندوي .

ولكن تنشأ تساؤلات ، حول هذه الأوضاع المؤسفة المخزية المتردية ، التي أوصلت الهند إلى آخر نقطة من الانحطاط والانهيار ، في السياسة والإدارة ، والخلق ، والاجتماع ، والاعتقاد .

وعلى من تقع مسؤولية هذه الأوضاع الخطيرة المحزنة ، التي هوى بالمجتمع المسلم بالهند ، في الحضيض؟ !

للإجابة عن هذا السؤال لابد من معرفة نوعيات الحكم ، وما يليها من تبعات ومسؤوليات ، ليتبيّن الأمر جلياً .

ذكر الأستاذ الندوي ، طغيان المادية ، وزوال العاطفة الدينية في العالم الإسلامي ، ثم قال :

«وكذلك لم تزل في جنب أقوى الدول وأوسعها دول روحية يفوق سلطانها الروحي سلطان الدولة المادي ، فيها رجال تأتيهم الدنيا راغمة ويأتيهم الملوك والأمراء صاغرين ، ولهم نظام كنظام الدول ينصبون ويقررون وينقلون ويستخلفون ، ولهم «قناصل وسفراء» في كل دولة مادية وكأن خارطة العالم الإسلامي بين أيديهم ، فإذا خلا ثغر من ثغور الإسلام نصبوا فيه مرابطاً دينياً يحفظه من عادية الغفلة والمعصية ، ويحرسه من غاشية الجهل والطغيان .[(٢)]

(١) الإمام الدهلوي (ص٥٧) .

(٢) دلل الأستاذ الندوي كلامه بقوله الآتي ، وهو : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكانت هذه الدول الروحية مستقلة في إدارتها ونظامها الداخلي ، لا يتداخل فيها الملوك والأمراء ولا تؤثر فيها التقلبات السياسة والحوادث المحلية . . .»[1] .

* * *

يتبيّن من هذا التقرير الواضح أن الدولة تحتوي على حكومتين مستقلتين في الإدارة والنظام :

* حكومة مادية ، يحكمها السلاطين والحكام .

* وحكومة روحية ، يحكمها الصوفية .

وبهذاالبيان سهلت الإجابة عن السؤال أيضاً ، بأنه كما أن مسؤولية الانحطاط من الناحية السياسية والإدارية تقع على الحكومة المادية وسلاطينها .

كذلك مسؤولية الانهيار من الناحية الاعتقادية والدينية والخلقية والاجتماعية تقع على سلاطين التصوف ، الذين كانوا يديرون دفة البلاد الروحية .

*** قال الأستاذ الندوي :**

=«حدث الشيخ الصالح السيد علي الهجويري دفين لاهور أن شيخه أمره بالرحلة إلى لاهور والإقامة فيها ، فاعتذر بأن هناك زميله الشيخ حسين الزنجاني فلا لزوم لذهابه ، فقال : لابد أن تذهب وتقيم بها : قال : فشددت رحلي وامتثلت أمر الشيخ ووصلت إلى لاهور في الليل وقد غلقت أبوابها فبت ليلتي خارج السور ، ولما أصبحت وفتح سور الباب إذا بالناس يحملون جنازة الشيخ حسين ، فعرفت سر أمر الشيخ ودخلت البلد ، وخلفته في عمله دعاء الخلق إلى الله» (كشف المحجوب للهجويري ، وعنه في «ماذا خسر العالم» : ص ٢٣٥ ، تعليقاً) .

هذا ، وقد تقدمت ترجمة الزنجاني والهجويري . وهما اللذان اعتكف على قبرهما «سلطان الهند» الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري (ـ ٦٣٣هـ) ، مؤسس الطريقة الجشتية في الهند .

تقدمت ترجمته أيضاً ، وسيأتي المزيد إن شاء الله .

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (٢٣٥ ـ ٢٣٧) ، وقد ذكر على سبيل المثال : «المستعمرات الروحية» التي أنشأها الخواجة نظام الدين الدهلوي (ـ ٧٢٥هـ) ، والسيد آدم البنوري (ـ ١٠٥٣هـ) ، والشيخ محمد معصوم بن أحمد السرهندي (ـ ١٠٧٩هـ) ، والشيخ سيف الدين بن معصوم السرهندي (١٠٩٦هـ) ، والشيخ محمد زبير السرهندي (ـ ١١٥١هـ) ، وغيرهم في عصورهم . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«إن العهد الإسلامي في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية ، وخاصة الشيخ معين الدين الأجميري[1] ، الذي أسس الطريقة الجشتية في هذه البلاد على دعائم قوية بجهاده وإخلاصه ، وأقبل عليهم الناس من جميع الطبقات والفئات ، يتنافسون في حبهم ، وصلتهم بهؤلاء المرشدين رجال الله والدعاة إليه بإخلاص وصدق وأمانة ونزاهة ، وامتدت في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شأن إلا وفيها مركز روحي أو عدة مراكز .»[2] .

*** وقال :**

«إن هؤلاء الصوفية ، كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص ، واتباع السنة ، والتوبة عن المعاصي ، وطاعة الله ورسوله ، ويحذرون من الفحشاء والمنكر ، والأخلاق السيئة والظلم والقسوه . . .»[3]

*** وقال :**

«وكان لهؤلاء المشايخ عناية كبيرة بالأخلاق والسلوك والمعاملات ، وتأدية الحقوق وقضاء الديون ، وكانوا يوصون من يدخل في بيعتهم بالعناية البالغة بهذه الأمور . . .» .[4]

*** وقال :**

«وكان من مآثر هؤلاء المصلحين الروحيين الكبرى أنهم قاوموا أحياناً كثيرة اتجاهات بعض الملوك الخطرة ، وأنقذوا الدولة والمجتمع من بعض الأخطار الهائلة المحدقة بها .» .[5]

=وتقدمت تراجمهم في ترجمة «السرهندي» .

(١) تقدمت ترجمته ، بأنه اعتكف على قبر الزنجاني والهجويري بلاهور ، بإشارة نبوية !

(٢) المسلمون في الهند (١٣٥ ـ ٣٦) . وقال أيضاً : « . . . وقامت في كل بقعة من بقاع هذه البلاد ، زوايا روحية للطريقة المجددية ، ومراكز علمية لتعليم الكتاب والسنة ، واستفاد بها القاصي والداني» . (الإمام السرهندي : ص٣٠٦) .

(تنبيه) : راجع التفصيل عن بداية العهد الإسلامي في الهند في باب «التأريخ» .

(٣) المسلمون في الهند (١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٤) المصدر المذكور (ص١٣٩) .

(٥) المصدر المذكور (ص١٤٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **وقال :**

«إن هؤلاء المشايخ والصوفية ضربوا أمثلة رائعة في الشجاعة والصراحة والصدع بالحق ، كما أن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء جريمة «قول الحق» ، سلكوا بالصوفية ـ في أغلب الأحوال ـ مسلكاً رفيقاً[1] . . .»[2] .

* **وقال :**

«إن الصوفية والمشايخ لم يقبلوا مناصب الحكم ، وهدايا الملوك والأمراء ،[3] من

---

(١) هذا ـ في نظري ـ أقرب إلى الذم للصوفية بما يشبه المدح . وفيه إشعار بأن الملوك كانوا يراعونهم ، أو يهابون مستعمراتهم الروحية ، وهؤلاء يذكرون بكل خير لأجل لين جانبهم مع الصوفية .
أما السلطان محمد تغلق (ـ ٧٥٢هـ) الذي تأثر ببعض تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الذين وردوا في عصره إلى الهند ، وشدد على الصوفية في تصرفاتهم المخالفة للشريعة ، فهذا يقول فيه الأستاذ الندوي تبعاً لوالده : «الملك الجبار الذي اشتهر في تاريخ الهند بسطوته وعسفه وسفك الدماء» (الأركان الأربعة : ص٣٧ تعليقاً ، والمسلمون في الهند : ص١٤٢ ، ونزهة الخواطر : ٢/ ١٢٦ ، السلطان الجائر المشهور بالعادل) . وراجع التفصيل في باب «التأريخ» .

(٢) المسلمون في الهند (ص١٤٥) .

(٣) قال الأستاذ الندوي : « . . . وهكذا السلطان علاء الدين الذي كان يأتيه الخراج من الهند كلها ، كان مضطراً إلى أن يقدم الخراج إلى مكان آخر» (المسلمون في الهند : ص ١٥١) ستأتي تكملته آنفاً إن شاء الله .
* وذكر أنه «كانت مائدة الشيخ نظام الدين مشهورة يضرب بها المثل في السعة وكثرة الطعام ، واللذة والتأنق» .
* وكان يحضر زاوية الشيخ سيف الدين السرهندي ألف وأربعمائة رجل ، يتناولون الطعام على مائدته صباح مساء ، كلّ حسب رغبته واقتراحه .
وأما الشيخ محمد سعيد الأنبالوي ، وهو من رجال القرن الثاني عشر ، فيسجّل عنه مترجمون له ، فيقولون : «لم يكنْ عدد المشتغلين في زاويته أقل من خمسمائة نسمة في الزمن الأول ، وهكذا فقل عن الوافدين إليه والزائرين له» .
. . . وصلته مرة رسائل من السلطان . . . وأمر بثلاث مائة ألف روبية ، فوزعها كلها في القرى المجاورة ، والأشراف الساكنين فيها» [نظام التعليم والتربية للكيلاني] .
* وقال : « . . . والحقيقة أنه لم يخل دور من أدوار التاريخ الهندي ، ولا بلد من بلاد الهند ، إلا وقد عمل فيه الصوفية والمشايخ بالحديث النبوي المشهور «تؤخذ من أغنيائهم ، وترد إلى فقرائهم» ، وكان ذلك رحمة بالفقراء والمساكين . وذوي الحاجة» (المسلمون في الهند : ١٤٩ ـ ١٥١ حوادث الأنبالوي وما بعدها نقلاً من «نظام التعليم والتربية» للكيلاني : المجلد الثاني بالأردية) .
من أين جاءت هذه الأموال ، التي كانت تنفق فيما لذ وطاب من الطعام ، وتوزع على الفقراء؟ !
أليست من هدايا الملوك ، وتحف الأمراء ، ونذور المريدين . وسيأتي المزيد في موضعه إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أراضي ، وإقطاعات وصلات ، وجرايات ، وامتنعوا عنها دائماً . . .»[1] .

* **وقال :**

«العلم كان أكبر هم هؤلاء المشايخ وبغيتهم[2] ، إنهم حدبوا عليه وخدموه . . .»[3] .

* **ونقل عن الأستاذ مناظر أحسن الكيلاني[4] ، إذ قال :**

«إن هذه الزوايا وحدها كانت نقطة اتصال بين الأغنياء والفقراء ، وكان منزل هؤلاء الصوفية والمشايخ «بلاطاً» يدفع له السلاطين الخراج[5] . . .»[6] .

* **وقال :**

« . . . وقد أصبحت هذه البلاد (الهند) حاملة لواء التصوف وإصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادي عشر ، وزعيمها إذ ذاك الشيخ أحمد السرهندي ونجله وخليفته العظيم محمد معصوم اللذان أفاد منهما العالم مدة طويلة من الزمن ، وكان خلفاء الشيخ محمد معصوم [وهم من القرنين الحادي عشر والثاني عشر] منتشرين في أقطار أخرى ، كأفغانستان وإيران ، وتركستان ، وكان الناس يشدون الرحال إلى زاوية الشيخ غلام علي الدهلوي[7] (وهو من شيوخ الطريقة المجددية في القرن الثالث عشر) من

---

(١) المسلمون في الهند (ص١٤٥) .

(٢) لا أدري متى صار العلم أكبر هم هؤلاء الصوفية وبغيتهم؟ وقد تقدم أن الأستاذ الندوي نفسه نقل عن «سلطان المشايخ والمحبوب الإلهي الخواجه نظام الدين الدهلوي» (هو الذي خصّ له مع المنيري «الجزء الثالث» من «تاريخ الدعوة والعزيمة») وحشته من الكتب ، وعدم سماحه مريديه بالاشتغال بالعلم . وسيأتي المزيد في مكانه إن شاء الله .

(٣) المسلمون في الهند (ص١٤٨) .

(٤) أحد كبار علماء الحنفية الديوبندية في الهند . من تلامذة الشيخ محمد أنور الكشميري (ـ ١٣٥٢هـ) وهو الذي قيّد أمالي الكشميري على صحيح مسلم . («جهود مخلصة في خدمة السنّة المطهرة» : ٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(٥) أرى بين هذا ، وما تقدم من عدم قبول الصوفية هدايا الملوك والأمراء ، تعارضاً يحتاج إلى توفيق . والله أعلم .

(٦) المسلمون في الهند (ص ١٥١) .

(٧) تقدمت ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بلاد بعيدة مثل العراق والشام ومصر والصين والحبشة وبخارا وسمرقند ، وانتشرت هذه الطريقة بواسطة خليفته الشيخ خالد الشهرزوري[1] في العراق وتركستان والشام وتركيا ، ولا تزال باقية فيها .

وفي أوائل القرن الرابع عشر اشتهر الحاج إمداد الله[2] المهاجر المكي بلقب «شيخ العرب والعجم» وأفاد منه كثير من أهل الحجاز والحجاج الوافدين إليه .

ومازال هذا النبراس ـ نبراس الإصلاح الباطني ـ مضيئاً في العالم الإسلامي بفضل الهند ، ولا تزال طريقة «الحب الإلهي» مستمرة باقية فيها ، وهي المرجع العالمي لهذا الفن من أجل بعض رجالاته وأعلامه»[3] .

* **وقال الأستاذ الندوي :**

«إن الحديث عن هؤلاء الصوفية والمشايخ بأدوارهم التاريخية والترتيب التاريخي لا محل له هنا ، وهو يحتاج إلى مجلد ضخم ، فإن سهم هؤلاء المصلحين ومعلمي الأخلاق في تكوين مجتمع صالح واع في الهند (وهي قوة هذه البلاد المعنوية الكبرى ، ومصدر الولاة الصالحين والحكام العادلين في كل عهد ، وهو الذي منح الهند أفراداً أذكياء أكفاء في ظروف دقيقة حرجة جدا) سهم أساسي أكثر من سهم أي واحد من أبناء هذه البلاد وبناتها»[4] .

* * *

لما كان زمام المبادرة إلى الدعوة والإرشاد ، والتجديد والتوجيه بأيدي هؤلاء «السلاطين الروحيين» ، و«المصلحين الربانيين» ، و«معلمي الأخلاق» ، الذين أداروا

---

(١) هو : بهاء الدين خالد بن أحمد النقشبندي الكردي (١١٩٣ ـ ١٢٤٢ أو ١٢٤٦ هـ) شيخ الطريقة النقشبندية ، من آثاره : «الرسالة الخالدية في آداب الطريقة النقشبندية» (معجم المؤلفين : ١/ ٦٦٧) .
وتقدمت ترجمته في ترجمة «السرهندي» .

(٢) تقدمت ترجمته مراراً ، وهو شيخ كبار الديوبندية في التصوف ، يرى عقيدة وحدة الوجود كما تقدم .

(٣) المسلمون في الهند (١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٤) المصدر المذكور (١٤٠ ـ ١٤١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«دفة البلاد الروحية» في مجال العقيدة والدين ، والعلم والأدب ، والخلق والمواساة .

لما وجدت «زوايا روحية» و«مراكز علمية» لتعليم الكتاب والسنة ، في كل بقعة من بقاع هذه البلاد .

لما كان كل هذا ، ووصل المجتمع المسلم بالهند إلى هذه الغاية المؤسفة من الانهيار في العقيدة ، والدين ، والخلق ، فمن الذي يكون مسؤولاً عن هذا الانحطاط والتردّي في الحضيض من الناحية الاعتقادية ، والدينية ، والخلقية؟ !

إن هذا الواقع الأليم يدلّ على أحد أمرين ، وكلاهما يخالف ما قرّره الأستاذ الندوي .

* إما أن يقال : إنه لم يكن من مقاصد التصوف الأساسية ، الاهتمام بنشر الإسلام ، وتصحيح عقائد المسلمين ، وإن وجدت «مستعمرات روحية» ، و«مراكز علمية» ، فهي كانت ـ في أغلب الأحوال ـ محلاً للرياضة الشاقة ، والمجاهدة المضنية للوصول إلى الكشوف وخوارق العادات ـ وهذا يخالف ما ذهب إليه الأستاذ الندوي .

* وإما أن يسلّم بأن هؤلاء «السلاطين الروحيين» ـ حقاً ـ أقاموا «مستعمرات روحية» جنب دول حكام الدنيا ، لا تقل هيبة وجلالة من دولهم .

ومع هذا ، وصل المجتمع المسلم إلى ما وصل إليه من انحطاط في العقيدة والدين ، وتدهور في الأخلاق والآداب ، فيفهم من هذا ، أن هذه «المستعمرات» لم تنجح في أداء رسالتها الروحية تجاه أمة الإسلام ، وهذا أيضاً يخالف ما قرره الأستاذ الندوي في أهم كتبه : «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» و«تأريخ الدعوة والعزيمة» ، و«المسلمون في الهند» و«ربانية لا رهبانية» ، و«ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» .

عند دراسة هذه الكتب وغيرها أواجه أسلوباً غريباً من صنع التأريخ ، وهو مليء بالتناقضات التي تحتاج إلى حل وتوفيق .

فهل من مجيب؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* المقررات التي درسها الإمام الدهلوي :

قال الأستاذ الندوي :

«لما بلغ الإمام الدهلوي الخامسة من عمره أدخل الكتّاب . . . وفرغ في أواخر هذه السنة من حفظ القرآن الكريم . . . وبدأ قراءة الكتب الفارسية والكتب الابتدائية المختصرة في العربية . . . وفرغ من العلوم المتداولة في هذه البلاد وهو في الخامسة عشرة من عمره . . .

ويقول [أي الدهلوي] : وسمعت (وهو في الخامسة من عمره) من سيدي الوالد بقراءة بعض أصحابي «المشكاة» إلا طرفاً يسيراً ـ أعني من كتاب (البيوع) إلى «الآداب» ـ ولكن تداركت ما فات عني بالإجازة ، وقرأت صحيح البخاري إلى كتاب الطهارة تقريباً والشمائل للترمذي كله ، وقرأت في التفسير طرفاً من المدارك والبيضاوي . . ويقول : ومن منن الله العظمى عليّ أني حضرت مراراً عند والدي لدراسة معاني القرآن والبحث عن أسباب النزول والنظر في تفاسير ، فكان هذا سبب فتح أبواب معاني القرآن العظيم والحمد لله»[1] .

يظهر من مقرراته الدراسية أنه درس الشيء الكثير من الفقه وأصوله ، والمنطق والكلام ، والتصوف والسلوك ، والمعارف والحقائق ، والطب والحكمة ، والنحو والصرف ، والمعاني والبلاغة ، والهندسة والحساب .

«لقد كان في هذه المقررات التي درسها الإمام الدهلوي دخل ما لاجتهاد والده ، وأستاذه الأول الحقيقي الشيخ عبدالرحيم[2] ، واختياره وانتقائه . . . . [قال الدهلوي] : بعد وفاة (سيدي الوالد) واظبت على تدريس الكتب الدينية والعلوم العقلية نحواً من اثنتي عشرة سنة ، ووقع الخوض في كل علم .»[3] .

---

(١) الإمام الدهلوي (٨٤ ـ ٨٥) نقلاً عن «الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف» (ص٢) .

(٢) تقدمت ترجمته . وكان من كبار النقشبندية ، وفقهاء الحنفية في عصره . شارك في اللجنة التي عهد إليها ترتيب «الفتاوى الهندية» المعروف في الهند بـ «فتاوى عالمكيري» ، تحت إشراف الشيخ نظام الدين البرهانبوري . وكان الشيخ عبدالرحيم من وجوه مشايخ دهلي ومن أعيانهم . (الإمام الدهلوي : ٧٢ ـ ٧٣ ، ونزهة الخواطر : ٦/ ١٤٦ ـ ١٤٧) .

(٣) الإمام الدهلوي (٨٥ ـ ٨٨) ، نقلاً عن «الجزء اللطيف» (٢ ـ ٣) . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصوف

كان القرن الثاني عشر الهجري «عصر الازدهار للسلوك، والتصوف، والشوق إلى الله . . .»(١).

وكان الشيخ عبدالرحيم (والد الإمام الدهلوي) من كبا رمشايخ النقشبندية،(٢) «وحصلت له الخرقة الجشتية، فصار غرّة زاهرة في جبين المعالي، وحسنة من حسنات الأيام والليالي»(٣).

لما كان التصوف هو السمة الغالبة حتى على العلماء والمحدثين(٤)، فما كان للدهلوي أن يتأخر عن حيازة هذا «الشرف العظيم»، الذي كان معلماً لأسرته من القديم. قال الإمام الدهلوي:

«ثم بايعت (وكان في الرابعة عشرة من سنه) سيدي الوالد، ثم اشتغلت بأشغال

=(ملاحظة): نظرة على هذه المقررات تشعرنا بالتقصير الواضح نحو «التفسير»، و«الحديث». وسيأتي المزيد من البيان في هذا الأمر قريباً إن شاء الله.

(١) الإمام الدهلوي (ص٧٢).

(٢) زد إلى ذلك أنه كان خليفة للسيد عبد الله الأكبر آبادي، الذي هو أحد كبار خلفاء السيد آدم البنوري (مؤسس الطريقة المجددية الأحسنية أو الآدمية) من خلفاء الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (مؤسس الطريقة النقشبندية المجددية). وتقدمت تراجمهم في ترجمة «السرهندي».
ومن طريق الشيخ عبد الرحيم وصلت «الطريقة المجددية الآدمية» إلى أولاده وأحفاده، ومن طريقهم إلى من بعدهم من خلفائهم، حتى تلقاها الحاج إمداد الله الذي هو شيخ كبار الديوبندية في التصوف. كما تقدم من نقل الأستاذ الندوي نفسه.

(٣) نزهة الخواطر: (٦/ ١٤٦ـ١٤٧).

(٤) قال الأستاذ الندوي في وصف القرن الثاني عشر: . . . ويتكرر من بين الطرق الصوفية ذكر الطرق النقشبندية، والخلوتية، والشاذلية، والقادرية، والرفاعية، ويظهر أن مشايخها وأصحابها منتشرون من تركيا إلى أندونيسيا». (الإمام الدهلوي: ص٢٨).
* قال أيضاً: «الجامع الأموي بدمشق من أسباب الفخر والاعتزاز، وكان بعض العلماء والمشايخ يلقون الدروس في «الفتوحات المكية» وآخر يدرس «فصوص الحكم» وكان يدرّس «شرح الجامي» و«مختصر المعاني» في الشام أيضاً، وكان التصوف هو السمة الغالبة حتى على العلماء والمحدثين، وكان الشيخ عبد الغني النابلسي وعدد من العلماء والمشايخ يقولون بوحدة الوجود» (الإمام الدهلوي: ص٢٩).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصوفية سيما المشايخ النقشبندية ، وحصلت التوجه والتلقين وطرفاً صالحاً من تعليم آداب الطريقة وألبست الخرقة ، ثم حين بلغت السابعة عشرة من عمري ، مرض سيدي الوالد ، وانتقل إلى جوار رحمة الله تعالى ، وفي المرض الذي مات فيه أجازني للبيعة والإرشاد ، وكرّر «يده كيدي»[(١)] .

ألف الإمام الدهلوي كتباً عدة في التصوف ، فيها الشيء الكثير من الدعاوى والشطحات ، بل المخالفات العقدية التي يمكن للمنحرفين من الصوفية أن يجعلوها تكأة يتكئون عليها في تأييد انحرافاتهم ، وضلالاتهم .

ومن هذه الكتب[(٢)] :

* ألطاف القدس في لطائف النفس .
* والقول الجميل في بيان سواء السبيل (في سلوك الطرق الثلاثة المشهورة القادرية ، والجشتية ، والنقشبندية) .
* والخير الكثير .
* وأنفاس العارفين . (في تراجم آبائه ، والكبار من أسرته) .
* والانتباه في سلاسل أولياء الله . (كتاب مبسوط في السلاسل المشهورة وغير المشهورة) .
* وفيوض الحرمين .[(٣)]

---

(١) الجزء اللطيف (ص٢ ، وعنه في «الإمام الدهلوي» : ص٨٩) .

(٢) في هذه الكتب ـ وخاصة في «القول الجميل» ، و«الخير الكثير» ـ من القبح والشر ما الله به عليم : من عقيدة وحدة الوجود ؛ والاستيناس بأقوال الحلاج ، وابن عربي ، وتلميذه القونوي ؛ وادعاء الأخذ المباشر من الجيلاني ، والنقشبندي ، والجشتي ، بل من النبي ﷺ وذلك من الملأ الأعلى .
فهو في هذه الكتب وأمثالها ، صوفي مثل أي صوفي آخر ، متوغل في الشطحات والدعاوي المخالفة للكتاب والسنة . مثل الفناء ، والبقاء ، ودفع البلاء ، وكشف الوقائع ، والتصرف في الكون ، ومكاشفة القلوب والقبور ، وما إلى ذلك .
ولكن كتاباته الأخرى ـ لعلها هي الآخرة إن شاء الله ـ ترد على مثل هذه المخالفات ، مع بقائها على الخط العام من التصوف . وسيأتي ما يدل على هذا . والله اعلم .

(٣) نزهة الخواطر (٦/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) ، والإمام الدهلوي (٣٠٩ ـ ٣١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا ، ومعروف أن الإمام الدهلوي يردّد اصطلاحات الصوفية ، ويطبّقها في كتبه ، وأحياناً يحوم حول حمى شطحاتهم[١] ، حتى في كتبه التي ألفها بعد اهتدائه إلى تأييد مذهب المحدثين ، في العقيدة والعمل .[٢]

لقد بقي الإمام الدهلوي متصوفاً على طول الطريق ، ولكنه بعد اهتدائه إلى نصرة مذهب أهل الحديث في العقائد والأحكام ، ترك من الآثار ما يدلّ دلالة واضحة على تخليه عن تلك المخالفات العقدية الصريحة ، التي سجلت في بعض كتبه ، عند تسكعه في مجاهل التصوف .

قال الأستاذ الندوي :

«يمكن أن يقدر كل ذلك من بعض كتابات الإمام الدهلوي نفسه» .

*** يقول في «التفهيمات الإلهية» :**

«قال رسول الله ﷺ : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم ، قلنا يا رسول الله ! اليهودَ والنصارى؟ قال فمن؟) [أخرجه البخاري ومسلم] صدق رسول الله ﷺ فقد رأينا رجالاً من المسلمين الذين ضعف إيمانهم يتخذون الصلحاء أرباباً من دون الله ، ويجعلون قبورهم مساجد ، كما كان اليهود والنصارى يفعلون ، ذلك وقد رأينا رجالاً منهم يحرّفون الكلم عن مواضعه ، ويعتمدون في ترك العمل وإرضاء الشهوات على القول المعزو إلى النبي ﷺ «الصالحون لله ، والطالحون لي» كما قال الذين من قبلهم : ﴿**لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة**﴾ [البقرة : ٨٠] ، وإن سألتَ الحقّ فقد فشى التحريف في كل طائفة .

فالصوفية أظهرت أقاويل لا يدري لها توفيق بـ«الكتاب والسنة» ، لاسيما في مسألة التوحيد (الوجودي) لظهر من ذلك أنهم لا يحتفلون بالشرع وليست له عندهم قيمة»[٣] .

---

(١) مثل الأخذ من النبي ﷺ حيناً ، ومن الملأ الأعلى حيناً آخر .

(٢) راجع مبحث «المقامات والأحوال» في كتابه الشهير «حجة الله البالغة» .
وفيه تطبيقات لاصطلاحات الصوفية على أمور النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ .

(٣) التفهميات الإلهية ، وعنها في «الإمام الدهلوي» (١١١ ـ ١١٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* ويقول في كتابه الشهير «الفوز الكبير» :

«وإذا كنت تتوقف في التسليم بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم ، فانظر إلى المحرّفين في هذا العصر لا سيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام ، ما هي تصوراتهم عن «الولاية» ورغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين يرون وجود الأولياء في عصرنا من المستحيلات ، ويؤمّون القبور والعتبات ، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبعد والخرافات وتمكّن منهم التحريف والتشبيه وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق ـ بحكم ما جاء في الحديث الصحيح : «لتتبعن سنن من كان قبلكم إلخ» ـ بلية من البلايا ، ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ تخوض فيها وتعلق بها ، عافانا الله سبحانه عن ذلك» (١) .

* وقال الإمام الدهلوي :

«والشرك هو إثبات الصفات الخاصة بالله ـ تعالى ـ لغيره مثل إثبات التصرف المطلق في الكون ، بالإرادة المطلقة ، التي يعبر عنها بـ «كن فيكون» أو إثبات العلم الذاتي الذي يحصل بالاكتساب عن طريق الحواس والدليل العقلي والمنام والإلهام ، وأمثال هذه من الوسائل المادية أو الروحية أو إثبات إيجاد شفاء المريض أو إثبات اللعنة على شخص أو السخط عليه بحيث ينقلب نتيجة هذا اللعن والسخط معدماً فقيراً ، أو مريضاً أو شقياً أو الرحمة لشخص والرضا عنه ، بحيث ينقلب هو لسبب هذه الرحمة والرضا غنياً صحيحاً معافى سعيداً . . .»(٢) .

* وقال أيضاً :

«حقيقة الشرك أن يعتقد إنسان في بعض المعظّمين من الناس أن الآثار العجيبة الصادرة منه ، إنما صدرت لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال مما لم يعهد في جنس الإنسان بل يختص بالواجب ـ جلّ مجده ـ ولا يوجد في غيره إلا أن يخلع هو خلعة

---

(١) الفوز الكبير (٨ ـ ٩) ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (ص ١١٢) .

(٢) الفوز الكبير (٧ ـ ٨) ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (١٢٥ ـ ١٢٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الألوهية على غيره ، أو يفنى غيره في ذاته ، ويبقى بذاته ، أو نحو ذلك ما يظنّه هذا المعتقد من أنواع الخرافات كما ورد في الحديث : «إن المشركين كانوا يلبّون بهذه الصيغة : لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» فيتذلّل عنده أقصى التذلل ، ويعامل معه معاملة العباد مع الله ـ تعالى ـ »[1] .

* * *

في هذه المقتطفات من كتابات الإمام الدهلوي رد مختصر صريح ، على كل ما تقدم في كتاباته الصوفية من مخالفات ، مثل عقيدة وحدة الوجود ، والفناء والبقاء ، والتصرف في الكون ، والتوجه إلى القبور والعتبات في دفع البلاء وجلب المنفعة ، والاستعانة بغير الله ، والكشوف والمقامات ، وغيرها من الأمور .

وهذا الظن به لرسوخ قدمه في علم الكتاب والسنة ، وجلالة شأنه في علوم الشريعة . والله أعلم ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

(١) حجة الله البالغة (١/ ٦١) ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (ص١٢٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التقليد

قال أبو القاسم المقدسي الرحالة العربي ـ وقد زار السند في سنة ٣٧٥هـ قبل غزو السلطان محمد الغزنوي الهند ـ :

«إن مذاهبهم أكثرهم أصحاب الحديث ، ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ، وليس به مالكية ، ولا معتزلة ، ولا عمل للحنابلة ، إنهم على طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة ، وصلاح وعفة ، قد أراحهم الله من الغلو ، والعصبية والفتنة»(١) .

وقال السيد عبدالحي :

«لما انقرضت دولة العرب من بلاد السند ، وتغلّبت عليها الملوك الغزنوية والغورية ، وتتابع الناس من بلاد خراسان ، وما وراء النهر صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر ، وعديماً كعنقاء المغرب . . .»(٢) .

وقال الإمام الدهلوي :

«اعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه . . .»(٣) .

ثم صوّر ما حدث في الناس بعد المائة الرابعة ، فقال :

« . . . ولم يأت قرن بعد ذلك إلا وهو أكثر فتنة ، وأوفر تقليداً ، وأشد انتزاعاً للأمانة من صدور الرِّجال ، حتى اطمأنوا بترك الخوض في أمر الدين ، وبأن يقولوا : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف] .

وإلى الله المشتكى وهو المستعان ، وبه الثقة ، وعليه التكلان»(٤) .

---

(١) أحسن التقاسيم (ص ٤٨٠) وعنه في «جهود مخلصة» (ص٢٢) .

(٢) الثقافة الإسلامية في الهند ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (ص١٤١) .

(٣) حجة الله البالغة (١/ ١٥٢) .

(٤) «الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف» للدهلوي (ص٩٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كان التقليد الجامد ، والتعصب المذهبي هو السائد في الهند ـ مثل التصوف ـ في عصر الإمام الدهلوي ، حتى كانوا يعتبرون العمل خلاف المذهب الحنفي نوع جريمة لا تغتفر .[1]

وما تقدم من تقرير الدهلوي آنفاً حول التقليد ، يدلّ على تألمه مما وصل إليه المجتمع المسلم من الاعتماد على آراء الرجال ، والبعد عن مصادر الدين .

ومن هذا المنطلق كان له أن يصرِّح بما رآه حقاً ، فقد قال في وصاياه :

«وصية هذا الفقير الاعتصام بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل والتفكير فيهما دائماً ، وقراءة جزء منهما كل يوم ، وإن لم يستطيع القراءة فيسمع ترجمة ورقة من كليهما ، واختيار مذهب قدماء أهل السنة في العقيدة ، والإعراض عن تفصيل ما لم يفعلوه ، وعدم التوجّه إلى تشكيك أهل المعقول ، واتباع العلماء المحدثين في الفروع ، فهم قد جمعوا بين الحديث والفقه ، وعرض الفروع الفقهية دائماً على الكتاب والسنة ، وقبول ما يوافقهما وردّ ما لم يوافق ، والأمة لا يمكن أن تستغني في أي وقت عن عرض مسائل الاجتهاد على الكتاب والسنة ، وعدم الاستماع إلى أقوال الفقهاء المتقشفين الذين تمسكوا بتقليد عالم ، وتركوا اتباع السنة ، وعدم الالتفات إليهم ، وطلب تقرب الحق بدونهم»[2] .

---

(١) بقي الإمام الدهلوي ـ مع تصريحه بترجيح مذهب الفقهاء المحدثين في المسائل في كتبه ـ حنفياً في ظاهر الأعمال ، مراعياً للظروف والأحوال لعامة للناس .

وذات مرة أمَّن الشيخ محمد فاخر زائر الإله الآبادي (ـ ١١٦٤هـ) (وكان من العاملين بالحديث ، لا يخاف في الله لومة لائم .) بالجهر في الجامع الكبير بدهلي ، فقام عليه الناس ، لأنه جهر بالتأمين خلاف المذهب الحنفي ، وأرادوا النيل منه ، ولم يتركوه حتى ذهبوا به إلى الإمام الدهلوي للفصل في هذه المسألة ، فقال لهم : التأمين بالجهر ثابت بالأحاديث الصحيحة ، فرجعوا ، ونجا من شرهم ، وقال للدهلوي : «لماذا لا تظهر نفسك ، فكان جوابه ، أنه إذا لم أكن هناك في هذه الحالة فمن يقيك شر هؤلاء . (جهود مخلصة : ص ٧٥) .

(٢) التفهيمات الإلهية (٢/ ٢٤٠) ، وعنها في «حركة الانطلاق الفكري» (ص١٤٨) . ونقله الأستاذ الندوي في «الإمام الدهلوي» (ص ١٥٨) من «وصاياه» بالفارسية (٢ ـ ٣) مختصراً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ميزات المذاهب الأربعة :

نقل الأستاذ الندوي من كلام الإمام الدهلوي ما يستدلّ به على التقليد ، فإنه قال :

«اعلم أن في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة ، وفي الإعراض عنها مفسدة كبيرة . . . (ثم بين ذلك بوجوه ـ إلى أن قال ـ) :

وليس مذهب في هذه الأزمنة المتأخرة بهذه الصفة إلا هذه المذاهب الأربعة»[١] .

وعلّق عليه الأستاذ الندوي قائلاً :

«وهكذا اختار الإمام الدهلوي ذلك الموقف المعتدل المتزن بين الاجتهاد والتقليد ، . . . وأنه قد اشترط في التقليد أن يكون الغرض منه ـ مع العقلية الواضحة والنية الصالحة ـ اتباع صاحب الشرع ﷺ ، والالتزام بالكتاب والسنة . وذلك لهذه الثقة الكاملة بأن من نجعله واسطة بيننا وبين الكتاب والسنة هو عالم بهذين الأصلين ، وليس إلا ممثلاً عنهما وترجمانا لهما ثم لابد أن يكون فيه استعداد كل حين (ولو لم يقع ذلك بعد مدّة طويلة) بأنه إذا وثق واطمأن بأن الشأن غير ذلك ، وأن الحكم الشرعي الثابت بالكتاب والسنة ، ليس ما قرّره ذلك الإمام فلا يتردّد المؤمن في قبوله والخضوع له .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]»[٢] .

* * *

تتلخص ملاحظاتنا حول هذا التقرير في النقاط التالية :

(الأولى) : ليس في كلام الدهلوي التقيدّ بمذهب واحد بعينه ، كما هو دأب المقلّدين ، حتى يقال : «أن يكون الغرض من التقليد اتباع صاحب الشرع» . قال الدهلوي :

---

(١) عقد الجيد (٣٦ ـ ٣٨) وعنه في «الإمام الدهلوي» (ص١٦٣) .

(٢) الإمام الدهلوي (١٦٣ ـ ١٦٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«اعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجتمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه . . .»[١] .

وقال أيضاً : «الأمة لا يمكن أن تستغنى في أى وقت عن عرض مسائل الاجتهاد على الكتاب والسنة . . .»[٢] .

(الثانية) : هل يمكن لمتعصبة المذاهب أن يقبلوا هذا الانفتاح على الكتاب والسنة عملاً ، ولو بعد مدة طويلة من التقليد .[٣] قال الدهلوي :

«وترى العامة ـ لاسيما اليوم ـ في كل قطر يتقيدّون بمذهب من مذاهب المتقدمين ، ويرون خروج الإنسان من مذهب من قلّده ـ ولو في مسألة ـ كالخروج من الملة . كأنه نبي بعث إليه ، وافترضت طاعته عليه . وكان أوائل الأمة قبل المائة الرابعة غير متقيدين بمذهب واحد»[٤] .

(الثالثة) : تدوين المذاهب الأربعة لا يدل على كون الحق محصوراً في أحدها ، لأن هذا القول لاوزن له عند مقلدة المذاهب أنفسهم . فكل مؤلف مذهبي يردّ على غيره من أهل المذاهب الأخرى . وباب واحد من أي كتاب فقهي يكفي للتدليل على هذا الواقع المؤلم ، وبأسلوب نابٍ أحياناً .[٥]

فإذا كان الأخذ بمذهب واحد ، والردّ على المذاهب الثلاثة الأخرى لا يجرّ «مفسدة» فكيف الإعراض عن المذاهب الأربعة كلها ـ أحياناً ـ في بعض المسائل[٦] ، في ضوء الأدلة ، يجرّ «مفسدة كبيرة» .

---

(١) حجة الله البالغة (١/ ١٥٢) .

(٢) التفهيمات (٢/ ٢٤٠) .

(٣) سيأتي ذكر استياء الديوبندية من حنفية الهند ، من موقف الدهلوي من الاجتهاد والتقليد ، قريباً إن شاء الله .

(٤) التفهيمات (١/ ٥١) .

(٥) حتى يقال : مذهب «الخصوم» كذا ، ومذهبنا كذا .

(٦) ومنها على سبيل المثال : اعتبار الطلقات الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة ، وقيام الليل (التراويح) بإحدى عشرة وثلاث عشرة ركعة في رمضان وغير رمضان . نظراً إلى الأدلة الواضحة من السنة الصحيحة ، على صاحبها الصلاة والسلام .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(الرابعـــة) : شغل موضوع الاجتهاد والتقليد حيزاً كبيراً من كتابات الإمام الدهلوي ، فهو يجول ويصول في هذا المضمار ، حتى قال :

«وأشهد لله بالله أنه كفر بالله أن يعتقد في رجل من الأمة ممن يخطئ ويصيب أن الله كتب عليّ اتباعه حتماً ، وأن الواجب عليّ هو الذي يوجبه هذا الرجل عليّ ، ولكن الشريعة الحقة قد ثبتت قبل هذا الرجل بزمان ، قد وعاها العلماء وأداها الرواة وحكم به الفقهاء ، وإنما اتفق الناس على تقليد العلماء على معنى أنهم رواة الشريعة عن النبي ﷺ ، وأنهم علموا ما لم نعلم ، وأنهم اشتغلوا بالعلم ما لم نشتغل ، فلذلك قلّدوا العلماء ، فلو أن حديثاً صحّ ، وشهد بصحته المحدّثون ، وعمل به طوائف فظهر فيه الأمر ثم لم يعمل به لأن متبوعه لم يقل به فهذا هو الضلال البعيد» (١) .

* * *

---

(١) التفهيمات (١/ ٢١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الحـــديـث

ازدهار علم الحديث وانحطاطه في الهند :

كان أهل السند منذ بداية الفتح الإسلامي (سنة ٩٣هـ) ، إلى ما قبل المائة الرابعة «أكثرهم أصحاب الحديث»[(١)] .

وبعد انقراض دولة العرب من بلاد السند ، وتغلّب الملوك الغزنوية والغورية عليها «صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر ، وعديماً كالعنقاء المغرّب» .

قال السيد عبد الحي الحسني :

« . . . وكان قصارى نظرهم في الحديث في مشارق الأنوار للصغاني ، فإن ترفّع أحد إلى مصابيح السنة للبغوي ، أو إلى مشكاة المصابيح ، ظن أنه وصل إلى درجة المحدّثين ، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث ، ولذلك تراهم لا يذكرون هذا العلم ، ولا يقرءونه ولا يحثّون عليه . ولا يجذبون إليه ، ولا يعرفون كتبه ولا يعلمون أهله ، والقليل منهم كانوا يقرءون المشكاة لا غير ، وهذا على طريقة البركة لا للعمل به ، والفهم له وعمدة بضاعته من الفقه على طريقة التقليد دون التحقيق إلا ما شاء الله تعالى في أفراد منهم ، ولذلك كثرت فيهم الفتاوي والروايات ، وتركت النصوص المحكمات ، ورفض عرض الفقه على الحديث ، وتطبيق المجتهدات بالسنن المأثورة عن النبي المعصوم المأمون ﷺ . . .»[(٢)] .

وقال الأستاذ الندوي :

« . . . أن إيران التي أنجبت أساطين الحديث ، لمّا قامت فيها الحكومة الصفوية . . . انقطعت صلتها بالحديث الشريف ، لذلك لم يكن في الهند ـ بعد النفوذ

---

(١) كما تقدم من كلام أبي القاسم المقدسي (الرحالة العربي المعروف) ، وقد زارها في سنة ٣٧٥هـ . (جهود مخلصة : ٢١ ـ ٢٢) .

(٢) الثقافة الإسلامية في الهند (ص١٣٥) ، وعنها في «الإمام الدهلوي» (١٤١ ـ ١٤٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإيراني الثقافي ـ مجال للشعور بأهمية الحديث وجلالة خطره وعظمته ، والمسابقة في القيام بنشره ، بل بالعكس من ذلك كلما كان تأثير إيران يتضاعف على الأوساط العلمية في الهند ، تزداد معها قلة العناية واللامبالاة بالحديث الشريف ، وقد بلغ ذلك في عهد الإمام الدهلوي أوجه وقمته .»[١] .

لقد درس الإمام الدهلوي نفسه في مقرارته الدراسية أكثر الفنون الرائجة حينئذ[٢] ، ولكنه لم يدرس من مادة الحديث . إلا «المشكاة» (سماعاً ، ولم يكمله ، بل بقي عليه من «البيوع» إلى «الآداب») ، و«صحيح البخاري» إلى كتاب الطهارة ، و«الشمائل» للترمذي كله[٣] .

سافر الإمام الدهلوي إلى بيت الله الحرام للحج سنة ١١٤٣هـ ، وأقام هناك أكثر من عام ؛ وكانت هذه الإقامة في مكة المكرمة ، والمدينة الطيبة ، نقطة تحول في حياته العلمية ، حيث سنحت له الفرصة المناسبة للاستفادة من علماء الحرمين الشريفين المعروفين بعلم الحديث حينئذ ، ومنهم :

* الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن الشافعي الكردي (ـ١١٤٥هـ) ، والذي تتلمذ على أبيه . وكان أبوه سلفي العقيدة ، ذابّا عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وعن الصوفية أيضاً .[٤] .

---

(١) الإمام الدهلوي (ص ١٤١) ، وقال : أيضاً : «أما البلاد التي انتشر فيها الإسلام بأيدي العجم فليس شأنها في هذا الأمر كذلك ، فقد حكمت في الهند أسر تركية الأصل أو أفغانية الأصل ، وقام فيها بنشر الإسلام . . . أولئك المشايخ والعلماء الذين كان معظمهم من أصول أعجمية ، أو من أبناء البلاد العجمية . . .» (المصدر المذكور : ص ١٤٠) .
هذا هو الحق ، فكما أنهم تنقصهم العناية بالحديث ، وكذلك تنقصهم العناية بالعقيدة أيضاً ، فالصوفية (من أصول أعجمية ، أو أبناء البلاد العجمية) الذين قاموا بنشر الإسلام لم يكونوا أحسن حالاً من غيرهم ومن أجل هذا نرى في طرقهم وأشغالهم الصوفية ما تتصل حدوده بالشرك بالله ، بل قد يكون عين الشرك بالله والعياذ بالله ! وراجع حقيقة دور الصوفية في نشر الإسلام في باب «التأريخ» .
فالخلل ـ بجميع أنواعه ـ الذي تسرب إلى علماء الحكومة المادية ، تسرب إلى سلاطين الحكومة الروحية أيضاً ، التي كانت تقوم جنبها ، ولعل هذا الحق لا يقبل عند القوم . والله المستعان !

(٢) الإمام الدهلوي (ص٨٥) نقلاً عن «الجزء اللطيف» (ص٢) .

(٣) المصدر المذكور (٨٤ـ ٨٥) .

(٤) جلاء العينين (ص ٤١) ، وعنه في الإمام الدهلوي (ص٩٥) ، لبس الدهلوي الخرقة الصوفية أيضاً من أبي طاهر المدني .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الأستاذ الندوي : « . . . أن الإمام الدهلوي لما ذهب يودع أستاذه الشيخ أبا طاهر المدني ، أنشده شيخه هذا البيت من الشعر :

نسيت كل طريق أعرفه   إلا طريقاً يؤديني لربعكم

فقال الإمام الدهلوي كذلك : «نسيت كل ما قرأت سوى علم الحديث الشريف» .

وتشهد حياة الإمام الدهلوي كلها على أنه كان منصرفاً انصرافاً كلياً إلى خدمة الحديث الشريف ، شرحه وتفهيمه وتدريسه وتعليمه ، ونشره وتعميمه . ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** . . .﴾ [الأحزاب : ٢٣][١] .

الحق بين التفقه والظاهرية :

قام الإمام الدهلوي ـ بعد عودته من الحج سنة ١١٤٥هـ ـ بخدمة الحديث ونشره تدريساً وتأليفاً على طريقة الفقهاء المحدثين ، ووصل بعد دراسته النافذة لمادة الحديث إلى أن الحق بين التفقه والظاهرية . فإنه قال :

« . . . إني أقول لهؤلاء المسلّمين بالفقهاء الجامدين على التقليد : يبلغهم الحديث من أحاديث النبي ﷺ بإسناد صحيح ، قد ذهب إليه جمع عظيم من الفقهاء المتقدّمين ، ولا يمنعهم إلا التقليد لمن لم يذهب إليه .

ولهؤلاء الظاهرية المنكرين للفقهاء الذين هم طراز حملة العلم وأئمة أهل الدين ، أنهم جميعاً على سفاهة وسخافة وإلى ضلالة . وإن الحق أمر بين بين»[٢] .

«وهذا هو عين مذهب أهل الحديث»[٣] .

* وقال أيضاً ـ وهو يبثّ أسفه الشديد ، وحزنه البالغ على الوضع السائد في

---

(١) ملفوظات الشيخ عبدالعزيز (ص٩٣) ، وعنها في «الإمام الدهلوي» (٩٤ ، ١٤٨ ـ ١٤٩) .
(٢) التفهيمات (١/ ٢٠٩) .
(٣) حركة الانطلاق الفكري (ص٣٥٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الهند ، تجاه العمل بالكتاب والسنة ـ :

«وأقول لطلبة العلم ، أيها السفهاء المسمّون أنفسكم بالعلماء ، اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني ، وظننتم أن هذا هو العلم ، إنما العلم آية محكمة من كتاب الله ، أن تتعلموها بتفسير غريبها وسبب نزولها وتأويل معضلها ، أو سنة قائمة من رسول الله ﷺ أن تحفظوا كيف صلّى النبي ﷺ وكيف توضأ ، وكيف كان يذهب لحاجته ، وكيف يصوم ، وكيف يحج وكيف يجاهد ، وكيف كان كلامه وحفظه للسانه ، وكيف كانت أخلاقه ، فاتّبعوا هديه واعملوا بسنته على أنه هدى وسنّة ، ولا على أنه فرض ومكتوب عليكم ، أو فريضة عادلة ، أن تتعلموا ما هي أركان الوضوء ، وما هي أركان الصلاة ، وما نصاب الزكاة ، وما قدر الواجب ، وما سهام فرائض الميّت ، أما السير وما يرغب في الآخرة من حكايات الصحابة والتابعين فهو فضل ، وأما ما اشتغلتم به وما يهتم به فليس من علوم الآخرة إنما هي من علوم الدنيا ، خضتم كل الخوض في استحسانات الفقهاء من قبلكم وتفريعاتهم ، أما تعرفون أن الحكم ما حكمه الله ورسوله ، ورب إنسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم فلا يعمل به ، ويقول إنما عملي على مذهب فلان لا على الحديث ، ثم تخيل بأن فهم الحديث والقضاء به من شأن الكمّل المهرة ، وأن الأئمة لم يكونوا ممّن يخفى عليهم هذا الحديث ، فما تركوه إلا لوجه ظهر لهم في الدين من نسخ أو مرجوحية .

اعلموا أنه ليس هذا من الدين في شيء إن آمنتم بنبيكم فاتّبعوه ، خالف مذهبنا أو وافقه ، كان مرضي الحق أن تشتغلوا بكتاب الله وسنة رسوله ابتداءاً ، فإن سهل عليكم العمل بهما ، فبها ونعمت ، وإن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأي من مضى من العلماء ، ما تروه أحق وأصرح وأوفق بالسنة ، وأن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا أنها آلة لا بأنها أمور مستقلّة ، أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الإسلام في بلاد المسلمين ، فلم تظهروا الشعائر وأمرتم الناس أن يشتغلوا بالزوائد ، واستكثرتم في أعينهم طلب الحق والدين ، أما ترون البلاد العظام تخلو عن العلماء وإن كانوا فهم دون ظهور الشعائر [1] .

---

(١) التفهيمات (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) ، وعنها في «الإمام الدهلوي» (١٤٧ ـ ١٤٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* ترجيح مذهب الفقهاء المحدثين :

لقد سلك الإمام الدهلوي ـ بعد الدراسة المتأنية لكتب الفقه وأصوله وعرضها على الكتاب والسنة ـ مسلك الاقتصاد والتوسط ، وتجنب من الإفراط والتفريط ، مع الاستيناس بأقوال الأئمة المجتهدين ، حتى تبقى هيبة الكتاب والسنة على ما كانت عليه في الصدر الأول . وقال :

«وبعد ما طالعت كتب المذاهب الأربعة وأصولها ، ونظرت في الأحاديث التي يتمسكون بها ، اعتزمت على طريق الفقهاء المحدثين بإشارة من نور الغيب وإيحائه .»[(١)] .

تطبيقاً لهذا المنهج العادل ، ردّ الدهلوي على الظاهرية الجامدة ، والتفقه المتمذهب ، ورجّح مسلك الفقهاء المحدثين ـ مع تمسكه في الظاهر بالمذهب الحنفي ـ في أهم الأصول والمسائل المختلف فيها بين الحنفية والشافعية وغيرهم من أصحاب المذاهب .

وقد نقض الدهلوي بعض الأصول والقواعد التي وضعت للردّ على الأحاديث التي تخالف المذهب ، فقال :

«(منها) : أني وجدت بعضهم يزعم أن بناء الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله على هذه الأصول المذكورة في كتاب البزودي ونحوه ، وإنما الحق أن أكثرها أصول مخرّجة على قولهم ، وعندي أن المسألة القائلة بأن الخاص مبين ولا يلحقه البيان ، وأن الزيادة نسخ وأن العام قطعي كالخاص ، وأن لا ترجيح بكثرة الرواة وأنه لا يجب العمل بحديث غير الفقيه إذا انسد باب الرأي ، وأن لا عبرة بمفهوم الشرط والوصف أصلاً ، وأن موجب الأمر هو الوجوب البتة ، وأمثال ذلك أصول مخرجة على كلام الأئمة ، وأنه لا تصح به رواية عن أبي حنيفة وصاحبيه ، وأنه ليست المحافظة عليها والتكلّف في جواب ما يَرِدُ عليها من صنائع المتقدمين في استنباطهم كما يفعله البزودي وغيره ، أحق من المحافظَة على خلافها والجواب عما يرد عليه . . .»[(٢)] .

---

(١) الجزء اللطيف (ص٤) ، وعنه في «الإمام الدهلوي» (ص١٥٧) .

(٢) حجة الله البالغة (١/ ١٦٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقال أيضاً :

«(منها) : أني وجدت بعضهم يزعم أن هنالك فرقتين لا ثالث لهما ، أهل الظاهر ، وأهل الرأي ، وأن كل من قاس واستنبط فهو من أهل الرأي ـ كلا والله ـ بل ليس المراد بالرأي نفس الفهم والعقل ، فإن ذلك لا ينفكّ من أحد العلماء ولا الرأي الذي لا يعتمد على سنة أصلاً ، فإنه لا ينتحله مسلم البتة ، ولا القدرة على الاستنباط والقياس ، فإن أحمد وإسحق بل الشافعي أيضاً ليسوا من أهل الرأي بالاتفاق وهم يستنبطون ويقيسون ، بل المراد من أهل الرأي قوم توجهوا بعد المسائل المجمع عليها بين المسلمين أو بين جمهورهم إلى التخريج على أصل رجل من المتقدّمين ، فكان أكثر أمرهم حمل النظير على النظير والرد إلى أصل من الأصول دون تتبع الأحاديث والآثار ، والظاهري من لا يقول بالقياس ولا بآثار الصحابة والتابعين كداود وابن حزم وبينهما المحققون من أهل السنة كأحمد وإسحاق . . .»[1] .

* * *

وهكذا نرى الدهلوي ـ تطبيقاً لمنهجه ـ يميل إلى مذهب الشافعية من أهل الحديث وغيرهم ، في أهم المسائل الفقهية التي اختلفت فيها الحنفية مع غيرهم . ومنها :

ـ حديث القلتين .

ـ وقراءة الفاتحة خلف الإمام .

ـ ورفع اليدين في الصلاة .

ـ والوتر بركعة وثلاث .

ـ وسنية الوتر .

ـ والقنوت .

ـ والجمع بين الصلاتين .

ـ وتكبيرات العيدين .

ـ والعشر في العشر في الماء وغيرها من المسائل .[2]

---

(١) المصدر المذكور (١/ ١٦١) .

(٢) حركة الانطلاق الفكري (١٣٧ ـ ١٤٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* استياء حنفية الهند من موقف الدهلوي :

لقد شدّد الدهلوي النكير على الفقهاء الجامدين ، وعلى الظاهرية المنكرين للفقهاء على السواء ، وقال :

«إنهم جميعاً على سفاهة وسخافة ، وإلى ضلالة ، وإن الحق أمر بين بين .»[1] .

شنّ الدهلوي حرباً شعواء على التقليد الجامد ، وهذا ما لا توافق عليه حنفية الهند أبداً ، لأنهم يرون التقليد شيئاً واجباً .

قال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي[2] (ـ١٤٠٢هـ) المشرف الأعلى لجماعة التبليغ سابقاً :

«وبالجملة ، فنحن من حيث الجماعة نرى التقليد شيئاً لازماً في هذا العصر . . . وكذلك نرى أن التصوف الشرعي الصحيح[3] أقرب طريق إلى الصلة بالله . . .

---

(١) التفهيمات (١/ ٢١٥) ، وقد تقدم مفصلاً .

(٢) تقدمت ترجمته ، وقد ألف الأستاذ الندوي كتاباً مستقلاً في سيرته بالأردية .

(٣) تقدم من تصوفه الشرعي الصحيح ما يكفي لإدانته ولا حاجة إلى إعادته ، وإليكم بعض النماذج الأخرى من «التصوف الشرعي الصحيح» ، من كتابه «تبليغي نصاب» (بالأوردية) :

١ ـ من أغربها مانقله عن السيوطي في «الحاوي» أن السيد أحمد الرفاعي زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحج سنة ٥٥٥هـ وأنشد هذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها — تقبل الأرض عــني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حــضرت — فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت يده المباركة من قبره الشريف وقبلها الرفاعي .

وزاد الشيخ محمد زكريا من «البنيان المشيد» : إنه كان هناك اجتماع زهاء تسعين ألف نسمة وهم شاهدوا هذا الحادث وزاروا يده الشريفة . ويذكر في زوارها اسم حضرة المحبوب السبحاني القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني أيضاً [فضائل الحج ١٣٧ ـ ١٣٨ أواخر الفصل التاسع : الحكاية رقم ١٣] .

٢ ـ ذكر الشيخ محمد زكريا أنه أمر في المنام أن يضم «القصيدة» في كتابه «فضائل الصلاة على النبي ﷺ» . فتخيل له أنها «قصيدة مولانا جامي» (وهي عبارة عن الاستغاثة بالنبي ﷺ) وأولها ما معناه :

بفراقك يتلفظ العالم كله أنفاسه الأخيرة — ترحم يا نبي الله ترحم

ثم ذكر أن «مولانا جامي» ذات مرة حج وأراد أن يذهب إلى المدينة لينشد هذه القصيدة عند قبر النبي ﷺ ، فأمر النبي ﷺ أمير مكة في المنام أن يمنعه من الخروج إلى المدينة وذلك لأنه إن أنشد هذه القصيدة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فإذن أي شخص ـ أو جماعة ـ يخالفنا في هذين الأمرين ، فإنه معتزل عن جماعتنا .

=عند قبري تخرج يدي من القبر لمصافحته وبذلك تحصل الفتنة .
ثم قال الشيخ : إني لا أشك في سماع هذه القصة إلا أني لا أستحضر مخرجها ، فمن عرف مخرجها في حياتي فليخبرني بذلك ، ومن عرفه بعد مماتي فليثبته في حاشية الكتاب . (فضائل الصلاة على النبي ﷺ : ١٠٩ ـ ١١٩ ، الحكاية رقم ٥٠) .

٣ ـ «قال الشيخ أبو الخير الأقطع : إني كنت جائعاً لم آكل منذ خمسة أيام شيئاً فنمت بعد الصلاة على النبي ﷺ عند روضته المقدسة ضيفاً له . فجاءني النبي ﷺ في المنام مع الشيخين وعلي ـ رضي الله عنهم ـ وأعطاني خبزاً فأكلت نصفه ولما انفتحت عيناي كان النصف الباقي منه في يدي» (فضائل الحج ص١٣٣) .

٤ ـ قال الشيخ شمس الدين الصواب ـ وكان رئيساً لخدم الحرم النبوي ـ : إن جماعة من أهل حلب قدموا رشوة إلى أمير المدينة على أن يأذن لهم بنبش قبر الشيخين وأخذ جثتهما . وحضر أربعون رجلاً مع معاولهم ليلاً فابتلعتهم الأرض جميعاً . وقال أمير المدينة للصواب بعد ذلك : لا تفش هذا السر وإلا أقطع رأسك» (فضائل الحج ص ١٤١) .

٥ ـ قال الشيخ زكريا : «نقل عن بعض المشايخ أن بعض من يسكن في الخراسان أقرب إلى الكعبة بتعلقه بها ممن يطوفونها ، بل البعض تذهب إليه الكعبة نفسها لزيارته» (فضائل الحج ص٨٧) .

٦ ـ «كان شيخ يصلي ألف ركعة قائماً ، وإذا تعب صلى ألف ركعة جالساً» (فضائل الصدقات ٥٨٨) .

٧ ـ «كان من عمل ابن الكاتب أنه يختم القرآن كل يوم ثماني مرات» (فضائل القرآن ص١٥) .

٨ ـ ذكر الخضر عليه السلام لأحد من المشايخ أنه يصلي الفجر في مكة ويجلس عند الركن الشامي إلى طلوع الشمس ، ثم يصلي الظهر في المدينة ، والعصر في بيت المقدس ، والمغرب في طور سيناء ، والعشاء عند السد السكندري» . (فضائل الحج ٢١٨) .

٩ ـ اعتكف أبو محمد الجريري اعتكافاً في مكة لمدة سنه كاملة ، فلا نام فيها ولا اتكأ على خشب أو جدار» . (فضائل الصدقات ٥٨٨)

١٠ ـ سأل أحد الابدال الخضر عليه السلام : هل رأيت أحداً أفضل منك؟ فقال : الخضر عليه السلام : ذات مرة كنت في مسجد النبي ﷺ وكان الإمام عبد الرزاق يحدث الناس أحاديث النبي ﷺ فرأيت شاباً في ناحية المسجد جالساً واضعاً رأسه على ركبتيه . وقلت له : لم لم تحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع أحاديث النبي ﷺ فقال : هناك أناس يسمعون من عبد الرزاق . وهنا من يسمع من الرزاق نفسه لا من غيره .
قال الخضر عليه السلام : إن كنت محقاً فقل من أنا؟
قال : أنت الخضر .
فقال : الخضر عليه السلام : علمت بهذا أن بعض أولياء الله لا أعرفهم لعلو مكانتهم . رضي الله عنهم ونفعنا بهم» (فضائل الحج ١٣٥) .

إلى آخر ما في محتويات «تبليغي نصاب» من الأساطير والأباطيل . (زوابع في وجه السنة (٤١٢ ـ ٤١٥) .
أهكذا يكون «التصوف الشرعي الصحيح» الذي يرى الشيخ زكريا ضرورته في الإسلام؟ ! =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وإن هذين الأمرين من الأهمية بمكان عند «مسلك[1] علماء ديوبند» . . .»[2] .

وعلى هذا ، كان استياء حنفية الهند من موقف الدهلوي ، من الاجتهاد والتقليد وتأييد مسلك الفقهاء والمحدثين أمراً لابد منه ، لأن فيه مخالفة صريحة للمذهب الحنفي وهي لا تحتمل في أي حال من الأحوال عند القوم .

قال الشيخ أنظر شاه بن أنور شاه الكشميري (أستاذ دار العلوم بديوبند) :

«وبعد دراسة تحليلية لمسلك دار العلوم ، قال مرة الشيخ الفاضل عبيد الله السندي[3] أحد أفاضل ديوبند : «إن الغرض الأساسي لدار العلوم هو تأييد الحنفية ،

---

(١) لقد بين أحد كبار علماء «ديوبند» مسلك «دار العلوم» بديوبند ، بأخص عبارة ، وأوضح إشارة ، فقال : «أن دار العلوم مسلمة ديناً ، سنية فرقةً ، حنفية مذهباً ، صوفية مشرباً ، أشعرية عقيدة ، جشتية سلوكاً ـ بل جامعة للسلاسل ـ ، ولي اللهية فكرة ، قاسمية أصولاً ، رشيدية فروعاً» (العشرون من كبار المسلمين : ص٣٣ ، وعنه في «جماعة التبليغ للأستاذ محمد أسلم : ص٦) .
هذا ، وقال الأستاذ الندوي عن «الديوبندية» : «وهي عبارة عن أصحاب العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد ، اتباع السنة ، والاجتناب عن البدع» (أضواء على الحركات : ٣٧ـ٣٨ تعليقاً) .

(٢) الأستاذ المودودي ونتائج بحوثه وأفكاره للكاندهلوي (ص٩٣) .

(٣) هو : عبيد الله الحنفي السندي (١٢٨٩ـ١٣٦٣هـ) ، ولد في بيت من بيوت الوثنيين ، وأسلم على يد الشيخ محمد صديق السندي سنة ١٣٠٤هـ ، وبايعه على الطريقة القادرية وأخذ الحديث عن الشيخ محمود حسن الديوبندي . . . واتهم بسوء الاعتقاد . (وهو يعتبر رمزاً من رموز الجهاد ضد الانجليز عند الديوبندية ، ولكن يظهر أن أمره مبالغ فيه جداً . والله اعلم) .
خرج من الهند ، وذهب إلى أفغانستان ، وروسيا ، وتركيا ، ثم سافر إلي مكة المكرمة ، ومكث بها نحو خمس عشرة سنة ، ثم رجع إلى الهند بعد خروجه منها بأربع وعشرين سنة . . . وأبدى من الآراء الغريبة والأفكار الشاذة في السياسة والاجتماع والثقافة والإصلاح ما لم توافق أكثر أصدقائه ، وقادة المسلمين وزعمائهم . واتسعت الفجوة بينه وبين العلماء والزعماء .
وكان يرى اقتباس الخط اللاطيني ، واتخاذ اللباس الافرنجي تفادياً من فرض لباس وطني يغلب فيه تابع اللباس البرهمي ، والحروف السنسكرتية . . . وانزعجت من ذلك الطبقات الدينية .
قال الأستاذ الندوي : «كان الشيخ عبيد الله من نوادر الرجال في قوة الإرادة ، وشهامة النفس واقتحام المخاطر . . . وكان مفرط الحب والانتصار لشيخ الإسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، عظيم الشغف بكتبه وعلومه وتحقيقاته . . .
كان له مذهب في تفسير القرآن ، يستنبط منه دقائق السياسة العصرية ، والمذاهب الاقتصادية ، ويتوسع =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأنا أقول بدون أي تكلف وإحراج: إن هذه المادة المهمة [أي تأييد الحنفية] قد بقيت غير منصوصة وغير مؤكدة من دورس الشاه ولي الله الدهلوي بالقدر المطلوب، فإن الشاه الدهلوي مع اتفاقه بالمدرسة الحنفية لم تنتفع من غزارة علمه حسبما كان يتوقع منه لأنه كان يدّعي الاجتهاد. ولكن سدّت دار العلوم هذه الثغرة بأحسن طريق، فقام حضرات[1] (قاسم النانوتوي) و(رشيد أحمد) الكنكوهي، وشيخ الهند (محمود الحسن) بدور منطقع النظير لتأييد الحنفية بدروسهم ومؤلفاتهم، ولكن لا يتأمل من إظهار هذه الحقيقة أن الإمام «محمد أنور الكشميري» قد صرف عبقريته الخاصة لهذا الغرض النبيل، فهو يقول بنفسه: «إني أحكمت الحنفية إحكاماً لن يتضعضع بنيانها إلى مائة سنة إن شاء الله . . . .».

واستطرد الشيخ أنظر شاه قائلاً:

«والمقصود أن الشاه (أنور) كان يعتقد اعتقاد جازماً برجاحة الفقه الحنفي، وكونه حقاً بعد المجهودات العلمية، وقد أيد مسلك «دار العلوم» تأييدا عظيماً، التي من أساسهاالأصلي تأييد الحنفية وإحكامها حسب ما قال الشيخ عبيد الله السندي[2]».

=في الاعتبار والتأويل. وقد تخرج عليه في هذا الأسلوب من التفسير بعض كبار العلماء، أشهرهم الشيخ أحمد علي اللاهوري (قد انتقد على هذا الأسلوب الشيخ أشرف علي التهانوي، وألف رسالة سماها «التغيير في التفسير» (نزهة الخواطر: ٨/ ٣٠٣ـ٣٠٨).

(فائدة): كان الشيخ أحمد علي اللاهوري من علماء ديوبند، يسمى بشيخ التفسير. كان الشيخ حسين أحمد المدني يحثّ المتخرجين في دار العلوم بديوبند، على إكمال دراستهم في التفسير عند اللاهوري، ويقول: «. . . وهو مشغول بتسخير قلوب الكائنات بضرب «الله الله»، وهو عبد مقبول عند الله، الحضور في درسه للقرآن يضمن الجنة».

لأجل هذا شارك في درسه الشيخ القارئ محمد طيب (أمين دار العلوم بديوبند)، والسيد أبو الحسن الحسني الندوي أيضاً.

هذا، وقد عين الشيخ اللاهوري خلفاءه في حياته لبقاء سلسلته، ومنهم الأستاذ الندوي أيضاً. (مردمؤمن [الرجل المؤمن] للأستاذ عبد الحميد خان: (ص٨٧، ٢٣٨).

(١) تقدمت تراجم الناتونوي، والكنكوهي، وشيخ الهند، والكشميري، وهم من كبار علماء ديوبند.

(٢) مجلة «الرشيد» (عدد ممتاز حول «دار العلوم» ديوبند: ٢١٤ ـ ٢١٥)، وعنها في «جهود مخلصة» (٢٢٦ـ٢٢٧). =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وسئل الشيخ عزيز الرحمن الديوبندي[1] (ـ١٣٤٧هـ) مفتي «دار العلوم» بديوبند :

«هل كتب الأحاديث ـ مسند الإمام أبي حنيفة ، وموطأ محمد ، والآثار له ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، ومشكاة المصابيح ، وبلوغ المرام ، ومسند الإمام أحمد ، وموطأ الإمام مالك ، سنن الدارقطني ، وسنن الدارمي وغيرها ـ عندنا معشر الحنفية معتمد عليها ومسلّم بها أم لا؟

وهل كان مؤلفوها من أهل السنة أم لا؟

قال زيد : إن هذه الكتب يعتمد عليها ويسلّم بها عند الحنفية ، ومؤلفوها من أهل السنة .

وقال عمرو : ليست هذه الكتب معتمداً عليها ولا مسلّماً بها ، ولا كان مؤلفوها من أهل السنة !!

أفيدونا : قول أيهما يُعتبر؟» .

ردَّ عليه الشيخ عزيز الرحمن (مفتي دار العلوم ديوبند) قائلاً :

«يوجد في هذه الكتب المذكورة أنواع من الأحاديث ، لا كلّها صحيحة ولا كلّها ضعيفة ، ولا كلّها معمول بها ولا كلها غير معمول بها ، وأكثر مؤلفيها من الشافعية .

ولهذا على حنفي المذهب أن يجعل كتب فقهه معمولاً بها ، ويعمل بمسائلها الفقهية» .

«كتبه عزيز الرحمن عفى عنه مفتي دار العلوم ديوبند»[2] .

---

(١) هو : عزيز الدين بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي (١٢٧٥ ـ ١٣٤٧هـ) ، بايع الشيخ رفيع الدين الديوبندي في الطريقة النقشبندية ، داوم على أشغال القوم بجد واجتهاد . وتوجه إلى الحرمين واستفاد من «شيخ المشايخ الحاج إمداد الله» .
وكان كثير الإفاضة قوي النسبة ، يداوم على حلقة الذكر والتوجه ، وتذكر له كشوف وكرامات . . .
دفن بجوار النانوتوي ، والشيخ محمود حسن الديوبندي» (نزهة الخواطر : ٨/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢) .

(٢) «حقيقة الفقه» للشيخ محمد يوسف (١٧٨ ـ ١٨٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا هو موقف علماء ديوبند من الحديث النبوي الشريف ، وعلى هذا ، ما نقله الأستاذ الندوي من قول العلامةالسيد محمد رشيد رضا المصري :

«لولا عناية إخواننا ـ علماء الهند[1] ـ بعلوم الحديث في هذا العصر ، لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل القرن الرابع عشر»[2]

لم يُرِدْ به حنفيةالهند ، وذلك بدليلين :

(الأول) : قال السيد رشيد رضا قبل هذه العبارة :

« . . . حتى صار جميع تلك الثروة الواسعة من كتب الحديث وشروحها سهلاً على كلّ من يريده ، ولكن بعد أن قلّ من يريده ، حتى إن من المقلّدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة إلا التبرك بها ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره ، وذكرها ، لولا عناية إخواننا علماء الهند . . .»[3] .

(والثاني) : لمّا زار السيد رشيد رضا الهند ، أراد أن يتعرف على طريق تدريس الحديث عند الحنفية من الديوبندية .

فقالوا : فإن كان مذهب الإمام الكوفي من الحديث ، في بادىء الأمر يوفق مذهبه به ، ويبين تطبيق المذهب بالحديث .

قال : هل ذلك في كل حديث؟

قالوا : نعم !

قال : هل الحديث حنفي !!

هل هذا إلا عصبية ما لها من سلطان؟ ![4] .

* * *

---

(١) قال الأستاذ الخولي : « . . . وفي الهند طائفة الآن كبيرة تهتدي بالسنة في كل أمور الدين ، ولا تقلد أحداً منهم الفقهاء ، ولا المتكلمين ، وهي طائفة المحدثين» (مفتاح السنة : ص١٦٦) .

(٢) مقدمة مفتاح كنوز السنة («ق») ، وعنها في «الإمام الدهلوي» (١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٣) مقدمة مفتاح كنوز الستة («ص ـ ق») .

(٤) «نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور» للشيخ محمد يوسف البنوري (ص ٧١) ، وعنه في «اللمحات إلى ما في أنوار الباري من الظلمات» للشيخ محمد رئيس الندوي (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب

(١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ)

كان الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى من الأئمة المهتدين، والدعاة المخلصين الذين وفقهم الله تعالى للدعوة والإصلاح في الأوساط التي تحكمت فيها البدع والخرافات، والعادات والتقاليد.

ولقد جدّد إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري، وكان مخلصاً في الدعوة إلى الكتاب والسنة، وموفقاً في نشرها رغم أنوف خصومه، فبارك الله فيها، وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها كالنار في الهشيم. وما نرى من يقظة إسلامية مستقيمة في أقطار العالم، يرجع فضلها ـ بعد الله تعالى ـ إلى هذه الدعوة المباركة.

المبادىء الحقيقية لهذه الدعوة:

تتلخص هذه المبادىء في النقاط التالية:(١)

* توحيد الله تعالى في عبادته، وتوحيده في ربوبيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وإقرار هذا المبدأ قولاً وعملاً، والبعد عن جميع مظاهر الشرك والوثنية، والرفض والتصوف، والإلحاد والزندقة، التي تكدر نقاوة الإسلام، وتشوه جماله.

* التمسك بمنهج السلف المبني على الكتاب والسنة في العقائد الأحكام مع تقرير مبدأ الاجتهاد، والردّ على التقليد الأعمى.

* الجهاد في سبيل الله، لنشر الدعوة حيناً، ولحمايتها حيناً آخر.

---

(١) راجع «حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي» للدكتور محمد بن عبد الله السلمان (١٣٠ ـ ١٣٧) المنشور في «مجلة البحوث الإسلامية» بالرياض. العدد الحادي والعشرون ١٤٠٨هـ و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي (١٣٤ ـ ١٣٥) طبع السلفية بالكويت ١٩٨٣م.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مصادر هذه الدعوة :

«قد اعتمد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته على ثلاثة مصادر هامة :

أولها : القرآن الكريم .

ثانيها : السنة النبوية .

ثالثها : آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام ، خاصة الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية»(١) .

غاية هذه الدعوة :

غاية هذه الدعوة هي إعادة الإسلام إلى نقاوته الأولى ، وإزالة أنقاض البدع والخرافات التي غشيت العقيدة الصحيحة .

وقد اعترف بهذه الحقيقة المستشرقون من أعداء الإسلام ، فضلاً عن خصوم هذه الدعوة من المسلمين .

قال غولتسهير المستشرق المجري اليهودي في كتابه «العقيدة والشريعة» :

« . . . يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية ، على الصورة التي وضعها النبي والصحابة . . . فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان»(٢) .

وجاء في «دائرة المعارف» البريطانية :

«الوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتّبعون تعاليم الرسول وحده ، ويهملون كل ما سواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح»(٣) .

«والفضل ما شهدت به الأعداء» .

---

(١) المصدر المذكور في «مجلة البحوث» (١٢٧ـ١٢٨) .
(٢) «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لابن حجر آل بوطامي (ص١٥٤) .
(٣) المصدر نفسه (ص١٥٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الإمام محمد بن عبدالوهاب معاصر الإمام الدهلوي :

ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ) كان أحد المعاصرين الكبار للإمام الدهلوي (١١١٤ ـ ١٢٧٦هـ) ، ولكنه ليس هناك شيء يدل على معرفة الإمام الدهلوي به ، وتعرّفه عليه فضلاً عن مقابلته ولقائه ، لأن دعوته عرفت في الحجاز حين استولى آل سعود على مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ ، بعد وفاة الشيخ باثنتي عشرة سنة ، وبعد وفاة الإمام الدهلوي باثنتين وأربعين سنة .

ثم ذكر ماهية دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ، وأشاد بجهاده وجهوده ونجاحه في مجال الدعوة ، فقال :

« . . . وما حصل للشيخ في هذا الصدد من النجاح لا يوجد له نظير في الدعاة والمصلحين في العهود الماضية ، وإن كان ـ حسب ما يقول الدكتور أحمد أمين ـ يرجع ذلك ـ إلى حد كبير ـ إلى قيام حكومة (وهي الحكومة السعودية) على أساسها وتبنيها لهذه الدعوة ، وتشجيعها لها وإشرافها عليها [١] ، ولكن مما لا يقبل الجدل والاختلاف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام ـ في هذا الصدد ـ بدور مصلح ثوري عظيم . . .» [٢] .

* * *

لم يكن البحث عن الركن الشديد في مجال الدعوة إلى الله عيباً ، بل هو دأب الأنبياء والرسل [٣] .

وقد ردّ الدكتور محمد خليل هراس على الدكتور محمد البهي في نحو قول الدكتور أحمد أمين الذي أشار إليه الأستاذ الندوي ، فقال :

«وأما قوله إن تعضيد السلطة الرسمية السعودية هو الذي أعطى الحركة قوة البقاء والاستمرار فذلك حق لا ريب فيه .

---

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحاضر ، وعنه في الإمام الدهلوي .

(٢) الإمام الدهلوي (٣٠٦ ـ ٣٠٧) .

(٣) وما هجرة الأنبياء وأصحابهم من مكان إلى مكان لضمان الحفاظ على الدعوة ، إلا سلسلة من البحث عن ركن شديد .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فإن البيت السعودي المالك ـ حرسه الله ـ قد وفى بما عاهد عليه مؤسس الحركة ، من حمايتها والدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين من المعطلة والقبوريين والصوفية .

ولكن يجب أن يضاف إلى ذلك القوة الذاتية للحركة نفسها [١] . ثم جهود آل الشيخ ـ حفظهم الله ـ وعلماء الدعوة في توضيحها والدفاع عنها» .

«وكان هذا من لطيف صنع الله لهذه الحركة ، أن جمع لها السيف والقلم واللسان ، فآتت أكلها شهياً ، ومضت إلى غاياتها قدماً ، لا يعوقها استبداد حاكم ولا عسف سلطان» [٢] .

* من خصوم الدعوة :

قال الأستاذ الندوي :

« . . . ومهما خالفه بعض الناس في بعض أفكاره وآرائه وأسلوبه في عرض الدعوة ومنهجه ولم يوافقه مائة في مائة إلا أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الدعوة وفائدتها والحاجة إليها في تلك الظروف الخاصة» [٣] .

* * *

في عبارة الأستاذ الندوي هذه ، تحفظات كثيرة ، وكل كلمة من كلماتها وراءها تاريخ طويل لعداء دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ .

---

(١) وقال أيضاً :

« . . . بل لا نعرف حركة إسلامية كانت أمينة على مبادئها وملتزمة بها في مجال التطبيق مثل الحركة الوهابية ، ولعل هذا هو الذي ضمن لها البقاء والرسوخ ، فقد أصبحت منهج فكر وخطة حياة وجزءاً من كيان المؤمنين بها . . .» (الحركة الوهابية : ص٦٩) .

(٢) الحركة الوهابية (ردّ على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية) (٤١ ، ٧٠) .

(تنبيه) : لم تكن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، مثل المذاهب الفقهية التي انتشرت تحت ظل الحكومات التي قلدتها . بل إنها دعوة مشتركة بين المذاهب كلها ؛ على منهاج النبوة ، إلى التوحيد الخالص ، والتخلي عن جميع مظاهر الشرك ، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة والعقيدة عملاً ، ومنهجاً ، وسلوكاً .

(٣) الإمام الدهلوي (ص٣٠٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم تنشأ تساؤلات عديدة حول كلام الأستاذ الندوي ، منها :

* من هم بعض الناس؟

* وما هي بعض أفكار إمام الدعوة وآرائه؟

* وما هو أسلوبه ومنهجه في عرض الدعوة؟

* وهل كانت الحاجة إلى هذه الدعوة في «تلك الظروف الخاصة» فقط؟

نحن نغضّ الطرف عما كان عليه أصحاب البدع والأهواء في العالم العربي والإسلامي من مخالفة هذه الدعوة . ولكن نعرض ـ هنا ـ بعض نماذج الحقد المتوارث عليها ، وعلى مؤسسها ، من قبل كبار «الديوبندية» من حنفية شبه القارة الهندية ، الذين يذكرهم الأستاذ الندوي بلوامع الألقاب والآداب ، في هالة من التبجيل والتمجيد(١) . ومنهم :

*** الشيخ خليل أحمد السهارنفوري(٢) (ـ١٣٤٦هـ) :**

قال في «المهنّد على المفنّد» : «السؤال الثاني عشر» :

---

(١) كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(٢) قال الأستاذ الندوي : «الشيخ الكبير العالم الفقيه المحدث خليل أحمد السهارنفوري ، أحد العلماء الصالحين ، وكبار الفقهاء المحدثين . . . بايع الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي . . . ولقي بمكة الحاج إمداد الله . . . وأجازه في الطرق . . . كانت له قدم راسخة ، وباع طويل في إرشاد الطالبين ، والدلالة على معالم الرشد ومنازل السلوك ، والتبصر في غوامض الطريق وغوائل النفوس ، صاحب نسبة قوية ، وإفاضات قدسية ، جذبة إلهية . نفع الله به خلقاً كثيراً ، وخرج على يده جمعاً من العلماء والمشايخ ونبغت بتربيته جماعة من أهل التربية والإرشاد . . . من أجلهم المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس (صاحب الدعوة المشهورة المنتشرة في العالم) ، والمحدث الجليل محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي [صاحب تبليغي نصاب] .

كان جميلاً وسيماً . . . شديد الاتباع للسنة نفوراً عن البدعة . . . له من المصنفات :

«المهند على المفند» . [المعروف بـ«التصديقات لدفع التلبيسات» ، وهو في بيان عقائد علماء ديوبند] و«بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» .

(زيادته على نزهة الخواطر : ٨/ ١٣٣ ـ ١٣٦ ، وأضواء : ٣٣ ـ ٣٦) .

راجع شائعة رجوع السهارنفوري عن الوقيعة في الإمام محمد بن عبد الوهاب والرد عليها في «دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١٤٠ ـ ١٥١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«قد كان محمد بن عبد الوهاب النجدي يستحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وكان ينسب الناس كلهم إلى الشرك ويسبّ السلف ، فكيف ترون ذلك؟ وهل تجوزون تكفير السلف والمسلمين وأهل القبلة أم كيف مشربكم»؟ .

الجواب :

«الحكم عندنا فيهم ما قال صاحب «الدرّ المختار»(١) : « . . . وخوارج وهم قوم لهم منعة خرجوا عليه(٢) بتأويل يرون أنه على باطل : كفر أو معصية توجب قتاله ، بتأويلهم ، يستحلون دماءنا وأموالنا ، ويسبون نساءنا ـ إلى أن قال : وحكمهم حكم البغاة ، ثم قال : وإنما لم نكفّرهم لكونه عن تأويل وإن كان باطلاً .

وقال الشامي في حاشيته :

«كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب(٣) الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون ، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة(٤) وقتل علمائهم ، حتى

---

(١) الدر المختار (٤/ ٢٦٢ ـ ط . ثانية ـ البابي ١٣٨٦هـ) . قال الحصفكي (ـ ١٠٨٨هـ) :
«ثم الخارجون عن طاعة الإمام ثلاثة : «قطاع طريق» ، ـ وعلم حكمهم ـ ، وبغاة» ـ يجيء حكمهم ـ و«خوارج» ، وهم قوم لهم منعة . . .» .
محال أن يكون قول الحصفكي (ـ ١٠٨٨هـ) هذا في الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ) وأتباعه ـ رحمهم الله ـ ، لأن الحصفكي توفى قبل ولادة إمام الدعوة بنحو سبعة وعشرين عاماً .
ولكن يظهر من سياق السهارنفوري كأن كلام صاحب «الدر المختار» أيضاً ورد في الإمام محمد بن عبد الوهاب . كما ورد كلام ابن عابدين الشامي (ـ ١٢٥٢هـ) في حاشية رد المحتار (٤/ ٢٦٢) في الإمام وأصحابه ـ رحمهم الله تعالى .

(٢) أي علي «الإمام» .

(٣) «كذب مكشوف ، لأن مجدّد الدعوة هو محمد بن عبد الوهاب (ـ ١٢٠٦هـ) لا أبوه ـ رحمهما الله ـ . انظر إلى هذا الجهل المركب المطبق ! ثم انظر إلى حكمه الجائر المزخرف المنمق !» (جهود علماء الحنفية : ١/ ٥١٧ تعليقاً) .

(٤) كذب سافر لوجهين :
الأول : أن الإمام لم يقاتل أحداً من البداية .
والثاني : أن الذين قاتلوه كانوا قبورية أهل البدع ، ولم يكونوا أهل السنة» (جهود علماء الحنفية : ١/ ٥١٧ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كسر الله شوكتهم»[١] .

ثم أقول : ليس هو ولا أحد من أتباعه وشيعته من مشايخنا في سلسلة من سلاسل العلم من الفقه والحديث والتفسير والتصوف . وأما استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، فإما أن يكون بغير حق أو بحق .

فإن كان بغير حق فإما أن يكون من غير تأويل فكفر وخروج عن الإسلام .

وإن كان بتأويل لا يسوغ في الشرع ففسق .

وأما إن كان بحق فجائز بل واجب .

وأما تكفير السلف من المسلمين فحاشا أن نكفّر أحداً منهم ، بل هو عندنا رفض وابتداع في الدين ؛ وتكفير أهل القبلة من المبتدعين فلا نكفّرهم ما لم ينكروا حكماً ضرورياً من ضروريات الدين ، فإذا ثبت إنكار أمر ضروري من الدين نكفّرهم ونحتاط فيه ، وهذا دأبنا ودأب مشايخنا ، رحمهم الله تعالى»[٢] .

والمعتمد عند السهارنفوري ـ مع كل هذه الاحتياطات في الفتوى ـ هو كون الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ـ رحمهم الله تعالى ـ من الخوارج .

سبحانك هذا بهتان عظيم .

هذا هو السهارنفوري الذي نبغت بتربيته ـ على حد قول الأستاذ الندوي ـ جماعة من أهل التربية والإرشاد . فإلى الله المشتكى !

---

(١) رد المحتار لابن عابدين الشامي (٤/ ٢٦٢) وزاد : « . . . وخرّب بلادهم ، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث [الصحيح ثلاثة] وثلاثين ومائتين» .

علّق عليه الدكتور شمس الدين الأفغاني قائلاً : «الحمد لله على أنه لم يخرب بلاد أهل التوحيد ، فبلادهم في نعمة وأمن واستقرار ، تموج بالنعم والحمد لله ، ينهل منها المسلمون في شرق الأرض وغربها ، وعمت خيراتها مشارق الأرض ومغاربها ، حتى القبورية وأهل البدع من الماتريدية ، والأشعرية ، وغيرهم ، فكثير منهم نزلوا هذه البلاد لأغراضهم الدنيوية مطرقين رؤوسهم إطراق الكرى ، وكل الصيد في جوف الفرى» (جهود علماء الحنفية : ١/ ٥١٧ تعليقاً) .

(٢) المهند على المفند (المعروف بالتصديقات لدفع التلبيسات ، المترجم إلى الأردية باسم «ماضي الشفرتين على خادع أهل الحرمين) : ٤٥ ـ ٤٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الشيخ محمد أنور الكشميري[1] (ـ ١٣٥٢هـ) .

قال :

«أما محمد بن عبد الوهاب النجدي ـ فإنه كان رجلاً بليداً ، قليل العلم ، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر ، ولا ينبغي أن يقتحم في هذا الوادي إلا من يكون متيقّظاً متقناً عارفاً بوجوه الكفر وأسبابه»[2] .

---

(١) قال الأستاذ الندوي : « . . . أحد علماء الحديث الأجلاء . . . وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث في الهند . أكبر همه التطبيق بين الحديث والفقه ، ينتصر للمذهب الحنفي ، ويقيم الدلائل على صحته وأرجحيته ، قد نفع الله بدرسه خلقاً كثيراً ، وتخرّج على يديه عدد كبير من الفضلاء ، واشتغلوا بتدريس الحديث ونشر العلم . . .

كان الشيخ أنور نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع من الفقه والأصول . . . يعترف لشيخ الإسلام ابن تيمية بالفضل والنبوغ . . . مع انتقاده له في تفرداته وحدته . . .

كان كثير الإعجاب بالشيخ محيي الدين ابن عربي في بيان الحقائق والمعارف الإلهية ، كان نقي الذهن ، صافي الفكرة ، سليم الصدر ، سمح النفس ، شديد الغيرة على الإسلام ، وعقيدة أهل السنة ، شديد العداء والبغض للقاديانية . .

قد غلبته الرقة في آخر حياته ، فكان سريع الدمعة ، كثير البكاء ، وغلبه شغف بالحقائق الإلهية والعلوم الرقيقة . . .»(زيادته على نزهة الخواطر : ٨/ ٨٠ ـ ٨٣) .

هذا الشيخ الكشميري الذي «كان شديد الغيرة على الإسلام وعقيدة أهل السنة» ـ على حد قول الأستاذ الندوي ـ هو الذي اعترف بأن «مشايخنا مولعون بعقيدة وحدة الوجود ، ولكني لستُ بمتشدد فيها» (فيض الباري : ٤/ ٤٢٨ ، وعنه في «جهود علماء الحنفية» ٢/ ٧٩٠) .

وراجع رأي الكشميري في عقيدة وحدة الوجود ، وطي الزمان ، وإحياء الولي الموتى ، وعلمهم بالغيب ، وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره بأذان وإقامة ، وغيرها من الأمور في «الديوبندية» (٣٥ ، ٣٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٦٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢) .

(٢) فيض الباري (١/ ١٧٠ ـ ١٧١) ، وعنه في «جهود علماء الحنفية» ، (١/ ٥٢١) وقال : «وسكت عليه الشيخان الميرتهي والبنوري الديوبنديان» .

وراجع محاولة إثبات رجوعه عن الوقيعة في الإمام محمد بن عبدالوهاب ، والرد عليها في «دعوة الإمام (١٥٣ ـ ١٥٩) وقع الكشميري في شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ، وبهذا يتبين أنه كم كان معترفاً بفضله ونبوغه على حد قول الأستاذ الندوي ـ فإنه قال :

«أما الحافظ ابن تيمية ، فإنه وإن نسب الزيادة والنقصان إلى إمامنا ـ رحمه الله ـ ولكن في طبعه سورة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هكذا هذا الغيور على عقيدة أهل السنة ـ على حد قول الأستاذ الندوي ـ يرمي الإمام بهذه النقائص بل العظائم ، فنسأل الله السلامة !

* الشيخ حسين أحمد المدني[1] (ـ ١٣٧٧هـ) :

=وحدة ، فإذا عطف إلى جانب عطف ولا يبالي ، وإذا تصدّى على أحد تصدّى ولا يحاشى ، ولا يؤمن مثله من الإفراط والتفريط ، فالتردد لنقله هذا ، وإن كان حافظاً متبحّراً» (فيض الباري : ١/ ٥٩) .

وقد انبرى الشيخ محمد إسماعيل السلفي لقول الكشميري هذا ، فقال :

«فلينظر العاقل العارف بأحوال الرجال ، هل لرأيه هذا قيمة علمية . لعل الشيخ . . . لم يعلم أن نقده هذا على ابن تيمية ، قد أسقط رتبته العلمية في أعين أهل المعرفة . . . يطعن على ابن تيمية بالسورة ، والحق أنه السائر والثائر عليه . . . إن لم تؤمن بنقله فالعالم كله يؤمن بنقله . . .

وهل هذا إلا سورة منك ـ رحمك الله ـ نشأت بين العصبية المنتنة والبغض الشديد بأهل التوحيد والسنة والمتمسكين بالسلفية ، كأنك ـ رحمك الله ـ كوثري أوانك وتركماني زمانك ، لا تخاف في مؤمن إلاّ ولا ذمة .

أيش تقول : «إن محمد بن عبدالوهاب بليد ، قليل العلم» ، و«تقوية الإيمان» ، لشدته لم تفد شيئاً ، و«ابن تيمية» لسورته لا يعتمد عليه .

أهذا علمك وذكاؤك ـ رحمك الله ـ ألا ترى أن التوحيد الخالص القرآني قد عمّ أقطار البلاد بمساعي هؤلاء الأئمة ـ رحمهم الله ـ صدق المجربون : «إن الخفاش لا يفيده ضوء الشمس وإن كان نصف النهار» (مقدمته على «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي : ص ١٥) .

(١) عدّ الأستاذ الندوي شيخه : حسين أحمد المدني (صدر المدرسين بدار العلوم بديوبند) من الشخصيات التي أثرت في تكوين شخصه ، وهو مرشد أخيه الأكبر الدكتور السيد عبدالعلي الحسنى . قال الأستاذ الندوي :

« . . . وكان أخي في تلك الأيام قد اتصل بالشيخ الجليل العالم الرباني الشيخ حسين أحمد المدني اتصال التربية الروحية ، والإصلاح والتهذيب ، وقد أحب شيخه وتوثقت به صلته ، وقامت بينهما من الثقة والاعتماد ما جعل ينزل في بيته في لكهنؤ دائماً . . .» .

ولما ذهب الأستاذ الندوي بإشارة من المدني لمواصلة الدراسة في دار العلوم بديوبند أنزله عنده . (في مسيرة الحياة : ١/ ١٠٣ ، ١٠٦ـ١٠٧) .

قال الأستاذ الندوي : « . . . كان الشيخ حسين أحمد من نوادر العصر ، وأفراد الرجال صدقاً وإخلاصاً ، وعلو همة وقوة إرادة ، وشهامة نفس ، وصبراً على المكاره ، ومسامحة للأعداء ، يشفع لهم ويسعى في قضاء حوائجهم ، وثباتاً على المبدأ ، ورحابة ذرع ، وسعة صدر ، وجمعاً لأشتات من الفضائل ، والمتناقضات من الأعمال ، له نزاهة لا ترتقي إليه شبهة . . .» =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال :

«محمد بن عبد الوهاب النجدي كان يحمل خيالات باطلة ، وعقائد فاسدة(١) ،

=وقال : « . . . وكان في آخر عمره ، غلبت عليه الحمية الدينية ، والغيرة للشرع والسنة النبوية ، فكان لا يتحمل تفريطاً فيها ، وقد تعتريه الحدة في ذلك ، ويعلو صوته ، ويشدد الإنكار على من خالف السنة أو استخف بشعائر الإسلام ، وكان شديد الحب لأساتذته ، ومشايخه ، شديد الغيرة فيهم ، وكان ينتقد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وينكر عليه فيما تفرد به من المسائل والآراء ، شديد الانتصار للشيخ محيي الدين ابن عربي . . . شديد الحب والبغض في الله ، وكان قد راض نفسه على النوم والانتباه ، ينام إذا شاء ، وينتبه إذا أراد ، وكان شديد العبادة والاجتهاد في رمضان ، وكان يؤمه مئات من المريدين ، ويصومون معه ويقومون ، ويتحول المكان الذي يقضي فيه رمضان إلى زاوية عامرة بالذكر والتلاوة والسهر ، والعبادة .

وكان قليل التصنيف ، وله «الشهاب الثاقب» [«على المسترق الكاذب» ، ألّفه للتبرىء من عقائد أهل التوحيد الذين يسميهم هو وخلطاؤه بالوهابية» (جهود علماء الحنفية» : ٣/ ١٨٠٨ـ ١٨٠٩)] .

و«نقش حياة» [وهو في «السيرة الشخصية» له .] .

(شخصيات وكتب : ٢٩ـ ٣٠ ، وأضواء : ٢٩ ـ ٣٠ ، وفي مسيرة الحياة : ١/ ١٠٣ ، ١٠٦ـ ١٠٧ ، وزيادته على نزهة الخواطر : ٨/ ١١٩ـ ١٢١) .

(١) يرمي المدني إمام الدعوة بهذه العظائم وهو نفسه لغلوه في الخرافة يلقب الجيلاني بالغوث الأعظم وغوث الثقلين ، وله اهتمام بالغ بقصيدة البردة وكتاباه هذان مكتظان بالخرافات . يرمي أئمة الدعوة بالوهابية الخبيثة ، و«الوهابية الخبثاء» وله شغل خاص بالتوسل والاستغاثة وكشف القلوب والقبور» (جهود علماء الحنفية : ١/ ٥٢١ـ ٥٢٢ ، ٢/ ٧٢٧ـ ٧٢٨ ، ٣/ ١٨٠٨ـ ١٨٠٩ ، والديوبندية : ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ـ ٢٥٦) .

راجع شائعة رجوع المدني عن الوقيعة في أئمة الدعوة ، والردّ عليها في «دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية» (١٢٠ـ ١٢٧) . وزد إلى ذلك أنه قال ـ وهو يقارن بين «أهل التوحيد» (الوهابية) ، و«الديوبندية» ـ :

«إن الوهابية الخبيثة تستقبح جداً قراءة دلائل الخيرات ، والقصيدة البردية ، والقصيدة الهمزية ، ويجعلون بعض أبيات البردة من قبيل الشرك ؛ كقول البوصيري :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

مع أن أئمتنا وأكابرنا كانوا يأمرون مريديهم بقراءة مثل هذه الكتب ويجيزونها ؛ والشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ الجنجوهي رحمهما الله أجازا قراءتها لآلاف من الناس ، وكانا يقرآنها . وقد أنشد الشيخ محمد قاسم النانوتوي مثل هذا البيت الذي في قصيدة البردة فقال :

انصر أيها الكرم الأحمدي لأنه ليس لقاسم أحد سواك فإذا أنت لم تسأل عن حالنا فمن يسأل ، ومنَ يكون معيناً لنا غيرك !؟» (الشهاب الثاقب : ٢٦٦ ، ٤٨ ، وعنه في «جهود علماء الحنفية : ٢/ ٨٠٢ـ ٨٠٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقاتل أهل السنة والجماعة ، وقتلهم ، وأجبرهم على اعتقاد خيالاته ، وغنم أموالهم ، ورأى أن قتلهم موجب لرحمة الله ، وقد آذى أهل الحرمين أشد الأذى ، وكان يسيء القول في السلف الصالح ، وقد تضايق كثير من أهل الحرمين من إيذائه ، فهاجروا ، واستشهد بأيدي جنوده آلاف من الناس .

فالحاصل :

أنه كان ظالماً ، وباغياً ، سفاكاً ، فاسقاً ، ولهذا أبغضه العرب كما أبغضوا أتباعه ، إلى حد لم يبغضوا اليهود ، ولا النصارى ، ولا المجوس ، ولا الهندوك .

نعم يجب بغضهم وعداوتهم لما صدر منهم من أنواع الإيذاء لهم . . . .

إن بين عقائدنا ، وعقائد أكابرنا ، وبين عقائد الوهابية بوناً بعيداً ، وفرقاً شاسعاً ، كما بين السماء والأرض . . .»[١] .

هذا هو رأى «الشيخ الجليل العالم الرباني الذي لا ترتقى شبهة إلى نزاهته» ـ على حد قول الأستاذ الندوي ـ في الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة .

هذه هي «الديوبندية» التي قال فيها الأستاذ الندوي : «وهي عبارة عن أصحاب العقيدة السنية الصحيحة في التوحيد ، واتباع السنة ، والاجتناب عن البدع»[٢] .

هؤلاء هم بعض الناس ـ على حد تعبير الأستاذ الندوي ـ الذين خالفوا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب .[٣]

* * *

---

(١) الشهاب الثاقب (٤٢ ـ ٤٣) ، وعنه في «جهود علماء الحنفية» (١/ ٥٢٣) .
(٢) أضواء على الحركات (٣٧ ـ ٣٨ تعليقاً) .
(٣) الإمام الدهلوي (ص٣٠٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مقارنة بين الإمام الدهلوي وشيخ الإسلام ابن تيمية

قال الأستاذ الندوي :

«وأما ما يتعلق بتوضيح عقيدة التوحيد وتنقيحها ، وإثباتها بالقرآن الكريم ، وشرح الفوارق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، فإن هنالك شبهاً كبيراً بين آراء الشيخ [ابن عبد الوهاب] وتحقيقاته وبحوثه وآراء الإمام الدهلوي وتحقيقاته وبحوثه . . .

ولكن دائرة أعمال الإمام الدهلوي الإصلاحية والتجديدية أوسع وأشمل من ذلك بكثير . . .

ولذلك فإنه من المناسب أن تكون هناك دراسات مقارنة بين الإمام الدهلوي وبين شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، والبحث عن نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما ، بدلاً من الدراسة المقارنة بين الإمام الدهلوي والشيخ محمد بن عبدالوهاب . . . لأنهما يبدو بينهما الشيء الكثير من وجوه التشابه في تبحّرهما العلمي ، وبلوغهما درجة الإمامة والاجتهاد في علوم الكتاب والسنة . . . رغم الاختلاف الطبيعي الذي هو نتيجة البيئة والتعليم والتربية ، واختلاف العهد والمكان ، والسلوك والتربية الروحية الباطنية .»(١) .

* * *

لا ريب أن الإمام الدهلوي من الشخصيات الإسلامية البارزة في التأريخ لأجل قيامه بالدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ، وتخفيف وطأة التقليد الجامد ، والخروج على عادات الجاهلية ، ونشر الوعي الديني في صفوف الملوك والأمراء ، وإعادة ثقة الناس بالدين ، وفهم أسراره في رسائله ومؤلفاته .

وقد أثبت دعائم هذه الأسس وأحكمها على وجه البصيرة .

---

(١) الإمام الدهلوي (٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

*** وقفات :**

ولكن ـ مع هذا كله ـ تحتاج المقارنة بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية إلى وقفات :

(الأولـــى) : كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية في التفريق بين الألوهية والربوبية ، والإيمان بالأسماء والصفات على منهج السلف الصالح واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

ولكن كلام الدهلوي في الأسماء والصفات ـ مع تصريحه الأكيد ، وحثّه المتكرّر على العضّ بعقيدة الكتاب والسنة بالنواجذ إجمالاً ـ يحيطه شيء من الغموض ، وبعض كلامه في هذا الموضوع يشير إلى «التفويض» .(١)

(الثـــانيـــة) : كما أن شيخ الإسلام شن هجوماً عنيفاً في كتاباته على المناطقة والفلاسفة والمتكلمين والروافض ، كذلك تناول أهل الحلول والاتحاد والوحدة من الصوفية أيضاً ، وردّ على كبارهم ردّاً شديداً ، حتى سجن لأجل كلامه الصريح في ابن عربي وانحرافاته سنة ٧٠٧هـ ، في عهد الجاشنيكير الجركسي ، بمؤامرة شيخه : نصر بن المنبجي .(٢)

وعلى العكس من ذلك نرى الدهلوي يصوّب عقيدة «وحدة الوجود» و«وحدة الشهود» على السواء ، ويستشهد في بعض كتبه أحياناً بأقوال الحلّاج ، وابن عربي ، والصدر القونوي وغيرهم من رؤساء أهل الحلول والاتحاد والوحدة .(٣)

(الثـالثـة) : دعا شيخ الإسلام إلى العودة بالأمة إلى الكتاب والسنة في كتاباته وخطاباته ، وتوجيهاته وإرشاداته ، وكان قدوة في التمسك بهما عقيدة وعملاً ، ومنهجاً وسلوكاً .

---

(١) كما تقدم ، وراجع «حجة الله البالغة» (١/ ٦٣) .

(٢) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٠٣ ـ ١١٤) .

(٣) كما تقدم وقال الدهلوي : « . . . . فالمذهب الأول : يسمّى بوحدة الوجود ، والثاني : بوحدة الشهود . وقد وقع عندنا أن المكشوفين صحيحان جميعاً ، لكن القول بأن وحدة الشهود على هذا المعنى لم يقل به الشيخ [ابن] العربي سهو ، بل الشيخ وأتباعه بل الحكماء أيضاً ، يقولون بها .» (فيصلة وحدة الوجود ووحدة الشهود : ص ٧ ، وعنها في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للصوفية .» (ص١٣٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أما الدهلوي فقد كتب في هذا الباب كثيراً ، وأجاد ، إلا أنه لم يتمكن ـ أحياناً ـ من العمل بما كتب لخطورة الظروف ، ومراعاة أحوال العامة من الناس .(١)

(الرابعـة) : ربى شيخ الإسلام تلاميذه على الأخذ من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح ، ولذا تتميز كتاباتهم بالجدّة والابتكار ، وعدم التبعية والتقليد ، وتعتبر روافد الباحثين عن الحق في جميع أبواب الدين : من العقيدة ، والتفسير ، والحديث ، والسيرة ، والتأريخ ، وأسماء الرجال ، والأخلاق والآداب ، والسياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع وغيرها من أمور المعاش والمعاد .(٢)

أما تلامذة الدهلوي ، فبقيت فيهم صبغة التمذهب والتصوف ، والتبعية والتقليد . وحينما يتكلم أحد منهم في التصوف ودقائقه ومعارفه ، فلا يكاد يتميز عن أي صوفي آخر في تحقيقاته وتقريراته .

وقد توارث هذا الأسلوب من التربية في تلامذة الدهلوي ، وتلاميذهم ، وأنصارهم فيما بعد ، فمنهم من انفتح على الكتاب والسنة ـ بمرور الزمن ـ انفتاحاً كلياً ، فبدأ يبتعد عن التصوف ، ونجا منه ومن غوائله أخيراً .

ومنهم من تمسّك به ، وبدأ يتسكع في مجاهله ، وأبعد وأمعن حتى أفرط في القول بوحدة الوجود والشهود أيضاً .(٣)

والجدير بالذكر أن كلا الفريقين يتمسك فيما هو فيه ، بكلام الدهلوي نفسه ، لأن

---

(١) كما تقدم .

(٢) راجع كتابات تلامذته ، وعلى رأسهم : علم الدين البرزالي (ـ ٧٣٩هـ) ، وجمال الدين المزي (ـ٧٤٢هـ) ، ومحمد بن أحمد بن عبدالهادي (ـ٧٤٤هـ) ، وشمس الدين الذهبي (ـ٧٤٨هـ) ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية (ـ ٧٥١هـ) ، وأبو الفداء ابن كثير الدمشقي (ـ٧٧٣هـ) تجد فيها كل هذه الأمور في غاية من الروعة والجمال والدقة والإتقان .

قال الحافظ ابن حجر : «لو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية . . . لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته .

فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم ، والتمييز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم ، فضلاً عن الحنابلة .» (الردّ الوافر : ص ٢٣١ ، وعنه في «دعوة شيخ الإسلام» : ١/ ٨٠) .

(٣) اعتقاد الحاج إمداد الله ومشايخه ومريديه بوحدة الوجود والشهود حلقة من هذه السلسلة كما تقدم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فيه مجالاً لذلك ، وهذه الثنائية لا توجد في كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية أبداً .

(الخامسة) : تتميز كتابات شيخ الإسلام بدقة الاستنباط من الكتاب والسنة ، وتبدو عليها نقاوة المنهج السلفي ، ولا تكاد تجد فيها ما يخالف الأدلة الصحيحة .

أما كتابات الدهلوي ـ رغم أهميتها الكبيرة في كثير من الأمور ـ ، فتجدها تمتزج ـ بين الفينة والأخرى ـ بما لا يستسيغه الذوق السليم ، إلا بالتأويل أو الردّ ، خاصة فيما يتعلق بالتصوف ودقائقه ومعارفه ، فإذا دخل في وادي التصوف يكون كلامه ـ أحياناً ـ أجنبياً عن الكتاب والسنة .(١)

(السادسة) : كتابات شيخ الإسلام في العقيدة والشريعة في غاية من الوضوح والبيان ، ولذلك نرى المنتسبين إليه من تلامذته وأنصاره ، أنهم ليسوا على آراء متناقضة وأفكار متضاربة في مهمات المسائل .

أما المنتسبون إلى الدهلوي من تلامذته وأنصاره ، فهم في كثير من الأمور يكونون عى طرفي نقيض .

وسبب هذا البعد ما بين الفريقين هو محاولة الدهلوي نفسه في المزج بين السنة والتصوف ، والتقليد والاجتهاد .

فمن عضّ على ما ثبت عنه من الصوفيات بالنواجذ وحاول المزج بين السنة والتصوف ، فطغى التصوف على السنة لأجل غلبة التقليد .

ولأجل هذا نرى هذا الفريق يستاء من ردّه على التقليد ، ودعوته إلى الاجتهاد .(٢)

(السابعة) : قام شيخ الإسلام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أحسن قيام ، كان يدور مع أصحابه على الخمّارات ، وحانات الخمور ، فيشقّون الظروف ، ويريقون الخمور ، ويعزّرون أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش .

وكان يستتيب المنحرفين والمشعوذين ، ويدعوهم إلى التوبة والاستقامة . وذات

---

(١) راجع على سبيل المثال : «أنفاس العارفين» ، و«القول الجميل» و«الخير الكثير» ، وغيرها .

(٢) كما تقدم مفصلاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مرة أمر أصحابه ـ ومعه حجّارون ـ بقطع صخرة كانت تزار ، وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ، ومن الشرك بها ، فأزال عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً .(١)

لا توجد هذه الجوانب العملية في إزالة المنكرات على هذا المستوى المتميز في حياة الإمام الدهلوي .

(الثامنة) : كان عصر شيخ الإسلام ابن تيمية يزخر بكبار علماء المذاهب وقضاتها في الدولة ، الذين اشتهروا بالفضل والنبوغ في علوم الشريعة وغيرها من حقول العلم والمعرفة .

وقد كان العمل خلاف المذهب ، أو مخالفة علمائها وقضاتها ، نوعاً من الخروج على الحكم حينئذ .

مع هذا كله ألّف وصنف ، وكتب وخطب ، وبشّر وحذّر ، وناقش وناظر من غير أن يخاف في الحق لومة لائم ، أو بطش حاكم .

أما الدهلوي فقد آثر التصنيف والتأليف ، على العمل والخطابة ، والمجابهة والمناقشة في تبيان الحق .

(التاسعة) : دعا شيخ الإسلام إلى الإصلاح السياسي ، مع الابتناء على تصور سليم للحكم الإسلامي ، وسعى لإقامة حكومة قوية ، وقام لتحقيق هذا الجانب بإنشاء العلاقات بأمراء المماليك وإقناعهم بمنهج الكتاب والسنة في الحكم ، حتى قيل في عدد من هؤلاء أنهم من تلاميذه وأتباعه .(٢)

نرى هذا الجانب في حياة الدهلوي أيضاً بشيء من الوضوح ، ولكنه ليس على هذا المستوى المتميز من الجدية الكافية ، والعمل المباشر .

(العاشرة) : قام شيخ الإسام بدور رائد في بعث روح الجهاد والمقاومة لمواجهة الأخطار الخارجية .

ومن إنجازاته في هذا الميدان :

---

(١) دعوة شيخ الإسلام (١/ ١١٤) .
(٢) المصدر المذكور (١/ ٨٦ ـ ٨٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* نجاحه في إقناع قازان الثاني أن لا ينهب دمشق خلال الغزو المغولي عام ٦٩٩هـ . وتكلّم مع قازان كلاماً أثار دهشة الحاضرين . حتى قازان نفسه تعجّب من جرأته وشجاعته في الحق(١) .

* لما جاوز قازان المغولي بجيشه الفرات عام ٧٠٠هـ ، وقصد حلب وأخذ الناس يتركون البلاد طلباً للنجاة من شراسة المغول ، قام شيخ الإسلام يحث الناس على الجهاد ، واجتمع بالأمراء ، وذهب إلى القاهرة يسأل السلطان محمد بن قلاوون الدفاع عن الشام(٢) .

* وفي عام ٧٠٢هـ حين لاح خطر المغول مرة ثالثة ، كان شيخ الإسلام في الصف الأول من المعركة . وأصدر فتوى بالأفطار للمقاتلين ، وكان لوجوده الأثر الكبير في الانتصار في معركة شقحب سنة ٧٠٢هـ(٣) .

* وفي عام ٦٩٩هـ ، وكذلك في عام ٧٠٤هـ شارك شيخ الإسلام في الحملة ضد الإسماعيلية ، في جبل كسروان ، الذين كانوا يتعاونون مع الصليبيين والمغول(٤) . فاستتابوا خلقاً منهم ، وألزموهم بشرائع الإسلام ، ورجع مؤيداً ومنصوراً(٥) .

لا نرى هذه المشاركة الفعلية في الجهاد ضد أعداء الإسلام في حياة الإمام الدهلوي .

(الحادية عشرة) : تميز شيخ الإسلام بقوة الحجة والذاكرة ، واستحضار نصوص الكتاب والسنة في استنباط المسائل ، واستقلاله عن رواسب التعصب المذهبي ، وإخلاصه في تنقية العقائد من شوائب الشرك والوثنية ، وشجاعته النادرة ، وشخصيته المحببة حتى لدى العامة من الناس لأجل قيامه بالنصح لهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٨٩) .

(٢) المصدر المذكور (١٤/ ١٥ـ١٦) ، وشذرات الذهب (٥/ ٤٥٥) .

(٣) شذرات الذهب(٦/ ٤) .

(٤) الفكر التربوي عن ابن تيمية (ص٥٥) .

(٥) البداية والنهاية (١٤/ ١٢ ، ٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه المميزات العلمية الظاهرة ، والخصائص العملية الباهرة ، أكسبته أعداء من ضعفاء النفوس ، وكل ذي فضل محسود ، فابتلى بحسد الأقران من العلماء والفقهاء قضاة الدولة الذين لم يبلغوا إلى ما بلغ إليه من العلم والفضل والمنزلة عند العامة والخاصة .(١) هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ابتلي بمؤامرة المتآمرين على دولة المماليك ، ليقضوا على عناصر القوة ورجال الدعوة والإصلاح .(٢)

وزد إلى ذلك عدم انصياعه للحكام والأمراء فيما أرادوا ، لأن الحق كان أعز عنده من كل شيء .(٣)

وقد سجن شيخ الإسلام بمؤامرات هذه الأطراف(٤) نحو ثماني مرات ، وأوذي في سبيل الله ، وتوفاه الله عز وجل سنة ٧٢٨هـ وهو في السجن .(٥)

وسنة يوسف ـ عليه السلام ـ هذه التي أحياها شيخ الإسلام في حياته مرات كثيرة ، لا يوجد لها أثر في حياة الإمام الدهلوي .

هذه هي بعض الفروق التي ظهرت لي عند المقارنة بين الإمام الدهلوي وشيخ الإسلام ابن تيمية . والله أعلم .

* * *

---

(١) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٩٦ ـ ١٠٦) .

(٢) قال شيخ الإسلام : «هذه القضية ليس الحق فيها لي ، بل لله ولرسوله وللمؤمنين . . . فإن الذين أثاروها من أعداء الإسلام . . . يختارون انتصار أعدائه من التتار ونحوهم . . . ولا أسمّي من دخل في ذلك حتى تشاوروا نائب السلطان ، فإن أذن في ذلك ذكرت لك ذلك . . . ولكن تعرفون من حيث الجملة أنهم قصدوا إفساد دينكم ودنياكم . . .» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥) .

(٣) دعوة شيخ الإسلام (١/ ٩٦ ـ ٩٧) .

(٤) ما تقدم من الأسباب ، هي الحقيقية لاضطهاد شيخ الإسلام ، ولكن أعداءه كانوا يتسترون باتهامهم إياه بأمور باطلة ذريعة لتحقيق أهدافهم ، منها : «التجسيم» ، و«منع زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم» ، و«إهانة الأنبياء والصالحين» ، و«الخروج على الإجماع» وغيرها من الأمور . راجع التفصيل عنها في «دعوة شيخ الإسلام» (٢/ ٣٤٥ ـ ٤٧٤) .

(٥) دعوة شيخ الإسلام (١/ ٩٩ ـ ١٠٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* أثر شيخ الإسلام في دعوة الدهلوي :

مع كل هذا يظهر من دراسة حياة الشاه الدهلوي أن أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وأنصاره أثرت في تكوين شخصيته بواسطة مشايخه في الحجاز، ورجع إلى الهند بعاطفة الاعتصام بالكتاب والسنة، وصرح في كتابه بترجيح العمل بمذهب الفقهاء المحدثين دون تقيد بمذهب فقهي منسوب إلى أحد الأئمة الأعلام .

وقال في شيخ الإسلام : «والذي أعتقده أنا، وأحب أن يعتقده جميع المسلمين، في علماء الإسلام حملة الكتاب والسنة والفقه، والذابين عن عقيدة أهل السنة والحديث أنهم عدول بتعديل النبي ﷺ حيث قال : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله» ـ وإن كان بعضهم قد تكلم فيهم بما لا يرتضيه هذا المعتقد، إذا كان قولهم ذلك غير مردود عليهم بنص الكتاب والسنة والإجماع . وكان قولهم ذلك محتملاً، وكان مجال ومساغ للخوض فيه، سواء كان قولهم ذلك في أصول الدين، أو في المباحث الفقهية، أو في الحقائق الوجدانية .

وعلى هذا الأصل اعتقدنا في شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فإنا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله، ومعانيه اللغوية والشرعية، وحافظ بسنة رسول الله ﷺ وآثار السلف، عارف بمعانيهما اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرّر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء، ذو لسان وبلاغة في الذبّ عن عقيدة أهل السنة، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة، اللهم إلا هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها . وليس شيء منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف .

فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره؟ والذين ضيقوا عليه لم يبلغوا معشار ما آتاه الله تعالى . وإن كان تضييقه ذلك ناشئاً من الاجتهاد . ومشاجرة العلماء في مثل ذلك ما هي إلا مشاجرة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فيما بينهم . والواجب في ذلك كفّ اللسان إلا بخير» (١) .

---

(١) جلاء العينين للآلوسي (٤٥ ـ ٤٦) نقلاً عن «التفهيمات الإلهية» للدهلوي .
وراجع «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مقارنة بين الإمام الدهلوي

والإمام محمد بن عبدالوهاب

رغب الأستاذ الندوي في المقارنة بين الدهلوي، وشيخ الإسلام، بدلاً من المقارنة بينه وبين الإمام محمد بن عبدالوهاب .

ولكن نقوم بالمقارنة الموجزة بين الدهلوي والإمام محمد في النقاط الثلاث التالية التي هي مبادىء دعوته الحقيقية :[1]

* توحيد الله تعالى في عبادته، وتوحيده في ربوبيّته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وإقرار هذا المبدأ قولاً وعملاً، والبعد عن جميع مظاهر الشرك والوثنية، والرفض والتصوف، والإلحاد والزندقة، التي تكدر نقاوة الإسلام، وتشوه جماله .» .

قام الدهلوي أيضاً في إقرار هذه النواحي الثلاث في توحيد الله تعالى، ولكن في بعض كلامه شيئاً من الغموض، وبعضه يشير إلى التفويض .[2]

أما البعد عن التصوف الذي هو مما يكدر نقاوة الإسلام ويشوّه جماله، فهو ما لا يوافق عليه الدهلوي، بل كتبه في التصوف تدل على توغّله فيه .[3]

* «التمسك بمنهج السلف المنبني على الكتاب والسنة في العقائد والأحكام، مع تقرير مبدأ الاجتهاد، والردّ على التقليد الأعمى» .

يوجد في كتابات الدهلوي ما يقرّر هذه النقطة بالجملة، ولكن عند التفصيل - نرى أن بعض كتاباته في التصوف «تكدر نقاوة المنهج السلفي، وتشوه جماله»، خاصة في العقائد .

وكل هذا مع «تقرير مبدأ الاجتهاد، والرد على التقليد الأعمى» على أحسن وجه .

---

(١) راجع «دعوة شيخ الإسلام» (١/ ١٢٩ - ١٣٠) .

(٢) كما تقدم .

(٣) حتى في وحدة الوجود ووحدة الشهود . كما تقدم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* «الجهاد في سبيل الله ، لنشر الدعوة حيناً ، ولحمايتها حيناً آخر» .

تكلم الدهلوي في الجهاد وأسراره كلاماً في غاية من القوة والإتقان والروعة والجمال ، إلا أنه لم يتيسر له الجهاد في سبيل الله بالسيف والسنان مثل ما تيسر للإمام محمد بن عبدالوهاب مع الأمير محمد بن سعود ـ رحمهم الله تعالى .

ما الفائدة من هذه المقارنة :

رأي الأستاذ الندوي ضرورة إجراء المقارنة بين الإمام الدهلوي وشيخ الإسلام ابن تيمية للبحث عن نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما ، بدلاً من المقارنة بين الدهلوي والإمام ابن عبدالوهاب .

تمت المقارنة بين الإمام الدهلوي وشيخ الإسلام ، وكذلك بينه وبين الإمام محمد بن عبدالوهاب أيضاً بشيء من الاختصار ، خلاف رأي الأستاذ الندوي .

ولكن يتساءل : ماذا يستفاد من هذه المقارنات بينهما ، في هذا المحيط المتعصب من «التقليد الجامد» و«التعصب المنحرف» اللذين اعتبرا «شعار الإسلام» في العصور المتأخرة ، لأجل بعد الناس عن مصدر التلقي المعصوم ، المتمثل في الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح .

وما الفائدة من هذه المقارنة في مجتمع يمجَّد فيه ابن عربي وتلامذته أمثال القونوي والكرماني والرومي وغيرهم من حملة عقيدة وحدة الوجود[١] ، وينال من شيخ الإسلام وأنصاره ، ولا يرقب فيهم إلٌّ ولا ذمة .

وإليكم نماذج[٢] من آراء بعض قادة هذا الاتجاه في شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ليقدر ذلك الحقد المتوارث الذي ينتقل جيلاً بعد جيل إلى عصور متلاحقة .

* قال الشيخ محمد أنور الكشميري[٣] (ـ١٣٨٧هـ) صاحب «فيض القدير» في

---

(١) تقدم مراراً ، راجع رد شيخ الإسلام على هؤلاء وأمثالهم في مجموع فتاواه .
(٢) تقدمت منها بعضها آنفاً .
(٣) تقدمت ترجمته قريباً من كتب الأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مسألة زيادة الإيمان ونقصانه» :

«أما الحافظ ابن تيمية ، فإنه وإن نسب الزيادة والنقصان إلى إمامنا ـ رحمه الله ـ ولكن في طبعة سورة وحدة ، فإذا عطف إلى جانب عطف ولا يبالي ، وإذا تصدّى على أحد تصدى ولا يحاشي ، ولا يؤمن مثله من الإفراط أو التفريط ، فالتردد لنقله هذا ، وإن كان حافظاً متبحراً» .(١)

* وقال الشيخ ظفر أحمد التهانوي(٢) (ـ١٣٩٤هـ) بعد ذكر تحسين الطحاوي لحديث : «رد الشمس(٣) لعلي ـ رضي الله عنه ـ » ، ورد شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) عليه :

---

(١) فيض الباري (١/ ٥٩) ، وقد تقم الرد عليه من كلام الشيخ محمد إسماعيل السلفي حيث قال : « . . . هل لرأيه هذا في شيخ الإسلام ابن تيمية أي قيمة علمية . . . والحق أنه هو السائر الثائر عليه . . . إن لم تؤمن بنقله ـ فالعالم كله يؤمن بنقله .» (مقدمته على «شرف أصحاب الحديث» للخطيب : ص ١٥) .

(٢) هو : ظفر أحمد العثماني (ـ١٣٩٤هـ) ابن أخت الشيخ أشرف علي التهانوي وتلميذه ، وبإشارته ألف «إعلاء السنن» لإقامة الدلائل الحديثية على مهمات الفروع من مذهب الحنفية ، حتى يثبت أنه لا يوجد في المذهب الحنفي من المسائل ما يخالف الحديث والسنة .
ولما كان هذا الإثبات بمثابة خرط القتاد ، ألف «مقدمة حديثية» على طريقة الحنفية ، لتصحيح الحديث وتضعيفه ، وأسماها «إنهاء السكن إلى من يطالع إعلاء السنن» ، وطبع الكتاب في «الخانقاه الإمدادية» (نسبة إلى الحاج إمداد الله الذي هو شيخ الديوبندية في التصوف) في «تهانه يهون» .
وطبع أخيراً بعد تغيير اسمه إلى (قواعد في علوم الحديث) بتحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، وتقديم شيخه : الشيخ محمد زاهد الكوثري .
نظراً إلى هذه الظروف والملابسات يسهل على القارىء معرفة رأي هؤلاء القوم في شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٣) فحول علماء الحديث الذين يعتمد على قولهم ردوا هذا الحديث ، قال الإمام أحمد : «لا أصل له» وتبعه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٥٥) ، وابن القيم في «المنار المنيف» (٥٧ ـ ٥٨) والذهبي كما في «تنزيه الشريعة» لابن عراق (١/ ٣٧٩) ، وابن كثير في (البداية والنهاية : ١/ ٣٢٣) وغيرهم من جهابذة فن الحديث في كتبهم .

(٤) راجع «منهاج السنة» (٤/ ١٨٥ ـ ١٩٥) ، تجد هنالك نفائس ودرراً لا تجدها في غير ذلك الموضع في هذا الموضوع . قال شيخ الإسلام : « . . . فضل علي ، وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم ـ ولله الحمد ـ من طرق ثابتة ، أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها إلى كذب ، ولا إلى ما لا يعلم صدقه . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ولما رأى الطحاوي قد حسّنه وأثبته ، جعل يجرح الطحاوي بلسان ذلق وكلام طلق ، وأيم الله إن درجة الطحاوي في علم الحديث فوق آلاف من مثل ابن تيمية ، وأين لابن تيمية أن يكون كتراب نعليه ! .

فمثل هؤلاء المتشددين لا يحتج بقولهم إلا بعد التثبت والتأمل ، والله تعالى أعلم ، (التهانوي)[1] .

* ذكر الشيخ محمد حسن السنبهلي[2] (ـ١٣٠٥هـ) في حاشيته «نظم الفرائد على شرح العقائد للنسفي» عقيدة تفويض الكيفية ، نقلاً عن الإمام الشوكاني فقال بهتاناً :

«خلفاء هذه الملة أربعة : ابن تيمية ، وابن القيم ، والشوكاني ، فيقولون ثلاثة

=وحديث «رد الشمس له» قد ذكره طائفة . كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما ، وعدوا ذلك من معجزات النبي ﷺ ، ولكن المحققين من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع كما ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات (١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧) . . . وقال : هذا حديث موضوع بلا شك وقد اضطرب الرواة فيه . وقال في رواية ابن شاهين : وهذا حديث باطل» .

(١) قواعد في علوم الحديث (٤٤١ ـ ٤٤٢) ، وراجع تأويل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة لقول التهانوي هذا في شيخ الإسلام ، والرد عليه ، وبيان تسفيهه لعقول الناس في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢/ ٥٩٤ ـ ٦٠١) .

(٢) هو : محمد حسن بن ظهور الحسن الحنفي السنبهلي (ـ١٣٠٥هـ) . تتلمذ على علماء «سنبهل» و«رامفور» ، وأخذ عن أبي الحسنات عبدالحي اللكهنوي (ـ١٣٠٤هـ) . قال السيد عبد الحي الحسني : « . . . وكان شديد التعصب على من لا يقلّد الأئمة» .

ومن مؤلفاته «نظم الفرائد على شرح العقائد» ، و«تنسيق النظام لمسند الإمام» (حاشية بسيطة على مسند الإمام أبي حنيفة برواية الحصفكي مع مقدمتها المبسوطة) (نزهة الخواطر : ٨/ ٤١٨ ـ ٤١٩ ، وجهود مخلصة : ص ٢٤٧) .

لعلّ تعصبه هذا هو السبب الوجيه الذي لأجله عرفه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بما يأتي :

« . . . وهو العلامة المحقق الشيخ السنبهلي . . . عصري الشيخ عبد الحي اللكنوي ، وصديقه ومشابهه في كثرة التآليف العديدة ، وتنوعها ، مع قصر العمر أيضاً فقد ولد ١٢٦٤هـ ، وتوفى سنة ١٣٠٥هـ وله نحو مئة مؤلف أو يزيد . وصاحب بحث وجولات منصورة في كتبه رحمه الله تعالى . . . وكتابه «تنسيق النظام في مسند الإمام» كتاب عظيم جداً للغاية ، ومقدمته حشيت أغلى الدرر والنفائس فعليك به . . .» (قواعد في علوم الحديث : ص١٠٩ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

رابعهم كلبهم .

وإذا انضم إليهم ابن حزم ، وداود الظاهري بأن صاروا ستة ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب .

وخاتم المكلّبين مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، يشنّع على أهل الحق في التنزيه»(١) .

ألا يعلم أمثال هؤلاء الحاقدين أن مثل هذه الوقيعة في كبار علماء الأمة وفضلائها في عصورهم ، تدل على قلة حيائهم وانحطاط تربيتهم . «هل يضر السحاب نباح الكلاب» .

ملخص القول : إن الكلمات الخسيسة التي تستعمل في حق شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل الكتاب الحاقدين ، والمؤلفين القاصرين الذين لا يساوون غرزة في نعله ـ تكون من هفوات أقلامهم ، أو اعتقاد قلوبهم ، لا تضيره شيئاً ، بل تدل على كمال علمه وفضله ، وقلة دينهم ونقص تربيتهم .

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في أمثال هؤلاء الشانئين :

«إن مجرد قول الخصم في خصمه لا يوجب القدح في واحد منهما ، وكذلك كلام المتشاجرين في الآخر .

---

(١) قال العلامة السلفي معلقاً على هراء السنبهلي هذا :

«وإني لا أجد قدرة لترجمة هذه الشتائم التي وجهت إلي ابن تيمية ، وابن القيم ، والشوكاني ، وابن حزم ، وداود الظاهري ، والنواب صديق حسن خان . . .

وإني أؤكد بناء على تجاربي أن أعراض أهل العلم ، ومكانتهم لن تصان ما وجد التقليد الشخصي بين الناس . . . وليس ذلك إلا أن التقليد يؤدي إلى الإفراط والغلو في الحب . ولا يخفى تأثير ذلك على الغير» (حركة الإنطلاق الفكري : ص١٩٦) .

جزى الله تعالى العلامة محمد إسماعيل السلفي ـ رحمه الله تعالى ـ على أنه وقف حياته للدفاع عن علماء السنة والحديث . وكشف في كتاباته عن نوايا كثير من الحاقدين . لو كان حياً لقلت له :

لو كلّ كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم يقال بتقدير أن يكون الطاعن طعن على خصمه ، فليس ذلك قدحاً في خصمه بأولى من جعله قدحاً في نفس الطاعن»[١] .

هذه بعض النماذج لوقيعة كبار الديوبندية من الأحناف في شيخ الإسلام ، التي تدل على ثقافتهم في التعصب للمذهب ، وفي بطر الحق وغمط الناس لأجله ، لو كان لهم من الأمر شيء لأحرقوا كتب ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبدالوهاب وغيرهم من أئمة الدعوة لأنهم يرونها مفسدة لعقول المسلمين وعقائدهم ،[٢] نعوذ بالله من الخذلان .

إن المحيط الذي يرى وجوب التقليد ، ولزوم التصوف ، ويرى بعض كباره حياة النبي صلى الله عليه وسلم حياة دنيوية ، وتحضير الأرواح ، وحياة الخضر والكشف ، والمراقبة عند القبور ، والاستلهام من أصحابها ، وتأثيرهم على المجاورين لها وما شاكله من العقائد البدعية ـ هل يرجى منه غير ما حصل ؟[٣] .

أعود فأقول : ما الفائدة من رغبة الأستاذ الندوي في إجراء المقارنة بين الإمام الدهلوي وشيخ الإسلام ابن تيمية . والأمر من الخطورة والشناعة بما ترونه من المكان . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! .

*تناقضات في كتابات الدهلوي :

إن الإصلاحات التي قام بها الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي (ـ١٠٣٤هـ) (مع كونه ماتريديا في العقيدة ، حنفياً في الفقه ، نقشبنديّا في التصوف[٤]) ، دعمتها جهود الشيخ عبدالحق الدهلوي (ـ١٠٥٢هـ) في نشر الحديث النبوي تعليماً وتدريساً على طريقة الحنفية المشوبة بالتصوف[٥] .

---

(١) منهاج السنة (٣/ ١٩١) .
(٢) القول البليغ (٤٤ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ١٠٦) .
(٣) دعوة شيخ الإسلام (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢) .
(٤) تقدمت هذه الأمور في ترجمته بشيء من التفصيل .
(٥) تقدمت ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأثمرت هذه الجهود في عصر الإمام الدهلوي (ـ١١٧٦هـ) بتأييده الصريح لمذهب الفقهاء المحدثين في كتاباته، مع بقائه حنفياً في الظاهر، صوفيا في السلوك، مدافعا عن منهج السلف .(١)

هكذا جمع في كتاباته مزيجاً متناقضاً من الأفكار والاتجاهات . نرى كتاباته في الرد على الكلام المذموم، ورفض التقليد الجامد، والدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، وضرورة الاجتهاد، وتأييد مذهب المحدثين في غاية من الروعة والجمال، والرصانة والإتقان .

لكنا حينما نرى تقريراته في التصوف، و«أسراره ودقائقه، ومعارفه وحقائقه»، نجد فيها من انحرافات الصوفية وشطحاتهم ما لا يميزه عن غيره من أصحاب وحدة الوجود والشهود، وهي جديرة أن تكون متمسكاً للمنحرفين منهم في إثبات شطحاتهم ودعاويهم .

ونراه في حين آخر يردّ مجملاً على تلك الخرافات والانحرافات أيضاً .(٢)

هذه التناقضات التي وجدت في كتاباته حول السنة والتصوف، لا تخلو من أحد أمرين :

* إما أنه رجع عن هذه الصوفيات، وردُّه عليها إجمالاً يدل على ذلك . ولكن يقال : إن «أنفاس العارفين» من أواخر مؤلفاته، وهو مليء بالمخالفات العقدية المنكورة .(٣)

* وإما إنه حاول المزج بين السنة والتصوف ـ كما يقال ـ . فهذا التصوف الذي حوى هذه المخالفات كيف يمكن المزج بينه وبين السنة . وشتّان بينهما !!

إذن، لم يزل السؤال قائماً بأنه كيف التوفيق بين هذين الاتجاهين المتناقضين في كتابات الإمام الدهلوي !!

---

(١) تقدم مفصلاً .

(٢) تقدمت نصوصه في الرد عليها آنفاً .

(٣) وقال الشيخ عبيد الله السندي : «هذا الكتاب روح فلسفة ولي الله وتصوفه» (الشاه ولي الله وفلسفته : ص٢١٥، وعنه في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للصوفية» : ص ١٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ليس هناك ما يجيز هذا التناقض ، إلا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ من تأويلهم فقال :

« . . . وإذا قيل له : هذا ينافي ذلك .

قال : هذا مقتضى عقلي ونظري ، وذاك مقتضى ذوقي ومعرفتي .

ومعلوم أن الذوق والوجد إن لم يكن موافقاً للعقل والنظر ، إلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما .»(١) .

وقال أيضاً :

«فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد ، والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق أحدهما كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما .»(٢)

أهل الحديث وحقيقة نسبتهم إلى الدهلوي

غربة الحديث النبوي في شبه القارة الهندية :

مر الحديث النبوي «وهو أحد مصدري التلقي المعصوم في الإسلام» بغربة عجيبة في الهند ، صوّرها السيد عبدالحي الحسني تصويراً دقيقاً ، يتفطر منه القلب حزناً وأسى على ضياع هذه الأمة في مجاهل حكمة اليونان ، وغياهب التصوف المنحرف ، والتقليد الجامد ، فقال :

«ولما انقرضت دولة العرب من بلاد السند ، وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية ، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر ، وعديماً كعنقاء المغرب ، وغلب على الناس الشعر و النجوم والفنون الرياضية ، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول ، ومضت على ذلك قرون متطاولة حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان ، والإضراب عن علوم السنة والقرآن ، إلا ما

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

(٢) المصدر المذكور (٢/ ٣١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

يذكر في الفقه على القلة، وكان قصاري نظرهم في الحديث في مشارق الأنوار للصغاني، فإن ترفع أحد إلى مصابيح السنة للبغوي أو إلى مشكاة المصابيح ظن أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث، ولذلك تراهم لا يذكرون هذا العلم، ولا يقرءونه ولا يحشون عليه. ولا يجذبون إليه ولا يعرفون كتبه ولا يعلمون أهله، والقليل منهم كانوا يقرءون المشكاة لا غير، وهذا على طريقة البركة لا للعمل به، والفهم له، وعمدة بضاعته من الفقه على طريقة التقليد دون التحقيق إلا ما شاء الله تعالى في أفراد منهم، ولذلك كثرت فيهم الفتاوي والروايات وتركت النصوص المحكمات، ورفض عرض الفقه على الحديث وتطبيق المجتهدات بالسنن المأثورة عن النبي المعصوم المأمون ﷺ . . .»(1).

طوال هذه القرون، من اهتم بالحديث واعتنى به، أيضاً لم يتجرد لنشره علماً وعملاً، لانتحاله إلى التقليد والتصوف إلا من رحم ربك، لأن كلا الأمرين فيه من الإفراط والتفريط ما لا يحثّ المرء على التجرّد والموضوعية، في البحث عن الحق في بعض الأحيان، حتى لو كان الأمر يتعلق بالكتاب والسنة فضلاً عن الأمور الأخرى.

جهود الدهلوي في نشر الحديث:

في هذه الظروف الدقيقة من الزمن، اتجه الإمام الدهلوي في كتاباته إلى تأييد العمل بالحديث على طريقة الفقهاء المحدثين، بعد أن درس الحديث على علماء الحجاز المعروفين في ذلك الوقت.

يظهر من دراسة حياة الشاه الدهلوي أن أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وأنصاره أيضاً أثرت في تكوين شخصيته بواسطة مشايخه في الحجاز، ورجع إلى الهند بعاطفة الاعتصام بالكتاب والسنة، وصرّح في كتاباته بترجيح العمل بمذهب الفقهاء المحدثين، دون تقيد بمذهب فقهي منسوب إلى أحد الأئمة الأعلام.

تطوّر اتجاه الاستفادة المباشرة من الكتاب والسنة تطوراً نظرياً نوعاً ما، في أنجاله وأنصاره، مع بقائهم على التصوف.

---

(1) الثقافة الإسلامية في الهند (١٣٥ ـ ١٣٦)، وعنها في «الإمام الدهلوي» (١٤١ ـ ١٤٢).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ونرى بعض معاصريه[١] أيضاً جاهروا العمل بالحديث ، الذي كان حينئذ جريمة لا تغتفر ، ورفضوا التقليد الجامد ، فكانت هذه الغيرة على العمل بالحديث خير نواة للعهد الجديد لحركة العمل بالسنة .

وقد قطع الشيخ عبدالعزيز بن الإمام الدهلوي (ـ١٢٣٩هـ) شوطاً على درب أبيه ، بعد ما تولى التدريس في محله[٢] . ولكن الظروف القاسية المتعصبة ألجأته إلى التوقف وعدم الانطلاق[٣] ، إلا أنه خلف من تلامذته من تولى دعم هذا الاتجاه بأسلوب أو آخر ، ومن أبرزهم :

* ابن أخيه الشاه إسماعيل[٤] بن عبد الغني الدهلوي (ـ١٢٤٦هـ) الذي جاهر العمل بالحديث تمسكاً بما قرّر جدّه الإمام الدهلوي في كتاباته ، من تأييد مذهب

---

(١) من أبرزهم :

* الشيخ مرزاجان جانان الدهلوي (ـ١١٩٥هـ) تقدمت ترجمته . «كان حنفياً في الفروع [نقشبنديا مجدديا في التصوف] ، لكنه كان يترك العمل بالمذهب إذا وجد حديثاً صحيحاً غير منسوخ ، ولا يحسب ذلك خروجاً على المذهب . . .» (نزهة الخواطر : ٦/ ٥٢ـ ٥٦) .

* والشيخ محمد فاخر زائر الإله آبادي (ـ١١٦٤هـ) كان من تلامذة الشيخ محمد حياة السندي (ـ١١٦٣هـ) ، «انتهى إليه الورع وحسن السمت والتواضع ، والاشتغال بخاصة النفس ، واتفق الناس على الثناء عليه ، والمدح لشمائله ، وصار مشاراً إليه في هذا الباب . وكان لا يتقيد بمذهب ولا يقلد في شيء من أمور دينية ، بل كان يعمل بنصوص الكتاب والسنة ، ويجتهد برأيه ، وهو أهل لذلك . . .» (نزهة الخواطر : ٦/ ٣٤٠ـ ٣٤١) .

(٢) وقد سئل الشاه عبدالعزيز عن مذهب أئمة الحديث فقال :

«إن أئمة الحديث لا يتقيدون بمذهب من مذاهب المجتهدين ، بل إنهم يستفيدون من الفقهاء ، ومن المصادر الأخرى على السواء» (الفتاوي العزيزية : ٢/ ١١٧ ، وعنها في «حركة الإنطلاق : ص٩٣) .

وأدرك خطورة الأصول والقواعد التي وضعها متأخرة الحنفية للرد على الأحاديث الصحيحة فقال :

«ومن اللطائف التي قلّما ظفر بها جدلي لحفظ مذهبه ما اخترعه المتأخرون لحفظ مذهب أبي حنيفة ، وهي عدة قواعد يردّون بها جميع ما يحتج بها عليهم من الأحاديث الصحيحة» (الفتاوى العزيزية : ١/ ٦٢ ، وعنها في حركة الإنطلاق) .

(٣) راجع «نقوش آزاد» (٣١٨ـ ٣١٩) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (١٤٥ـ ١٤٧) .

(٤) راجع ترجمته في «أبجد العلوم» للأمير صديق حسن البوفالي (٣/ ٢٤٧) ، ونزهة الخواطر : (٧/ ٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المحدثين (مع التزامه بمرشده الشيخ أحمد بن عرفان في التصوف)[١] ، وقام بالرّد على البدع السائدة في البلاد ، وألّف كتاب «تقوية الإيمان» الذي هو مثل «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب . وأثمرت حركته لإحياء السنة ، وتحولت إلى حركة الجهاد ، التي أقضت مضاجع السيخ والإنجليز ، حتى استشهد هو ومرشده في ميدان «بالاكوت» سنة ١٢٤٦هـ .

* والعلامة حسن[١] بن علي الحسيني القنوجي ـ ١٢٥٣هـ) ، والد النواب صديق حسن البوفالي (ـ ١٣٠٧هـ) ، الذي دعم الاتجاه السلفي للعمل بالحديث بنشر تأليفاته ، وتأليفات علماء التفسير والحديث .

* وسبطه الشيخ محمد إسحاق المهاجر المكي[٢] (ـ ١٢٦٢هـ) ، الذي جلس للتدريس على مسند جده الشاه عبدالعزيز الدهلوي في حياته ، إلى أن هاجر إلى مكة المكرمة سنة ١٢٥٨هـ .

وانتهت إليه الرئاسة في الحديث في عصره ، وتخرج عليه كبار علماء الهند . ومن أبرز تلاميذه :

ـ خليفته السيد نذير حسين المحدث الدهلوي[٣] (ـ ١٣٢٠هـ) ، رائد السلفية في الهند .

ـ والشيخ المحدث عبد الغني المجددي[٤] (ـ ١٢٩٦هـ) شيخ الحنفية في الهند[٥] .

ولقد طبّق إسماعيل الدهلوي في حياته مع التزامه بالتصوف[٦] ، ما كتبه جدّه وأعمامه في مؤلفاتهم ، فبدأت تتميز صفوف أهل الحديث في الهند ، بالاعتصام

---

(١) أبجد العلوم (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

(٢) المصدر المذكور (٣/ ٢٤٦) . ونزهة الخواطر (٧/ ٥١) .

(٣) نزهة الخواطر (٨/ ٤٩٧) .

(٤) المصدر المذكور (٧/ ٢٩٦) .

(٥) راجع «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

(٦) راجع «منصب الإمامة» ، و«العبقات» من تأليفاته ، تجد فيهما الشيء الكثير من الصوفيات مالا دليل عليه من الكتاب ولاسنة .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بالكتاب والسنة ، عن غيرهم من طوائف المسلمين نوعاً ما . وتقدّمت حركة إحياء السنة بمرور الزمن إلى الأمام مع تمييز الصف ، وتوضيح المنهج وتحديد المسار . فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

قيادة الإمامين :

بعدما تميّز الصف اهتم العلماء بالتدريس والإفادة ، والدعوة والإرشاد ، والتصنيف والتأليف . ونشأت اليقظة السلفية في القارة الهندية ، بعد الركود الذهني المحزن ، والسبات الفكري العميق ، والجمود الفقهي الطويل ، تحت قيادة الإمامين السيدين :

(أحدهما) : العلامة نذير حسين المحدث الدهلوي[١] (ـ ١٣٢٠هـ) الذي كان أبرز تلامذة الشيخ محمد إسحاق (ـ ١٢٦٢هـ) ، وتولى التدريس بعده في مكانه ، ودرس الحديث على طريقة فقهاء المحدثين ما يقارب اثنتين وستين سنة وتخرج على يده أعلام أهل الحديث في الهند وخارجها ، ومنهم[٢] :

ـ أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي (ـ ١٣٢٩هـ) صاحب «عون المعبود على سنن أبي داوود» .

ـ أبو العلى عبد الرحمن المباكفوري (ـ ١٣٥٣هـ) صاحب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» .

ـ محمد بشير الفاروقي السهسواني (ـ ١٣٢٦هـ) صاحب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» .

ـ أبو محمد إبراهيم الآروي (ـ ١٣١٩هـ) الذي اهتدى العلامة محمد نصيف وجيه جدة (ـ ١٣٩١هـ) بتوجيهاته إلى السلفية .

---

(١) راجع ترجمته في «نزهة الخواطر» للسيد عبدالحي الحسني (٨/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) . و«الحياة بعد الممات» كتاب خاص بترجمته بالأردية .

(٢) هناك مقالات منشورة في «مجلة الجامعة السلفية» في تراجم العظيم آبادي ، والمباركفوردي ، والسهسواني والآروي لكاتب هذه السطور .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ الشيخ سعد بن عتيق ـ الذي انتشر سند شيخه المحدث نذير حسين بواسطته في بلاد نجد والحجاز .

قال العلامة عبد الحي[1] الحسني في شيخه السيد نذير حسين المحدث الدهلوي :

« . . . وكان له ذوق سليم في الفقه الحنفي ، ثم غلب عليه حب القرآن والحديث ، فترك اشتغاله بما سواهما إلا الفقه . . . ونفع الله بعلومه خلقاً كثيراً من العرب والعجم وانتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند .

أما تلامذته فعلى طبقات :

فمنهم العالمون الناقدون المعروفون ، فلعلهم يبلغون إلى ألف نسمة .

ومنهم المقاربون للطبقة الأولى في بعض الأوصاف .

ومنهم من يلي الطبقة الثانية ـ وأهل هاتين الطبقتين يبلغون إلى الآلاف»[2] .

وقال العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني[3] (ـ ١٣٢٧هـ) :

«إنه فرد زمانه ومسند وقته وأوانه . ومن أجلّ علماء العصر ، بل لا ثاني له في إقليم الهند في علمه وحلمه وتقواه . وإنه لمن الهادين والمرشدين إلى العمل بالكتاب والسنة والمعلّمين لهما . بل أجلّ علماء هذا العصر المحققين في أرض الهند ، أكثرهم من تلامذته . وعقيدته موافقة لعقيدة السلف الموافقة للكتاب والسنة»[4] .

ولا ريب أنه ربى جيلاً كاملاً على إحياء السنة تدريساً وتأليفاً ، ودعوة وتبليغاً ، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيراً .

(والثاني) : الأمير السيد صديق حسن الحسيني القنوجي البوفالي (ـ ١٣٠٧هـ) الذي نشر كتب الحديث ودواوين السنة من جهة ، وأثرى المكتبات الإسلامية بمؤلفاته من جهة أخرى .

---

(١) هو والد الأستاذ الندوي .

(٢) نزهة الخواطر (٨/ ٥٠٠) .

(٣) راجع ترجمته في «أبجد العلوم» (٣/ ٢١١) .

(٤) نزهة الخواطر (٨/ ٤٩٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان العلامة صديق حسن خان ممن تأثر بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب[١] . ومؤلفاته تمثل «مدرسة الأثر» التي تعرض فروع الفقه الإسلامي على الكتاب والسنة مباشرة[٢] .

قال العلامة محمد عبد العزيز الخولي :

«ومن حسناته طبع «فتح الباري في شرح البخاري» للحافظ ابن حجر ، و«نيل الأوطار» للإمام الشوكاني ، و«تفسير الحافظ ابن كثير مع تفسير فتح البيان» .

طبعت هذه على نفقته في المطبعة الأميرية بمصر ، فكانت من أنجح وسائل إحياء السنة»[٣] .

فقد قيض الله عز وجل هذين الإمامين الجليلين فقام الأول بالتدريس والإفادة ، وجدد العمل بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح .

والثاني سلّط ماله في نشر دواوين السنة ، ومساعدة العلماء الذين قاموا بالتأليف والتصنيف ، والدعوة والإرشاد في ربوع الهند .

وما يرى من ازدهار في حركة العمل بالسنة في شبه القارة الهندية ، يرجع فضله - بعد الله تعالى - إلى هذين العالمين الجليلين اللذين بارك الله في أعمالهما في نشر السلفية تأليفاً وتدريساً ، ودعوة وتبليغاً .

وصدق فيهما قول النبي ﷺ :

«لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلّط على هلكته في الحق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمّها»[٤] .

* * *

(١) «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لابن حجر آل بوطامي (ص ١٣١) .

(٢) دستور الوحدة (ص٧٧) .

(٣) مفتاح السنة للخولي (ص١٦٩) دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) البخاري مع الفتح (١/ ١٦٥) ومسلم (رقم ٨١٦) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تنبيه وتذكير :

لا يفوتني أن أذكر أن السيد صديق حسن البوفالي (ـ ١٣٠٦هـ) ، والسيّد نذير حسين الدهلوي (ـ ١٣٢٠هـ) ، وغيرهما ممن لهم خدمات جليلة وأياد بيضاء في نصرة العمل بالحديث ، وتأييد حركة إحياء السنة في الهند في ذلك العصر ، بقيت في بعض كتاباتهم بعض الشوائب من التصوف[١] ، لقرب عهدهم بالتقليد الجامد ، وتأثرهم بمشايخهم الصوفية من أسرة الدهلوي ، من غير أن يكون التصوف سمة غالبة لهم .

ولكن بمرور الزمن تطهّرت حركة «أهل الحديث» السلفية في شبه القارة الهندية من رواسب التصوف وشوائبه أيضاً ، بفضل الله ومنّه .

«نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد ، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع ، ونحبّ السنة وأهلها ، ونحبّ العالم على ما فيه من الاتباع ، والصفات الحميدة ، ولا نحبّ ما ابتدع فيه بتأويل سائغ ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن .»

هناك فرقة أخرى من سلسلة الإمام الدهلوي ، وهي «الديوبندية» ، التي اختارت «التصوف والتقليد» شعاراً لها ، وكلما تأخر الزمن غالت فيهما مغالاة عجيبة ، قلما يوجد لها نظير في العصور المتأخرة .

فمن لم يجمع بين التصوف والتقليد لا حق له أن ينتسب إلى «الديوبندية»[٢] .
مع كل هذا ، للديوبندية خدمات لا تنسى في الهند ، في مجالات شتى .[٣]

«الشخص الواحد يُحَبّ ويوالي لما عنده من الخير والسنن ، ويبغض ويكره ويعادي لما عنده من الشر والبدع والفتن .

---

(١) من هذه الشوائب : حسن الظن بابن عربي ، وتجويز بعض أنواع التوسل المختلف فيها ، وغير المشروعة ، وبعض الدعاوى والشطحات التي تحتاج إلى أدلة صريحة من الكتاب والسنة .
وإن لم تكن هذه الأمور سمة غالبة لهم ، ولكنها وجدت في كتاباتهم فهي من زلاتهم قطعاً .
«غير أن كل خير في أهل البدع فهو في أهل الحديث أجلّ وأشمل وأكثر ، وكل شر في أهل الحديث فهو في أهل البدع أعم وأطم وأعظم وأوفر فأهل الحديث في أهل الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل» (مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤/ ٩ ـ ٢٥ ، وخلاصته في «الماتريديّة» : ١/ ٥٢) .

(٢) كما تقدم من كلام الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

(٣) راجع «المسلمون في الهند» للأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولكن لا يصل حبه إلى ستره ، وترك معاداته ، والانخداع به ، والانحياز إلى بدعه وطاماته .»[1] .

* * *

* مع الدهلوي المحدّث فقط :

كان الإمام الدهلوي يجمع بين السنّة والتصوف[2] .

أما أهل الحديث فلا يعرفون إلا الدهلوي المحدّث وأتباعه وأنصاره ، الذين حثوا على الاعتصام بالكتاب والسنة ، ونشروا الحديث شرحاً وتدريساً ، ودافعوا عن مسلك المحدثين ، وردوا على الكلام المذموم ، ورفضوا التقليد الجامد ، وعرضوا الفروع الفقهية على النصوص ، ودعوا إلى ضرورة الاجتهاد نظراً إلى ما يستجدّ من المسائل في كل عصر وزمان .

أهل الحديث في شبه القارة الهندية يعرفون هذا الدهلوي المحدّث ، ولا صلة لهم بالدهلوي الصوفي وأتباعه وأنصاره الذين عضوا على التقليد والتصوف بالنواجذ ـ خلاف تصريحاته في الظاهر ـ[3] .

كما أنهم يقبلون الحق منهم ، كذلك يبرأون إلى الله تعالى من زلاتهم ، وأخطائهم ـ خاصة ـ في الأمور العقدية ، لأن الحق ـ عندهم ـ لا يعرف بالرجال ، بل هم يعرفون به . وهم لا ينتصرون لإمام ، أو شيخ ، أو طائفة انتصاراً مطلقاً ، غير رسول ﷺ ، وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا . . .»[4] .

* * *

(١) الماتريدية (١/ ٤٧) .
(٢) كما تقدّم بالتفصيل .
(٣) فيه استيناس بقول الأستاذ مسعود الندوي في كتابه «تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند» .
(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٢٨/ ٢٠٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السيد أحمد بن عرفان البريلوي

(١٢٠١ـ١٢٤٦هـ)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السيد أحمد بن عرفان البريلوي

(١٢٠١ ـ ١٢٤٦هـ)

* تأليفات في سيرته :

ألف الأستاذ الندوي في سيرة السيد أحمد البريلوي عدة كتب ورسائل ، منها :

- «سيرت سيد أحمد شهيد» (جزءان بالأردية) .
- «إذا هبت ريح الإيمان» (بيان عن دوره بأسلوب قصصي) .
- «الإمام الذي لم يعرف حقّه من الإنصاف والاعتراف» (فيه ردّ على الشبه المثارة حوله) .
- «قافلة الإيمان والعزيمة» (تعريف بأصحابه بالأردية) .

* الطريقة الأحسنية المجددية النقشبندية ، وصلته بها :

أشاد الأستاذ الندوي بذكر السيد أحمد بن عرفان ضمن «السلسلة الأحسنية ومشايخها الكبار»(١) فقال :

«أما الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (٢) ، الذي كانت له صلة خاصة بالطريقة الأحسنية المجددية ، فقد ألف حوله كتباً (؟) ضخمة ، يكفي الاطلاع منها : على كتاب «سيد أحمد شهيد» للمؤرخ الباكستاني الشهير الأستاذ غلام رسول مهر في أربعة أجزاء و«سيرت أحمد شهيد» للمؤلف [أي الندوي] في جزءين .

ونكتفي هنا للإشارة إلى تأثيره العميق في عصره ، وفي تاريخ الهند ، وما أنجز الله تعالى على يديه من هداية عامة شاملة ، ونشر للدعوة الإسلامية ، وحفاظ على خصائص الإسلام وميزاته ، ببعض الشهادات» ـ ثم نقلها عن الشيخ عبد الأحد ، والسيد صديق حسن خان البوفالي في «تقصار جيود الأحرار» ـ ثم قال :

---

(١) الإمام السرهندي (ص٣٢٥) ، وتقدمت نبذة عنها في ترجمة «الشيخ السرهندي» .

(٢) سيأتي البيان عن استعمال كلمة «الشهيد» على وجه الخصوص ، تحت عنوان «علي في البلاط الأموي» في مبحث «بين النصب والتشيع» ، في باب «التأريخ» إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«إن أعلام مشايخ ديوبند وصادقفور[١] . . . ينتمون إلى الطريقة المجددية النقشبندية، وحصلوا على الإجازة والخلافة فيها عن طريق الإمام أحمد بن عرفان الشهيد . . . (إلى أن قال) . . . : وحق لمن انتمى إليه ـ مباشرة أو بواسطة ـ أن يقول في ثقة واعتزاز :

أولئك آباء فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع[٢]

* بعض الصوفيات :

ذكر السيد عبد الحي الحسني أن الناس تفرّقوا فيه بعدما قتل مع أصحابه في ساحة «بالاكوت» على يد السيخ سنة ١٢٤٦هـ، على أقوال :

ـ «فمنهم من يقول : إنه نال درجة الشهادة .

ـ ومنهم من يقول : إنه غاب، وسيخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً :

وللناس فيما يعشقون مذاهب»[٣] .

* وأما من الصوفيات الأخرى التي نقلها الأستاذ الندوي عنه في كتابه «سيرة السيد أحمد الشهيد»، فقد تنبه الدكتور محمد تقي الدين الهلالي إلى واحدة منها، فقال :

«قال محمد أسلم : قال أبو الحسن الندوي : في كتابه «سيرة السيد أحمد

---

(١) «صاد قبور» حيّ من أحياء (بنته) . كان مركزاً مهما لدعوة الإمام أحمد بن عرفان وجهوده الإصلاحية . . . وكان شعارهم الجمع بين عقيدة التوحيد الخالصة، والعمل بالحديث الشريف والاشتغال بالذكر، والتزكية والجهاد في سبيل الله» (الندوي) .
علماء «صاد القبور» يعتبرون من أهل الحديث (الوهابية)، لأنهم مع شيء من تصوفهم كانوا على العقيدة الصحيحة، واتباع السنة خلاف أصحاب السيد أحمد الآخرين من مشايخ علماء ديوبند، لأنهم كانوا حنفية في الفروع، نقشبندية في التصوف، وأشعرية وماتريدية في العقيدة . وتأثر علماء «صاد قبور» بالشاه إسماعيل الدهلوي أكثر منه بالسيد أحمد . وبمرور الزمن زال عنهم التصوف، فكانوا نواة لحركة أهل الحديث السلفية في شبه القارة الهندية .

(٢) الإمام السرهندي (٣٣٠ـ٣٣٣) باختصار .

(٣) نزهة الخواطر (٧/ ٣٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشهيد» : ويقول : «وأراد رحمه الله في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها ، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء ، فنام وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل ، فرأى النبي ﷺ جلس على يمينه . ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس على شماله ، ويقول له ﷺ : يا سيد أحمد . قم بسرعة واغتسل ، فلما رآهما «سيّد أحمد» أسرع إلى الحوض في المسجد ، على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج ، فاغتسل من هذا الماء وفرغ منه ثم حضر في خدمته ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا ولدي الليلة ليلة القدر ، فاشتغل في ذكر الله والدعاء والمناجاة ، ثم ذهبا بعد ذلك(١) .

قال محمد تقي الدين : هذا يذكّرنا بادعاء التجانيين لشيخهم أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا مناماً ، وحدّثه أحاديث كثيرة ذكرت بعضها في كتابي : «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» وأقمت البرهان على أن تلك الروايات كذب واضح . إلا أن هذه الحكاية لا تتضمن ما تضمنته حكايات التجانيين عن شيخهم ، وقد تكلم النبي ﷺ في بيان ليلة القدر ، وروى أحاديثها أصحاب الكتب الستة ، وغيرهم . فأي حاجة بقيت للنبي ﷺ حتى يخرج من قبره الشريف قبل يوم القيامة لأجل أن يقول للشيخ أحمد المذكور : الليلة : «ليلة القدر» . ولم يقع هذا لأبي بكر الصديق ، ولا لأحد من الخلفاء ، ولا من الصحابة ، لأنهم أعلم وأورع من أن يأتوا بمثل هذه الحكايات التي لا يصدقها إلا المتصوفة الجاهلون الذين يتشبعون بما لم يعطوا ، فهم لثياب الزور لابسون ، وعن الصراط ناكبون . ونحن لا يمكننا أن ننسب هذه الحكاية إلى الشيخ أحمد الهندي رحمه الله ، ويا عجباً كيف يقول النبي ﷺ لهذا الشيخ «يا سيّد أحمد» ، وهو الذي يقول - عليه الصلاة والسلام : «السيد هو الله» ، وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - : (أنا سيّد ولد آدم) ، يعني : أنه أفضلهم كما جاء في الحديث : فلدغ سيّد ذلك الحيّ ، في قصة أبي سعيد الخدري ، وهي في صحيح البخاري .

وقوله : «حضر في خدمته» : اصطلاح هندي يستعمل في لغة «أردو» ، وهو غفلة من علي أبي الحسن ، مع فصاحته ، فقد سرقته لغة أرْدُو في هذا الموضع(٢) . فبأي

---

(١) سيرة السيد أحمد الشهيد (ص٨٤) ، وعنها في «جماعة التبليغ» «للأستاذ محمد أسلم .
(٢) هذا تعريب الأستاذ محمد أسلم ، للنص الأردي من كلام الأستاذ الندوي ، وليس من عربيته ، كما فهم الدكتور الهلالي - رحمه الله - .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شيء يخدم النبي ﷺ ولا حاجة به إلى خدمة أحد بعد مفارقته لهذه الدنيا الفانية ، والخطب في ذلك سهل؟ »[١] .

اعترافات :

* لا ريب أن السيد أحمد بن عرفان البريلوي ، وأصحابه ـ وعلى رأسهم : الشاه إسماعيل الدهلوي ـ قائد الجناح العسكري ـ أقاموا دولة إسلامية ، ولكن أمراء بعض القبائل ، والمغرضين من الشعب تخاذلوا عن تأييدها ، لقلة الوازع الديني ، وعدم التربية على منهاج النبوة ، حتى قتل السيّد أحمد والشاه إسماعيل الدهلوي مع كثير من أصحابهما ، على يد السيخ في ساحة «بالاكوت» ، في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية .

* حثوا الناس على الجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين ، وأنشأوا فيهم حبّ التفاني في سبيل الله ، كأنهم تأثروا في هذا الجانب بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب[٢] ، إلا أنهم كانوا صوفية في سلوكهم ، وحنفية في فروعهم الفقهية ، وأشعرية وماتريدية في عقائدهم .

* وألفوا كتباً ورسائل ودونوا إملاءات تدل دلالة صريحة على توغلهم في التصوف الطرقي [٣] .

* بدأ الشاه إسماعيل الدهلوي يطبق ما قرره جده الشاه ولي الله الدهلوي في كتبه من نصرة مذهب فقهاء المحدثين[٤] ، ومال إلى العمل بالحديث ، والتمسك بالسنة ، وطبق كثيراً منها ، مع تخفيفه وطأة التصوف عليه ، حتى ألف كتابه «تقوية

---

(١) السراج المنير للهلالي (٧٤ ـ ٧٥) .

(٢) ذكره الدكتور أحمد أمين في «زعماء الإصلاح» (ص ٢١) ، ووافقه الدكتور إسماعيل الندوي فقال : « . . . إلا أن فكرة الجهاد ضد السيخ والإنجليز . . . فلا مانع من القول بأنهما استقياها من الوهابية أثناء حجّهما لبيت الله الحرام» (تاريخ الصلات :٢٥٧) .

(٣) منها «الصراط المستقيم» ، وهو : إملاءات السيد أحمد التي دوّنها الشاه إسماعيل والشيخ عبد الحي البدهانوي ، ونقله الأخير إلى العربية . وفيها مخالفات عقدية كثيرة .

(٤) قد تقدم بشيء من التفصيل في ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإيمان» الذي هو يشبه كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب مع بعض الملاحظات عليه .

* وجمع علماء «صاد قبور» بين العقيدة الصحيحة واتباع السنة ، والذكر والتزكية والجهاد في سبيل الله وهم في هذه الأمور تأثروا بالشاه إسماعيل الدهلوي ، حتى انتهوا ـ فيما بعد ـ إلى نبذ التصوف ، وصاروا نواة لحركة أهل الحديث ، وحماة للدعوة السلفية في شبه القارة الهندية ، ورفعوا راية الجهاد ضد الإنجليز ، واستعذبوا ألواناً من المصائب والمشقات على أيديهم ، فعلقوا على المشانق ونفوا من البلاد ، ودمرت بيوتهم ، ونبشت قبورهم ، وأقيمت مكاتب الدوائر الرسمية على أنقاضها[١] . فرحمهم الله رحمة واسعة . وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً .

* وأما أعلام مشايخ ديوبند ، فبقوا على ما كانوا عليه من الحنفية فقهاً ، والأشعرية والماترية عقيدة ، والنقشبندية ـ بل السلاسل كلها ـ تصوفاً . كما لا يخفى[٢] .

* * *

---

(١) ستأتي نبذة عن ابتلائهم في سبيل الله في مبحث «الجهاد» في باب «التأريخ» إن شاء الله .

(٢) وتقدم مراراً نقلاً من كتبهم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثالث

الصوفيات

في كتابات الأستاذ الندوي

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثالث
الصوفيات
في كتابات الأستاذ الندوي

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ـ على حيطة وحذر ـ كل ما يوجد عند غلاة الصوفية من الصوفيات . وقد أخرجتها من كتبه ، ثمّ رتّبتُها على حروف الهجاء .

وهاكموها . «وليس الخبر كالمعاينة» .

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

اتخاذ الشيخ

* قال أبو حامد الغزالي : « . . . فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة . . . فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة . . .»(١) .

* وقال الشيخ الجيلاني : «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً» (٢) .

* وقال الشيخ أحمد السرهندي : « . . . وهذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل ، ثم بعد الوصول إليه ، لا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه ، وكونه كالميت بين يدي الغسّال لديه . والفناء الأول هو الفناء في الشيخ ، ويكون هذاالفناء وسيلة الفناء في الله . . .» (٣) .

يوجد ذكر ضرورة اتخاذ الشيخ على الطريقة الصوفية في كتابات الأستاذ الندوي :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبدالرحيم الراي فوري قال :

«لا يكفي للإصلاح الذكر فقط ، ينبغي أن تقوّم الأخلاق وتعالج عند المشايخ ، ولهذا يبايعون المشايخ الأحياء ، لأنهم يعلّمون الأخلاق ، مثلاً : الغضب ، وهو مرض سيء جداً ، وقد وردت شناعته في الحديث ، ولكن لا يزول هذا المرض إلى ما لا يعالج عند المشايخ»(٤) .

٢ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «الحاجة إلى الذكر والسلوك» ، بعد ما ذكر تربية النبي ﷺ ، وأثرها البالغ في حياة الصحابة :

« . . . ولكن لم تكف فيما بعد صحبة الكاملين أيضاً لتحقيق هذا الهدف ، بسبب الانحراف الزائد في البيئة ، وضعف الهمم ، فأضاف أئمة هذه الشعبة من الدين كثرة

---

(١) الإحياء (٣/ ٦٥) ، وعنه في الكشف (ص٣١٧) .
(٢) الأنوار القدسية (١/ ١٧٤) وعنه في الكشف (ص٣١٨) .
(٣) المنتخبات من المكتوبات (٢١) ، وعنها في الكشف (ص٣٢٧) .
(٤) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فور» للندوي (ص ٩١ ـ الملفوظات) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الذكر والفكر إلى «الصحبة» ، للحصول على هذه الكيفيات ، وصحّ هذا الرأي في ضوء التجربة . . .»[١] .

٣ ـ قال الشيخ عبد القادر : «مدار الإصلاح على كثرة الذكر والصحبة . والصحبة ضرورية مع المحبة . . .»[٢] .

٤ ـ نقل الأستاذ الندوي عن مسترشد قال :

«تعالج جميع الأمراض عند الشيخ في آن واحد ، وكان الدواء النافع لها ذكر الله وصحبة الشيخ ، وتكون صحبة الشيخ بمفردها أيضاً نافعة ، ولكن يشذّ حصول النتائج بالذكر وحده من دون صحبة الشيخ ، أمر القلب يجذبه القلب ، وأمر الباطن يجذبه الباطن ولا يمكن ذلك من غير الصحبة»[٣] .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ زكريا ـ مع علو مكانته الروحية ، وكونه مرجعاً للخلائق ـ كان يوجّه مريديه إلى المشايخ المستندين والمسلّم بهم ، وخاصة الشيخ عبد القادر الراي فوري بإلحاح و تأكيد . . . وكتب في رسالة إليه (أي إلى الندوي) ، قال :

« . . . أنا ألحّ عليك أن تفرغ شيئاً من وقتك للراي فوري أحياناً ، مع زحمة أشغالك . . . عمّي (الشيخ محمد إلياس) انتقل إلى رحمة الله ، والشيخ (عبدالقادر الراي فوري) أيضاً مثل سراج السحر ، والإنسان لا يتخلص من مشاغل الدنيا»[٤] .

٦ ـ أشار الأستاذ الندوي إشارة لطيفة إلى ضرور اتخاذ الشيخ فقال :

« . . . ولم يزل ولا يزال الدين يؤخذ من الأحياء ، ويقوم بالأحياء ، ولم يكن الإنسان في دور من الأدوار غنياً عن القدوة والصحبة»[٥] .

* * *

(١) المصدر المذكور (ص٣٢٥ ـ ما هو التصوف للشيخ منظور أحمد النعماني) .

(٢) المصدر المذكور (ص٣٢٦) .

(٣) المصدر المذكور (ص٣٢٨ ـ منظور محمد) .

(٤) «حياة الشيخ محمد زكريا» للندوي (ص٢١٥) . ويظهر أن الأستاذ الندوي لازم الشيخ عبد القادر ، وبايعه على توجيهه . وألف كتاباً مستقلاً في سيرته ، ونرى مقتطفات منه في كتابنا هذا هنا وهناك . (راجع مبحث «البيعة والإجازة» رقم (١١) .

(٥) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ١٩٨ ـ الغزالي) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في موضوع اتخاذ الشيخ كلاماً كثيرا ، وقال :

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين : فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقّون عنه الإيمان والقرآن . كما تلقىّ الصحابة ذلك عن النبي ﷺ ، وتلقاه عنهم التابعون ؛ وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان ، فكما أن المرأ له من يعلّمه القرآن ونحوه ، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ، ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين ، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها ؛ وكل ميّت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة ؛ فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن ؛ وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ، ويعادي على ذلك ؛ بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخصّ أحداً بمزيد موالاة ، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدّم من قدّم الله تعالى ورسوله عليه ، ويفضّل من فضّله الله ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال النبي ﷺ : «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ؛ ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى[(١)]»[(٢)] .

وقال شيخ الإسلام أيضاً :

«وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك ، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدي والعلم والإيمان والدين ، يعلّمونه ويؤدّبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه ، فإنه يفعل الأصلح لدينه . وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه ، وإلا فلو طلب الهدى علي وجهه لوجده .

---

(١) أحمد (٥/ ٤١١) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٥١١ ـ ٥١٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فأما الانتساب الذي يفرّق بين المسلمين ، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة ، وسلوك طريق الابتداع ، ومفارقه السنة والاتباع ، فهذا مما ينهى عنه ، ويأثم فاعله ، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ»[1] .

* * *

(١) المصدر المذكور (١١/ ٥١٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الأضرحة والقبور

تذكر الأضرحة والمزارات والقبور ، والمراقبة عندها ، في كتابات الأستاذ الندوي بشيء من الاهتمام . والله أعلم بما يراد بهذه المراقبات عند القبور ، وإلا إنها تسمّى «استمداداً» في اصطلاح بعض الصوفية (١) .

١ ـ قال الأستاذ الندوي :

«ولما حضر الشيخ محمد علي (٢) (مؤسس ندوة العلماء) إلى الشيخ «فضل رحمن»(٣) أول مرة قال له ماذا تدرس ؟

قال : قاضي مبارك (٤) . . .

قال الشيخ : إذهب إلى قبر القاضي مبارك ، وانظر حاله . واذهب إلى قبر رجل لا علم له ، ولكن له نسبة مع الله ، كيف تنزل الأنوار والبركات على قبره»(٥) .

---

(١) قال العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، شيخ الأستاذ الندوي :

«وأخبرني الثقات أن علياً أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع ، لا يتكلم ساعتين وأكثر ، فاستغربت هذا الأمر ، وفهمت أنه «استمداد» ، ولم أكن أعلم أن هذا شائع عندهم ، إلى أن كشفه محمد أسلم ـ جزاه الله خيراً ـ» (السراج المنير : ص٧٦) .

(٢) تقدمت ترجمته . قال السيد عبد الحي الحسني : « . . . قد غلب عليه الحب والاستغراق في آخر حياته ، وقوى تأثيره ، وانتشرت بركته . كان مولانا محمد علي عالماً ربانياً ومصلحاً كبيراً ، صاحب جذبة إلهية ونسبة قوية ، أثنى عليه شيخه مولانا فضل رحمن الكنج مراد آبادي ثناء بالغاً ، وقال : إن روحه من بقية أرواح المتقدمين . . . تروى له كشوف وكرامات» (نزهة الخواطر : ٨/ ٤٤٨) .

(٣) تقدمت ترجمته ، وألف الأستاذ الندوي في سيرته كتاباً مستقلاً ، وذكر كراماته في فصل مستقلّ ، في كتابه «ربانية لا رهبانية» وقال السيد عبد الحي الحسني : «وأما كشوفه وكراماته ، فلا تسل عن ذلك ، فإنها بلغت حد التواتر ، وإني ما وجدت في الأولياء السابقين من يكون مثله غير الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رضي الله عنه ـ» (نزهة الخواطر : ٨/ ٣٦٤) .

تقدم في ترجمة الجيلاني ما لكرامته وما عليها . وسيأتي ما في كرامات الشيخ فضل رحمن من المبالغات والمخالفات أيضاً .

(٤) القاضي مبارك من تلامذة مير زاهد ، أحد المعروفين بعلوم الفلسفة والمنطق .

والمراد بالقاضي مبارك هنا ، كتابه .

(٥) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص١٠٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي مواظبة الشيخ عبد القادر[١] على السير بالأقدام صباحاً، وقال:

«وعند رجوعه من السير على «المزار» (أى قبر الشيخ عبد الرحيم) كان يقف هنيهة في البداية، ثم ترك»[٢].

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشاه محمد يعقوب المجددي[٣] أقام في حيدر آباد سبع عشرة سنة. وفي أثنائها أقام في ديرة السيد محمود كيسودراز»[٤] (صاحب الشعر الطويل) «كلبركه» سنتين...».

وكانت إقامته فيها على المزار (أي القبر)، فأشير عليه من الغيب أن مطلوبه في «بهو فال»، وهو يتوقف على عناية والده وتوجّهه...»[٥].

٤ ـ نقل الأستاذ الندوي أن الشاه محمد يعقوب قال:

«أحب دائماً أن أزور مشاهد الشيوخ منفرداً، ليظهر شأن الفقر، الذي سيستفاد منه، وليس هذا وقت المخدومية والمشيخة. ولكن الناس لا يعلمون»[٦].

---

(١) الشيخ عبد القادر الراي فوري، هو مرشد الأستاذ الندوي، تقدمت ترجمته.

(٢) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص ١١١).

(٣) تقدمت ترجمته، وهو من مرشدي الأستاذ الندوي. وله مؤلف مستقل في ملفوظاته.

(٤) كذا في الأصل، والصحيح «محمد» بن يوسف الكلبركوي (ـ ٨٢٥هـ) قال السيد عبد الحي الحسني:
«ينتهي نسبه إلى يحيى بن الحسين بن زيد... انقطع إلى شيخه نصير الدين محمود [ـ ٧٥٧هـ] وكان من مسترشدي الخواجه نظام الدين الدهلوي وخلفائه، له كشوف وكرامات ووقائع غريبة لا تحملها بطون الأوراق» (نزهة الخواطر: ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦)]، كان عالماً كبيراً... غواصاً في بحار الحقائق والمعارف. له مصنفات كثيرة، منها: تفسير القرآن على لسان المعرفة، وتفسير القرآن على منوال الكشاف، وشرح مشارق الأنوار على لسان المعرفة، والمعارف شرح العوارف للسهروردي، وشرح الفصوص... إن مصنفاته قد عدت بخمسة وعشرين ومائة كتاب في علوم شتى.
وقبره في «كلبركه» ظاهر يزار ويتبرك به. (نزهة الخواطر: ٣/ ١١٥ ـ ١١٨).
عدّه الأستاذ الندوي هو وشيخه الخواجه نصير الدين من مرشدي شبه القارة الهندية ومجاهديها من آل بيت النبي ﷺ (المرتضى: ٤٠٢ ـ ٤٠٦ بالأردية).

(٥) ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي «للندوي» (٤٣ ـ ٤٤).

(٦) المصدر المذكور (ص ١٥٢).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «انشغال الشيخ محمد إلياس بالعبادة والنوافل» فقال :

بعد ما توفى الشيخ رشيد أحمد [١] ـ رحمه الله ـ غلب عليه السكوت[٢] والمراقبة قلّما يتكلم في اليوم كلاماً .

قال شيخ الحديث محمد زكريا[٣] (مؤلف المقرر التبليغي) : كنا ندرس عليه في ذلك الوقت بعض الكتب الابتدائية في الفارسية . وكان من عادته في تلك الأيام أنه كان يجلس على رجليه خلف قبر الشيخ عبد القدوس[٤] ـ رحمه الله ـ على حلس صامتاً بالكلية .

وأيضاً كان أداء النوافل في هذه الأيام على أشدّه ، وكان يشتغل بها من بعد المغرب إلى ما قبيل العشاء . وكان عمره حينئذ ما بين عشرين ، وخمس وعشرين سنة[٥] .

* * *

لم تكن المراقبة عند القبور ، وزيارتها على هذه الصفة التي ذكرها الأستاذ الندوي من هدي سلفنا الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ .

---

(١) تقدمت ترجمته ، وهو من كبار الديوبندية ، من تلامذة الحاج إمداد الله المكي في التصوف .
(٢) سيأتي حكم السكوت قريباً إن شاء الله .
(٣) تقدمت ترجمته أحد كبار الديوبندية وجماعة التبليغ ، وكتابه «تبليغي نصاب» هو المنهج المقرّر لجماعة التبليغ في شبه القارة الهندية .
(٤) هو : الشيخ عبد القدوس الكنكوهي ، حامل لواء وحدة الوجود ، ومجدد الطريقة الجشتية الصابرية في القرن العاشر ، كما تقدم .
(٥) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (ص٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الالتفات والتـوجّـه

الالتـفـات والتـوجـه طريق من طرق نـقل الروحـانيـة إلى قلـوب المريدين عند الصوفية . وهو يعني نقل الشيخ نوره وروحانيته إلى قلب مريده ، بحيث يتجه كل منهما إلى قلب الآخر .

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ تجمّل حسين قال : «بعد الفراغ من صلاة الفجر كان (أي الشيخ فضل رحمن) يشتغل هنيهة بالذكر ، ثم كان يراقب بعض الوقت ، وكنا نجلس خلفه ، ونأخذ منه الالتفات (أي التوجّه) ، لأنه أكد علينا من قبل أنه كلما تجلسون عندي ، أو في حجرتي ، اجلسوا متّجهين إلى قلبي ، والكاتب (أي تجمّل حسين) كان يذهب إليه يأخذ «الالتفات» في الليل . وربما كان يتّجه إليه الشيخ مستلقياً ، وربما جالساً»(١) .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن جدّه السيد فخر الدين كان متعلقاً بذيل الخواجه أحمد النصير آبادي وذات يوم جلس في حلقة أخرى ، ولم يتمتع بفائدة وانزعج وقال :

«حينما انعكس خيالي هذا بعد انتهاء الحلقة ، قال الشيخ : تعال ، واجلس معي هنيهة . ثم التفت إليّ التفاتاً خاصاً ، وحضر الزملاء الآخرون أيضاً ، وتمتّعت بالحظ واللطف الخاص ، وانحلت عقدة القلب(٢) .

* * *

هذا الأسلوب من تلقّي الهداية والروحانية ، وحلّ عقدة القلوب ليس من هدي الإسلام في شيء . والله عز وجل لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين خلقه على هذا المنوال العجيب . وهو القائل لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] .

---

(١) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص٣٦) نقلاً عن الفضل الرحماني (ص ٣١) .

(٢) «حياة عبد الحي» للندوي (ص٢٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أول ما خلق الله «المحبة»

ذكر الأستاذ الندوي عن مرشده الشاه محمد يعقوب المجدّدي أنه قال :

«يبين الصوفية الكرام أنه جاء في الحديث القدسي[(١)] :

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق»[(٢)] .

لا أدري مدى مكانة هذا الحديث عند المحدثين ، ولكنه ينقل عند الصوفية كثيراً . ويعلم منه أن الشيء الذي خلق أولاً هو «المحبة» ، فأحببت أن أعرف . . .»[(٣)] .

* * *

استدلّ الأستاذ الندوي بهذا الحديث الموضوع[(٤)] على مرامه ، فوقع في محظورين :

---

(١) الحديث القدسي : هو ما يرويه النبي ﷺ عن الرب عز وجل .

(٢) لما ذكر الأستاذ الندوي هذا الحديث في كتابه (الإمام السرهندي : ص ٢٤١ ـ العربية) قال معلقاً عليه : «هذا الحديث ـ أو معناه ـ قد كثر وروده في كلام الصوفية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، وتبعه الزركشي ، والحافظ ابن حجر في اللآلى ، والسيوطي وغيرهم» (مستقاد من كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني (المؤلف أي الندوي) .

(٣) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص ٣٥٠) .

(تنبيه) : قال في هذا الكتاب (بالأردية) : لا أدري مكانة هذا الحديث عند المحدثين» .

ولكن في العربية ذكر كلام المحدثين في هذا الحديث . كما تقدم .

(٤) لا يخفى أن الأستاذ الندوي قلما يستدل بالأحاديث في كتبه الثقافية ، وخاصة في مؤلفاته في تراجم الصوفية . وإن استدل بها ، فتكون غالباً من الضعاف والموضوعات ، منها :

* حديث قدسي : «لا يسعني سمائي ولا أرضي ، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» . (تاريخ الدعوة والعزيمة : ٣/ ٢٨٠) .

* وحديث : «إلهي أين أطلبك . قال : أنا عند المنكسرة قلوبهم» (تاريخ الدعوة والعزيمة : ٣/ ٢٨١) .

* حديث : «لن يؤمن أحدكم حتى يقال : إنه مجنون» (الإمام السرهندي : ص ٢٨١) .

ثم قال الأستاذ الندوي معلقاً عليه : «ولفظ الحديث كما أخرجه الحاكم في المستدرك : أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون» (ص ٤٩٩ ج ١) .

وقال الذهبي في التلخيص : صحيح . (هذا وهم ، لأن هذا الحديث ساقط من تلخيصه . وما زعمه قول الذهبي ، هو قول شرف الدين ، كما هو منصوص في المستدرك . وسيأتي) .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(الأول) : الاستدلال بالموضوع ، وهو يعرف أنه موضوع . وفي الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ : «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين»[١] .

(الثـــاني) : مخالفته بهذا الاستنباط نصاً صريحاً من حديث النبي ﷺ في أول الخلق .

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم . فقال له : اكتب . قال : وربّ ماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .

يا بنيّ[٢] إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من مات على غير هذا ، فليس مني»[٣] .

* * *

=ورواه أحمد في المسند ، وابن حبان في الصحيح ، كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي» (الإمام السرهندي : ص ٢٨١ تعليقاً) .

قال المحدث محمد ناصر الدين الألباني :

«ضعيف ، قال الحاكم : صحيح الإسناد» . كذا قال !

وأما الذهبي . فقط سقط الحديث من «تلخيصه» المطبوع مع «المستدرك» .

فلم يتبين لي هل تعقبه أم أقره . والأحرى به الأول لأمرين :

(أحدهما) : أنه الذي نعهده منه في غير ما حديث من أحاديث «دراج» التي صححها الحاكم ، فإنه يتعقبه بدراج ، ويقول فيه : «إنه كثير المناكر» (وقد مضى أحدها برقم ٢٩٤ ـ الضعيفة) .

(والثاني) : أنه أورد دراجاً أبا السمح في «الميزان» وساق له الذهبي من مناكيره أحاديث . هذا أحدها .

ومنها تعلم أن تحسين الحديث ـ كما فعل الحافظ فيما نقله المناوي عنه ـ غير حسن . والله اعلم» (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : رقم ٥١٧) . وراجع باب «الحديث والسنة» من هذا الكتاب .

(١) مسلم (باب وجوب الرواية عن الثقات ـ المقدمة) .

(٢) خاطب به عبادة ـ رضي الله عنه ـ ابنه .

(٣) صحيح . أبو داود (٥/ ٧٦ رقم ٤٧٠٠ =السنة/ القدر) ، والترمذي (القدر/ الرضا بالقدر) وأحمد (٥/ ٣١٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

البيعة والإجازة والخلافة والنسبة على الطرق الصوفية

يدندن الأستاذ الندوي كثيراً في كتاباته حول البيعة والإجازة والخلافة والنسبة على الطريقة الصوفية، ويبرزها حين يترجم الشخصيات، لما لها من أهمية عنده.

وإليكم نماذج منها من كتاباته، فإنه قال:

١ ـ قال الشيخ محمد علي (مؤسس ندوة العلماء): أنا أردت أن أبايعه (أي الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي) بعد صلاة الإشراق صباحاً، فقبل ذلك، وأدخلني في السلسلة وتوجه إليّ توجّها [١] طويلاً، وبعد ما فرغ من ذلك قال: توجهت إليك توجهاً بعيداً. ثم أعطاه الحمص ووزنه كلوان أو كلوان ونصف. وقال: خذ هذه دنيا نعطيك إياها للعيش، وأعطاه التنبول بعد مضغه أيما مضغ، وقال: خذ هذا التنبول تنبول المعرفة [٢].

قال الشيخ محمد علي: كان هذان الأمران خلاف العادة، ولذا يصدق عليهما ما أنشده مولانا الرومي [٣]:

«قوله كان كلام الله، وإن خرج من حلقوم عبد الله» [٤].

٢ ـ ذكر السيد عبد الحي (مدير ندوة العلماء) والد الأستاذ الندوي: أن الشيخ «فضل رحمن» علّمه كلمات البيعة تعليماً خفيفاً، وقال:

«اذكر اسم الذات[٥] كل يوم مائة مرة، واذكره بلسان القلب، مع غمض

---

(١) تقدم ما له وما عليه آنفاً.

(٢) سيأتي بيان هذا النوع من العطاء والمنحة قريباً إن شاء الله.

(٣) هو الجلال الرومي من أهل وحدة الوجود، وهو عند الأستاذ الندوي من رجال الفكر والدعوة في الإسلام. تقدمت ترجمته مفصلاً.

(٤) ترجمة بيت بالفارسية. راجع «تذكرة فضل رحمن» للندوي (١٠١ ـ ١٠٢)، نقلاً عن «الإرشاد الرحماني» (٣ ـ ٦).

(٥) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ما يتمسك به أصحاب الخلوات من جنس العبادات =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العينين ، وإمساك اللسان . . .»[1] .

٣ ـ قال الأمير علي حسن بن صديق حسن[2] : «استفضت بزيارته (أي الشيخ فضل رحمن) الفائضة بالأنوار بعد صلاة الفجر مرة ثانية ، وبايعته على يده الغامسة في الشريعة والطريقة ، على الطريقة النقشبندية المجدّدية ، وأفادني ـ وهو مراقب أكثر من نصف ساعة ـ من التفاته وهمته الباطنية ، ثم رفع رأسه ، وقال في أسلوب العشق المتلهف :

«فداء على حبيبي روحي وجسمي ، وما أفديه قليل»[3] .

وما طرأ عليّ في ذلك الوقت من السرور الواله ، والكيفية الوجدانية للوصل بين البرق والروح ، والمزج بين العواطف والتجلّيات ، لا يمكن أن أعبر عنها بالألفاظ قطعاً .

=الشرعية ، ثم يخرجون بعد ذلك إلى أجناس غير مشروعة ، فقال :

«ثم قد يقولون ما يقوله أبو حامد : ذكر العامة : «لا إله إلا الله» ، وذكر الخاصة : «الله ، الله» ، وذكر خاصة الخاصة : «هو هو» .

والذكر بالاسم المفرد مظهراً مضمراً بدعة في الشرع ، وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً ، لا إيماناً ولا كفراً . . .» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٣٩٦) .

وقال أيضاً : «فإن الناس في الذكر أربع طبقات» :

(إحداها) : الذكر بالقلب واللسان ، وهو المأمور به .

(الثاني) : الذكر بالقلب فقط ، فإن كان مع عجز اللسان فحسن ، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل .

(الثالث) : الذكر باللسان فقط ، وهو كون لسانه رطباً بذكر الله ، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيراً إلا حركة لسانه بذكر الله . ويقول الله تعالى : «أما مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» .

(الرابع) : عدم الأمرين وهو حال الخاسرين .

وأما مع تيسّر الكلمة التامة فالاقتصار على مجرد الاسم مكرراً بدعة ، والأصل في البدع الكراهة .

وما نقل عن «أبي يزيد» و«النوري» و«الشبلي» وغيرهم : من ذكر الاسم المجرد ، فمحمول على أنهم مغلوبون ، فإن أحوالهم تشهد بذاك ، مع أن المشايخ الذين هم أصحّ من هؤلاء وأكمل لم يذكروا إلا الكلمة التامة ، وعند التنازع يجب الرد إلى الله والرسول ، وليس فعل غير الرسول حجة على الإطلاق . والله أعلم» (المصدر المذكور : ١٠/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧) .

(١) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص١٠٦) نقلاً عن «جذب القلب» للسيد عبد الحي (١٠٣ ـ ١٠٨) .

(٢) هو : الأمير علي حسن بن صديق حسن البوفالي ، من مسترشدي الشيخ «فضل رحمن» .

(٣) ترجمة بيت بالهندية . .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«هذه اللطائف تتجاوز حدود اللفظ والبيان ، كأن الملك نادى بالغيب وهتف»[1] .

٤ ـ قال عباد علي للشيخ فضل رحمن : جئت لأدخل في حلقة مريديك ، وأواجه بعض المشاكل أيضاً . فأدخلني في البيعة على طريق الشاه آفاق من غير قيل وقال . . .[2] .

وقال الشيخ : متى تسافر؟

قلت : صباحاً .

قال : صباحاً نلتفت إليك ، وأوقفني في المسجد بعد الفجر ، وأجلسني أمامه وقال بصوت عال وبجلال : «غَمّض عينيك نحن نتوجّه» .

أنا غمضت عيني ، وجلست هكذا إلى مدّة ، وتوجّه إليّ الشيخ كما شاء ، ولكني ما علمت . ثم قال : افتح عينيك ، ففتحتهما ، فقال بكل حرارة : «اذهب يكفيك طول حياتك» .

قال : ما شعرت بأي أثر لهذا الالتفات والتوجّه سوى أن حبّ الله وحبّ رسوله رسخ في قلبي . . .

وقال في آخر عمره : أنا الآن أجد أثر ذلك في قلبي ، وإن شاء الله أستفيد من التفاته وقت الموت .

قال الأستاذ الندوي : «وحقاً إنه استفاد من التفاته عند موته كما قال ابنه»[3] .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «تلقين المريدين» :

---

(١) ترجمة بيت بالفارسية . راجع «تذكرة فضل رحمن» للندوي (١٢٤ ـ ١٢٥) نقلاً عن مقال علي حسن بعنوان «سفر السعادة» .

وزاد : «قال الشيخ في اللقاء الأخير عندما قصدت الرجوع ، قل لأبيك : أنا أدعو له الله أن يوفقه لاتباع السنة ، وهو صعب جداً» (ص ١٢٥) يريد به الأمير صديق حسن البوفالي .

(٢) سيأتي في موضع مناسب أن الشيخ «فضل رحمن» كيف شفاه من البرص ، ووهبه عدداً من الأولاد ذكوراً وإناثاً ، على ما ذكره الأستاذ الندوي .

(٣) تذكرة فضل رحمن (١٢٧ ـ ١٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«قال (أي الشيخ فضل رحمن) في الثامن عشر من ربيع الأول (أي قبل وفاته بثلاثة أيام لبعض مريديه الجدد : «قولوا : صرنا مريدين على الطريقة القادرية على يد الشاه آفاق . . .»[١] .

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبد القادر الراي فوري قال : الشيخ الله بخش حضر في خدمة الشيخ عبد الرحيم الراي فوري قبلي بخمس سنوات ، وأجازه الشيخ أولاً على الطريقة القادرية ، ثم أجازه على الطرق الأربع » [٢] .

٧ ـ قال الأستاذ الندوي :

«قال الشيخ عبد القادر : «كنت أظن ـ أولاً ـ أن الناس لعلهم بالغوا في كتابة أحوال المشايخ الأولين ، ولكن لما سمعت أحوال (ميان عبد الرحمن خان) ورأيتها ، تيقنت بصحة كتاباتهم حول أحوال المشايخ الأولين أيضاً . . .

ذات مرة ألححنا عليه أن يسمعنا حال بيعته (أي على يد الشيخ عبد الرحيم) ، فبدأ يبينها حتى بكى ، وجرت من عينيه الدموع ، حتى تلون قميصه فخفنا عليه ، وغسلناه بأنفسنا . . .»[٣] .

٨ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «سلسلة الطريقة» :

«كان الشيخ (عبد القادر) يأخذ البيعة من الناس على السلاسل الأربع (القادرية والجشتية والنقشبندية والسهرورية) وصارت هذه السلسلة التي وصلت إليه من طريق الشاه عبد الرحيم كالعطر المجموع لنسبتها إلى السلاسل الأربع . . .»[٤] .

٩ ـ قال الأستاذ الندوي في (ميان عبد الرحيم السهارنفوري) :

« . . . ومع كونه كاملاً ومكملاً رجع إلى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (تلميذ

---

(١) المصدر المذكور (ص٨٩) نقلاً عن «هدية العشاق» (ص١٩) .

(٢) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٧٧) .

(٣) المصدر المذكور (ص٩٣ تعليقاً) .

(٤) المصدر المذكور (ص٣٢٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الحاج إمداد الله المهاجر المكي) رجوع التلميذ إلى شيخه، فمنحه الإجازة والخلافة»[1].

١٠ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ أبا أحمد عبد الله (والد الشاه محمد يعقوب المجددي) كان يأخذ البيعة على السلاسل الأربع»[2].

١١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ محمد زكريا قال في رسالة إليه، يظهر من فحواها أنه طلب منه البيعة والإجازة:

«والقلب لا يرى أن يأخذ البيعة من الناس من مدة، والحمد لله، يوجد الآن كثير من الأحباب لإبقاء السلسلة، الذين هم أفضل مني . . .»[3].

١٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الخواجه أحمد النصير آبادي ذات يوم ذكر الشيخ محمد يعقوب الدهلوي بذوق ووجد، ثم قال للسيد فخر الدين (جدّ الندوي):

«أنا أريد أن تجدد البيعة حتى أمنحك تلك النسبة التي حصلت عليها من الشيخ المعنوي محمد يعقوب ـ نور الله مضجعه ـ . . . فأوفي بوعده . . . وزيادة على ذلك أني تمتعت بالألطاف التي لا أستطيع أن أعبر عنها بلساني القاصر»[4].

١٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن أباه السيد عبد الحي قال:

«أخذت عنه (أى السيد ضياء النبي) الطريقة الأحسنية»[5].

١٤ ـ قال الأستاذ الندوي:

«وكان السيد عبد السلام شيخاً في غاية من قوة النسبة، وحامل الكمالات

---

(١) المصدر المذكور (ص٣٢٢).

(٢) «ملفرظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص٣٤).

(٣) «حياة الشيخ محمد زكريا» للندوي (ص٢٣٧ ـ رسالة ٢٤/ فبراير ١٩٩٧٤م). وراجع مبحث «اتخاذ الشيخ» رقم (٥).

(٤) «حياة عبد الحي» للندوي (ص٢٢).

(٥) المصدر المذكور (ص٤٢).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المجدّدية النقشبندية وأمينها ، وكان يحب أن يعيش خاملاً مستور الحال مع علو مرتبته ، وكمال باطنه ، أسوة بكاملي هذه الطريقة ، وواصليها في الفناء والانكسار . . . وتحتاج كمالاته الباطنية وكراماته إلى ديوان . . .»[1] .

١٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي برواية الشيخ عبدالشكور الفاروقي أن الطبيب السيد عبد الحي (والد الندوي) ذهب لفحص أبيه : الحافظ ناظر علي الفاروقي في مرضه ، وكان من خلفاء السيد عبد السلام وعشّاقه ، فقال السيد عبد الحي للشيخ عبدالشكور : «خالي (أي السيد عبد السلام) كان قوي النسبة [2] ، عندما وضعت يدي على نبض أبيك جرت لطائفي كلها»[3] .

* * *

هذه الصوفيات التي ذكرتها في هذا المبحث لم تعرف في القرون المشهود لها بالخير . وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على التمسك بالكتاب والسنة عقيدة وعملاً ومنهجاً وسلوكاً .

---

(١) المصدر المذكور (٣٩ ـ ٤٠ مع التعليق) .

(٢) هنا قوة النسبة تختلف تماماً عن تفسيرها في مكان آخر بالنسبة مع الله ـ يعني «الصلة الروحية بالتدين ـ» (الحافظ ابن تيمية : ص١٥٦ مع التعليق) .

(٢) المصدر المذكور (٣٩ ـ ٤٠ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تربية كسر الهمة
والاستسلام للشيخ

قال ابن عربي :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله
فقم بها أدباً لله بالله
فإن بدا منهم حال تؤلههم
عن الشريعة فاتركهم مع الله [1]

وقال الجيلاني :

«أما آدابه مع الشيخ فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر ، وترك الاعتراض عليه في الباطن . . .» [2] .

وقال الغزالي : « . . . فمعتصم المريد ، بعد تقدم الشروط المذكورة ، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد ، بحيث يفوض أمره بالكلية ، ولا يخالفه في ورده ولا صدره ، . . . وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه ـ لو أخطأ ـ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب . فإذا وجد مثل هذا المعتصم ، وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين . . .» [3] .

انطلاقاً من هذه التوجيهات الصوفية في كسر همم المريدين ، وسلب إراداتهم ، واستسلامهم لمشايخهم صماً ، وعمياناً ، نجد في كتابات الأستاذ الندوي ما يؤيد هذا الأسلوب من تربية المريدين . وهاكم بعض النماذج منها :

---

(١) الفتوحات المكية : (الباب ١٨١ في أوله) .

(٢) الغنية (٢/ ١٦٤) ، وعنها في الكشف (ص٣٢٦) .

(٣) الإحياء (٣/ ٦٥) وعنه في الكشف (ص٣١٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبد القادر الراي فوري قال ـ وهو يبين معاملته مع شيخه : الشيخ عبد الرحيم :

«وكان يزجرني أحياناً بلا خطأ . ثم يتتبع هل أنا تأثرت بذلك . ولكن ـ الحمد لله ـ لم أكن أتأثر بذلك شيئاً»(١) .

٢ـ قال الأستاذ الندوي :

«ذات مرة قلت للشيخ (عبدالقادر) ـ وكان في المسجد النبوي ـ : إن المتأخرين زخرفوا المسجد ، زينوه تزيينا كثيراً ، وفرشوا أفضل أنواع السجاجيد ، يا ليتَ لو كان المسجد على سذاجته الأولى :

لا أدري كان الشيخ في أى حال في ذلك الوقت فجاش . وقال : يا شيخ ينبغي أن يزين أكثر من هذا ـ وأينما يوجد الجمال والرونق والبهجة في العالم فهو من صدقته ﷺ فندمت على ما قلت ، وشعرت أن هؤلاء كيف يتدفقون حباً»(٢) .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «تربية كسر الهمة» أن الشيخ الكبير فريد

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٦٨ ـ برواية عبد الوحيد) تَذَكرَّ معاملة النبي ﷺ مع خادمه أنس رضي الله عنه ! !

(٢) المصدر المذكور (ص٢٣٩) .

(تنبيه) : كان قول الراي فوري أجدر بأن يردّ عليه إزاء نهي النبي ﷺ عن زخرفة المساجد ، فضلاً عن أن يندم على تأييد ما ثبت بالسنة ، ويتنازل إلى رأي مخالف لها بمجرد عاطفة ، ويعبر عنه بحبّ متدفق للنبي ﷺ . إن هذا الأمر عجيب . كيف يتدفق الإنسان حباً للنبي ﷺ ، وهو يردّ إرشاده بمجرّد عاطفته؟ وكيف يحب الإنسان الرب عز وجل من غير اتباع نبيه ﷺ . وقد قال :

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران : ٣١] .

أهكذا كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه؟

وما هكذا ربى الخلفاء الراشدون إخوانهم من الصحابة وغيرهم من التابعين؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الدين كان يدرّس «عوارف المعارف» لشيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي، ونسخة الكتاب كانت سقيمة، وخطها كان رقيقاً، فتوقف الشيخ في موضع قليلاً، فقال الشيخ نظام الدين: كنت رأيت نسخة مصححة عند الشيخ نجيب الدين المتوكل (أخي الشيخ الكبير).

فقال: لا طاقة للفقير لتصحيح النسخة السقيمة، وكررها مراراً وتكراراً ـ وغضب على الخواجة نظام الدين غضباً شديداً على ما قال، ولم يرض عنه إلا بعدما توسط له ابنه شهاب الدين، فأجازه للحضور في خدمته، فحضر، ووضع رأسه على قدمه، فعفا عنه . . .» (١).

* * *

نرى في هذه الوقائع والأحداث تطبيقاً كاملاً لقول بعضهم «كن مع الشيخ كالميت في يد الغاسل».

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

* قال معاوية بن الحكم السلمي ـ رضي الله عنه ـ في رسول الله ﷺ:

« . . . فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني. قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (٢).

---

(١) «تاريخ الدعوة والعزيمة» (٣/ ٦٣ ـ فوائد الفؤاد: ٢٧).

(تنبيه): علق عليه الأستاذ الندوي فقال: «لا يشتبه على أحد ههنا، أن الشيخ الكامل أظهر هذا القدر من الغضب والتضجر على أمر صغير بدر من تلميذه الرشيد، فإن هذا الغضب والتكلف ـ كما يعلم من جملة الشيخ ـ كانا لترقى الطالب الرشيد الباطني، وكسر همته . . . واستدل على ذلك بحادثة كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في قبول توبته» (المصدر المذكور: ٣/ ٦٣).

(٢) مسلم (رقم ٥٣٧ ـ المساجد/ تحريم الكلام في الصلاة).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* راجع ذو اليدين - رضي الله عنه - النبي ﷺ حينما صلى الظهر أو العصر فنسى فسلم في ركعتين ، فقال : «يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت»؟

فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً . فقال : ما يقول ذو اليدين»؟

قالوا : صدق ، لم تصل إلا ركعتين . فصلى ركعتين وسلم . . .»[1] .

* وهذا أنس بن مالك - رضي الله عنه - خادم النبي ﷺ يقول : « . . . ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي قط : أف ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا»؟[2]

هكذا كان ﷺ - فداه أبي وأمي - يتلطّف بأصحابه عند التعليم والتربية . وهكذا كانت معاملته مع خدامه وهكذا رباهم على الشجاعة في مراجعة الحق ، لا على كسر الهمة والاستسلام ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ [الأحزاب : ٢١] .

* * *

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم (رقم ٥٧٣) .

(٢) متفق عليه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ترك الجمع والجماعات والأعياد

يظهر من دراسة أحوال الصوفية أنهم أحياناً كانوا يتركون الجمع والجماعات والأعياد تعبداً ، عند تسكعهم في الأودية والجبال والبراري والصحاري والغابات .

وقد وقع في مثل هذه المنهيات أولئك الرجال الذين يعدّهم الأستاذ الندوي من أبطال تأريخ الدعوة والعزيمة ، ومرشدي شبه القارة الهندية ومجاهديها .

وأتعجب أنه حينما ذكر هذه الحوادث ، ذكرها لبيان أهمية مجاهداتهم ورياضاتهم لا للردّ عليها .

وإليكم نماذج منها من كتاباته :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ شرف الدين المنيري اختفى في غابة «بهيا» و«راجيكر» اثنى عشر عاماً . وما رآه أحد ، ولم يلقه أحد خلال هذه المدة[(١)] .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشاه محمد يعقوب المجددي أيام إقامته عند قبر (كيسو دراز) في «كلبركه» أشير عليه من الغيب أن يتوجه إلى «بهو فال» ، فاستعد للذهاب إليها يوم عيد الأضحى ، فقال له متبناه الأفغاني داود : نسافر بعد العيد .

فبكى الشاه محمد يعقوب قائلاً : لا حرج أن يكون العيد في الطريق ، تتم أعيادي منذ سبع عشرة سنة في الغابات . . .»[(٢)] .

٣ ـ ونقل عن الشاه المجددي أن الخواجه نصير الدين[(٣)] (جراغ دهلي) ذات مرة كان مخيماً في الغابة . وكان هناك فقير متعود على مخدر ، فألقى إليه نظرة ، فصبغه بلونه[(٤)] .

* * *

(١) «تاريخ الدعوة والعزيمة» (٣/ ١٩٧) . تقدمت ترجمة شرف الدين المنيري بالتفصيل .

(٢) «ملفوظات الشاه المجددي» للندوي (٤٣ ـ ٤٤) يرى الأستاذ الندوي في الشاه يعقوب ومآثره في شرح التصوف انعكاساً لتجديد الإمام السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني (ص٥٦) .

(٣) تقدمت ترجمته آنفاً .

(٤) المصدر المذكور (ص١٧٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال ﷺ : «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين» (١) .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

و«الجمعة» فريضة باتفاق الأئمة .

و«الجماعة» واجبة أيضاً ، عند كثير من العلماء ، بل عند أكثر السلف ، وهل هي شرط في صحة الصلاة على قولين :

أقواهما كما في سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال : «من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له» (٢) .

وعند طائفة من العلماء : أنها واجبة على الكفاية . .

و«أحد الأقوال» أنه سنة مؤكدة ، ولا نزاع بين العلماء أن صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمسة وعشرين ضعفاً ، (٣) كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ . ولا نزاع بينهم أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاته في جماعة فإنه ضال مبتدع ، مخالف لدين المسلمين .

وهذه البدع يذم أصحابها ، ويعرف أن الله لا يتقبلها ، وإن كان قصدهم بها العبادة ، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان ، ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد والعبادة لأنهم لم يعبدوه بما شرع ؛ بل ببدعة ابتدعوها ، كما قال : ﴿**ورهبانية ابتدعوها**﴾ [الحديد : ٢٧] فإن المتعبد بهذه البدع قصده أن يعظم ويزار ، وهذا عمله ليس خالصاً لله ، ولا صواباً على السنة ؛ بل هو كما يقال : زغل ، وناقص ، بمنزلة لحم خنزير ميت ؛ حرام من وجهين .

والواجب على كل مسلم التزام عبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله ،

---

(١) مسلم (رقم ٨٦٥) عن ابن عمرو أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا : إنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره» .

(٢) أبو داوود (رقم ٥١٥ ـ صحيح سنن أبي داوود للألباني) .

(٣) متفق عليه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والأمر بذلك لكل أحد ، والنهي عن ضد ذلك لكل أحد ، والإنكار على من يخرج عن ذلك ، ولو طار في الهواء ، ومشى على الماء ، وليس تحت أديم السماء أحد يقر على خلاف ما جاء به رسول ﷺ ؛ بل إن كان مقراً بالإسلام ألزمه بطاعة الرسول ، واتباع سنته الواجبة ، وشريعته الهادية ، وإن كان غير مقر بالإسلام كان كافراً ، ولو كان له من الزهد والرهبان ماذا عسى أن يكون»(١) .

* * *

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٦١٥-٦١٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصرف والتأثير

يذكر «التصرف في الكون» ، و«التأثير في الشخص» ، ومنحه «كيفية باطنية» ، كثيراً في تراجم الصوفية . وهو يمسّ بكرامة جانب العقيدة الصحيحة في الله سبحانه وتعالى ، ويناقض التوحيد الخالص .

يوجد هذا النوع الخطير من الصوفيات أيضاً في كتابات الأستاذ الندوي .

وإليكم بعض الأمثلة منها :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي هدوء جو «راي فور» فقال :

« . . . وكان يرى أهل النظر والبصيرة أن ذلك الهدوء نسبة سكينة حضرات النقشبنديين التي تسود البيئة كلها ، وكلّما كان القرب من حضرة الشيخ أقوى ، حسب ذلك كانت تقوى هذه الكيفية وذلك الشعور ، كأن مركز السكينة تلك الشخصية التي أنعم الله عليها بالنفس المطمئنة وبخزينة اليقين والرضا .

ولكن كيفية الوجد والشوق والسرور التي غلبت لأجل الصبر والضبط ، ربما كانت تنشئ الشعور بها ، وكانت بعض أمواج النهر الساكن الهادي تتلاطم بساحله ، وتظهر النسبة الجشتية لونها»(١) .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي سفر الشيخ عبد القادر إلى باكستان الشرقية (بنغلاديش الآن) فقال :

«حضر على مزار الحاج رشيد أحمد في (جاتكام) ، ومكث هناك وقتاً طويلا جداً ، ثم رجع إلى مجلسه وقال :

«ما كنت أظن في حياته أنه بلغ من العلو إلى هذا المستوى ، الحمد لله سررت جداً بحضوري إلى المزار»(٢) .

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فورى» للندوي (ص١٢٢) .

(٢) المصدر المذكور (ص١٧٤ ـ برواية الحاج عبد المتين) وعلّق عليه الأستاذ الندوي قائلاً :

«الحاج رشيد أحمد بايع قطب الإرشاد رشيد أحمد الكنكوهي ، وكان متأثراً بإصلاح الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، وكان على صلة قوية جداً بأكابر هذه السلسلة ، أمثال شيخ الهند (محمود الحسن =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ قال الأستاذ الندوي :

«كان ميان عبد الرحيم السهارنبوري بايع الحاج عبد الغفور على أن لا يشتغل عند الإنجليز وأقام هناك .

«وكان يشتغل بمعمولاته في غار في «سيد وشريف» هناك ، وذات يوم خرج أسد ، وقام على الغار يزأر . . .

أثّر ذلك في هدوئه قليلاً ، ثم بدأ يذكر بالقوة نفسها ، كان شيخاً قوي النسبة وصاحب الكشف والتصرف . . .»[(١)] .

٤ ـ قال الأستاذ الندوي ـ وهو يحث على السعي للحصول على الكيفية الباطنية ـ :

«هذه الفكرة عامة في بعض حلقات التصوف عند عامة الناس نظراً إلى بعض وقائع المشايخ وكيفياتهم الخاصة ، أن أهل القلوب يستطيعون أن يمنحوا الآخرين كيفية باطنية متى شاؤوا ، وأياً شاءوا من غير استعدادهم وجهدهم الشخصي ، لا نشكّ في صحة هذه الوقائع ، وإمكان وقوعها . . . ولكن ليس هذا قاعدة مطردة واختيارية . . .»[(٢)] .

٥ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الأستاذ شبلي النعماني قوله في أثر «إحياء علوم الدين» في قرائه حيث قال :

«وسببه الكبير أن العصر الذي ألّف فيه هذا الكتاب كان مؤلفه مليئا بكيف التأثير»[(٣)] .

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي برواية الشيخ عبد الشكور الفاروقي ، أن الطبيب السيد

=الديوبندي) ، والشيخ أشرف علي التهانوي ، والشاه عبد الرحيم الراي فوري ، والشيخ محمد إلياس ، وشيخ الحديث محمد زكريا . . .» (ص١٧٥ ـ تعليقاً) وقد تقدم عن هذه الشخصيات وصوفياتها ما يكفي .

(١) المصدر المذكور (ص٣٢٠) .

(٢) المصدر المذكور (ص٣٣٨) .

(٣) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (١/ ١٦٧ ترجمة الغزالي) نقلاً عن «الغزالي» للأستاذ شبلي (ص٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عبد الحي (والد الندوي) ذهب لفحص أبيه : الحافظ ناظر علي الفاروقي في مرضه (وكان من خلفاء السيد عبد السلام وعشاقه) فقال السيد عبد الحي للشيخ عبد الشكور : «خالي (أي السيد عبد السلام) كان قوي النسبة . عندما وضعت يدي على نبض أبيك ، جرت لطائفي كلها» [١] .

٧ ـ قال الأستاذ الندوي في الشيخ محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء) :

«كان شديد الغيرة على الإسلام . . . قوي الإفاضة على الطالبين المسترشدين ، شديد الاتباع للسنة ، شديد المحبة لله وللرسول ، تروى له كشوف وكرامات ، ووقائع في التأثير . . .»[٢] .

٨ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن الشيخ محمد زكريا أنه :

زار ذات مرة قبر الشيخ الراي فوري ، ليختم القرآن عنده ، لأنه كان يحبّ أن يسمعه ، وكان الجو في غاية من الحرارة حينئذ ، فتغير الجو أيام اعتكافه على قبره . . . وهو يقول :

«كان الشيخ ـ نور الله مرقده ـ يتفكر دائماً في راحة هذا المذنب (أي زكريا) في حياته ، وقد ظهر هذا الآن أيضاً ، من حيث إن ثلاثة أيام في «دهديان» صارت كأيام «منصوري» ، و«جكروته» ، وكنت أضطر إلى أن ارتدي في الليل ، وفي نصف النهار أيضاً كنت أتمتع بالهواء العليل»[٣] .

* * *

هذا النوع من الأمر والحكم والتصرف والتدبير والتأثير خاص بالله عز وجّل ﴿**ولا يشرك في حكمه أحدا**﴾ [الكهف : ٢٦] .

فلينتبه لمثل هذه الصوفيات التي تناقض التوحيد الخالص . وإلى الله المشتكى !

---

(١) «حياة عبد الحي» للندوي (٣٩ ـ ٤٠ تعليقاً) .

(٢) زيادة الندوي على «نزهة الخواطر» (٨/ ٤٤٨) .

(٣) «سيرة الشيخ محمد زكريا» للندوي (٩٢ ـ ٩٣) باختصار .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصوّف وطرقه في نظر الصوفية

هذا المبحث يلقي الضوء الكافئ على ما يعتقده الأستاذ الندوي في التصوف، وأهله، وطرقهم، من الإخلاص، والمحبة، والصدق، والنزاهة، والديانة، وأنه أفضل طريق لتزكية النفس، وهو يرادف عنده «الإحسان».

أما ـ عندنا ـ فلا عقيدة إلا عقيدة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله، وإلى رضوانه وجنته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في أحوال القلب وعقائده وحقائقه، وأقوال اللسان، وأعمال الجوارح.[1]

وإليكم مقتطفات من كتابات الأستاذ الندوي في التصوف وطرائقه:

١ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «الهدف الأصلي»:

«كيفيات الطريق ـ مثلاً: الوجد، والأنوار، وإجراء لطائف سلطان الأذكار، حتى الفنائية[2] ـ لم تكن عنده (أي الشيخ عبد القادر الراي فورى) من الأهمية بمكان خاص... وكان مقصود التصوف عند الشيخ. أن يتغير اليقين الاستدلالي إلى اليقين الوجدي الذوقي الكشفي[3]، ويتمتع بحب الله، وبدوام التعلق بالله»[4].

٢ ـ ذكر الشيخ عبد القادر أنه لم يُعرف طريق للإخلاص والمحبة إلا التصوف، فقال:

«... لا نعلم إلا الطريق التي جرَّبها الآلاف من العباد الصالحين من مئات السنين، وكان المئات منهم مجتهدين في هذه الشعبة من الدين، وملهمين أيضاً»[5].

---

(١) راجع «مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٢) هذا الأسلوب يدلّ على أن «الفنائية» ليست شيئاً منكوراً عند الصوفية، بل على العكس من ذلك أنها مهمة عندهم، إلا أن الشيخ عبد القادر لم يولها ذاك الاهتمام.

(٣) لأجل هذا الذوق الكشفي وقع الصوفية في انحرافات كثيرة، لأنه لا ضابط له، ويختلف باختلاف الناس.

(٤) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» (ص ٣٢٤ ـ مكتوب منظور أحمد).

(٥) المصدر المذكور (٢٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ما هو التصوف).

(تنبيه): عند النظر في هذه الفقرة نجد أنها تخالف الفقرة الأولى، لأن «الآلاف من العباد الصالحين» ـ وتقدمت أحوال كثير منهم ـ، وقد وقعت الكثرة الكاثرة منهم عبر التأريخ، في الوجد والأنوار والفنائية وغيرها، واعتبروها من أهم مهمات التصوف.

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ وذكر الشيخ عبد القادر أن صدر النبي ﷺ المبارك كان خزينة للنور والمعرفة واليقين ، ثم انتقلت هذه الكيفيات إلى قلوب الصحابة وأتباعهم ومن بعدهم على قدر حبّهم له ﷺ ثم قال :

«ثم جرت سلسلة المشايخ الجشتية ، والقادرية ، والنقشبندية ، والسهروردية(١) ، وعندها مدار السلوك على صحبة الشيخ(٢) ، والسالك يحظى بالمعرفة والعشق على قدر حظوته بمحبة الشيخ . لو لم تكن الحاجة ماسة إلى صحبة الشيخ لما أرسل الأنبياء ، بل أنزلت الكتب من السماء إنزالاً مباشراً»(٣) .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبد القادر كان ينفي الأنوار والمشاهدات والكشوفات لأنها تتعلق بالمجاهدة والرياضة من غير شرط الإيمان والإسلام ، وفيها مخاطر كبيرة للخطأ وسوء الفهم ثم قال :

قال «الشيخ عبد القادر» : رؤية الأنوار ليست بضرورية ، وهي تحصل لغير المسلمين أيضاً بالمجاهدة والرياضة ، وكيف يكون ذلك الشيء عياراً للفضل والكمال ، الذي يوجد في غير المسلمين أيضاً ـ وماذا يكون ما به الامتياز بيننا؟ .

هنيئاً لتلك الطبائع(٤) التي لا ترى شيئاً ، وتصل إلى مقصودها ، لأنه هناك ليس خطر للانحراف ، بغض النظر عن أولئك الذين يشاهدون الأنوار ، فهم على خطر الانحراف والضلال»(٥) .

=وقد فشلت تجربة التصوف خلال هذه القرون الطويلة في إيجاد النوعية الواعية المطلوبة من المسلمين لنشر الإسلام والدفاع عنه .

فليجرّب أهل الطرق الصوفية المختلفة طريقة رسول الله ﷺ في ترسيخ العقيدة ، وتزكية النفس ، وتربية الشباب على محض الكتاب والسنة ! !

(١) تقدمت نبذ عن هذه السلاسل الأربع ، وما فيها من مخالفات وانحرافات .

(٢) تقدّمت أهمية اتخاذ الشيخ عند الصوفية في مبحث «اتخاذ الشيخ» .

(٣) المصدر المذكور (٣٢٧ ـ ٣٢٨ مسودة الصوفي محمد حسين) .

(٤) يتعذر وجود تلك الطبائع التي هنأها الشيخ عبدالقادر الراي فوري ، في تاريخ التصوف الطويل ، لأنها استأنست بمشاهدة الأنوار ، وتعوّدت على تسمية هواجس النفس كشوفاً وكرامات ، وأتت من الدعاوي والشطحات بما يمجّه السمع الكريم ، وينكره القلب السليم» .

(٥) المصدر المذكور (٣٢٤ ـ ٣٢٥ مسودة علي أحمد) .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٥ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «التصوف منبع الحياة والقوّة للأمور الدينية» :

«يُظَنّ ـ من أمد بعيد ـ أن التصوف يرادف البطالة ، والعطالة ، والدعوة إلى الفرار من معترك الحياة ، وذلك لتمثيله تمثيلاً خاطئاً من جانب ، ولجمود بعض حاملي لوائه ، وعدم التزامهم به وعطالتهم .

وكان الشيخ (عبد القادر) على يقين أن التصوف منبع الحياة والطاقة للأعمال الدينية ، ليس عطلاً وكسلاً[1] ، وكان عدة من شيوخ السلسلة التي ينتسب الشيخ إليها ، مجاهدين أوفياء ، ومصلحين أكفاء ، ودعاة إلى الله . . .»[2] .

٦ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . بناء على هذه الحكم المعلومة وغير المعلومة ، اختارت القدرة الإلهية هذه السلسلة (أي الجشتية) لنشر الإسلام في الهند ، وتلقّي الجشتيون إشارة غيبية لأن يتجهوا إلى الهند . . .»[3] .

=(تنبيه) : هذا اعتراف من الشيخ عبد القادر (مرشد الأستاذ الندوي في التصوف) بأن المدّعين لمشاهدة الأنوار على خطر الانحراف والضلال . وما أكثرهم !

(١) مهما يبرر الأستاذ الندوي ـ بناء على كلام مرشده ـ تصرفات الصوفية المبتنية على الكسل والعطل ، لا تغير الحقيقة ، وقلة علمهم بالكتاب والسنة أوجبت هذا التخليط بين التوكّل والتواكل ، لو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضادّ ، وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده ، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال (راجع شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام والجهاد ، في باب «التأريخ» .

رحم الله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ حيث إنه أدرك هذه الحقيقة في التصوف وأهله فقال :

«أسس التصوف على الكسل» .

وقال أبو الوفا ابن عقيل : «والناس يقولون : إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية» .

قال : «وأنا أقول : وخراب دينه ، لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب ، فإذا حضروا السماع والطرب فربما جرى في خلال ذلك منازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض ، فصارت الدعوة عرساً للشخصين . . .» (تلبس أبليس : ٣١٤ ، ٣٦٠ ، ٤٢٠) .

(٢) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري (٣٤١ـ ٣٤٢) .

(تنبيه) : تقدم ذكر الشيوخ الذين جاهدوا ، وأصلحوا ، ودعوا ، ولكن جهودهم هذه ـ وللأسف ـ تفتقر إلى محض الكتاب والسنة ، والعقيدة الصحيحة الصافية من أكدار الوحدة والحلول والاتحاد .

(٣) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٢) .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٧ ـ قال الأستاذ الندوي ـ وهو يشير بجهود الشاه محمد يعقوب المجددي في مجال التصوف ـ :

«شرح الحاجة إلى التصوف ، وإصلاح الباطن حسب طبائع هذا الزمان وأذواقه ، وإثباته حقيقة بدهية ، وضرورة ملحّة : من مآثره التي ينعكس فيها تجديد مجدد الألف الثاني ، ونسبة بنوءته . . .»(١) .

٨ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجددي «في تمثيل السلاسل الأربع» أنه قال :

«شبه الشاه أحمد سعيد(٢) رحمه الله ـ في كتابه «الأنهار الأربعة» طرق السلاسل الأربع المختلفة وألوانها المتباينة ، بأنهار الجنة الأربعة التي ورد ذكر أوصافها المختلفة في القرآن : ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد :١٥] .

قال :

(أنهار من ماء غير آسن) هذه نسبة سهروردية .

(وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه) هذه نسبة نقشبندية .

(وأنهار من خمر لذّة للشاربين) هذه نسبة جشتية .

(وأنهار من عسل مصفىّ) هذه نسبة قادرية .

وما يوجد في هذه المحاكمة من الجامعية والتوازن يعجبني كثيرا ، وما ينقل من وقائع الهداية والتأثير من قبل الخواجه معين الدين الجشتي ، والخواجه نظام الدين

=(تنبيه) : تقدم أنهم أي إسلام نشروه : وتقدم كذلك أن نشر الإسلام لم يكن من أهداف التصوف الأساسية . وسيأتي عنه المزيد في باب «التأريخ» إن شاء الله .

(١) ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي (ص٥٦) .

(تنبيه) : تقدم مفصلاً أن الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني ـ مع قيامه بكثير من الإصطلاحات ـ كان ماتريدياً في العقيدة ، ونقشبندياً في التصوف ، وهو مؤسس الطريقة المجددية أيضاً ، التي تقدمت انحرافات بعض أهلها أيضاً .

فما هي مآثر الشيخ عبدالقادر في التصوف التي ينعكس فيها تجديد مجدد الألف الثاني ؟ !

(٢) تقدمت ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الأولياء[١] ، وما تنسب إليهما من الخوارق والكشوفات كل ذلك مظهر لإخلاصهما ، وتوجّعهما ، ومحبّتهما ، ومظهر لهذه النسبة» [٢] .

٩ ـ نقل الأستاذ عن الشاه محمد يعقوب أنه قال :

«سألني رجل عن الفرق بين الشريعة والطريقة ، فقلت له : في الشريعة يحتاج الإنسان إلى إعداد الأعضاء والجوارح ، وفي الطريقة تُعِدُّه الأعضاء والجوارح . . .»[٣] .

١٠ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجددي أنه قال :

«حينما يرجّح الشيخ (أي مجدد الألف الثاني) الطرق ، يرجح الطريقة النقشبندية على سائر الطرق ، ويقول : «وما هو نهاية الطريق ، هو بداية هذه الطريقة ، وفيه اندراج النهاية في البداية»[٤] .

---

(١) تقدمت ترجمتهما بالتفصيل . وهما من كبار صوفية الهند ، ومن رجال الدعوة والعزيمة عند الأستاذ الندوي .

(٢) المصدر المذكور للندوي (ص٨٥) .

(٣) المصدر المذكور (ص١٢٥) .

(تنبيـه) : هذا التقرير يدل على أن هناك فرقاً بين الشريعة والطريقة أو الحقيقة . وهي أكثر تأثيراً في القلوب من الشريعة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

عزيز علي أن يصدر مثل هذا الكلام من «مرشد» فيتلقّفه تلميذ معروف بالاستحسان والقبول .

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : «وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع» .

وقا أيضاً : «وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء فقال : من قال الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان .

قال ابن عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسماً وقالوا المراد منها الحقيقة قال : وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعدهذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع» .

(٤) تقدم معني هذا القول في ترجمة السرهندي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كان في الجشتية شيوخ أصحاب الكمال والفيض ، هناك عشرينات من الوقائع تنبئ أن من ألقوا عليه نظرة صار ولياً ، واحتل خلق كثير بنظرهم مراتب عالية .[1]

ذات مرة كان السيّد نصير الدين (جراغ دهلي) مخيّماً في الغابة ، وكان هناك فقير تعوّد على شرب «بهنك» (نوع من المواد المخدّرة) وقال لتلميذه : ايت بمخدَّر قال : لا يوجد الآن في كوخنا . . . حتى وصل إلى السيّد نصير الدين ، فقال له : هل يوجد هنا «بهنك»؟ فقال : لا ، بل توجد هنا الولاية[2] ، فقال له : أعطني إياها فقال له : اذهب وتوضأ وصلّ ركعتين ، ففعل ورجع فألقى إليه السيد نصير الدين نظرة ، حتى تكيّف ، فلما رجع إلى أستاذه ، قال له : قلت لك أن تأتي به فجئت وأنت سكران ، فقال له : اذهب معي ، وأشربني أيضاً ، فذهب وصبغ أيضاً بذلك اللون . . .» .

هكذا توجد عشرينات من الوقائع والأحداث لهؤلاء الشيوخ[3] . قال قائل وأحسن : إن النقشبندية تبنى بيتاً وتؤثّثه وتزيّنه ، والجشتي يحضره ويجعله قاعاً صفصفاً .

لقد أحسن الشاه أحمد سعيد حينما بيّن فروق الطرق الأربعة في «الأنهار الأربعة»[4] .

والحق أن النقشبندية ليست طريقة أجنبية ، بل هي مجموعة الطرق الأخرى . . .»[5] .

١١ ـ ومن ملفوظات الشاه محمد يعقوب أنه قال : «كتب إليّ رجل فقال : إني

---

(١) قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ [القصص : ٥٦] .

لعل الصوفية لهم أمر آخر مع الله عز وجل . أو هدايتهم تختلف عن هداية الأنبياء والرسل .

هكذا يتواصون بتزكية أنفسهم . والله سبحانه وتعالى قال : ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم : ٣٢] .

(٢) أي أنه يوزع الولاية .

(٣) هكذا يشوّه جمال الإسلام بذكر مثل هذه الخزعبلات .

(٤) كما تقدم آنفاً .

(٥) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (١٧٧ ـ ١٧٨) .

(تنبيه) : يظهر من هذا كله أن الأستاذ الندوي كم يفرح بذكر مثل هذه الوقائع والأحداث والدعاوي والشطحات للصوفية !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تأثرت كثيراً بقراءة ملفوظاتكم في مجلة «الفرقان»[١] ، وكنت معتقداً بالطريقة النقشبندية من قبل ، وأريد أن ألتزم بها .

فرددت عليه : يا ليت لو كتبت : أني أريد أن ألتزام بالإسلام ، لأن كون الرجل مسلماً يرادف غسل الثياب ، وإذا صار المرء مسلماً صبغه بالجشتية أو بالنقشبندية ، أنا لا أحب هذا التعصب والافتراق ، وقد نشأت مغايرة كبيرة بين هاتين الطريقتين ، قلب الجشتي لا ينفتح على النقشبندي ، وقلب النقشبندي لا ينفتح على الجشتي . . .»[٢] .

١٢ ـ وذكر الأستاذ الندوي من ملفوظاته أيضاً تحت عنوان «بيانه حول ترجيح مجدّد الألف الثاني الطريقة النقشبندية» أنه قال : «قال المجدد في المكتوب رقم (٢٩٠) : وردت إليه رسالة مفادها . . . الطريقة التي هي أقرب وأسبق وأوفق وأسلم وأحكم وأصدق وأقبل وأعلى وأجل وأرفع وأكمل هي الطريقة النقشبندية «فما معناها»؟

فردّ عليها مفصّلاً : أن الكلام يراعى في فهمه حال المتكلم فقال : «فإن فهم كلامه هذا حسب الظاهر ، يؤدي إلى كون الطرق الأخرى ناقصة ، ويلزم منه تحقيرها» .

يقول بعض الناس : إن النقشبندية تفضل على غيرها لابتنائها على اتباع السنة ، وهذا يشير إلى أن الطرق الأخرى لا يوجد فيها اتباع السنة[٣] ، ومن المسلّم أن الطريقة التي لا تبنى على السنة ، لا تكون موصلة إلى الله ، ولذا لا يصحّ القول بذلك . بل الطرق كلها تبنى على السنة[٤] . . . ثم أول كلامه تأويلاً طويلاً وقال وفي ضوء ذلك يفهم كلام مجدّد الألف الثاني . إن النقشبندية استفاضت من جميع شيوخ الدين وأصحاب السلاسل وصارت أجمع وأعلى ، وبهذا حصل لها نوع من الفضل على الطرق الأخرى . . .»[٥] .

---

(١) مجلة «الفرقان» تصدر من لكناو (بالأوردية) ، ورئيس تحريرها الشيخ منظور أحمد النعماني (عضو رابطة العالم الإسلامي) . وقد توفّي قريباً في أوائل هذه السنة (١٤١٨هـ) .

(٢) المصدر المذكور للندوي (ص١٥٢) .

وهكذا قلب المبتدع لا ينفتح على السني ، فيقدم طريقته على شريعته وسنته .

(٣) يا ليت لو وجدت هذه الحساسية تجاه السنة أيضاً .

(٤) قال الشاعر :

منى إن تكن صدقاً فأحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

(٥) المصدر المذكور (٢٥٨ ـ ٢٦٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٣ ـ ومن ملفوظاته أيضاً أنه قال : «وضعت الطرق والسلاسل حسب اختلاف الطبائع والأزمنة . . . وتغيرت حسب تغيرها . ومثالها مثل اللباس أنه يختلف باختلاف البرودة والحرارة ، ولا يمكن اختيار لباس نوع واحد في جميع الفصول . . .»(١) .

١٤ ـ سأله الأستاذ الندوي عن الفرق بين طريقتي السيد آدم البنوري ، والخواجه معصوم (وهما(٢) من خلفاء مجدّد الألف الثاني وجرت من كل واحد منهما سلسلة) فقال : ليس هناك فرق أساسي بين الطريقتين ، علّم كلاهما السلوك حسب الظروف والأزمنة ، فيفهمه الناس أنه غير السلوك المقرّر . . .»(٣) .

١٥ ـ من ملفوظاته : أنه قال بعد ذكر قصة طويلة :

« . . . تكون في كلام الشيوخ إشارات لطيفة ، إن المائدة التي وجدناها مجاناً بصدقة النبي ﷺ ما قدّرناها حق قدرها فذبلنا . . .»(٤) .

١٦ ـ ومن ملفوظاته أيضاً :

«إنما الأمور بالإسلام . التصوف ، والمعرفة ، والحقيقة كلها من توابع الإسلام إذا كان الإسلام راسخاً نحصل الولاية الصغرى والكبرى والقبولية وغيرها في

---

(١) المصدر المذكور (ص٢٧٧) . هذا هو الفرق بين الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ ، وبين طرق القوم التي وضعها مشايخهم . فالأولى من لدن حيكم خبير . والأخرى من هو اجس الصوفية .

(٢) تقدمت ترجمتهما في ترجمة أحمد السرهندي . أما السيد آدم البنوري فكان أمياً ، وإليه تنسب الطريقة الآدمية أو الأحسنية ، ويظهر أن الأستاذ الندوي يفضل طريقته على غيرها وينتسب إليها .
وأما الخواجه معصوم بن أحمد السرهندي فبشره أبوه بالقيومية .
ويقال له : «حضرة القيوم» :
يقال : إنه انتشل السفينة من الغرق وابتل منه ـ وهو في بيته ـ بعدما استغاث به مريده الراكب عليها .
وقال : «رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام . . . ولما فرغت من طواف الزيارة ، جاءني ملك (من الملائكة) بكتاب بقبول الحج من رب العالمين» (تقدمت هذه الخزعبلات كلها . وراجع «النقشبندية» (٤٧ ، ٥٢) .

(٣) المصدر المذكور (٣٠٩) لاحظ اهتمام الأستاذ الندوي بمعرفة الفرق بين الطريقتين .

(٤) المصدر المذكور (ص٣٢٢) سيأتي الرد على هذا الكلام في مبحث «التوسل» آنفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقتها . . .»[١] .

١٧ ـ احترز الأستاذ الندوي في كتابه «حياة الشيخ محمد زكريا» عن ذكر التفاصيل عن تصوفاته ، وبين سبب ذلك فقال :

«أخشى[٢] أن يرى هذا الباب من هذا الكتاب ناقصاً عند بعض القراء لذا أشير على طلاب هذا الجنس (الذي هو مظهر لموهبة ونسبة عالية من الله) أن يقرأوا تلك الرسائل والمقالات التي أُلّفت في حياة الشيخ وبعد وفاته لتحقيق هذا الهدف . . .» .

ومن هذه الكتب كما في التعليق (ص١٦) «محبوب العارفين» ، و«يهجةالقلوب»[٣] للصوفي محمد إقبال الهوشيار فوري[٤] .

١٨ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ محمد زكريا قال :

«التصوف مشغلة أكابرنا . . .

هؤلاء الأفاضل من جهة ، كانوا خلفاء ومتبعين للأئمة المجتهدين وأئمة الحديث .

ومن جهة أخرى كانوا على آثار جنيد وشبلي من أئمة التصوف»[٥] .

١٩ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «حقيقة التصوف» أن الشيخ محمد زكريا قال :

---

(١) المصدر المذكور (ص٣٧٤) كيف تكون هذه الأمور من توابع الإسلام ، وهي لم تكن في زمن النبي ﷺ عند كمال الإسلام . قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة : ٣] .

(٢) يوحي كلام الأستاذ الندوي أنه لم يغفل عن تصوفاته التي هي موهبة ونسبة عالية من الله ، بل تغاضى عنها عمداً ، لما كتب فيها كثيراً .

(٣) تقدمت بعض المقتطفات من هذا الكتاب عند ترجمة الشيخ محمد زكريا في ترجمة السرهندي ، وهي تدل على توغله الكامل في التصوف . وهو الذي نص على أن التقليد والتصوف من شعار الديوبندية . كما تقدم .

(٤) «سيرة الشيخ محمد زكريا» للندوي (ص١٦ مع التعليق) .

(٥) المصدر المذكور للندوي (ص٢٦٢) .

وأما صوفيات الشيخ محمد زكريا ، التي ذكرها مريده الصوفي محمد إقبال في «بهجة القلوب في مبشّرات النبي المحبوب ﷺ» ، والتي أشار إليها الأستاذ الندوي أيضاً ليست على غرار تصوفات جنيد وشبلي . راجع ما تقدم من تصوفاته في ترجمته ، تعرف ما هنالك من الغوائل .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«التصوف الحقيقي يرادف «الإحسان»[(١)] الذي ورد ذكره في حديث جبريل ، وقد وضح النبي ﷺ فيه معنى «الإحسان» ، و(حقيقة التصوف) بقوله :

«أن تعبد الله كأنك تراه»[(٢)] .

وما شئت تختار له من العناوين ولكن مرجعه هذه الحقيقة .

أورى بسعدي والرباب وإنما أنت الذي تعني وأنت المؤمل[(٣)]

٢٠ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن أخاه الكبير السيد عبد العلي الحسني هو الذي رغّبه في الكتابة حول التصوف ، ثم قال :

«وقد انتهى هذا السير الذي كنت أسير في الكتاب لمجرّد طاعة أخي الأكبر ، والذي كان يغلب عليه دافع الغيرة واتباع الأمر ، إلى سرور ونشوة ، ومتعة روحية»[(٤)] .

٢١ ـ ذكر الأستاذ الندوي «دور الصوفية في التربية الخلقية وتكوين السيرة» وتأثره بهم ، ثم قال في آخر كلامه :

« . .وأدعو الله أن يثبتني على ذلك (أي الارتباط بالمشايخ) إلى أنفاسي الأخيرة .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا[(٥)]

* * *

---

(١) إذا كان «التصوف الحقيقي» يرادف «الإحسان» فما الذي جعل المتصوفة يتسكعون في الجبال والبراري والغابات ، وأي «إحسان» في تركهم الجمع والجماعات والأعياد؟ !

(٢) جزء من حديث جبريل عليه السلام ، المتفق عليه .

(٣) «حياة الشيخ محمد زكريا» (ص٢٦٣) .

(٤) «الإمام السرهندي» للندوي (٤ ـ ٥) .

(٥) «ربانية لا رهبانية» (١٣٦ ـ ١٣٧ طبعة أردية) .

(تنبيه) : الأولى للإنسان أن يعتزّ بانتمائه إلى الإسلام ، لا التصوف ، وإلى الإيمان بالله ، وحب رسوله وأصحابه ، لا المشايخ الذين لا يعلم مصيرهم .

قال شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«إذا كان كذلك ممن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالاً ، بل عليه أن يأخذ بما يعلم ، فيطلب أن يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده» . (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١١/ ٥١٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التواصي بالجماعات والشخصيات الصوفية

يغلب على كتابات الصوفية الجانب الدعائي حول التصوف وأهله ، كأنهم يتواصون به ، بحيث لا يتحفظون عن تزكية أنفسهم وغيرهم .

وخاصة عندما يذكرون ترقيهم الباطني إلى مدارج التصوف ، ومنازله يتعدّون ـ أحياناً ـ حدود الشرع في الإعجاب بأنفسهم ، وبطرقهم ، ومشايخها .

وإليكم بعض النقولات من كتابات الأستاذ الندوي التي هي على غرار الدعاية لبعض الجماعات والشخصيات الصوفية :

١ ـ قال الأستاذ الندوي :

«ومن هنا كان الشيخ عبد القادر الراي فوري يؤكد أن الدعوة الدينية العالمية (أي جماعة التبليغ بحي نظام الدين بدهلي) ، وأثرها المحيّر كان نتيجة كيفيات الشيخ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ الداخلية ،وجذبه القلبي ، وحرقته وتوجّعه وإخلاصه» .

ثم قال : «إذا وصل إخلاص القائد إلى منتهى علوّه ، ينشئ في كثير من أتباعه ومريديه الإخلاص ، وعاصفة العمل ، وكيفية العشق ، كما يرى في الحركة التبليغية ، ومع هذا أيضاً يحتاج إلى الجهد الشخصي للحصول على الإخلاص والإحسان»[(١)] .

٢ ـ قال الأستاذ الندوي في تقديمه لمذكّرات الدعوة والداعية للأستاذ حسن البنا :

«وقد تجلت عبقرية الداعي . . . في ناحيتين خاصتين ، لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة . . . ألاوهما : شغفه بدعوته ، وإيمانه واقتناعه بها . . .» .

وعلّق الأستاذ الندوي عليه بالهامش : «وكان من هذا القليل النادر الشيخ محمد إلياس الدهلوي (منشئ دعوة التبليغ وحركتها في الهند) ونجله وخليفته : الشيخ محمد يوسف . . . ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ فقد كانا مثالين فذّين في هاتين الناحيتين كلتيهما»[(٢)] .

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» (ص٩٧ ـ مع التعليق) وتقدمت ترجمة الشيخ محمد إلياس مع شيء من تصوفاته .

(٢) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص٩ ـ تقديم الندوي) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ قال الأستاذ الندوي :

«قال (أي الشيخ عبد القادر) ذات مرة أمامي : إن الشيخ أشرف علي التهانوي كان مجدّداً للتصوف . . .»(١) .

٤ ـ قال الأستاذ الندوي :

«كان الشيخ (عبد القادر) لا يخاف لومة لائم في إظهار صلته بالشيخ حسين أحمد المدني ، وتأييده وحمايته . . .»(٢) .

٥ ـ قال الأستاذ الندوي في الشيخ عبد القادر :

«وإن كان الشيخ محمد زكريا أصغر سنامنه ، وقد قضى زمن طلبه ، وقطع منازل سلوكه أمامه ، ولكن بالنظر إلى مواهبه الإلهية وجواهره الفطرية لم تكن معه علاقة الأنس والمحبة فقط ، بل علاقة الاحترام والتقدير أيضاً . . .»(٣) .

٦ ـ قال الأستاذ الندوي :

«وكان (أى الشيخ أحمد علي اللاهوري) من كبار شيوخ الطريقة أيضاً في عصره ، يتعذر نظيره في قوة النسبة والإدراك الباطني ، ونور الضمير في هذا العصر .

وكان الشيخ أيضاً يعتقد بإخلاصه وعلو مرتبته ويحترمه احتراماً كثيراً ـ وكان الشيخ أحمد علي اللاهوري أيضاً يعترف بعظمة (حسين أحمد) المدني والشيخ (عبد القادر) الراي فوري وعلو شأنهما اعترافاً كبيراً»(٤) .

= (فائدة) : الأستاذ حس البنا مؤسس «الإخوان المسلمين» . راجع ما لهذه الحركة وما عليها في «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» .

(١) سيرة الشيخ الراي فوري (ص٣٠٥) تقدمت ترجمة التهانوي ، وكان من مريدي الحاج إمداد الله في التصوف الذي توارثت في تلامذته وحدة الوجود .

(٢) المصدر المذكور (ص٣٠٦) تقدمت ترجمة المدني .

(٣) المصدر المذكور (ص٣١١) ، والشيخ محمد زكريا هو صاحب «تبليغي نصاب» . تقدم ذكره .

(٤) المصدر المذكور (ص٣١٥) . والشيخ حسين أحمد المدني هو الذي كان يقع في إمام الدعوة الشيخ =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٧ ـ قال الأستاذ الندوي :

«لما جاءه (أي الشيخ عبد القادر) نبأ وفاة الشيخ عبد الشكور الفاروقي (وكان يردّ على الرافضة) ، قال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» . . . وقال بعد سكوت طويل :

«إن لم يستقبله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) فمن يستقبلونه»[١] .

٨ ـ عرف الأستاذ الندوي في تمهيد الكتاب بالطريقة «المجدّدية» وفضلها على بلاد الهند ، وذكر الشاه أبا أحمد عبد الله (والد الشاه محمد يعقوب المجددي) وبين كمالاته وأوصافه وقال :

«كان الشاه أبو أحمد (ـ ١٣٤٢هـ) من كبار مشايخ عصره ، ماروئي في الهند في العصر الأخير ـ على الأقل ـ مظهر للنسبة المجددية أفضل منه ، ولا ترجمان لكمالات هذه الطريقة وعلومها ومعارفها وحقائقها أعلى منه ، وكان متّبعاً للسنة إلى حد الغاية ، وأميناً لآداب هذه الطريقة ومحافظاً عليها . ولا يوجد له نظير في التجريد والتفريد ، والتبتل والانقطاع ، والزهد والقناعة والبعد عن أهل الدنيا والأمراء والأثرياء . وكان عارفاً بمدّ منازل السلوك وجزرها وشعبها معرفة تامة . وكان محقّقاً وغواصاً في مكتوبات الإمام الرباني (مجدد الألف الثاني)[٢] .

٩ ـ ذكر الأستاذ الندوي مناقب الجشتية وآثارهم في الهند فقال :

« . . . وهكذا كل ما ذكر الله ، وعمل للإسلام في الهند ، جدير بأن يعدّ من حسنات الجشتيين ومآثرهم ، وعلى رأسهم مؤسس هذه السلسلة المخلص صاحب

=محمد بن عبد الوهاب . وقد تقدم أن السيد عبد العلى (أخا الأستاذ الندوي الأكبر) كان من مريديه ، وكان الأستاذ أيضاً من تلامذته ، وكان على صلة وثيقة به حتى وفاته .

وكذلك تقدمت ترجمة الشيخ أحمد علي اللاهوري ، ويُعدّ الأستاذ الندوي من خلفائه .

(١) المصدر المذكور (ص٣١٧) يشير هذا الأسلوب كأن الراي فوري رآهم يستقبلونه . والله أعلم .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» (٢٩ ـ ٣٠) والشاه أبو أحمد صوفي نقشبندي من ذرية السرهندي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الهمة العالية الخواجه معين الدين الجشتي (الأجميري) ، ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة»[١] .

١٠ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشاه محمد يعقوب المجدّدي قال : «قضيت سبع عشرة سنة في «حيدر آباد» على خبز «جوار» فإن نشأ فيّ هذا الوجد ، وهذه الحرقة فلا عجب من ذلك ، ولكنّي أتعجّب من أمر محمد سعيد (أي ولده الكبير) أنه لم يتردّد هنا وهناك ، ولم يجتهد هذا الاجتهاد فكيف نشأت فيه هذه المحبة والعاطفة»[٢] .

١١ ـ قال الأستاذ الندوي في «بابا تاج الدين» : «كان شيخاً مجذوباً من (ناك فور) وكان في عسكر الإنجليز ، ثم اختار الترك والتجريد ، وكان صاحب جذب وحال . . .»[٣] .

١٢ ـ قال الأستاذ الندوي :

«بعد وفاة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، تعلّق الشيخ محمد إلياس (مؤسس جماعة التبليغ) بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، وتحت إشرافه ، وحسب إرشاده قطع منازل السلوك»[٤] .

١٣ ـ قال الأستاذ الندوي :

«قال الشيخ عبد القادر الراي فوري عدة مرات ، مشيراً إلى الشيخ محمد زكريا والشيخ محمد يوسف : «منتهاي مبدأكما»[٥] .

---

(١) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ٢٩) تقدمت ترجمة الخواجه الجشتي بالتفصيل .

(٢) ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي (ص١٢٦) . إذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من مجاورة القبور ، والتسكع في الجبال والبراري ، وترك الجمع والجماعات والأعياد ، يا أولى الأحلام !

(٣) المصدر المذكور (ص٣٠٢ تعليقاً) والمجذوب في اصطلاح القوم هو : «من اصطفاه الحق لنفسه ، واصطفاه بحضرة أنسه وأطلعه بجناب قدسه ، ففاز بجميع المقامات والمراتب ، بلا كلفة المكاسب والمتاعب» (التعريفات : ص٢٦٠) .

(٤) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (٥٧ ـ ٥٨) تقدمت ترجمة الكنكوهي والسهارنفوري وهما من كبار الديوبندية .

(٥) «حياة الشيخ محمد زكريا» للندوي (ص١٩٤) «منتهاى مبدأكما» أي في منازل التصوف .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٤ ـ وقال أيضاً :

«وكان (أي الراي فوري) يقول أحياناً (في الشيخ محمد إلياس وابن أخيه : الشيخ محمد زكريا) : «هذا العم ، وابن أخيه شأنهما من نوع آخر» (١) .

١٥ ـ وقال أيضاً :

«وقال (أي الشيخ الراي فوري) ذات مرة : «انتقلت نسبة الشيخ الكنكوهي ، إلى شيخ الحديث (محمد زكريا)» (٢) .

١٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني : أنه إمام شهير مؤسس السلسلة القادرية ، بل تاج تدوين هذا الفن (أي الصوفي) على رأسه ، ومن أشهر من قام بدعوته بعده :

ـ شيخ الشيوخ أبو حفص شهاب الدين السهروردي (ابن أخي أبي النجيب السهروردي) مؤسس الطريقة السهروردية ، ومؤلف «عوارف المعارف» (كتاب التصوف الشهير) .

ـ ومن خلفاء السهروردي في الهند : الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني الذي أفاض على أهل الهند . . .»(٣) .

١٧ ـ ذكر الأستاذ الندوي في ترجمة «جلال الدين الرومي» : أنه في دمشق كان يصاحب محيي الدين ابن عربي ، والشيخ سعد الدين الحموي ، والشيخ عثمان الرومي ، والشيخ أوحد الدين الكرماني ، والشيخ صدر الدين القونوي ، وكانوا يتبادلون الحقائق والمعارف فيما بينهم»(٤) .

* * *

---

(١) المصدر المذكور (ص١٩٤) .

(٢) المصدر المذكور (ص١٩٤) .

(٣) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤) تقدمت ترجمة السهروردي والملتاني ضمن ترجمة الجيلاني مفصلاً .

(٤) المصدر المذكور (١/ ٣٤٢ ترجمة الرومي) . تقدمت تراجم هؤلاء المذكورين ضمن ترجمة الرومي . كلهم يرون عقيدة وحدة الوجود ، وابن عربي شيخهم وقدوتهم في هذا الباب . وتقدم أيضاً ماذا يريدون بالحقائق والمعارف؟

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«قد ينتبه كثيراً المعنيون بهذا الجانب في المجتمعات المعاصرة إلى أن المتصوفة على الإجمال قد اقترنت أسماؤهم ببريق لامع من الأوصاف والنعوت والألقاب وذكر المآثر والمفاخر، فضلاً عن جانب الكرامات والتجلّيات والمشاهدات وخوارق العادات، الذي تزخر به كتب القوم. وقد يقول قائل: إن هذه الظاهرة لازمت معظم رجالات العلم والفكر والفقه في التاريخ الإسلامي . . .

«قد يكون هذا القول صحيحاً إلى حدّ ما. وبالرغم من ذلك فمقارنة واحدة بين عالم من علماء الفنون المختلفة المتصلة بالإسلام إجمالاً ـ ناهيك عن علماء وأئمة: أهل السنة والجماعة ـ وبين أخفّ وأبسط رجل من رجالات التصوف تكشف لك عن عمق الميول الدعائية وغزير الألوان الإعلانية والوصفية التي يتقنها الصوفية ويحبون الإفصاح بها عن أنفسهم، وقد لا يكون لهذا الأمر كبير أهمية في التعليق عليه أو نقد سلبياته، ولكن جذور الداء في نفس وعقل معظم رجالات التصوف تأبى إلا أن تعلن عن نفسها في خلع ألقاب وأسماء وصفات بل ومقومات لرجالات التصوف تنحدر بالرجال إلى هاوية من الانحدار السلوكي الذي يستهدفون به أن يتميزوا عن خلق الله قاطبة. فهم بعد أن يضعوا لأنفسهم سلّم التدرج والترقي في الطريق الصوفي يبدأون في الإفصاح عن تلك المعاني التي تقول عنها أنها تفصح عن جذر البلاء الشركي في عقائد أرباب الطرق والمذاهب، وخاصة أولئك الأقطاب أصحاب عقائد «الحقيقة المحمدية» و«وحدة الوجود» و«الحلول» وغيرها من العقائد المدخولة»[1].

* * *

(١) «الصوفية معتقداً ومسلكاً» للدكتور صابر طعيمة (٣١٥ـ٣١٦).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التـوسـل

التوسل نوعان :

١ ـ مشروع ومنه :

* التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلي ، بأن يقال : «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت فاغفر لي» .

* التوسل بالعمل الصالح ، بأن يقال : «اللهم بإيماني بك ، وحبّي لنبيك فاغفر لي»(١) .

* التوسل بدعاء رجل صالح حيّ ، بأن يقال : «ادع الله لي أن يوفّقني لما فيه الخير في الدنيا والآخرة»(٢) .

٢ ـ غير مشروع . وفيه تفصيل :

«فإن الداعي تاره يقول : بحق نبيك ، أو بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين :

(أحدهما) : أنه أقسم بغير الله .

(والثاني) : اعتقاده أنّ لأحد على الله حقاً ، ولا يجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه . . .»(٣) .

* * *

---

(١) إيمان الرجل بالله ، وكذلك حبه للنبي ﷺ من الأعمال الصالحة .

(٢) راجع للتفصيل «التوسل : أنواعه وأحكامه» للعلامة الألباني .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٦) .

فإن يقال : أي فرق بين قول الداعي : بإيمانى بنبيك اغفر لي «وبحق نبيك اغفر لي»؟

فالجواب : أن الإيمان بالنبي ﷺ ، وحبه من الأعمال الصالحة .

بخلاف قوله : بحق فلان . فإن فلاناً ، وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ـ فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي ! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ! وقد قال تعالى : ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف : ٥٥] ، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي ﷺ ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «دعاء التسهيل» :

«من ١٦/ ربيع الأول ـ إلى آخر حياته كان هذا الشعر على لسانه (أي لسان الشيخ «فضل رحمن») :

فسهّل يا إلهي كلّ صعب بحرمة سيّد الأبرار سَهّل [(١)]

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجددي أنه قال :

«تكون في كلام الشيوخ إشارات لطيفة ، إن المائدة التي وجدناها مجّاناً بصدقة النبي ﷺ ما قدّرناها حق قدرها» [(٢)] .

٣ ـ وذكر الأستاذ الندوي عن الشاه المجدّدي أنه قال :

« . . . أفهم بصدقة شيوخ الدين أن الدنيا مدرسة ، ادرسوا فيها وخذوا الشهادة : شهادة الحياة الأبدية والفوز العظيم» [(٣)] .

* * *

وضحّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ التوسل المشروع وغير المشروع فيما يتعلق بالنبي ﷺ وبغيره أيضاً ، فقال :

ـ فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان :

=ولا عن أصحابه ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم . وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية . والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والاتباع ، لا على الهوى والابتداع» . (شرح الطحاوية : ص٢٣٧) .

(١) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص٩٠) نقلاً عن «تواريخ نامه» (ص٥) .

(تنبيه) : في مثل هذا قال الإمام أبو حنيفة وأصحابه : إنه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد ، أسألك بحق أنبيائك» (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة «لابن تيمية : ص٨٢) .

وقال : «نعم لو سأل الله بإيمانه بمحمد ﷺ ، ومحبته له ، وطاعته له ، واتباعه له ، لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء ، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل» . (المصدر المذكور : ص١٠٠) .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص٣٢٢) .

(٣) المصدر المذكور (ص٣٩٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(أحدها) : التوسل بطاعته ، فهذا فرض لا يتمّ الإيمان إلا به .

(والثـــاني) : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .

(والثـــالث) : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة ، وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله .

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه : إنه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد : أسألك بحق أنبيائك .

وقال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة .

قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به . وأكره أن يقول : «بمعاقد العز من عرشك» أو «بحق خلقك» . وهو قول أبي يوسف وقال أبو يوسف : بمعقد العزّ من عرشه هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام [(١)] .

وقال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز ، لأنه لا حقّ للخلق على الخالق ، فلا تجوز وفاقاً»[(٢)] .

* * *

(١) الدرر المختار (٢/ ٦٣٠) ، والفتاوي الهندية (٥/ ٢٨٠) ، وشرح الإحياء للزبيدي (٢/ ٢٨٥) من تعليقات «قاعدة جليلة» (ص٨٣) .

(٢) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص٨٣) وراجع آخر مبحث «المحو والاستغراق» من هذا الباب (الصوفيات) أيضاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخلـوة

«الخلوة» ـ أو العزلة ـ طقس إشراقي أساسي ، لابدّ منه في السير إلى الجذبة . . . كان إشراقيو الأمم ، وما زالوا ، يمارسون الخلوة في كهوف الجبال والوديان وفي شعابها ، وفي أعماق الغابات ، أو في كهوف (غرف صغيرة) تبنى في المعابد خصيصاً لهذه الغاية(١) .

ومثلهم تماماً ، مارسها متصوفة المسلمين ، لكن قرونهم الأولى ، استعاضوا عن كهوف المعابد بخلوات في بيوتهم ، لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا يعرفون الإسلام ويفهمونه ، وكانوا يعرفون أن هذه الزندقة غريبة عن الإسلام ، فكل من عُرف بها أقاموا عليه حد الرِّدة» (٢) .

وبمرور الزمن تغيرت الأحوال ، ولجأ الصوفية إلى كهوف الجبال والوديان ، والغابات والصحاري لتلقى «المعارف والحقائق» ، والبحث عن «الحق» . كما يزعمون .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ذكر هذه الخلوات التي تبعد الصوفية عن حضور الجمع والجماعات والأعياد قطعاً(٣) .

١ ـ قال الأستاذ الندوي :

«مر الشيخ عبد الرحيم الراي فوري بغابة (وكان معه أحد من أخصّ أصحابه هو : الله بخش البهاول نغري) ، فقال له : الله بخش ! هذه الغابة مباركة جداً ، تنزل فيها الأنوار ، أتخيرّ مكانك في هذه الغابة؟

فبنى كوخاً ، وجلس هناك متوكلاً على الله ، فجعله الله مركز العقيدة ، وجعل ذلك المكان مركز الهداية ومرجعها»(٤) .

---

(١) لا يقاس عليه تحنّث النبي ﷺ في «غار حراء» قبل بعثته ، لأنه لم يثبت أنه ذهب إليه بعد البعثة .

(٢) راجع «الكشف» (٣٣٤ ـ ٣٣٥) .

(٣) كما تقدّم ، وسيأتي المزيد إن شاء الله .

(٤) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري (ص٧٦) وقال الأستاذ الندوي : «الله بخش كان مطبوعاً على اتباع السنة» (ص٧٥) تعليقاً) . ما هكذا يكون اتباع السنّة ، ولا مركز العقيدة والهداية يا أولي الألباب !!

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن (ميان عبد الرحيم السهارنفوري) كان يشتغل بأوراده وأعماله في غار في «سيد وشريف»[(١)] .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ شرف الدين المنيري سمع صوت «طاؤوس» ، فنشأ في قلبه وجع وفَقَدَ الصبر والتحمّل ، وشقّ جيبه ، وتطرّق إلى غابة «بهيا» واختفى فيها ، ثم قال :

«ينقل أنه كان في غابة «بهيا» اثنى عشر عاماً ، ولم يعلم به أحد ، ورُئى في غابة «راجكير» أيضاً ، ولكن لم يلقه أحد . كان هذا الجبل ، وتلك الغابة زاوية معزولة للمرتاضين من كل فرقة وملّة . جلس «بوذا» أيضاً ههنا ، وقضى عدّة سنوات في التفكير ، ولما اشتغل مخدوم الملك (شرف الدين المنيري) بالمجاهدة والرياضة في هذا المكان ، كان فيه النسّاك الهندوس أيضاً في خلواتهم هنا وهناك ، ونقلت في الكتب بعض محادثاته ومكالماته معهم . وتوجد حجرته عند شلال ساخن في سفح الجبل حتى الآن ، ويعرف باسم «مخدوم كند» أيضاً»[(٢)] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الخواجه نصير الدين (جراغ دهلي) كان مخيّماً في الغابة ، وكان هناك فقير متعوّد على استعمال مخدّر ، فألقى الخواجة إليه نظرة ، فصبغ بلونه .[(٣)]

* * *

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«وهذه «الخلوات» قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان ولا إقامة ولا مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس ، إما مساجد مهجورة[(٤)] وإما غير مساجد : مثل

---

(١) المصدر المذكور (ص٣٢٠) . وراجع مبحث «التصرف» من هذا الباب .

(٢) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ سيرة الشرف : ص٧٢) .
يذكره الأستاذ الندوي في مصاف كبار الدعاة إلى الله ، أمثال أحمد بن حنبل ، وابن تيمية وغيرهما .
(النبوة والأنبياء للندوي : ص١٤٨ ، والإمام السرهندي : ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٣) ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي (ص١٧٧) .

(٤) ذكر الأستاذ الندوي في ترجمة شيخ الإسلام نقلاً عن (العقود الدرية : ص٦) أنه إذا أشكلت عليه مسألة أو صعب فهم آية التجأ إلى مسجد مهجور ، ووضع جبهته على التراب ، وردّد قوله : «يا معلم إبراهيم فهّمني» (الحافظ أحمد بن تيمية للندوي : ص١٥٨) . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الكهوف والغيران التي في الجبال ، ومثل المقابر لاسيما قبر من يحسن به الظن ، ومثل المواضع التي يقال : إن بها أثر نبي أو رجل صالح ، ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية ، يظنون أنها كرامات رحمانية»(١) .

وقال أيضاً :

«ومن أهل هذه الخلوات من لهم أذكار معينة وقوت معين ، ولهم تنزلات معروفة . وقد بسط الكلام عليها ابن عربي الطائي ومن سلك سبيله كالتلمساني ، وهي تنزلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه متعددة ، لكن ليس هذا موضع بسطها ، وإنما المقصود التنبيه على هذا الجنس .

ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية ، بل سهر مطلق ، وجوع مطلق ، وصمت مطلق مع الخلوة ، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره ، وهي تولد لهم أحوالاً شيطانية . وأبو طالب قد ذكر بعض ذلك ؛ لكن أبو طالب أكثر اعتصاماً بالكتاب والسنة من هؤلاء . ولكن يذكر أحاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة . . .

. . . وذكروا صلوات الأيام والليالي ، وكلها كذب موضوعة ولهذا قد يذكرون مع ذلك شيئاً من الخيالات الفاسدة وليس هذا موضع بسط ذلك .

وإنما الغرض التنبيه بهذا على جنس من العبادات البدعية ، وهي «الخلوات البدعية» سواء قدرت بزمان أو لم تقدّر ، لما فيها من العبادات البدعية . إما التي جنسها مشروع ولكن غير مقدرة . وإما ما كان جنسه غير مشروع .

فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع ، فهو ما كان مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب .

(فالأول) : كاعتزال الأمور المحرّمة ومجانبتها كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام : ٦٨] ومنه

=وقد أزال شيخ الإسلام هذا اللبس بقوله : «وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل ، فتخلّى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة ، فهذا حق . . . »(كما سيأتي ، وراجع «فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٣٠٥) .

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١٠/ ٤٠٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قوله تعالى عن الخليل : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم] وقوله عن أهل الكهف : ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف] فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعة ولا جماعة ، ولا من يأمر بشرع نبي ، فلهذا أووا إلى الكهف وقد قال موسى : ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدخان : ٢١] .

وأما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع ، وذلك بالزهد فيه فهو مستحبّ ، وقد قال طاووس : «نعم صومعة الرجل بيته ، يكفّ فيه بصره وسمعه» .

وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل ، فتخلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة ، فهذا حق كما في الصحيحين «إن النبي ﷺ سئل : أي الناس أفضل؟ قال : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هيعةً[1] طار إليها يتتبع الموت مظانّه ، ورجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويدع الناس إلا من خير[2]» .

وقوله : «يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة» دليل على أن له مالاً يزكّيه ، وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم ، وتقام الصلاة فيهم ، فقد قال صلوات الله عليه : «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة ، إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان»[3] وقال : «عليكم بالجماعة فإنما يأخذ الذئب القاصية[4] من الغنم»[5] .

وقال العلامة ابن أبي العزّ الحنفي (صاحب شرح العقيدة الطحاوية) :

«وأما الذين يتعبّدون بالرياضات والخلوات ، ويتركون الجمع والجماعات ، فهم

---

(١) «الهيعة : الصوت الذي تفزع منه ، وتخافه من عدو . وقد هاع يهيع هيوعاً إذا جبن» (النهاية : ٥/ ٢٨٨) . ويراد بها «نداء الجهاد» .

(٢) متفق عليه ، ولفظه أقرب إلى ما رواه أحمد (٢/ ٤٤٣) .

(٣) حسن . رواه أبو داود (رقم ٥٥٦ ـ صحيح أبي داوود للألباني) عن أبي الدرداء .

(٤) جزء أخير من الحديث المتقدم .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، قد طبع الله على قلوبهم : كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : «من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر ، طبع الله على قلبه»(١) وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول ، إن كان عالماً بها ، فهو مغضوب عليه ، وإلا فهو ضالّ .

ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين»(٢) .

* * *

(١) «صحيح ، لكنه لم يروه أحد من أهل «الصحيح» والمراد به البخاري أو مسلم ، خلافاً لما أفاده الشارح وإنما رواه أبو داوود والنسائي وأحمد وغيرهم وصححه الحاكم على شرط مسلم ، فوهم . وسنده حسن ، وله شواهد في «الترغيب» وغيره» . (تعليق الألباني على شرح الطحاوية : ص ٥١١) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الذكر وطرقه

يبدو من النظر في الأذكار المأثورة جلال الرب جلّ وعلا ، وجمال الطلب ، ورونق الأدب النبوي . وهي تتميّز بالجامعية والاعتدال من جميع النواحي .

وبما صح عن النبي ﷺ أن «الدعاء هو العبادة»(١) ينبغي للمسلم أن يلتزم فيه بما ورد ـ كمّاً وكيفاً ـ حسب المستطاع ، ليتمتع بألفاظ النبي ﷺ ، وطريقته في الدعاء ، حتى لا يكون من المعتدين . قال الله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف : ٥٥] .

وإن تعجب فعجب من أمر الصوفية أنهم كيف يخترعون من الأذكار والأحزاب والختمات ـ مع وجود المأثورات ، ومع ادعائهم باتباع السنّة ـ ما يخالف السنة كما وكيفاً . والأعجب من هذا أنهم يستدلّون على تأثيرها بتجارب المشايخ في عصورهم .

إليكم بعض النماذج من الأذكار الصوفية التي توجد في كتابات الأستاذ الندوي :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي بيعة(٢) والده على يد الشيخ «فضل رحمن» في

---

(١) صحيح رواه أصحاب السنن عن النعمان بن بشير والبراء رضي الله عنهما .

(٢) تقدم في مبحث البيعة (رقم ٢ مع التعليق) أن الذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع ، وخطأ في القول واللغة . وهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ، ولا عن أعيان المقتدى بهم ، وإنما لهج به قوم من ضُلال المتأخرين .

وربّما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه مثلما يروي عن الشبلي . . . وهذه من زلاته التي تغفر له . . . فإنه كان ربما يجنّ ، ويذهب به إلى المارستان ، ويحلق لحيته ، وله أشياء من هذا النمط ، لا يجوز الاقتداء به فيها .» (مجموع فتاوي شيخ الإسلام : ١٠/ ٣٩٦ ، ٥٥٦ ـ ٥٥٧) .

«سأله شاب : يا أبا بكر لم تقول «الله» ولا تقول : «لا إله إلا الله» .

فقال الشبلي : أستحيي أن أوجّه إثباتاً بعد نفي .

فقال الشاب : أريد حجة أقوى من هذه .

فقال : أخشى أنني أوخذ في كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار» .

قال ابن الجوزي : انظرو إلى هذا العلم الدقيق ، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول : «لا إله إلا الله» ويحث عليها . . . فانظروا إلى هذا التعاطي على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ» (تلبيس أبليس : ص ٣٨٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التصوف ، وتعليمه إياه كلمات البيعة تعليماً خفيفاً ثم قال :

«اذكر اسم الذات كل يوم مائة مرة . واذكره بلسان القلب مع غمض العينين ، وإمساك اللسان . . .»[1] .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي : أن الشيخ «فضل رحمن» كان يقول : «شيخنا (أي الشاه آفاق) كان يصلي على النبي ﷺ عشرة آلاف مرة ، ويكرّر الكلمة (أى لا إله إلا الله) خمسين ألف مرّة ، وكان من عادته تلاوة عشرة أجزاء من القرآن المجيد في صلاة الليل ، وكان يصلّي صلاة التسبيح في الأوقات الخمسة»[2] .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «تلقين الذكر» : أن الشيخ عبد الرحيم الراي فوري أمر مريده عبدالقادر بأن يرجع إلى وطنه ، ودلّه على شيء يقرأه هناك ، فوصل إلى «دهديان» ، واشتغل بذكر «اسم مفرد» في مسجد خارج القرية .[3] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي برامج زاوية «راي فور» فقال :

«كان البرنامج أن الناس كانوا يستيقظون في آخر الليل عموماً ، وبعد الانتهاء من الوضوء يشتغلون بالنوافل ، بعضهم كانوا يذهبون إلى المسجد ، وأكثرهم كانوا يؤدون النوافل على حصرهم وأسرّتهم ، ثم يشتغلون بالذكر بالجهر أو بالمراقبة ، وكانت «الدائرة» (خانقاه) ترتجّ بذكر الله في سكوت الليل والجو الهادي في «الغابة» في هذا الوقت ، وكان الناس يتكيفون بهذا الجوّ حسب استعدادهم ، وتنشأ كيفية عامّة للسرور والكيف ، وفي هذا الوقت كل كان يعتبر نفسه حرّاً ومشغولاً بحاله ، ولا يتعرّض أحد أحداً»[4] .

٥ ـ قال أيضاً في برنامج الشيخ عبد القادر الراي فوري :

---

(١) «تذكرة فضل رحمن» (ص١٠٦) ترك الذكر باللسان من أصول الذكر عند النقشبندية (النقشبندية : ص ٢١) .

(٢) المصدر المذكور (٢٢ ـ ٢٣) وزاد : «شيخنا كان يقول كل شيء وفق السنّة ، ولكنه كان يتواضع ويقول : وإذا ما أقول ما يوافق السنة ينزل من العرش «الفيض» الذي نبتلّ به» (نقلاً عن «أسرار المحبة» : ص٢) .

(٣) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (ص٦٠) والراي فوري مرشد الأستاذ الندوي .

(٤) المصدر المذكور (ص١١٠) ، هذا وصف دقيق لما شاهده الأستاذ الندوي في زاوية مرشده الراي فوري .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وكان التقيّد بختم «خواجكان» كبيراً في السنوات الخمس ، أو الست من آخر حياته وكان هذا الختم ينعقد أينما كان في «راي فور» ، أو في باكستان ، أو في أي مكان آخر ـ بعد صلاة الفجر أو الظهر عموماً تحت إشراف الشيخ «آزاد» .

بيّن الأستاذ الندوي طريقة هذا الختم فقال : يعمل بهذا الختم من زمن الشيخ عبد الرحيم الراي فوري ، وطريقته : أنه يكرّر جميع المشاركين في هذا الختم الصلاة على النبي ﷺ عشر مرات ، ثم يقرأون قراءة جماعية «لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه» ثلاث مائة وستين مرة ، ثم سورة (ألم نشرح) ثلاثمائة وستين مرة مع بسم الله ، ثم «لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه» ثلاثمائة وستين مرة ، ثم يقرأ جميع المشاركين الصلاة على النبي عشرات مرات ويدعون»[١] .

وكان الاهتمام بهذا الختم (ختم جواجكان) في حلقة أبي أحمد عبد الله (والد الشاه محمد يعقوب المجدّدي) أيضاً .[٢] .

وكذا كان في حلقة الشاه محمد يعقوب بعد المغرب كل يوم الجمعة طول السنة ، إلا في رمضان ، فإنه كان يختم فيه بعد صلاة الجمعة .[٣]

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي بعض إيجادات المتصوفة في الذكر وطرقه ، فقال :

«وهكذا أوجد لهم بعض المشايخ في ضوء التجارب في عصورهم نوعاً خاصاً من الرياضات والمجاهدات لكسر نفوسهم ، وكبح شهواتهم ، وملائمة طبائعهم .

وهكذا أُوجِد طريق «الضرب» للزيادة في تأثير الذكر ، وخلق الرقة والعزلة في الطبع .

ليس شيء من هذه الأشياء مقصوداً بذاته ولا مأموراً به ، بل يستعمل للعلاج والتدبير ، ولهذا تترك هذه الأمور بعد تحقيق الهدف منه[٤] .

---

(١) المصدر المذكور (ص ١٢٠ ـ مع التعليق) . مع كل هذا ذكر الأستاذ الندوي اهتمامه باتباع السنة أيضاً (ص ١٤٢) .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (٣٥ ـ ٣٦) .

(٣) المصدر المذكور (ص ٥١) .

(٤) «سيرة الشيخ الراي فوري» للندوي . (ص ٣٢٥ ـ ما هو التصوف للشيخ منظور أحمد النعماني) .

(تنبيه) : هذا فقه دقيق وتجويز طريف للرياضات الصوفية ، والأذكار البدعية ، وطرقها المنكورة . مع كل هذا ـ وللأسف ـ يدّعي باتباع السنة . وأما عندنا فيجب الاعتصام بالكتاب والسنة في جميع الأمور ، وليس فعل غير الرسول ﷺ حجة على الإطلاق في طرق الذكر والعبادات .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٧ـ ونقل الأستاذ الندوي عن الشيخ عبد القادر أنه قال :

«ضعفت الصحبة لبعد الزمان ، فأجرى أهل الله لإكمال نقصها الأذكار والمراقبة التي عرفت بإلهامها إلى أولياء الله . . .»[(١)] .

٧ـ ذكر الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجدّدي «دعاء المفقود» فقال :

«ذكر الحاج علاء الدين أن رجلاً من أصدقائه فقد ولده منذ سبعة أو ثمانية شهور ، وهو في اضطراب شديد ـ وسألك عن دعاء لإزالة هذا الغمّ ، فأرشده إلى قراءة سورة (الطارق) خاصة الآية ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ [(٢)] .

٨ـ قال الأستا ذالندوي :

«قال (الشاه محمد يعقوب) لرجل لم يجد شغلاً : كرّر «يا عزيز» أربعين يوماً»[(٣)] .

٩ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «استقبال شهر رمضان عند العارفين والصالحين» فقال :

«من المؤسف أنه لم يسجّل أي مؤرخ مشاهداته في شهر رمضان المبارك ، في خانقاه سلطان المشايخ المحبوب الإلهي الخواجه نظام الدين أولياء[(٤)] (بدلهي) في القرن الثامن ، وفي خانقاه «المظهري»[(٥)] في جتلي قبر (دلهي) في القرن الثالث عشر ، ولا يوجد التفصيل عما كان هناك في شهر رمضان من حرارة الذكر والتلاوة ، وإحياء الليل ، والبرامج الأخرى ، ولكن يوجد في «فوائد الفؤاد» و«سير الأولياء» و«در المعارف» شيء من وميض شهر رمضان المبارك في هذه الزوايا ، والملم بأحوال ليلها

---

(١) المصدر المذكور (ص٣٢٦) .

(تنبيه) : انظروا ـ عصمني الله وإياكم من الزلل ـ إلى هذا الادعاء الذي يؤدي إلى تعطيل مهمات الرسالة والنبوة . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي ٠ص٢٧٧) . وإذا أكملنا الآية :

﴿يوم تبلى السرائر﴾ فماذا يكون؟ ما هكذا يكون الدعاء يا عباد الله !

(٣) المصدر المذكور (ص٣٨٢) .

(٤) خصّ الأستاذ الندوي الجزء الثالث من سلسلة «تاريخ الدعوة والعزيمة» بسيرته وحياته . وقبره في «حيّ نظام الدين» في دلهي ، ينذر له ويتبرّك به ، ويستغاث من دون الله عز وجل . تقدّمت ترجمته بالتفصيل .

(٥) المظهري : نسبة إلى «مظهر» جان جانان الدهلوي . وتقدمت ترجمته ، وهو من كبار النقشبندية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ونهارها ، وبأذواق المشايخ ومواجيدهم ، وبغنائهم وحرقتهم يستطيع أن يُعِدَّ تحريراً كاملاً من هذه النقط ، (١) وتصويراً كاملاً من هذه الخطوط»(٢) .

١٠ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «والدة الشيخ محد إلياس المحترمة» أنها حفظت القرآن بعد الزواج ، في مدّة رضاعة ابنها الشيخ محمد يحيى (أخيه الكبير) ، ثم قال :

«وكان من عادتها أنه في رمضان كانت تختم القرآن وعشرة أجزاء أخرى في كل يوم ، وعلى هذا كانت تختم في كل رمضان أربعين ختمة للقرآن ، ومع هذا لم تكن تتأثر واجبات البيت لأجل الجودة في حفظها ، وكانت تهتم بأدائها أثناء التلاوة .

كان من أعمالها اليومية في غير رمضان مع أداء واجبات البيت ، ما يلي :

الأعمال والأوراد اليومية :	عددها :	
* الصلاة على النبي	خمسة آلاف مرة .	(٥٠٠٠)
* اسم ذات الله (الله) .	خمسة آلاف .	(٥٠٠٠)
* بسم الله الرحمن الرحيم .	ألف وتسعمائة .	(١٩٠٠)
* يا مغني .	ألف ومائة .	(١١٠٠)
* لا إله إلا الله .	ألف ومائتان .	(١٢٠٠)
* يا حي يا قيوم .	مائتان .	(٢٠٠)
* حسبي الله ونعم الوكيل .	خمس مائة .	(٥٠٠)
* سبحان الله .	مائتان .	(٢٠٠)
* الحمد لله .	مائتان .	(٢٠٠)
* لا إله إلا الله .	مائتان .	(٢٠٠)
* الله أكبر .	مائتان .	(٢٠٠)
* الاستغفار .	خمس مائة .	(٥٠٠)
* أفوّض أمري إلى الله .	مائة .	(١٠٠)
* حسبنا الله ونعم الوكيل .	مائة	(١٠٠)
* رب إني مغلوب فانتصر .	مائة	(١٠٠)
* رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .	مائة	(١٠٠)
* لا إله إلا الله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .	مائة	(١٠٠)(٣)

(١) يا ليت لو كان مثل هذا التتبع الدقيق لمعرفة أحوال النبي ﷺ وأصحابه في الذكر والدعاء ، والاهتمام بالصلاة والصيام ، والقيام في شهر رمضان المبارك !!

(٢) «حياة الشيخ محمد زكريا» للندوي (ص١٢٤) .

(٣) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (٥٠ ـ ٥١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لقد حضّ الإسلام على الدعاء ، وشجّع على المأثور منه ، ونهى عن الاعتداء فيه ، والصوفية لم يتقيدوا بكل ذلك ، فراحوا يبتدعون أدعية من عندهم ، فيها كثير من الغلو(١) والاعتداء .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن الأحزاب والأذكار غير المأثورة ، فقال :

«ولكن هذا الدعاء المسئول عنه بمأثور ، والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة ؛ فإن الدعاء من أفضل العبادات ، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه ، فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع ، وسنّ ، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات ، والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره ـ وإن كان من أحزاب بعض المشايخ ـ الأحسن له أن لا يفوته الأكمل الأفضل ، وهي الأدعية النبوية ، فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك ، وإن قالها بعض الشيوخ فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك .

ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيّد بني آدم ، وإمام الخلق ، وحجة الله تعالى على عباده ، والله اعلم»(٢) .

* * *

---

(١) التصوف بين الحق والخلق (ص١٦٦) .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٢٢/ ٥٢٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الرياضات والمجاهدات

الرياضة ـ عند الصوفية ـ : هي إضعاف الجسم بالجوع والسهر وكثرة العبادة ، وغايتها تقوية الروح ـ بزعمهم ـ حتى تتصل بعالم الملكوت ، وينفتح للصوفي باب من طريق الحكمة والقدرة ، ويأتيه الشيء بخرق العادة .

والمجاهدة ـ عندهم ـ : هي مخالفة الهوى ، ومحاربة الشهوات ، وهي تهدف إلى تربية النفس ، وترويض الغرائز (١) .

يوجد ذكر هذه الرياضات الصوفية ، والمجاهدات البدعية أيضاً ، في كتابات الأستاذ الندوي . وإليكم نماذج منها :

(١) ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ شرف الدين المنيري قال ذات مرّة لمريده القاضي زاهد ، بعد قضاء زهاء اثنى عشر عاماً في الرياضات والمجاهدات في غابة «بهيا» و«راجكير» (من أعمال منطقة «بهار») :

«إن الرياضات التي مارستها ، لو مارسها جبل لصار ماء ، ولكن شرف الدين لم يصر شيئاً» (٢) .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي مجاهدة الشاه محمد يعقوب المجددي فقال :

«كان زمن إقامته في (حيدر آباد) زمن المجاهدة والمشقة . وقال مرات كثيرة : عشت هذه المدة السبع عشرة سنة على خبز «جوار» (حب مثل الشعير) ، وفي أيام العيد كنت أخرج إلى الغابة ، خشية أن يصرّ الرفقاء لفصل اللباس الجديد . . .» (٣) .

---

(١) التصوف بين الحق والخلق (١٧١ ، ١٧٤) .

(٢) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١٩٨ ـ سيرة الشرف) ماذا أراد المنيري أن يصير من هذه الرياضات الصوفية التي دفعته إلى ترك الجمع والجماعات والأعياد خلال هذه السنوات الطويلة فلا حول ولا قوة إلا بالله؟ !

(٣) ملفوظات الشاه محد يعقوب المجددي (ص٤٣) .

(تنبيه) : كان النبي ﷺ يأمر النساء حتى الحيضّ منهن للخروج إلى المصلى ، حتى يحضرن دعاء المسلمين .

* ولكن العجب من أمثال هؤلاء الصوفية الذين يقول فيهم الأستاذ الندوي بأنهم كانوا متبعين للسنة ـ كيف يتركون حتى العيد اجتناباً من اللباس الجديد . يا له من فقه دقيق ، وفهم عجيب !

أي رياضة هذه ، وأي دين يا عباد الله؟ ! أليست هذه هي الرهبانية التي يسميها الأستاذ الندوي بالربّانية؟ !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «المجاهدة والعبادة» في سيرة الشيخ محمد إلياس فقال :

«وكان هذا الوقت وقت أوج مجاهدته ورياضته ، وكان هذا الذوق فيه وراثياً وفطرياً . مال إلى الخلوة والرياضة في هذه الأيام خاصة . وروى الحاج عبد الرحمن أنه كان يبقى ساعات في الخلوة عند باب «عرب سرا» في «معبد نظام الدين» (في جنوب مقبرة «همايون» ، وعلى مقربة من مقبرة السيد نور محمد البدايوني ، وشيخ عبد الرحيم خان خانان ، ومرزا مظهر جان جانان) وكان يتغدّى هناك في عامة الأحوال ، ويتعشى في بيته ، ويؤدي الصلوات الخمس بالجماعة وكنا نذهب إليه لأداء الصلاة بالجماعة (أحياناً) ، وكان الطلبة يصلون إليه هناك للدرس ، وأحياناً كان يأتي إلى مسجد (جكروالي) ويدرّسهم»[(١)] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي تسكع أبي حامد الغزالي في الصحاري والبراري لطلب الحق والبحث عن اليقين ، الذي انتهى بعد عشر سنوات من الرياضات والمجاهدات ، ثم نقل عن الأستاذ شبلي أنه قال :

«وفي الآخر لبس مسوحاً وخرج من بغداد ، تاركاً كل ما كان عنده ، وبدأ يقطع الصحاري والبراري ، ووصل إلى سرّ المحفل بعد مجاهدات ورياضات شديدة . . .»[(٢)] .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي مجاهدة الجلال الرومي ورياضته ، فقال :

« . . . إذا غلب النوم على مريديه في مجالس السماع اتكأ إلى الجدار مطأطئاً رأسه على ركبتيه مراعياً لهم ليناموا من غير كلفة . ثم كان يقوم ويشتغل بالذكر والشغل . . . . . .

---

(١) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (ص ٧١) . والشيخ محمد إلياس هو «مؤسس جماعة التبليغ» ، ويكفي أن الأستا ذالندوي عدّه من الشخصيات التي أثرت في تكوين شخصيته . (شخصيات وكتب : ١٥ـ ٢١) .

(٢) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (١/ ١٤٧ ترجمة الغزالي) عن كتاب (الغزالي) للأستاذ شبلي (ص٦٣) أيّ أساس لهذه الرياضة والمجاهدة في الكتاب والسنة؟ تقدمت ترجمة الغزالي مفصلاً ، وهو من رجال الفكر والدّعوة في الإسلام !!

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان يصوم في غالب الأحوال ، ولم يكن يأكل شيئاً عدة أيام متوالية . . .»(١) .

* * *

الرياضة ـ رغم كل شيء ـ يبقى لها دورها في التصوف بين المسلمين ، كما أن لها دورها الرئيسي ، أو الوحيد ، في التصوف عند غير المسلمين .

والمجاهدة (أو الرياضة) ـ كما رأينا ـ هي الخلوة والصمت والجوع والسهر . وقد يرافقها تعذيب النفس بشكل من الأشكال ، وتركيز الفكر في شيء ما أساسي في المجاهدة الإشراقية .(٢) .

فبإنهاك الجسم بالسهر والجوع ، وقمع الشهوات على غير هدي الفطرة الإنسانية ، نشأ التبتل عند الهنادك ، والرهبانية عند النصارى ، والزهد الفارغ عند الصوفية .

كل هذه الرياضات والمجاهدات منحرفة ، وليس لها أصل في الإسلام ، إنما هي من آثار المجوس . . . الغاية منها إضعاف الكيان الإسلامي ليصبح أتباعه ضعفاء وهزيلين يسقطون في معركة الحياة ومعركة الأعداء .(٣)

* * *

---

(١) المصدر المذكور للندوي (١/ ٣٥٨) .

(تنبيه) : هذا هو الجلال الرومي (تلميذ ابن عربي رأس أهل وحدة الوجود) ، الذي عده الأستاذ الندوي من أبطال تاريخ الدعوة والعزيمة ، واعتبر كتابه «المثنوي المعنوي» مصدر إيمان جديد وإذعان مزيد .

ما هكذا يكون رجال الفكر والدعوة في الإسلام؟ !

(٢) الكشف (ص٣٣٤) .

(٣) التصوف بين الحق والخلق (١٧٣ ـ ١٧٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السماع

يزعم الصوفية أن السماع يزيدهم شوقاً ولوعة إلى الرب عز وجل وأنهم يتمتعون بحس مرهف ، وشعور رقيق عند سماع أشعار العشق والمعرفة .

والعجيب من أمرهم أنهم يتغزلون في سعدي وليلى وبثينة ، ويحملونه على صفات الباري سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً

يوجد ذكر هذا النوع من السماع الصوفي وتأييده في كتابات الأستاذ الندوي . ويراه أنه غذاء للجسم المتعب بالرياضات والمجاهدات ، ودواء لداء لا دواء له .

وإليكم بعض ما ذكر من الأمور في هذا الموضوع :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «وقت التهجّد» بعد ما ذكر أذكار الشيخ «فضل رحمن» وأوراده ـ فقال :

« . . . المختصر كان اجتماع العشاق ينعقد عنده وقت التهجد ، وربما كنت (أي تجمّل حسين) بمفرده ، وفي ذلك الوقت كان الشيخ ينشد الأشعار العشقية بنفسه ، وربما كان يبيّن مقالات التصوف التي تتضمن نصائح الشيوخ وحكاياتهم ، وكان يذكر «التوحيد» أحياناً ، ويبيّن الأذكار والأشغال حيناً آخر . . .»(١) .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي هدوء جو «راي فور» ، وقال :

«وربما كان يدعو الشيخ عبد المنان الدهلوي (الذي تمتع بالوجع والحرقة واللحن الحسن ، مع حفظه كثيراً من الأشعار العربية ، والفارسية ، والأردية) .

أو السيد مسعود علي «آزاد» (الذي كان يفهم الشعر ويشعر أيضاً مع لحنه المنغمس في الوجع) ويأمر أن يتغنى بالأشعار العشقية والمعرفية للخواجه حافظ ، وأمير خسرو ، والخواجه نصير الدين (جراغ دهلي)(٢) .

---

(١) تذكرة فضل رحمن للندوي (ص٣٨) نقلاً عن الفضل الرحماني (ص٣٧) .

(تنبيه) : وكان يذكر «التوحيد» أحياناً ، يجب الانتباه لهذا «التوحيد» الذي كان يذكره أحياناً ، ما هو إلا «وحدة الوجود» والله اعلم .

(٢) الخواجه حافظ الشيرازي وأمير خسرو (ـ٧٢٥هـ) من شعراء الصوفية بالفارسية خاصة . وتقدمت ترجمة الخواجه نصير الدين كان هو وخسرو من مريدي الخواجه نظام الدين الدهلوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان ينشأ عجيب من الكيف والسرور . . .»[١] .

٣ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «محبته وشوقه» (أي الشيخ عبد القادر الراي فوري) :

« . . . لا يقدّر العامي كيفيات كاملي الأحوال من المشايخ . . . وبالرغم من ذلك إذا طفحت كأس صبرهم ، تتقاطر قطرتان أو أربع من دموعهم . . . حينما ينتخب أصحاب الأحوال شعراً ، أو يحصل لهم به كيف وذوق خاص ، فيعرف أنه صورة لحقيقة حالهم وتعبير صادق عما يجيش في قلوبهم . . .

كانت شرارة المحبة والعشق في طبيعة الشيخ من البداية ، وكان ذلك حاله وذوقه الفطري ، وكانت له مناسبة خاصة واعتقاد تام بأولئك المشايخ الذين غلب عليهم هذا العنصر وكان واضحاً لديهم .

وبناء على ذلك كان يعشق المحبوب الإلهي سلطان المشايخ الخواجه «نظام الدين أولياء»[٢] ، ويشغف بأحواله شغفاً خاصاً ، ولم يكن يشبع من سيرته في أي حال[٣] .

توجد مثل هذه البضاعة في العصر الآخر في تذكرة الشيخ «فضل رحمن» وكان أهل العشق يلتذون بوقائعه ، وكيفياته وأشعاره المنتخبة . . .»[٤] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي غياب «شمس الدين التبريزي» عن «القونية» مرة ثانية ، وأثره على الجلال الرومي ، فقال :

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص١٢٢) .

(٢) هو الصوفي المعروف ، تقدمت ترجمته . وكان يسمع بالدف . وقبره في حي نظام الدين بدلهي (جنب مركز التبليغ) يطاف حوله ، وينذر له ، ويعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

(٣) ألف الأستاذ الندوي الجزء الثالث من «تاريخ الدعوة والعزيمة» (بالأردية) ، وهو خاص بترجمة الشيخ نظام الدين والمنيرى ، وذلك على طلب من مرشده : الشيخ عبد القادر الراي فوري (سيرته : ٢٣٣ ـ تعليقاً) . (فائدة) : يجب على المسلم أن لا يمل ولا يشبع من سيرة سيد الأولين والآخرين وأصحابه الطيبين الطاهرين . وأما سير غيرهم فلا يمل منها الإنسان فهذا أمر غريب ، ومبالغة عجيبة .
وخاصة سيرة الخواجه نظام الدين الدهلوي ، وقد تقدّم ما فيها من انحرافات وخرافات وشطحات . وهذا أعجب !

(٤) «سيرة الراي فوري» (٢٣٢ ـ ٢٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ولكنه (أي الرومي) بالعكس من السابق بدأ يقضي وقته في التغزل والسماع وذلك سنة ٦٤٥هـ» .

ثم ذكر هيامه في البحث عن «شمس الدين» ، ولكنه لم يجده ، فتغيرت حاله . وقال :

«وقد سبق أنه اختار «السماع» من قبل ، ولكنه الآن ما كان له أن يقضي لحظة من غير «السماع» وتغزل الشيخ في هذا المدة في فراق «شمس الدين» تغزلاً يوجع القلب . . .»(١) .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي كيفية الرومي في مجالس «السماع» فقال :

«إذا غلب النوم على مريديه في مجالس السماع ، اتكأ إلى الجدار مطأطئاً رأسه على ركبتيه ، مراعياً لهم ليناموا من غير كلفة . . .»(٢) .

٦ ـ قال أيضاً :

«يتضح من أحواله أنه كان يتمتع بطبع متدفّق ، أشرب العشق في لحمه ودمه . . . وكانت هذه النار الحارقة هي التي تجره إلى السماع رويداً رويداً ، وكان يتقوّى به ويتغذّى . . .»(٣) .

* * *

«السماع» (أو الغناء الصوفي) في نظر الأستاذ الندوي :

ذكر الأستاذ الندوي في سلسلة «تأريخ الدعوة والعزيمة» عدة رجال الفكر والدعوة في الإسلام ـ عنده ـ الذين كانوا مولعين بالسماع (أي سماع الغناء الصوفي) ومنهم :

---

(١) «تأريخ الدعوة والعزيمة» (١/ ٣٥٠) .

(تنبيه) : تقدمت في ترجمة الجلال الرومي «أهمية العشق والعشاق» عنده ، بشيء من التفصيل ، وتقدّم الرد على الأستاذ الندوي باهتمامه بذكر هذه الأمور . وردّ عليه أيضاً الأستاذ رضا علي بن عبد الله في جريدة «المسلمون» (السنة الثالثة عشرة : العدد : ٦٣٤) .

(٢) المصدر المذكور (١/ ٣٥٨) .

(٣) المصدر المذكور (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **أبو حامد الغزالي** : وقد ردّ الغزالي على سؤال مفترض ، وهو :

«فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد ، فما بالهم على سماع الغناء من القوالين دون القارئين . قال الغزالي :

« . . . فاعلم أن السماع أشد تهيجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه . . .»[١] .

وقد ذكر الغزالي ما يؤكد أرجحية تأثير السماع على تأثير تلاوة القرآن في القلوب .

فقال :

«فإذن . . . القلوب وإن كانت محترقة ، في حب الله تعالى ، فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن»[٢] .

ونقل ابن الجوزي عن الغزالي أنه قال :

«إن التشبيب بوصف الخدود ، والأصداغ ، وحسن القد والقامة ، وسائر أوصاف النساء ، الصحيح أنه لا يحرم»[٣] .

* **الجلال الرومي** : اعتبره الأستاذ الندوي مفكراً مبتكراً ، ومؤسس علم كلام جديد ، وذكره بلقب «صاحب السماع الكبير» وذكر له أبياتاً تشيد بالسماع وتبين حكمته .[٤]

ذكر الأستاذ الندوي أيضاً أنه لما غاب عنه شمس الدين التبريزي ، ووصلت إليه رسالة منه من دمشق ، فتوجّه إلى السماع في عشقه ، والشوق إليه .

ولما غاب عنه شمس مرة ثانية ، ما كان له أن يقضي لحظة من غير السماع ، وقد تغزل الشيخ في هذه المدة في فراق شمس الدين تغزلاً يوجع القلب[٥] .

---

(١) «أبو حامد الغزالي ، والتصوف» (٢٢١ ـ ٢٢٤) .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٠١) ، وعنه في المصدر المذكوز (ص٢٢٧) .

(٣) تلبيس إبليس (ص٢٥٧ ، ٢٧٨) .

(٤) «تأريخ الدعوة والعزيمة» (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) ، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٧١ ـ الرومي) .

(٥) المصدر المذكو (٣/ ٣٤٧ ـ ٣٥٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **قطب الدين بختيار الكعكي** : وهو تلميذ معين الدين الجشتي (مؤسس الطريقة الجشتية) :

«كان . . . عزبا يستمع الغناء ، ويتواجد ، ويستغرق في بحار المعارف ، حتى أنه توفي في تلك الحالة»[(١)] .

* **شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري** : لبس الخرقة من نجيب الدين الفردوسي ، وأدرك في دلهي الخواجه نظام الدين وذات يوم حضر المنيري في مجلس نظام الدين الدرون حصاري ، إذا هو ينشد بيتين في الفارسية ، فتأثر الشيخ شرف الدين ، وضرب رأسه على الأسطوانة ، وكادت روحه تزهق[(٢)] .

* **الخواجه نظام الدين** : وصفه الأستاذ الندوي ، بـ «سلطان المشايخ ، والمحبوب الإلهي» . وهو تلميذ الخواجه فريد الدين الأجودهني الذي أخذ الطريقة عن بختيار الكعكي .

«كان الخواجه نظام الدين يستمع الغنا بالدف[(٣)] ، وكان تواجده أن يقوم في سجادته ، ويبكي بكاء شديداً ، تبلّ دموعه المناديل»[(٤)] .

ذكر الأستاذ الندوي الخواجه نظام الدين وشرف الدين المنيري في فهرس كبار المصلحين ، وأفذاذ الدعاة إلى الله[(٥)] .

وقال الأستاذ الندوي في هؤلاء الجشتيين الذين تقدم ذكرهم :

«وهكذا كل ما ذُكِرَ الله ، عُمِلَ للإسلام في الهند ، جدير بأن يعدّ من حسنات

---

(١) نزهة الخواطر (١/ ١٥٢ـ ١٥٣) .
(٢) المصدر المذكور (٢/ ١٧١ ـ ١٧٢) .
(٣) قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : وأما الضرب بالدف ، فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف ، وما كانت هكذا ، فكيف لو رأوا هذه؟ !
وكان الحسن البصري يقول : ليس الدف من سنة المرسلين في شيء (تلبيس أبليس : ص ٢٧٠) .
(٤) نزهة الخواطر (٢/ ١٢٤) ، وقال أيضاً : «سمع الخواجه نظام الدين بعض الأبيات من القاضي منهاج الدين ، فغشى عليه ، وأفاق بعد ساعة» .
(٥) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن (ص١٤٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الجشتيين ومآثرهم ، وعلى رأسهم : مؤسس هذه السلسلة المخلص صاحب الهمة العالية الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري ، ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة . . .»[١] .

تحقيق الأستاذ الندوي في «السماع» :

ذكر الأستاذ الندوي «السماع» ، الذي أباحه الخواجه نظام الدين مع الدف ، ومجلس المناظرة التي عقدت للمناقشة حوله[٢] ، بشيء من التفصيل[٣] .

ثم قال تحت عنوان «السماع» :

«كان السماع إحدى الوسائل لتسكين حرارة المحبة وحرقتها ـ أعني سماع أشعار العشق[٤] الإلهي ، وأبيات المعرفة[٥] ـ ، الذي به يجد القلب فرصة لتقليل شراره وإخماد حرارته بقطرات من الدموع . وكذلك يتغذى به الجسم المتعب بالمجاهدات ، وينشط به دماغ «النفي» المضروب[٦] . . .» .

* ثم ذكر بعض أبيات الجلال الرومي (صاحب السماع الكبير) التي تشيد بالسماع وتبين حكمته وقال : «وقد بين الخواجه نظام الدين نفسه حكمة «السماع» بقوله :

---

(١) تاريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٩) .

(٢) لقد شدد النكير على الخواجه نظام الدين في قضية السماع عديد من العلماء ، في عصره ، ومنهم : الشيخ عمر بن محمد السنامي ، والقاضي جلال الدين الولوالجي (نزهة الخواطر : ٢/ ٢ ، ٩٤) .

(٣) تأريخ الدعوة (٣/ ٨٩ ـ ٩٣) .

(٤) قال ابن الجوزي : «إن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح ، وأن صفات الله عز وجل منقولة ، فهو يحب ، ولا يقال يعشق ، كما يقال : يعلم ، ولا يقال : يعرف» (تلبيس إبليس : ص١٩٥) .

(٥) وهذا خلاف الواقع ، فإن الأستاذ الندوي نفسه ذكر أن الجلال الرومي كان يسمع ، ويتغزل في عشق «شمس الدين التبريزي» . فأين له أن يخصّص السماع «بسماع العشق الإلهي وأبيات المعرفة» على حدّ تعبيره . والعجيب أن القوم يتغزلون في ليلى ، وبثينه ، وسعاد ، ويحملونه على صفات الباري جل وعلا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٦) يريد أن الدماغ لما يتعب بتكرار (لا إله) ، وضربه على القلب ، ينشط بالسماع ليشتغل بشغله مرة أخرى .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«السماع حق المريدين(١) والمعتقدين وأصحاب الرياضة ، كلّما يضعف الجسم والنفس يحقّ لهما ذلك «إن لنفسك عليك حقاً»(٢) . لما تتمتع النفس بالسماع لمدة ، يشغلونها بشغلها مرة ثانية»(٣) .

ثم بين الأستاذ الندوي حكمة أخرى للسماع وقال :

«هناك حكمة أخرى للسماع عند هؤلاء الأفاضل وهي ينشيء كيفية الحضور ، ولذة التوجع ، والذوق والوجد ، وهذه اللحظات تجعل بقية الأوقات أيضاً بفضلها طاهرة ونورانية . . .»(٤) .

وقال الأستاذ الندوي تعليقاً على «السماع» :

«كُتِبَتْ في «مسألة السماع» (من غير المزامير) كتابات موافقة لها ومخالفة ،

---

(١) قال أبو الحسن النوري الصوفي لبعض أصحابه : «إذا رأيت المريد يسمع القصائد ، ويميل إلى الرفاهية ، فلا ترج خيره» .

علق عليه الإمام ابن الجوزي قائلاً : «هذا قول مشايخ القوم ، وإنما ترخّص المتأخرون حبّ اللهو فتعدّى شرهم من وجهين :

(أحدهما) : سوء ظن العوام بقدمائهم ، لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا .

(والثاني) : أنهم جرّأوا العوام على اللعب ، فليس للعامي حجة في لعبة إلا أن يقول : فلان يفعل كذا ، وفلان يفعل كذا» (تلبيس أبليس : ص٢٧٩) .

(٢) جزء من حديث متفق عليه .

انظروا ـ عصمني الله وإياكم من الزلل ـ إلى هذا العلم العميق ، والفقه الدقيق ، والاستنباط الغريب والاستدلال العجيب ، بهذا الجزء من الحديث على السماع الصوفي . وما مثله إلا مثل الجائع الذي سئل عن عدد اثنين إذا ضرب في مثله كم يكون؟

فقال : أربعة أرغفة .

(٣) تاريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) نقلاً عن «سير الأولياء» (ص١٩٨) .

(٤) المصدر المذكور (٣/ ١١٧) .

(تنبيه) : قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي في مثل هذا القول وقائله : «لا كرامة لهذا القائل ، إنما تحدي القلوب بوعد الله في القرآن ، ووعيده ، وسنة رسوله ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال : ٢] وما قال : إذا أنشدت عليهم القصائد طربت» (تلبيس إبليس : ص٢٨٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الوسط فيها ـ في نظري ـ أنه ليس بحرام [1] مطلقاً ، ولا هو عبادة ولا طاعة ، ولا أمر مقصود ، بل هو تدبير وعلاج إذا كان بالاعتدال وبالشروط الخاصة . وهو مباح[2] لأهل الضرورة والأهلية على قدر الحاجة ، ومفيد لهم في بعض الأحيان . ونرى قول الشيخ الجشتي المعروف بالقاضي حميد الدين الناكوري[3] جامعاً ومعتدلاً بهذا الصدد حيث قال :

---

(١) ذكر ابن الجوزي مذاهب الأئمة في الغناء ، في غير قصائد الزهد ، والنصح ، والحث على الجهاد ، وأنواع الخير ، فقال :

* أما مذهب الإمام أحمد فقال : الغناء ينبت الناق في القلب لا يعجبني .
* وقال الإمام مالك : إنما فعله الفساق .
* وكان أبو حنيفة يجعل سماع الغناء من الذنوب .
* وقال الشافعي : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل . (تلبيس أبليس : ٢٥٨ ـ ٢٦١) .

(٢) قال ابن الجوزي : «قد اعتقد قوم من الصوفية أن هذه الغناء الذي ذكرنا عن قوم تحريمه ، وعن آخر كراهته مستحب في حق قوم . . . قال أبو علي الدقاق : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، ومباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قلت (أي ابن الجوزي) : وهذا غلط من خمسة أوجه :

(أحدها) : ذكر الغزالي أنه يباح السماع لكل أحد ، وهو أعرف من هذا القائل .

(والثاني) : أن طباع النفوس لا تتغير ومن ادّعى ذلك ادعى المحال .

(والثالث) : أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته ، وليس فيهم من نظر في السماع ، بعلمهم أن الطباع تتساوى .

(والرابع) : الإجماع انعقد على أنه ليس مستحباً ، وإنما غايته الإباحة ، فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع .

(والخامس) : وأنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه ، لأنه إنما حرّم لأنه يؤثر في الطباع ، ويدعوها إلى الهوى ، فإذا أمن ذلك فينبغي أن يباح ، كما ذكر عن أبي الطيب الطبري (تلبيس أبليس : ص ٢٨١) .

(٣) قال السيد عبد الحي الحسني (والد الندوي) في الناكوري : «كان ممن يستمع الغناء ، أفرط في ذلك ، فاحتسب عليه العلماء ، وأنكروا عليه ذلك ، وشددوا عليه النكير ، وأفتوا بضلالته ، وحرّضوا سلطان العهد على إجلائه من الهند ، فضاق عليه الأمر ، ثم لما ولى القاضي منهاج الدين الجوزجاني القضاء ، وكان ممن يستمع الغناء ركد غبار الفتنة ، كما في «سير الأولياء» (نزهة الخواطر : ١/ ١٦٧) .

وفي مجلس القاضي منهاج الدين غشى على الخواجه نظام الدين بعد السماع ، كما تقدم (نزهة الخواطر : ١/ ١٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«أنا حميد الدين أحبّ السماع وأبيحه على رواية العلماء ، لأني مريض وجع القلب والسماع دواء له ، وقد أجاز الإمام أبو حنيفة التداوي بالخمر إذا لم يكن هناك ما يتداوى به غيرها ، وأنه لا يمكن الصحة بغيرها باتفاق الأطباء . وعلى هذا التقدير الدواء للمرض العضال «السماع» ، ولهذا هو مباح لنا وحرام عليكم»(١) .

* * *

* هؤلاء بعض «رجالات» الفكر والدعوة في الإسلام ، الذين يتجمّل بهم تأريخ الدعوة والعزيمة لدى الأستاذ الندوي .

وهذا رأيهم في السماع (الغناء الصوفي) ، الذي قد توصف فيه سعدي أو ليلى أو غيرها بخدّيها وصدغيها ، وحسن قدّها وقامتها ، وسائر أوصاف جسدها ، ثمّ يحمل ذلك على صفات الباري جل وعلا ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ كما قال قائلهم :

أوري بسعدي والرباب وإنما ... أنت الذي تعني وأنت المؤمّل

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف : ٥] .

* وقد نحا الأستاذ الندوي منحاهم في إباحة السماع ، وتغاضي عن الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في هذه المسألة جملة وتفصيلاً ، واستأنس فيها بالقول العائم السافل للشيخ الجشتي المعروف بحميد الدين الناكوري (على حد تعبيره) ، الذي أفتى علماء عصره بضلالته ، وبإجلائه من الهند لأجل إفراطه في السماع(٢) .

وإن تعجب فعجب من أمر الأستاذ الندوي أنه وصف قول هذا الجشتي ـ مع كل هذا ـ بالجامعية والاعتدال في مسألة السماع .

* وأسمى حميد الدين الناكوري الجشتي «السماع» دواء المرض العضال ، وقال :

«هو مباح لنا ، حرام عليكم»(٣) .

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ١١٥ تعليقاً) نقلاً عن «سير الأقطاب» (نسخة خطية) .
(٢) نزهة الخواطر ١٠/ ١٦٧) . وتقدم آنفاً .
(٣) كما تقدم آنفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عمن قال :

«إن السماع على الناس حرام ، وعليّ حلال ، هل يفسق في ذلك أم لا؟

فأجاب ـ رضي الله عنه ـ :من ادعى أن المحرّمات تحريماً عاماً : الفواحش ، والظلم ، والملاهي ، حرام على الناس حلال له ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

ومن ادّعى في الدفوف والشباب أنهما حرام على بعض الناس دون بعض فهذا مخالف للسنة ، والإجماع ، وأئمة الدين ، وهو ضالّ من الضلّال . ومن تم مصراً على مثل ذلك كان فاسقاً . والله اعلم»[1] .

* * *

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٦٠٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشطحات والدعاوي

قلة العلم بالكتاب والسنة ، والبعد عن مصدر التلقي المعصوم ، والانشغال بالرياضات والمجاهدات ، والاغترار بالكشوف والخوارق ، قد يؤدي الإنسان إلى القول بما لا تحمد عقباه ، من الشطحات والدعاوي .

«ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم ، واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوي»[1] .

يوجد هذا النوع من الصوفيات أيضاً ، في نقولات الأستاذ الندوي ، التي ذكرها لإبراز فضائل الصوفية وكشوفهم وكراماتهم .

١ ـ منحة الدنيا والرزق :

ذكر الأستاذ الندوي حكاية بيعة الشيخ محمد علي (مؤسس ندوة العلماء) على يد الشيخ فضل رحمن في التصوف . وقال :

«ثم أعطاه الكلوين أو الكلوين والنصف من الحمص ، وقال له : خذ هذه دنيا نعطيك إياها للعيش .

وأعطاه «التنبول» بعد مضغه أيما مضغ فقال : خذ هذا تنبول المعرفة .

قال الشيخ محمد علي : كان هذان الأمران خلاف العادة ، ولذا يصدق عليهما ما أنشده مولانا الرومي :

قوله كـــان قـــول الله وإن خرج من حلقوم عبد الله[2]

٢ ـ شفاء المرض : طلب الأستاذ الندوي من الصوفي عبد الرب بن عباد علي أن يكتب قصة وصول أبيه إلى الشيخ فضل رحمن ، فكتب إليه أشياء ، ومنها :

ـ قال الشيخ (لعباد علي) : لماذا جئت؟

---

(١) تلبيس إبليس (ص٣٨٤) .

(٢) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (١٠١ ـ ١٠٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قـال : جـئت لأن أدخـل في حلقـة مـريديك . وأواجـه بعض المشـاكل أيضـاً . فأدخلني في البيعة على طريقة الشاه آفاق من غير قيل وقال . . .

ثم أمرني أن أذهب إلى السكن .

وبعد صلاة العصر أوقفني الشيخ في المسجد ، وقال بلطف : ما هي مشاكلك؟

قلت : شهَّر بعض من يعاديني أن أنا ملى أصيبت بالبرص ، وأنا أشعر بالخجل .

فقال لي : أرني إياها ، فبسطت أنا ملى إليه ، فبدأ يكرّر قوله بكل جذب : «أين البرص ، أين البرص»؟ !

حينئذ أنا أيضاً ألقيت نظري عليها ، فوجدت لونها جميلاً ، وهيئتها حسنة . . .»[1] .

٣ـ هبة الأولاد : ثم قال الشيخ فضل رحمن لمريده عباد علي : هل هناك مشكلة أخرى؟

قال : قلت : على استحياء : قد مضت على زواجي ست سنوات ، ولم أنجب . فقال لخادمه : ايت بإبريقي . . . فجاء به فوراً ، فقلبه الشيخ على الحصير . وكانت فيه حبات من النبق ، وقطع من الحلاوى ، وساعة صغيرة .

فقال لي : خذ منها ما شئت !

فلعلى أخذت أربع حبات من النبق ، وخمس قطع من الحلاوى ، أو بالعكس . . . لأن لا يفهم أني طمّاع وقروى .

ثم قال لي : زد ، وإلا لا تقل لي شيئاً فيما بعد .

قلت : كفى !

قال الشيخ : طيّب ، كُلْها . فأكلها فوراً .

فقال الشيخ : بكل عاطفة وقوة . إن شاء الله ، إن شاء الله يولد لك الذكور عدد حبات النبق التي أكلتها ، ويولد لك الإناث عدد قطع الحلاوى التي أكلتها . أو بالعكس . (فولد له أربع بنين وخمس بنات)[2] .

---

(١) المصدر المذكور (١٢٧ـ ١٣٥) .

(٢) المصدر المذكور (١٢٧ـ ١٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٤ ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . ذات مرة كان الشيخ (غلام رسول) واقفاً وفي يده قطعة من الطين للاستنجاء من البول . فخرجت بعض النساء الهندوسيات إلى الغابة لقضاء حاجتهن ، فألقى الطين على الأرض بكل قوة ، وقال : «الله» . فأولئك النسوة أيضاً بدأن يكررن «لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله» ، ورجعن إلى بيوتهن مع تكريرهن إياها وأسلمن»(١) .

٥ ـ قال الأستاذ الندوي في مرشده الراي فوري :

« . . . كان يستغنى عن الناس وييئس منهم ، ولكن تتم الحاجات الصغيرة من حيث أن العقل يتحيّر . . . وكان يُرى كثيراً أن الطبيب أشار على الشيخ باستعمال فاكهة في لحظة ، فقدم إليه خادمه كمية كبيرة منها في أخرى ، بدأت تصل تلك الفاكهة»(٢) .

٦ ـ قال الأستاذ الندوي :

«كان الشيخ عبد القادر يعتقد بالشيخ محمد إلياس وإخلاصه ، وقوة نسبته ، وقبوله اعتقاداً كبيراً . وقال ذات مره : يسير (أى الشيخ محمد إلياس) كل يوم في هذا الوقت بسرعة آلاف الأميال» (٣) .

علّق عليه الأستاذ الندوي بقوله : «يشير إلى الترقي الباطني ، والسفر الروحاني»(٤) .

٧ ـ نقل الأستاذ الندوي عن والده : السيد عبد الحي أنه قال :

«إن المدارج التي حصلت عليها بالتفات السيد ضياء النبي ، ووالدي (أي السيد فخر الدين) في ساعات ، ما حصلت عليها من طرق أخرى في سنوات . . .»(٥) .

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٩٤ ـ الملفوظات) .

(٢) المصدر المذكور (ص٢٥٢) .

(٣) المصدر المذكور (ص٣٠٨ برواية الشيخ منظور أحمد النعماني) .

(٤) المصدر المذكور (ص٣٠٨ ـ تعليقاً) .

(٥) «حياة عبد الحي» للندوي (ص٤٤) . والعجيب أن السيد عبد الحي ألف «نزهة الخواطر» وهو كتاب كبير في تراجم أعيان الهند ، ولكنه يعترف بقصور باعه وفتور همته ونضوب طبعه ، ويقول : «وأنا أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم من وضع قدمي في طريق لم أسلكه ، وتجاربي في رأس مال =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٨ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . لما جاء (الشيخَ عبد القادر) نبأ وُفاة الشيخ عبد الشكور الفاروقي (وكان يردّ على الرافضة) قال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» ـ وقال بعد سكوت طويل :

«إن لم يستقبله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ فمن يستقبلونه؟ »[١] .

٩ـ قا الأستاذ الندوي :

«دُعي الخواجه نظام الدين بعد صلاة الجمعة في إحدى زياراته للشيخ الكبير (فريد الدين) ، فألقى لعابه في فيه ، وأوصاه بحفظ القرآن . وقال : قد أعطاك الله الدين والدنيا . هذا هو كل شيء ههنا . وسيّره إلى (دهلي) وقال : اذهب ، وخذ بلاد الهند «نظرة منك تكفيني»[٢] .

١٠ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ شرف الدين المنيري قال :

«إن الرياضات التي مارستها ، لو مارسها جبل لصار ماء ، ولكن شرف الدين لم يصر شيئاً»[٣] .

* * *

لا أدري أيهما أعجب؟ !

أصدرو هذه الدعاوي والشطحات التي تتجاوز حدود الشرع ـ أحياناً ـ من صوفية يعدّهم الأستاذ الندوي من رجال تاريخ الدعوة والعزيمة في شبه القارة الهندية ،

=لم أملكه . . .» (١/ ٣) .

وأما في مجال التصوف فيدّعي هذا الذي رأيت . هذا هو التصوف ، وأثره في حياة الناس . !!

هذا ، وقد تقدمت ترجمة السيد ضياء النبي ، والسيد فخر الدين في الباب الأول .

(١) سيرة الشيخ الراي فوري (ص٣١٧) . يظهر من قوله هذا ، بعد سكوت طويل ، كأنه يراهم يستقبلونه !

(٢) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ٦٦ ـ ٧٦٧ ـ سير الأولياء : ص١٢٣) . تقدمت ترجمتهما .

(٣) المصدر المذكور (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ سيرة الشرف ـ ص٧٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ويذكرهم في مصاف أعلام الأمة الإسلامية؟

أم تناقل الأستاذ الندوي نفسه إياها ، ثم تقديمها إلى قرائه بأسلوب الاستحسان والرضا ، والإعجاب والقبول .

وقال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

«اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف ، رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوي بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتني شعرة في صدر مؤمن !

وقال عمر عند موته : الويل لعمر إن لم يغفر له !

وقال ابن مسعود : ليتني إذا مت لا أبعث !

وقالت عائشة رضي الله عنها : ليتني كنت نسياً منسياً !

وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عند الموت : ترجو أن يغفر لمثلي !

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله ، وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨] وقال ﷺ : «أنا أعرفكم بالله وأشدّكم له خشية»(١) .

ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم ، واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوي»(٢) .

* * *

(١) متفق عليه ، بلفظ : «إني لأعلمهم بالله ، وأشدّهم له خشية» .

(٢) تلبيس أبليس (ص٣٨٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشيخ والمريد

«رتبة المشيخة من أعلى المراتب في طريق الصوفية، ونيابة النبوة بالدعاء إلى الله. لأن الشيخ يحبّب الله إلى عباده حقيقة، ويحبّب عباد الله إلى الله»[(١)].

وقال الجيلاني: «... ينبغي له (أي للمريد) أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المغفرة ... والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال، إذ ذاك سبب لدخوله في زمرة الأحباب ذوي العقول والألباب! الذين عقلوا من رب الأرباب، واطلعوا على العبر والآيات ...»[(٢)].

وقال السرهندي (مجدد الألف الثاني): «هذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل المكمل، ثم بعد الوصول إليه، لا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه، وكونه كالميت بين يدى الغسّال لديه، والفناء الأول هو الفناء في الشيخ، ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في الله ...»[(٣)].

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ما يلقي الضوء على علاقة المريدين بمشايخهم على الطريقة الصوفية:

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي علاقة الشيخ عبد القادر بشيخه عبد الرحيم الراي فوري، وحبه إياه، وخدمته له، وفناءه فيه، فقال:

«كانت علاقة الشيخ بشيخه: عبد الرحيم الراي فوري علاقة عشقية والهة، لها في النسبة وترقّي الباطن نفوذ أكثر من ألف ذكر ورياضة.

قال: لم أحضر في خدمة الشيخ من غير وضوء أبداً، وكان يعاملني معاملة الرفق والمحبّة.

ربما قلت له: وأنا رافع يدي المقبوضتين (أي مثل تحية الهندوس):

---

(١) عوارف المعارف (ص٨٠ بتقديم وتأخير).

(٢) الغنية (٢/ ١٦٤)، وعنها في «الكشف» (ص٣٢٥).

(٣) المنتخبات من المكتوبات (٢١)، وعنها في «الكشف» (ص٣٢٧).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«جئت إليكم لإصلاح نفسي ، وأنا أشك أحياناً من رفقكم بي في أن أعدّ غير مستأهل ، ولأجله يرفق بي . فكان الشيخ يردّ عليّ ويقول : لا ، أنا لست بغافل عنك ، وكان يزجر أحياناً بلا خطأ ، ثم يتتبع هل أنا تأثرت بذلك ، ولكن ـ الحمد لله ـ لم أكن أتأثر بذلك شيئاً»[١] .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبد القادر كان يقول :

«حصلت لي مناسبة تامة مع الشيخ عبد الرحيم ، إلى أن ما يَرد على قلبه من الله تعالى ، يَرِدُ على قلبي أيضاً ، وما ينزل على قلبي ينزل على قلبه أيضاً»[٢] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي حالة الشيخ عبد القادر عند وفاة شيخه عبد الرحيم فقال :

«وكان من عادته في هذه الفترة من الزمن أن يرجّح ميل الشيخ الكامل (الذي قلبه مورد الألطاف الإلهية والأنوار الربانية) على منفعة أخرى ، ويلغي رأيه أمام رأيه»[٣] .

٥ ـ قال الأستاذ الندوي :

«عبد الرحمن خان (من تهانه بهون) كان استعداده في غاية العلو ، وكانت نسبته عشقية جذبية . . . بلطيفة غيبية ، وبإشارة من الهادي المطلق اتجه إلى السلوك والبيعة ، وبايع الشاه عبد الرحيم ، وحصلت له العلامات والأحوال الغريبة»[٤] .

٦ ـ قال الأستاذ الندوي :

«كان الشيخ (عبد القادر) يحبّ شيخه (عبد الرحيم) ، وكل ما يتعلق به حباً

---

(١) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٦٨) برواية عبد الرحيم .

(٢) المصدر المذكور (ص ٧١) برواية عبد الجليل .

(٣) المصدر المذكور (ص٧٤) وزاد : «وفي هذه الفترة شاهد أحوال شيخه العجيبة من الكيفيات الباطنية الغريبة ، ومرتبة اليقين والإحسان وشوق اللقاء وحب الرؤية» .

(٤) المصدر المذكور (ص٩٣ ـ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

جما ، إلى أن كان يقول : «حبيب عندي حتى كلب «راي فور» . وكان من نتيجة ذلك أن نشأت النسبة الكاملة ، والاتحاد التام بينهما . . .»[1] .

٧ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الخواجه نظام الدين سمع من أبي بكر الخراط ذكر الشيخ فريد الدين فقال :

«انجذب قلبي إليه بمجرد سماع ذكره من غير اختيار مني ، ورسخ في قلبي حبه واعتقاده رسوخاً جعلني أتلذذ بذكر اسمه ، وبدأت أذكر اسمه بعد كل صلاة بلذة . . .»[2] .

* * *

هذه هي بعض المبالغات في المشايخ عند الصوفية ، التي تتجاوز ـ أحياناً ـ حدود الشرع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة» إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة ، وإلا كان ضالاً عن الطريق ، وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه .

والسالك من «الفقه والعلم والنظر والكلام» ، إن لم يتابع الشريعة ، ويعمل بعلمه ، وإلا كان فاجراً ضالاً عن الطريق .

فهذا هو الأصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم»[3] .

---

(١) المصدر المذكور (٢٤٣ ـ ٢٤٤ برواية عبد الجليل) .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة للندوي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥ ـ سير الأولياء : ص١٠٠ ، وفوائد الفؤاد : ص١٤٩) .

(تنبيه) : كان يصعب عليّ أن أقرأ قول صاحب «الكشف» : «الشيخ عند المتصوفة هو إله ، يعطونه كل صفات الألوهية ، وهو الأساس في كل طريقة . وما تفرقت الطرق إلا اتباعاً لشيخ ، وتسمى كلها باسم مشايخها الجدد» (الكشف : ص٣١٧) .

كتنت أرى أن الجزء الأول من هذا الكلام مبالغ فيه ، ولكن لما قرأت ما ذكره الأستا ذالندوي من قول الخواجه نظام الدين في شيخه فريد الدين : «وبدأت أذكر اسمه بعد كل صلاة بلذة» ـ هان قوله جداً . ونسأل الله السلامة والثبات والإيمان !

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٢٥ ـ ٢٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصمت

الصمت : طقس إشراقي أساسي لابد منه ، في السير إلى الجذبة ، مارسه الإشراقيون من بداية أمرهم .

ولكن إشراقي المسلمين الأوائل عرفوا الأثر السحري لترديد كلمة ما ، مئات الألوف من المرات ، أو ملايينها ، بشكل مستمرّ ودون انقطاع ، وهذا ما سمّوه «الذكر» ، فاستعاضوا به عن «الصمت» ، وبل عن الرياضة كلها في كثير من الأحيان .

على أن عارفهم يعود إلى ممارسة هذا الطقس «الصمت» بعد وصوله إلى ما يسمّونه «مقام جمع الجمع»(١) أي عندما تصبح الجذبة طوع يديه ، أو مسيطرة عليه(٢) .

يوجد ذكر «الصمت» في كتابات الأستاذ الندوي أيضاً :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن أمر الشيخ محمد إلياس (مؤسس جماعة التبليغ) في العبادة ، فقال :

«بعد ما توفى رشيد أحمد(٣) ـ رحمه الله ـ غلب عليه الصمت والمراقبة . . . وكان من عادته في تلك الأيام أنه كان يجلس على رجليه ، خلف قبر الشيخ عبد القدوس الكنكوهي(٤) ـ رحمه الله ـ على حلسٍ صامتاً بالكلية . . .»(٥) .

---

(١) «جمع الجمع» ـ عند الصوفية ـ : «مقام أتم وأعلى من «الجمع» .
فالجمع : شهود الأشياء بالله ، والتبري من الحول والقوة إلا بالله .
وجمع الجمع : الاستهلاك بالكلية ، والفناء عما سوى الله ، وهو مرتبة الأحدية» (التعريفات : ص١٠٥) .

(٢) راجع «الكشف» (ص٣٣٦) .

(٣) الشيخ رشيد الكنكوهي من مريدي الحاج إمداد الله الذي كان يرى هو ومشايخه وتلامذته بعقيدة وحدة الوجود ، وهو مجدد الطريقة الجشتية الصابرية في القرن الرابع عشر . كما تقدم من نقل الأستاذ الندوي مراراً .

(٤) الشيخ عبد القدوس الكنكوهي . تقدمت ترجمته . كان حامل لواء عقيدة وحدة الوجود ، ومجدد الطريقة الجشتية الصابرية في القرن العاشر ، «وكان يستمع الغناء ويفرط فيه ، ويفشي أسرار التوحيد على عامة الناس ويستغرق في بحار الجذبات والسكر ، ومع ذلك كان لا يقصر في اتباع السنة والتزام العزائم» !!! (نزهة الخواطر : ٤/ ١٧٤) .

(٥) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (ص٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي بعض مواقف الشيخ شهباز (ـ ١٠٠٨هـ) من مخالفات السلطان أكبر شاه الشرعية فقال :

« . . . وكان من عادته أن لا يتكلم بعد العصر إلى المغرب . . . »(١) .

* * *

ولنا في رسول الله أسوة حسنة . قال ﷺ : «لا يتمّ بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل»(٢) .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعض العبادات غير المشروعة ، فقال :

«فالسالك طريق الزهادة والعبادة إذا كان متبعاً للشريعة الظاهرة ، وقصد الرياء والسمعة ، وتعظيم الناس له كان عمله باطلاً لا يقبله الله . . .

. . . وإن كان خالصاً في نيته ، لكنه يتعبد بغير العبادات المشروعة مثل الذي يصمت دائماً ، أو يقوم في الشمس ، أو على السطح دائماً ، أو يتعرّى من الثياب دائماً ، ويلازم لبس الصوف ، أو لبس الليف ، ونحوه أو يغطي وجهه ، أو يمتنع من أكل الخبز ، أو اللحم ، أو شرب الماء ، ونحو ذلك ـ كانت هذه العبادات باطلة ، ومردودة ، كما ثبت في الصحيح عن عائشة عن النبي ﷺ قال : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٣) .

وفي رواية : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٤) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس «أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال : ما هذا؟ قالوا : هذا أبو اسرائيل ، نذر الصمت ، والقيام والبروز للشمس مع الصوم . فأمره النبي ـ ﷺ ـ بالصوم وحده»(٥) لأنه عبادة يحبّها الله تعالى ، (وما عداه ليس بعبادة) وإن ظنها الظان

---

(١) الإمام السرهندي (ص٢٦٧) .

(٢) أبو داود (رقم ٢٨٧٣ ـ صحيح أبي داود للألباني رقم ٢٤٩٧) عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : حفظت عن رسول الله ﷺ .

(٣) متفق عليه ، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ .

(٤) متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ .

(٥) البخاري (رقم ٦٧٠٤) بنحوه ، وأحمد (٤/ ١٦٨) وأبو داود (رقم ٣٣٠٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تقرّبه إلى الله تعالى . وثبت عنه ﷺ أنه كان يقول في خطبته : «إن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة»[١] .

* * *

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٦١٣ ـ ٦١٤) باختصار .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

طلب العلم ودراسة الكتب

اغتر الصوفية بالكشوف والخوارق ، واستغنوا بها عن علم الكتاب والسنة . فوقعوا في أمور منكرة يستحيي الإنسان من ذكرها .[1]

قال أبو يزيد البسطامي : «مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحّي الذي لا يموت»[2] .

وقال الشهاب السهروردي البغدادي : «لما تزكت النفوس ، انجلت مرايا قلوبهم ، بما صقلها من التقوى ، فانجلى فيها صور الأشياء على هيئتها وماهيتها ، فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها ، وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها . فلما زهدوا في الدنيا ، انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصباباً ، وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة»[3] .

كان هناك بعض رجال تأريخ الدعوة والعزيمة أيضاً ، يستوحشون من العلم ، ومطالعة الكتب ، ولم يكونوا ليأذنوا مريديهم بالبحث والمذاكرة .

وإليكم بعض النماذج لبُعدهم عن العلم والتعليم :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الخواجه نظام الدين لم يبق في قلبه بعد «العشق الإلهي» مكان لخيال غير المحبوب . . . وأنه قال مرة :

«إن اتفق لي أن أطالع تلك الكتب التي درستها يتوحش الطبع منها ، وأقول في قلبي : أين وقعت؟

ثم بين على ذلك قصة الشيخ أبي سعيد أنه لما وصل إلى كمال حاله وضع تلك الكتب التي درسها في زاوية ، ثم رجع إليها يوماً يقرأها ، فهتف هاتف : يا أبا سعيد ، رُدَّ إلىّ عهدي ، أنت الآن انشغلت بشيء آخر !

لما وصل الخواجه نظام الدين إلى هذا المكان بكى . . .»[4] .

---

(١) تلبيس إبليس (٣٩٣ ـ ٤٠٧) .

(٢) المصدر المذكور (ص٣٦٣) .

(٣) عوارف المعارف (١٩ ـ ٢٠) .

(٤) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١١٣ ـ ١١٤ ترجمة نظام الدين) .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٢ ـ قال الأستاذ الندوي :

«أراد عدة من العلماء أن يجيزهم الشيخ نظام الدين للبحث والمذاكرة أيضاً ، مع الاشتغال بذكر الحق تعالى ، فقال لمن توسّط لهم بذلك : ماذا أعمل ، أنا في حاجة إلى أن أشغلهم في شغل آخر»[١] .

٣ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «سرُّ قبول الدعاء» :

«جاء عامل إلى الشاه محمد يعقوب المجدّدي ، فقال : أبحث عن الشغل ، ولا أجده . فقال له : لا تبحث عن الشغل ، بل ابحث عن الله . . . اجتهد في إرضائه يأتي إليك الشغل بنفسه .

ثم قال : وإن كان هذا الرجل عامياً ولكنه فهم المراد سريعاً ، ولو كان قارئاً ، أو شيخاً لما فهمه بهذه السرعة . لأن العلم حجاب كبير . . .»[٢] .

* * *

الإصرار على إبعاد الناس عن العلم ، والرضا بالجهل ، والقول أن العلم حجاب : أمر خطير على المجتمع الإسلامي . وقد حلّل الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ ظاهرة ترك التشاغل بالعلم ، فقال :

«اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدُّهم عن العلم لأن العلم نور ، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب :

=(تنبيه) : الخواجه نظام الدين من رجال الدعوة والعزيمة عند الأستاذ الندوي . وهذه هي أهمية العلم عنده .

(١) المصدر المذكور (٣/ ١٤٨) .

(تنبيه) : لا أظن أنهم كانوا يستأذنون منه بطلب العلم بالمنطق والفلسفة . بل يظهر أنهم كانوا يرغبون في علم الكتاب والسنة . وهل الاشتغال بهذا العلم ينافي ذكر الله عز وجل . ولكن التصوف . . . !

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص٨٣) . ثم ذكر الأستاذ الندوي «أنه وجد الشغل . . .» . =

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(أحدها) : أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً ، وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسّن عندهم الراحة فلبسوا المراقع ، وجلسوا على بساط البطالة .

(الثاني) : أنه قنع قوم منهم باليسير منه ، ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث ، وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة دنيا وأن للنفس في ذلك لذة .

(والثالث) : إنه أوهم قوماً منهم أن المقصود العمل ، وما فهموا أن الشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ، ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فإنه على الجادة ، والعابد بغير علم على غير الطريق .

(الرابع) : إنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن ، حتى أن أحدهما يتخايل له وسوسة فيقول : حدّثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول :

إذا طالبوني بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سمّوا علم الشريعة علم الظاهر ، وسمّوا هواجس النفوس العلم الباطن»[1] .

* * *

(١) تلبيس إبليس (٣٦٠ ـ ٣٦١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الظاهر والباطن

ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «مغالطة الظاهر والباطن»[1] خبايا الباطنية، والقاديانية، والبابية، وغيرها من الفرق الضالة، فأحسن وأجاد.

ولكن إن تعجب، فعجب من تفريقه بين الظاهر والباطن في أمور الدين، وعلوم الشريعة، من تكراره كلمتي «الظاهر والباطن» على طريقة الصوفية في سياق القبول والرضا أيضاً، في كتاباته.

وإليكم بعض النقول من كتاباته في هذا الموضوع:

١ ـ انتقد الأستاذ الندوي من لا يصدق بشطحات المتصوفة ودعاويهم، وسماهم بأهل الظاهر والقاصرين، فقال:

«لقد ذكَّرَنا الشيخ (عبد القادر) في هذا العصر المادي الهابط زهد أهل اليقين من المشايخ المتقدمين في العهد الماضي، وبرؤيته وصحبته تُصَدَّق تلك الوقائع التي يشكّ في صحتها القاصرون وأهل الظاهر، ويرونها مبالغاً فيها»[2].

٢ ـ قال الأستاذ الندوي:

«بعد ما رجع (أي الجلال الرومي) من دمشق (سنة ٦٣٤ أو ٦٣٥هـ) أقام في «القونية». وبعد وفاة السيد برهان الدين (سنة ٦٣٧هـ) قضى خمس سنوات في لباس علماء الظاهر... ولما مات الشيخ محيي الدين ابن عربي (سنة ٦٣٨هـ)، انتقل أفراد محفله العلمي، الذين كانوا حوله، إلى «القونية»... وصارت «القونية» في هذا الوقت مدينة العلماء، وكانت مكانة الشيخ (الرومي) هناك أرفع من غيره من العلماء. وكانت أشغاله حينئذ ما كان لعلماء الظاهر»[3].

٣ ـ قال الأستاذ الندوي في ترجمة «السيد محمد ظاهر الحسني»:

---

(١) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (١/ ١٢٤).

(٢) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص ٢٥١).

(٣) «تاريخ الدعوة والعزيمة» (١/ ٣٤٢).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«السيد محمد ظاهر الحسني (أبو جدة السيد عبد الحي) ، يلتقي بالسيد علم الله بالجد الخامس ، وكان كاملاً في العلوم الظاهرة والباطنة على السواء . . .»(١) .

٤ ـ وقال في ترجمة جدّه السيد فخر الدين :

« . . . مع هذه الكمالات العلمية التي فصّلها السيّد عبد الحي أيما تفصيل ، كان يتمتع بالكمال الباطني أيضاً . . . وقد ربّاه السيد أحمد (النصير آبادي) تربية باطنية بعناية خاصة . . .»(٢) .

٥ ـ وقال في ترجمة أبيه السيد عبد الحي :

«ولد في عصر كان فيه ذوق التصوف والسلوك شائعاً ، ووجد المشايخ أولو الرتب العالية في كل مكان ، بجهود مجدّد الألف الثاني وخلفائه ، وبجهود المشايخ أهل العشق والورد من السلسلة الجشتية ـ الذين خلقوا حرارة باطنية وحرقة داخلية في هذا المجتمع ـ الذي كان يميل إلى الزوال ميلاً سريعاً ـ ولا تكاد تخلو قرية من هؤلاء»(٣) .

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن أباه السيد عبد الحي استفاض من مشايخ الهند ، وكان ذا بصيرة في علم الباطن .(٤)

* * *

هكذا يدندن الأستاذ الندوي حول التفريق بين «الظاهر» و«الباطن» وأهلهما وعلمائهما على الطريقة الصوفية .

والمراد ـ عندهم ـ بالظاهر : «الشريعة» ، وبالباطن : «الحقيقة» .

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

«وقد فرّق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله ، لأن

(١) «حياة عبد الحي» للندوي (ص٢٨) .
(٢) المصدر المذكور (ص٢٢) .
(٣) المصدر المذكور (ص٣٦) .
(٤) المصدر المذكور (ص٤٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشريعة كلها حقائق .

فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة ، فكلاهما «شريعة» ، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع .

. . . وعن سهل بن عبد الله أنه قال : «احفظوا السواد على البياض ، فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق»

. . . وعن أبي بكر الدقّاق أنه قال : كنت ماراً في تيه بني إسرائيل ، فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بي هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر»[1] .

وقال ابن الجوزي أيضاً :

« . . . قد سموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن»[2] .

* * *

---

(١) تلبيس إبليس (ص٣٦٥) .

(٢) المصدر لمذكور (ص٣٦١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العشق

قال السراج : بلغني أن أبا الحسين النوري ، شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : «أنا أعشق الله عز وجل ، وهو يعشقني» .

فقال النوري : «سمعت الله يقول ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] وليس العشق أكثر من المحبة»(١) .

وقال أبو حامد الغزالي : «من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه ، فالسماع في حقه مؤكّد لعشقه»(٢) .

والعجيب من أمر الصوفية أنهم استبدلوا «العشق الإلهي» بالحب الإلهي . ولم ترد كلمة العشق في الكتاب ، ولا في صحيح السنة .

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «المحبة والذوق» :

«النقطة المركزية لسيرة الشيخ نظام الدين وحياته التي هي محور جميع أخلاقه وأحواله وأعماله : هي النعمة غير المترقبة للعشق الإلهي ، التي بانت عليه منذ بداية أمره . وشرارة المحبة هذه التي أودعت في طبعه صارت شعلة محرقة للنفس بصحبة الشيخ الكبير (فريد الدين) ، ونسبة الطريقة الجشتية . . .

وكان من نتيجة هذه المحبة أنه لم يبق في قلبه مكان لخيال غير المحبوب ، وكان الالتفات إلى جهة أخرى ثقلاً عليه . . .»(٣) .

٢ ـ وذكر الأستاذ الندوي «كيفية الخواجه نظام الدين عند السماع» فقال :

« . . . كان من حال الشيخ أنه كانت تطرأ عليه رقة شديدة بمجرد سماع أشعار

---

(١) تلبيس إبليس (ص١٩٥) سيأتي الرد عليه في آخر المبحث إن شاء الله .

(٢) المصدر المذكور (ص٢٧٨) وقال : «وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق . ثم أي توكيد لعشقه في قول المغني :

ذهبي اللون تحسب من ... وجنتيه النار تقتدح

(٣) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١١٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المعرفة والعشق من حيث أنه لم يطلع الناس على ذلك ، وخدامه يقدمون إليه «مناديل» ، وهي تبتل بدموعه ، والناس يفهمون برؤيته أنه أخذه البكاء»[١] .

٣ ـ قال الأستاذ تحت عنوان «اضطراب العشق» :

«لما رجع (أي المنيري) من عند الشيخ نجيب الدين ، كأنه أصيب في قلبه بنوع من الضرب ، وتسربت حرارة العشق الإلهي في لحمه ودمه ، حتى قال : وقَرَ في قلبي حزن ووجع عند ما لقيت الشيخ نجيب الدين الفردوسي ، واستمر ازدياده يوماً فيوماً»[٢] .

٤ ـ قال الأستاذ الندوي في شمس الدين التبريزي (شيخ الرومي) :

«كان من صغر سنه يتحلّى بالصلاحية العالية ، وطموح العشق والمحبة ، ونقل في «مناقب العارفين» على لسانه ، أنه قبل سن البلوغ لم يكن يشتهي الغذاء إلى ثلاثين وأربعين يوماً في عشق النبي ﷺ . . .»[٣] .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي مغادرة «شمس الدين التبريزي» القونية ، بمؤامرة من مريدي الجلال الرومي خلاف رغبته ، فشقّ ذلك عليه مشقة كبيرة ، فقال :

«ولم يزل هذا الانقطاع الكلي إلى أن وصلت رسالة من «شمس الدين» من دمشق إلى الشيخ (الرومي) فجأة ، فتغيرت حاله شيئاً ، وتوجّه إلى السماع في عشقه والشوق إليه . وبدأ يفيض عنايته السابقة على الذين لم يشاركوا في المؤامرة ضد «شمس الدين»[٤] .

٦ ـ قال الأستاذ الندوي :

«دعا الشيخ (الرومي) إلى العشق نهاراً وجهاراً ، وبين كرامة المحبة ، ومعجزات العشق . . .»[٥] .

---

(١) المصدر المذكور (٣/ ١٢٠ ـ سير الأولياء : ص٥٢٢) .

(٢) المصدر المذكور (٣/ ١٩٧ ـ مناقب الأصفياء : ص١٣٣) .

(٣) المصدر المذكور (١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ترجمة الرومي) أي حب للنبي ﷺ هذا يا عباد الله؟ !

(٤) المصدر المذكور (١/ ٣٤٧) .

(٥) المصدر المذكور (١/ ٣٦٨) تقدم مفهوم «العشق» ومعجزاته في ترجمة الرومي مفصلاً ، من نقل الأستاذ الندوي نفسه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٧ ـ قال الأستاذ الندوي :

«قال شيخ بداية القرن الرابع عشر الشهير : الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي ذات مرة للشيخ محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء) : هل رأيت أي دكان للعشق؟

فسكت الشيخ محمد علي ، وتكلم الشيخ بنفسه وقال :

«رأينا دكانين : أحدهما للشاه غلام علي .

والثاني : للشاه محمد آفاق . وكانت تباع فيهما بضائع العشق» .

ثمّ قال الأستاذ الندوي :

وإن كانت المادية استتبت في هذه البلاد بجهود الإنجليز في بداية هذا القرن ، وأهل القلوب كانوا يقولون بكل هم وغم :

«إن الذين كانوا يبيعون أدوية القلوب ذهبوا بدكاكينهم»[(١)] .

مع هذا كانت توجد محلات العشق الإلهي في بعض الأمكنة ، التي كانت تباع فيها أمتعة الجذب والشوق والوجع والحب»[(٢)] .

* * *

لم يكتف كثير من المتصوفة بادعاء «الحبّ الإلهي» بأساليبهم الغريبة ، بل راحوا يتلفظون بالعشق الإلهي[(٣)] بل تعدّوا إلى السماع في عشق مشايخهم أيضاً .[(٤)]

وقال القاضي أبو يعلى : «وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله عز وجل يعشق»[(٥)] .

وقد انبرى أبو الوفاء ابن عقيل لمثل هذه المخالفات في ادعاء الصوفية بالعشق

---

(١) ترجمة شطر أو عجز بيت في الأردية .

(٢) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (٩ ـ ١٠) .

(٣) التصوف بين الحق والخلق (ص٦٠) .

(٤) كما تقدم آنفاً .

(٥) تلبيس إبليس (ص١٩٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإلهي ، فقال :

«أنتم زنادقة في زيّ عباد ، شرهين في زيّ زهّاد ، مشبّهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه ، ويؤلف ويؤنس به ، وبئس القوم . . .

. . . فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة ، والعوارض الطبيعية . . .»[١] .

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في نسبة العشق إلى الله عز وجل رداً على قول السراج : «أنا أعشق الله ، والله يعشقني» :

وهذا جهل من ثلاثة أوجه :

(أحدهما) : من حيث الاسم ، فإن العشق عند أهل اللغة ، لا يكون إلا لما ينكح .

(والثاني) : أن صفات الله عز وجل منقولة ، فهو يحب ، ولا يقال : يعشق . . . .

كما يقال يعلم ، ولا يقال : يعرف .

(والثالث) : من أين له أن الله تعالى يحبّه . فهذه دعوى بلا دليل . . .»[٢] .

والعيب كل العيب أن الصوفية يذكرون الأنثى من المعشوقات بالقدود والخدود . ويذكرون الخمرة وكؤوسها ، والعشق ومغامراته ، ثمّ يحملون ذلك على الباري عزّ وجلّ . كما قال قائلهم :

أورى بسعدي والرباب وإنما ... أنت الذي تعني وأنت المؤمّل

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وزد إلى ذلك أنهم تجاوزوا من السماع في «العشق الإلهي» إلى السماع في مشايخهم وغيرهم أيضاً ،[٣] فأين تخصيص السماع في «العشق الإلهي» فقط .

فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة !

* * *

---

(١) المصدر المذكور (٢٧٨ ـ ٢٧٩) .
(٢) المصدر المذكور (ص١٩٥) .
(٣) كما تقدم آنفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عناية النبي ﷺ

وزيارته وعيادته وتربيته

غلت الصوفية كثيراً في أمر النبي ﷺ ، وأبدوا من الأقوال والأفعال ما يدلّ على أنه ﷺ نفسه زارهم ، وحضر عندهم ، وتمت تربيتهم من طرف النبوة ، بل يبدو من كلامهم أنهم يرون الاستمداد أيضاً .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ما يشير إلى هذه الأمور :

١ ـ قال الشيخ محمد علي (مؤسس ندوة العلماء) ـ وهو يذكر مرشده الأول : الشاه كرامت علي ـ :

«ببركة التفاته وفيض صحبته ، جرت معي حالات عجيبة ، وتمتّعت بعناية النبي ﷺ ، وإكرامه لعبده ، حتى لا أستطيع أن أقول إلا :

«ما العجب من الملوك إذا أنعموا على الفقراء»[(١)] .

٢ ـ قال الشيخ فضل رحمن في شيخه محمد آفاق : «إنه كان يتمتع بزيارة النبي ﷺ وصحابته الكرام في صغره»[(٢)] .

٣ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «المبشّرات» :

«قام (أي الشيخ فضل رحمن) من النوم فجأة في العشرين من ربيع الأول (أي قبل وفاته بيوم) ، وقال : هذه جنّة ، هذه جنة ، هذه جنة ، هذه جنة ـ وأشار بيده إلى الجهات الأربع ـ ، وقال : «حضر الرسول المقبول ﷺ»[(٣)] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي تلذّذَ الشيخ عبد القادر الراي فوري بحلاوة ذاك الوقت الذي قضاه في ذكر «اسم مفرد» في مسجد خارج قرية «دهديان» ، فقال :

---

(١) ترجمة شطر بيت بالفارسية . وراجع «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص٩٨) فلينتبه لقوله : «إكرامه لعبده» .

(٢) المصدر المذكور (ص٢٩) نقلاً عن «أسرار المحبة» مجموعة رسائل التصوف (ص٦٤) .

(٣) المصدر المذكور للندوي (ص٩٠) ، نقلاً عن «تواريخ نامه» (ص٥) . نص بقوله على أن النبي ﷺ حضر عنده .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وكان يقول : «وما حصلت عليه في ذلك الوقت لم أحصل عليه فيما بعد أبداً .

وكان يقول : «رأيت ما رأيت ، ووجدت ما وجدت ، وتمتّعت بزيارة النبي ﷺ هناك»(١) .

٥ ـ ذكر الأستاذ الندوي أبا أحمد عبد الله (والد الشاه يعقوب المجددي) وشدة ضعفه لأجل المجاهدة وطول العلة فقال :

«وكان يستفسر عن اليوم والوقت مرّة بعد مرّة ، حتى قال فجأة :

السلام عليكم ! ـ ثم أشار برقبته شيئاً ـ وقال ـ والدموع في عينيه :

أين صدري وجسمي الكثيفين من القدم الشريفة؟ . . .»

وكان يأخذ البيعة على السلاسل الأربع .(٢)

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ نجيب الدين الفردوسي قال للشيخ شرف الدين المنيري بأن هذا الأمر (أي رجوعه من دلهي إلى وطنه) تمَّ من إشارة غيبية ، وتكون تربيته من طرف النبوة»(٣) .

* * *

لا ريب أن رؤية النبي ﷺ في المنام من المبشرات التي ينبغي للمسلم أن يستبشر بها ، لأنه ـ ﷺ ـ قال :

«من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي . رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(٤) .

---

(١) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (ص٦٠) تقدم الرد على الذكر بالاسم المفرد .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب» للندوي (٣٣ ـ ٣٤) أبدى من تصرفه أن النبي ﷺ نفسه حضر .

(٣) «تاريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١٩٧) .

(تنبيه) : لا أدري كيف تتم التربية من طرف النبوة . لعل القوم يعتمدون في ذلك على الكشوف والمنامات ، وهي غير معصومة . فكيف يعتمد عليها ، ولكن التصوف !

(٤) البخاري (رقم ٦٩٩٤ ـ التعبير/ من رأى النبي ﷺ في المنام) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال القرطبي :

اختلف في معنى الحديث ، فقال قوم : هو على ظاهره ، فمن رآه في النوم رأي حقيقة كمن رآه في اليقظة سواء ، قال : وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين ،وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه .

ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبر فيه شيء فيزار مجرد القبر ، ويسلّم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره ، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل .

وقالت طائفة : معناه أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها ، ويلزم منه أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث»(١) .

وقال القاضي عياض :

«يحتمل أن يكون معنى الحديث إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته ، لا على صفة مضادة لحاله ، فإن رؤى على غيرها ، كانت رؤيا تأويل ، لا رؤيا حقيقة ، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ، ومنها ما يحتاج إلى تأويل . . .»(٢) .

وقال الحافظ ابن حجر :

«جوّز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقاً . . . . بخلاف النبي ﷺ فإذا رؤى على صفته المتفق عليها ، وهو لا يجوز عليه الكذب ، كانت في هذه الحالة حقاً محضاً لا يحتاج إلى تعبير»(٣) .

هذا ما قاله العلماء في شرح حديث رؤية النبي ﷺ في المنام ، وأما الأمور الأخرى التي يذكرها الصوفية بكشوفهم وخوارقهم فهي من شطحاتهم التي لا دليل عليها من الكتاب والسنة .

* * *

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٨٤) .

(٢) المصدر المذكور (١٢/ ٣٨٦) .

(٣) المصدر المذكور (١٢/ ٣٨٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الغيب

كلام الصوفية يحوم ـ أحياناً ـ حول حمي علم الغيب الذي استأثر الله به نفسه دون خلقه . وما هذا إلا نتيجة اغترارهم بالكشوف والخوارق ، ومهارتهم في التزكيات والادّعاءات .

توجد بعض النقول في كتابات الأستاذ الندوي التي تشير إلى هذه الادعاءات والتزكيات :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي أنه ذات مرة أخذ المنشى رحمة الله كتاب «فتوح الغيب»[١] من عند الشيخ عبد الرحيم الراي فوري[٢] . فقال الشيخ : أين الكتاب؟

قيل : أخذه المنشى رحمة الله .

قال : ما حاجته إلى «فتوح الغيب» ، وهو بنفسه «فتوح الغيب» . . .»[٣] .

٢ ـ ذكر الأستا ذالندوي أن الشيخ عبد القادر الراي فوري بعد ما اطلع على تأريخ انتهاء جوازه ، قال :

«مدة انتهائه أكثر من عمره»[٤] .

* * *

تزكية الإنسان بأنه «فتوح الغيب» فيها من المخالفة الشرعية ما لا يحتاج إلى دليل وكذلك قد يتوقع الإنسان أنه يموت خلال المدة المعينة ، وقد يحصل هذا ، وقد يحيى بعدها إلى مدة طويلة . فإذا حصل مثل ما توقّع ، فلا يذكر هذا الأمر بسياق يدلّ على أنه علم وقت وفاته . وشتان بين الأمرين !

---

(١) كتاب «فتوح الغيب» للشيخ عبد القادر الجيلاني .

(٢) مرشد الشيخ عبد القادر الراي فوري ومن خلفاء الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي . (الإمام السرهندي : ص٣٢٩) .

(٣) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (ص٧٧) نقلاً عن «الملفوظات» للشيخ علي أحمد ، وإفادة شيخ الحديث .

(٤) المصدر المذكور للندوي (ص٢٢٥ ـ تعليقاً برواية محمود الحسن الكاندهلوي) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وعلى مشايخ الصوفية أن ينتبهوا لمثل هذه التصريحات الخطيرة ، لأن وراءهم من مريديهم من يتلقّفون مثل هذه البيانات . ويجعلون الحبة قبة .

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾ [لقمان] .

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الفتـوح

الفتوح ـ عند الصوفية ـ : عبارة عن حصول شيء مما لم يتوقع ذلك منه .

فالهدايا والتحف والنذور التي تقدم إلى مشايخ الصوفية تسمّى فتوحاً .

وبالعكس من ذلك كان المشايخ أيضاً يمنحون مريديهم فتوحاً ، ولكن كان معنوياً .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي أنواع من الفتوحات والهدايا والتحف :

١ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الشيخ التهانوي أنه قال :

«نحن قدمنا إلى الشيخ (فضل رحمن) هدايانا ، وكان يرغب جداً في التنباك والصابون ، ويشرب «الشيشة» . . . قدّم زملائي إليه التنباك والصابون ، ولم أكن أعلم أن الشيخ يحبّ هذه الأشياء ، فقدموا إليه التنباك والصابون ، وقدّمت إليه ما كان معي من الحلاوى»[(١)] .

٢ ـ نقل الأستاذ الندوي عن المفتي عبد اللطيف الرحماني أنه سافر مع بعض الطلبة إلى الشيخ «فضل رحمن» ، واشترى في الطريق عدة حبّات من الخربز (الشمّام) ليهديها إليه . فقال له طالب : كُلْها ، لأنها لا وزن لها عند الشيخ . . . ولكنه قدّمها إلى الشيخ ، ففرح بها كثيراً ، وقال : ما أكلت خربزاً حتى الآن . . .

قال المفتي عبداللطيف : لعله كان رداً على قول ذلك الطالب ، وأظهره الشيخ بهذه الصورة»[(٢)] .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت «عطايا الشيخ» ، أن الشيخ فريد الدين سير الخواجه نظام الدين إلى دهلي ، وقال : «اذهب ، وخذ بلاد الهند»[(٣)] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي «مجاهدات الشاه محمد يعقوب في حيد آباد» ، ثم قال :

---

(١) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص ١٢٠) قيل في الشيخ فضل رحمن : ما رئى مثله في اتباع السنة ، وهو يشرب «الشيشة» . ويظهر من سياق كلام التهانوي (وهو من كبار الديوبندية) أنه تأسف على عدم علمه بما يحب الشيخ من الهدايا وإلا لم يكن عنده مانع ليقدم إليه التنباك . والمهم تطييب خاطر الشيخ !

(٢) المصدر المذكور (ص١٣٧) .

(٣) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ٦٧ ـ سير الأولياء : ص١٢٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«هذا العصر هو الذي حمى في بيته في «بهوفال» وطيس الرشد والهداية ، وكان من حال رجوع الخلائق والفتوحات أنه لم تكن الروبيات تعدّ ، بل تكال .

وهنا في حيدر آباد كان عيشه على خبز (جوار) ، ويواجه المشقات الشديدة .»[(١)] .

* * *

مما يثير العجب أن الأستاذ الندوي لا يتعجب من القول بأن هؤلاء الصوفية كانوا متبعين للسنة :

ـ أي اتباع للسنة في شرب «الشيشة» ، وقبول هدية «التنباك»؟

ـ أين الدليل على إقطاع الصوفي لمريده بلاد الهند؟

اللهم إلا إذا كان هذا الإقطاع إقطاعاً روحياً على حد قول الأستاذ الندوي !

ـ وأى اتباع في قبول «الفتوحات» حتى تكال؟

ـ وأي اتباع في ترك الجمع والجماعات والأعياد ، وأكل خبز جاف؟

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في مثل هذا الأكل تورعاً :

« . . . إن الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة ، وجعل قشورها لبهائمهم ، فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن .

وأي غذاء في التبن؟ ! ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى ردّ . . . .»[(٢)] .

=وتقدمت ترجمة الخواجه فريد الدين ومريده الخواجه نظام الدين بشيء من التفصيل . وهما من كبار رجال الدعوة والعزيمة في الهند ، عند الأستاذ الندوي .

هذا هو الخواجه نظام الدين الذي كان يتلذذ بذكر اسم شيخه قبل أن يلقاه ، بعد الصلاة . وهكذا التصوف !

(١) ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي (٤٣ ـ ٤٤) .

(تنبيه) : والد الشاه محمد يعقوب المجددي (من كبار الصوفية في عصره في «بوفال») كانت تقدم إليه التحف والنذور بحيث أنها كانت تكال لكثرتها ، في حين كان ابنه الشاه محمد يعقوب (مرشد الأستاذ الندوي) كان يشتغل عند قبر (كيسودراز) في «حيدر آباد» ، بمجاهدات شاقة ورياضة شديدة ، وكان يعيش على حبوب مثل الشعير .

هذا هو الإفراط والتفريط في تصرفات الصوفية .

(٢) تلبيس أبليس (ص٢٤٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الفناء

الفناء ـ عند الصوفية ـ : «سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة» .

والفناء : فناءان :

(أحدهما) : ما ذكر ، وهو بكثرة الرياضة .

(والثاني) : عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت ، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق ، وإليه أشار المشايخ بقولهم : الفقر سواد الوجه في الدارين ، يعني الفناء في العالَمين»(١) .

إليكم بعض كتابات الأستاذ الندوي في فناء المشايخ :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «الفناء الكامل» ما يلي :

«قال الشيخ (أي فضل رحمن) في الساعة الثانية نهاراً من التاريخ الحادي والعشرين من ربيع الأول (أي يوم وفاته) : متُّ ، وصلّوا عليّ . وإن لم تكونوا تصلّون عليّ ، فأنا أصلّي على نفسي . وكان المصلّون واقفين . فكبّروا وربط اليدين . وتردّد الناس جميعاً من هذا الكلام»(٢) .

٢ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبدالقادر الرأي فوري قال : «رأيته (أي الله بخش) بعد وفاته في المنام ، فسألته كيف عوملت؟

قال : الحمد لله ، منذ ما انفصلت الروح عن الجسد ، لا أجد نفسي منفصلاً .

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص٢١٧) .

(٢) تذكرة فضل رحمن للندوي (ص ٩٠) ، نقلاً عن «تواريخ نامه» (ص ٢٥) .

وذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «علامات القبول والرضا» بعد وفاته وقبل دفنه ما يلي :

«وكانت تفوح من جسمه الأطهر رائحة طيبة ، إلى أن ثوب من مس بجسمه تعطّر أيضاً . . . كان الناس مجتمعين حول الجنازة طول الليل ، واستجمروا بالعود ، ورائحة «آغر» (نوع من الخشب) . . .» (المصدر المذكور : ٩٤ ـ ٩٥ ، نقلاً عن «هدية العشاق : ٣١ ـ ٣٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الشيخ : يعني أنه حصل على الفناء التام»[١] .

٣ ـ أبدى الأستاذ الندوي أسفه على أنه لا يوجد كتاب في سيرة الشيخ أبي أحمد عبد الله (والد محمد يعقوب المجددي) ، وذكر كتاباً دّون في سيرته ، ولكنه ضاع ، وقال :

« . . . وخفيت أكثر أحواله وكمالاته على الناس ، كما هو من شيمة الشيوخ الكاملين الذين يغلب عليهم الفناء . يكون وقت ما قبيل موت أهل الله : وقت السفر من هذه الدار إلى المحبوب الحقيقي ـ مرآة لظهور أذواقهم وكمالاتهم الأصلية ـ ثم ذكر بعض الأحوال والوقائع التي حدثت عند وفاته ـ[٢] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي بيئة الشيخ محمد إلياس (مؤسس جماعة التبليغ) التي ترعرع فيها فقال :

«كانت النساء على هذا المبلغ من العلم والذوق بأنهن كن يتذوّقن بتلاوة القرآن ، يذكرون مقاماتهن بعد أداء الصلوات ، وبلغ استغراقهن وفناؤهن في الصلاة إلى حد أنهن لم يشعرن بالحجاب وتردد الناس في البيت عند بعض الحوادث أحياناً[٣] .

* * *

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«الفناء» الذي يوجد في كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور :

(أحدها) : فناء القلب عن إرادة ماسوى الرب . . . فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص .

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٧٧) ولينتبه لتعبير الشيخ رؤياه بأنه «حصل على الفناء التام» ! !

«والفناء» نهاية مطاف الصوفيين ، وآخر مرحلة من مراحل الطريق ، والهدف الأسمى للعمل الرياضي الشاق ، وهجر الأطعمة والملذات . . .» (التصوف بين الحق والخلق : ص١٨٣) .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (٣١ ـ ٣٤) .

(٣) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» للندوي (ص٤٩) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(والثـاني) : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب . . . فهذا الفناء فيه نقص . . . وفي هذا الفناء قد يقول : «أنا الحق» ، و«سبحاني» ، أو «ما في الجبّة إلا الله» . . .

(والثـالث) : الفناء عن وجود السوى . . . وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين . . .»[(١)] .

ما نقله الأستاذ الندوي من فناء الصوفية ، حتى النساء منهم ـ وقد بلغ فناؤهن واستغراقهن في الصلاة بحيث لم يكن يشعرن بالحجاب ، ودخول الناس في البيت أحياناً ـ يدلّ على أنهم وصلوا إلى هذه الأحوال العالية ، والمقامات الرفيعة بعد فقد وعيهم وعقلهم وفنائهم فيما هم فيه من العبادة وغيرها .

وفي مثل هذه الحالة قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«وكثير من المتصوفة يذمّون العقل ويعيبونه ، ويرون أن الأحوال العالية ، والمقامات الرفيعة ، لا تحصل إلا مع عدمه ، ويقرّون من الأمور بما يكذّب به صريح العقل .

ويمدحون السكر والجنون والوله ، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز ، كما يصدّقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها ، ممن لم يعلم صدقه ، وكلا الطرفين مذموم .

بل العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك ؛ لكنه غريزة في النفس ، وقوة فيها ، بمنزلة قوة البصر التي في العين ؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن ، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار .

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وأن عزل بالكلية : كانت الأقوال ، والأفعال مع عدمه : أموراً حيوانية ، قد يكون فيها محبة ، ووجد ، وذوق ، كما قد يحصل للبهيمة .

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة»[(٢)] .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١٠/ ٣٣٧ ـ ٣٤٣ باختصار) وقد تقدم التفصيل عن «الفناء» في مبحث «وحدة الوجود والشهود» في ترجمة الشيخ أحمد السرهندي . فراجعه هناك فإنه مهم .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

القبور في المساجد

تتالت الأيام[1] وأخذت الصوفية حريتهم بإعلان عقيدتهم ، فبنوا للخلوة هياكلها الخاصة التي سمّوها «الخانقاه» ، وفي بعض الأحيان سمّوها «المدرسة» .

ثم بدّلوا اسم «الخانقاه» بالزاوية ، ثم امتدّوا من الزوايا إلى المساجد ، فبنوا فيها «الأضرحة» ليجعلوا فيها ومنها كهوفاً لخلواتهم .

وأصبح ـ الآن ـ من غير المستهجن وجود القبور في المساجد ، واتخادها مكاناً للخلوة .

وهكذا لم يعودوا بحاجة إلى كهوف الجبال والوديان وشعابها ، وللغابات والصحاري .[2]

* * *

١ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الأمير حبيب الرحمن خان الشيرواني (أحد الأعضاء المؤسّسين لندوة العلماء) سفره إلى الشيخ فضل رحمن الكبج مراد آبادي بقوله :

«وصلت إلى «كنج مراد آباد» في الساعة العاشرة ، فعلمت أن الشيخ مشتغل في تدريس الحديث ، ولذا استظللت تحت شجرة في ناحية من السوق . وبعد قليل جلست عند مقبرة في داخل المسجد (أي مسجد الشيخ) .

وقال الشيرواني أيضاً : « . . . هذا المسجد قديم جداً يحتاج إلى الإصلاح والترميم ، هناك مقبرة في الجانب الأيمن بعد الدخول من باب المسجد ، وقد تقدم ذكره من قبل . وفي جانبها الغربي عدة قبور ، وبئر ، وحجرة الشيخ المباركة . . .»[3] .

٢ ـ قال الأستاذ الندوي في مكان دفن الشيخ عبد القادر الراي فوري :

« . . . أصرّ أهل القرية أن يدفن الشيخ في الصحن الشمالي المتصل بالمسجد ،

---

(١) راجع ما تقدم من مبحث «الخلوة» .

(٢) راجع «الكشف» (ص٣٣٥) باختصار وتصرّف .

(٣) «تذكرة الشيخ فضل رحمن» للندوي (١٠٩ ـ ١١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الذي كان محل جلوسه أيام الإقامة هناك»(١) .

* * *

قال رسول الله ﷺ :

«لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢) .

أما هؤلاء القوم فاتخذوا المساجد وصحنها قبور أوليائهم .

أفيدونا : ما الفرق بين الأمرين ، يا عباد الله؟ !

والعجب أن الأستاذ الندوي كيف يستسيغ أن يذكر هذه الطامات في كتاباته ، من غير أن يردّ عليها؟ ولكن :

وما هي بأول قارورة كسرت .

* * *

(١) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري (٢٢٩ ـ ٢٣٠) . ودفن الشيخ عبد القادر بتابوته بطريقة عجيبة ، على غير هدي النبي ﷺ . كما ذكر الأستاذ الندوي نفسه ، وقد حضر في تدفينه .

(٢) متفق عليه من حديث عائشة وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

القطب وغيره يسمعون

قال الجرجاني :

«(القطب) : وقد يسمّى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعظم ، وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته ، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها . وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها»(١) .

هذا القطب ذكره الأستاذ الندوي أيضاً .

* نقل الأستاذ عن مرشده : الشاه محمد يعقوب المجددي أنه قال :

« . . . أنا أبيّن لكم في وقت آخر ، أن القطب وغيره يسمعون»(٢) .

* * *

و«القطب» حين الالتجاء إليه يسمى «غوثاً» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«فأما لفظ الغوث والغياث» فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل .

---

(١) التعريفات (٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

(٢) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (٣٩٨) .

(تنبيه) : أحال الأستاذ الندوي في ترجمة الشيخ محمد زكريا لمعرفة أحواله ومقاماته في التصوف إلى «بهجة القلوب» للصوفي محمد إقبال وفيه : « . . . تخيل لأحد المشايخ في مكاشفة من مكاشفاته الطويلة أن الشيخ قطب زمانه . فقال النبي ﷺ بعد ذلك : أي شيء القطب؟ وهو قطب الأقطاب» (بهجة القلوب : ص٦٣) . وقد تقدم في ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ، ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة ، والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعون إلى الأربعين ، والأربعون إلى السبعة ، والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضالّ مشرك ، فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٦٧] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] . . .

. . . فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب؟ وهو القائل : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

. . . وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم ، لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب ، فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك ، وسائر ما يقوله الظالمون علواً كبيراً ، وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابدّ في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلّفين لا يتمّ الإيمان إلا به . . .»[١] .

* * *

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الكتب المهمة عند القوم

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ذكر بعض الكتب المهمة التي يتمسك بها الصوفية قراءة وإجازة ورواية ، منها :

١ ـ الحصن الحصين :

ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ «فضل رحمن» أجاز لوالده السيد عبد الحي «الحصن الحصين» ، وقال : «وقد صار بقراءته سبعمائة شخص (أو ذكر عدداً يقاربه) أولياء الله»(١) .

٢ ـ عوارف المعارف : ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ الكبير فريد الدين كان يدّرس «عوارف المعارف» لشهاب الدين السهروردي .(٢) .

هذا الكتاب يؤصّل أصول التصوف ، ويستدل فيه مؤلفه الشهاب السهروردي البغدادي (مريد الجيلاني) بالأحاديث من دون التفريق بين الصحاح والضعاف والمناكير والأباطيل ، على مرامه ، على الطريقة الصوفية (٣) .

٣ ـ دلائل الخيرات :

ذكر الأستا ذالندوي أن أباه السيد عبد الحي تأثر منذ نعومة أظفاره بجدته من أبيه . . . التي كانت تواظب على قراءة القرآن ، ومطالعة الفقه والحديث ، وعلى ورد «دلائل الخيرات» ، و«الحزب الأعظم» و«حزب البحر» ، وغيرها من الكتب . . .»(٤) .

---

(١) تذكرة فضل رحمن (ص١٠٤) .

(٢) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ٦٣ ـ فوائد الفؤاد ٢٧) .

(٣) تقدمت ترجمة الشهاب السهروردي ، ونبذة عن كتابه ، في ترجمة الجيلاني .

(٤) «حياة عبد الحي» للندوي (ص٤٦) قال الشيخ حسين أحمد المدني (شيخ الندوي) :

«إن الوهابية الخبيثة تستقبح جداً قراءة «دلائل الخيرات» ، و«القصيدة البردية» ، والقصيدة الهمزية ، ويجعلون بعض أبيات قصيدة البردة من قبيل الشرك ؛ كقول البوصيري :

يا أكرم الخلق ما لي لا ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

مع أن أئمتنا وأكابرنا كانوا يأمرون مريديهم بقراءة مثل هذه الكتب ويجيزونها ؛ والشيخ محمد قاسم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«دلائل الخيرات في الصلاة على سيد البريات» ألّف محمد بن سليمان الجزولي المغربي (ت ٨٦٣ أو ٨٧٠هـ) من الطريقة الجزولية الشاذلية[١] .

قد ملأ الجزولي كتابه هذا ، بالمبتدعات والمخترعات من الصلاة على النبي ﷺ[٢] .

ولا ريب أن الصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأعمال ، وأقرب القربات فالالتزام بما ورد في هذا الباب هو الأولى والأفضل والصواب .

٤ ـ المثنوي المعنوي : لجلال الدين الرومي .

قال الأستاذ الندوي بعد ذكر بعض خصائص «المثنوي» :

« . . . لذلك كان «المثنوي» العظيم مصدر إيمان جديد ، وإذعان مزيد في كل عصر ، تنشرح بقراءته الصدور الحرجة ، وتطمئن بدراسته العقول المضطربة . . .»[٣] .

ووصف مؤلفه بأنه «مؤسس علم جديد» . و«فلسفة جديدة»[٤] .

* * *

معروف أن الجلال الرومي كان من كبار تلامذة ابن عربي : قدوة أهل الوحدة في العالمين .

وكتابه هذا ، ملئ بالمخالفات ، وعلى رأسها : عقيدة وحدة الوجود[٥] .

=النانوتوي والشيخ الجنجوهي رحمهما الله أجازا قراءتها لآلاف من الناس ، وكانا يقرآنها . وقد أنشد الشيخ محمد قاسم النانوتوي مثل هذا البيت الذي في قصيدة البردة فقال :

«انصر أيها الكرم المحمدي ، لأنه ليس لقاسمٍ أحد سواك ، فإذا أنت لم تسأل عن حالنا ، فمن يسأل ، ومن يكون لنا غيرك»؟ !؟) (الشهاب الثاقب : ٦٦ ، ٤٨ ، وعنه في جهود علماء الحنفية : ٢/ ٨٠٢ـ ٨٠٣) .

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة (١٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) ، والضوء اللامع (٧/ ٢٥٨) والأعلام للزركلي ٦٠/ ١٥١) ، وجهود علماء الحنفية (١/ ٨٠١) .

(٢) رد الشيخ عبد الله بن محمد الدويش ـ رحمه الله ـ في جزء مستقل أسماه «الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات» وهو مطبوع .

(٣) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٧٨ ـ الرومي) .

(٤) المصدر المذكور (١/ ٢٧٨) .

(٥) تقدمت ترجمة الرومي ، ونقد كتابه مفصلاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان الحاج إمداد الله (شيخ الديوبندية في التصوف) ، وتلامذته مولعين بالمثنوي تأملاً ، وتدريساً ، وتذوقاً ، وتلقيناً ، وكانوا ينصحون أصحابهم بقراءته والتأمل فيه . وهم يستشهدون بأبياته في المواعظ والمجالس [1] .

* * *

---

(١) راجع نزهة الخواطر (٨/ ٧٢ ، ٥٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المحوية والاستغراق

المحو ـ عند الصوفية ـ هو : «رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد ـ عندها ـ عن عقله ، وتحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر .

ومحو الجمع والمحو الحقيقي : فناء الكثرة في الوحدة .

ومحو العبودية ، ومحو عين العبد : هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان»[1] .

وإليكم بعض الأمثلة على المحو والاستغراق من كتابات الأستاذ الندوي :

١ ـ قال الأستاذ الندوي تحت عنوان «السرور والفيض عند تدريس الحديث» :

«في آخر عمره (أي الشيخ فضل رحمن) كان يحصل له الاستغراق في أكثر الأحيان ، إلا عند الصلاة ، وعند تدريس الحديث كان يسرى ، وينزل الفيض على الحاضرين ، وكان يدعو بعد ختم الحديث»[2] .

٢ ـ وقال تحت عنوان «زيادة المحوية والاستغراق» في آخر أيامه :

«بدأت كيفية المحوية وحالة الاستغراق تزداد من اليوم (أي ٨/ ربيع الأول) حتى أنه ربما لم يكن يعرف خدمه الملازمين له في كل حين .

وكان من عادته أنه كان يسمع الرسائل والكتب والخطابات ، فقال :

«الرسائل والخطابات اليوم كثيرة ، فنفخ عليها ، وقال : «قضى الله حاجاتهم»[3] .

٣ ـ وذكر تحت عنوان «القضاء والقدر» :

«في الساعة الثانية عشرة نهاراً من التاسع والعشرين من ربيع الأول (أي قبل وفاته بيومين) ، بردت رجلاه ، وغلبت الحمى ، وكان يقوم من نصف جسمه ، ـ وهو مغشيّ عليه ـ ويقول : ماذا أعمل ، فيقول أحد من الحاضرين : استرح[4] ، فيستلقي فوراً ، وينشد :

---

(١) «التعريفات» للجرجاني (ص ٢٦٤) .

(٢) تذكرة فضل رحمن للندوي (ص ٦٠) نقلاً عن «الفضل الرحماني» (ص ٨٣) .

(٣) المصدر المذكور (ص ٨٧) نقلاً عن «تواريخ نامه» (ص ٤) .

(٤) كان من هدي النبي ﷺ تلقين المريض عند الموت «لا إله إلا الله» فإنه قال : «لقنوا موتاكم : «لا إله إلا الله» (صحيح سنن الترمذي للألباني (رقم ٧٨١ عن أبي سعيد الخدري) ، وصحيح ابن ماجه له (رقم ١١٨٥ ـ ١١٨٦ عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فسهّل يا إلهي كل صعبٍ بحرمة سيد الأبرار سَهِّلْ[١]

* * *

أليست هذه الحالة التي تطرأ على المحتضر - ووصفها الأستاذ الندوي بالمحو والاستغراق - نفسها سكرة من سكرات الموت؟

وهل تعتبر سكرات الموت عيباً في شخص المحتضر، أو نقصاً في كماله، حتى اضطرّوا إلى تسميتها باسم آخر؟!

بينتْ أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حالة النبي ﷺ حين وفاته فقال: «ما أغبط أحداً بهون موت، بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ»[٢].

وكانت - رضي الله عنها - تقول: «إن رسول الله ﷺ بين يديه ركوة - أو علبة فيها ماء... - فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى. حتى قبض، ومالت يده»[٣].

* * *

---

(١) تذكرة فضل رحمن (ص٨٩) نقلاً عن «هدية العشاق» (ص٢٠).

(تنبيه): قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيما يتعلق بالتوسل بالنبي ﷺ:

«... فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

(أحدها): التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

(والثاني): التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

(والثالث): التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ٨٢).

(٢) الترمذي (رقم ٧٨٣ - صحيح سنن الترمذي للألباني).

(٣) البخاري مع الفتح (١١/ ٣٦١ - الجنائز/ سكرات الموت).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

المراقبــة

«المراقبة» ـ عند الصوفية ـ : استدامة علم العبد باطلاع الربّ عليه في جميع أحواله»[(١)] .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ذكر المراقبة كثيراً . وإليكم بعض النماذج منها :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «الوجاهة المحبوبية» أن الشيخ فضل رحمن قال ذات مرة : إن الناس يقولون : إني أعمل عمل «التسخير» ، وما عملت هذا أبداً ، ولكن أراقب مراقبة «يحبّهم ويحبّونه» ـ يعني أنه ليس تسخير العالم ما يفهمه قصار النظر ، وقليلوا البضاعة ، بل سببه ما ورد في الحديث»[(٢)] .

٢ ـ وذكر أيضاً : أن الشيخ فضل رحمن كان يراقب في حجرة المسجد ، بعد الانتهاء من الأذكار والأشغال عقب الصلاة . وأكثر ما كان يراقب مراقبة المحبة ، أحياناً يراقب مراقبة أخرى أيضاً . . .»[(٣)] .

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي أن الشيخ عبد القادر كان يقول : «إن الشيخ «الله بخش» كان يراقب في جميع الأحوال ، حتى وقت الحركة والمشي»[(٤)] .

٤ ـ قال الأستاذ الندوي :

«بعد ما توفى الشيخ رشيد أحمد ـ رحمه الله ـ غلب عليه (أي على الشيخ محمد إلياس) السكوت والمراقبة ، قلما يتكلم في اليوم كلاماً . . .»[(٥)] .

* * *

ما هكذا كانت «المراقبة» في القرون المشهور لها بالخير . وقد كان السلف يسترون أحوالهم ، ويتصنعون بترك التصنع .

---

(١) التعريفات (ص٢٦٦) .

(٢) تذكرة فضل رحمن (ص٣٦) نقلاً عن الإرشاد الرحماني (ص٣٧) .

(٣) المصدر المذكور (ص٣٧) .

(٤) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (ص٧٧) .

(٥) «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» (ص٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ :

« . . . إنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ، ومطأطأة الرأس ، ليرى الإنسان بعين الزهد ، والتهيؤ للمصافحة ، وتقبيل اليد ، وربما قيل له : ادع لنا ، فيتهيأ للدعاء ، كأنه يستنزل الإجابة»(١) .

وقال : «نظر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى شاب قد نكس رأسه ، فقال له : يا هذا ارفع رأسك ، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر الناس خشوعاً فوق ما في قلبه ، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق»(٢) .

وقال : « . . . مرّ أبو أمامة برجل ساجد ، فقال : يا لها من سجدة ، لو كانت في بيتك»(٣) .

* * *

---

(١) تلبيس إبليس (ص٣٢٧) .

(٢) المصدر المذكور (ص٣٢٨) .

(٣) المصدر المذكور (ص٣٢٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مفهوم اتباع السنة ، والعمل بالحديث ، والفناء في الرسول

إن الصوفية يغالون في مدح النبي ﷺ مغالاة عجيبة ، ويقعون فيما نهى عنه النبي ﷺ بقوله : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله»(١) .

وكذلك يدعون اتباع السنة في كل شيء ، ولكن عند التطبيق يخالفون السنة في أغلب الأمور إما بالزيادة والنقص ، وإما بإحداث ما ليس من الدين في شيء . وهذا بيّن ظاهر لا يحتاج إلى دليل .

والعجب أن الأستاذ الندوي لا يتعب من ذكر وقائع وحالات للصوفية أجنبية عن السنة تماماً ، ثم يأتي ويصفهم أنهم كانوا متبعين للسنة محترمين للشريعة .

وإليكم بعض الأمثلة على ذلك من كتاباته :

١ ـ قال الأستاذ الندوي ـ بعد ما ذكر إنشاد الشيخ فضل رحمن الأشعار العشقية وقت قيام الليل ـ تحت عنوان «اتباع السنة واحترام الشريعة» :

«مع هذا العشق والمحبة والذوق والشوق كان على مستوى من اتباع السنة واحترام الشريعة ، حتى قال أهل النظر والبصر : إننا ما رأينا متبعاً للسنة بأعيننا مثله ، والجمع بين هذين الشيئين نادر عجيب . . .ولكن الشيخ كان نموذجاً رائعاً لجمعه بين «جمرة العشق» و«جام الشريعة»(٢) .

٢ ـ وقال تحت عنوان «اتباع الحديث في الأذكار والأوراد» :

«قال السيد محمد علي : إني قلت للشيخ : هل نقرأ بعد الظهر ﴿**إنا فتحنا**﴾؟

قال : لم يرد في الحديث .

قال : هل نقرأ بعد العصر ﴿**عمّ يتسألون**﴾؟

---

(١) رواه البخاري (رقم ٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . .

(٢) تذكرة فضل رحمن للندوي ٠ص ٥٢) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال : هذا أيضاً لم يرد في الحديث ، ولكني أقراها أحياناً بعد العصر ، [١] وحينا قبل العصر [٢] .

٣ ـ قال تحت عنوان «الأدعية المأثورة» : قال النواب نور الحسن خان :

قال الشيخ : إن الأدعية التي نقلت عن الشيوخ ، لا يوجد فيها ذلك الأثر الذي يوجد في أدعية النبي [٣] ﷺ [٤] .

٤ ـ وقال تحت عنوان «مفهوم اتباع السنة» : قال الشيخ : اتباع السنة أن يعمل الإنسان مثل عمل النبي ﷺ من غير نقص وزيادة» [٥] .

٥ ـ وقال تحت عنوان «معنى الفناء في الرسول» :

قال الشيخ محمد علي : قال الشيخ : «وقوع أعمال النبي ﷺ الظاهرة بسهولة وبدون تكلف وهو الفناء في الرسول ليس إلا» [٦] .

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي تحت عنوان «حبّ الرسول» أنه قال للشيخ عبد القادر ـ وهما في المسجد النبوي : «يا ليت لو كان المسجد على سذاجته الأولى»

لا أدري ، كان الشيخ في أي حال في ذلك الوقت ، فجاش وقال : يا شيخ ! ينبغي أن يزيّن أكثر من هذا ، وأينما يوجد الجمال والرونق والبهجة في العالم فهو من صدقته ﷺ .

---

(١) تقدم أن الشيخ فضل رحمن كان يراقب المحبة ، ويلقن مريديه بذكر اسم الذات بلسان القلب ، وغيرها من الأذكار الزائدة والناقصة . فأين كان ملتزماً بالحديث في الأذكار والأوراد؟ !

(٢) المصدر المذكور (ص٥٢) .

(٣) مع العلم بهذه الحقيقة لماذا أصرّ على غيرها؟ !

(٤) المصدر المذكور (ص٥٢) نقلاً عن «مجموعة رسائل التصوف» (ص٤٧) .

(٥) المصدر المذكور (ص٥٣) نقلاً عن «أنوار العيون» (ص١٩٣) .

هل عمل الشيخ . بمقتضى هذا المفهوم من اتباع السنة ، حتى يقال : ما رئي مثله في اتباع السنة؟ !

(٦) المصدر المذكور للندوي (ص٥٣) . إذا كان هذا هو معنى «الفناء في الرسول» ، يكفينا التعبير عنه «باتباع السنة» ، ولكن القوم يريدون بذلك شيئاً آخر . وسيأتي إن شاء الله تعالى .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فندمت على ما قلت ، وشعرت بأن هؤلاء كيف يتدفقون حباً»[1] .

٧ ـ ذكر الأستاذ الندوي رياضات الشيخ شرف الدين المنيري ومجاهداته بأنه غاب زهاء اثنى عشر عاماً في غابة «بهيا» و«راجكير» ، بعد سماع صوت «طاووس» ، ثم قال تحت عنوان «اتباع السنة» :

«كلما يترقى سالكو هذا الطريق في كراماتهم ومقاماتهم تزداد لديهم أهمية الاتباع الكامل للنبي ﷺ ، وحبهم له ، يصبر عندهم بدهياً أن الوصول إلى (الحق) ، والقبول عند (الله) لا يمكن من غير الفناء في اتباعه الكامل ، وسنته ، وشريعته . . .»[2] .

❊ ❊ ❊

هذا هو مفهوم «اتباع السنة» ، و«الفناء في الرسول» عند الصوفية ، كما ذكره الأستاذ الندوي .

لا أدري إذا كان هذا هو الاتباع ، فأين الابتداع ؟ !

قال الله عز وجل : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقال النبي ﷺ : « . . . وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها سواء»[3] .

❊ ❊ ❊

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (ص٢٣٩)

(تنبيه) : لا شك أن موقف الأستاذ الندوي كان صحيحاً نظراً إلي ما ورد من النهي عن زخرفة المساجد ، ولكن سرعان ما تراجع عن الحق إلى رأي مرشده المرجوح . هذا هو معنى قولهم : أن يكون المريد عند شيخه كالميت في يد الغسّال» وهل يكون حبّ النبي ﷺ باتباعه ، أم بمخالفته؟ (راجع مبحث تربية كسر الهمة) .

(٢) تأريخ الدعوة والعزيمة للندوي (٣/ ٢٢٢) .

(٣) حسن ، رواه ابن ماجه (رقم ٥ ـ صحيح ابن ماجه للألباني) عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مكاشفة القلوب والإشراف على الخواطر

«المكاشفة» ـ عند الصوفية ـ هي : حضور لا ينعت بالبيان .

و«الكشف» في اللفظ : رفع الحجاب .

وفي الإصطلاح : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً»(١) .

وقال الغزالي : « . . . علم المكاشفة وهو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لأهله . . . وأقلّ عقوبة من ينكره أنه لايذوق منه شيئاً ، وهو علم الصدّيقين والمقرّبين . . .»(٢) .

إليكم بعض النقول من كتابات الأستاذ الندوي ، التي تقرر مكاشفة الصوفية قلوب مريديهم ، وإشرافهم على خواطرهم :

١ ـ ذكر السيد عبد الحي أنه في طريقه إلى الشيخ «فضل رحمن» الكنج مراد آبادي ، كان يتفكر أن يطلب منه إجازة «الحصن الحصين» ، ولكنه كان يتردد في ذلك لشدة شيخه . ثم قال :

«قلت للشيخ : أتمنى أن آخذ إجازة الحديث منك ، فقبل ذلك بلطفه ، وأجازني .

---

(١) التعريفات (٢٩٢ ، ٢٣٧) .

(٢) الإحياء ١٠/١ ـ ١٨) ، وعنه في «الكشف» (٣٦ ـ ٣٧) . وقال : «علينا أن نلاحظ في قوله : «يجب التسليم والتصديق لأهله» ، و«هو علم الصديقين والمقربين» ـ من إيحاء براق وجذاب . كما علينا أن ننتبه إلى تزكيتهم أنفسهم (صدّيقون ومقرّبون)» .

وكذلك في قول الغزالي : «وأقل عقوبة من ينكره . . .» إرهاب فكري مكشوف ، يعني من لا يستسلم للصوفية في كشوفهم يكون على أمر خطير عنده . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومعلوم أن الله عز وجل أمرنا عند التنازع بالرد إليه وإلى رسوله ﷺ بقوله : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [النساء : ٥٩] .

ولم يأمرنا الله عز وجل بالرد إلى كشف الصوفية ، فليتنبه مريدو الغزالي ، لأن الحقائق لا تتغير بالإرهاب الصوفي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقال أجيز لك «الحصن الحصين» أيضاً ، وقد صار بقراءته سبعمائة شخص (أو ذكر عدداً يقاربه) أولياء الله»[1] .

٢ ـ قال السيد عبد الحي : لما كنت في طريقي إلى الشيخ «فضل رحمن» ، استنجيت بالماء ، ولم يسنح لي أن استعمل الطين أو الحجر . فقال زميلي : أنا أشتكيك عند الشيخ على تركك الطين في الاستنجاء . فلما وصلنا إلى الشيخ ، جهّز لنا السكن في المقبرة ، وقال لنا : وضعت «الكلوخ» (أي الطين) هناك لاستنجاء من البول ثم التفت إليّ وقال : «اقتضاء العلم العمل . . .»[2] .

٣ ـ قال الشيخ أشرف علي التهانوي : قدم لي خادم الشيخ فضل رحمن طعاماً ، كان الإدام في قصعة ، وفوقها خبز . . .

فقال له الشيخ : قليل الأدب[3] ، أهكذا يقدّم الطعام إلى الضيف؟

قال الخادم : بحثت عن الطبق فلم أجده .

قال الشيخ : تكذب ، ألا ترى طاقاً فلانيا وضع فيه الطبق . (قال التهانوي : لعل الشيخ قاله على وجه الكشف ، وكان يحصل له الكشف كثيراً)[4] .

٤ ـ قال الشيخ فضل رحمن للتهانوي : أنت رجل دارس ، درست عند الشيخ محمد يعقوب (قاله على وجه الكشف)[5] .

٥ ـ ذكر المفتي عبد اللطيف الرحماني أنه سافر إلى الشيخ «فضل رحمن» مع بعض الطلبة ، واشترى في الطريق عدة حبات من الخربز (أي الشمّام) ليهديها إلى الشيخ . فقال له طالب : كُلْها ، لأنها لا وزن لها عند الشيخ ، لأن مريديه من كبار الناس ، وهم يقدّمون إليه أنواعاً من الهدايا الكبيرة .

---

(١) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص١٠٤) . فيه إشارة إلى أن شيخه كاشف قلبه ، فأجازه للحصن الحصين أيضاً ، مع أنه لم يقل له لإجازته هيبةً منه .

(٢) المصدر المذكور (١٠٤ـ١٠٦) .

(٣) تذكّروا كيف كانت معاملة النبي ﷺ مع خادمه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ .

(٤) «تذكرة فضل رحمن» للندوي (ص١١٦) .

(٥) المصدر المذكور (ص١١٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولكنه لم يأكلْها وقدّمها إلى الشيخ ، فسرّ بها كثيراً . وقال : لم آكل خربزاً حتى الآن . ولم يأت به أحد إليّ . ثم أخذ حبة منه ، وكسرها بضرب قبضته عليها ، وبدأ يأكل منه قطعة قطعة ، وأثنى على حلاوته .

قال المفتي عبد اللطيف : «لعله هذا كان رداً على قول ذلك الطالب ، وأظهره الشيخ بهذه الصورة»[(١)] .

٦ ـ وذكر المفتي أيضاً : أن الشيخ أحمد علي السهارنفوري[(٢)] طبع صحيح البخاري وبالغ في تصحيحه ، وأتى بنسخة منه إلى الشيخ «فضل رحمن» ، وقال له : نبِّهني إذا كانت فيها أخطاء ، فقلب ورقة ووضع يده على سطر ، وقال : هذا خطأ . ثم قلب ورقتين أو ثلاثا ،ونبّهه على خطأ . هكذا نبهه على أربعة أخطاء أو خمسة .

وقام الشيخ محمد علي من هناك وقال : «هذا ليس كسبيا ، بل وهبي»[(٣)] .

٧ ـ وذكر أيضاً : أن الشيخ بشير الدين السهسواني حضر إلى الشيخ ، وفي قلبه شبهات حول بعض عبارة «شرح الوقاية» ، التي تنال من الحنفية ، وأراد أن يعرض هذه الشبهات أمام الشيخ .

فخرج الشيخ من البيت في الوقت نفسه . وقال للشيخ بشير الدين : نذهب نتنسّم هواء الغابة . ففي الطريق قبل أن يعرض شبهاته على الشيخ ، بيّنها الشيخ بنفسه مع ردِّه عليها ، فاطمأن السهسواني بذلك على ما قال»[(٤)] .

٨ ـ وذكر أيضاً : أنه ذات مرة جفّت محبرة الشيخ ، فذهب بها أحد الحاضرين وصبّ فيها ماء من إبريق المسجد ، وكان نظر الشيخ حينئذ منخفضاً ، لم ير ما فعل ذلك الرجل .

---

(١) المصدر المذكور (ص١٣٧) .

(٢) تقدمت ترجمته . وكان السهارنبوري (ـ١٢٩٧هـ) حنفياً ماتريدياً ، درس الكتب الستة ، وصحّحها ، وأيد الفقه الحنفي . رحل إلى المدينة ، واكتحل بتراب عتبة النبي ﷺ . (نزهة الخواطر : ٧/ ٤٣) .

(٣) المصدر المذكور (ص١٣٨) .

(٤) المصدر المذكور (ص١٣٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولما ألقى فيه الشيخ قلمه غضب، وقال له: قليل الأدب! أفسدت الحبر، بصب الماء المستعمل من الوضوء في المحبرة، كيف أكتب(١) به الحديث الآن؟»(٢).

٩ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن الشيخ سعيد أحمد الدونكوي أنه قال:

«كانت مواعظ (الشيخ الجيلاني) تقرأ في مجلسه (أي الشيخ عبد القادر الراي فوري) فقرئ على التوالي يومين أو ثلاثة: أن المريد إذا كان أمام مرشده تنكشف أحواله على المرشد، فخفت خوفاً شديداً على أن أحوالي سيئة جداً، والشيخ يخرجني من مجلسه قطعاً بعد الاطلاع عليها ـ إلى أن اختفى ـ فدعاه الشيخ وقرّبه إليه، حتى جعله في زنبيله، وضمّه إلى صدره، وقال له بأسلوب حبيب:

«لا تغتمّ، ولا تبك هذاالقدر، أنا لا أعلم شيئاً»

قال: قلت من غير كلفة: فكيف علم الشيخ بأني أبكي؟

قال الشيخ يحصل هذا لأجل علاقتي بك.

وقال: أنت فائز المرام ـ إن شاء الله ـ، واستمرّ حديث السرّ والشوق في العزلة إلى صلاة العشاء، وكان الشيخ عبد المنان، وابن الشيخ مشرفين على الباب»(٣).

١٠ ـ ونقل عن الشيخ سعيد أحمد أيضاً أنه قال:

«(ذات مرّة) بكيت كثيراً على ما قضيت ثماني عشرة سنة في الذكر، ولكني لم أصر شيئاً . . .» ثم توضأت وحضرت في مجلس الشيخ فقال: يقول بعض الذاكرين «ما صرنا شيئا، ويبكون كثيراً، ماذا أكثر من ذلك يا عباد الله، هل تريدون الصعود إلى السماء، وفقكم الله لذكر اسمه، ومنحكم قلوباً مكسورة، وحاضر الشيخ ساعة كاملة، وقال لي: أفهمت شيئاً يا شيخ! فحصل لي قدر كبير من «البسط»، كأني حصلت على الأقاليم السبعة»(٤).

---

(١) ذكر الندوي أن الشيخ «فضل رحمن» كان يقبل هدية التنباك، ويشرب «الشيشة» (ص ١٢٠) لا أدري كيف كان يدرّس «صحيح البخاري»؟! مع كل هذا يقال: «ما رئى مثله في اتباع السنة»!

(٢) المصدر المذكور (ص ١٣٩).

(٣) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (٣٤٣ ـ ٣٤٥ مكتوب الشيخ سعيد أحمد.

(٤) المصدر المذكور (ص ٣٤٥).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١١ـ قال الأستاذ الندوي :

«قال الشيخ عبد الجليل أن الحافظ «محمد دين» وصل إلى الشيخ ـ وهو كان يستريح ـ وكان الحافظ يريد أن يرجع بعد لقائه ، فأبى كلّ واحد أن يتوسّط للقائه مع الشيخ في هذا الوقت .

فتوضأ الحافظ محمد دين ، وبدأ يدعو في حجرة مقابلة لحجرة الشيخ قائلاً : اللهم بواسطة حبيبك محمد المصطفى ، يسّر لقائي مع الشيخ في هذا الوقت .

فقال الشيخ : يا طيبّ أنا إنسان لست مخيالاً (هوّا) إذا كان الحاجة ماسة بهذا القدر ، كان لك أن توقظني بنفسك ، «توبة توبة» (أي أستغفر الله) واسطة هذه الذات العالية ! ثم أجلسني بجنبه بكل محبة ، وسمع مني كل ما أردت ، وقال حدّث كل ما تريد جيّداً ، ثم ودّعني بعد المصافحة»(١) .

١٢ ـ نقل عن الشيخ سيد أحمد أنه قال :

«أصبت مرة بنوع شديد من (الانفلونزا) ، فشكوت إلى الشيخ (عبد القادر) فأحسست بعد العشاء أن رجلاً نام جنبي ، وهتف بأني سكينة . ـ إلى أن قال ـ في الساعة الثالثة صباحاً قيل لي : قم وصل ، صلاة الشكر على صحتك ! فقمت صحيحاً كأني لم أكن مريضاً .

كان هذا دعاء الشيخ أو التفاته»(٢) .

١٣ ـ قال الأستاذ الندوي ، بعدما ذكر كمالات الشيخ عبد القادر الراي فوري هذه وغيرها ـ التي هي أرفع عنده من الكرامات ـ :

«يكثر الإشراف على الخواطر (أي الكشف على الخيالات والكيفيات القلبية) عند أهل القلوب ، وقد جرّب ذلك أكثر خدامه قليلاً أو كثيراً ، وقد كتب أحد منهم : إني جربت عشرينات المرات بأنه طاف بخلدي شيء خاص في لحظة ، فانكشف ذلك على الشيخ في لحظة أخرى .

---

(١) المصدر المذكور (٣٤٥ ـ ٣٤٦) .

(٢) المصدر المذكور (٣٤٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الأستاذ الندوي :

«وقد جرب الكاتب نفسه (أي الندوي) ذلك عدة مرات ، لمّا غلبتْ عليّ أي كيفية أو إحساس أزاله الشيخ بكل رفق ومحبة .

وذات مرة في زمن قيام «بهت هاوس» (منزل بهت) صليت العشاء (لعله كان يوم العيد) في حالة وحشة شديدة وانقباض عجيب ، وغلب عليّ الخيال بأنه لم يكن التفات الشيخ في العشرة الأخيرة من شهر رمضان هذا ، كم كان يحصل من قبل .

استولت عليّ حقارة نفسي ، وهوان حياتي فناداني بعدما سلّم ، فحضرت إليه ، وقال يا شيخ ما هو تفسير آية ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف : ١١٠] أنا غفلت عن الكيفية التي كنت فيها ، وفهمت أنه استفسار علمي محض فبدأت أسرد بعض ما حضر لي حينئذ من أقوال المفسرين في تفسير الآية ، ولكني رأيت أنه غير ملتفت إلى جوابي ، ولم يطلب مني أي شيء علمي ، ولما خرجت من عنده تبدّلت الكيفيّة ، وكان القلب يشعر بالسكينة والبشاشة . فأحسست آنذاك أن تلك المناداة وهذا الاستفسار كانا لمجرد إزالة تلك الكيفية التي غلبتْ عليّ ، وكان ذلك محض إظهار الرفق والمحبة ، وعلاج تلك الكيفية من اليأس والقلق أيضاً بتفسير هذه الآية .

مثل هذه الوقائع التي تدلّ على قوة الشيخ الروحانية ، والإشراقية ، ومثل هذه الرؤى والإشارات التي تدلّ على قبوله عند الله ـ وفيها إشارة للطالبين الصادقين إلى شخصه ـ توجد بكثرة وذكرها يوجب الإطالة .

استعرضت في هذا الكتاب نماذج ووقائع عالية من إخلاصه ، وصلته بالله ، وزهده وتوكله ، واستقامته على الشريعة ، وعشقه وحّبه لله ، وعلومه الصحيحة وتحقيقاته العالية ، تأثير صحبته ، وإصلاحه وإرشاده ، ما هو أعلى وأرفع من هذه الكشوفات والكرامات والوقائع الغريبة . . .

«لست ليلاً ، ولا أعبد الليل حتى أتحدث عن الأحلام ، ولكني غلام للشمس ، وكل ما أتحدث ، أتحدث[١] عنه»[٢] .

* * *

(١) ترجمة بيت في الفارسية .

(٢) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» (٣٥٠ ـ ٣٥١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لا ريب أن الله عز وجل يمنح بعض عباده فراسة صادقة ، فيدرك من الأمور ما لا يدركه غيره ، وهذا لا يخص الصوفية فقط ، الذين يدّعون أن المكاشفة لا يحصل عليها الإنسان إلا بالمجاهدة المضنية والرياضة الشاقة .

فهذا القدر من الفراسة الصادقة يتمتع به بعض عباده بفضله سبحانه وتعالى .

أما أن يفخّم أمر المكاشفة ، وتوصل حدودها بعلم الغيب ، فهذا مرفوض عقلاً وشرعاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

«فنقول : صفات الكمال ترجع إلى «ثلاثة» : العلم ، والقدرة ، والغنى . وإن شئت أن تقول : العلم ، والقدرة ، والقدرة إما على الفعل وهو التأثير ، وإما على الترك وهو الغنى ، والأول أجود . وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده ؛ فإنه الذي احاط بكل شيء علماً ، وهو على كل شيء قدير ، وهو غني عن العالمين .

وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام : ٥٠] وكذلك قال نوح عليه السلام [هود : ٣١] . فهذا أوّل أولي العزم ، وأولّ رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض . وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم كلاهما يتبرأ من ذلك . . .

. . . فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ، ولا يملك خزائن الله ، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال ، إن هو إلا متبع لما أوحى إليه ، واتباع ما أوحى إليه هو الدين ، وهو طاعة الله ، وعبادته علماً وعملاً بالباطن والظاهر ، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علّمه إياه ، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه ، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس»(١) .

هذا موقف الأنبياء الموحي إليهم من علم الغيب ، فليتنبه مريدو الصوفية من الدعايات المغرضة للدعاوي الجوفاء ، وليقفوا عند حدّهم ، وإلا يقعون في محظورات شرعية خطيرة ، نتيجتها وخيمة . والعياذ بالله !!

* * *

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وحدة الوجود ووحدة الأديان
والدفاع عن ابن عربي وأمثاله

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ونقولاته عن مشايخه تأويل وحدة الوجود وبيان وحدة الأديان ، والدفاع عن ابن عربي وأمثاله :

وإليكم بعض الأمثله من كتاباته :

١ ـ نقل الأستاذ الندوي تحت عنوان «إشكال على عبارة الشيخ الأكبر وحلّه» عن الشاه محمد يعقوب ، إنه قال :

«كتب الشيخ الأكبر في مكان ما أن الطرق كلها تؤدي إلى الله ، فأشكل ذلك على بعض الناس إشكالاً كبيراً بأنه مشير إلى وحدة الأديان والله قال :

﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود : ٥٦] لا إشكال عندي على ذلك ، ومثاله :

نادي مناد الناس : تعالوا ! ففرّ الناس إليه من كل حدب وصوب ، ولكن الطرق بحكمها مستقيّمة ومنحرفة أدّتْ إلى أن بعضهم تاهوا في الأشواك ، وبعضهم وقعوا في الحفرة ، والبعض الأخر وصلوا إليه بطريق مستقيم . لا تقصير في ذلك للنداء ولا المنادي . . .»[(١)] .

٢ ـ نقل الأستا ذالندوي تحت عنوان «الأحوال والكيفيات موقّتة» عن الشاه المجددي أنه قال :

«إن حقيقة الماء أن يكون بارداً مبرّداً ، وإن سخن يقال : ماء ساخن . ولكنه بعد برودته يرجع إلى أصله .

. . . وهكذا يُغلبُ السالك على أمره من العبادات والمجاهدات والكيفيات والتجلّيات ، وربّما يخرج من لسانه «سبحاني ما أعظم شأني» ـ أو «ليس في جبتي إلا

---

(١) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (١٢٨ ـ ١٢٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الله» ـ ولكن هذه الأمور تكون موقته وإضافية كالماء الساخن ، ومهما يقال : إنه ساخن ، إنه نار ، ولكنه ماء ، ويترك على حاله حتى يبرد كما كان من قبل»[١] .

٣ ـ ومن ملفوظات الشاه محمد يعقوب أنه قال :

«يؤاخذ الناس على الألفاظ ولا يرونها في أي حالة صدرت؟

قال رجل : إن القطَّ أكبر من قدّى ، فتخاصم الناس على عدم وجود مثل هذا القط ، ولكنه لو أنزل القطّ على الأرض لانتهى الإشكال .

هكذا أقوال المشايخ الكثيرة التي صدرت في حالات خاصة بعد مشاهدة أمر من الأمور ، لا تفهم حتى يراعي محل وقوعها . . .»[٢] .

٤ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجدّدي أنه قال :

«لقد ذكر مجدّد الألف الثاني (الإمام السرهندي) ـ رحمه الله ـ أيضاً مراحل المعرفة والسلوك ، ولا ينكر على وحدة الوجود ، ولا يطعن على أهلها ، لأنه يقول : إنها منزلة في طريق السالك ، وقد كنت عليها إلى مدة ثم سيّرني الله منها إلى الأمام . . .»[٣] .

٥ ـ نقل الأستاذ الندوي عن ملفوظات المجدّدي أيضاً أنه قال :

«لا يمكن ترجمة الكلام الصحيحة إلا بعد معرفة حال المتكلّم وموقع كلامه . . . هذا هو الحلّ لوحدة الوجود ، والنزاعات الأخرى الكبيرة ، لأن الكلام لا يفهم إلا بفهم حال المتكلم ، ويلاحظ أنه كان على أيّ مقام ، وأي كيفية طرأت عليه حين كلامه؟ . . . .»[٤] .

٦ ـ ذكر الأستاذ الندوي هيام الجلال الرومي في البحث عن «التبريزي» فقال :

---

(١) المصدر المذكور (ص١٣٦) .

(٢) المصدر المذكور (ص١٣٦) .

(٣) المصدر المذكور (ص١٥٠) .

(٤) المصدر المذكور (ص٢٣٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«خرج الشيخ إلى الشام في البحث عن «شمس الدين» فلما لم يجده قال :

«أنا وشمس ليسا شخصين»

ثم رجع إلى الروم، وأقام في «القونية»، ثم هاج عشقه وسافر إلى دمشق في البحث عنه، ورجع إلى «القونية»، وطاف بخياله في هذه المرة أنه عين «الشمس»، ولم يكن هناك البحث عن «الشمس»، بل كنت أبحث عن نفسي . . . وما كان يوجد في الشمس يوجد نفسه فيّ . . .»[١] .

٧ ـ ذكر الأستاذ الندوي انتقاد الرومي أهل الحكم والسلطة، ونقل من أبياته الفارسية ما معناه :

إن الحكم إذا كان في يد شارب الخمر * لا جرم أن ذا النون يسجن * وإذا كان القلم بيد غدّار * لا جرم أن (حسين بن) منصور (الحلاّج) يصلب . * وإذا كان السفهاء هم أولي الأمر * يلزم أنهم يقتلون الأنبياء[٢] .

٨ ـ قال محمود الغراب ـ وهو يردّ على الشيخ الطنطاوي في مؤاخذاته على كتابه : «شرح كلمات الصوفية» ـ :

«أما قوله عن كتابي «شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية» أني لو جعلت موضوع هذا الكتاب في الدعارة والفسق بأبشع أشكالها لكان أقل ضرراً مما جاء فيه، وقوله بأنني درت على المكتبات فجمعت الأقوال التي يشبهها ببيانه المهذب بالزبالة، وقوله : إنه قرأ كتابي فلم يجد أصرح ولا أوقح ولا أجرأ على الله ولا أكفر مما جاء به، ثم نعتني بأنني لو صدقت في إرسال نسخة من هذا الكتاب إلى الجامعات السعودية وإلى الشيخ ابن باز «بأنه بلغت بي الوقاحة وقلة الحياء وصفاقة الوجه» لإرسال هذه الكتب إلى غير ذلك مما جاء في مقاله وحديثه الإذاعي ـ فأقول : لقد استنفذ الشيخ أنظف ما في قواميسه من الأدب والأخلاق وقدّمه للناس، وليس لي ردّ عليه إلا بإيراد

---

(١) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

(٢) المصدر المذكور (١/ ٣٨٢ ـ الديوان : ص ١٣١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ما قاله علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن هذا الكتاب الذي يدعو لإحراقه ، مع إرسال صورة من كل رسالة إلى الجريدة لتكون وثيقة لديها تدلّ على ما أشير في المقال ، منها :

ـ أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ رئيس رابطة علماء الهند والعالم الإسلامي : «أرجو مواصلة هذا الإخراج العلمي الجميل لعلوم الشيخ الأكبر ولكم شكر الناس وجزاء من الله كريم»[١] .

* * *

(١) «شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية» (ص١٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

انحراف التصوف عن الصراط المستقيم

كثير من الناس يعتزّون بالتصوف ، ويعتبرونه أفضل وسيلة للتزكية والتربية ، ويسمونه «إحساناً» فإذا قيل لهم : هناك انحرافات كثيرة في التصوف .

قالوا : تصوفنا تصوّف سنيّ . وأين الانحراف والضلال في هذا التصوف؟ !

معلوم أننا بحثنا في هذا الكتاب موضوع «التصوف السنّي» الذي يؤيدّه الأستاذ الندوي ، ويعتبر كبار أهله من رجال الفكر والدعوة في الإسلام .

ومع هذا ، نرى في هذا التصوف ما نرى من مخالفات وانحرافات من واقع كتاباته ، فضلاً عن أن نعتمد على كتابات الآخرين .

وإليكم بعض الإشارات إلى مواطن الضعف ، ومواضع الانحراف في هذا التصوف :

١ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الشيخ عبد القادر الراي فوري أنه قال :

«رؤية الأنوار ليست بضرورية ، وهي تحصل لغير المسلمين أيضاً .

وكيف يكون ذلك الشيء عياراً للفضل والكمال الذي يوجد في غير المسلمين أيضاً . .

وماذا يكون ما به الامتياز بيننا؟

هنيئاً لتلك الطبائع التي لا ترى شيئاً ، وتصل إلى مقصودها ، لأنه ليس هناك خطر للانحراف ، بغض النظر عن أولئك الذين يشاهدون الأنوار فهم على خطر الانحراف والضلال»[(١)] .

٢ ـ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : الفناء عن شهود السّوى (أي وحدة الشهود)[(٢)] فقال :

---

(١) «سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري» للندوي (٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ مسودة علي أحمد) .

(٢) «وحدة الشهود» هي الفكرة التي قدمها الشيخ أحمد السرهندي إزاء عقيدة وحدة الوجود ، وأيدها الأستاذ الندوي بأسلوب أوآخر . تقدم الرد عليها في ترجمة السرهندي مفصلاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

« . . . ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضالّ ضلالاً مبيناً»[1] .

* * *

لا ينتهي الأمر إلى هذا ، بل وقد صرّح بعض الصوفية بعقيدة وحدة الوجود نهاراً وجهاراً ، ووقعوا في كثير من المخالفات العقدية والشرعية .

ومع هذا كلّه ، يُعتبرون من أعلام تأريخ الدعوة والعزيمة ، ويوصفون «بالتزامهم للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، وحرصهم على اتباع السنة ، وغيرتهم على الدين»[2] .

٣ ـ قال شيخ الإسلام :

«أما الزهد في النافع فجهل وضلال ، كما قال النبي ﷺ : «احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن»[3] .

* * *

كم يزهد الصوفية في النافع من العبادات ، والمساكن ، والمأكولات من الطيبات التي أحلّها الله عزّ وجلّ لعباده .

ـ فهم يبتدعون من العبادات والأذكار ما لا دليل عليه من الكتاب والسنة .

ـ ويفضلون السياحة في القفار والبراري ، ويسكنون في الأودية والجبال ، ويتركون الجمع والجماعات والأعياد عمداً .

ـ ويأكلون من الخبز الجاف ، أو من أوراق الشجر ما لا تأكله إلا البهائم[4] .

ولا ريب أن الزهد في النافع على غير هدي من الكتاب والسنة .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣/ ١١٩) .

(٢) راجع «المسلمون في الهند» للندوي (ص١٣٣) . وقد تقدمت الأدلة على هذه الأمور من واقع كتابات الأستاذ الندوي .

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١٠/ ٥١١ ، ٥١٤ ـ ٥١٥) والحديث جزء من حديث رواه مسلم (رقم ٢٦٦٤) عن أبي هريرة : «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، واحرص على ما ينفعك . . .» ـ وفيه : «ولا تعجز» .

(٤) كما قال الإمام ابن الجوزي . وتقدمت الأدلة على هذه الأمور من واقع كتابات الأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٤ ـ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أولئك الزهّاد الجهّال والعبّاد الضلاّل الذين يقيمون في الكهوف والمغارات ، من غير أن يؤذَّن ، وتقام فيهم الصلوات الخمس ، ويتعبّدون بعبادات لم يشرعها الله ورسوله ، ثم قال :

« . . . فهؤلاء أهل البدع والضلالات من حزب الشيطان ، لا من أولياء الرحمن ، فمن شهد لهم بولاية الله ، فهو شاهد زور كاذب ، وعن طريق الصواب ناكب»[١] .

* * *

ـ هناك من الصوفية من قضى اثنتى عشرة أو ثلاثين سنة[٢] في الأودية والجبال ، ولم يره أحد من الناس خلال هذه المدة الطويلة !

ـ ومنهم من خيمّ في الغابة ، ومارس رياضات شاقة ، ومجاهدات شديدة للوصول إلى «الحق» !

ـ ومنهم اختار الغابة كمركز للعقيدة والهداية !

أمثال هؤلاء يعتبرون من كبار أولياء الله ، ويعدّون من أعلام تاريخ الدعوة والعزيمة ، بل يذكر بعضهم في مصافّ عباقرة الإسلام [٣] .

أليس هذا من شهادة الزور؟ !

بعد كل هذا ، يعتزّون بتصوفهم ، ويفتخرون بأهله ، ويستشهدون بقول الشاعر :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم　　　إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ويقولون : نحن صوفية ، نعم ! ولكن أين الضلال في تصوفنا؟

وأين الانحراف في طريقتنا؟

وليس يصح في الأذهان شيء　　　إذا احتاج النهار إلى دليل

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١٠/ ٤٤٨) .

(٢) على اختلاف الرواية بين الأستاذ الندوي وأبيه على الترتيب ، كما تقدّم .

(٣) تقدمت هذه الحقائق من واقع كتابات الأستاذ الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لقد أثبتت تجارب القرون الطويلة ، أن التصوف ليس منقذاً من الضلال ، وليس منبعاً للعقيدة والهداية ، لأن الواقع التاريخي للتصوف لا يؤيد هذه الادعاءات أبداً .

المنقذ الحقيقي من الضلال هو الاستضاءة من نور الكتاب والسنة على هدي السلف الصالح ، في العقيدة والعمل ، والمنهج والسلوك ، والاقتصاد والاجتماع ، والحكم والسياسة ، وغيرها من أمور المعاش والمعاد .

قال النبي ﷺ :

«تركت فيكم شيئين ، لن تضلّوا بعدهما : كتاب الله وسنّتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»(١) .

* * *

(١) الحاكم (٣/ ١٠٩ ، ١٤٨ ، ٥٣٣ ، عن أبي هريرة) راجع «الصحيحة» للألباني (رقم ١٧٦١) ، وصحيح الجامع (رقم ٢٩٣٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الرابع

العقائد

- الأشعرية الكُـلاّبية .
- الماتريدية الحنفية .
- وحدة الشهود (وحدة الوجود المتطورة)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الرابع
العقيدة بين الأشعرية والماتريدية

الأشعرية في كتابات الأستاذ الندوي :

* اعتبر الأستاذ الندوي كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن الأشعري (ـ ٣٢٤هـ) أوّل تصانيفه بعد خروجه من الاعتزال[١] .

* وأشاد الأستاذ الندوي بذكر «مذهبه وخدمته» ، فقال :

«ليس سر عظمة الأشعري في التأريخ ، وجلالة العمل الذي قام به ، في أنه دافع عن السنة دفاعاً قوياً ، ورد على المعتزلة ؛ فالذين تولوا ذلك كثير ، إن سر عظمته وعبقريته في أنه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين ؛ فلم يذهب كما ذهب المعتزلة إلى تمجيد العقل ، والإيمان بأن له سلطة لا تحد ، وأن له الحكم على ما يتصل بالذات والصفات وما وراء الطبيعة ، وأن له الكلمة الأخيرة النافذة في كل موضع ، ولم ير كذلك ـ كما رأى كثير من أهل عصره ـ أن الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وقوته ـ إلى حد ما ـ وازدراءه ، وأن السكوت عن هذه المباحث التي يثيرها المعتزلة وأضرابهم ، والتي نشأت بحكم تطور العصر ، والاحتكاك بالأمم والديانات أولى وأفضل ، بالعكس من ذلك ، هو عني بهذه المباحث ، لأنها كانت تزلزل العقيدة الإسلامية ، وتضعف الثقة بالدين ، وباحث المعتزلة والمتفلسفين ، وناقشهم في مصطلحاتهم ولغتهم العلمية ، وعمل بالكلمة المأثورة عن علي رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟»»[٢] .

* * *

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ١٢٣ ترجمة الأشعري) ، والإبانة (ص ١١ ـ ترجمة المؤلف) ، مكتبة دار البيان ، ط . أولى ١٤٠١هـ . (هذه الترجمة في أول الإبانة منقولة من رجال الفكر) .

(٢) رجال الفكر (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) ، والإبانة (ص ١٠ ـ ترجمة المؤلف) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أشار الأستاذ الندوي في هذين النصين إلى ما يهدف إليه من أمرين مهمين من مذهب الأشعرية . وهما :

(الأول) : هو أن «الإبانة» أول تصنيف للأشعري ، بعد خروجه من الاعتزال .

(والثاني) : أنه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة ، والمحدثين .

وكلا الأمرين يتعلق بقضيّة أخرى ، وهي : هل مرّ الإمام الأشعري ـ بعد رجوعه من الاعتزال ـ بطور ، أو طورين؟

* مذهب الأشعري[1] :

«اختلف العلماء والباحثون ـ بعد اتفاقهم على الطور الأول الذي هو طور الاعتزال ـ هل مر الأشعري بعد تحوله بطور أو طورين؟ ، ويمكن تحديد الأقوال كما يلي :

الأول : **أن الأشعري ـ بعد تحّوله ـ بقى على طور واحد** ، وأنه في هذه المرحلة تابع ابن كلاب ، لكن كانت له آراء مستقلة توسط فيها بين المعتزلة والمثبتة ، نشأ عنها ما يسمى المذهب الأشعري ، وهذا قول الأشعرية ، أما كتاب الإبانة فإما أن يتغافلوا عنه ، أو يقولوا بإثباته ، لكنهم يفسرون ما فيه من الإثبات بأن ذلك جاء على طريقة (التفويض) وأن هذا لا يتعارض مع القول بتأويل بعض الصفات [2] .

الثاني : أن الأشعري بعد تحوله مرّ بطورين :

---

(١) هذا المبحث مأخوذ من «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود (/ ٣٧٧ ـ ٤٠٩) باختصار .

(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٣) ، ولسان الميزان لابن حجر (٣/ ٢٩١) الذي يرى أن الأشعري مشى على طريقة ابن كلاب في كتابه الإبانة ، وهذا رأي ابن فورك الذي يرى أن أصولهما واحدة ، انظر : نص كلامه فيما جمعه من مقالات ابن كلاب ، نقض التأسيس المخطوط (١/ ٣٧ـ ٤١) . (المحمود) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أ ـ طور التوسط (أي بين المعتزلة والمحدثين) والسير على طريقة ابن كلاب .

ب ـ وطور الإثبات والتخلي عن طريقة ابن كلاب والسير على منهاج أهل السنة والجماعة كما في «الإبانة» .

لكن أصحاب هذا القول اختلفوا على قولين متعارضين :

أحدهما : أن الأشعري مر ـ أولاً ـ بطور التوسط والسير على طريقة ابن كلاب وألف في ذلك كتبه المختلفة التي اشتهرت وتناقلها الناس ، ثم رجع في الآخر إلى مذهب السلف من خلال تأليفه للإبانة وذلك في آخر عمره في بغداد (١) .

والآخر : العكس : وهو أن الأشعري ، انتقل أولاً إلى مذهب السلف ، ـ الذي يسمونه مذهب الحنابلة ـ فألف الإبانة في حال الحماس والاندفاع ، ثم بعد ذلك انتقل إلى الطور الأخير الذي توسط فيه ، وألف فيه كتبه ومنها اللمع ، فهؤلاء يبنون قولهم على أن الإبانة قبل اللمع (٢) .

---

(١) من الذين نصوا على أن الأشعري مر بثلاثة أطوار آخرها الرجوع إلى مذهب السلف ابن كثير كما نقل عنه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ٤) ، والشيخ محب الدين الخطيب في حواشيه على الروض الباسم (ص : ١٧٤) ، ومعارج القبول (١/ ٣٤٦) ، والمنتقي (ص : ٤١ ، ٤٣) ، والشيخ أحمد بن حجر أبو طامي في العقائد السلفية (١/ ١٤٣) ، والشيخ محمد الصالح العثيمين في القواعد المثلى (ص : ٨٠ ـ ٨١) ، ومصطفى حلمي في ابن تيمية والتصوف (ص : ١٦) وفي قواعد المنهج السلفي ط الثانية (ص : ٣٠) وغيرهم ، ومن الباحثين : هادي طالبي في رسالته أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف (ص : ٣٩) وما بعدها ، وخليل إبراهيم الموصلي في رسالته بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة (ص : ٣٩) وما بعدها ، ومحمد باكريم باعبد الله في مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت للسنجري (ص : ٨) من الدراسة وما بعدها . (م)

(٢) وهذا رأي الكوثري كما في تعليقه علي تبيين كذب المفتري (ص : ٣٩٢) ، وتعليقه على كتاب اللمعة للحلبي (ص : ٥٧) ، وحمودة غرابة في كتابه عن الأشعري (ص : ٦٧ ـ ٦٩) ، وفي مقدمة تحقيقه للمع (ص : ٦ ـ ٩) ، وهو رأي عرفان عبد الحميد في دراسات في الفرق والعقائد (ص : ١٤٨) ، وجلال موسى في نشأة الأشعرية (ص : ١٩٤ ـ ١٩٥) ، وأحمد صبحي في كتابه عن الأشاعرة (ص : ٤٥ ـ ٤٦) ، وفوقية محمود في مقدمة الإبانة (ص ٧٩ ـ ٨٠ ، ٩٠ ، ١٩١) ، والسقا في كتابه : الله وصفاته (ص : ١٠٠ ـ ١٠٣) . (م)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

*** وخلاصة أدلة من يرى أن كتاب «الإبانة» ألّفه الأشعري أولاً ما يلي :**

١ ـ قول ابن خلكان بعد ذكره لقصة رجوع الأشعري وانخلاعه من ثوب كان عليه : «ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين»(١) ، والإبانة هو الذي كتبه الأشعري على هذه الطريقة .

٢ ـ أن العادة أن الإنسان إذا انتقل من عقيدة إلى عقيدة يكون متحمساً لعقيدته الجديدة ، وأن الأشعري في أول فترة انتقاله كان متحمساً لعقيدة السلف ، يعيش رد فعل لحياته الأولى ، فمن الملائم ـ والحالة هذه ـ أن الأشعري قد ألف كتابه الإبانة ، التي يعلن فيها صراحة تمسكه بأقوال الإمام أحمد بن حنبل ـ ـ رحمه الله ـ(٢) .

٣ ـ أن المطلع على اللمع ، يرى أنه يمثل فترة نضوج فكري ، فهو يعرض فيه الأدلة والمناقشات بشكل جيد ، فالأشعري في هذا الكتاب أقوى حجة وبياناً فلذلك من المفترض أن يكون ألفه في مرحلته الأخيرة (٣) .

*** أن مجموعة من العلماء قالوا بأن الإبانة آخر مؤلفات الأشعري ، ومنهم :**

١ ـ إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي ذكر أنه صنف الإبانة في بغداد لما دخلها(٤) .

٢ ـ أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المتوفى سنة ٦٠٥هـ ، فإنه قال في رسالته في الذب عن الأشعري : «أما بعد : فاعلموا معاشر الإخوان ـ وفقنا الله وإياكم

---

(١) انظر : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية للدكتور عرفان عبد الحميد (ص : ١٤٨) ، وانظر الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص : ١٠٠) ، ونسبها إلى طبعة عبد الحميد من الوفيات ولكن بعد الرجوع إلى هذه الطبعة (٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) لم أجده فيها ، كما لم أجده في الطبعة الأولى (١/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧) ، ولا في طبعة دار صادر (٣/ ٢٨٥) . (م)

(٢) انظر : الأشعري : حمودة غرابة (ص : ٦٧ ـ ٦٨) ، ومقدمة اللمع له (ص : ٧ ـ ٨) ، والقضاء والقدر : للدسوقي (٢/ ٢٩٨) ، والأشاعرة : أحمد صبحي (ص : ٤٥ ـ ٤٦) . (م)

(٣) انظر : نشأة الأشعرية وتطورها (ص : ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ٢١٠) ، والقضاء والقدر للدسوقي (٢/ ٢٩٨) . (م).

(٤) انظر : رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس (ص : ١١٥) ـ ت الفقيهي . (م)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

للدين القويم وهدانا أجمعين للصراط المستقيم بأن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده»[١] .

٣ ـ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة من كتبه[٢] .

٤ ـ وابن قيم الجوزية ، نقل منه في بعض كتبه ، وأشار إلى أنه آخر مؤلفاته[٣] .

٥ ـ وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ذكر أنه آخر مؤلفاته فقال :

«وهو آخر كتاب صنفه وعليه يعتمد أصحابه في الذبّ عنه عند من يطعن عليه»[٤] .

٦ ـ وابن كثير كما نقل عنه الزبيدي[٥] .

٧ ـ والشيخ إبراهيم بن مصطفى الحلبي ، المتوفى سنة ١١٩٠هـ في كتابه «اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد»[٦] .

٨ ـ والشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني ، المتوفى سنة ١١٠١هـ كما في القول الجلي [٧] .

٩ ـ والشيخ خالد النقشبندي الشافعي شيخ مشايخ الألوسي كما في جلاء العينين[٨] .

١٠ ـ والشيخ نعمان خير الدين الألوسي في كتابه جلاء العينين[٩] .

---

(١) المصدر السابق (ص : ١٠٧) . (م)

(٢) من ذلك الرسالة المدنية ـ مجموع الفتاوي (٦/ ٣٥٩) ، والحموية ـ مجموع الفتاوي (٥/ ٩٣) ، ونقض التأسس المخطوط (١/ ٨٣) ، وغيرها . (م)

(٣) انظر : مختصر الصواعق (٢/ ١٣٦) ، ففيه أشار إلى أنه آخر مؤلفاته . (م)

(٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣) . (م)

(٥) انظر : إتحاف السادة المنفين (٢/ ٤) . (م)

(٦) (ص : ٥٧) . (م)

(٧) (ص : ٣٦) ـ ت سالم الدخيل ، ضمن مجلة كلية أصول الدين العدد الثاني ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠هـ وهو في (ص : ٢١٦) في ترقيم صفحات المجلة . (م)

(٨) (ص : ١٥٧) ـ ط المدني . (م)

(٩) (ص : ٤٦٢) . (م)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١١ ـ والشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على «المنتقى من منهاج الاعتدال»(١) .

وغيرهم (٢) ، وهؤلاء هم الذين نصوا على أن «الإبانة» آخر مؤلفات الأشعري أما الذين ذكروا الإبانة ونسبوها إلى الأشعري فكثيرون .

* هذه خلاصة أدلة الذين يقولون بتأخر الإبانة عن اللمع ، وهي كما يلاحظ أدلة علمية تعتمد على نقل العلماء وأقوالهم .

أما أدلة القول الأول فليس في واحد منها ما ينص على تأخر اللمع وتقدم الإبانة ؛ فعبارة ابن خلكان مجملة ، وجميع الذين يميلون إلى المذهب الأشعري يقولون إن كتبه كلها تسير على طريقة الفقهاء والمحدثين لا يفرقون بين الإبانة واللمع .

أما الدليل النفسي وأن الإنسان عند انتقاله يكون متحمساً فيقابله دليل نفسي آخر وهو التدرج الذي ورد في أدلة القول الثاني .

أما مسألة النضج ففي الإبانة مناقشات للمعتزلة لا تقل قوة عن ما في اللمع ، فيتبين بذلك أن الإبانة آخر مؤلفات الأشعري .

ويتبين أيضاً ضعف هذا القول الذي يقول : إن الأشعري رجع أولاً إلى مذهب السلف ثم استقر على التوسط»

---

(١) (ص : ٤١ ، ٤٣) . (م)

(٢) فقد رجّحه مجموعة من الباحثين منهم : راجح الكردي في كتابه «علاقة صفات الله تعالى بذاته (ص :١٤٢) ، ومحمد أحمد محمود في كتابه «الحنابلة في بغداد» (ص : ١٨٦) ، ورضا نعسان في علاقة الإثبات والتفويض (ص : ٤١ ـ ٤٤) ، وقد ذكر (ص : ٤١) أن فوقية محمود في تحقيقها للإبانة أثبتت أنه آخر مؤلفاته وهو وهم بل هي ترى العكس انظر مقدمتها للإبانة (ص : ٧٩ ـ ٨٠ ، ٩٠) [والشيخ حماد بن محمد الأنصاري في رسالته عن الأشعري ومذهبه ، وهي مطبوعة مع «الإبانة» طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة] .

ومن رجّحه من المستشرقين جولد تسيهر في العقيدة والشريعة في الإسلام (ص : ١٢٢) ، وكمدونالد كما جاء في الحنابلة في بغداد (ص : ١٨٦) . (م)

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ثم ذكر بعض تبعات الأشعري لابن كلاب ، فقال :

«فهذه الأدلة تدل على ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الأشعري وإن كان في الإبانة قد قرب كثيراً من مذهب أهل السنة إلا أنه قد بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب ، والله أعلم»[1] .

* * *

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (/ ٣٧٧ ـ ٣٠٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الماتريدية

ذكر الأستاذ الندوي ، أبا منصور الماتريدي ، في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري فقال :

«وقد نهض في نفس ذلك العصر ، في طرف آخر من أطراف العالم الإسلامي ـ في ما وراء النهر ـ إمام آخر من أئمة الكلام ، والمدافعين عن عقيدة الإسلام ، وهو الإمام أبو منصور الماتريدي (م٣٣٢هـ) ، وقد أقبل على علم الكلام كما أقبل الإمام أبو الحسن الأشعري في العراق ، وكان راجح العقل ، متزن الفكر حصيفاً ، وقد كان الأشعري دائماً في معارضة وأخذ ورد على المعتزلة ، فدخل في بحوثه وأفكاره ما قد لا يخلو من الغلو ، وقد زاد الأشاعرة بعده في الأمر ، وأضافوا إليه أشياء ، وقد جاء أبو منصور الماتريدي ، فحذف هذه الزوائد والالتزامات التي كان من الصعب إثباتها وإقامة الدليل عليها ؛ وكانت تحتاج إلى تكلّف وتأويل ، وتناول علم الكلام بالتهذيب والتنقيح ؛ حتى أصبح أكثر توسطاً واعتدالاً . وقد كان الخلاف بينه وبين الأشعري جزئياً ومحدوداً ، والمسائل التي خالف فيها الماتريدي الأشعري لا تزيد على أربعين مسألة[١] ؛ الخلاف في معظمها لفظي .

وكان الماتريدي مؤلفاً كبيراً ، وله مؤلفات عظيمة في الرد على الرافضة والقرامطة ، وكتابه «تأويلات القرآن» كتاب عظيم يدلّ على نبوغه وذكائه الباهر ، ورسوخه في العلم . . .»[٢] .

* أبو منصور الماتريدي :

ذكر الأستاذ الندوي فضل الماتريدي ، حتى على الأشعري في بعض المجالات ، فقال :

ـ إمام من أئمة الفن ، والمدافعين عن عقيدة الإسلام .

---

(١) ابن تيمية لمحمد أبي زهرة ، نقلاً عن الشيخ محمد عبده ، في تعلقياته على «العقائد العضدية» (الندوي) .

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ترجمة الأشعري) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ وكان راجح العقل متزن الفكر حصيفاً .

ـ ودخل الأشعري في بحوثه وأفكاره ما قد لا يخلو من الغلو ، وقد زاد الأشاعرة بعده في الأمر ، وأضافوا إليه أشياء ، وقد جاء أبو منصور الماتريدي ، فحذف هذه الزوائد .

ـ وتناول علم الكلام بالتهذيب والتنقيح ، حتى أصبح أكثر توسطاً واعتدالاً .

ـ وكان الخلاف بينه وبين الأشعري جزئيا ومحدوداً ، والخلاف في معظم المسائل لفظي .

ـ وله مؤلفات عظيمة في الرد على الرافضة والقرامطة .

قال الدكتور شمس الدين الأفغاني :

«ومن ناحية أخرى نرى الشيخ الندوي مع تظاهره بالعقيدة السلفية ، قد عظّم شأن الإمام أبي الحسن الأشعري (ـ ٣٢٤هـ) ، ورجّح طريقته على طريقة المحدثين ، وزعم أن «الإبانة» أول تأليف له بعد رجوعه عن الاعتزال[١] . كما نوّه بأبي منصور الماتريدي (ـ ٣٣٣هـ) إمام الحنفية الماتريدية الجهمية ورجّحه على الأشعري إمام الأشعرية المعطلة»[٢] .

ثمّ ذكر الدكتور شمس الدين الأفغاني الأدوار المهمة للماتريدية ، فقال :

«دور ندويّ : المدرسة الندوية الهندية لا تختلف عن المدرسة الديوبندية الفنجفيرية في كونها ماتريدية ، وعلى غير الطريقة السلفية .

وذلك أن إمام الندوية الشيخ أبا الحسن الندوي ـ مع تظاهره بالسلفية ـ قد بالغ في الثناء على الماتريدي وطريقته وكتبه ، ورجّحه على الأشعري[٣] .

فقد أبان الندوي عن حقيقة سلفيته بإكباره وإجلاله لماتريديته .

وما كل مخضوب البنان بثينة وما كلّ مصقول الحديد يمانيا[٤]

* * *

(١) راجع : الإبانة (ص ١١ ترجمة المؤلف) ، وتاريخ الدعوة والعزيمة (١/ ١٠٥ ـ ١١٤) ، ورجال الفكر ١٠/ ١١٧ ـ ١٢٩) ، و«جهود علماء الحنفية» (١/ ٧٤ تعليقاً) .

(٢) راجع : تاريخ الدعوة (١/ ١١٤) ، ورجال الفكر (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) ، و«جهود علماء الحنفية» (١/ ٧٤ ـ تعليقاً) .

(٣) راجع : تأريخ الدعوة (١/ ١١٤ ـ ١١٥) .

(٤) الماتريدية (١/ ٢٦٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وحدة الشهود

(وحدة الوجود المتطورة المهذبة)(١)

* التوحيد الشهودي (أو وحدة الشهود) :

قال الأستاذ الندوي :

«ويقول الإمام في رسالة أخرى ، كتبها إلى الشيخ فريد البخاري :

«إن التوحيد الذي يحصل للصوفية في أثناء سلوكهم ينقسم قسمين : التوحيد الشهودي ، والتوحيد الوجودي ، والتوحيد الشهودي عبارة عن رؤية واحد ، أي أن لا يكون شهود السالك إلا فرداً واحداً ، والتوحيد الوجودي عبارة عن اعتقاد وجود واحد ، وفناء كل ما سواه وعدمه» .

ثم قال (أي السرهندي) :

«مثل أن يطمئن قلب إنسان على وجود الشمس ، فلا يستلزم استيلاء هذا اليقين أن يعتقد عدم النجوم وفناءها ، ولكنه عندما يرى الشمس ولا يرى النجوم ، فإن مشهوده ـ حينئذ ـ ليس إلاّ الشمس ، ولكنه رغم ذلك لا يعتقد أن النجوم فانية معدومة ، بل يكون على يقين من أنها مختفية ، ومغلوبة بضوء الشمس وشعاعه»(٢) .

ويضيف (أي السرهندي) قائلاً :

«كان شيخنا المرشد الشيخ الكبير عبد الباقي ـ لمدة يسيرة ـ على مذهب التوحيد

---

(١) راجع «جهود علماء الحنفية» (١/ ٧٣) .

(٢) هذا التمثيل لوحدة الشهود ينّم عن عدم إلغائه لوحدة الوجود تماماً ، التي هي «تحقيقات جماعة كبيرة ذات شأن» عند الأستاذ الندوي (كما سيأتي في باب «الردود») وكذلك تقدّم دفاع الشاه المجدّدي عن ابن عربي وتأويل كلامه بنقل الأستاذ الندوي نفسه ، في مبحث «وحدة الوجود» في باب «الصوفيات» .

ولأجل هذا التفسير قالوا : إن وحدة الشهود التي قدمها السرهندي إزاء عقيدة وحدة الوجود ، هي وحدة الوجود المتطورة المهذبة . (كما سيأتي في باب «الردود») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الوجودي ، وقد أبدى ذلك في رسائله ، ولكن العناية الربانية تقدمت به من هذا المقام إلى مقام أعلى ، وهدته إلى الصراط السوي ، والطريقة الفسيحة التي نجا بها من ضيق هذه المعرفة»[1] .

* مركز السرهندي الاجتهادي والتجديدي في «التوحيد» عند الأستاذ الندوي ـ :

قال الأستاذ الندوي ـ وهو يقرر ما ذهب إليه السرهندي من إثبات وحده الشهود (أو التوحيد الشهودي) ـ :

«اختار الإمام السرهندي مذهباً رابعاً[2] إزاء هذه المذاهب الثلاثة ، وهو أن «وحدة الوجود» مقام يعرض للسالك خلال السلوك ، فيشاهد ـ عند ذاك ـ عياناً وجهاراً ـ أنه لا وجود هناك إلا لواجب الوجود ، وكل ما يراه الإنسان من وجود ، فهو وجود واحد ، وما سواه إلا «تنوعاته وتلويناته» وفي تعبير الشيخ محي الدين ابن عربي ، والعارفين المتذوقين لهذا المشرب الوجودي إنما هي «تنزُّلاته» .

ولكن لو حالف التوفيق الرباني ، ورافق الهدى النبوي ، وكان السالك صاحب طموح وعلو همة ، فإنه يفوز بمقام آخر ، وهو مقام «وحدة الشهود» .

وهكذا يضيف الإمام السرهندي ـ مع نقضه لنظرية وحدة الوجود ـ الذي كان مذهب غالب المتصوفين والحكماء المدققين ، والإشراقيين المتعمقين ، واعترافه بعلو كعب مؤسس هذه النظرية ـ علمياً ـ ورائدها الأكبر ، الشيخ محيى الدين ابن عربي ـ في كثير من العلوم والتحقيقات ـ إضافة جديدة ويكتشف عالماً جديداً يوافق عقيدة جمهور المسلمين ، ويتفق مع الكتاب والسنة والشريعة الإسلامية ، في جانب ، ويضيف شيئاً ـ بدون أن يرجع بالعلوم القهقري ، ويلغي تحقيقات جماعة كبيرة ذات

---

(١) الرسالة (رقم ٤٣ ، المجموعة الأولى ، وهي موجهة إلى الشيخ فريد البخاري) ، وعنها في «الإمام السرهندي» (ص ٢٥٦) .

(٢) هذا التعديل الذي أدخله السرهندي في عقيدة وحدة الوجود ، جعله الأستاذ الندوي مذهباً رابعاً . وليست وحدة الشهود إلا وحدة الوجود المتطوّرة ، كما سيأتي إن شاء الله .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شأن ووعلومها ومداركها[١] ـ ينسجم مع التحقيقات والكشوف الأخيرة في الأنفس والآفاق ، ويتلاءم مع النصوص الشرعية ، والأصول القطعية ، ويطابق بينها جميعاً»[٢] .

* رأى العلماء في التوحيد الشهودي :

هذا هو رأي الأستاذ الندوي في «التوحيد الشهودي» أو وحدة الشهود التي اعتبرها غيره وحدة الوجود المتطورة المهذّبة .

قال الدكتور شمس الدين الأفغاني :

«كما أفرد الندوي الجزء الرابع من كتابه «تاريخ الدعوة والعزيمة» ـ وهو الثالث من «رجال الفكر» ـ في ترجمة أحمد السرهندي ، الملقب ـ عندهم ـ بمجدد الألف الثاني ، ومؤسس الطريقة النقشبندية المجدّدية (ـ ١٠٣٤هـ) ، وأجلّه نهاية الإجلال ، مع أنه من كبار وحدة الشهود ، التي هي وحدة الوجود المتطورة المهذّبة»[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في التوحيد الشهودي :

« . . . فهذا حال ناقص ، قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله . ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي ﷺ ، وللسابقين الأوّلين ، ومن جعل هذا نهاية السالكين ، فهو ضال ضلالاً مبيناً .

وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض ، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك»[٤] .

* * *

---

(١) لأجل هذا الاهتمام بعلوم ابن عربي ومداركه شكر الأستاذ سعي محمود الغراب في إخراج علوم «الشيخ الأكبر» (كما تقدّم) .

(٢) الإمام السرهندي (ص٢٥٢) .

(٣) جهود علماء الحنفية (١/ ٧٣) وراجع باب «الردود» في آخر هذا الكتاب .

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام (٣/ ١١٨ ـ ١١٩) ، وراجع ما تقدم من مبحث «وحدة الشهود في نظر شيخ الإسلام» في ترجمة السرهندي في باب «تراجم الصوفية» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الخامس

التفسير

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التفسير

هناك تفاسير وردت لبعض الآيات عن مشايخ الأستاذ الندوي ، فنقلها في كتبه ، ومنها :

١ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الشاه محمد يعقوب المجددي «في تمثيل السلاسل الأربع» أنه قال :

«شبه الشاه أحمد سعيد [١] رحمه الله ـ في كتابه «الأنهار الأربعة» طرق السلاسل الأربع المختلفة وألوانها المتباينة ، بأنهار الجنة الأربعة التي ورد ذكر أوصافها المختلفة في القرآن : ﴿**فيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه . وأنهار من خمر لذة للشاربين . وأنهار من عسل مصفى**﴾ [محمد : ١٥] .

قال :

(أنهار من ماء غير آسن) هذه نسبة سهروردية .

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) هذه نسبة نقشبندية .

(وأنهار من خمر لذة للشاربين) هذه نسبة جشتية .

(وأنهار من عسل مصفّى) هذه نسبة قادرية .

وما يوجد في هذه المحاكمة من الجامعية والتوازن يعجبني كثيراً ، وما ينقل من وقائع الهداية والتأثير من قبل الخواجه معين الدين الجشتي ، والخواجه نظام الدين الأولياء [٢] ، وما ينسب إليهما من الخوارق والكشوفات كل ذلك مظهر لإخلاصهما ، وتوجيهما ومحبتهما ، ومظهر لهذه النسبة» [٣] .

٢ ـ نقل الأستاذ الندوي تحت عنوان «إشكال على عبارة الشيخ الأكبر وحلّه» عن

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمتهما ، وهما من كبار صوفية الهند ، ومن رجال الدعوة والعزيمة عند الأستا ذالندوي .

(٣) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص ٨٥) وقد تقدم ذكره عند بيان «التصوف وطرقه» في باب «الصوفيات» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشاه محمد يعقوب أيضاً أنه قال :

«كتب الشيخ الأكبر في مكان ما ، أن الطرق كلها تؤدي إلى الله فأشكل ذلك على بعض الناس إشكالاً كبيراً بأنه مشير إلى وحدة الأديان والله قال :

﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود : ٥٦] ولكنه لا إشكال عندي على ذلك ، ومثاله :

نادى مناد الناس : تعالوا ، ففر الناس إليه ، من كل حدب وصوب ، ولكن الطرق بحكمها مستقيمة ومنحرفة وأدت إلى أن بعضهم تاهوا في الأشواك ، وبعضهم وقعوا في الحفرة ، وبعضهم وصلوا إليه بطريق مستقيم . لا تقصير في ذلك للنداء ولا المنادي . . .»(١) .

٣ ـ قال الأستا ذالندوي ، بعدما ذكر كمالات الشيخ عبد القادر الراي فوري التي هي أرفع عنده من الكرامات :

«يكثر الإشراف على الخواطر (أي الكشف على الخيالات والكيفيات القلبية) عند أهل القلوب ، وقد جرّب ذلك أكثر خدّامه قليلاً أو كثيراً وقد كتب أحد منهم : إني جرّبت عشرينات المرات ، بأنه طاف بخلدي شيء خاص في لحظة ، فانكشف ذلك على الشيخ في لحظة أخرى .

قال الأستاذ الندوي : «وقد جرّب الكاتب نفسه (أي الندوي) ذلك عدة مرات ، لما غلبت عليّ أي كيفية أو إحساس أزاله الشيخ بكل رفق ومحبة .

وذات مرة في زمن قيام «بهت هاوس» (منزل بهت) صليت العشاء (لعله كان يوم العيد) في حالة وحشة شديدة وانقباض عجيب ، وغلب عليّ الخيال بأنه لم يكن التفات الشيخ في العشرة الأخيرة من شهر رمضان هذا ، كما كان يحصل من قبل .

استولت عليّ حقارة نفسي ، وهوان حياتي ، فناداني بعدما سلّم ، فحضرت إليه ، وقال يا شيخ ما هو تفسر آية ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ

---

(١) المصدر المذكور للندوي (١٢٨ ـ ١٢٩) . وقد تقدّم ذكره عند بيان «وحدة الوجود ووحدة الأديان والدفاع عن ابن عربي» في باب «الصوفيات» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

نَصْرُنَا ﴾ [يوسف : ١١٠] أنا غفلت عن الكيفية التي كنت فيها ، وفهمت أنه استفسار علمي محض فبدأت أسرد بعض ما حضر لي حينئذ من أقوال المفسرين في تفسير الآية ، ولكني رأيت أنه غير ملتفت إلى جوابي ولم يطلب مني أي شيء علميّ ، ولما خرجت من عنده تبدّلت الكيفية ، وكان القلب يشعر بالسكينة والبشاشة ، فأحسست آنذاك أن تلك المناداة وهذا الاستفسار كانا لمجرد إزالة تلك الكيفية التي غلبت عليّ ، وكان ذلك محض إظهار الرفق والمحبة ، وعلاج تلك الكيفية من اليأس والقلق أيضاً بتفسير هذه الآية .

مثل هذه الوقائع التي تدلّ على قوة الشيخ الروحانية ، والإشراقية ، ومثل هذه الرؤي والإشارات التي تدلّ على قبوله عند الله ـ وفيها إشارة للطالبين الصادقين إلى شخصه ـ توجد بكثرة ، وذكرها يوجب الإطالة[١]» .

* * *

(١) سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري للندوي (٣٥٠ ـ ٣٥١) وقد تقدم ذكره في مكاشفة القلوب والإشراف على الخواطر في باب «الصوفيات» .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب السادس

الحديث والسنَّة

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب السادس
الحديث والسنة

خطوط عريضة لتدريس السنة والحديث :

قال الأستاذ الندوي ـ وهو يرسم خطوطا عريضة لجامعة الدعوة والإرشاد ـ :

«ثم السنة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بها الطالب بقيمتها العملية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الإنساني على أسس إيمانية جديدة ـ وتكون العناية بنواحيها الخلقية والاجتماعية ، وتكون السيرة وتربية النفوس ووصلها بالله أبرزمن ناحيتها الفقهية ، وهي ناحية مهمة لا شك ، ولكن لا ينبغي أن يكون البحث في المسائل الخلافية على حساب موضوعها ورسالتها وهي تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق والإقبال إلى الآخرة والزهد في حطام الدنيا والرغبة في العبادة ، وأن ينشأ الطالب على حب الاقتداء برسول الله ﷺ ويتبع سنته في الحياة كلها لا في قضايا معدودة اختلف فيها الأئمة والمجتهدون واختلفت فيها الأحاديث والروايات .

ويجب أن تراعي الشبهات التي وجهت إلى مكانة السنة في الشريعة الإسلامية وحجية الحديث وتاريخ تدوينه وما أثاره ويثيره المستشرقون بين حين وآخر من أسئلة ومناقشات سوف يواجهها المتخرجون في هذه الجامعة والدعاة إلى الله والعاملون في الحقل الإسلامي ويجب أن يكون على بينة من أمره وثقة بهذه المؤسسة العظيمة التي تنبثق من كتب السنة ومكتبة الحديث . ويجب أن يتخرج الطالب من هذه الجامعة . واسع الصدر رحب الذراع ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين ولمّ شتاتهم ويقصر الفجوة بين المذاهب وأهلها ، حسن الظن بالأئمة المجتهدين والسلف المتقدمين ، كارهاً بعيداً عن توسيع الفجوة بين طوائف هذه الأمة وطبقاتها وبين الماضي والحاضر غير مثير للضغائن والأحقاد القديمة ، والأمة لا تطيق اختلافاً جديداً وإثارة للدفائن وما عفاه الدهر»[1] .

* * *

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية (٩١ ـ ٩٢ مقال «خطوط عريضة لجامعة الدعوة والإرشاد) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لنا نظرات في هذا التقرير تتلخص في النقاط التالية :

* **(الأولى) : موضوع الحديث والسنة** : موضوع الحديث والسنة موضوع عام يشمل جميع ما يحتاج إليه الإنسان من مهده إلى لحده ، من أمور المعاش والمعاد : (عقائد ، وعبادات ، وأحكام ، ومعاملات ، وحقوق وواجبات ، وأخلاق وآداب) والإنسان المسلم مأمور باقتداء النبي ﷺ في كل صغير وكبير ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر :٧] حتى لا يختل توازن التربية على منهاج النبوة .

رأينا ، كم من «واصل بالله» و«زاهد» في حطام الدنيا ، ومشغول بتربية النفس بمجاهدات مضنية ورياضات شاقة على غير هدي النبي ﷺ وضلوا في متاهات وحدة الوجود ووحدة الشهود والحلول والاتحاد وأفنوا حياتهم على غير عقيدة الكتاب والسنة ، التي ربى النبي ﷺ أصحابه عليها .

ولذا تجب العناية ، عند تدريس الحديث والسنة ، بالنواحي العقدية والعبادية والخلقية على السوء ، حتى يتربىّ الطالب على حب الاقتداء بالنبي ﷺ في أموره كلها .

(الثانية) : الاختلاف في الحديث : إذا عورض الحديث المقبول ، فلا يخلو من أمرين :

(الأول) : إما أن يكون معارضه مقبولاً مثله .

(والثاني) : أو يكون معارضه مردوداً ، فهذا لا أثر له ، لأن القوي لا يؤثر فيه الضعيف .

فإن كانت المعارضة بمثله ، فلا يخلو من أحد أربعة أمور :

١ ـ الجمع بين مدلوليهما بغير تعسف إن أمكن ، فهو النوع المسمى «مختلف الحديث»[١] .

٢ ـ فإن لم يكن الجمع وعرف التاريخ ، وثبت المتأخر به ، أو بأصرح منه فهو (الناسخ) ، والآخر (منسوخ) .

---

(١) وقد ألفت في «مختلف الحديث» عدة من المؤلفات ، منها :
«اختلاف الحديث» للإمام الشافعي ، و«تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة ، و«مشكل الآثار» للطحاوي ، و«مشكل الآثار» لابن فورك .
وقد تعرض لبيان هذا النوع ـ غير شراح الحديث ـ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاباته ، والإمام ابن القيم خاصة في «إعلام الموقعين» ، و«الصواعق المرسلة» .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ وإن لم يعرف التاريخ ، ويمكن ترجيح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح [١] المتعلقة بالمتن أو بالإسناد يتعين المصير إليه .

٤ ـ وإن لا يمكن الترجيح ، فيتوقف من العمل بأحد الحديثين ، حتى يتبين الأمر . والله أعلم [٢] .

هذه هي المخارج المعقولة والمحامل الصحيحة للأحاديث والسنن الثابتة المتعارضة في الظاهر ، التي بينها علماء الحديث والمصطلح .

أما أن يأتي متعصبة المذاهب فيختلقوا تعارضاً في الأحاديث الصحيحة اعتماداً على الآراء المذهبية ، أو ينكروها بدليل الاختلاف فيها ، أو يؤولوها ـ والتأويل نوع من الإنكار ـ حسب هواهم ، ففي مثل هذه الأحاديث لا يقال : إنها اختلف فيها الأئمة والمجتهدون» .

وأسلوب الأستاذ الندوي ـ ههنا ـ ينم عما يراه من ترك الأمور الفقهية على ما هي عليه ، وعدم مناقشتها في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة .

إذا كان الأمر كذلك ، فكيف ينشأ الطالب على حبِّ الاقتداء برسول الله ﷺ؟

وعلى سبيل المثال : قال النبي ﷺ :

«وصلوا كما رأيتموني أصلي»[٣] .

* فمن الطلبة من تعلم صلاته على رأي المذهب الفقهي الخاص ، فلا يتقيد في صلاته بالسنن الثابتة (كالتراصّ في الصفوف ، ورفع الدين ، ووضعهما على الصدر ، والجهر بالتأمين وغيرها) التي وردت في الأحاديث الصحيحة . ولا يتفكر في يوم من الأيام أن يعمل بهذه السنن أيضاً لثبوتها ، تعصباً لمذهبه .

---

(١) وجوه الترجيح كثيرة ، وقد أبلغها الحازمي في «الاعتبار» ، وأبو الفضل العراقي في نكته على مقدمة ابن الصلاح أكثر من مائة وجه .

(٢) راجع «نزهة النظر» للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٠٢ ـ ١٠٨ طبعة على عبد الحميد) .

(٣) البخاري (رقم ٦٣١) عن مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فأي ضمان لمثل هذا الطالب أنه ينشأ على حب الاقتداء برسول الله ﷺ في أمور أخرى؟

وفي أي شيء يقتدي برسول الله ﷺ، وهو لم يستطع أن يتنازل عما تعوّد عليه، لما صحّ عنه ﷺ؟

* ومن الطلبة من تتبّع صلاة رسول الله ﷺ، وحاول أن يصلّي كما ورد في الأحاديث الصحيحة والسنن الثابتة، استجابة لندائه: (صلوا كما رأيتموني أصلّي).

فهل يعاب مثله على أنه يتبع السنن في «قضايا معدودة اختلف فيها الأئمة والمجتهدون، أو اختلفت فيها الأحاديث والروايات».

أليس هناك مخارج صحيحة لاختلاف الأئمة والمجتهدين، أو لاختلاف الأحاديث والروايات؟

وهل تبقى إمامة الأئمة، واجتهاد المجتهدين مع مزاحمتهم للأحاديث الثابتة، بعد هذه المخارج الصحيحة والمحامل المعقولة؟

(الثالثة): حجية الحديث ومكانة السنة: ما أثاره المستشرقون من اليهود والنصارى، ومن لفّ لفّهم من المسلمين ـ شرقاً وغرباً ـ من شبهات حول السنة، وتشكيك في حجية الحديث، وإيجاد تعارض بين الأحاديث وتقليل شأنها في أعين الناس، ليس جديداً، بل توجد جذوره في أفكار الفرق القديمة، كالجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والشيعة، التي لا تزال تبيض وتفرخ حتى الآن.

فكما يجب على الطالب النبيه أن يتفطّن لأساليب المستشرقين ضدّ السنّة، ويتسلح للدفاع عنها من جميع الجبهات.

كذلك يتحتم عليه أن لا يغفل عن المؤامرات الداخلية التي تتمثل في أصول وقواعد وضعت لردّها، حماية للآراء المذهبية، ودفاعاً عنها ـ وهي متأثرة في وضعها بالفرق القديمة، خاصة «المعتزلة» منها ـ [1].

ومن هذه الأصول:

---

(١) راجع الأمثلة المستفيضة في «زوابع وجه السنّة قديماً وحديثاً» (٣١٧ ـ ٣٨٨).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ الخاص مبيّن ولا يلحقه البيان .

ـ والزيادة نسخ .

ـ والعام قطعي كالخاص .

ـ ولا ترجيح بكثرة الرواة .

ـ ولا يجب العمل بحديث غير الفقيه إذا انسد باب الرأي .

ـ ولا عبرة بمفهوم الشرط والوصف أصلاً .

ـ وموجب الأمر هو الوجوب البتة [(١)] .

وكذلك القول بظنية خبر الواحد الذي يتغنى به كثير من الأصوليين ، دفعَ بعض سفهاء الأحلام إلى إنكار الحديث ، فعلى الطالب أن يعي هذه المؤمرات الداخلية والخارجية ضد السنة ، وينتبه إلى أنه قد يكون العَدُوّ الداخلي أكثر شراسة من العدوّ الخارجي ، ويُعدّ العدّة على مستوى الواقع[(٢)] .

(الرابعة) : كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة : جمع كلمة المسلمين ، ولمُّ شتاتهم ، وتقليل الفجوة بين المذاهب وأهلها : هدف سامٍ ومقصد عظيم .

ولكن ماذا يكون الأساس لتوحيد الكلمة؟

إذا كان الأساس هو السكوت عن بيان الحق ـ لأنه يفرّق كلمة المسلمين ويوسّع الفجوة بينهم ، ويثير الأحقاد والضغائن والدفائن التي عفا عليها الدهر ناسياً ـ أو متناسياً ـ ذاك الصراع الطويل عبر التأريخ ـ قديماً وحديثاً ـ بين أهل السنة وغيرهم من الفرق ، فهذا أمر لا يصدّقه العقل ولا النقل[(٣)] .

---

(١) راجع «حجة الله البالغة» (١/ ١٦٠ ـ ١٦١) .

(٢) راجع «زوابع في وجه السنة» (١٢٢ ـ ١٢٧ مع التعليق) .

(٣) فصّل الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ القول في مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد ، وفرّق بين النوعين ، فقال : «وقولهم : «إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ، ليس بصحيح ، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل ، أما الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً . إن لم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شعار توحيد الكلمة شعار قديم ، وتبنّاه أناس في العصر الحاضر أيضاً للتقريب بين الشيعة والسنة حيناً ، وبين المذاهب الفقهية حيناً آخر ، حتى بين الإسلام والنصرانية واليهودية في بعض الأحيان .

وبما أن هذا التقريب لا يقوم على أساس متين ، فسرعان ما يستفيد منه الباطل على حساب الحق ، ويرجع الأمر إلى ما كان عليه من قبل .

ولأجل هذا ، لا يمكن توحيد الكلمة إلا على أساس كلمة التوحيد ، ولا يتحقق هذا الهدف السامي إلا بالتحاكم إلى الكتاب والسنة : **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** [النساء : ٥٩] .

فعلى الطالب أن يبيّن الحق ، ويدافع عنه ، ولا يسكت عن الباطل بغية توحيد الكلمة . ولا ريب أن الأمة في أشد حاجة إليه ، وهي لا تطيق اختلافاً جديداً . ولكن الأسف على أن هذا الهدف الشريف لا يتحقق بالمجاملات ، والحق لا عهد له بها ، إلا تكون الخسارة من جهتين :

ـ التنازل عن الحق .

ـ وعدم الوصول إلى الغاية المطلوبة .

أما أدب الخلاف فلابد من مراعاته في البحث والمناقشة حتى يعطي كل ذي حقّ حقّه . وحسن الظن مطلوب حتى بآحاد الناس ، فكيف بالأئمة المجتهدين ، والسلف المتقدمين رحمهم الله تعالى .

* * *

=يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله ، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها ، والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحّوا بنقص حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة ، وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء؟ وأما إذا لم يكن في المسألة سنّة ولا إجماع ، وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً .

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد ، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم» (إعلام الموقعين : ٣/ ٢٨٨ دار الجيل) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* نماذج من الأحاديث في تأييد الصوفيات :

قلّما يورد الأستاذ الندوي الأحاديث في كتبه في تراجم الصوفية ، لأنها ليست محلاً لها . ولكنه يضطر ـ أحياناً ـ إلى الاستدلال بالأحاديث في تأييد الصوفيات ، فيقع فيما وقع فيه المتقدمون من الصوفية من إيراد الضعاف والموضوعات . وإليكم بعض النماذج منها :

١ ـ ذكر الأستاذ الندوي عن مرشده الشاه محمد يعقوب المجددي أنه قال :

«يبيّن الصوفية الكرام أنه جاء في الحديث القدسي[١] :

كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق»[٢] .

لا أدري مدى مكانة هذا الحديث عند المحدثين ، ولكنه ينقل عند الصوفية كثيراً . ويعلم منه أن الشيء الذي خلق أولاً هو «المحبة» ، فأحببت أن أعرف . . .»[٣] .

* * *

استدل الأستاذ الندوي بهذا الحديث الموضوع على مرامه ، فوقع في محظورين :

(الأول) : الاستدلال بالموضوع ، وهو يعرف أنه موضوع . وفي الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ : «من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين»[٤] .

---

(١) الحديث القدسي : هو ما يرويه النبي ﷺ عن الربّ عز وجل .

(٢) لما ذكر الأستاذ الندوي هذا الحديث في كتابه (الإمام السرهندي : ص ٢٤١ ـ العربية) قال معلقاً عليه : «هذا الحديث ـ أو معناه ـ قد كثر وروده في كلام الصوفية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، وتبعه الزركشي ، والحافظ ابن حجر في اللآلئ ، والسيوطي وغيرهم» (متستقاد من كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني (رقم ٢٠٦ والمقاصد الحسنة : رقم ٨٣٨) .

(٣) «ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي» للندوي (ص ٣٥٠) .

(تنبيه) : قال في هذا الكتاب (بالأردية) : لا أدري مكانة هذا الحديث عند المحدثين» ولكن في العربية ذكر كلام المحدثين في هذا الحديث . كما تقدم .

(٤) مسلم (باب وجوب الرواية عن الثقات ـ المقدمة) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(الثـــاني) : مخالفته بهذا الاستنباط نصاً صريحاً من حديث النبي ﷺ في أوّل الخلق .

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أوّل ما خلق الله القلم . فقال له : اكتب . قال : وربّ ماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .

يا بني[1] إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من مات على غير هذا ، فليس مني»[2] .

* * *

٢ ـ حديث : «لن يؤمن أحدكم حتى يقال : إنه مجنون»[3] . (ضعيف)

---

(١) خاطب به عبادة ـ رضي الله عنه ـ ابنه .

(٢) صحيح . أبو داوود (٥/ ٧٦ رقم ٤٧٠٠ ، السنة ـ القدر) ، والترمذي (القدر/ الرضا بالقدر) وأحمد (٥/ ٣١٧) .

(٣) الإمام السرهندي (ص ٢٨١) .
ثم قال الأستاذ معلقاً عليه : «ولفظ الحديث كما أخرجه الحاكم في المستدرك : «أكثروا ذكر الله : حتى يقولوا : مجنون» (ص ٤٩٩ ج ١) .
وقال الذهبي في التلخيص : صحيح . [هذا وهم ، لأن هذا الحديث ساقط من تلخيصه . وما زعمه قول الذهبي ، هو قول شرف الدين ، كما هو منصوص في المستدرك ، وسيأتي]
ورواه أحمد في المسند ، وابن حبان في الصحيح ، كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي» (الإمام السرهندي : ص ٢٨١ تعليقا) .
قال المحدث محمد ناصر الدين الالباني :
«ضعيف . قال الحاكم : صحيح الإسناد» كذا قال !
وأما الذهبي ، فقد سقط الحديث من «تلخيصه» المطبوع مع «المستدرك» .
فلم يتبين لي هل تعقّبه أم أقرّه . والأحرى به الأول لأمرين :
(أحدهما) : أنه الذي نعهده منه في غير ما حديث من أحاديث «درّاج» التي صححها الحاكم ، فإنه يتعقبه بدراج ، ويقول فيه : «إنه كثير المناكير» (وقد مضى أحدها برقم ٢٩٤ الضعيفة) .
(والثاني) : أنه أورد دراجا أبا السمح في «الميزان» وساق له الذهبي من مناكيره أحاديث . هذا أحدها .
ومنه تعلم أن تحسين الحديث ـ كما فعل الحافظ فيما نقله المناوى عنه ـ غير حسن . والله أعلم» (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : رقم ٥١٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ ذكر الأستاذ الندوي حديث :

«لا يسعني[١] سمائي ، ولا أرضي ، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[٢] .

٤ ـ وذكر حديث :

«إلهي أين أطلبك . قال : أنا عند المنكسرة قلوبهم»[٣] .

* * *

---

(١) بلفظ : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ، وسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع» .
ذكره الغزالي في الإحياء (٣/ ١٤) ، قال العراقي : «لم أر له أصلاً» (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار : ٢/ ٧١٢ ـ ٧١٣ رقم ٢٥٩٩) .

(٢) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ٢٨٠) .

(٣) «تأريخ الدعوة والعزيمة» (٣/ ٢٨١) .
وذكر الحديث في موسوعة أطراف الحديث النبوي ، وعزاه إلى «الاتحافات السنية» (ص٦٣ ط . مصر) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب السابع

الفقـــــه

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب السابع

الفقه

يضمن التحاكم إلى الكتاب والسنة الصحيحة جمع كلمة السملمين ، وتقليل الفجوة بين المذاهب الفقهية .

وقد أوصى الأستاذ الندوي في هذا الشأن بعدم إثارة الضغائن والأحقاد القديمة التي جربتها الأمة ـ على اختلاف مذاهبها ـ عبر العصور والأجيال وهي وصية عزيزة ونصيحة غالية .

ولكن الأستاذ الندوي نفسه ينحاز إلى مذهب فقهي خاص ، ويتغاضى أحياناً عن ذكر بعض الأعمال التي ثبتت بالأحاديث الصحيحة ، حتى لا يخالف هذا المذهب ، أو ـ على الأقل ـ لا يرمي بمخالفته من قبل أهله المتعصبين .

قال في كتابه «الأركان الأربعة» ـ وهو يتناول فيه بيان حِكَم الشريعة وأسرارها ـ :

«وكان أكثر استفادتي من كتاب (حجة الله البالغة) ، لشيخ مشايخنا شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي[1] ، وهو كتاب فريد في موضوعه ، وقد جاءت خلاصة ما كتبه في الأركان الأربعة وروحه في هذا الكتاب»[2] .

* وقد ذكر الإمام الدهلوي حِكَم هيئات الصلاة وأسرارها ، ومنها : رفع اليدين في الصلاة» ، و«التأمين بالجهر» ، لَما تواترت فيهما الأحاديث الصحيحة . ولكن الأستاذ لم يذكرهما لأسباب :

ـ إما لانحيازه إلى رأي فقهي خاص .

ـ وإما لاستخفافه بأمرهما .

ـ وإما لسببين معاً[3] .

---

(١) تقدمت ترجمته مفصلاً .

(٢) الأركان الأربعة للأستاذ الندوي (ص ٤ ـ المقدمة) .

(٣) حجة الله البالغة (٢/ ٩ ، ١٠) ، وقارن الموضعين بما في «الأركان الأربعة» (٣٤ ، ٤١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومعلوم أن المسألتين من مسائل الصلاة الحساسة ، المختلف فيها بين أهل الحديث السلفيين والحنفية في شبه القارة الهندية .

* مسألة الطلقات الثلاث :

قال الأستاذ الندوي :

«مسألة : إذا طلق أحد زوجته ثلاث طلقات في مجلس واحد (سواء بلفظ واحد أو بألفاظ متعددة) فمهما ارتكب المطلق بدعة باتفاق الأئمة وجمهور الأمة وخالف الشرع وأثم ، ولكن ما حكم هذه الطلقات؟ هل وقعت وبانت المرأة واستحالت الرجعة بحكم الشريعة ما لم تتزوج رجلاً آخر يتمتع بها ويطلقها؟ أو أن هذه الطلقات الثلاث تعتبر واحدة وتمكن الرجعة .

فمذهب الأئمة الأربعة وأئمة الفقه والحديث (الأوزاعي والنخعي والثوري واسحاق بن راهويه وأبي ثور والبخاري) وجمهور الصحابة والتابعين أن هذه الطلقات تقع من غير أن المطلق ارتكب بفعله هذا بدعة ومعصية . . .» .

ثم نقل عن النووي في «شرح مسلم» ، وابن رشد في «بداية المجتهد» ، وابن القيم في «زاد المعاد» أقوالاً تؤيد رأي هذا الفريق الأول ، فقال :

«إن أقوال هؤلاء الأعلام تستند إلى عدة أحاديث مرفوعة تثبت أن النبي ﷺ اعتبر هذه الطلقات الثلاث ، أو أكثر ، ثلاث طلقات وأفتى ببينونة المرأة» .

ثم مال إلى ترجيح هذا الرأي بقوله :

«تكلم الفريق الثاني في إسناد ومتون هذه الأحاديث ، ولكن الفريق الأول ردّ على ذلك في أسلوب المحدثين»[١] .

ثم ذكر مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو مذهب الفريق الثاني ـ فقال :

«أما مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض أصحابه وتلاميذه فهو أن هذه

---

(١) الحافظ ابن تيمية (ص ١٠٣ مع التعليق) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الطلقات الثلاث إنما تعتبر واحدة ، ويمكن معها الرجعة مثلما يمكن الرجل أن يرجع إلى زوجته التي طلقها واحدة ، أنه يقول «وهذا القول منقول عن طائفة من السلف من أصحاب رسول الله ﷺ مثل الزبير بن عوام وعبد الرحمن بن عوف ، ويروي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس ، وهو قول داود وأكثر أصحابه ، ويروى عن أبي جعفر محمد الباقر بن علي بن حسين وابنه جعفر الصادق ، ولهذا ذهب إلى ذلك من ذهب من الشيعة»(١) .

ويستدل شيخ الإسلام لتأييد مذهبه وإثباته بالقرآن والسنة والقياس(٢) .

ولكن استدلالات شيخ الإسلام هذه ـ عند الأستاذ الندوي ـ محجوجة بما رد عليه الفريق الأول في أسلوب المحدثين !!(٣) .

* شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة :

قال الأستاذ الندوي في مسألة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ـ وهو يبين موقف شيخ الإسلام ابن تيمية منها ـ :

«وقد كان ابن تيمية أفتى قبل سبعة عشر عاماً بأنه لا يجوز شدّ الرحال لزيارة القبور بما فيها قبر النبي ﷺ ، وذلك لأنه جاء في الحديث الشريف : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى»(٤) ، ثم أنه يفيض حسب عادته في بيان الحكم الشرعية في ذلك وما في خلاف ذلك من المضار

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام (٣ / ٦٣) .

(٢) الحافظ ابن تيمية (ص١٠٤) وقال : «وللاطلاع على البحث والاستدلال بتفصيل راجع «زاد المعاد» للحافظ بن القيم مبحث (من طلق ثلاثاً بكلمة واحدة) ج ٤ ، و «إغاثة اللهفان» [إعلام الموقعين : ٣ / ٤١ ـ ٦٣ له أيضاً . وراجع فتاوى شيخ الإسلام «المجلد ٣٣/ الطلاق ، و ٣٧/ ٣٠٦ ـ ٣٢٤ ، الفهارس] .

(٣) راجع «دعوة شيخ الإسلام» (٢/ ٤٥١ ـ ٤٧٢) و«تسمية المفتين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة» للدكتور سليمان بن عبد الله العمير (ط . دار العاصمة) وفيه ذكر خمسين مفتياً في هذه المسألة) .

(٤) البخاري (٣/ ٦٣) ، ومسلم (رقم ١٣٩٧) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والمفاسد ، وأن كلامه يتلخص[1] في أن الاهتمام الشديد بالسفر لزيارة القبور يفتح الأبواب والأعمال التي قد تفضي إلي الشرك ويعتقد كثير من الناس أن مثل هذه الزيارة عبادة وذريعة إلى التقرب إلى الله ، وعندما يفعلون ذلك يتعدّون حدود الشريعة ، وينفلت منهم حبل التوحيد .

وقد كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بحفظ قبره من العادات والتقاليد الجاهلية ، التي كانت شائعة منتشرة بين اليهود والنصارى حتى قال : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] . . .

. . . ولذلك لم يحب النبي ﷺ أن يدفن في الصحراء وإنما دفن في حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي هي مكان حريز وذلك لكي يصان قبره من جميع هذه الأخطار ، ولا يسمح للناس بالرحلة إليه وزيارته أفواجاً إلا الذي يأتي إلى المسجد النبوي للصلاة فيه يزور القبر الشريف بالطريق المسنون ، ويصلّي ويسلّم على النبي ﷺ كما كان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يفعلون» .

ثم قال الأستاذ الندوي معلقاً على هذا الكلام :

« . . . ولكن المنع عن زيارة القبر النبوي الشريف بتاتاً ، والتشديد في ذلك لا يخلو من شيء من المغالاة والتطرف . . .»[3] .

* * *

هنا خلط الأستاذ الندوي بين الأمرين : شدّ الرحال إلى القبر ، وزيارة القبر ، فالأول منهى عنه ـ والثاني مستحب .

وقال شيخ الإسلام ـ وهو يشير إلى الجواب الذي كتبه قبل سبعة عشر عاما ـ :

---

(١) كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ينبني على هذا الحديث ، شد الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاثة سواء كان إلى قبر نبيّ أو غير نبي ـ ولا يمنع من زيارة القبور ، وهناك فرق واضح بين الأمرين .
وعلى هذا تلخيص الأستاذ الندوي لا يوافق رأي شيخ الإسلام فلينتبه .

(٢) متفق عليه .

(٣) الحافظ ابن تيمية (١٠٧ ـ ١٠٨ مع التعليق) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وأن الجواب ليس فيه تحريم زيارة القبور البتّة ، لا قبور الأنبياء والصالحين ولا غيرهم ولا كان السؤال عن هذا ، وإنما فيه الجواب عن السفر إلى القبور ، وذكر قولي العلماء في ذلك .

والمجيب قد عرفت كتبه ، وفتاواه مشحونه باستحباب زيارة القبور . . .»[١] .

وقد فصّل شيخ الإسلام في قضية شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، في عديد من مؤلفاته ، ومنها : «المنسك القديم» ، و«الجديد» ، و«الجواب الباهر في زوّار المقابر» ، و«الردّ على الإخنائي» .

وانتصر له كثير من علماء الأمصار في عصره في هذه القضية[٢] ، في حين رأى مخالفوه فيها إساءة أدب إلى مكانة النبي ﷺ . فردّ شيخ الإسلام عليهم بقوله :

« . . . عداوة الأنبياء وعنادهم بمخالفتهم لا بموافقتهم ، كمن نهى عما أمروا به من عبادة الله وحده ، وأمر بما نهوا عنه من الشرك بالمخلوقات كلها . . .»[٣] .

مع كل هذا ، لَفَّ الأستاذ الندوي ودار فقال :

« . . . أنهم رأوا فيها إساءة أدب إلى مكانة النبي ﷺ ، كما أن العلماء رأوها يتجلّى فيها الاعتماد الزائد على الرأي الشخصي ، ومعارضة لجمهور الأمة ، ولعل ذلك كان هو العامل الأقوى لمعارضتهم إياه»[٤] .

هكذا حمل الأستاذ الندوي ـ بأسلوب غير مباشر ـ كلام شيخ الإسلام ما لا يتحمّل[٥] . والله المستعان !

* * *

---

(١) الرد على الإخنائي (١٢ ـ ١٥) .

(٢) راجع فتاوى شيخ الإسلام (٢٧/ ١٨٢ ـ ٢١٣) .

(٣) الرد على الإخنائي (٣٤ ، ٦٤) .

(٤) الحافظ ابن تيمية (ص ١٠٩) .

(٥) راجع للتفصيل «دعوة شيخ الإسلام» (٢/ ٣٥١ ـ ٣٦٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* حكم سب النبي ﷺ :

ذكر الأستاذ الندوي انحرافات عهد السلطان أكبر المغولي في الهند وفي ضمنها ورد ذكر رجل من البراهمة سب النبي ﷺ ، فقتل بفتوى القاضي . وبما أن «أكبر» كان متأثراً بزوجاته الهندوسيات ، والثقافة الهندوسية ، ساءه هذا الحكم ، فأيده على ذلك بعض علماء السوء فقال :

«وقد أثير هذا السؤال أيضاً في البلاط أن عقوبة شاتم الرسول ﷺ ليست القتل في المذهب الحنفي ، لذا يعتبر هذا الإقدام خلاف المذهب السائد في هذه الدولة» .(١)

سرد الأستاذ الندوي هذا الرأي البارد ، من غير أن يردّ عليه .

فسكوته جعلني أتعجّب من هيبته من سيادة المذهب بعد خمسة قرون !

* * *

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٤/ ١٠٢) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية (ص٧٤) وراجع في الموضوع «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لشيخ الإسلام ابن تيمية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* السماع (أي الغناء الصوفي) :

ذكر الأستاذ الندوي عدة من رجال «الدعوة والعزيمة» الذين كانوا مولعين بالسماع الصوفي[1] مثل : أبي حامد الغزالي ، والجلال الرومي ، وقطب الدين بختيار الكعكي ، وشرف الدين المنيري ، ونظام الدين الدهلوي ، وغيرهم[2] .

وصرح الأستاذ الندوي برأيه في مسألة «السماع» فقال :

«كتبت في «مسألة السماع» (من غير المزامير)[3] كتابات موافقة لها ومخالفة ، الوسط فيها في نظري أنه ليس بحرام[4] مطلقاً ، ولا هو عبادة ولا طاعة ، ولا أمر مقصود ، بل هو تدبير وعلاج إذا كان بالاعتدال وبالشروط الخاصة . وهو مباح[5] لأهل الضرورة والأهلية على قدر الحاجة ، ومفيد لهم في بعض الأحيان . ونرى قول الشيخ الجشتي المعروف بالقاضي حميد الدين الناكوري[6] جامعاً ومعتدلاً بهذا الصدد حيث قال :

«أنا حميد الدين أحبّ السماع وأبيحه على رواية العلماء لأني مريض وجع القلب ، والسماع دواء له ، وقد أجاز الإمام أبو حنيفة التداوي بالخمر إذا لم يكن هناك ما يتداوى به غيرها وأنه لا تمكن الصحة بغيرها باتفاق الأطباء . وعلى هذا التقدير دواء المرض العضال «السماع» ، ولهذا هو مباح لنا وحرام عليكم»[7] .

---

(١) تقدّم هذا في باب «الصوفيات» بالتفصيل .

(٢) تقدمت تراجمهم . وقد شدد النكير على هؤلاء الصوفية في قضية السماع عديد من العلماء في عصورهم ، مثل الشيخ عمر بن محمد السنامي وجلال الدين الولوالجي على نظام الدين الدهلوي (الذي يذكره الأستاذ الندوي هو والمنيري في مصاف عظماء الإسلام) ، وكذلك أفتى العلماء بضلالة القاضي حميد الدين الناكوري على إصراره على السماع ، كما تقدم وسيأتي إعجاب الأستاذ الندوي برأيه في السماع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) كان يسمع بعض الصوفية بالدف ، مثل نظام الدين الدهلوي ، كما تقدم .

(٤) تقدمت أقوال الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله ـ ، وهي تدل على نفاق فاعله وفسقه واقترافه بالذنب واشتغاله باللهو بالباطل . (تلبيس إبليس : ٢٥٨ ـ ٢٦١) .

(٥) تقدم الرد على مثل هذا القول بخمسة وجوه ، وراجع «تلبيس إبليس» (ص ٢٨١) .

(٦) أفتى العلماء بضلالة حميد الدين الناكوري لإفراطه في السماع ، وحرضوا السلطان على إجلائه من الهند . (نزهة الخواطر ١/ ١٦٧) .

(٧) «تأريخ الدعوة والعزيمة» للندوي (٣/ ١١٥ تعليقاً ، نقلاً عن «سير الأقطاب» ـ نسخة خطية) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل هذه المسألة :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عمن قال :

«إن السماع على الناس حرام ، وعليّ حلال ، هل يفسق في ذلك أم لا؟

فأجاب ـ رضي الله عنه ـ : من ادّعى أن المحرمات تحريماً عاماً : كالفواحش ، والظلم ، والملاهي ، حرام على الناس حلال له ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

ومن ادّعى في الدفوف والشباب أنهما حرام على بعض الناس دون بعض فهذا مخالف للسنة ، والإجماع ، وأئمة الدين ، وهو ضالّ من الضلال . ومن تم مصراً على مثل ذلك كان فاسقاً . والله أعلم»[1] .

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٦٠٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثامن

التـــأريـــخ

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب الثامن

التأريخ

هذا البـاب يحتـوي على مـلاحظات في الأمـور التـأريخيـة التي ذكـرها الأسـتاذ الندوي ، وهي تتلخص في النقاط التالية :

* الإسلام في الهند .

ـ شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام في الهند .

* الصوفية والجهاد في سبيل الله .

ـ شائعة دور الصوفية في الجهاد في سبيل الله .

ـ أسباب تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله .

ـ أسباب اهتمام أعداء الإسلام بالتصوف وأهله .

* شيخ الإسلام ابن تيمية .

* دور تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية في نشر الدعوة في الهند .

* السلطان محمد تغلق .

* بين النصب والرفض .

وإليكم البيان ، وبالله التوفيق :

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإسلام في الهند

حظيت الهند بنعمة الإسلام في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ[١] .

«فقد كانت جنوب الهند متصلا اتصالاً وثيقاً بالجزيرة العربية منذ أقدم العصور بفضل موانيها وتوافد العرب عليها وتردد سكان جنوب الهند إلى العرب . فكان لمالابار في ساحل شرق الهند شرف السبق للتعرف على الإسلام واعتناقه حتى قبل دخول الجيوش الإسلامية في الهند»[٢] .

* الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين :

«وبدأ المسلمون يوجّهون حملاتهم إلى الهند من عصر الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ فأول جيش إسلامي بعثه عثمان بن أبي العاص أمير البحرين تحت إمرة أخيه الحكم بن أبي العاص ؛ قد وصل إلى «تانه» ثم إلى بروص ، ونزلوا ببلدة «وج» على سواحل كجرات ، كما أرسل أخاه المغيرة إلى ديبل (كراتشي بباكستان حالياً) فالتقى بالعدو ، وظفر ، وقد جاء الحكيم بن جبلة العدوي إلى الهند ، لتفقد أحوالها في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي عصور علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ وصل المسلمون إلى ثغور السند ، والتقوا بالعدو[٣] ، إلا أن هذه الجهود لم تتجاوز عن المناوشات ، ولم يطلق عليها اسم الحرب ، وكانت هذه الفترة مرحلة ابتدائية للدعوة الإسلامية ، استضاءت الهند فيها بنور الإسلام بجهود التجار والمجاهدين»[٤] .

---

(١) راجع موضوع دخول الإسلام في الهند «تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند للأستاذ مسعود الندوي ، رجال الهند والسند للقاضي أطهر المباركفوري ، ونزهة الخواطر للسيد عبدالحي ، وتأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية للدكتور محمد إسماعيل الندوي ، وجهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة للدكتور عبدالرحمن الفريوائي .

(٢) تأريخ الصلات (ص ٣٧) .

(٣) خرج الحارث بن مرة العبدي في خلافة علي رضي الله عنه ، والمهلب بن أبي صفرة وعبدالله بن سوار العبدي في خلافة معاوية رضي الله عنه لغزو الهند (تأريخ الصلات : ٣٨) .

(٤) جهود مخلصة (١٩ ـ ٢٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الإسلام في العهد الأموى والعهد العباس ، والعهد الغزنوي :

«وعلى الرغم من هذه العناية التي وُجّهت إلى الهند لم يأت دور فتحها والزحف عليها إلا في عصر الوليد بن عبد الملك وبأمر حاكمه على العراق وهو الحجاج بن يوسف الذي أسند هذه المهمة إلى محمد بن القاسم أعظم فاتح وقائد في تاريخ الفتوحات الإسلامية . فقد زحف محمد بن القاسم بجيوشه على السند في سنة ٩٣هـ فتح بلداناً كثيرة في ولاية السند ، وأرسى فيها قواعد دولة إسلامية عربية ظلت تنمو وتزدهر قروناً طويلة . وكان محمد بن القاسم لا يزال يخوض المعركة تلو المعركة حتى مات الحجاج بن يوسف ، ثم الوليد بن عبد الملك ، واستخلف شقيقه سليمان بن عبد الملك الذي كان يكن عداوة شديدة نحو الحجّاج ، فبدأ سليمان يطفيء رغبة الانتقام من الحجاج بإيقاع أهله وذويه وأقاربه وقواده في كثير من المحن حتى بطش أخيراً بمحمد بن القاسم أو ألقاه في السجن ثم قتله . وبهذا توقفت الفتوحات الإسلامية في أرض الهند»(١) .

* * *

وجاء بعده أمراء من الدولة الأموية ، والعباسية ، ومن ثم وقف الفتح الإسلامي ، ولكن بقيت شوكة المسلمين في هذه المناطق إلى عصر الخليفة المأمون ؛ ثم نشأت الخلافات والعصبيات بين النزاريين واليمنيين ، وانتهت إلى استقلال الدولة الهبارية المحلية التي أسسها أسرة الهباري بالمنصورة سنة ٢٤٠هـ ، ثم استقل بنو سامة بالحكم في ملتان سنة ٢٩٠هـ ، وبعد استقلال هاتين الدولتين ضعف ارتباط السند بعاصمة الخلافة ، ثم ظهرت الفتنة الباطنية الإسماعيلية في أواخر القرن الرابع الهجري التي هددت كيان هاتين الدولتين ، وجرت المشاكل على أهل السنة ، حتى جاء السلطان محمود الغزْنوي ، وسعى لاستئصال جذورها ، وبقيت دولة المنصورة إلى غزو السلطان محمود الغزنوي سنة ٤١٦هـ ، أما دولة ملتان فبقيت إلى سنة ٧٥٢هـ إلى عهد السلطان فيروز شاه الخلجي دولة مستقلة حرّة .(٢)

---

(١) تأريخ الصلات (ص٣٩) .

(٢) جهود مخلصة (ص٢١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الدعوة إلى الكتاب والسنة في القرون الأربعة الأولى :

وفي هذه القرون الأربعة نرى هناك نشاطاً كبيراً في طلب العلم ، ورواية الحديث الشريف ، فقد وصل إلى هذه البلاد عدد كبير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الدين والعلم ، وتتلمذ عليهم أبناء السند ، كما رحل إلى البلاد الإسلامية غير واحد من أهل الهند ، وتشبعوا بعلوم السنة ، وكتب التأريخ والتراجم والرجال سَجَّلت أسماء علماء الهند والسند الذين ساهموا في خدمة الكتاب والسنة ونشطوا فيها ، لأننا عرفنا من أصحاب قرون الخير إخلاصهم وتفانيهم للدعوة الإسلامية ، ونشر تعاليم الكتاب والسنة ، فكان غاية همهم في أسفارهم التجارية وفي غزواتهم وفتوحاتهم نشر الدعوة ، وتبليغ الدين .

والجدير بالذكر أن علماء السند في هذه القرون كانوا على صراط مستقيم على مذهب أهل الحديث بعيدين عن التفرقة الدينية ، والتعصب المذهبي ، والجمود الفقهي ، وقد وصل بعض أصحاب المذاهب في أواخر القرن الرابع إلى هذه المنطقة إلا أن بدعة التقليد والتعصب والجمود لم تكن موجودة هناك ، فيروى لنا الرحالة العربي أبو القاسم المقدسي الحالة الدينية للسند ، وقد زارها في سنة ٣٧٥هـ قبل غزو السلطان محمود الغزنوي ، فيقول :

«إن مذاهبهم : أكثرهم أصحاب الحديث ، ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ، وليس به مالكية ، ولا معتزلة ، ولا عمل للحنابلة ، إنهم على طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة ، وصلاح ، وعفة ، قد أراحهم الله من الغلو ، والعصبية ، والفتنة[١]» .

هذا ، وقد أضرت الخلافات السياسية ، والعصبيات القبلية ، ثم فتنة الباطنية الإسماعيلية ، الحركة الدينية والإصلاحية العلمية في هذه المناطق ، ولذلك بلغت حركة السنة إلى منتهى الضعف في أواخر القرن الرابع ، وندر وجود الرواة ، والمحدثين في القرن الخامس في بلاد السند وملتان[٢] .

---

(١) أحسن التقاسيم (ص ٤٨٠) ، وعنه في تأريخ الصلات (ص٦٨) و«جهود مخلصة» (ص٢٢) .
(٢) جهود مخلصة (٢١ ـ ٢٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* من مآثر هذه القرون وآثارها في مجالات مختلفة :

هؤلاء الأبطال الأماجد الغيورون على عقيدتهم ودينهم ـ من الصحابة ، والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم إلى أهل القرون الأربعة الأولى ـ الذين تجشموا المشقات واستعذبوها في الوصول إلى بلاد الهند والسند ، لم يكن هدفهم طلب المال والجاه والسمعة[1] ، بل جاءوا لتحقيق أهداف سامية جليلة ، منها :

* التعريف بالإسلام ، والدعوة إليه ، وإقامة شعائره[2] .

* الدفاع عن عرض المسلمات[3] .

* إعادة المرتدين إلى حظيرة الإسلام[4] .

ومن مآثر هذا العهد الإسلامي في الهند أن المسلمين :

* شيّدوا المساجد ، وبنوا الملاجئ ، وتركوا كثيراً من الآثار الإسلامية الخالدة في أنحاء ربوع الهند[5] .

* قام بعض علمائهم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الهندية[6] .

* علّموا أهالي الهند مفهوم «المساواة» ، وغيروا مفهوم الطبقية السائدة في المجتمع الهندوسي[7] .

«إن الفتح العربي الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية لم يترك أثره في مجال السياسة

---

(١) نزهة الخواطر (١/ ٨) اعتبر محمود الغزنوي غزو الهند سنة ٣٩٢هـ كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، (نزهة الخواطر : ١/ ٧٠) .

(٢) نزهة الخواطر (/ ٣٠ ، ٥٢) .

(٣) المصدر المذكور (١ ، ٤ ، ٨) .

(٤) المصدر المذكور (١/ ٧١) .

(٥) المصدر المذكور (١/ ٢٤ ـ ٥١) ، وتأريخ الصلات (ص٦٤) .

(٦) تأريخ الصلات (ص٦٥) .

(٧) المصدر المذكور (ص٤٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والمجتمع والفن المعماري فحسب ، بل ترك آثاراً خالدة باقية في أفكار أهل الهند وثقافتهم . فقد أصبحت السند في هذه الأيام قطعة من البلاد العربية حيث نجد حركة قوية للعلوم العربية على اختلاف أنواعها وفروعها على غرار ما في الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة . وقد وجدنا أن المقدسي قارنها بدمشق ـ عاصمة الأمويين ـ في جمالها وبهائها وعماراتها ودينها وأخلاقها . ويرجع فضل ذلك إلى وفود الصحابة والتابعين رضي الله عنهم إليها في أول الفتح وإقامتهم فيها وتفجيرهم ينابيع العلوم والمعارف وإنشاء مدارسهم كما صنعوا من قبل في الأقطار العربية الأخرى»[١] .

وكذلك وفد عشرات من التابعين إلى الهند مع محمد بن القاسم وأقاموا في السند وأوجدوا فيها حركة دينية . وأشهر الذين ساهموا مساهمة كبرى في تنشيط حركة الحديث في الهند منهم ومن أتباعهم :

* موسى بن يعقوب الثقفي .

* يزيد بن أبي كبشة الدمشقي .

* أبو موسى إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند .

* أبو حفص الربيع بن صبيح السعدي .

* نجيح بن عبد الرحمن السندي صاحب المغازي ، وغيرهم[٢] .

ويوجد في هذه القرون أعلام الفقه والأدب والشعر أيضاً .

«وعلى أيدي هؤلاء من العرب المسلمين تفجّرت ينابيع العلوم الدينية في الهند وأنشئت مدارس كثيرة على غرار مدارس الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة حتى أقبل الهنود على تحصيل العلوم العربية ومعارفها . فنالوا فيها حظاً وافراً وبرزوا فيها إلى حد كبير حتى أصبحوا يشار إليهم بالبنان ويرجع إليهم ، وبهذا كان العصر العربي في الهند أول نواة لغرس الحركة الفكرية العربية حتى ازدهرت هذه الحركة في نفس العصر ، وظهر في أرض الهند عشرات من المحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء في اللغة العربية

---

(١) المصدر المذكور (ص٦٦) .

(٢) نزهة الخواطر (١/ ٣٥ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٤) ، وتأريخ الصلات (٦٧ ـ ٦٨) ، وجهود مخلصة (٢٣ ـ ٢٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

حتى غصت بهم أسواق السند ، وتدفقت بهم الحركة العلمية في قوة واندفاع ونالت الهند مكانة كبرى في ظل الثقافة العربية الإسلامية وسجّلت لها دوراً قيادياً في هذا المضمار . وفتحت آفاقاً جديدة للأجيال الناشئة في هذه البقعة من الأرض الإسلامية حتى بلغت ما بلغت في عصر المماليك من إنتاج فكري وعلمي في الثقافة العربية»[1] .

* * *

---

(١) تأريخ الصلات (٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بداية الدور الصوفي
وتسرب الأفكار الدخيلة إلى الإسلام

بعد هذا العصر الذهبي لتاريخ الهند الإسلامي[(١)] ، بدأت الفتوحات الإسلامية الأخرى في العقد السابع من القرن الرابع بدخول ناصر الدين سبكتكين[(٢)] (ـ ٣٨٧هـ) بلاد الهند سنة ٣٦٧هـ ، ثم بحملات ابنه السلطان محمود بن سبكتكين[(٣)] (٣٥٧ ـ ٤٢١ هـ) بداية من سنة ٣٩٢هـ من جهة الشمال الغربي من الجبال .

ذكر ابن كثير حوادث سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة فقال :

«في محرّمها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فقصده ملكها جيبال في جيش عظيم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ففتح الله على المسلمين ، وانهزمت الهنود ، وأسر ملكهم جيبال ، وأخذوا من عنقه قلادة قيمتها ثمانون ألف دينار ، وغنم المسلمون منهم أموالاً عظيمة ، وفتحوا بلاداً كثيرة ، ثم إن محمودا سلطان المسلمين أطلق ملك الهند احتقاراً له واستهانة به ، ليراه أهل مملكته والناس في المذلة فحين وصل جيبال إلى بلاده ألقى نفسه في النار التي يعبدونها من دون الله ، فاحترق ، لعنه الله»[(٤)] .

---

(١) «وعلى الرغم من قيام الدولة الفاطمية في الملتان فإنه لم يطرأ على المجتمع الإسلامي هناك أي تغيير من الناحية الخلقية والدينية كما قال المقدسي : «ليس عندهم زنا ولا شرب خمر ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه أو حدوه ، ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن ، يحبون الغرباء وأكثرهم عرب ، شربهم من نهر غزير والخير به كثير والتجارب حسنة والنعم ظاهرة ، والسلاطين عادلة لا ترى في الأسواق امرأة متجملة ولا أحداً يحدثها ، ماء مري وعيش هني وظرف ومروءة وفارسية مفهومة» (أحسن التقاسيم : ص ٤٠٨) .

«كان جلم بن شيبان يحكم البلاد بالعدل والإنصاف مع أنه أظهر في البداية تعصباً شديداً نحو أهل السنة ورجال الدين الهندوكيين بخلاف الأمويين الذين اشتهروا بالعدل والمساواة مع جميع الطبقات» . (تأريخ الصلات : ص ٥٩) .

(٢) نزهة الخواطر (١/ ٥٠) .

(٣) المصدر المذكور (١/ ٦٩) .

(٤) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لم يبق الإسلام أجنبياً عن أهل الهند ، لأجل حملات محمود الغزنوي المتتابعة عليها . ولكن لابد من الاعترف بأن عقائد المسلمين بدأت تتلوث ـ بعد عصره ـ بتصوف الهند ، وفلسفة اليونان ، وانحرافات علم الكلام ، التي لم يعهدها أهل القرون الأربعة الأولى ، وذلك لعدة أسباب ومنها :

* قام أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني ـ وكان من علماء بلاط محمود الغزنوي ـ بنقل كثير من الكتب الهندوسية المهمة إلى العربية والفارسية بعد ما تعلم السنسكرتية على يد بعض براهمة (فنجاب) . وتعرف المسلمون في الهند ، لأول مرة ، على طرق الرياضات الوثنية ، والمجاهدات الهندوسية التي كان يمارسها الصوفية الهنادك ، بواسطة هذه الكتب .

* دخلت كتب الفلسفة اليونانية إلى الهند ، بواسطة جنود محمود الغزنوي ، التي نقلت إلى العربية في عهد المأمون العباسي ، وكان لها دور كبير في تلويث أفكار المسلمين عندما اطلعوا عليها .

* بدأ العلماء يتوافدون إلى الهند ، من بلاد ما وراء النهر ، التي كان يسود فيها علم الكلام الممزوج بالفقه الحنفي ، والعقيدة الأشعرية ، والماتريدية ، والفسلفة اليونانية . وبما أن أغلبية علماء البلاط كانت من هذه المناطق ، تأثر المجتمع المسلم ببعض أفكارهم التي كانت شبه أجنبية عن عقيدة الكتاب والسنة .

من هذه المحاور الثلاثة ـ بدأت المفاهيم الإسلامية الأصيلة تتأثر بعلم الكلام المذموم ، والتصوف الهندي ، والفلسفة اليونانية .

ومع بداية القرن الخامس ـ بعد انقراض العصر الإسلامي الأول ـ بدأت الأمة الإسلامية تصاب بأدواء الأمم الأخرى ، وبدت بوادر عقيدة وحدة الوجود ، ووحدة الشهود ، والحلول والاتحاد ، الممزوجة بالتصوف الهندي ـ الذي تلقاه المتصوفون المسلمون من الهنادك ، وأضافوا إليه إضافات من تجاربهم ـ في الطرق الصوفية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هكذا بدأت الدعوة الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة ، النقية من أكدار الشرك والوثنية والإلحاد ، التي أسسها الرعيل الأول من المسلمين النازلين إلى الهند ، تتلوث في القرن الخامس ، بأفكار غريبة وآراء أجنبية عن مفاهيم الإسلام الصحيحة[١] .

* * *

(١) راجع «هل انتشار الإسلام في الهند رهين للصوفية» (٥٩ ـ ٦٦) ، وتأريخ الصلات (٩٢ ـ ٩٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

التغاضي عن تأريخ القرون الأربعة الأولى

في شبه القارة الهندية

* بداية العهد الإسلامي بالصوفية في نظر الأستاذ الندوي :

من الأمور المضحكة المبكية أن الأستاذ الندوي بدأ تأريخ «الدولة الإسلامية» في الهند ، وكذلك تأريخ «الدعوة الإسلامية» فيها من القرن الخامس الهجري ، فإنه قال تحت عنوان «كيف انتشر الإسلام في الهند» في رسالته المسماة بـ «الدعوة الإسلامية في الهند وتطوّراتها» :

«تأسست الدولة الإسلامية في الهند في القرن الخامس الهجري واحتضنت العلم والدين ، وقصدها العلماء والأشراف من أقصى العالم الإسلامي ، وأوى إليها كل من ضاقت عليه أرضه ، واجتمع فيه آلاف من أهل الدين والعلم نزحوا من بلادهم في فتنة التتار . وقصدها أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المجاهدين والدعاة بإشارات غيبية[(١)] ومبشرات صادقة ، أو برغبة في الجهاد[(٢)] ونشر الدعوة الإسلامية ، فنشطوا في الجهاد والدعوة وانتشر الإسلام بسرعة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصيتهم القوية .

وقد أسلم مآت الآلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشتي[(٣)] (ـ ٦٢٦هـ) في أجمير وما جاورها من البلدان .

وأسلم آلاف في بنجاب على يد الشيخ إسماعيل اللاهوري[(٤)] (ـ ٤٤٧هـ) والشيخ فريد الدين الأجودهني[(٥)] (٦٦٤هـ) .

---

(١) في هذه الإشارات الغيبية ما فيه من عقائد وأوهام ، وقد تقدم بيانها في موضعه .

(٢) مَنْ من هؤلاء الصوفية جاء إلى الهند ليجاهد في سبيل الله؟ ستأتي شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام في الهند ، وكذلك شائعة دورهم في الجهاد في سبيل الله إن شاء الله .

(٣) تقدمت ترجمته ، وقد اعتكف على قبر حسين الزنجاني ، وعلي الهجويري في لاهور بإشارة غيبية . ثم توجّه إلى «أجمير» بإشارة غيبية أخرى ، وقبره فيها وثن يعبد من دون الله عز وجل .

(٤) لم أقف على ترجمته .

(٥) تقدمت ترجمته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وأسلمت كشمير كلها على يد السيد علي بن شهاب الهمداني[1] (ـ ٧٨٦هـ)[2] .

* ولم يرد بيان الأستاذ الندوي هذا ، عن تأريخ انتشار الإسلام في الهند عفوياً ، بل هذا هو رأيه الذي قرّره أيضاً في كتابه «المسلمون في الهند» ، فإنه بدأه بمقال «دور المسلمين في حضارة الهند» ، فقال في أوله :

«دخل المسلمون في هذه البلاد حيناً بدافع ديني مجرّد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة ، وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وليضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتمى في أحضانهم مئات الألوف من الأشقياء والمعذّبين ، وأحبوهم أكثر من آبائهم وأولادهم كالسيد علي الهجويري[3] ، والشيخ معين الدين الأجميري ، والسيد علي بن الشهاب الهمداني الكشميري .

---

(١) الشيخ علي بن الشهاب الهمذاني (٧١٤ ـ ٧٨٦هـ) جال الربع المسكون ثلاث مرات ، ودخل في كشيمر ثلاث مرات ، ويقال : إنه لم يقم فيها أكثر من أربعين يوماً ، وأسلم على يده غالب أهلها ، من تصانيفه شرح الفصوص بالفارسية ، وشرح على الميمية لابن الفارض بالفارسية . (نزهة الخواطر : ٢/ ٨٤) ، وآب كوثر [ماء الكوثر] (٣٧٧ ـ ٣٣٨) .

(٢) الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها (ص٢) .

(٣) تقدمت ترجمته ، ذكر الأستاذ الندوي في أشهر كتبه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وجود الدول الروحية للصوفية جنب الدول المادية للملوك والحكام ، فقال : « . . . ولهم نظام كنظام الدول ينصبون ويقرون وينقلون ويستخلفون ، ولهم «قناصل وسفراء» في كل دولة مادية وكأن خارطة العالم الإسلامي بين أيديهم ، فإذا خلا ثغر من ثغور الإسلام نصبوا فيه مرابطاً دينياً يحفظه من عادية الغفلة ، والمعصية ويحرسه من غاشية الجهل والطغيان . . .»

ثم علق عليه قائلاً :

«حدّث الشيخ الصالح السيد علي الهجويري دفين لاهور ، أن شيخه أمره بالرحلة إلى لاهور والإقامة فيها ، فاعتذر بأن هناك زميله الشيخ حسين الزنجاني فلا لزوم لذهابه ، فقال : لابد أن تذهب وتقيم بها : قال : فشددت رحلي وامتثلت أمر الشيخ ووصلت إلى لاهور في الليل ، وقد غُلّقت أبوابها فبت ليلتي خارج السور ، ولما أصبحت وفتح باب السور إذا بالناس يحملون جنازة الشيخ حسين ، فعرفت سر أمر الشيخ ودخلت البلد ، وخلفته في عمله دعاء الخلق إلى الله» . (كشف المحجوب للهجويري) (ماذا خسر العالم : ص ٢٣٥ مع التعليق) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين ، وملوك طامعين ، كالسلطان محمود الغزنوي ، وشهاب الدين محمد الغوري ، وظهير الدين بابر التيموري مثلاً ، كانوا مؤسسي دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة»[١] .

* كما بين الأستاذ الندوي رأيه الصريح في تاريخ تأسيس «الدولة الإسلامية في الهند» ، كذلك وضح رأيه في «تاريخ العهد الإسلامي في الهند» أيضاً ، توضيحاً ، لا يبقى معه مجال للريب فإنه قال :

«إن العهد الإسلامي في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية[٢] ، وخاصة الشيخ معين الدين الأجميري ، الذي أسس الطريقة الجشتية في هذه البلاد على دعائم قويّة بجهاده وإخلاصه ، وأقبل عليهم الناس من جميع الطبقات والفئات ، يتنافسون في حبّهم ، وصلتهم بهؤلاء المرشدين رجال الله والدعاة إليه بإخلاص وصدق وأمانة ونزاهة ، وامتدت في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شأن إلا وفيها مركز روحي أو عدة مراكز»[٣] .

* * *

تساؤلات :

بعد قراءة هذا الرأي في تأريخ «الدولة الإسلامية» و «الدعوة الإسلامية» في الهند تنشأ تساؤلات كثيرة :

---

(١) المسلمون في الهند (١٢ ـ ١٣) .

(٢) يقال أول صوفي معروف نزل إلى الهند هو الشيخ علي الهجويري (ـ٤٦٥ هـ) دفين لاهور ، ألم يبدأ العهد الإسلامي في الهند قبل القرن الخامس الهجري؟ ! .

(٣) المسلمون في الهند (١٣٥ ـ ١٣٦) .

(تنبيه) : وقد تقدمت أحوال بعض رؤساء هذه المراكز الروحية في الهند ، منهم من كان يعتكف على القبور ، ومنهم من كان يرى عقيدة وحدة الوجود ، أو الشهود ومنهم كان يستمع الغناء بالدف ، ومنهم من مات في حالة وجد ، ومنهم من جال في الأودية والجبال اثنتي عشرة سنة أو ثلاثين سنة على اختلاف الرواية بين الأستاذ الندوي ، ووالده السيد عبدالحي ! !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* هل هكذا يكتب المؤرخ المحايد تأريخ الدولة الإسلامية في الهند؟

* أين جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من المجاهدين الأوفياء، والتجار المسلمين في القرون الأربعة الأولى، إذا كانت بداية العهد الإسلامي في الهند بهؤلاء الصوفية في القرن الخامس الهجري؟

* لماذا هذا الجفاء والتغاضي عن دور أهل الفضل الأوائل على الهند والسند، أمثال محمد بن القاسم الثقفي، والحجاج بن يوسف، ووليد بن عبدالملك الخليفة الأموي الذي في عهده أسند حاكمه على العراق الحجاج مهمة الزحف إلى الهند وفتح السند، إلى محمد بن القاسم أعظم فاتح وقائد في تأريخ الفتوحات الإسلامية؟

* ألا يستحق هؤلاء الأبطال الأفاضل من عظماء التأريخ حتى تذكر أسماؤهم في كتاب «المسلمون في الهند»،(١) فضلاً عن الإشادة بدورهم في سطر أو سطرين، في حين يذكر دور الصوفية بمناسبة وبدون مناسبة؟

﴿وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[الرحمن: ٦٠].

* أي تأريخ للمسلمين في الهند، إذا بدأ دورهم بدور الصوفية؟

* وأي تأريخ للدعوة الإسلامية في الهند، إذا تغاضينا عن جهود أهل القرون الأربعة الأولى؟

نظراً إلى هذه الحقائق عرفنا أن الأستاذ الندوي لم يحالفه التوفيق في تسمية كتابيه «المسلمون في الهند» و«الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها»، لأن في هاتين التسميتين من التعمية والتمويه ما الله به عليم، والأجدر ـ على رأي بعض الفضلاء ـ أن يسمى «الصوفية في الهند» و«الدعوة الصوفية في الهند وتطوراتها» على الترتيب.

* شهد شاهد من أهلها:

وقبل أن ننتهي من هذا المبحث، أرى من المناسب أن أذكر ما كتبه الدكتور السيد

---

(١) لم يُذكر هؤلاء الثلاثة (وليد بن عبدالملك، والحجاج، ومحمد بن القاسم) في كتاب «المسلمون في الهند» بتاتاً.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عبدالعلي (الأخ الأكبر للأستاذ الندوي) عن دخول الإسلام في الهند[1] في القرن الأول ، وما قام به أصحاب الفضل الأوائل على أهل الهند من تضحيات لنشر الإسلام ، فقال :

«**مكانة الهند وصلتها بالإسلام** : أما بعد فإن الهند من بلاد الله السعيدة التي هبّت عليها نفحة من نفحات الإسلام في فجر تأريخ الإسلام ، وأدركتها العناية الإلهية في القرن الأول ، فلم تزل محط رحال المسلمين من الغزاة والفاتحين والعلماء والصالحين ، وأريق في ربوعها الدماء الزكية التي لم تكن لتذهب هدراً كدم درة البيت النبوي عبدالله بن محمد العلوي (م ١٥١هـ) والمغيرة بن أبي العاص الثقفي ، وعبيدالله بن نبهان ، وأودع الإسلام ثراها ودائع لا تضيع من عظام المسلمين الكبار كعبد الرحمن بن العباس الهاشمي وحكم بن عوانة الكلبي (م١٢٢هـ) وأبي بكر ربيع بن صبيح السعدي (م١٦٠هـ) أول المؤلفين في الإسلام على قول بعض المؤرخين»[2] .

ولكن الأستاذ الندوي لم يحافظ على هذه الودائع الكريمة ، ولا يراعِ تلك الدماء الزكية التي أريقت في ربوع الهند ، في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، في القرون الأولى .

وإن سكتوا أثنت عليك الحقائب .

* * *

---

(١) كتاب «نزهة الخواطر» للسيد عبدالحي يتحدّث عن كثير من رجال القرون الأربعة الأولى وجهودهم في نشر الإسلام ، ولكن العجيب أن الأستاذ الندوي في هذا الباب لم يستفد من كتاب أبيه ، ولا من كتابة أخيه .

(٢) نزهة الخواطر (١/ المقدمة) وزاد فقال :

«**سهم أبناء الهند في الثقافة العربية** : أشرقت أرض الهند بنور الإسلام وأسهم أهلها العرب في الدين والعلم حتى في التربية والشعر والتأليف ، ونبغ فيهم شاعر عربي بليغ كأبي عطاء السندي من رجال القرن الثاني ، وفقيه عالم مؤلف كأبي معشر نجيح بن عبدالرحمن صاحب المغازي (م١٧٠هـ) .» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام في الهند

* الجانب الدعائي :

شاع بين الخاصة ـ فضلاً عن العامة من الناس ـ أن العهد الإسلامي في شبه القارة الهندية بدأ بالصوفية في القرن الخامس الهجري ، مع أن نهاية القرن الرابع تعتبر بداية البعد عن روح الإسلام الأصيلة ، لأجل تسرب الأفكار الدخيلة على الإسلام إلى المجتمع المسلم في الهند .(١)

أنا لا أعجب من ادعاء الأستاذ تي . دبليو آرنولد حيث قال : «انتشر الإسلام في شبه القارة الهندية بجهود الصوفية»(٢) ، ولم يعرف فضل القرون الأربعة الأولى في نشر الإسلام .

ولكن يحق لي أن أعجب من تصرفات بعض الكتاب المسلمين الذين تلقفوا منه هذا الادعاء ، من غير تأكد وتثبت ، ناسين ـ أو متناسين ـ دور الصحابة ، والتابعين وأتباعهم وغيرهم من العلماء والتجار في القيام بالدعوة الإسلامية في الهند .(٣)

والأعجب من هذا ، أن الأستاذ الندوي ـ وهو بنى على هذا الرأي كتابه «تأريخ الدعوة والعزيمة» ولقب الخواجه معين الدين الجشتي بـ «مؤسس السلسلة الإسلامية(٤) في الهند» ـ قد شغل الجانب الدعائي للصوفية مساحة واسعة من كتاباته ، وتفنن عجيباً في محو آثار القرون الأربعة الأولى ومآثرها من أذهان المسلمين في الظاهر(٥) ، حيث قال :

---

(١) تقدم في آخر مبحث «الإسلام في الهند» آنفاً .

(٢) الدعوة الإسلامية لآرنولد ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية (ص١٥) ، وراجع آراء الآخرين من المؤرخين في المصدر المذكور (١٥ ـ ١٨) ، ومن جهة أخرى قال المستشرق لوتهراستادرد : «تدهورت الحالة الدينية ، مثل الحالات الثقافية الأخرى ، وقد أضرّت توهمات التصوف تعليم التوحيد الإسلامي إضراراً بالغاً» (المصدر المذكور : ٧٧ ـ ٧٨) .

(٣) تقدم بالاختصار ما قام به هؤلاء الأبطال من نشر الإسلام في الهند .

(٤) يريد الأستاذ الندوي بـ «الإسلامية» الصوفية ، كما هو واضح .

(٥) تقدمت نبذة يسيرة عن آثارها ومآثرها آنفاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«هكذا كل ما ذُكر الله ، وعُمل للإسلام في الهند ، جدير بأن يعد من حسنات الجشتيين ومآثرهم ، ومؤسس سلسلتهم : صاحب الهمة العالية المخلص حضرة الخواجه معين الدين الجشتي (ـ٦٢٧هـ) ، ولا ريب أن لهذه السلسلة حقاً قديماً على هذه الدولة»[١] .

* بين الدعاية والواقع :

يذكر في التأريخ أن آلافاً مؤلفة من الناس دخلوا في الإسلام على أيدي الصوفية ، متأثرين بخوارقهم وكشوفاتهم .

ولكن أين هذا من الجهد المنظّم في سبيل الدعوة إلى الله؟ !

وليست هناك شهادات تأريخية محايدة تدل على سعيهم المنظم ، وجهدهم المتواصل في القيام بنشر الإسلام ، لو كان هذا ، لاحتفل به التأريخ الإسلامي في الهند يقيناً ، فضلاً عن التأريخ الصوفي الذي تسكت مصادره نفسها عن بيان هذا الجانب العظيم في تراجم الصوفية .[٢]

* الإسلام في ظل الكشوف والخوارق :

كلما ابتعد الناس عن التلقي المباشر من الكتاب ولاسنة ، ضلوا عن منهج النبوة في التعليم والتربية ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، فتفرقت بهم السبل ، وتخطفتهم الأهواء ، وتلوثت عقائدهم بأفكار أجنبية عن الإسلام .

ومن جانب آخر أحدثوا في الدين ، ومارسوا من المجاهدات والرياضات في الخلوات والزوايا ، والقفار والصحاري ، والكهوف والغابات ، ما لم يعهده أهل القرون المشهود لها بالخير ، بغية الحصول على «الجذبة» ، والوصول إلى «الخوارق

---

(١) تأريخ الدعوة والعزيمة (٣/ ٢٩) .

(٢) راجع على سبيل المثال : «فوائد الفؤاد» (مجموعة ملفوظات معين الدين الجشتي» «وخير المجالس» لحميد قلندر ، و«سير العارفين» للجمالي ، و«سير الأولياء» لمحمد بن مبارك العلوي ، وغيرها من المصادر الصوفية .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والكشـوفـات»[1] ، التي تأثر بها ضعفاء الاعتقاد من العوام الجهلة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أكثر من تأثرهم بأي شعيرة من شعائر الإسلام ، فدخلوا في حلقاتهم ، وتاهوا في متاهات التيه المعمى من الصوفيات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

ـ وتنبه الشيخ محمد إكرام (المؤرخ المسلم المعروف) إلى هذا الداء ، فوضع قلمه على موطنه ، وسجّل عيّنة أسلوبهم لنشر الإسلام ، بل «دعاء الخلق إلى الله» فقال :

«وما خلفه الخواجه فريد الدين من أمثلة لنشر المذهب ، وتغيير العقائد كان فيه نصيب كبير للخوارق والكشوفات . . . وكان الناس الذين يواجهونه سذجاً وضعفاء الاعتقاد ، فكانوا يتأثرون بالكرامات كثيراً ، ولذا حصل على نتيجة طيبة بتصرفه نحوهم»[2] .

يظهر من دراسة تراجم الصوفية أن بعضهم كان يلتقي بالنساك الهندوس ونقل في تراجم بعضهم ما دار بينهم من الحوار[3] ، لكن تخلو المصادر الصوفية قطعاً ، عن ذكر عرضهم الإسلام على هؤلاء ، وتعليمهم إياهم مسائل العقيدة وأركان الإسلام .

وأكثر ما يوجد من توجيهاتهم أنهم كانوا يلقنونهم الذكر والمراقبة ، كما ذكر الصوفي كليم الله الجشتي في إحدى رسائله ، فقال :

«تاسعاً : أن تقوم بالمصالحة بين المسلم والهندوسي ، ومن كان معتقداً فيك من الفريقين ، يُلقن الذكر والفكر والمراقبة ، فالذكر بخاصيته ، يجرّه إلى دائرة الإسلام»[4] .

هذا نوع آخر من أسلوبهم لنشر الإسلام !

---

(١) تقدم شيء كثير عن هذه الأمور في موضعه من هذا الكتاب .

(٢) آب كوثر [ماء الكوثر] (ص ٢٨٣) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام في الهند رهين الصوفية» (ص ٨٥) .

(٣) راجع ما دار بين الخواجه فريد الدين وأحد رهبان الهندوس من الحوار ، وإعجاب الخواجة بكلامه ، في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (ص٩٤) ، وملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي للندوي (ص١٧٧) .

(٤) تأريخ مشايخ جشت (٥/ ٢١٠) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (ص٩١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لا ريب أن رقعة التصوف توسعت بهذه الخوارق الصوفية والمراقبات البدعية ، حتى شملت الهندوس فضلاً عن المسلمين ، ولكن دعوى قيام الصوفية بنشر الإسلام ، والدعوة إلى الله على منهاج النبوّة منظماً ومرتّباً ، تحتاج إلى الشهادات من التأريخ .

* نشر الإسلام ليس من أهداف التصوف الأساسية :

لم يكن نشر الإسلام ـ على وجه التنظيم والترتيب ـ من أهداف التصوف الأساسية ، وكان جلّ هم المتصوفة يتركز في الذكر والمراقبة ، والوصول إلى «الجذبة» ، والحصول على الخوارق ، ومن أسلم على أيديهم من ضعفاء الاعتقاد ، تأثروا بهذه التصرّفات الصوفية .

هذه الشهادات التأريخية تنبئ عن عدة أمور ، منها :

(أولاً) : لم يقم الصوفية بجهد منظم في مجال نشر الإسلام .

(ثانياً) : إن كان لهم جهد في هذا المجال ، فإهمال بيانه يدل على أنه لم يكن ذا أهمية في نظر خلفائهم ومريديهم ، الذين رتبوا سيرتهم وتراجمهم .

(ثالثاً) : إن كان لهم جهد في هذا المجال ، فلم يحالفهم التوفيق للقيام بأداء هذه الأمانة ، كما ينبغي .

(رابعاً) : إن كان لهم جهد فإنه لم يكن منظّماً ومرتّباً ، حتى يقال : إنه ترتيب وتنظيم لنشر الإسلام .[1]

وإن قلنا : إنهم قاموا بنشر الإسلام ، فأي إسلام نشروه؟ إسلام الكتاب والسنة الذي قال فيه الله تعالى : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[آل عمران :١٩] ، أم إسلاماً آخر؟ !

لا شك أنهم نشروا ذلك الإسلام الصوفي الذي تشاهد مظاهره الشركية في شبه القارة الهندية في صورة الضرايح المجصّصة ، وإنشاء الأبنية الفخمة عليها ، وإقامة

---

(١) راجع «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (٨٦ ـ ٨٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الموالد والمواسم عندها ، وتقديم النذور إليها ، والطواف حولها ، والسجدة لها نهاراً وجهاراً .[1] اللهم سلّم سلّم !!

بل تجني الأمة الإسلامية ثمار هذا الإسلام الصوفي المزعوم المرّة في كثير من دول القارات الخمس .

قال الأستاذ محمد فهر شقفه :

«قد يقول قائل : كيف توفق ما قلته مع انتشار الإسلام على يد بعض طرق الصوفية في القارة الأفريقية .

أقول : ماذا عند هذه الطرق من الإسلام حتى تنشره ، وقد رأينا في هذا الكتاب بعض مبادئ التصوف من ذل وخضوع وجهل وعمالة .

إن المستعمرين لا يخشون انتشار مثل هذا الإسلام المزعوم ، بل يشجعون ذيوعه ، فهو أفيون مخدّر رهيب ، وقد ذكرت صحيفة (الجمهورية) المصرية نقلاً عن صحيفة (التايمز اللندنية) لأحد رجال الاستعمار البريطاني يحضّ على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين ، فإن ذلك كفيل بقتل حيويتهم وشلّ نشاطهم وإبعادهم عن الإسلام ، وهم يظنّون أنهم لا يزالون فيه !!

إن انتشار وذيوع الطرق الصوفية في العالم الإسلامي مثار الدهشة والاستغراب ، فقد كثر أتباعها ولم ينج من ويلاتها إلا من رحم ربك ، وإني درست أغلب هذه الطرق فلم أجد واحدة منها تتفق مبادئها مع الكتاب والسنة»[2] .

* وقال الشيخ عبدالرحمن الوكيل :

«يزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة ! ولقد علمتَ ما دين الصوفية؟

---

(١) اعترف الأستاذ الندوي نفسه بكثير من هذه الأمور في آخر ترجمة الخواجه نظام الدين الدهلوي ، مع هذا لا يتعب من نسبة كل الفضائل إلى الجشتية ، فما هذا التناقض؟ وهل الشجرة تلام على ثمرتها؟

(٢) التصوف بين الحق والخلق (ص٢١٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فما نشروا إلا أساطير حمقاء، وخرافات بلهاء، وبدعا بلقاء شوهاء، وما نشروا إلا وثنية تؤله الحجر، وتعبد الرمم!»[1] .

* أسباب التغاضي عن هذا الهدف السامي :

لم ينشأ تغاضي الصوفية عن نشر الإسلام المنظم من تكاسلهم من القيام بهذا الواجب العظيم، بل كان هذا من مقتضيات عقائدهم وأصولهم[2] التي دانوا بها . ومنها :

ـ **عقيدة وحدة الوجود**، التي ترى أن ليس في الوجود إلا الله، وأن الخالق عين المخلوق، ويزول بها الفرق بين مسلم وكافر .

* قال الشيخ عبدالقدوس الكنكوهي[3] في إحدى رسائله :

«ما هذه المشاغبة : هذا مؤمن وهذا كافر، وهذا مطيع وهذا عاص، وهذا مهتد وهذا ضالّ، وهذا مسلم وهذا زرادشتي، وهذا ملحد وهذ متقٍ؟ هؤلاء جميعاً في سلك واحد» .[4]

* وعزل الشيخ حميد الدين الجشتي الأجميري أحد مريديه، لأنه كان يهتم بظواهر الدين، وكان قاصراً عن أن يطلع على روح كافر .

وكان من المهمات عند حميد الدين الجشتي أن يعرف ما هي الحالة الروحانية عند

---

(١) هذه هي الصوفية (ص ١٧٠) .

(٢) سيأتي مبحث «أسباب تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله» إن شاء الله .

(٣) قال السيد عبدالحي (والد الندوي) في ترجمة الكنكوهي (ـ٩٤٤هـ) : «وكان صاحب المقامات العلية، والكرامات المشرقة الجليّة والأذواق الصحيحة والمواجيد الصادقة، وكان يسمع الغناء ويفرط فيه، ويغشى أسرار التوحيد على عامة الناس، ويستغرق في بحار الجذبات والسكر، ومع ذلك كان لا يقصر في اتباع السنة والتزام العزائم . .» (نزهة الخواطر : ٤/ ١٧٤) .

تقدم أن الأستاذ الندوي لقبه بمجدد السلسلة الجشتية الصابرية في القرن العاشر، كما لقب الحاج إمداد الله الذي يقول بوحدة الوجود بمجدد السلسلة الصابرية في القرن الرابع عشر ـ يرد الأستاذ الندوي على الغلو في عقيدة وحدة الوجود، ثم يأتي يمجّد هؤلاء المغالين فيها، فكيف التوفيق بين الأمرين؟

(٤) المكتوبات القدوسية (ص ٣٥٠)، وعنها في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (ص٨٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الشخص بغض النظر عن علامته التي على جبينه»[1] .

هل يرجى ممن يقول بهذه العقيدة أنه ينشط في نشر الإسلام؟

- **عقيدة وحدة الأديان** : كان بعض الصوفية يعتقدون أن الأديان كلها طرق موصلة إلى الله ، ولهذا كانوا يكرهون نقد المذاهب الأخرى .

* قال الأستاذ خليق أحمد النظامي : «لقد عرفت الصوفية أهمية كل دين وكل قبلة في الخريطة الثقافية للهند» .

* وقال أيضاً : كان الصوفية يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الهندوس أيضاً يستطيعون أن يحصلوا على ميزة روحية مثل المسلمين» .

* في «نافع السالكين» :

«قال حضرة الشيخ - قدّس سرّه - : من طريقتنا أن نصالح بين المسلم والهندوسي ، واستشهد على ذلك ببيت في الفارسية ، ومعناه : «يا حافظ ! إن كنت تريد الوصل صَالِحْ مع الخاصة والعامة من الناس . قل - مع المسلم - : الله ، الله .

ومع البرهمي راما راما»[2] ، (إلههم المعبود من دون الله تعالى) .

من يرى هذا الرأي في الأديان المختلفة ، كيف يتوقع منه أنه يقوم بنشر الإسلام على وجه منظّم .

مصالحة الصوفية هذه ، مع الهندوس إلى هذه الدرجة القصوى ، هي التي سبّبت حب الهندوس لهم ، وقد أثرت هذه المصالحة في الصوفية أنفسهم حتى اختاروا كثيراً من عادات الهندوس وتقاليدهم . ومن هذه العادات والتقاليد ما كان يخالف الشرع ، كعدم ذبح الحيوان المأكول لحمه .

---

(١) «دور الصوفية في التضامن الاجتماعي» المنشور في مجلة «دار العلوم ديوبند» (بالأردية) : ص ٣٥ ، يناير ١٩٨٣م .

(٢) تأريخ مشايخ جشت (١/ ٣٨٣) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية (٨٨ ، ٩٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ويعرف عن القاضي حميد الدين الناكوري[(١)] أنه كان يتّبع طريق عدم العنف[(٢)] ، وكان يفضّل أكل الخضراوات ، ولم يكن يحبّ أبداً أن يذبح له حيوان .[(٣)]

وهل يرجى من جماعة تتنازل عن تعاليم دينها احتراماً لعواطف الكفار ، أن تقوم بنشر الإسلام في أوساطهم؟ !

وأي معنى للقيام بالدعوة إلى الله عند مجتمع لا يفرق بين مسلم وكافر؟

وما هذه الميزة الروحية الي يتمتع بها الصوفية ، ولا يستطيع الكفار أن يحصلوا عليها؟

وهل هذه المخالفات الصوفية من الإسلام في شيء؟

* * *

ملخص القول أن تاج نشر الإسلام في شبه القارة الهندية على رؤوس أصحاب الفضل الأوائل من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من المحدثين والفقهاء العاملين ، بالكتاب والسنة مع قلتهم ، وليس فيه كبير نصيب للصوفية ، لأنه لم يكن من أساسيات برامجهم .

*** قال الدكتور اشتياق أحمد الظلّي :**

«في الحقيقة أن السعي لنشر الإسلام لم يكن من مقاصد التصوف الأساسية أبداً»[(٤)] .

*** وقال الدكتور مسعود الدين العثماني** : «الدين (دين الصوفية) الذي يوجد

---

(١) تقدمت ترجمته ، وكان يفرط في السماع حتى أفتى علماء عصره بضلالته وأشاروا على السلطان بإجلائه من بلاد الهند . وتقدم أيضاً أن الأستاذ الندوي أعجبه رأيه في مسألة السماع . (تأريخ الدعوة والعزيمة : ٣/ ١١٥ تعليقاً) .

(٢) قال بعض الصوفية بنظرية عدم العنف الهندوسية احتراماً لعواطف الهندوس الذين لا يرون ذبح الحيوانات ولا أكل لحومها .

(٣) راجع «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (٩٢ ـ ٩٣) .

(٤) صحيفة «آئين» الأسبوعية بلاهور (بالأردية : العدد الشهري ديسمبر ١٩٨٨م) ، وعنه في المصدر المذكور (ص١٨٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الآن في شبه القارة الهندية ، هو من صنع هؤلاء ، وهو أجنبي عن دين الكتاب والسنة»[١] .

* لا ريب أنهم جعلوا التصوف ديناً مقابلاً لدين الكتاب والسنة ، وأتوا بعقيدة وحدة الوجود ، ووحدة الشهود ، وعقيدة الحلول والاتحاد ، التي هي دخيلة على عقيدة الإسلام ، وقد اعترف بذلك من تأثر في أفكاره ببعض الصوفية ، وأشاد بذكر الحلاج وابن عربي واعتبر الجلال الرومي أستاذاً له ، ألا وهو الشاعر الدكتور محمد إقبال فإنه قال :

«ليس التصوف الوجودي ـ عندي ـ جزءاً من الدين الإسلامي ، بل هو خلاف الإسلام ، وقد تطرّق إلى المسلمين من الأمم الكافرة»[٢] .

*وقال أيضاً :

«لا مجال لذرّة من الشك في أن التصوف نبتة أجنبية في أرض الإسلام ، ترعرعت في الجو الذهني للأعاجم»[٣] .

* * *

(١) التوحيد الخالص «الحلقة الأولى : ص ١١٠) ، وعنه في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (٧٩) .

(٢) خطوط إقبال (أي رسائله) (ص١٢٧) ، وعنها في «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية (٧٦ ـ ٧٧) .

(٣) إقبال نامه (١/ ٧٨) ، ومجلة «معارف» (ج٤ ص٧٣ ـ ابريل ١٩٥٤م) . راجع «هل انتشار الإسلام رهين للصوفية» (ص٧٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصوفية والجهاد في سبيل الله

قال الأستاذ الندوي

«لقد شاع بين الناس أن التصوف مرادف للبطالة ، والاستسلام للأوضاع الفاسدة ، والحكومات الجائرة ، وأن لا شأن له بالجهاد في سبيل الله ، والكفاح لإعلاء كلمة الله» .

ثم قال الأستاذ معلقاً عليه : «وقد تناول المؤلف موضوع نفي هذه الشائعة في ضوء التأريخ في كتابه «ربانية لا رهبانية»[(١)] .

وإليكم بعض المقتبسات من كتابه «ربانية لا رهبانية» (طبعة أردية) باختصار :

يرى الأستاذ الندوي أنه لا توجد حركة جهادية في تأريخ الإسلام ، إلا وعلى رأسها شخصية نفخت في مجاهديها روح اليقين والحب . [يريد بها شخصية صوفية] .

ثم ساق الأستاذ الندوي بعض الشهادات من التأريخ ، على ما قرر ، وقال :

١ ـ كلّما مَرَّ التأريخ الإسلامي بوقفات حالكة ، نزل في الساحة رجل من «أهل اليقين» و «أصحاب العشق» ، غيَّر مجرى التأريخ بجرأته السكرية ، وكيفيته العشقية .[(٢)]

٢ ـ لما دمر التتار العالم الإسلامي ، وأصيب المسلمون باليأس والقنوط ، قام «رجال الله»[(٣)] من أهل اليقين وأصحاب القلوب ، الذين لم ييأسوا واشتغلوا حتى أعدّوا من السلاطين التتر من بيوت الأصنام حماة للكعبة .

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (١/ ٢٩٠ مع التعليق ـ ترجمة الجلال الرومي) .

(مـلاحظة) : سيأتي بالتفصيل عن تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله ، وصلتهم بالظلمة والمستعمرين ، واستسلامهم للحكومات الجائرة ، من واقع التأريخ إن شاء الله .

(٢) من هؤلاء من «أهل اليقين» و«أصحاب العشق» ، يا ليت لو سموا بأسمائهم؟ !

(٣) سيأتي ذكر «رجال الله» هؤلاء وولائهم مع التتار ، وقول أحدهم من الرفاعية لابن تيمية : نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتر ، وأما عند الشرع فلا» ، ونقل الأستاذ الندوي نفسه [لعلّه عن ابن تيمية في «الردّ على الإخنائي»] قول أحد الشعراء : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٣ ـ لما اتجه الملك المغولي «أكبر» في الهند إلى الإلحاد واللادينية ، قام درويش عاجز بالانقلاب ضد الوضع السائد ، وهو إمام الطريقة حضرة الشيخ أحمد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني .(١)

٤ ـ لما أغار الأفرنج ، أو «مجاهدو الصليب» على العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي ، كان أغلب الرجال(٢) الذين قاموا بصد غاراتهم من شيوخ الطريقة وأهل السلسلة .(٣)

٥ ـ لما سيطر الروس على طاغستان سنة ١٨١٣م ، كان في مواجهتهم شيوخ الطريقة النقشبندية .(٤)

= يا خائفين من التتر عودُوا بقبر أبي عمر

أو قيل :

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر

(١) هذا الأمر يحتاج إلى توضيحات :

(أولاً) : لم يكن انقلابه بالسنان ، بل كان بالقلم واللسان .

(ثانياً) : كان السرهندي فقيهاً ماتريدياً كما تقدم في ترجمته مفصلاً .

(ثالثاً) : قدّم فكرة وحدة الشهود ، إزاء فكرة وحدة الوجود ، التي أيدها الأستاذ الندوي في كتابه «الإمام السرهندي» من سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام . وهو في قائمة الكتب الممنوعة في المملكة العربية السعودية بفتوى دار الإفتاء ، لكثرة ما فيه من الصوفيات .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في التوحيد الشهودي : «من اعتبره نهاية السلوك فهو ضال ضلالاً مبيناً» . (تقدم في ترجمة السرهندي مفصلاً) .

(٢) ذكر الأستاذ الندوي من هؤلاء : الأمير عبدالقادر الجزائري ، ومحمد أحمد (المهدي السوداني) والسيد أحمد السنوسي . هؤلاء وأمثالهم لم يواجهوا الأعداء بدافع من التصوف ، بل تأثروا في فرقعة السلاح في وجوه الأعداء بدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ .

وسيأتي ذكر أصناف الصوفية في مواجهة الأعداء في ساحة القتال قريباً .

(٣) سيأتي ذكر إغارة الفرنجة على المنصورة في القرن السابع الهجري ، واجتماع زعماء الصوفية لقراءة رسالة القشيري ، والمناقشة في كرامات الأولياء ، لدفع هذا البلاء .

أما القرن التاسع عشر الميلادي ، فلا يختلف فيه أمر الصوفية عن القرون السابقة . وسيأتي ما ذكره الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧ ـ ١٣٥٩هـ ، ١٨٧٠ ـ ١٩٣٩م) في تفسير الجواهر (٩/ ١٣٧ ـ ١٣٨) من إغارة الفرنجة والفرنسيين ثم تسليم الصوفية إياهم بالقيادة .

(٤) لم يعرف الروس نفسيات الصوفية في استسلامهم للأوضاع ، إذا ضمنت لهم مصالحهم المادية =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٦ـ لما هجم الإيطاليون على «برقة» و«طرابلس» ، كان دراويش السنوسية ـ وعلى رأسهم شيخ طريقتهم أحمد الشريف السنوسي ـ الذين لم يمهلوهم إلى خمسة عشر عاماً ليستتب أمرهم في المنطقة .[1]

٧ـ السيد جمال الدين الأفغاني[2] (وهو يعتبر من بناة العالم الإسلامي الجديد ،

=الخاصة ، فلم يفكروا في استغلالهم ، بل آذوهم ، فلم يبق أمامهم إلا المواجهة أو الموت ، وسيأتي سبب مثل هذه المواجهات من قبل الصوفية قريباً إن شاء الله .

(١) تقدم سببه ، وسيأتي أيضاً إن شاء الله .

(٢) تنتسب حركة الإصلاحيين إلى دعوة جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) وتلميذه محمد عبده (١٩٠٥م) .

ولا شك أن جمال الدين الأفغاني شخصية حقيقية معروفة ، ولكن ما يتعلق به من نسبة ، وعقيدة ، ومذهب ، ودعوة ، وسياسة ، وموت ، وجنازة ، وقبر أشبه بالخرافة ، لأن الكتّاب اختلفوا فيما بينهم في تحديد هذه الأمور اختلافاً ، قلما يوجد له نظير في التاريخ الحديث في تراجم الرجال .

في وسط هذا الخضم الواسع من الدعاوي يصعب تحديد نوعية دعوته في بحر من النصوص التي يستند عليها كل من هؤلاء الكتاب . وألقابه وأزياؤه المختلفة حسب البلاد تدل على أنه يوجد وراءه من يخطط له ، ويطلب منه التلون بهذه الألوان ، والتسمي بتلك الأسماء .

تدل حياته الدراسية على أنها كانت شيعية ، وهو شيعي إيراني يتستر بأهل السنة الأفغان . ونسب إلى البابية لأجل معتقداته المتقاربة مع معتقدات البابية ، وقد سجن أيضاً مع البابي قاتل ناصر الدين (شاه إيران) سنة ١٢٦٨هـ .

وينسب إلى الإلحاد أيضاً لرأيه أن النبوة صناعة ، وقوله بالاكتفاء بالقرآن دون السنة ، وإنكاره للمعجزات ، واعتقاده بوحدة الوجود ، ودعوته إلى وحدة الأديان ، وغيرها من الطامات .

وأما انتماؤه إلى المحافل الماسونية فمعروف ، فقد انضم إلى المحفل الماسوني البريطاني ، ثم إلى المحفل الماسوني الفرنسي ، وبعد ثلاث سنوات أصبح من أهم رجال المحفل الماسوني وتم اختياره رئيساً له لعام ١٨٧٨م بمصر .

وأنشأ المنظمات السرية للإطاحة بالحكام ، وإثارة الشعب ضدهم ، وكانت لبعضها صلة بالإنجليز . وكان طابع هذه الجمعيات سياسياً سرياً للغاية ، وقد جمعت في أعضائها الخليط من اليهود والنصارى والمسلمين . وهذا الخليط حول هذا الرجل الذي كان صوته أعلى الأصوات في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، والتنديد بفساد المجتمع الإسلامي ، والدعوة إلى إصلاحه؟ !

ولم تحز هذه الجمعيات والمنظمات التي أنشأها الأفغاني بثقة الأوساط الدينية ، وكانت دائماً موضع ريبة وشك في أعين الطبقة الذكية من المسلمين ، لتحررها من أصول الدين وقواعد الإسلام في كثير من الأمور . =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد نفح في العالم الإسلامي من أفغانستان إلى تركيا روح الحمية والاتحاد الإسلامي)، كان لذكره القلبي، وصحوته الباطنيّة أثر في حرقته الداخلية، ونفسه الساخن، وطبعه المضطرب، وجهده المتواصل.

وكذلك كان تلميذه الرشيد وساعده الأيمن: محمد عبده يتمتع بالتصوف، ويعرف طرقه.(١)

=لقد تغاضى الأستاذ الندوي عن رأي الأفغاني أن النبوة صناعة، وقوله بالاكتفاء بالقرآن دون السنة، وإنكاره للمعجزات، واعتقاده بوحدة الوجود، ودعوته إلى وحدة الأديان وغيرها من الطامات ـ وأبدى ثقته بشخصه ودعوته، وخلع عليه هذه الألقاب اللامعة التي يغتر بها الشباب المسلم، لأجل أنه كان متصوفاً، وكان لتصوفه أثر كبير في جهده المتواصل. إن هذا لشيء عجاب. «حبك الشيء يعمي ويصمّ».

لمثل هذا يذوب القلب من كـمـد   إن كـان في القلب إخـلاص وإيمان

هل يسمح له تصوفه أن يعتقد بهذه المعتقدات الباطلة؟

وهل يبدل تصوفه سيئاته حسنات؟

إذا كان الأمر هكذا، فاللهم سلّم سلّم!! (دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة: ١٩٥ ـ ٢٠٩).

(١) الأستاذ محمد عبده أشهر تلاميذ الأفغاني بلا منازع. قال في رسالة له إلى أستاذه:

«... نحن الآن على سنتك القديمة، لا نقطع رأس الدين إلا بسيف الدين، ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهادا عبادا ركّعاً سجداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل» (دعوة الإخوان: ص ٥٦).

وقال الأستاذ مصطفى صبري:

«وأما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده، فخلاصته أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين، فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر» (موقف العقل والعلم والدين: ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

هذا قليل من كثير من أفكار محمد عبده، التي انحرفت عن الخط المستقيم، وعليه ملاحظات أخرى أيضاً، لا ينسى دورها في تحديد اتجاهاته، ومنها:

* عمق صلته بالإنجليز، مع أن شيخه جمال الدين الأفغاني كان يتظاهر بحربه لهم.
* وتغيير وجهة نظره نحو السياسة، وتحسره على أيامه السابقة التي أضاعها في زمن شيخه.
* وتساهله في الفتيا، وإباحته لحم البقر وغيره المذبوح بالصعق على الطريقة الأوروبية، وتجويزه الربا اليسير، وهو محرّم بنص الكتاب والسنة. =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٨ ـ كان الشيخ حسن البنا (مؤسس «الإخوان المسلمين» : أقوى الحركات الدينيّة المعاصرة) مبايعاً على الطريقة الحصافية الشاذلية ، وكان لهذه التربية الصوفية أثر كبير في خصائصه .(١)

---

* ووجوده مع نساء أوروبيات كاشفات في بعض الصور ، يدل على أنه كان يسير على خط شيخه جمال الدين الأفغاني ، في هذه الأمور .

* إنه سافر إلى أوروبا ، وإلى بلاد الشام ، ولكنه لم يخطر بباله الذهاب لأداء فريضة الحج ، ولذا كان يصفه أقرب أصدقائه ، وهو المستر بلنت ـ فيقول :

«وعبده لا يؤمن بنهاية سعيدة للجنس البشري ، وأخشى أن أقول : إن محمد عبده بالرغم أنه المفتي الأعظم ، ليس له الثقة في الإسلام بأكثر مما لي من الثقة في الكنيسة الكاثوليكية» (الإسلام والحضارة الغربية : ٨٠ ـ ٩٥) .

وهذا غير مستغرب ، فقد كان محمد عبده رئيس المحفل الماسوني في مصر بعد جمال الدين الأفغاني (موقف العقل والعلم والدين : ١/ ٣٤٢) .

كما أنه عندمانزل بلاد الشام ضيفاً على المحفل الماسوني ، فلا يستغرب أن ينسب إليه الزندقة والمروق . (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : ١/ ٣٢٩) . [راجع «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٠١ ـ ٢٠٤] .

أتساءل : هل كل ما صدر من الأفغاني وتلميذه محمد عبده من آراء وأفكار ، كان بدافع من التصوف ! فإن كان هكذا ، فهنيئاً لكم هذا التصوف ، وسلّموا على الإسلام !

فإن لم يكن بدافع من التصوف ، فلماذا هذا الاعتزاز بجهودهما ، وعدها من جهود الصوفية؟ !

راجع أيضاً ما كتبه الأستاذ الندوي عن الأفغاني ومحمد عبده في كتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية» (٩٢ ـ ٩٦) .

(١) لا شك أن الأستاذ حسن البنا نشأ على التصوف ، وكان يداوم على الأوراد والأذكار على الطريقة الحصافية إلى آخر حياته ـ إلا أنه كان يرى أن الفكرة الصوفية جاوزت حد علم السلوك والتربية إلى تحليل الأذواق والمواجد ، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها ، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه ، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف ، والدعوة إلى الزهد والتقشف ـ إلى أن قال ـ ولكن هذا الخلط أفسد كثيراً من هذه الفوائد وقضى عليها .

ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في إصلاح هذه الطوائف من الناس . . . وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ من العلماء الصالحين لدراسة هذه المجتمعات ، والإفادة من هذه الثروة العلمية ، وتخليصها مما علق بها ، وقيادة هذه الجماهير قيادة صالحة» . (مذكرات الدعوة والداعية : ٣٠ ـ ٣١) .

رأى الأستاذ البنا مع إشادته بالتصوف ، تخليصه من الشوائب أيضاً ، التي علق بها ، وأفسد كثيراً .

لم يكن الجانب العملي في الدعوة ، والتفكير في الجهاد ، عند الأستاذ البنا وغيره من الإخوان من =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٩ـ يوجد في الهند مثال المزج العجيب بين التصوف والجهاد، الذي يتعذر وجوده. وقائع السيد أحمد بن عرفان[1] ورفقائه في عاطفة الجهاد، وشوقهم إلى الشهادة، وحبهم للدين، تذكرنا بالقرون الأولى. وهي تشعرنا بأنها كانت ريحاً إيمانية متبقية من القرن الأول، هبَّت في القرن الثالث عشر، وتدلنا بأنه كم يوجد من القوة والتأثير للتربية على منهاج النبوَّة[2] في الإيمان والتوحيد، والتعلق الصحيح بالله ـ

=معطيات التصوف. (وهي معروفة في جوانب أخرى من حياتهم) بل تأثروا في ذلك بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته الذين يعتبرونهم ـ على مضض ـ أساتذة لهم في هذه المجالات. (بعض ما علمني الإخوان المسلمون للتلمساني: ٣ـ٤).

(١) السيد أحمد بن عرفان البريلوي (ـ١٢٤٦هـ) ينتمي في التصوف إلى الطريقة المجددية (نسبة إلى مجدد الألف الثاني: الشيخ أحمد السرهندي، وهي فرع من النقشبندية): ومن رفقائه: الشاه إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي (ـ١٢٤٦هـ)، وعلماء «صادق بور» ـ بتنة ـ الذين حرّضوا المسلمين على القتال ضد أعداء الإسلام من السيخ والإنجليز، ومع شيء من صوفياتهم «كان شعارهم الجمع بين عقيدةالتوحيد الخالصة، والعمل بالحديث الشريف، والاشتغال بالذكر، والتزكية، والجهاد في سبيل الله» (الإمام السرهندي: ص ٣٣٢ تعليقاً).

أقضت حركة الشاه إسماعيل الجهادية مضاجع السيخ والإنجليز، حتى قتل هو ومرشده السيد أحمد بن عرفان في ميدان بالاكوت ١٢٤٦هـ، على يد السيخ.

بعد هذا الواقع الأليم تحولت حركة الجهاد إلى حركة سرية ضد الاستعمار وانعزلت الحنفية عنها، وبقي أنصارها من علماء صادق بور وغيرهم من أهل الحديث يقلقون جيش الاستعمار، خاصة في الحدود الشمالية من الهند إلى أن انتهى دوره منها سنة ١٩٤٧م.

فضل هذا الجهاد يرجع بعد الله تعالى ـ إلى الشاه إسماعيل الدهلوي (قائد الجناح العسكري) ورفقائه الذين رفعوا رايته بعده من علماء صادق بور وغيرهم، وبمرور الزمن تخلوا عما كان فيهم من شوائب التصوف، وحقاً صار شعارهم الجمع بين العقيدة الصحيحة، والعمل بالحديث الشريف، وتزكية النفس، والجهاد في سبيل الله تعالى. فرحمهم الله رحمة واسعة. وذكر الدكتور أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح» (ص ٢١) أن السيد أحمد آمن بالمذهب الوهابي في حج سنة ١٧٢٢م ورجع إلى بلاده وأعلن الجهاد ضد من لم يعتنق مذهبه، ولقيت الحكومة الإنجليزية متاعب شاقة من أتباعه.

وقد رد الدكتور محمد إسماعيل الندوي على أحمد أمين في هذه الأمور ثم قال: « . . . إلا أن فكرة الجهاد ضد السيخ والإنجليز . . . فلا مانع من القول بأنهما استقياها من الوهابية أثناء حجّهما لبيت الله الحرام» (تأريخ الصلات: ص٢٥٧).

(٢) هذه التربية يعني بها «تربية صوفية»، فكيف تكون على منهاج النبوة، ولقب الصوفي لم يبتدع إلا في منتصف القرن الثاني الهجري، وأن أول من لقب به هو «أبو هاشم الكوفي». (هذه هي الصوفية: ص١٧٢). =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومن غير الروحانية الصحيحة والإصلاح أمل العاطفة القوية ، والكفاح والجهاد والتفاني أمل خاطيء ومغلوط .(١)

١٠ـ نرى من أهل السلسلة وأصحاب الإرشاد : الحاج إمداد الله(٢) .

=والدليل على أن هذه التربية لم تكن على منهاج النبوة ، بأن السيد أحمد بن عرفان لما قتل مع رفقائه في «بالاكوت» سنة ١٢٤٦هـ ، «تفرق الناس في أمره . فمنهم من يقول : إنه نال درجة الشهادة ، ومنهم من يقول : إنه غاب ، وسيخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً» (نزهة الخواطر : ٧/ ٣٢) .

وقد ذكر الأستاذ الندوي في «سيرت أحمد شهيد» عنه ما يدلّ على أنه رآى النبي ﷺ يقظة ـ لا مناماً ـ فأخبره بكون الليلة ليلة القدر . وقد ردّ عليه الدكتور محمد تقي الدين الهلالي (أستاذ الندوي) في «السراج المنير» (٧٤ ـ ٧٥) .

(١) هناك من بلغ الذروة العليا من الروحانية وإصلاح النفس ، ولكن لم يعر أي اهتمام بالكفاح والجهاد ، والتفاني في سبيل الله . وما أمر الغزالي عنكم ببعيد . وسيأتي مفصلاً إن شاء الله .

(٢) الحاج إمداد الله ـ تقدمت ترجمته ـ قال فيه الأستاذ الندوي : «وفي أوائل القرن الرابع عشر اشتهر الحاج إمداد الله المهاجر المكي بلقب «شيخ العرب والعجم» واستفاد منه كثير من أهل الحجاز والحجاج الوافدين إليه .

وما زال هذا النبراس ـ نبراس الإصلاح الباطني ـ مضيئاً في العالم الإسلامي بفضل الهند ، ولا تزال طريقة الحبّ الإلهي مستمرة باقية فيها ، وهي المرجع العالمي لهذا الفن من أجل بعض رجالاته وأعلامه» (المسلمون في الهند : ص١٣٥) .

* وقد صرح الحاج إمداد الله بأن عقيدة وحدة الوجود هي عقيدته وعقيدة جميع مشايخه وعقيدة جميع مريديه وذكر فيهم الشيخ النانوتوي الإمام الأول للديوبندية والشيخ الجنجوهي الإمام الثاني للديوبندية . (بيان وحدة الوجود : ١٣٠ ـ ١٣٣ ، والشمائم الإمدادية : ٣١ ـ ٣٢ وعنهما في جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبور : ٢/ ٧٩٤) .

* ونقل تلميذه الشيخ أشرف علي التهانوي عن الحاج إمداد الله تقريره لوحدة الوجود فإنه قال :

(قيل لموحّد : إذا كان الحلوى والخرء شيئاً واحداً فكل الحلوى والخرء جميعاً ! ! ! فجعل هذا الموحّد شكله شكل الخنزير ، فأكل الخرء ثم حول نفسه من صورة الخنزير إلى صورة الآدمي ، فأكل الحلوى) . .

وعلق التهانوي على هذا الكلام ، فقال :

(إن هذا المعترض على هذا الموحد كان غبياً ، ولذلك تكلّف هذا الموحّد هذا التصرف ، وإلا فالجواب ظاهر وهو أن الحلوى والخرء متحدان في الحقيقة ، لا في الأحكام والآثار) . (إمداد المشتاق : ص ١٠١ ، وعنه في «جهود علماء الحنفية» : ٢/ ٧٩١) .

[الموحد عندهم ـ من يرى عقيدة وحدة الوجود] .

هذا هو الحاج إمداد الله ، وقد بالغ الأستاذ الندوي في الثناء عليه فقال : =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والحافظ محمد ضامن[1] والشيخ محمد قاسم النانوتوي[2] ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي .[3] يصفون ضد الإنجليز في معركة «شاملي» .[4]

=« . . . وعاش أياماً طويلة [أي في مكة] في عسر شديد وفقر وفاقة ، شأن الأولياء المتقدمين وهو صابر محتسب . . . حتى جاء الله بالفرج . . . وأمه طلاب المعرفة واليقين من بلاد بعيدة ، وبارك الله في تربيته وطريقته ، فانتشرت أنوارهما في الآفاق ، وجدد به الطريقة الجشتية الصابرية ، وانتمى إليها ودخل في سلكها كبار العلماء والفضلاء» (زيادته على نزهة الخواطر : ٨/ ٧١) .

وأما ما يتعلق بإسهام الحاج إمداد الله في القتال ضد الإنجليز فتأتي حقيقته قريباً إن شاء الله .

(١) كان الحافظ محمد ضامن من زملاء الحاج إمداد الله وقتل في مواجهة وقعت بدون ميعاد مع الموالين للإنجليز . (تذكرة الرشيد : ص٧٤ ، وعنها في «ماضي علماء ديوبند : ١٥٣) .

وتذكر له كرامات في حياته وبعد مماته :

* كان أحد مريدي الحاج إمداد الله في سفره إلى الحج ، فكادت الباخرة تغرق ، فرأى هذا المريد في مراقبته أنه حمل أحد جانبيها الحافظ محمد ضامن ، والآخر الحاج إمداد الله على عاتقيهما ، وجعلاها مستوية على الماء . (وسجل هذا المريد الوقت والتأريخ واليوم في كتابه) .

ولما رجع إلى «تهانه بهون» (الهند) ، وذكر لأحد خدام الحاج إمداد الله ما حصل له في البحر في ذلك التأريخ ، فصدقه قائلاً : بأني كنت حاضراً ، وقد أعطاني الحاج والحافظ إزاريهما مبلولين بماء البحر ، فغسلتهما» . (كرامات إمدادية : ص١٤) .

* أما من كراماته بعد وفاته ، فقالوا :

(إن شخصاً صاحب الكشف أراد زيارة قبر الحافظ محمد ضامن رحمة الله عليه ليقرأ عليه سورة الفاتحة ؛ فلما ذهب إلى قبره وقرأ عليه سورة الفاتحة ، قال لرفقته : إن هذا الولي مزّاح عجيب إلى الغاية ؛ لأنني حينما كنت أقرأ عليه سورة الفاتحة قال لي : اذهب إلى ميت فاقرأ عليه الفاتحة !!! ماذا تصنع ههنا؟ !؟ جئت لتقرأ الفاتحة على الأحياء !!!) (الأرواح الثلاثة : ٢٢٣ ، وحكايات الأولياء للتهانوي : ص١٨٨ ، وعنهما في «جهود علماء الحنفية» : ٢/ ٧٩٨) .

لا أدري أيهما أعجب؟ كلام المقبور أم سماع الزائر كلامه؟ بل كلاهما أعجب من الآخر . ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد !

وأما يتعلق بمساهمة الحافظ ضامن في قتال الإنجليز فسيأتي قريباً إن شاء الله .

(٢) الشيخ محمد قاسم النانوتوي كان من تلامذة الحاج إمداد الله في التصوف ، وكان يعتقد بحياة النبي ﷺ حياة دنيوية ، وهو مؤسس دار العلوم بديوبند ، وتقدمت ترجمته . وأما ما يتعلق بقتاله ضد الإنجليز فسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

(٣) الشيخ أحمد رشيد من تلامذة الحاج إمداد الله في التصوف ، وشريك النانوتوي في المعتقد والمذهب . تقدمت ترجمته ، وما يتعلق بنضاله ضد الإنجليز ، سيأتي حقيقته إن شاء الله .

(٤) لا يوجد أي ذكر لعلماء الديوبندية في تأريخ الثورة ضد الإنجليز في الهند .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=* قال الشيخ محمد ميان (أحد المؤرخين من الديوبندية) :
« . . . كتب شمس العلماء ذكاء الله خان الدهلوي ما يقارب ثمانمائة صفحة عن ثورة سنة ١٨٥٧م ، في كتابه المشهور «تأريخ أوج العهد الإنجليزي» ، ولا يوجد في هذه الصفحات الثمانمائة سطر عن مجاهدي هذه المنطقة ، فضلاً عن صفحة» . (الماضي الزاهر لعلماء الهند : ٤/ ٢٤٩ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ص١٤٢) .

*كان كبار علماء ديوبند من تلامذة الشيخ مملوك علي (أحد الموالين للإنجليز) في كلية دهلي ، وكانوا موظفين في سلك الحكومة ، ما عدا الشيخ النانوتوي وأحيلوا إلى المعاش . لأجل هذا كانوا في نظر الحكومة فوق الشبهات .

* كان بعضهم يتلقى العطايا الخفية من الحكومة ، في حين كانت أموال المجاهدين تصادر .

* كان بعض ممثلي الحكومة يزورون دار العلوم بديوبند ، وهي ترحب بهم ، وهم كانوا يصدرون لها توصيات وتزكيات ، في حين كانت بعض المدارس تهدم . (سيأتي شيء من التفصيل عن هذه الأمور كلها في محلها) .

هذه الحقائق تجعلنا نشك فيما قرره الشيخ عبيد الله السندي ، والشيخ حسين أحمد المدني ، والشيخ محمد ميان ، والأستاذ أيوب القادري من إسهام علماء الديوبندية في الثورة ضد الإنجليز في الهند ، ويدندن حوله الأستا ذالندوي أيضاً . (المسلمون في الهند : ١٦٥) .

أما نزولهم في ساحة «شاملي» (وهي بلدة صغيرة من أعمال مظفر نكر) خاصة ، فهي قضية تحتاج إلى وقفه قصيرة معها لتتبين كما هي .

* سمع القاضي عنايت علي خان (وهو من تهانه بهون) أن أخاه عبد الرحيم صلب على أيدي الإنجليز ، فقام بالثورة ضد الحكومة ، انتقاماً لأخيه ، وسلب من الحمالين بعض الأسلحة والذخائر ، التي كانوا ينقلونها من «سهارن فور» إلى «كيرانه» .

* وجلس بالمرصاد مع أعوانه في غابة يمر بها أحد الشوارع في شاملي ، في ١٦/ ستمبر ١٨٥٧م ، فهجموا على حمالي الخزانة ، فقتلوهم ، وسلبوا الخزانة .

* ومنعه العلماء من القيام بمثل هذه العمليات .

هذا مختصر ما حصل في «شاملي» ، ولكن الشعور بمركب النقص لعدم إسهام الديوبندية في الثورة ضد الإنجليز جعل مؤرخيها يختلقون التأريخ ، ويملأون ذلك الفراغ واستغلوا هذا الحادث الذي وقع في (١٦/ ستمبر ١٨٥٧م) كأنهم فتحوا المقر الرئيسي للقوات المسلحة في بريطانية ، مع أن المؤرخين الآخرين منهم الذين هم أوثق منهم وأقدم ينكرون تفاصيلها ، كالشيخ مناظر أحسن الكيلاني في «سوانح قاسمي» ، والشيخ عاشق إلهي الميرتهي في «تذكرة الرشيد» .

قالوا : بعد صلب عبد الرحيم خان بدأ الناس يتوافدون إلى «تهانه بهون» وانعقد مجلس ، اختير فيه الحاج إمداد الله أميراً للجهاد ، والشيخ قاسم النانوتوى قائداً للقوات ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . .

=قاضياً ، والنانوتوى والحافظ ضامن قائدي الميمنة والميسرة .

ثم اختلفوا في تسمية قائد القوات على النحو التالي :

* قال بعضهم : كان النانوتوي قائد القوات .

* وقال البعض : كان الكنكوهي قائد القوات .

* وقال الآخر : كان الحافظ قائد القوات .

* وقال غيره : كان القاضي عنايت علي خان قائد القوات .

مهّد الشيخ محمد ميان لتسجيل الوقائع والأحداث بدون الإحالة إلى مصادرها ومراجعها فقال : «هذا الجمع الكثير الذي اجتمع حول الحاج إمداد الله ، إن كان له دفتر ، ضاع في ثورة سنة ١٨٥٧هـ ، ولا يستطاع الحصول على جزء منه الآن» (الماضي الزاهر لعلماء الهند : ٤/ ٢٧٦ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ص١٤٧) . ما هكذا يكتب التأريخ !!

* هذا الحاج إمداد الله (أمير الجهاد) ، كان بين ثورة سنة ١٨٥٧م ـ ١٢٧٤هـ وبين هجرته إلى مكة (سنة ١٨٥٩م ـ ١٢٧٦هـ) سنتان . ونجا خلال هذه المدة من إلقاء القبض عليه بكراماته التي لا يصدقها إلا مريدوه ومعتقدوه . (ماضي علماء ديوبند : ١٥٥) .

قال الشيخ حسين أحمد المدني : «كان الحاج إمداد الله موافقاً للحافظ ضامن في أمر الثورة ، ولكنه لم يكن بارزاً فيه ، ولا متحمساً ذاك التحمس» (نقش حيات : ٤٥١ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ١٥٦) . هذا هو أمير الجهاد إمداد الله الذي هاجر إلى مكة على رغبة منه . (نقش حيات : ٦٦) فجعل المؤرخون من الديوبندية سبب هجرته النجاة من بطش الإنجليز .

كيف يخاف الحاج إمداد الله من بطش الحكومة ، وقد أفرج عن الشيخ الكنكوهي (قائد القوات على رأي) بعد التحقيق العميق والتحري الدقيق ، واتضح كالشمس في نصف النهار أن اتهام مشاركته في جماعة المفسدين كان تهمة محضة ، وبهتاناً صرفا» ، (تذكرة الرشيد : ص٧٩ ، وعنها في «ماضي علماء ديوبند» : ١٥٤) . وسيأتي مزيد من التوضيح قريباً إن شاء الله .

* وأما دور الحافظ ضامن في هذه الثورة ، فذكره الشيخ عاشق إلهي الميرتهي بأن المواجهة التي قتل فيها الحافظ حصلت اتفاقاً بدون ميعاد . (تذكرة الرشيد : ص٧٤)

لعل هذه المواجهة كانت في يوم ١٦/ ستمبر ١٨٥٧م لمدة قصيرة أو طويلة .

ولكن العجيب أن الشيخ حسين أحمد المدني لوّنها بلون آخر فقال : «وبعد قتله تبرّدت القضية . وقبل قتله كان الخبر يتلقى بأنهم سلبوا اليوم من الإنجليز المكان الفلاني ، واحتلوا اليوم المكان الفلاني» . (نقش حيات : ص٤٥٢) . والطريف أنه لم يذكر أي مكان باسمه . (ماضي علماء ديوبند : ص١٥٤) .

* أما دور الشيخ قاسم النانوتوى في هذه الثورة ، فوضّح حقيقته الشيخ مناظر أحسن الكيلاني ، فقال : «نظراً إلى هذا المستوى العادي ، التسليم بأن سيدنا الإمام الكبير (النانوتوي) أيضاً ساهم في ثورة سنة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١١ـ ثمَّ تأتي جهود الشيخ محمود حسن الديوبندي(١) (الملقب بشيخ الهند) من

=١٨٥٧م ، كما تساقطت العامة من الناس في نارها ، لا يوافق هذا الإقدام العاجل شأنه ، ولا الحوادث تؤيديه» . (سوانح قاسمي : ص٨٩) .

وقال أيضاً : «ليست لهذه الشائعات أي قيمة أكثر من الجنون بأن سيدنا الإمام الكبير (النانوتوى) كان له يد ـ مع رفقائه في العلم والدين ـ في إثارة هذه الثورة ، بل الواقع أنه كان بعيداً عن هذا الإفساد كل البعد» . (سوانح قاسمي : ص١٠٩ ، وعنها في «ماضي علماء ديوبند» : ص١٥١) .

هذا هو الشيخ النانوتوي الذي جعلوه قائد القوات في معركة «شاملي» .

* أما الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، فبيّن حقيقة دوره الشيخ عاشق إلهي الميرتهى (صاحب تذكرة الرشيد) ، كما نقل عنه الشيخ محمد ميان فقال :

«اعتبر الشيخ عاشق إلهي الميرتهى ، القاضي عنايت علي خان حامل لواء الثورة ، ولم يسلم أي إقدام فيها من قبل الشيخ الكنكوهي ، ورفقائه» . (الماضي الزاهر لعلماء الهند : ٤/ ٢٧٠) .

هذا الكلام يؤيد ما قاله السير السيد أحمد خان (مؤسس جامعة على كره الإسلامية) الذي عاش هذه الأحداث ، وهو كما يلي : «أثار مسلموا تهانه بهون (وكان قائدهم : القاضي عنايت علي خان) ثورة ضد الإنجليز فجأة ، وهجم جمع كبير على بلدة «شاملي» . (حرب الاستقلال : ١٨٠ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ١٤٨) .

بعد كل هذا ، إلى أي مدى يصح أن يقال : إن أهل السلسلة الصوفية هؤلاء صفّوا ضد الإنجليز في معركة «شاملي» . ثم كانت معركة شاملي ليوم واحد ، فأين دورهم قبل «شاملي» ، وبعد «شاملي» .

والحق أنهم زوروا التأريخ ـ حيناً ـ تسكيناً لشعورهم بمركب النقص الذي نشأ بالفراغ التأريخي ، لأجل فرار كبارهم من معترك الساعة ، وجعلوا الدعاية أكبر من الواقع حيناً آخر ، وخلاف الواقع أحياناً كثيرة .

قال صاحب «تذكرة الرشيد» : «كان هؤلاء العلماء أبرياء ، ولكن أعداءهم ، هم الذين اتهموهم بالبغي والفساد ضد الحكم (الإنجليزي) ، ولأجل هذا كانوا معرضين لإلقاء القبض عليهم ، ولكن الله حفظهم .

وإن هؤلاء العلماء ، كما كانوا مخلصين لحكومتهم الرحيمة ، كذلك ما زالوا مخلصين لها إلى آخر حياتهم» . (تذكرة الرشيد : ص٧٩ ، وعنها في «ماضي علماء ديوبند : ١٥٤) .

التأريخ عبارة عن تدوين ما وقع من الأحداث في الماضي ، أما تسجيل ما تشتيه النفس من غير إحالته إلى مصدر موثوق به ، يكون شهادة الزور ، ولا يسمى تأريخاً .

صحيحاً قال إمام الهند أبو الكلام آزاد في تذكرته : «كل يستطيع أن يشتغل بأشغال الحجرات ، ولكن التفاني في ساحة الجهاد ليس بمقدور كل أحد من الناس» . (ماضي علماء ديوبند : ص١٤٦) . ولعل لهذا الموضوع موضعاً آخر إن شاء الله .

(١) الشيخ محمود حسن الديوبندي(١٢٦٨ ـ ١٣٣٩هـ)ـ رئيس أساتذة دار العلوم بديوبند ـ من تلامذة =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إعداد العدّة للجهاد ضد الإنجليز .(١)

=الشيخ قاسم النانوتوى ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وأدرك بمكة المكرمة الحاج إمداد الله أيضاً .
وقال السيد عبد الحي : « . . . كان يتردد إليه (أي إلى الكنكوهي) غير مرة في السنة ، حتى كبره موت الكبراء ، لقيته بديوبند غير مرة ، ووجدته ملازماً للعبادة . . .» (نزهة الخواطر : ٨/ ٤٦٦) .
قال الأستاذ الندوي : إنه كان من كبار الحاقدين على الإنجليز ، وكبار الدعاة إلى استقلال الهند ، وإقامة الحكومة الوطنية الحرة . (المسلمون في الهند : ص١٧٩) .
على الرغم من هذا ، لما بدأت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، كانت الفرصة مواتية لزعزعة الحكومة الإنجليزية ، ولكنها فرحت بما أن الهند كانت هادئة مطمئنة ، مع وجود كبار أهل ديوبند في داخلها .
وزد إلى ذلك أن المجاهدين أرادوا أن يستغلوا هذه الفرصة لطرد الاستعمار من الهند ، فرغبوا حبيب الله خان (ملك أفغانستان) في الهجوم على الهند ، ولكنه لم يقبل ، فأرسلوا ثلاثة وفود متتالية إلى الشيخ محمود حسن لحث الملك على التدخّل في الهند ، ولكنه لم يستجب ، وسافر إلى الحجاز ، لينجو من إلقاء القبض عليه ، ولكنه قبض عليه هناك .
وبرر المؤرخون من الديوبندية موقفه هذا ، بأنه أراد أن يبعد دار العلوم ديوبند من عتاب الحكومة . (حركة شيخ الهند : ١٠٤ ، وماضي علماء ديوبند : ١٧٦ ، ١٧٨) .
ولا ينسى أن المدارس الإسلامية الأخرى من أقصا الهند إلى أدناها اكتوت بنار الحكومة ، وخاصة عند سقوط دلهي سنة ١٨٥٧م نسفت المدرسة الرحيمية ، وجعلت قاعاً صفصفاً ، وأزيلت حارة كاملة ، وأقيمت مكانها محطة للقطار ، وصودرت أموال المجاهدين ، وهدمت بيوتهم ، ونبشت قبورهم ، وفي منطقة بنغال وحدها تضرر ما يقارب ثمانين ألف مدرسة .
في هذه الظروف الدقيقة من تأريخ المسلمين في شبه القارة الهندية أقيمت دار العلوم ديوبند ، والمدرسة الملكية بمراد آباد ، ومظاهر العلوم بسهارن بور ، وأعلنت انحيازها عن السياسة . (ماضي علماء ديوبند : ١٦٣ ـ ١٦٤ ، نقلاً عن «الماضي الزاهر لعلماء الهند») .
اختار كبار الديوبندية أساليب كثيرة لأجل النجاة من بطش الحكومة ، ومنها :
* أنهم هاجروا إلى الحجاز .
* وبعضهم دخلوا في حجرات المدارس ، وطهّروا أنفسهم من السياسة .
* وبعضهم شكّلوا جماعة ، كان شعارها : «السياسة من التياسة» .
وكذلك رتب أهل ديوبند منهاجاً جديداً ، يعني أنهم ليسوا مع الحكومة ولا مع المناضلين ضدها . وكان هذا خلاف إرادة الشعب المسلم في الهند .
وأدت هذه السياسة ـ سياسة الفرار من التضحيات ـ إلى القضاء على القيادة المسلمة في الهند فيما بعد .

(١) قال الأستاذ الندوي أيضاً : «وكان قد وضع خطة لتحرير الهند من حكم الإنجليز ، وكان يريد أن يستعين فيها بالحكومة الأفغانية والخلافة العثمانية ، وهيأ لها جماعة من تلاميذه ، وممن يثق بهم من أصحابه ، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=وكان في مقدمتهم المولوى عبيد الله السندي وأرسله إلى أفغانستان . . .» (زيادته على «نزهة الخواطر : ٨/ ٤٦٦) .

وقال أيضاً : « . . . وكان من الذين ملكتهم هذه القضية (أي تأسيس الحكومة الوطنية الحرة) وتفانى فيها ، وحاول الاتصال بحكومة أفغانستان ، ورجال الدولة العثمانية كأنور باشا وغيره . . .» ـ ثم علق عليه قائلاً :

«وأخذ فعلا رسائل من أنور باشا وجمال باشا في تأييد قضية الهند ، وكفاحها ضد الإنجليز ، وحثّ الرعايا التركية على مساعدة مولانا محمود حسن وقد دسها أصحاب الشيخ في جوف ألواح صندوق خشبي وملأه بقماش الحرير وأرسله إلى الهند حيث وصل إلى أصحابه ، ومن هنا اشتهرت القصة بالرسائل الحريرية ، وذكرها (Rowlatt) في تقريره المشهور» . (المسلمون في الهند : ١٧٩ ـ ١٨٠ مع التعليق) .

هناك عدة ملاحظات على ما قرره الأستاذ الندوي ههنا ، وهي تتلخص فيما يأتي :

(الأولى) : وضع خطة لأي قضية شيء ، وتنفيذها شيء آخر ، لا ينكر وضع الخطة لتحرير الهند ، ولكن أين كان العمل بها ، وماذا كانت النتيجة؟ !

قال الأستاذ غلام رسول مهر (المؤرخ المسلم الشهير) بعدما أشاد بجهود الشيخ محمود حسن : « . . . بما أن هذه الخطة كلها أعدت في حالة اضطرارية ، لذا لم يكن أي جزء منها متيناً» .

وقال فيمن اختيروا لتنفيذ هذه الخطة : «إن العاملين لتحقيق هذا الهدف لم يكونوا على مستوى الأحداث من كل ناحية» (قصص المجاهدين : ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ـ «سركز شت مجاهدين») .

(الثانية) : لم يستجب الشيخ محمود حسن لنداء المجاهدين حين طلبوا منه أن يحث حبيب الله خان (ملك أفغانستان) على التدخل في الهند . فماذا يعني إرسال مبعوثه المولوى عبيد الله السندي إلى أفغانستان؟

لقد وضّح حقيقة هذا الابتعاث الأستاذ ظفر حسن (تلميذ عبيد الله الرشيد) فقال في وقائع حياته التي ألفها بنفسه (١/ ٩٦) : «قد أرسله الشيخ محمود حسن والزعماء المسلمون الآخرون إلى «كابل» ، لاستعادة احترامهم السابق (في نظر الشعب) ، ولكنهم لم يوكّلوه أي مهمة خاصة» . (ماضي علماء ديوبند : ص١٧٧ ، وتحريك شيخ الهند : ص١٠٣) .

(الثالثة) : كان بعض المستشارين الموثوق بهم من معتقدي الشيخ محمود حسن ، من جواسيس الدولة . (حركة المنديل الحريري : ٢٣٧) .

أُرسلَ جاسوس مع الشيخ إلى الحجاز ، وكان يقوم بإحباط خططه من جهة ، ويخبر الإنجليز ما كان يدور في مجالسه من جهة أخرى ، حتى ألقى عليه القبض بمكة (مشاهدات كابل وياغستان لمحمد علي : ص٧٢) .

لم ينتبه الأمر ههنا ، بل الشيخ «عزيركل» الذي كان مع الشيخ في منفى جزيرة مالطا ، أخبر بعض ما =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=حصل، رجلاً من المخابرات في بمباي». (حركة المنديل الحريري: ٢٤٣).
وإني أتعجب كثيراً مما صرح به الشيخ حسين أحمد المدني (تلميذ الشيخ محمود، ورفيقه في مالطا، وأحد كبار علماء ديوبند)، بأن كثيراً من العلماء ممن ينتمون إلى «ديوبند» كانوا يعملون هذا العمل» (أي التجسس).
(المصدر المذكور: ٢٤٤ ـ راجع هذه الأمور كلها في «ماضي علماء ديوبند: ٢٧٧ ـ ٢٨١).
إذاً، ما الفائدة من وضع خطة لتحرير دولة، إذ يكون مستشارون لصاحب الخطة من جواسيس الدولة نفسها؟!
(الرابعة): هذه الجهود المبثوثة التي قام بها الشيخ محمود حسن، كبرها تلامذته وأعوانه ـ أمثال الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عبيد الله السندي، والشيخ محمد ميان، والشيخ أيوب القادري ـ، واستغلوا هذه الرسائل الحريرية، فجعلوا دعايتها أكبر من الواقع حيناً، وخلاف الواقع أحياناً كثيرة. وتواطأوا في هذ الموضوع على بعض الأمور، واختلفوا في الآخرى. (وستأتي حقيقة الرسائل الحريرية إن شاء الله).
وجدير بالذكر أن الشيخ حسين أحمد المدني نفى صلة الشيخ محمود حسن بأي حركة نفياً قطعيّاً، وأنكر وقوع لقائه مع غالب باشا (حاكم الحجاز)، وأنور باشا (وزير الحرب التركي)، وجمال باشا (حاكم الشام) إنكاراً باتاً في كتابه «أسير مالطا».
ولكن لما ألف كتابه «نقش حيات»، وذكر فيه صغائر الجزئيات، ودقائق التفاصيل عن كل ما نفاه في كتابه الأول. وبرر موقفه هذا بوجهين:
(الأول): في الكتاب الأول كان الرفض على طريقة التورية والتعريض.
(الثاني): جواز الكذب، بل استحبابه، بل وجوبه في بعض الأحيان. (نقش حيات: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).
لقد عتب الأستاذ غلام رسول مهر على موقفه هذا، وقال:
«لا حاجة لنا أن نقول شيئاً عن التورية والتعريض. ولكن لا يطمئن القلب إلى الأمر الثاني... إلى ما لا تزال جميع وقائع العزيمة من صفحات التأريخ. وكيف يطمئن القلب إلى قبول هذا المسلك الذي قدمه الشيخ حسين أحمد المدني، وإن يوجد له أصل في دواوين الفقه»؟! (قصص المجاهدين: ٥٣٨ ـ ٥٣٩ باختصار).
(الخامسة): بنى المؤرخون من الديوبندية، من أنصار الشيخ محمود حسن، حركته على الرسائل الحريرية. فما هي حقيقة هذه الرسائل الحريرة؟
سميت ثلاثة أنواع من الرسائل بالرسائل الحريرية:
١ ـ الرسائل التي استلمها الملك «مهندر برتاب» من «جرمن شانسلر» الألماني (رئيس بعثة ألمانيا في قضية تحرير الهند) لإيصالها إلى ملوك الهند وأمرائها. كان فيها الحث على طرد الاستعمار البريطاني من الهند، والضمان بأن ألمانيا تساعد الهند، وتدافع عنها في هذا الشأن.
وقد استعان الملك المذكور في إرسال هذه الرسائل إلى الجهات المختصة بالشيخ عبيد الله السندي، =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=فبحثوا عمن يقوم بهذه المهمة الخطيرة في هذه الظروف الصعبة فاستلم الصوفي عبد الله (مؤسس دار العلوم مامون كانجن) منها سبع رسائل، وقام بإرسالها إلى الملكوك والأمراء في النيبال، وجود هبور، وجي بور، وكواليار، ورامبور، واندور، وبهاو لبور.
كان عدد هذه الرسائل اثنتى عشرة رسالة، وهي مكتوبة على قماش الحرير، فسميت بالرسائل الحريرية. (راجع سبب عدم رجوع الصوفي عبد الله إليهم في «ماضي علماء ديوبند» فإنه مهمّ).
هذه هي الرسائل الحريرة الحقيقية التي كانت في الحقيقة رسائل الثورة إلى ملوك الهند وأمرائها ضد الإنجليز. وليس في هذه المهمة أي دور للشيخ محمود حسن.
٢ ـ أرسل الشيخ عبيد الله السندي بعض الرسائل المكتوبة على الحرير إلي الشيخ محمود حسن في الحجاز بواسطة الشيخ عبد الحق، وأكد عليه بأن يسلّمها إلى الشيخ عبد الرحيم السندي ليذهب بها بنفسه إلى الشيخ محمود حسن، أو يرسلها إليه بواسطة حاج معتمد عليه. ولكن الشيخ عبد الحق سلم هذه الرسالة إلى خان بها درري نوازخان، وثم هو سلّمها إلى حاكم فنجاب الإنجليزي.
وبهذا انكشف سرهم، وجرى البحث عن الشيخ عبد الرحيم السندي، وأوذى الشيخ محمود في الحجاز، وألقى القبض على بعض الناس في الهند. وبعد ذلك تلقى عبد الحق وظيفة في الشرطة وكان جاسوساً، وأعطى «رب نواز» جائزة من الحكومة. (وقائع حياة ظفر حسن: ص١١٣، وقصص المجاهدين: ٥٣٤، وماضي علماء ديوبند: ٢٣٤).
واختلف المؤرخون من الديوبندية أنفسهم في هذه الرسائل على عدة أمور:
* اختلفوا في محتواها.
* واختلفوا في مقاسها.
* واختلفوا في لغتها (كانت في العربية أم الأردية).
* واختلفوا في طريقة كتابتها (هل كانت الحروف مكتوبة أو منسوجة).
* واختلفوا في عددها (هل كانت واحدة، أم ثلاثا).
* واختلفوا في وصولها إلى الشيخ عبد الرحيم.
والمهم أن هذه الرسالة ـ أو الرسائل ـ لم تصل إلى الشيخ محمود حسن، ولم يدر ما فيها، لأنه كان حينئذاك في منفى مالطا.
قال الشيخ حسين أحمد المدني: «حين سئل الشيخ محمود حسن عن الرسالة الحريرية، وما حقيقتها؟ فقال: لا علم لي بها، وما رأيتها». (أسير مالطا: ٧٨، وماضي علماء ديوبند: ص٢٣٥).
يشك في دور الشيخ عبيد الله السندي أيضاً في وصول هذه الرسالة إلى حاكم فنجاب، لأنه سلمها إلى رجل كان جاسوساً على حد تعبير تلميذه الأستاذظفر حسن. كما تقدم (المصدر المذكور: ٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٣) رسائل أنور باشا، وجمال باشا التي حصل عليه الشيخ محمود حسن في تأييد قضية الهند، وأرسلها إلى الهند في صندوق خشبي ملئ بقماش الحرير ـ كما ذكره الأستاذ الندوي ـ واشتهرت =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

=القصة بالرسائل الحريرية ، وذكرها (رولت) في تقريره المشهور . (المسلمون في الهند : ١٨٠ تعليق) .

قال الأستاذ غلام رسول مهر : «كل ما ذكر في تقرير رولت عن الرسالة الحريرية خطأ ، ومبني على المعلومات الناقصة» . (قصص المجاهدين : ص٥٣٥) .

لا يوجد دور للشيخ محمود حسن إلا في الحصول على هذه الرسائل فقط ، إن صح حصوله عليها ، ثم إرسلها إلى الهند . فإنهم اختلفوا فيها على أمور :

* لقي الشيخ محمود حسن مع أنور باشا وجمال باشا أم لا ؟

* أرسلت إلي الهند في جوف ألواح صندوق خشبي ، أم أخفيت وراء غطاء مرآة؟

* هل حملها رجل أم امرأة؟

* هل أحرقت هذه الرسائل في الطريق ، أم وصلت إلى عبيد الله السندي في كابل . (ماضي علماء ديوبند : ٢٤٢ ـ ٢٤٤) .

عرفنا مما سبق أن الرسالتين الأوليين ، لا دخل للشيخ محمود حسن فيهما . وهذه الثالثة هذه حالها ، ولكن أنصاره جعلوا «الرسائل الحريرية» حركة مستقلة . وألفوا فيها كتباً مستقلة . مثل حركة المنديل الحريري ، وحركة شيخ الهند . وقد أيّد الأستاذ الندوي هذا الاتجاه كما تقدم .

(السادسة) : ذكر الأستاذ الندوي كبار علماء ديوبند من الصوفية في سياق النضال ضد الإنجليز ، وخص بالذكر منهم : الحاج إمداد الله ، والحافظ ضامن ، والشيخ قاسم النانوتوى ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ محمود حسن الديوبندي ، وأشاد بجهودهم . كما تقدم .

وهؤلاء الصوفية من كبار الديوبندية ، قد وقَعَ بعضهم ـ خاصة يعقوب النانوتوي ، والكنكوهي ، والديوبندي ـ في أهل الحديث من علماء صادق بور ، وغيرهم وقيعة شنيعة ، ورموهم في فتواهم بالبغي والكفر والفسق ، وأكدوا أن يعامل هؤلاء معاملة الروافض . (تأريخ أهل الحديث : ص٣٢٥ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ١٣٠ ـ ١٣١) .

ومعلوم أن الأستاذ الندوي أثنى في كتاباته على جهود علماء «صادق بور» ، واعتبرها مركزاً مهماً لدعوة الإمام أحمد بن عرفان ، والشاه إسماعيل الدهلوي . وقال : «كان شعارهم الجمع بين عقيدة التوحيد الخالصة ، والعمل بالحديث الشريف ، والاشتغال بالذكر ، والتزكية ، والجهاد في سبيل الله» . (الإمام السرهندي : ص٣٣٢ تعليقاً ، والمسلمون في الهند : ١٦٥ ـ ١٦٦) .

لا أدري ، كيف يوفق الأستاذ الندوي بين الثناء على هؤلاء وعلى هؤلاء والفريقان على طرفي نقيض؟ ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب : ٤] .

إلى ما يوجد هذا النوع من الغموض والغبش في حياة الدعاة إلى الله تعالى ، يتخبط الشباب المسلم في التيه المعمى من التناقضات !

ـ فليتقوا الله تعالى في عقيدتهم ودعوتهم ، قبل أن يفوتهم الآوان .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الأحزاب : ٢٣] .

* * *

ثم قال الأستاذ الندوي :

«إلى أي حد يصحّ أن يقال ـ مع هذه الشهادات التأريخية المتواصلة[١] ـ أن البطالة والكسل والاستسلام للظروف والأحوال من لوازم التصوف[٢] .

إذا كانت هناك أمثلة من واقع بعض المتصوفة ، وأصحاب الطرق على إثبات هذه الدعوى ، فعلى العكس من ذلك هناك عدد كبير من الأمثلة من واقع أئمة الفن وشيوخ الطريقة الذين هم يسبقون الأولين في مقامهم ورسوخهم في الطريقة .[٣]

إذا كان التصوف في روحه الأصليّة ، وعلى منهاج النبوَّة[٤] تنشأ منه قوة العمل ، وعاطفة الجهاد ، والهمة العالية ، والبطولة ، والشوق[٥] إلى الشهادة .»[٦] .

وقال :

---

(١) تقدم ما لهذه «الشهادات التأريخية المتواصلة» وما عليها بشيء من التفصيل .
وستأتي الشهادات التأريخية الأخرى لإزالة ما تقدم من الشبهات في هذا الموضوع .

(٢) لم تكن بطالة الصوفية وكسلهم واستسلامهم للأوضاع الفاسدة والحكومات الجائرة ، وصلتهم بالظلمة والمستعمرين خوفاً من بطش الحكم فحسب ، بل كان هذا نتيجة حتمية للتصوف ، لما فيه من عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ومسألة القضاء والقدر على الفهم الخاطئ ، والتواكل بدل التوكل وغيرها من العظائم . كما سيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى .

(٣) هل هناك من يبلغ شأو الحلاج ، والغزالي ، وابن عربي ، والبدوي وغيرهم من زعماء الصوفية ، فضلاً عن أن يسبقهم ، في مجال التصوف؟ وسيأتي دور هؤلاء في الجهاد في سبيل الله تعالى .

(٤) التصوف نبتة أجنبيه في أرض الإسلام ، زرعت فيها في منتصف القرن الثاني الهجري . وعلى هذا ، القول «بالتصوف على منهاج النبوة» ، قول خاطئ . وكيف يدعي بشيء أنه على منهاج النبوة ، وهو لم يوجد في زمن النبوة . فلينتبه !

(٥) ستأتي حقيقة هذا التصوف ، وما ينشأ منه من التخاذل عن الجهاد في سبيل الله مفصلاً .

(٦) «ربانية لا رهبانية» (الصوفية وجهدهم الديني) (١١٠ ـ ١٢٥ ـ طبعة أردية) باختصار .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«إن النتيجة الحتمية الأخيرة للترقي الروحاني ، والكمال الباطني : هي الشوق إلى الشهادة . وتكميل المجاهدة :[1] الجهاد .»[2] .

* * *

هذا هو المعهود ، إذا كان هذا الكمال وذاك الترقي على منهاج النبوّة . ولكن إذا كان هذا على طريق الصوفية ، فالأمر يختلف تماماً عما قرّره الأستاذ الندوي ههنا . لأن الشوق إلى الشهادة منشأه العقيدة الصحيحة في الله تعالى ، مع الفهم الصحيح لمعنى الجهاد .

وأين المجاهدة الصوفية من الجهاد في سبيل الله تعالى؟ !

* * *

---

(١) ستأتي مناقشة هذا الادعاء قريباً إن شاء الله من واقع الصوفية .
(٢) ربانية لا رهبانية (ص ١١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شائعة دور الصوفية

في الجهاد في سبيل الله

شائعة دور الصوفية في مواجهة أعداء الإسلام في ساحة القتال تحتاج إلى التحقق من مصداقيتها ، والتأكد من صحتها ، لأن الجهاد في سبيل الله لم يكن ـ كما لم يكن نشر الإسلام[١] ـ من أهداف التصوف الأساسية .

«عقيدة وحدة الوجود» ـ التي لا تفرّق بين هامات أهل الكفر وأهل الإسلام ـ و«مسألة القضاء والقدر» عندهم ـ التي تحث على الاستسلام للأوضاع السائدة ـ لا تشجّعان على لبس لامات الحرب ، وفرقعة السلاح ، والعيش تحت ظلال السيوف ، والنزول في ساحة القتال .

مع هذا كله ، نسبة جميع الفضائل ـ ومنها الجهاد في سبيل الله ـ إلى الصوفية ، وجعل طريقتهم أفضل الطرق ، والتغني بالانتساب إليهم بمناسبة وبدون مناسبة ، وتزكيتهم بالالتزام بالعقيدة الصحيحة[٢] ، مع عقائدهم المنافية للتوحيد الخالص ، وأعمالهم المخالفة للكتاب والسنة ، لا تغني من الحق شيئاً والحقائق لا تتغير بالكتابات العاطفية ، والعبارات الرنانة ، فهناك فرق بين كتابة التأريخ ، واختلاق التأريخ .

نعم ! من يذكر من الصوفية في مجال الجهاد في سبيل الله هم أصناف :

* صنف قاتل في سبيل الله ، ولكنه لم يكن صوفياً في الحقيقة ، بل حشره الصوفية في زمرتهم .

* صنف قاتل ، ولكن قتاله لم يكن بدافع من التصوف ، بل كان بتأثّره بغيره من أهل الاستقامة من الدعاة والمجاهدين في سبيل الله .

* صنف قاتل عند عدم إتاحته الفرص من قبل العدوّ ، لتحقيق مصالحه الذاتية ، وأغراضه الشخصية .

---

(١) تقدم ما يؤيد هذا الرأي آنفاً .

(٢) راجع «المسلمون في الهند» للندوي (ص١٣٣) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* صنف قاتل حين قهرت فيه عزّة الوطنية ، فقاتل حميّة ، لا لرفع كلمة الدين .[١]

قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل (خبير أمور الصوفية) :

«ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة ، ولقد علمت مادين الصوفية؟ !

فما نشروا إلا أساطير حمقاء ، وخرافات بلهاء ، وبدعا بَلْقَاءَ شوهاء ، ما نشروا إلا وثنية تؤلّه الحجر ، وتعبد الرمم ! ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر ، وطوع هوى الغاصب المستعمر .[٢] فعدُّو الإسلام ، يوقن تماما أن البدع ، وهي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائماً ، لكي يقضي بها على الإسلام وأهله ، فعلها قديما ، ويفعلها حديثاً ، واقرأوا تاريخكم إن كنتم تمترون ، أروني صوفيا واحداً قاتل في سبيل الله؟ ! أروني صوفياً واحداً جالد الاستعمار ، أو كافحه أو دعا إلى ذلك؟ ! إنّ مَنْ نُسِبَ إليهم مكافحة المستعمر ـ وهم قلّة ـ لم يكافحوه إلا حين تخلّى هو عنهم ، فلم يطعمهم السحت من يديه ، ولم يبح لهم جمع الفتات من تحت قدميه ، وإلا حين قهرت فيهم عزة الوطنية ، وذل الصوفية ، فقاتلوا حمية ، لا للدين . . .»[٣] .

* * *

(١) راجع «هذه هي الصوفية» (١٧٠ ـ ١٧٢) .

(٢) ستأتي الأدلة على هذا من واقع التاريخ الإسلامي إن شاء الله .

(٣) هذه هي الصوفية (١٧٠ ـ ١٧١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تخاذل الصوفيّة عن الجهاد في سبيل الله

باب مؤسف من تأريخ التصوف أن كثيراً من أهله المشاهير ، تخاذلوا عن الجهاد في سبيل الله ، حين كانت الأمة الإسلامية في أشد حاجة إليهم في أحرج أوقاتها ، بل بعضهم عملوا لمحاربة الدين ، ونقض دولة الإسلام ، وعاونوا الكفار ضد المسلمين .

وفي التأريخ الحديث أيضاً من أحداث ووقائع تشهد على تواطئهم مع الاستعمار ، وموالاتهم مع الظلمة من الحكام ، ما يشكّك حتى في نوايا أولئك الكتّاب الذين يدافعون عنهم ، ويذكرونهم في مصاف عظماء الإسلام ، ويجعلونهم أبطال التأريخ ، ويعتبرونهم رجال الفكر والدعوة والعزيمة في الإسلام .

أمثلة من واقع التأريخ :

١ ـ جال الحسين بن منصور الحلاج (ـ٣٠٩هـ) ـ قدوة الصوفية في الصبر على البلاء[1] ـ بخراسان ، وما وراء النهر ، والهند ، وزرع في كل ناحية زندقة ، وأفسد عقائد المسلمين ، وموّه على جماعة من الخدم والحشم في بلاط الحكم ، وحاول إضعاف الدين ، وزعزعة دولة الإسلام ، وقتل سنة ٣٠٩هـ .[2]

* * *

٢ ـ شهد عصر «زعيم الصوفية» أبي حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) كوارث ضخمة في تأريخ الأمة الإسلامية ، لم يشر الغزالي إليها ، ولا أظهر اهتماماً بها .

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي أبياتاً من «المثنوي» للجلال الرومي ، فيها البكاء على ظلم الحكام على الزهاد ، ومنهم أبو منصور الحلاج ، ومعنى البيت :

إذا كان القلم بيد غدّار فلا ريب يحكم على أبي منصور بالصلب

(٢) راجع «العبر» للذهبي (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٨) ، والبداية والنهاية (١١/ ١٤١ ـ ١٥٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

منها :

* ملك الأفرنج في جمادى الأولى سنة ٤٩١هـ ، مدينة أنطاكية بعد حصار شديد بمواطأة بعض المستحفظين على الأبراج ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وأخذوا أموالاً جزيلة ، فإن الله وإنا إليه راجعون .(١)

* ثم صارت الفرنج إلى معرّة النعمان في الشهر الأخير من سنة ٤٩١هـ . فأخذوها بعد حصار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .(٢)

* وفي شعبان سنة ٤٩٢هـ ، أخذت الفرنج ـ لعنهم الله ـ بيت المقدس ـ شرّفه الله ـ وكانوا نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، فجاسوا خلال الديار ، وتبروا ما علو تتبيرا ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم : القاضي أبو سعد الهروي(٣) ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاماً قرىء في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل(٤) وغير واحد من أعيان الفقهاء ، فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئاً ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . . .»(٥) .

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

(٢) المصدر المذكور (١٢/ ١٦٦) .

(٣) هو : القاضي أحمد بن نصر أحد مشاهير الفقهاء ، وسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمذان في سنة ٥١٩هـ . (البداية والنهاية : ١٢/ ٢٠٩) .

(٤) هو : الإمام علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفاء ، شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب «الفنون» وغيرها من التصانيف المفيدة . ولد سنة ٤٣١هـ ، وتوفى سنة ٥١٣هـ . (البداية والنهاية : ١٢/ ١٩٧) .

(٥) البداية والنهاية (١٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .

وقد أنشد أبو المظفر الأبيوردي قصيدته المعروفة في هذا الحادث الأليم ، فقال :

مزجنا دمانا بالدموع السواجع ... فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يريقه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فإيها بني الإسلام إنّ وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إن هذه الأحداث الأليمة إنما برزت وتفاقمت في العالم الإسلامي ، في نفس الوقت الذي اتجه فيه الغزالي إلى حياة العزلة والتصوف سنة ٤٨٨ هـ»[(١)] وخرج إلى الشام ، وجاور بيت المقدس ، ورجع قافلاً من القدس حين إحداق خطر الصليبيين بها ، وإن من الأئمة من كان يذبّ عن الدين بسيفه وقلمه ، والغزالي لم يجاهد الصليبيين بسيف ولا قلم .[(٢)]

* قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل :

«لقد عاش الغزالي بعد ذلك ثلاثة عشر عاماً ، إذ مات (سنة ٥٠٥هـ) ، فما ذرف دمعة واحدة[(٣)] ، ولا استنهض همة مسلم ، ليذود عن الكعبة الأولى ، بينما سواه يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيما
يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد جعلوه ديراً
على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف
وتحريق المصاحف فيه طيب

=وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الرّدى ولا يحسبون العار ضربة لازم
أيرضى صناديد الأعاريب بالأذى ويغضي على ذل كماة الأعاجم
فليتهمو إذ لم يذودوا حميّة عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حمى الوغى فهلاّ أتوه رغبة في المغانم

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٥٩) .

(٢) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقدية للقرضاوي (ص١٧٣) ، والفيلسوف الغزالي للأعسم (ص٤٤) ، وعنه في «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبد الرحمن دمشقية (ص٣٥٣) .

(٣) قال الدكتور عمر فروخ : « . . . شهد القدس تسقط في أيدي الأفرنج الصليبيين ، وعاش اثنتى عشرة سنة بعد ذلك ، ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم» (التصوف في الإسلام (ص٩) وعنه في «أبو حامد الغزالي والتصوف» (ص٣٥٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أهزَّ هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي؟

كلا ، إذ كان عاكفاً على كتبه يقرّر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء ، ويتحدث عن الصحو والمحو ، دون أن يقاتل ، أو يدعو حتى غيره إلى قتال !»(١) .

* وقال الدكتور زكي المبارك :

«أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية؟

«لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتحبير الرسائل لحثّ أهل أوروبا على امتلاك أقطار المسلمين ، كان الغزالي «حجة الإسلام» غارقاً في خلوته ، منكبّاً على أوراده ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد»(٢) .

* * *

٣ ـ عاش زعماء الصوفية في عهد الحروب الصليبية ، وعلى رأسهم :

* شيخ الطريقة الرفاعية البطائحية : أحمد الرفاعي (٥١٢ ـ ٥٧٨) ، قد تجدّدت لأصحابه الموالين للتتار أحوال شيطانية ، منذ أخذت التتار العراق (٣) .

---

(١) هذه هي الصوفية (١٧٠ ـ ١٧١ تعليقاً) .

(٢) الأخلاق عند الغزالي (ص٢٥) ، وعنه في «أبو حامد الغزالي والتصوف» (ص٣٥٢) . وراجع آراء بعض المعاصرين في سكوت الغزالي عن الحروب الصليبية وما لها وما عليها في «الإمام الغزالي» للقرضاوي (١٧٢ ـ ١٧٤) ، و«أبو حامد الغزالي والتصوف» (٣٥٢ ـ ٣٥٦) .
(ملاحظة) : أهمل الأستاذ الندوي ذكر هذا الجانب المهم من سيرة الغزالي ، وموقفه من الغزو الصليبي في كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ، إلا أنه ذكر بشيء من التفصيل مفارقة الغزالي بغداد ، ودخوله في الشام ، وقيامه به سنتين ، ثم رحلته إلى بيت المقدس ، وخروجه من القدس ، ثم استقراره على الطريق الصوفية نقلاً من كتابه «المنقذ من الضلال» ويفهم من أسلوب الأستاذ الندوي أن ذكر استقرار الغزالي على التصوف كان من أهم المهمات في سيرته . (رجال الفكر والدعوة في الإسلام : ١/ ١٥٨ ـ ١٦٠) .
ـ أهكذا يكون التصوف منقذاً من الضلال؟ !
ـ وأين التغني بقيام الصوفية بالجهاد في سبيل الله ، من هذه الشهادات التاريخية؟ !

(٣) «العبر» (٣/ ٧٥) . ومن مواليه الآن «اليزيديون» عبدة الشيطان في العراق .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* والصوفي الرافضي المتستر بالسنة : أحمد البدوي (٥٩٦ ـ ٦٧٥هـ) ، وكان يعمل لإعادة الدولة العبيديّة الفاطمية بمصر . وقد ساعد على نشر دعوتهم الباطنية انشغال الخلافة العباسية بالحروب الصليبية .[١]

* وحجة أهل الوحدة : ابن الفارض[٢] (ـ ٦٣٢هـ) .

* وقدوة العالمين . بوحدة الوجود : ابن عربي[٣] (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) . وقد تنقل في البلاد وسكن بالروم ، واتهم بأمر عظيم[٤] كانت الغارات تتبادل بين المسلمين والصليبيين ، فلم يسمع عن واحد منهم أنه شارك في قتال ، أو دعا إلى قتال ، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين . وقد كانوا يقرّرون للناس «أن الله هو عين كل شيء» فليدع المسلمون الصليبيين . فما هم إلا الذات الإلهية متجسّدة في تلك الصور . هذا حال أكبر زعماء الصوفية ، وموقفهم من أعداء الله ! ! فهل كافحوا غاصباً ، أو طاغياً؟ ![٤] .

* * *

٤ ـ إن التتر عرفوا للصوفية فضلهم في انتصاراتهم التدميرية ، وقدّروها كثيراً ، وأعطوها مركزاً مرموقاً ، جعلها تهيمن على كل البلاد التي اجتاحها التتر ، وقد جلّى هذه الحقيقة أحد مشايخ الرفاعية ، هو صالح بن عبد الله البطائحي ، عندما قال في صراحة تامة لابن تيمية في مناظرته له في مصر سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م : «نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتر ، وأما عند الشرع فلا» .

وكان هذا التقدير الكبير للصوفية من قبل التتر الذين دمّروا البلاد وأهلكوا العباد سبباً آخر لإقبال الناس ، من أهل البلاد التي اجتاحها التتر ، ومن التتر أيضاً ، إقبالاً كاملاً على الصوفية وتقديس مشايخها إلى درجة التأليه ، حتى عمّ البلاء إلا من رحم ربك .

---

(١) «السيد البدوي» دراسة نقدية : للدكتور عبدالله صابر(٦ ـ ٧) توزيع مجلة التوحيد المصرية .
(٢) «العبر» (٣/ ٢١٣) .
(٣) المصدر المذكور (٣/ ٢٣٣) .
(٤) هذه هي الصوفية (ص ١٧١ ـ تعليقاً) ، وذكر ابن عربي ، وابن الفارض فقط .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فالصوفية ـ وخاصة الرفاعية ـ كانت العامل الوحيد وراء الاستسلام العجيب لتلك المجازر التي ما عرف التأريخ مثل هو لها حتى ظهور الماركسية سنة ١٩١٧م في روسيا . . .[١] .

وكان دور العقيدة التي غرستها الصوفية أقوى من دور الخمول والكسل ، ولنسمع شاعرهم يقول[٢] ، كما ذكره الأستاذ الندوي نفسه :

يا خـــائفين من التــــتــــر

عــــوذوا بقــــبــــر أبي عــــمــــر

يـنـجـيـكـمـو من الضـــــرر[٣] .

* * *

٥ ـ حين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري ، واجتمع زعماء الصوفية ! أتدرى لماذا؟ لقراءة رسالة القشيري ، والمناقشة في كرامات الأولياء[٤] .

أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم[٥] .

* * *

٦ـ ذكر مصطفى كامل بطل الوطنية المصرية في كتابه (المسألة الشرقية) قصة غريبة في أذن القارئ العادي . قال :

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية (ص ٧٨١) .

(٢) المصدر المذكور (ص ٧٨٠) .

(٣) «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (٢/ ١٧٦ ـ ابن تيمية) .

(٤) الطبقات للشعراني (١/ ١١ ـ ط صبيح) ، وعنها في «هذه هي الصوفية» (١٧١ ـ ١٧٢) .

(٥) من كلام الدكتور عمر فروخ في كتابه «التصوف في الإسلام» ، وعنه في «هذه هي الصوفية» (ص١٧٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس أن رجلاً فرنسياً دخل الإسلام وسمّى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعيّن أماماً لمسجد كبير في القيروان . فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعدّ أهلها للدفاع عنها وجاؤوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه ، فدخل (سيد أحمد) الضريح ثم خرج مهوّلاً لهم بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتّماً فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م»[١] .

* * *

٧ـ وخدمة الصوفية للاستعمار الفرنسي في مصر معروفة ، وكذلك خدمتهم للإنجليز ـ والكلام عن مجلة التوحيد المصرية ـ السبب الحقيقي في هزيمة عرابي في مصر ؛ فقد شغل أهل الصوفية الجنود في التل الكبير في أذكار حتى نصف الليل ، ثم نام الجنود ، فدخل الإنجليز في الفجر ، وحيث الأمر كذلك ؛ فلا استغراب في دعم الاستعمار لمثل هذه الفرق ، وتقريب مشايخها المحسوبين على الإسلام ، والدفاع عنهم[٢] .

* * *

٨ ـ وكان هناك كثير من الطرق ثابرت على انحرافها عن الطريق السوي فكانت أطوع انقياداً للمستعمرين من الزنوج الوثنيين . قال الرئيس فيليب فونداسي من المستعمرين الفرنسيين : لقد اضطرّ حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية ، لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية التي تعرف باسم «بيليدو» و«هاجون» أو من بعض كبار الكهان أو السحرة السود[٣] .

* * *

---

(١) راجع «هذه هي الصوفية» (ص ١٧١) ، و«التصوف بين الحق والخلق» (٢١١ ـ ٢١٢) .

(٢) تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان : للأستاذ محمد السبيعي (٨٣ ـ ٨٤ . ط . ثانية) .

(٣) الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء (ص ٥٢) ، وعنه في «التصوف بين الحق والخلق» (ص ٢١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٩ ـ وقال مؤلفو كتاب «تأريخ العرب الحديث والمعاصر» تحت عنوان : «المتعاونون مع فرنسا في الجزائر» :

«وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقّفوا في المدارس الفرنسية وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة . يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس . ثم فئة من الموظفين والنواب والعسكريين الذين شاركوا الإدارة الفرنسية في أعمالها»[(١)] .

* * *

١٠ ـ وقد كان اتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من أكثر العملاء نفعاً لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية . ففي عام ١٨٧٠م استطاعت سيدة فرنسية تدعي (أوريلي بيكار) أن تتسلل إلى الزاوية التيجانية وتتزوج شيخها المدعو سيدي أحمد . ولما توفى تزوّجت أخاه سيدي علي . فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين ، وأطلقوا عليها لقب «زوجة السيدين» ، وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه ، مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم . وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرق . وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام : لأن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحبّ فرنسا وترضي وكسبت للافرنسيين مزارع خصيبة ومراعي كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين التيجانيين . ولأنها ساقت إلينا جنوداً مجنّدة من أحباب الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاً كأنهم بنيان مرصوص[(٢)] .

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل . فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الادلاء ، ويقاتلون إلى جانبهم ، وعدّ مشايخهم ذلك واجباً يمليه الشرف ويبغون فيه الاحتساب من الله تعالى .

---

(١) تأريخ العرب الحديث والمعاصر (ص٣٧٣) ، وعنه في «التصوف بين الحق والخلق» (ص ٢١١) .
(٢) مخازي الولي الشيطاني (١٢ ، ١٣ ، ٢) ، وعنه في «التصوف بين الحق والخلق» (٢١٢ ـ ٢١٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال الشيخ محمد الكبير (صاحب السجادة التجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة) في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الافرنسية في مدينة «عين ماضي» المركز الأساسي للطريقة الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٥٠هـ قال فيها :

«إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً ومعنوياً وسياسياً ولهذا فإني أقول ـ لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب ـ : أن أجدادي قد أحسنوا صنعاً في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا»(١) .

أما صاحب هذه الطريقة فمن كتبه المملوءه بالضلالات تفوح منه رائحة التآمر على عقيدة المسلمين .

قال في كتابه «جواهر المعاني» :

«إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره»(ص ٢٢١) (٢) .

* * *

١١ ـ ويتحدث صوفي عن اطلاع التيجاني على الغيب فيقول : «ومن هذا الباب إخباره عن استيلاء أعداء الدين على بلد الجزائر وعملها وقد كان (رضي الله عنه) على ما تلقيناه من فضلاء أصحابه كثيراً ما يشير إليه بما يفيد تحقيق وقوعه تارة تصريحاً ، وتارة تلويحاً .

ويعلّق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل (رئيس تحرير مجلة «الهدي النبوي») على هذه الكرامة بقوله : «وليس بعد هذا دليل على أن هذا الشيخ جاسوس قذر على البلد العربي ، وكان يداً للاستعمار(٣) وقد جعل هذا المحرّر عنوان تعليقه : «احتلال الجزائر كرامة»(٤) .

* * *

---

(١) المصدران المذكوران . (٢) المصدران المذكوران .

(٣) مجلة الهدي النبوي (العدد الثامن ، ٣٠ شعبان ١٣٨٥هـ ، ص ٢١) .

(٤) التصوف بين الحق والخلق (٢١٤ ـ ٢١٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٢ ـ جاء في الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري (جزء ٩ص١٣٧ ـ ١٣٨) :

«إن كثيراً من الصوفية قد تنعمّوا وعاشوا في رغد من العيش ، وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب ، وحببت إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب ، لما ركز في النفوس من قربهم إلى الله فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلّموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام .

وهذا هو الذي حصل في أيامنا ذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش ، وقرأنا نحن فيها ، إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق ، وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد رجال الصوفية هم الذين يسلّموننا البضاعة ، فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد ، وقالوا هكذا بصريح العبارة : (إن هؤلاء جميعاً متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم ، فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جرّ المغنم ـ وبصريح العبارة ـ يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنمور»[١] .

* * *

١٣ ـ إن الفرنسيين إبان استعمارهم لتونس كانوا يجدون معارضة شديدة من الناس فتفاهم الفرنسيون مع شيخ الصوفية على أن يدخلوا البلاد ، فلما أصبح الصباح قعد الشيخ مطرقاً رأسه وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما سأله أتباعه عن الأمر الذي يقلقه ، قال لهم : لقد رأيت الخضر وسيدي أبا العباس الشاذلي وهما قابضان بحصان جنرال فرنسا ، ثم أوكلا الجنرال أمر تونس . يا جماعة هذا أمر الله فما العمل؟

---

(١) المصدر المذكور (ص٢١٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فقالوا له : إذا كان سيدي أبو العباس راضياً ، ونحن نحارب في سبيله ، فلا داعي للحرب ثم دخل الجيش الفرنسي تونس دون مقاومة(١) .

* * *

١٤ ـ لم يختلف الأمر في شبه القارة الهندية ، عما كان عليه في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ، من بثّ روح الانهزامية من قبل الصوفية ضد الأعداء .

«ذات يوم رأي الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي(٢) فجأة ، أن الشيخ محمود الحسن(٣) يهرب ـ وهو يكرر اسم قائد الانقلابيين ـ ويقول : ما الفائدة من قتال الإنجليز ، وإني أرى الخضر في صفّهم .

وبعد هذه الثورة كان الشيخ فضل رحمن جالساً في مسجد في مكان خرب ، فمر به الجيش الإنجليزي ، فقام الشيخ فجأة ، وذهب إلى الجيش ، وتكلّم مع رجل ، كان في حالة رثة ـ يرى أنه من خدم الخيول ـ ، ثم رجع . فسئل : من كان الذي تكلمتّ معه؟

قال : الخضر عليه السلام»(٤) .

* * *

---

(١) «كتب ليست من الإسلام» للأستاذ محمود مهدي الأستانبولي (ص٧٨ ـ تعليقاً) . وزاد : قال أبو رقيبة (الرئيس التونسي السابق) :

«إنني اطلعت على الميزانية الفرنسية ، فوجدت فيها مخصصات ضخمة للطرق الصوفية ، لأنها تخدّر أعصاب المسلمين عن الجهاد» .

(٢) ألف الأستاذ الندوي كتاباً مستقلاً في سيرة الشيخ فضل رحمن ، ووصفه بشيخ القرن الرابع عشر وهو شيخ كبار أعضاء ندوة العلماء في التصوف ، وذكر فصلاً مستقلاً عن كراماته وزهده ، واستغنائه عن الناس في كتابه «ربانية لا رهبانية» . وقال فيه والده السيد عبد الحي : «وأما كشوفه وكراماته ، فلا تسل عن ذلك فإنها بلغت حد التواتر ، وإني ما وجدت في الأولياء السابقين من يكون مثله غير الشيخ عبد القادر الجيلاني» (نزهة الخواطر : ٨/ ٣٦٤) .

(٣) هو الشيخ محمود الحسن الديوبندي (١٢٦٨ ـ ١٣٣٩هـ) ، وكان رئيس هيئة التدريس في دار العلوم بديوبند تقدمت ترجمته .

(٤) الماضي الزاهر لعلماء الهند للشيخ محمد ميان (٤/ ٢٦٩) وسوانح قاسمي (٢/ ١٠٣) وعنهما في «ماضي علماء ديوبند» (ص١٥٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٥ ـ كان أكثر أعضاء مدرسة ديوبند بالهند ، من المشايخ الذين كانوا موظفين في الماضي لدى الحكومة الإنجليزية ، ومحالين إلى المعاش في الحال ، ولم يكن للحكومة أي مجال للشك فيهم»[١] .

* * *

١٦ ـ كانت جماعة التبليغ تتلقى شيئاً من المساعدة من قبل الحكومة الإنجليزية ، بواسطة الحاج رشيد أحمد . قال ـ وهو يرد على رسائل الشيخ حفظ الرحمن والشيخ بشير أحمد ـ :

«الحكومة الإنجليزية موجودة في الهند حالياً ، ويستلم منها ، بعد الاعتراف بوجودها ، ما يمكن استلامه»[٢] .

* * *

(١) سوانح قاسمي (٢/ ٢٢٧ ، ٢٤٧) ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند» (ص١٤٠ ، ١٦١) .
(ملاحظة) : كان الشيخ مملوك علي (ـ ١٢٦٧هـ) أستاذ كبار علماء ديوبند وكان مدرساً في مدرسة دهلي من قبل الإنجليز . ولذا استاء منه الناس كثيراً هكذا كان تلامذته المعروفون ـ ما عدا الشيخ قاسم النانوتوي ـ موظفين في سلك الحكومة .
فالشيخ أحسن النانوتوي (ـ ١٣٠١هـ) من أكابر الديوبندية ، كان في كلية بريلي . وقد صمد مع الإنجليز ضد الثورة الشعبية سنة ١٨٥٧م في الهند ، وحاول أن يمنع المسلمين من الإسهام فيها ، فغضب عليه العامة من الناس ، حتى اضطر أن يغادر بريلي .
وهكذا ربيبه الأستاذ عبد الأحد (ـ ١٩٢٠م) قدم خدمات كبيرة للإنجليز في الحرب العالمية الأولى (سنة ١٤ ـ ١٩١٥م) . فلما توفى منع المسلمون جنازته من الدفن في المقبرة . فتدخلت الحكومة الإنجليزية حتى دفن . (أحسن النانوتوى : ١٢٤ ، ١٤٤ ، ١٦٥ ، ٣٠٥ ، وعنه في «ماضي علماء ديوبند : ١٣٧ـ ١٤٠) .
وزد إلى ذلك أن معتمداً سرياً (يدعي بامر) لدى المحافظ الإنجليزي زار دار العلوم بديوبند في ٣١/ يناير سنة ١٨٧٥م ، وكتب انطباعاته حولها فقال :
«هذه المدرسة ليست ضد الحكومة ، بل هي موافقة وعمدة ومعاونة لها ، والمنتسبون إليها أناس أحرار صلحاء ، لا صلة لهم بالآخرين» (أحسن الناتونوي : ص٢١٧) .
هذا في حين ، كانوا يهدمون فيه المدارس الأخرى ، لأنها لم تكن تخرّج المتعاونين مع الحكومة ، بل كانت تخرّج مجاهدين يقضّون عليهم مضاجعهم . (ماضي علماء ديوبند : ص١٦٦) .
(٢) مكالمة الصدرين (٨ ، ١١) ، والضرب الشديد (ص٣٧) ، وعنهما في «ماضي علماء ديوبند» (١٨٢ـ ١٨٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٧ ـ أعدّ الاستعمار الإنجليزي عميلين شهيرين في الهند، لتفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم، وشقّ صفوفهم. ألا وهما:

ـ غلام أحمد القادياني (ـ ١٩٠٧م).

ـ وأحمد رضا البريلوي (ـ ١٩٢١م).

* أما القادياني، فهو المتنبئ الكذاب المعروف، وكان موالياً للحكم الإنجليزي، فأفتى بعدم جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله، وكل ذلك خدمة للاستعمار، وسادته المستعمرين.

وأنكر رفع عيسى ـ عليه السلام ـ ونزوله في آخر الزمان، وحرّف الأحاديث الواردة في هذا الأمر عن معناها العربي، ثم ادّعى النبوة، وأنكر الأحاديث التي كانت تفند دعواه الباطلة، وتكشف عن سخفها وهرائها، وانتهى أمره بتمزيق صفوف المسلمين، فعليه من الله ما يستحقه وعلى من أغواهم فاتبعوه على ضلاله!!

وأتباعه ينتسبون إليه، فعرفت تلك الفرقة التي وقعت فريسة لأهوائه «بالقاديانية» و«الأحمدية» و«المرزائية»[1].

* * *

=(ملاحظة): ذكر الشيخ العثماني أنه يقال: إن الشيخ أشرف علي التهانوي كان يستلم ستمائة روبية (نحو ستين ألف روبية حالياً) من قبل الحكومة شهرياً، ويقال أيضاً إنه لم يكن على علم به، بل كانت الحكومة تمنحه بأسلوب لا يحيطه أي شك» (مكالمة الصدرين: ص٩، والضرب الشديد: ص٢٩، وعنهما في «ماضي علماء ديوبند»: (١٨١ ـ ١٨٢).

(١) لقد ردّ على القادياني و«نحلته» كثير من العلماء، ومنهم:

* الشيخ محمد حسين البتالوي في مجلة «إشاعة السنة» التي وقفها للرد على القاديانية.

* والشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري (ت ١٩٤٨م) الذي ضيق على القادياني بكتاباته الرصينة، تضييقاً اضطره إلى المباهلة معه، فمات الكاذب في حياة الصادق. وكتبه جديرة بأن تنقل إلى العربية لأنها مهمة جداً.

* والشيخ المودودي في كتابه «القاديانية».

* والشيخ أبو الحسن علي الندوي في رسالته حول «القاديانية». =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١٨ ـ أما البريلوي ، فهو حامل لواء تكفير المسلمين في شبه القارة الهندية ، وقد خالف جميع حركات الإصلاح والتجديد ، ووقع في كبار الأئمة وأعلام الأمة ، وأفتى بامتناع المسلمين عن الحج لحكم «الوهابية» في بلادالحرمين ، وأيد الاستعمار البريطاني ، وأفتى بتعطيل الجهاد ضد الإنجليز ، هكذا أدى خدمة جليلة لسادته المستعمرين ، حتى قال الكاتب الإنجليزي المشهور «فرانس رابنسن» :

«إن البريلوي كان عمله حماية الحكومة الإنجليزية ، فإنه أيّد الحكومة في الحرب العالمية الأولى ، واستمر في هذه الحماية والتأييد للحكومة حتى أيام حركة الخلافة سنة ١٩٢١م وعقد المؤتمر في «بريلي» وجمع فيه العلماء الذين كانوا يخالفون ترك موالاة الحكومة ، والذين كان لهم أثر كبير في نفوس عامة المتعلمين والدارسين من المسلمين»[(١)] .

* * *

هذا باب من تاريخ تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله ، وصلتهم بالظلمة والمستعمرين .

مع هذا كله ، كان هناك رجال ـ في شبه القارة الهندية ـ مع انتسابهم إلى التصوف ، وبقائهم على شيء من غوائله جاهدوا ضد أعداء الله من السيخ والإنجليز تحت لواء الشيخين : السيد أحمد بن عرفان البريلوي (ـ ١٢٤٦هـ) ، والشاه إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (ـ ١٢٤٦هـ) فجمعوا في الظاهر بين النقيضين ، وهذا من نوادر تأريخ التصوف .

ولكن لا يعزبن عن البال أن العنصر الفعال في هذه الحركة كان يتميز بالعمل بالحديث ، ويتمسك بالسنة ، ويسمى بالوهابية .

وبمرور الزمن تطهرت هذه الحركة من التصوف ، وصارت ـ فيما بعد ـ نواة لحركة أهل الحديث في شبه القاره الهندية .

* * *

= * والشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه «القاديانية : دراسات وتحليل» ، وغيرهم من المؤلفين الغيارى على الإسلام الذين لا يحصون كثرة . هذا ، وأعلنت الحكومات الإسلامية ، وعلماؤها بتكفير هذه النحلة المارقة من الدين ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . راجع «زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً» (ص٩٢) .

(١) البريلويه عقائد وتأريخ (ص٤٤) ، نقلاً عن «سبرت ازم أمونغ إنذين مسلمز» (ص٤٤٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أسباب تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله

لم ينشأ تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله ، من جلوسهم على بساط الكسل والبطالة ، وخوفهم من الموت وحده ، لأنه فهم الكفار ، قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)﴾[آل عمران : ١٥٦] .

بل نبع هذا الانحراف عن القتال في سبيل الله ، من عقائدهم وأصولهم ، ومنها :

* **عقيدة وحدة الوجود** : هي أن «ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله»[(١)] ، وأن الخالق هو عين المخلوق ، كما قال أبو يزيد البسطامي : «سبحاني سبحاني ما أعظم شأني»[(٢)] .

هل يتصور من قوم يعتقدون هذا الاعتقاد أنهم يتجرأون على القتال؟ وهم يقاتلون مَنْ؟ !

* **القول بالحلول والاتحاد** : هو أن الله سبحانه وتعالى حالّ في الأجسام ، ومنه قول أبي الحسين النوري لما سمع نباح الكلاب قال : «لبيك وسعديك»[(٣)] هل يتصوّر من قوم يعتقدون أن الله تعالى حالّ في الكفار ، أنهم يتفكرّون في قتال الله؟ ! ونعوذ بالله من هذا الخذلان !

* **القول بوحدة الأديان** : هو أن الأديان كلها صحيحة ، وأنها طرائق موصلة إلى الله ، كما قال الحلاج :

---

(١) الإحياء للغزالي (٢/ ٢٨٠) ، وجواهر القرآن (ص ١١) ومشكاة الأنوار (ص١٨) وعنها في «أبو حامد الغزالي والتصوف» (ص ٣٥٠) .
(٢) شطحات الصوفية للبدوي (ص ٣٠) ، وعنه في «أهمية الجهاد في الدعوة الإسلامية» (ص ٤٨٠) .
(٣) اللمع للسراج الطوسي (ص٦٤٢) ، وعنه في «أهمية الجهاد» (ص ٤٨٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ألا أبلغ أحـــــبـــــائي بأني
ركبت البحر وانكسر السفينه
على دين الصليب يكون موتي
ولا البطحاء أريد ولا المدينه[1]

وقال ابن عربي : «فإياك أن تتقيّد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن في نفسك هيولي لصور المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصر عقد دون عقد فإنه يقول : فأينما تولّوا فثم وجه الله»[2]

هل يتصوّر من قوم يعتقدون هذا الاعتقاد الباطل بوحدة الأديان ، أنهم يقاتلون المستعمرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الإسلام؟ !

* **الرضا بالقضاء والقدر** : هذا جهل بمعنى القضاء والقدر ، وهم يرضون بما يقع عليهم من مصائب وذنوب فلا يحاولون دفعها عن أنفسهم ، زعماً منهم أن دفعها ينافي الرضا بالقدر ، فلو وطئ الكفار رقابهم يرضون ويسلّمون لأن الله أراد ذلك ! واعتبروا دعاء الله تعالى عند النوازل اعتراضاً على قدره وقضائه ، وقد نقل صاحب الرسالة القشيرية عن الداراني أنه قال : «الرضا أن لا تسأل الله الجنّة ، ولا تستعيذ به من النار»[3] .

ونقل الغزالي عن الداراني أنه قال : «لو أدخل الله الخلائق كلهم الجنّة ، وأدخلني النار لكنت بذلك راضياً .»[4]

هل يتصور من قوم يعتقدون هذا الاعتقاد ، أنهم يضيقون صدراً من تخريب المستبدين الظلمة ديار المسلمين ، واستباحتهم الأعراض ، واستيلائهم على الأموال والممتلكات؟ !

---

(١) نشأة التصوف الإسلامي للبسيوني (ص١٨٧) ، وعنه في «أهمية الجهاد» (ص ٤٨٣) .

(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي (ص١٠٠) ، وعنه في «أهمية الجهاد» (ص٤٨٣) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٩٠) ، وعنها في «أبو حامد الغزالي والتصوف» (ص٣٥٠) .

(٤) الإحياء (٤/ ٣٤٩) ، وعنه في «أبو حامد الغزالي والتصوف» (ص٣٥٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **التـوكل** : هو ـ عندهم ـ عدم ممارسة الأسباب ، فإنّ بذل الأسباب ، واتخاذَ الوسائل مناف للتوكل ، ومعارض للقدر .

هل يتصور من قوم يفهمون هذا الفهم الخاطئ للتوكل أنهم يلبسون لامة الحرب ، ودروع القتال؟ !

* **الاستخفاف بعذاب الله وثوابه** : كقول أبي يزيد : «الجنّة هي الحجاب الأكبر ، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة ، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه فهو محجوب»[١] .

وقال الشبلي : «إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها»[٢] .

هل يتصور من قوم يستخفّون بعذاب الله وثوابه هذا الاستخفاف ، أنهم يدركون ثواب الجهاد في سبيل الله؟ !

* **الأذكار والعبادات** : استغلوا بعض الأحاديث الواردة في فضائل بعض العبادات النفلية ، والأذكار ـ قد تكون صحيحة وقد تكون ضعيفة أو موضوعة ـ بأن ثوابها أكثر من ثواب الجهاد في سبيل الله ، فاتخذوها تكأة لجلوسهم على بساط البطالة .

وهل يتصوّر من قوم يفوزون بثواب الجهاد في سبيل الله بأداء النوافل والأذكار ، أنهم يبذلون مهجهم في سبيل الله؟ !

* **الجهاد الأكبر** : يرون ، بناء على حديث موضوع : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» أن القتال في سبيل الله جهاد أصغر ، وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر .

لا ريب أن جهاد النفس من أشقّ الجهاد ، فهل يستغنى به عن القتال في سبيل الله؟ !

هل يتصوّر من قوم يزاولون رياضات شاقّة ، ومجاهدات مضنية في الزوايا والتكايا ، والغابات والمغارات ، معتقدين أنه هو الجهاد الأكبر ، أنهم يخرجون إلى ساحة القتال في سبيل الله ـ الذي هو جهاد أصغر عندهم ـ ؟ !

* * *

---

(١) شطحات الصوفية للبدوي (ص٢٠) ، وعنه في «أهمية الجهاد» (ص٤٨٢) .
(٢) المصدر المذكور (ص٢١) ، وعنه في «أهمية الجهاد» (ص٤٨٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه جلّ الانحرافات التي يقع فيها ، أو في بعضها أهل التصوف[١] ، وهي تناقض الجهاد ، وتنافي البطولة ، وتعاكس الكفاح ، وتقضي على روح التفاني في سبيل الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد ما ذكر بعض هذه الانحرافات :

« . . . ومن هنا صار كثير من السالكين من أعوان الكفار والفجّار وخفرائهم ، حيث شهدوا القدر معهم ، ولم يشهدوا الأمر والنهي الشرعيين .»[٢]

«إن الجهاد يحتاج إلى عقيدة صحيحة راسخة ، وإلى أبدان قوية سليمة ، وإلى أموال تكون قواماً للجند وثمنا للسلاح .

وكل هذه الأمور مفقودة عند المتصوفة ، فمن كان يعتقد أنه لا يكون من الصديقين حتى يأوي إلى منازل الكلاب[٣] كيف يكون قائد جيش يصبح الكفار في ديارهم أو يمسيهم؟ !

ولو ترك المسلمون التزوج كما يفعل ذلك أكثر المتصوفة فأين الشباب الذين هم دائماً عماد الجيوش الفاتحة» .[٤]

«مما سبق من المعلومات والمصادر الوطنية والأجنبية ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد فإنهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار إذا ضمنت مصالحهم المادّية الخاصة ، وهم علاوة عن فهمهم ، فإنهم مستسلمون دائماً للعدو ، فلا يحرّكون ساكناً إذ شعارهم الصوفي «دع الخلق للخالق» ـ «ليس في الإمكان أبدع مما كان» ـ «لو اطلعتم الغيب لرضيتم الواقع» .[٥]

---

(١) راجع بعض هذه الانحرافات في «أهمية الجهاد» (٤٨٠ ـ ٤٨٧) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٤٩٩) .

(٣) كما قال رياح بن عمرو القيسي : «لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته ، كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي إلى منازل الكلاب» (نشأة التصوف الإسلامي : ص ١٥٨) .

(٤) «أهمية الجهاد» (ص٤٨٧) .

(٥) التصوف بين الحق والخلق (ص ٢١٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أسباب اهتمام أعداء الإسلام بالتصوف وأهله

تفنّن الأعداء في اتخاذ الوسائل لمحاربة الإسلام قديماً وحديثاً فتارة تربّصوا به الدوائر من خارج محيطه ، وتارة تلمّسوا مواطن الضعف في داخل الأمة الإسلامية ، ليستغلوها لتحقيق مآربهم ، وبعد البحث والتحقيق تيقّنوا أن تأييد البدع والخرافات ، والأوهام والأباطيل يضمن إضعاف الإسلام ، وتشويه جماله ، وتخدير الشعب المسلم ، والقضاء على كل فاعلية فيه ، فتبنّوا نشر التصوّف ، لأنه لم يكن هناك ما يخدم هذا الجانب من المؤامرة ضد الإسلام في العالم الإسلامي ، أحسن من التصوف وأهله .

ولأجل هذا نرى أنهم :

- كانوا يحسنون إليهم ، في حين كانوا يصبّون كأس غضبهم على غيرهم .
- وكانوا يغدقون عليهم عطايا جزيلة ، في حين كانوا يصادرون أموال غيرهم .
- وكانوا يزورونهم في زواياهم ، في حين كانوا ينفون غيرهم من البلاد .
- وكانوا يشجّعونهم على نشر طرقهم ، في حين كانوا يمنعون غيرهم من مزاولة أي نشاط ديني .
- وكانوا يساعدونهم على بناء زواياهم ، في حين كانوا يهدمون المساجد ، والمدارس وبيوت المسلمين .
- وكانوا يهتمون بالتراث الصوفي نشراً وتحقيقاً وتوزيعاً ، في حين كانوا يستاءون من المصادر الإسلامية ، والمراجع الدينية ، وينقدونها ، ويشككون فيها ، ويقللون أهميتها في أعين الناس .

لقد تفطّن إلى هذه المؤامرات ضد الإسلام ودوله حتى القوميين من العرب ، فضلاً عن غيرهم من الدعاة إلى الله تعالى .

*** قال الرئيس التونسي السابق حبيب أبو رقيبة :**

«إنني اطلعت على الميزانية الفرنسية ، فوجدت فيها مخصّصات ضخمة للطرق الصوفية ، لأنه تخدّر أعصاب المسلمين عن الجهاد .»[1]

---

(١) كتب ليست من الإسلام (ص٧٨ تعليقاً) وقال الأستاذ عبدالرحمن الوكيل : «فعدّو الإسلام يوقن تماماً =

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **وقال الدكتور عمر فروخ :**

« . . فليس ببدع أن تكون الصوفية ـ التي على هذا الشكل ـ قد أثارت منذ أول أمرها مخاوف سياسية مزدوجة : أن تكون ستاراً لحركات هدّامة وأن تكون شركا للعامة يصرفهم عن أهدافهم القومية العليا .

من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال ، فربَّ مفوض سامٍ لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، وقد ضربوا إليه من أقصى منطقة انتدابه ـ لضيق الوقت أو لقلة المبالاة ـ ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر يقضي هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات ! !

أليس التصوف الذي ـ على هذا الشكل ـ يقتل عنصر المقاومة في الأمم ، وتكثر التآليف الصوفية في أمم أوربة على نسبة اهتمامها بالاستعمار ، لذلك عندهم هدفان :

أولهما : تثقيف قومهم بأسلوب من أساليب الاستعمار .

ثانيهما : إغراق المثقّفين من سكان الشرق بكتب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزّة ، وميادين الكفاح الوطني »[1] .

* **وقال الأستاذ محمد فهر شقفة :**

«ولا شك أن القارىء ـ بعدما سبق من الكلام على موقف المتصوفة من الاستعمار ـ لا يستغرب اهتمام الدول الغربية بنشر التصوف وإذاعته بين المسلمين ليعمدوا إلى تخديرهم ، وقد وضع المستشرق غولدزيهير رسالة عن الحلاّج وأخباره وتعاليمه ، وصنّف المستشرق الاستعماري الخطير «لويس ماسينوس» كتاباً عن الحلاّج وطريقته ومذهبه وكتبه . وقد علمنا من هو الحلاج ومبلغ دعوته لمحاربة الإسلام ودولة الإسلام .

=أن البدع هي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائماً ، لكي يقضي بها على الإسلام وأهله ، فعلها قديماً ، ويفعلها حديثاً . . .» (هذه هي الصوفية : ص ١٧٠) .

(١) التصوف في الإسلام ، وعنه في «هذه هي الصوفية (ص١٧٢) ، والتصوف بين الحق والخلق (ص٢١٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد ذكر الدكتور كامل عياد واقعة شهد فيها مندوباً من مؤسسة روكفلر الأمريكية يزور جامعة دمشق ، وقد تلكأ هذا المندوب ، ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها إلى بعض المخابر والأجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث أن أظهر البشاشة ولم يتردّد في قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث إلى إنشاء معهد لدراسة التصوف»[١] .

*** وقال الأستاذ محمد قطب :**

«والمستشرقون الذين هم الامتداد الحقيقي للمبشّرين يسيرون على نفس المنوال في تبني الحركات الزائفة والمنحرفة لعلها تقطع الشجرة التي يغيظهم وجودها ورسوخها في الأرض وتحديها لكل جهد يبذلون لوقف امتدادها وتفرعها ، ومن هنا يجد عناية شديدة في كتب المستشرقين بما يسمى «التصوف الإسلامي» إلى حد أن يتخصّص له مستشرقون مثل نيكلسون أوليري ينفقون معظم جهدهم في هذا السبيل . . . والتصوف في صورته المنحرفة الشاطحة فلأكثر من سبب يهتم به المستشرقون ويحتفلون به هذا الاحتفال :

أولاً : لأنه ليس إسلامياً في الحقيقة إنما هو مستمدّ من أصول غير إسلامية فارسية وهندية ويشتمل على مجموعة من المفاهيم والأفكار التي تتعارض مع الإسلام . . . فالحصيلة النهائية للتصوف هي أقرب إلى الانحراف عن خط الإسلام ومن أجل هذا يهتم به المستشرقون اهتماماً بالغاً ، ويهتمون بصفة خاصة بأصحاب الشطحات من المتصوفين لأنها انحراف عن الإسلام ، وكل انحراف عن الإسلام فهو كسب لهم في معركتهم الدائمة ضد هذا الدين . وقد كان الحسّ الإسلامي المستقيم عند المسلمين ينفر من انحرافات الصوفية وشطحاتها ولا يستطيع فلسفتها وإن كان العوام قد فتنوا بمشايخ الطرق ، وكانوا يشركون بهم في عبادة الله . ولكن المستشرقين يحاولون في كتاباتهم أن يبرزوا الصوفية في ثوب خلاّب لعلّه يغري المسلمين بمزيد من الانحراف»[٢] .

---

(١) في مقال له منشور في كتاب «العالم العربي» (مقالات وبحوث) : (٢/ ١٤٩) ، وعنه في «التصوف بين الحق والخلق (٢١٨ ـ ٢١٩) .

(٢) المستشرقون والإسلام (٥٤ ـ ٥٥) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وقال الدكتور علي بن نفيع العلياني :

«وبهذا العرض عن موقف الصوفية من الجهاد ، ندرك لماذا تهتم الصليبية والصهيونية بالصوفية وتخصّص علماء وكتّاباً يبرزون فكر الصوفية ودعاتها وفرقها ويمجدونها؟ إن أخشى ما يخشاه الأعداء من الإسلام عقيدة الجهاد ويودون لو قضوا عليها قضاء مبرماً . ونشر الفكر الصوفي والسلوك الصوفي أكبر عون لهم على ذلك . . .

من هذا الاستطراد عن انحرافات الصوفية واهتمام الكفار بهم يظهر لنا مدى تأثير التصوف على عقيدة الجهاد ، وأنه يميتها ويجعل رياضة النفس والاستغراق في الأوراد والأذكار هو الجهاد الأكبر . وإن تغيير الواقع وتحويله إلى الحال التي كان عليها في زمن الرسول ﷺ وزمن صحابته الكرام أمر لا يعني المتصوفة كثيراً .

فما لهم وللناس وللحياة ، ففي الجبة والزوايا وحلق الرقص وأضرحة الموتى ورسائل القشيري والمدائح النبوية شاغل لهم نسأل الله أن يلهمنا وإياهم رشدنا»؟ ![١]

* * *

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية (٤٩٠ ـ ٤٩١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

تساؤلات

قال الأستاذ الندوي ـ بعد ما ذكر بعض المنتسبين إلى التصوف، في القتال ضد الأعداء [١] ـ : «إن النتيجة الحتمية الأخيرة للترقي الروحاني، والكمال الباطني: هو الشوق إلى الشهادة. وتكميل المجاهدة: الجهاد» [٢].

ألم يكن الغزالي [٣] وأمثاله من الصوفية، على الذروة العليا من الترقي الروحاني والكمال الباطني [٤]؟

وأين دورهم في القتال ضد الأعداء إبان الحروب الصليبية؟ [٥]

ومتى كان الشوق إلى الشهادة نتيجة حتمية لهذا الترقي وذاك الكمال؟

هذه الادعاءات لا يوافق عليها تأريخ التصوف نفسه، ولا واقع المتصوفة في ضوء عقائدهم وأفكارهم، [٦] لأن الجهاد لم يكن من أهداف التصوف الأساسية [٧].

بعد كل هذا، أتساءل ـ وأنا مشدوده أمام هذا الركام الهائل من المغالطات والادعاءات ـ :

* أين المجاهدة الصوفية من الجهاد في الإسلام؟ !
* أين الجلوس على بساط الكسل والبطالة من المغامرة والكفاح؟ !
* أين الانزواء إلى الزوايا والتكايا والكهوف، من تعاقب الأعداء والعيش تحت ظلال السيوف؟ !

---

(١) تقدم ذكر دور الصوفية في القتال في سبيل الله، وماله وما عليه بشيء من التفصيل.
(٢) «ربانية لا رهبانية» (ص ١١١ ـ طبعة أردية).
(٣) أبو حامد الغزالي من رجال الفكر والدعوة والعزيمة في الإسلام، عند الأستاذ الندوي.
(٤) أراد به: الترقي والكمال في التصوف، وأين هذا من «الإحسان» المنصوص عليه في حديث النبي ﷺ؟ !.
(٥) راجع ما تقدم عن الغزالي وغيره في هذا الشأن.
(٦) باستثناء بعض الأشخاص الذين تأثروا في هذا الأمر برجالات الدعوة إلى الله تعالى والمجاهدين في سبيله، وباستثناء بعض الحوادث التي وقعت تحت ظروف خاصة، كما تقدم.
(٧) كما تقدّم آنفاً.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* أين حلق الذكر والسماع وطقطقة المسابح ، من فرقة السلاح وخرير الدماء؟ !

* أين التسكع في القفار والبراري من الخروج في سبيل الله؟ !

* أين التخييم في الجبال والغابات ، من المرابطة على الثغور؟ !

* أين عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، من التفريق بين هامات أهل الإيمان ، ورقاب أهل الكفر والشرك والفساد؟ !

* أين الابتداع في الدين ، من اتباع سنن سيّد المرسلين؟ !

* أين لبس الخرق والمرقعات ، من لبس لامات الحرب ، ودروع القتال؟ !

* أين الاستسلام للأعداء ، من قضاء الله وقدره؟ !

* أين عدم ممارسة الأسباب ، من التوكل على الله تعالى؟ !

* أين الاستخفاف بعذاب الله وثوابه ، من تجافي الجنوب عن المضاجع ، ودعاء الله خوفاً وطمعاً؟ !

* أين السياحة الصوفية من سياحة الأمة المحمدية؟ ![1]

* أين رهبانية النصارى ، من رهبانية أهل الإسلام؟ ![2]

فهل من مجيب !!!

---

(١) في الحديث : «إن سياحة أمتي الجهاد» (صحيح ـ رواه أبو داود عن أبي أمامة ، «صحيح الجامع» (رقم٢٠٩٣) .

(٢) في الحديث : «وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام» (حسن ، رواه أحمد في سنده (٣/ ٨٢) عن أبي سعيد الخدري . صحيح الجامع (رقم ٢٥٤٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

شيخ الإسلام ابن تيمية

لقد فسح الأستاذ الندوي المجال لأبي حامد الغزالي مع أشعريته ، ومخالفاته في التصوف ، وللجلال الرومي مع اعتقاده بوحدة الوجود ، ولمعين الدين الجشتي مع اعتكافه على القبور ، ولنظام الدين الدهلوي مع غلوّه في التصوف وسماعه بالدف ، ولشرف الدين المنيري مع تسكعه في الغابات والكهوف ، وللسرهندي مع ماتريديته وعقيدته في وحدة الشهود ـ أن يكونوا من عظماء تأريخ العزيمة ، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام .

ولكن لا ينبغي لشيخ الإسلام ابن تيمية أن يذكر في مصاف عظماء التأريخ ، إلا أن يكتشف ـ أولاً ـ في شخصيته أنه «عارف بالله ومحقّق» على شبه الطريقة الصوفية .

والعجيب أن الأستاذ الندوي وضع فصلاً مستقلاً في كتابه «شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية» بعنوان : «شيخ الإسلام ابن تيمية كعارف بالله ، ومحقِّق» ـ «اكتشاف جديد في شخصية ابن تيمية» ـ .(١)

في حين لم يوف حق ابن تيمية في ردّه على صوفيات المتصوفة ، بل لم يذكر إلاّ ما ردّ به على ابن عربي حامل لواء عقيدة وحدة الوجود فقط .

أرى أن خلع التصوف على شخص ابن تيمية يخالف الواقع ويكذبه التأريخ .

كأن الإنابة إلى الله ، والخوف ، والخشية ، والتقوى ، والإخلاص ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمداومة على الأذكار ، والاهتمام بالسنن والنوافل رأس مال الصوفية فقط .

---

(١) الحافظ أحمد بن تيمية (ص١٥٥) .

(تنبيه) : اعتبر صاحب كتاب «موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية» (ص١٩٠) ابن تيمية صوفياً ، أو موافقاً للتصوف مستدلاً بكلام الأستاذ الندوي في هذا الفصل . ومؤلف الكتاب عبدالحفيظ المكي من غلاة المتصوفة ومن تلامذة الشيخ محمد زكريا (صاحب «تبليغي نصاب» [المقرر التبليغي] المشحون بكثير من الصوفيات ، فلينتبه) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا ، وفضّل الأستاذ الندوي (في مجلس خاص) خالداً النقشبندي (الذي حمل النقشبندية من الهند ، ونشرها في البلاد العربية) على شيخ الإسلام ، لانحيازه إلى التصوف[1] . فنسأل الله السلامة !

ما هكذا تكون كتابة المؤرخ المحايد؟ !

* * *

(١) راجع «السراج المنير» للهلالي (٧١ ـ ٧٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

دور تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية

في نشر الدعوة في الهند

كان من عظيم فضل الله تعالى على الهند بأن ورد إليها بعض تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في القرن الثامن الهجري في عصر السلطان علاء الدين الخلجي ، والسلطان محمد تغلق (ـ ٧٥٢هـ) ومن أهم هؤلاء :[١]

* **العلامة عبدالعزيز الأردبيلي** : قد صرّح بوروده إلى الهند ، أو تأثيره في الملك محمد تغلق (ـ ٧٥٢هـ) عدد من المؤرخين ، منهم : السيد عبدالحي في «نزهة الخواطر»[٢] وأكبر شاه النجيب آبادي في «مرآة الحقائق» (آئينة حقيقت نما) ، والشيخ محمد إكرام في «ماء الكوثر» (آب كوثر) ، والأستاذ مسعود الندوي في «تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند» والدكتور محمد إسماعيل الندوي في «تأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية» وغيرهم في مؤلفاتهم .

* **والشيخ علم الدين (حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني)** : ذكره الشيخ محمد إكرام والنجيب آبادي وصرّح بأنه : «من تلامذة ابن تيمية ، وكان من أبرز من دعا محمد تغلق إلى إزالة البدع والمنكرات وشجّعه على استيصال الأوهام والخرافات»[٣] .

* **والعلامة شمس الدين ابن الحريري** : قال النجيب آبادي : كان حنفي المذهب ، وكان قاضياً في مصر إلا أنه قد عزل عن القضاء لأجل تأييده الإمام ابن تيمية ، وجاء إلى الهند سنة ٧٠٨هـ في عهد السلطان علاء الدين الخلجي ، وجاء معه بأربعمائة كتاب في الحديث ، ولعل هذه الخزانة الحديثية التي وصلت إلى الهند أجدر بالذكر والتنويه من غيرها»[٤] .

---

(١) راجع مقدمة «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (١/ ٢٤ ـ ٢٥) .
(٢) نزهة الخواطر (٢/ ٦٦) .
(٣) مرآة الحقائق (ص ٤٣٣) ، وورد ذكره في «آب كوثر» (ماء الكوثر) : ص ٤١١) .
(٤) المصدر المذكور (ص ٤٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان الشيخ شمس الدين يقول : «إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟ وقال بعض أصحابه : أتحبّ الشيخ تقي الدين؟ قال : نعم! والله لقد أحببت شيئاً مليحاً»(١) .

❊ ❊ ❊

ذكر المؤرخون لهذا العهد حظوة بعض هؤلاء ، وخاصة عند السلطان محمد تغلق ، وتأثيرهم فيه ، وحثّهم إياه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة ، والالتزام بأركان الإسلام ، وإقامة الحدود ، والقضاء على البدع والخرافات ، والأوهام والخزعبلات التي تسرَّبت إلى صفوف المسلمين من طريق التصوف وأهله .

ويظهر أن السلطان محمد تغلق استجاب لهم في كثير من الأمور وقد ذكر ابن بطوطة المغربي ـ الرحالة المعروف ـ ما رأى في عهده فقال :

«ومما يحكي في اشتداده في إقامة الشرع ورفع المغارم والمظالم أنه كان شديداً في إقامة الصلاة ، آمراً بملازمتها بالجماعات ، يعاقب على تركها أشد العقاب ، ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم مغنياً ، وكان يبعث الرجال الموكّلين بذلك إلى الأسواق فمن وجد بها عند إقامة الصلاة عوقب حتى انتهى إلى عقاب مربي الخيول إذا ضيّعوا الصلاة ، وأمر أن يطالب الناس بتعليم فرائض الوضوء والصلاة والإسلام فكانوا يسألون عن ذلك ، فمن لم يحسنه عوقب ، وصار الناس يتدارسون كذلك ويكتبونه .

ومما قيل في ذلك : أنه أمر أخاه أن يكون قعوده مع قاضي القضاة في قبة مرتفعة مفروشة بالبسط ، فمن كان له حقّ على أحد من كبار الأمراء وامتنع من أدائه لصاحبه يحضره رجال أخيه عند القاضي لينصفه .

ومما فعل من ذلك : أنه أمر برفع المكوس عن بلاده ، وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة ، وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين

---

(٥) البداية والنهاية (١٤/ ١٤٢) ، والدرر الكامنة (٥/ ٣٢٠) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وخميس . . . ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من المثول بين يديه . . . وعيّن أربعة من الأمراء الكبار يجلسون على أبواب أربعة لأخذ القصص من المشتكين . . . وإن لم يأخذوه مضى إلى قاضي المماليك فإن أخذ منه ، وإلا شكا إلى السلطان فإن صحّ عنده أنه مضى إلى أحد منهم فلم يأخذوه منه أدّبه . وكل ما كان يجتمع من القصص في سائر الأيام يطالعه بعد العشاء الآخرة»[١] .

* قال الشيخ محمد إكرام (مؤرخ الهند المعروف) :

«ذكر ابن بطوطة قدوم الشيخ عبدالعزيز الأردبيلي إلى السلطان محمد تغلق وتكريمه إيَّاه[٢] . وكان الشيخ عبدالعزيز من تلامذة العلامة ابن تيمية (أحد المعروفين بردّ البدعة ومخالفة التصوف) .

ولا عجب أن الجهود التي كان يقوم بها السلطان محمد تغلق ضد الصوفية تقوّت بقدوم الشيخ عبدالعزيز ، ولعل فيها أثراً لتلك الحركة الإصلاحية التي كان يقودها العلامة ابن تيمية في الشام ومصر في ذلك العصر ، ووصل خبرها إلى الهند بوسائل مختلفة (مثلاً بواسطة الشيخ علم الدين الذي قضى من حياته مدة من الزمن في مكة ومصر والشام ، ثم رجع إلى الهند ، أو بواسطة الشيخ عبدالعزيز)»[٣] أو بواسطة كليهما والله أعلم .

* تغاضى الأستاذ الندوي عن هذا الدور الرائع :

إن تعجب فعجب من الأستاذ الندوي أنه لم يذكر تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية هؤلاء ، ودورهم في نشر الدعوة السلفية في الهند ، من قريب ولا بعيد ، في كتابه «شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية» .

ومن عادته أنه إذا ألّف عن شخصية ما ، يذكر من استفاد منها من أهل الهند بكل

---

(١) نزهة الخواطر (٢/ ١٢٩) .

(٢) راجع «رحلة ابن بطوطة» (٢/ ٤٤ ـ التجارية بالقاهرة) ، وعنها في «تأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية للدكتور محمد إسماعيل الندوي (ص١٤٩) ، ونزهة الخواطر (٢/ ٦٦) .

(٣) «آب كوثر» [ماء الكوثر] (٤٠٢ ـ ٤١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

عناية ، وخاصة إذا كانوا من الصوفية يسهب في كتابة تراجمهم إسهاباً مملاً ، ويجعل من الحبة قبة .

وإليكم بعض الأدلة على ذلك من كتاباته :

* ذكر في كتابه «المرتضى» بعض كبار أهل وحدة الوجود من الصوفية في الهند ، الذين ينتسبون إلى آل عليّ رضي الله عنه ، وأسهب في تراجمهم .(١)

* وذكر في ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلاني من تلامذته من تحمّل عنه طريقته القادرية ، مثل الشهاب السهروردي ، ثم ذكر من أخذ عن السهروردي من أهل الهند ، مثل بهاء الدين زكريا الملتاني بكل دقة وعناية .(٢)

* وذكر في ترجمة الشيخ أحمد السرهندي «صاحب وحدة الشهود» من تحمل عنه طريقته المجددية (وهي فرع من النقشبندية) إلى خارج الهند (مثل خالد النقشبندي) بكل فخر واعتزاز .(٣)

* وأثنى على الحاج إمداد الله المهاجر المكي الذي لقّبه بشيخ العرب والعجم (صاحب وحدة الوجود) فقال : «وأفاد [كذا] منه كثير من أهل الحجاز والحجاج الوافدين إليه .»(٤) .

من غرائب الأمثلة لدعوى الحياد في كتابة التأريخ أن تلامذة هؤلاء الصوفية من أهل وحدة الوجود والشهود احتلّوا مساحة واسعة في كتابات الأستاذ الندوي ، ولكن تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية الذين وردوا إلى الهند ، وقاموا بدور لا يستهان به في مجال الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة ، والقضاء على البدع والخرافات التي تشوِّه جمال الإسلام ، لم تذكر حتى أسماؤهم في كتاباته .(٥)

---

(١) راجع «المرتضى» (٤٠٢ ـ ٤١١) .

(٢) كما تقدم في ترجمة الشيخ الجيلاني بشيء من التفصيل .

(٣) الإمام السرهندي (٣١٩ ـ ٣٢١) ، والمسلمون في الهند (١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٤) المسلمون في الهند (ص١٣٥) .

(٥) انظر أسماء بعض العلماء في عهد السلطان علاء الدين الخلجي والسلطان محمد تغلق في «المسلمون في الهند» (٨٦ ـ ٨٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* سبب هذا التغاضي :

ما سبب هذا التغاضي عن هذا الدور الرائع الذي قام به تلامذة شيخ الإسام وقد أشاد به المؤرخون لهذا العهد - مع تصوفهم - قبله وبعده .

وقد يقال : إنه لم يطلع عليه ، ولكن هل هذا يستساغ؟!

والجدير بالذكر أنه أكثر ما يعوّل على كتابات والده السيّد عبدالحي في التأريخ وقد ذكر أيضاً ترجمة الشيخ عبدالعزيز الأردبيلي (تلميذ ابن تيمية) في «نزهة الخواطر»(١) .

معروف أن السلطان محمد تغلق تأثر ببعض تلامذته في الإصلاحات التي قام بها في عصره ، وشدّد النكير على التصوف وأهله ، حتى وصل الأمر إلى قتل بعضهم . .(٢)

كان بعض هؤلاء العلماء سبب اندحار الصوفية في عصر السلطان محمد تغلق ، بحيث لم تقم لهم قائمة فيما بعد .

ونرى أن الأستاذ الندوي لا يذكر السلطان محمد تغلق أيضاً في كتاباته إلا في مواضع الاتهام والاستهجان ، ويراوية أعدائه من المتصوفة الذين قضى على خزعبلات كبارهم .(٣)

ولعل الصحيح في عدم ذكره تلامذة شيخ الإسلام في كتاباته هو ما صرَّح به بعض الكتاب فقال :

«لعل الشيخ الندوي - حفظه الله - لأجل نزعته الصوفيّة ، وولائه العميق للمتصوفة لم يجد دافعاً لذكرهم ، بل وصل الأمر عنده إلى حد التغاضي عنهم ، والله أعلم بالصواب .»(٤) .

إذن ، أين التغني بالمحايدة في كتابة التأريخ من هذا الواقع؟

وكم بين الادعاء والتطبيق؟ والله المستعان!

* * *

---

(١) راجع «نزهة الخواطر» (٢/ ٦٦) .

(٢) سيأتي بيان شيء من فتكاته مع ذكر الأسباب إن شاء الله .

(٣) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

(٤) دعوة شيخ الإسلام (١/ ٢٦ - المقدّمة) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السلطان محمد تغلق

(ـ ٧٥٢هـ)

عُرِف السلطان محمد تغلق (ـ ٧٥٢هـ) من بين سلاطين الهند، بالتزامه بالدين، وحفاظه على الصلوات الخمس، وإقامته للشرع، وقضائه على البدع والخرافات، وتضييق نطاق دائرة المتصوفة[١].

كذلك عرف أيضاً بكثرة فتكاته، وشدة معاقباته، وسرعة مؤاخذاته على أتفه الأسباب في زعم الصوفية[٢].

ووقائع عدله وإنصافه وتواضعه، حتى مع خصمائه، ليست بأقل من حكايات جوره وظلمه برواية أعدائه من الصوفية[٣].

---

(١) كما تقدم، وسيأتي أيضاً إن شاء الله.

(٢) فيما يلي بعض فتكاته ومعاقباته ومؤخذاته مع بيان أسبابها:

* لم يتهاون السلطان محمد تغلق في قتل من خرج عليه أو ساعده على الخروج، كما فعل مع شمس الدين الكوئلي (نزهة الخواطر: ٢/ ٥٠)، ومع علي الحيدري الرافضي، والقاضي جلال الدين الأفغاني (٢/ ٨٤)، ومع أخيه من أبيه: مسعود خان (٢/ ١٣٠).

* وقتل بعض من تدخل في أمور سلطنته، أو عارض أوامره، أو شارك في الوقيعة فيه، كما حصل مع الشيخ عفيف الدين الكاشاني والآخرين (٢/ ٧٦).

* وشدّد على الصوفية الذين كانوا يجلسون على بساط الكسل والبطالة في زواياهم، ويتكلمون في الحكم والحكام، فأراد من بعضهم أن يستخدمهم في أموره الشخصية والحكومية، وحاول السلطان أن يقوم بعضهم بتحريض المسلمين على الجهاد ضد المغول، فتلكأوا في ذلك أو أبوا، فعامل معهم بالشدة، وقتل بعضهم، ومنهم الشيخ شهاب الدين الجامي (٢/ ٥٤، ١٠١).

* وقتل من الصوفية من اتهمه بادعاءه النبوة، أو تمهيده لذلك، أو حام حوله، كما فعل مع الشيخ شهاب الدين الزاهدي، وعماد الدين الغوري (٢/ ٥٨، ٩١).

* وقتل بعض الناس في الحدود، كحد الزنا (٢/ ١٣٠)، وترك الصلاة (٢/ ١٢٩).

قد يعدّ السلطان محمد تغلق من المسرفين في مثل هذه الفتكات ـ وخاصة عند الصوفية ـ، ولكن ما أشرنا إليه من المؤاخذات، ليس من خصائص هذا السلطان فقط، بل يشاركه فيه جميع الملوك والسلاطين، لإدارة دفة الحكم، والحفاظ على النظام. والله أعلم بالصواب.

(٣) نزهة الخواطر (٢/ ١٢٨) وراجع قصة شدته حتى مع زوج أخته: «سيف الدين أمير الشام»، وعزمه على نفيه من البلاد، ولم يرض عنه إلا بتوسط ابن بطوطة. ولكنه أمره أن يكون في خدمة الأمير اللاهوري أربعة أعوام يركب بركوبه حتى يتأدب (نزهة الخواطر: ٢/ ٤٥ ـ ٤٦).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أما جوده على الغرباء، وإيثارهم على أهل الهند[1]، ومحبته للعلماء وإكرامهم غاية الإكرام[2] فمما لا يكاد يدانيه فيه غيره من سلاطين الهند.

هذا هو السلطان محمد تغلق الذي رغب في التقرب إلى الخليفة العباسي بالقاهرة، وتوطين العلاقات مع مصر، كما كانت الهند الإسلامية على علاقة وشيجة مع الخلفاء ببغداد منذ القرون الخالية. فطلب من الخليفة إرسال وثيقة الاعتراف به، وأجابه الخليفة المستكفي بالله العباسي إلى رغبته، وبعث إليه ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر «ركن الدين». فلمّا قدم عليه بالغ في إكرامه، وأعطاه عطاء جزيلاً.

ومن جملة ما بعث إليه الخليفة عباءة سوداء مذهّبة مرصّعة بالجواهر وعمامة. فكان الملك يحتفظ بهما، ويخلعهما على أشهر العلماء الذين كانوا يفدون إليه مثل ما فعل مع الشيخ ناصر الدين الواعظ الترمذي.

لا ريب أن العلماء العرب الذين وفدوا على الهند في هذه الآونة هم الذين رغّبوا ملك الهند في التقرب إلى الخليفة، ومن أهمهم الشيخ عبد العزيز الأردبيلي ـ أشهر محدث وفقيه ـ من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[3].

ووفد إلى بلاطه محمد ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩هـ) (الرحالة المغربي المعروف) سنة ٧٣٤هـ، فأكرمه السلطان وولاه القضاء بمدينة دهلي.

ولابن بطوطة قصيدة في مدح السلطان[4].

---

(١) المصدر المذكور (٢/ ١٢٧)، وتأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية (ص١٤٩).

(٢) نزهة الخواطر: (٢/ ٦٦، ١٢٧، ١٣٢)، وتأريخ الصلات (ص١٤٩).

(٣) راجع: رحلة ابن بطولة (٢/ ٤٣ ـ ٤٤)، و«تأريخ الصلات» (١٤٨ ـ ١٤٩).

(٤) نزهة الخواطر: (٢/ ١٣٢) ومن قصيدته قوله:

إليك أمير المؤمنين المبجّلا ... أتينا نجد السير نحوك في الفلا

فجئت محلّا من علائك زائراً ... ومغناك كهف للزيارة آهلاً

فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة ... لكنت لأعلاها إماماً مؤهّلاً

فأنت الإمام الماجد الأوحد الذي ... سجاياه حتماً أن يقول ويفعلا

ولي حاجة من فيض جودك أرتجي ... قضاها وقصدي عند مجدك سهّلا

أأذكرها أم قد كفاني حباؤكم ... فإن حباكم ذكره كان أجملا

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

قال ابن بطوطة :

«وأما فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله فلا تسل عن ذلك . فإنه كان مع تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على إراقة الدماء ، لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر ، كان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ، ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف ، وفي كل يوم يرد عليه من المسلسلين والمغلولين والمقيّدين مئون ، فمن كان للقتل قتل ، أو للعذاب عذب ، أو للضرب ضرب»(١) .

* صرح ابن بطوطة في هذا التقرير بأمرين مهمين يؤخذان على السلطان محمد تغلق وهما :

(الأول) : تجاسره على إراقة الدماء : هذا يخالف تماماً مع ما كان يتحلّى به من التواضع والإنصاف والرفق بالمساكين .

وأي تواضع وإنصاف ورفق مع التجاسر على إراقة الدماء؟ !

ولا غرو أن أمر السلطان محمد تغلق في هذا الباب مبالغ فيه جداً ، وقد قام الكتاب من كبار الصوفية بتشويه سمعته ، واتهموه ببعض العظائم(٢) . وبما أن هذا العصر كان عصر التصوف ، فلا عجب من تأثر ابن بطوطة بأهله أيضاً(٣) .

ولأجل هذه الحقائق قال الدكتور مهدي حسن في كتابه عن حياة محمد تغلق رداً على ابن بطوطة بأنه لم يكن منصفاً في حقّه ، وأتى على ذلك بأدلة وشواهد(٤) .

=تعجل لمن وافى محلك زائرا قضا دينه إن الغريم تعجلا

ويظهر أن ابن بطوطة ، بعد ما تأثر ببعض الصوفية ، ولبس الخرقة منه ، تغير قليلاً على السلطان محمد تغلق . كما سيأتي إن شاء الله .

(١) نزهة الخواطر (٢/ ١٣٠) .

(٢) اتهمته الصوفية بأنه كان يمهّد لادعاء النبوة .

(٣) وأما ابن بطوطة فتأثر بالصوفية ، ولبس الخرقة من بعضهم ، فتأثره بدعاياتهم ضد السلطان محمد تغلق ليس من الغرائب . كما سيأتي .

(٤) دعوة شيخ الإسلام (١/ ٢٩ ـ ٣٠ ـ المقدمة) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(الثانية) : عدم احترامه أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف : هذا العموم فيه من المبالغة ما فيه .

* وقد ذكر ابن بطوطة نفسه جود السلطان على الغرباء من العلماء ، وتفضيله إياهم على أهل الهند ، وما قام به من الاحتفاء البالغ بالشيخ عبد العزيز الأردبيلي المحدث الفقيه ، والشيخ ناصر الدين الواعظ الترمذي ، والشيخ ركن الدين (شيخ الشيوخ بمصر) ، وابن بطوطة نفسه الذي ولاّه القضاء بمدينة دهلي[(١)] ـ قلما يوجد له نظير في تأريخ ملوك الهند .

هل يقال في مثله أنه «لا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف» .

***وقد وصف القلقشندي بلاطه قائلاً :**

« . . . وأما القضاة فله قاضي القضاة عظيم الشأن ، وله محتسب وشيخ الشيوخ . . .»[(٢)] .

وهل يمكن أن يكون قاضي القضاة عظيم الشأن ، من غير أن يحترمه السلطان؟ !

* قال القاضي محمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع» إنه كان جواداً متواضعاً عالماً بفقه الحنفية ، مشاركاً في الحكمة ، ومن محبته للعماء أنه أهدى له شخص أعجمي «الشفاء» لابن سينا بخط ياقوت الحموي في مجلّد واحد ، وفأجازه بمال عظيم ، يقال : إن قدره مائتا ألف مثقال أو أكثر . . .

وفي خدمته من الأطباء والحكماء والعلماء والندماء عدد كثير ، لم يجتمع لغيره . . .»[(٣)] .

* حاول السلطان محمد تغلق في عصره أن يستقدم بعض كبار القضاة والعلماء إلى دهلي ، لما سمع عن صيتهم في مجال العلم والقضاء والأدب[(٤)] .

---

(١) نزهة الخواطر (٢/ ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ برواية ابن بطوطة) وتاريخ الصلات (ص١٤٩) .
(٢) صبح الأعشى (٥/ ٩٢) ، وعنه في «تاريخ الصلات» (ص١٧٦) .
(٣) راجع «نزهة الخواطر» (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(٤) المصدر المذكور (٢/ ٣٧ ـ ١٦١) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

واستخدم في عصره كبار الفقهاء والقضاة والعلماء[١] ، والحكماء والأطباء وكان يقرّبهم إليه ، ويذاكرهم في العلوم[٢] .

هذه الحقائق والشواهد التأريخية تنبئ عما يكنه السلطان محمد تغلق من حب العلم والعلماء ، وتردّ على ما زعمه ابن بطوطة من عدم احترامه أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف .

❋ ❋ ❋

تشويه :

لقد تواطأ كبار الكتّاب والمترجمين والمؤرّخين من الصوفية على تشويه سمعة السلطان محمد تغلق ، حتى اتهموه بتمهيده لادعاء النبوة ، وبالغوا في ذكر فتكاته وتجاسره على إراقة الدماء ، وإهانة العلماء[٣] .

❋ قال فيه السيد عبد الحي :

« . . . السلطان الجائر المشهور بالعادل . . . اتسعت مملكته جداً كان هذا الملك من عجائب الزمن وسوانح الدهر ، لم ير مثله في الملوك والسلاطين في بذل الأموال الطائلة ، وسفك الدماء المعصومة ، وفتح الفتوحات الكثيرة ، وتوسيع المملكة العظيمة . . .»[٤] .

❋ أما الأستاذ الندوي فلا يذكره إلا بالجور والظلم وبرواية أعدائه من المتصوفة ، فيصفه بـ «الملك الجبار»[٥] و«الملك الجبار الذي عرف في تاريخ الهند بسطوته وعسفه وسفك الدماء (توفى ٧٥٢هـ)»[٦] .

---

(١) المصدر المذكور (٢/ ٥ ، ١٦٨) .
(٢) المصدر المذكور (٢/ ٤٦ ، ٨٣) .
(٣) تقدم ما لهذه لاتهامات وما عليها آنفاً .
(٤) «نزهة الخواطر» (٢/ ١٢٦ـ١٢٧) .
(٥) «المسلمون في الهند» (١٤٢ـ١٤٣) .
(٦) الأركان الأربعة (ص٣٧ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مآثره :

* نذكر هنا ملخص ما سجّله الشيخ محمد إكرام (المؤرخ المسلم الشهير) عن السلطان محمد تغلق ومآثره ، ومن خلاله يتبين سبب غضب الصوفية عليه ، وتشويهم سمعته في كتاباتهم ، فإنه قال :

« . . . هذا السلطان لغز[1] في نظر المؤرخين ، كان حافظاً لكتاب الله تعالى عن ظهر قلب ، وجدّ مواظب على الصوات الخمس ، وصوم رمضان ، وكان يجيد كتابة الرسائل في العربية والفارسية غاية الإجادة» .

* وقد كتب الدكتور «تاراجند» عن مسلكه السياسي فقال :

«كان يلتزم بدينه التزاماً كاملاً ، ولا يعاب عليه في حياته الشخصصية ، ولم يكن متعصباً أبداً ، وما كان في نظره كبير أهمية لقصّار النظر من الفقهاء ، وعامل مع الهندوس معاملة التسامح ، وحاول إصلاح حياتهم الاجتماعية ، وأراد إيقاف عادة «ستي»[2] ، وعينّ هندوسياً عاملاً على السند ، وفوّض الآخرين مناصب كبيرة . . .»[3] .

* ثم ذكر الشيخ محمد إكرام بعض تصرفات هذا السلطان التي أضرّت بالهند[4] في زعمه ، . . . إلى أن قال :

---

(١) كانت الصوفية وراء جعله «لغزا» في التأريخ وذلك بتواطئهم على تغيير معالم إصلاحاته شفاء لغيظهم منه . كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(٢) من تقاليد الهندوسية أن المرأة المتوفى عنها زوجها كانت تحرق مع زوجها ، وتسمّى هذه العملية ـ عندهم ـ «ستي» وهي كلمة سنسكرتية .

(٣) مختصر تأريخ أهل الهند للدكتور تاراجند ، المؤرخ الهندوسي المعروف (١٧٢ ـ ١٧٣ بالإنجليزية) وعنه في «آب كوثر» [ماء الكوثر] (ص ٤٠١ بالأردية) .

(٤) ومنها : «أنه أراد أن ينقل دار الخلافة من «دهلي» إلى «دولت آباد» لمركزيتها وموقعها الحساس ، ولا ريب أن إدارة دفة الحكم من هذا المكان كانت سهلاً ميسوراً ولكنه شدّد كثيراً على سكان دهلي في قضية النقل» .
وذكر الدكتور مهدي حسين والأستاذ خليق أحمد النظامي أن السلطان محمد تغلق أراد أن يجعل «ديوكير» مركزاً للإسلام ، ليسهل وصول أشعته إلى جميع نواحي «دكن» [الجنوب] (ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ مع التعليق) .
هكذا عدّوا حسناته ذنباً لا يغتفر ، لأنه لم يكن ممن يسلّم أمره إلى الصوفية . والله المستعان !

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«قد ترك السلطان محمد تغلق أثراً عميقاً في الحالة السياسية للدولة . والتعديلات التي حصلت لأجله في النظام المذهبي ـ وخاصّة ما يتعلق بالصوفية ونفوذهم في الشعب ـ أيضاً جديرة بالذكر .

كان للصوفية في «دهلي» نفوذ كبير قبل عهده ، وكانوا مرجعاً للخلق ، حتى السلاطين الذين لم يكونوا من معتقديهم بقلوبهم ، أيضاً كانوا مضطرين لاحترامهم نظراً إلى مصالحهم .

وقد كان بعض ضعفاء الاعتقاد من السلاطين وأمرائهم يعتقدون بكراماتهم اعتقاداً كاملاً ، ويزعمون أن إغضابهم الفقراء والمشايخ يسبّب زوال سلطنتهم . . .

وقد حاول بعضهم (وهو السلطان قطب الدين) تقليل هذا النفوذ الصوفي ، ولكن جهوده لم تثمر .

ولما توفى الخواجه نظام الدين ، وتسلطن السلطان محمد تغلق فبذل قصاري جهوده في تقليل نفوذ الصوفية ، وفرّق جمعهم بغاية من العزيمة والنظام ، بحيث إنه وإن وجد ـ فيما بعد ـ بعض أصحاب السطوة من الصوفية ، واعتقد فيهم بعض الملوك اعتقاداً كبيراً ، ولكن ليس فيهم من يعدّ منافساً للسلطان مثل الخواجه نظام الدين ، وهكذا تولّى عصر الصوفية الذهبي إلى الأبد .

ولتقليل نفوذ الصوفية ، واستسلامهم للحكومة الظاهرة(١) أقدم السلطان محمد تغلق على تفويضه إياهم خدماته الشخصية ، وكان يشدد على من يرفض ذلك . (وكان يستدلّ على ذلك بأن الخلفاء الراشدين كانوا يفوضون أعمالهم إلى أهل العلم والصلاح)(٢) .

* **ثم قال :**

---

(١) تزعم الصوفية أنهم يحكمون على القلوب ، فسمّوا حكومتهم «حكومة باطنة» إزاء دولة الحكام والسلاطين ، التي هي «حكومة ظاهرة» . وتقدمت إشادة الأستاذ الندوي بالدولة الباطنة والمستعمرة الروحية في محلّه .

(٢) آب كوثر (٤٠١ ـ ٤٠٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«وكان من أثر هذه السياسة ، وشدة هذا السلطان أن قلّ نفوذ الصوفية بدهلي بشكل ملحوظ ، وأرسل بعضهم إلى أنحاء بعيدة من الدولة ، وهاجر بعضهم بأنفسهم إلى مناطق أخرى بعدما رأوا هذه الحالة .

وقد تحسّنت هذه الأحوال أيما تحسن بعد عهده في عصر «فيروز تغلق»[١] ولكن كان اعتقاده بالعلماء والفقهاء أكثر من اعتقاده بالصوفية والمشايخ فراجت الشريعة في عصره أكثر من التصوف .

وبما أن حكومة دهلي ضعفت بعده ، وانتهى ما كان فيها من الحيوية بحملة «تيمور» ، ولم يجتمع شمل مشايخ دهلي بعد ما تفرّق»[٢] .

* * *

أسباب شدّته على الصوفية :

لماذا شن السلطان محمد تغلق حملة شعواء على الصوفية؟

وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب لذلك ، منها :

١ ـ يمكن أن يكون سبب شدته على الصوفية سياسياً ، من حيث إنه أراد أن يقلّل نفوذهم ، ويزيد من قوة الدولة .

٢ ـ عند المؤرّخين النظاميين (المنتسبين إلى الطريقة النظامية التي أسسها الخواجه نظام الدين الدهلوي) سبب كبير لهذا التشديد على الصوفية هو معتقداته .

٣ ـ ويمكن أن يكون صنيعه هذا نابعاً من العقيدة الصحيحة ، بدافع من الغيرة على الشريعة الغرّاء التي شوّه الصوفية جمالها . وهذا الذي يبدو من التزامه بالدين ، وقيامه بأعمال الإصلاح والتجديد .

وهذا لا يختلف عما ذهب إليه النظاميون من المؤرّخين ، لأن معتقداته الصحيحة

---

(١) كان من بني أعمام محمد تغلق ، وسار على نهج سلفه في إصلاحات الدولة . ترجمته في «نزهة الخواطر» (٢/١٠٧ ـ ١١٠) .

(٢) آب كوثر (٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هي التي دفعته إلى القيام بهذا الدور العظيم في مجال الدعوة والإصلاح .

* * *

دفاع :

دافع الشيخ محمد إكرام عن السلطان محمد تغلق أيما دفاع ، وبين باعث هذه الحركة التي قام بها في عهده ، فقال :

«لقد اتهم كبار الصوفية ، وكتّاب التراجم السلطان محمد تغلق باتهامات كثيرة ، وبيّنوا وقائع وحوادث تشكّك في كونه راسخ العقيدة[1] .

ولكن هذا الأمر يحتاج إلى التفكير بحيث أن السلطان محمد تغلق أكثر إذائه وتشديده كان على الصوفية . وكان العلماء في مأمن من شدته عموماً . وكان بنفسه يواظب على الصلوات الخمس ، ويؤكد تأكيداً شديداً على إقامة الصلاة .

وذكر ابن بطوطة قدوم الشيخ عبد العزيز الأردبيلي إلى بلاط السلطان محمد تغلق ، وتعظيمه إياه[2] . وكان الشيخ عد العزيز في دمشق من تلامذة العلامة ابن تيمية أحد المعروفين بردّ البدع ومخالفة التصوف .

ولا عجب أن الجهود التي كان السلطان محمد تغلق يقوم بها ضدّ الصوفية ، تقوت بقدوم الشيخ عبد العزيز . ولعل فيها أثراً لتلك الحركة الإصلاحية التي كان يقودها العلامة ابن تيمية في الشام ومصر في ذلك العصر ، ووصل خبرها إلى الهند بوسائط مختلفة . (مثلاً بواسطة الشيخ علم الدين[3] الذي قضى من حياته مدة من الزمان في مكة والمدينة ومصر والشام ، ثم رجع إلى الهند ، أو بواسطة الشيخ عبد العزيز)[4] .

* * *

---

(١) تقدمت الإشارة إلى نبذ من هذه الأمور .

(٢) نزهة الخواطر (٢/ ٦٦) .

(٣) تقدم أنه كان من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (دعوة شيخ الإسلام : ١/ ٢٤ ـ ٢٥ المقدمة) .

(٤) آب كوثر (٤١٠ ـ ٤١١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بهذه الشهادات التاريخية المتواصلة اتضحت عدة أمور :

* تضييق السلطان نطاق دائرة الصوفية كان وراء تواطئهم على تشويه سمعته ، وتحاشيهم عن ذكر مآثره الجليلة ، التي تميز بها عن غيره من ملوك الهند .

* ساير الأستاذ الندوي المؤرخين النظاميين من الصوفية ، حينما تغاضى في كتاباته[1] عن تناول هذا الدور الرائع الذي قام به السلطان محمد تغلق في عصره ، متأثراً بتلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية . ولم يسمح له ولاؤه العميق للتصوف ـ مع عدم تعبه من دعوى كونه مؤرخاً محايداً بمناسبة وبدون مناسبة ـ أن يذكر هذه الإصلاحات الدينية القيمة ، في تلك الفترة العصيبةمن الزمن ، التي يعتز بها تاريخ الهند الإسلامي إلى أبد الآباد .

* ذكره المؤرخون المتعصبون للصوفية أيضاً بالجورمشفوعاً بالعدل ، ـ ولو على مضض ـ لأنه تاريخ ، مثل : «السلطان الجائر المشهور بالعادل»[2] .

ولكن الأستاذ الندوي لم يحترم هذا التاريخ أيضاً ـ ولو على مضض مثل سلفه ـ فوصفه بـ «الملك الجبار»[3] ـ و«الملك الجبار الذي عرف في تاريخ الهند بسطوته وعسفه وسفك الدماء»[4] .

هذا تأريخ .

وقد بحث الأستاذ الندوي عن مثال للتدين في ملوك الهند ، فذكر شخصه وعصره ، في غير مظانه[5] في ترجمة الشيخ السرهندي (ـ ١٠٣٤هـ) في القرن الحادي عشر ، فقال :

---

(١) بخاصة في «شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية» و«المسلمون في الهند» .

(٢) نزهة الخواطر (٢/ ١٢٦ـ١٢٧) .

(٣) المسلمون في الهند (١٤٢ـ١٤٣) .

(٤) الأركان الأربعة (ص٣٧ تعليقاً) .

(٥) أما في مظان ذكره مثل «المسلمون في الهند» فلم يذكره إلا بالجور ، وبرواية أعدائه من الصوفية . وتقدّم أنه لم يذكره في كتابه «شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية» بتاتاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«ويمتاز عدد من السلاطين في تأريخ الهند الإسلامي بحمايتهم الشريعة الإسلامية ، والسنة المطهّرة ، وكراهة الكفر والإلحاد ، ومحاربة البدع والمنكرات ، والحمية الدينية ، والغيرة الإسلامية ، ويكفينا أن نذكر «محمد تغلق» و«فيروز تغلق» في القرن الثامن . . .»[(١)] .

وهذا تأريخ آخر .

❋ ❋ ❋

قال الأستاذ مسعود الندوي[(٢)] بعد ما ذكر محمد تغلق وماله وما عليه :

«مهما يكن من حقيقة الأمر ، فإنه أحبّ لدينا ممن تقدّمه من ملوك الهند الجبابرة ، لأنه قام بشيء من واجبه في سبيل إحياء مآثر الإسلام ، وتجديد ما اندرس من آثاره ومعالمه في هذه البلاد : وللناس فيما يعشقون مذاهب»[(٣)] .

ولا ريب أن أوّل دولة تمخضت عنها دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية في الهند هي الحكومة التغلقية المتمثلة في محمد تغلق (ـ ٧٥٢هـ) ، وابن عمه : فيروز تغلق (ـ ٧٩٩هـ) في القرن الثامن . وإن كانت فيها بعض العيوب والنقائص إلا أن الغاية الحقيقية لدعوة شيخ الرسلام تحققت بجهودهما إلى حد كبير[(٤)] .

❋ ❋ ❋

(١) الإمام السرهندي (ص٢٥) .

(٢) هو زميل الأستاذ الندوي الذي كان أكبر منه سناً ، وأدقّ في تحرير التأريخ .

(٣) تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٢٤ـ ٢٥) .

(٤) دعوة شيخ الإسلام (١/ ٣٠ ـ المقدّمة) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بين النصب والرفض

* مكانة الصحابة :

ألف الأستاذ الندوي كتابه «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية ، وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لبيان فضل دعوة النبي ﷺ على الإنسانية ، واستنارة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ منها في جميع مجالات الحياة ، وإبطال وقوع الشيعة فيهم بدونِ حقّ ، ثم الدفاع عنهم دفاعاً مجملاً .

«وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي ، وتأسّست الحكومة الإسلامية في دورها ، ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال إلا صورة مكبرة لأخلاق الأفراد ونفسيتهم ، فكان المجتمع صالحاً أميناً ، مؤثراً للآخرة على الدنيا ، متغلّباً ، على المادة غير محكوم لها ، وأن كل فرد من أفراد هذا المجتمع معجزة مستقلة ، وآية من آيات النبوّة ، ومأثرة من مآثرها الخالدة ، وبرهان ساطع على أشرفية النوع الإنساني ، إن مصوّراً لم يصوّر بريشته البارعة ، ومخيلته السخيّة صورة أجمل وأبدع مما كان عليه هؤلاء الأفراد (الصحابة) في عالم الحقيقة والواقع ، وفي شهادة التأريخ .

إلا أن هناك فرقة تشوّه هذه الصورة الجميلة ، وتحاول بكتاباتها ودعاياتها طمساً لمعالم الإنسانسة النبيلة ، وتسيء إلى أشرفية النوع الإنساني ، وصلاحيته للقيادة البشرية ، وتحلّيها بالمكرمات ، والأخلاق النبيلة ، وترى أن المجهودات التي بذلها محمد ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص ، ظلّوا متمسّكين بالإسلام إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم فور وفاته ﷺ (العياذ بالله) وأثبتوا أن صحبة النبي وتربيته أخفقت في مهمته التي توخاها ، ولم يكن همّ الصحابة إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن ، واتّخذوا القرآن ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة ، وتقيس هذه الفرقة الصحابة الكرام ـ الذين تربوا في مدرسة النبوة ـ على مؤسسي الحكومات والمجازفين وعباد الجاه والملك ، وطمّاعي المال والثراء»(١) .

---

(١) أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً (١٠١ ـ ١٠٢) .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* عثمان ـ رضي الله عنه ـ في قفص الاتهام :

ولكن الأستاذ الندوي يغير موقفه قليلاً في كتابه «المرتضى» من بعض الصحابة رضي الله عنهم ، اعتماداً على المواد التأريخية المبثوثة في كتب التأريخ على عواهنها ، ومجرّد التأريخ ـ وفيه الغث والسمين ـ لا يكفي للحكم على هذه النخبة البشرية الممتازة التي اختارها الله عزّ وجلّ لصحبة نبيه ﷺ ، أو على الأقلّ تشرفت برؤيته أو لقائه ـ ولو مرّة وللحظة ـ مؤمنة به ﷺ(١) .

ومجرّد رؤية الشخص أو لقائه النبي ﷺ مؤمناً به ، يجعله نوعاً آخر من البشر ، ويحله في مصاف عظماء التاريخ ، ورجالات الإسلام ، الذين وثّقهم الله تعالى ، مع علمه بما لهم وما عليهم ، بقوله : ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ [التوبة : ١٠٠] وهم أصحاب رسول الله ﷺ كباراً كانوا أو صغاراً .

ذكر الأستاذ الندوي في «المرتضى» مما يعترض به على الخليفة الراشد الثالث : ذي النورين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ مع الاعتراف بفضائله ومآثره ، عدة أمور ، منها :

* لم يكن ولاة عثمان وعمّاله ممن لهم مآثر جليلة في الإسلام .

* ولم يكن لهم في المجتمع كبير شأن من الناحية الدينية .

* وصدرت من بعضهم بعض التصرفات التي سببت انتقاد الناس إياهم وغضبهم عليهم(٢) .

ثم نقل عن الأستاذ كرد علي في «الإدارة الإسلامية» ، وعن القاضي عبد الجبّار (من طريق ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة») ، بعض التأويلات على المحامل

---

(١) «الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام» .

. . . وقال ابن حجر في هذا التعريف : «أصح ما وقفت عليه . . . فيدخل فيمن لقيه : من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى . . .» (الإصابة : ١/ ٤ ، تعريف الصحابي من المقدمة) .

(٢) «المرتضى» للندوي (ص٢٠٩ ـ الأردية ، ط . ثالثة) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الصحيحة لتصويب ما قام به عثمان ـ رضي الله عنه ـ في عهده من تعيين الولاة والأمراء ، فلم يتمالك نفسه إلى أن صدع بالحق ـ في زعمه ـ فقال :

«يمكن أن تذكر تأويلات كثيرة عما قام به عثمان من تعيين الأمراء والولاة وتكون صائبة ، ولكننا لا نعتبره معصوماً عن الخطأ بالكلية ، ونعتبره مجتهداً يصيب ، ويخطئ خطأ (اجتهادياً) ، وليس هناك منزه عن كل عيب إلا الله ، وليس هناك معصوم إلا رسوله (ولا نزكّي على الله أحداً) ، ولا نبرئ ساحة مروان بن الحكم ، ووليد بن عقبة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[(١)] : أسلوبهم في التعامل في ممارسة الأعمال ، لا يلزمنا أن ننكره ونتغاضى عنه تماماً[(٢)] .

ومن الواقع أيضاً أن أغلبية مخالفي عثمان وناقديه أيضاً كانوا مغرضين ، ولم يكونوا مخلصين كلّياً . كانت لهم أسباب سياسية ، ومصالح شخصية»[(٣)] .

* الاتهامات في الميزان :

لم يكن تفويض المناصب الكبيرة إلى من ليست لهم مآثر جليلة في الإسلام ـ أو ليسوا من السابقين الأولين من الصحابة ـ غريباً في عهد النبوة وعهد الشيخين بعده . وهناك ما يقارب اثنين وأربعين عاملاً (وقد يزيد هذا العدد بعد البحث والتتبع) من عمّال النبي ﷺ ، وعمال الشيخين ، الذين تأخر إسلامهم ولم يكونوا معروفين في المجتمع بالناحية الدينية من قبل . ومنهم نحو خمسة عشر عاملاً من الطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح . والبقية أيضاً لم يكونوا ممن لهم مآثر جليلة في الإسلام ، أو كبير شأن في المجتمع .

وإن يُعَدّ عمال هذه العهود الثلاثة من السابقين الأولين ، لا يصل عددهم إلى النصف من أولئك المتأخرين في الإسلام من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[(٤)] .

---

(١) هؤلاء الثلاثة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وستأتي نبذ عن تراجمهم إن شاء الله تعالى .

(٢) لم تكن الاستفادة من كفاءات الأقرباء عيباً عند الخلفاء الراشدين . وهذا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ولّى مجموعة من أقاربه وموافقيه ، وخاصة محمد بن أبي بكر (ربيبه) ، ومالك الأشتر اللذين يُعَدَّان من قاتلي عثمان ـ رضي الله عنه ـ فعلي المنصف العادل أن يتغاضى عما فعله عثمان ، كما يتغاضى عما فعله علي بن أبي طالب . وكلاهما يحتاج إلى عدل الكتاب وإنصافهم في كثير من أموره .

(٣) المرتضى (ص ٢١١) .

(٤) راجع «الخلافة والملك» في ميزان الشرع والتأريخ (٢٦٣ ـ ٢٧٠ ـ الأردية) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

لو كانت تولية غير السابقين في الإسلام مناصب قيادية ، خلاف مصالح الدولة ، أو ضدّ السياسة الحكيمة ، أو سبب ثورة الناس ، لما اتّبعتْ هذه الخطة في العهود الثلاثة قبل عثمان ـ رضي الله عنه ـ[1] .

فلماذا يلام عثمان ـ رضي الله عنه ـ بناء على المواد التأريخية المشبوهة التي تنال من كرامته على أمر هو فيه متَّبِعٌ للنبي ﷺ والشيخين : أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ؟ !

* قد يفهم من هذا النوع من الاحتجاج الذي قدمه الأستاذ الندوي بتمهيد عجيب وأسلوب مريب ، أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ هبّ يعزل عمال العهد الفاروقي بعد تولّيه الخلافة فوراً .

وهذا خلاف الواقع ، لأنه لم يعزل أو يغيّر أحداً منهم لمدة سنة على توصية عمر ـ رضي الله عنه ـ .

وبعد مضي هذه المدّة لم يغير إلا عمّال الكوفة ، والبصرة ومصر لأسباب وجيهة عنده ، لا تخفى على دارس التأريخ الإسلامي المحايد .

وكان عثمان ـ رضي الله عنه ـ متّبعاً لخطة العهود الثلاثة في العزل والنصب حيث قال :

«أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ ، ومن جنسهم ، وقبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده»[2] .

نبذة عن عمال عثمان :

* قد سمّى الأستاذ الندوي ثلاثة من عمال عثمان من بني أمية ، ورماهم باستغلالهم لقرابة الخليفة ، وأشار إلى ما صدر منهم من بعض التصرّفات التي سبّبت غضب الناس عليهم .

وإليكم نبذة عن هؤلاء الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ لتتبيَّن حقيقة الطعن فيهم :

---

(١) راجع طبقات ابن سعد (٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ، والفصل لابن حزم (٤/ ١٦٥) ، وعنهما في المصدر المذكور (ص ٢٧٠ ـ ٢٧١) . واستدل ابن حزم بهذا الأمر على جواز كون المفضول أميراً ، أو والياً ، أو رئيساً في وجود الفاضل ، نظراً إلى بصيرته في أمور السياسة والإدارة .

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٤٥ ؛ ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١ ـ **وليد بن عقبة** : وهو أخو عثمان لأمه ، وأمهما أروى بنت كريز ، نشأ في كنف عثمان ، وقتل أبوه بعد الفراغ من عزوة بدر صبراً ، وأسلم ـ هو وأخوه عمارة يوم الفتح .

ولما استخلف عثمان ولاّه الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص[(١)] ـ رضي الله عنهم أجمعين . . .

هل كانت تولية عثمان وليداً على الكوفة لمجرّد قرابته ، أم كان له أي دور في خدمة الإسلام والمسلمين من قبل ؟

فالتأريخ يشهد أن له نصيباً لا بأس به في أداء الأعمال المناطة به في عهد الشيخين : أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ .

* ففي سنة ١٢هـ ، كان مع خالد بن الوليد في القتال مع الفرس ، وبعثه خالد إلى أبي بكر ببشرى الفتح والغنائم .

* وأرسله أبو بكر بالمساعدات العسكرية إلى جبهة القتال التي كان قائدها عياض بن غنم .

* وفي سنة ١٣هـ كان من قبل أبي بكر على صدقات قضاعة .

* لما أراد أبو بكر رضي الله عنه غزو الشام ، وقع اختياره لهذه المهمة العظيمة على قائدين :

(أحدهما) : عمرو بن العاص ، وجعله قائد الجيش وأرسله إلى فلسطين .

(والثاني) : وليد بن عقبة ، وجعله قائد الجيش ووجّهه إلى الأردن .

* وفي سنة ١٥هـ ، كان عاملاً في عهد عمر على بلاد بني تغلب والجزيرة .

* وفي سنة ١٧هـ لما أراد ملك الروم محاصرة حمص ، قام وليد بن عقبه بمواجهته من جهة .

---

(١) كان المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه على الكوفة في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ . وبعد وفاته بسنة عزله عثمان ـ رضي الله عنه ـ وولّى سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ الكوفة . وحصل نزاع بينه وبين عبد الله بن مسعود ، فغضب عثمان عليهما ، فعزل سعداً وولّى وليداً الكوفة واستعظم الناس ذلك (الإصابة : ٦/ ٣٢٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ومن جهة أخرى بذل جهداً كبيراً في إدخال نصارى العرب في الإسلام[(١)] .

هذا هو الوليد بن عقبه ـ رضي الله عنه ـ الذي مارس القتال مع خالد بن الوليد ، وكان قائداً للجيش على مستوى عمرو بن العاص ، مع أعماله الأخرى التي قام بها في عهد الشيخين .

فإن ولاّه عثمان الكوفة ، لأجل اطلاعه على ميزاته الشخصية ـ لأنه نشأ في كنفه ـ وتجربته في إدارة الأعمال ، وحنكته في القتال ، لا يعاب عليه أبداً .

وقد قضى وليد خمس سنوات من ولايته على الكوفة ، وبدأ أشرارها يحيكون ضده مؤامرة تلو الأخرى لأجل قتله أحداً منهم في القصاص ، ولبعض الحوادث الأخرى ، حتى اتّهموه بشرب الخمر ، وأقاموا عليه شهداء ، فاستجوبه عثمان ، فحلف له الوليد ، وأخبره خبرهم ، ولكن عزله عثمان بعد جلده[(٢)] عن الكوفة ، عملاً بالظاهر ، وفوّض أمر الوليد والشهداء عليه إلى الله عز وجل[(٣)] .

حكم عثمان في الوليد كان ينبني على أصول القضاء الشرعي ، لأن القاضي لا يجب عليه العلم بحقيقة الأمر ، بل تكفيه الشهادة المتوفرة للحكم في القضية .

ومن يتخذ مثل هذه الأحداث التأريخية التي تجمع بين الغثّ والسمين تكأة يتكئ عليها للطعن في الوليد أو في غيره من الصحابة ينحرف عن الجادة المستقيمة إلى الحكم فيهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

والأنكى من ذلك أشدّ من يبحث عن زلة من زلات عمال العهد العثماني للطعن في عثمان ـ رضي الله عنه ـ نفسه ، أو يعتقد أنه عزل كبار الصحابة ليُحِلَّ محلّهم

---

(١) راجع للتفصيل «الخلافة والملك» في ميزان الشرع والتاريخ (ص٢٤٢) .

(٢) قصة إقامة الحد عليه مخرّجة في الصحيحين .

(٣) راجع «الخلافة والملك» في الميزان (٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، ٢٨١) .

وقيل نزلت فيه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات : ٦] حينما أرسله النبي ﷺ إلى قوم على صدقتهم ، فأخبر النبي ﷺ من غير أن يذهب إليهم بأنهم أبوا الصدقة وارتدّوا . قال ابن كثير : «ذكر ذلك غير واحد من المفسّرين والله أعلم بصحة ذلك» (النهاية : ٨/ ٥١٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أقرباءه، فهم على قول ابن حجر الهيتمي : «الملاعين المعترضون لا فهم لهم ولا عقل»[1] .

ومن اتباع الوليد للحق أنه بعد ما قتل عثمان اعتزل الفتنة، ومع ميله إلى معاوية لم يشهد معه ولا مع علي . . . رضي الله عنهم أجمعين . . .[2] .

هل يعاب أمثال هؤلاء الفطاحل في التأريخ، الذين اختارهم الخلفاء الراشدون للمهمات الصعبة من قيادة الجيش، وولاية المسلمين، بأنهم لم تكن لهم مآثر جليلة في الإسلام؟ !

هل يمكن أن يقدّم الإنسان مآثر جليلة في الإسلام قبل إسلامه؟

٢ ـ **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** : هو أخو عثمان من الرضاعة، وكانت أمه أشعرية .

أمّن النبي ﷺ الناس كلهم يوم الفتح إلا أربعة نفر وامرأتين .

عكرمة، وابن خطل، ومقيس بن ضبابة وابن أبي سرح .

أما ابن أبي سرح فكان يكتب للنبي ﷺ فأزلّه الشيطان فلحق بالكفّار، فأمر أن يقتل يوم الفتح، فأجار له عثمان، وأجاره النبي ﷺ، وبايعه .

هذا الذي كاد أن يُقتل، منّ الله عليه بالإسلام، فحسن إسلامه، فصار من أعلام التأريخ . وكانت له مواقف محمودة في الفتوحات وغيرها في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ، ومنها :

* شهد مصر، واختّط بها، وكان صاحب الميمنة في الحرب مع عمرو بن العاص في فتح مصر .

* وكان على جند مصر في عهد عمر .

* وكان على الصعيد في زمن عمر . ثم ضمّ إليه عثمان مصر كلّها، بعد عزل عمرو بن العاص عنها .

---

(١) الصواعق المحرقة (ص٦٨)، وعنه في الخلافة والملك في الميزان (ص٢٨٣) .

(٢) الإصابة (٦/ ٣٢٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد حصل نزاع بينه وبين عمرو بن العاص، فحلّه عثمان بعزله، وضمّ مصر كلها تحت إمرته .

تفطن عثمان ـ رضي الله عنه ـ فيه إدارياً قوياً، وقائداً ناجحاً . وقد تّم في ولايته ما يلي :

* زاد خراج مصر في ولايته ضعفين .

* وغزا أفريقيه سنة سبع وعشرين، ومعه العبادلة . وكان فتح أفريقية من أعظم الفتوح، بلغ سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف دينار .

* وفتح الأساور سنة إحدى وثلاثين .

* وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين .

ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان، ولم يبايع لأحد .

روى البغوي بإسناد صحيح عن زيد بن أبي حبيب قال : خرج ابن أبي سرح إلى الرملة، فلما كان عند الصبح قال : اللهم اجعل آخر عملي الصبح، فتوضأ ثم صلى فسلّم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه، يرحمه الله[1] .

* * *

هذا هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو من الطلقاء، وقد عفا عنه النبي ﷺ .

واستعمله عمر ـ رضي الله عنه ـ في مهمات القتال في مصر، وجعله على جندها، وولّاه الصعيد . وأثبت جدارته في القتال حينما كان على الميمنة مع عمرو بن العاص في فتح مصر .

أي غضاضة لعثمان ـ رضي الله عنه ـ إذا ضمّ إليه مصر كلّها، وقد جرّب بعض أجزائها وجنودها قتالا وولاية في عهد الفاروق؟!

ألم يفتح الله على يديه أفريقيه، وهو من أعظم الفتوح في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) راجع التفصيل عن هذه الأمور في الإصابة (٤/ ٧٦ ـ ٧٧)، والخلافة والملك في الميزان (ص٢٤٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الوقوع في عبد الله بن سعد بن أبي سرح (فاتح أفريقيه) لمجرّد كونه قريب عثمان ومن الطلقاء، ثم استغلاله للطعن في عثمان ـ رضي الله عنه ـ نفسه ليس من الإنصاف في شيء .

أما آن لهؤلاء الكتّاب أن يمسكوا ألسنتهم عمن عفا عنه النبي ﷺ؟!

أليس عبد الله بن سعد مثل عكرمة بن أبي جهل ـ وكان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ﷺ ـ وهو ممن لم يؤمّنه النبي ﷺ يوم الفتح، ثم عفا عنه، واستعمله على صدقات هوازن .

وكذلك وجّهه أبو بكر في قتال الردّة إلى جيش نعمان، فظهر عليهم، ووجّهه إلى اليمن أيضاً .

وفي خلافة عمر كان أميراً على بعض اكراديس (١) .

وهل يطعن في أمثال هؤلاء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأن آباءهم كانوا من الأعداء الألدّاء للإسلام والمسلمين؟

وهل يلمز بأمثال هؤلاء، بأنهم ليس لهم تأريخ .

وأفيدونا، من كان له من الصحابة تأريخ قبل أن يسلم؟

الطعن في أمثال هؤلاء، طعن في أولئك الذين اختاروهم للعمل والولاية في عهدهم . وهم من الخلفاء الراشدين من أصحاب النبي ﷺ . فنعوذ بالله من هذا الخذلان!

٣ ـ مروان بن الحكم : هو ابن عمّ عثمان، وكاتبه في خلافته . وهو يقدَّم في كتابات بعض الكتاب المعاصرين شخصاً مشبوهاً لعّاناً، طعّاناً، رمزاً للفوضى واستغلال قرابة الخليفة في تحقيق مصالحه الشخصية .

هذا التصوير لشخصه ينمّ عما في قلوبهم من دفائن، لأنه مبالغ فيه لا يوافق التأريخ الصحيح المحايد، ولا يناسب قدره ومكانه في الإسلام .

---

(٤) راجع «الإصابة» (٤/ ٢٥٨) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هؤلاء لا يذكرون جوانب مشرقة من حياة مروان ـ رضي الله عنه ـ وهي مغمورة تحت أكداس مكدّسة من المغالطات والتشويهات .

وإليكم بعضها :

* هو من صغار الصحابة ، الذين تشرّفوا ـ على الأقل ـ برؤية النبي ﷺ ، وإن لم يثبت سماعهم منه[١] .

* وأرسل عن النبي ﷺ ، وروى عن غير واحد من الصحابة ، منهم : عمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وبسرة بنت صفوان .

* وروى عنه سهل بن سعد من الصحابة ، وهو أكبر منه سناً وقدراً ، لأنه صحابي .

* وروى عنه من التابعين : ابنه عبد الملك ، وعلي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ومجاهد ، وأبو سفيان مولى بن أبي أحمد[٢] .

* وهو من رواة صحيح البخاري ، والسنن الأربع[٣] ، وذكر مسلم في كتاب «البيوع» من «صحيحه» رجوعه عن بيع الصكاك حين قال له أبو هريرة : «أحللت بيع الصكاك وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام حتى يستوفى . قال : فخطب مروان الناس ، فنهى عن بيعها .

قال سليمان بن يسار : فنظرنا إلى حرس يأخذونها من أيدي الناس»[٤] .

---

(١) نفى البخاري رؤيته للنبي ﷺ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : لا يمكن القطع بعدم رؤيته ، لأن المسورين مخرمة ، وعبد الله بن الزبير اللذين هما في سنّه ثبت لهما السماع فضلاً عن رؤية . (٣/ ١٨٩) . وقال ابن كثير : وهو صحابي عند طائفة كثيرة ، لأنه ولد في حياة النبي ﷺ . (البداية : ٨/ ٢٥٧) .

(٢) الإصابة (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ القسم الثاني من الصحابة) .

(٣) راجع «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٩١) وتقريب التهذيب (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

(٤) صحيح مسلم رقم (١٢٥٨/ ٤٠) فيه ودلالة واضحة على مبادرته لاتباع النبي ﷺ وترك رأيه في بيع الصكاك فوراً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* وكان مروان يجمع أصحاب رسول الله يستشيرهم ، ويعمل بما يجمعون عليه[١] .

* توجد له فتاوي في كتب الحديث والفقه . وقد اعتمد مالك في «الموطأ» على حديثه ورأيه .

وذكر عنه بعض المسائل المفيدة والمراجعات الحديثية والفقهية : الإمام الشافعي في «الأم» ، وابن سعد في «طبقاته» ، والطبري في «تاريخه»[٢] .

* وذكر الحافظ ابن حجر ما عاب الإسماعيلي على البخاري من تخريج حديثه لأنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل ، وهما جميعاً مع عائشة ، فقتل ، ثم وثب على الخلافة بالسيف ، ثم اعتذر عنه الحافظ في «هدي الساري» فقال :

«مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ابن عم عثمان بن عفان ، يقال : له رؤية .

فإن ثبتت فلا يعرّج على من تكلّم فيه .

وقال عروة بن الزبير : كان مروان لا يتّهم في الحديث .

وقد روى عنه سهل بن سعد الساعدي الصحابي اعتماداً على صدقه .

وإنما نقموا عليه أنه رمى طلحة يوم الجمل بسهم فقتله ثم شهر السيف في طلب الخلافة حتى جرى ما جرى .

فأما قتل طلحة متأولاً فيه كما قرّره الإسماعيلي وغيره .

وأما ما بعد ذلك ، فإنما حمل عنه سهل بن سعد وعروة وعلي بن الحسين وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وهؤلاء أخرج البخاري أحاديثهم عنه في صحيحه ، لما كان أميراً عندهم بالمدينة قبل أن يبدو منه في الخلاف على ابن الزبير ما بدا . والله أعلم .

وقد اعتمد مالك على حديثه ورأيه والباقون سوى مسلم»[٣] .

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٨) ، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٣) وعنهما في «الخلافة والملك» في الميزان (٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٢) راجع «الخلافة والملك» (٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٤٤٣ ـ السلفية) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٩٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذا هو مروان بن الحكم في نظر العلماء من المحدّثين والفقهاء الذين لم يكونوا يحابون أحداً، أو ينالون من أحد من غير حقّ، عند إبداء آرائهم في الرجال .

هذا هو مروان بن الحكم الذي اختاره عثمان كاتباً له في خلافته .

ـ ألا يحق للخليفة الراشد أن يختار كاتبه حسب رأيه؟

ـ ألم يكن مروان القارئ لكتاب الله، والفقيه في دين الله، والشديد في حدود الله؟

ـ ألم يرد معاوية ـ رضي الله عنه ـ استخلافه، لتحلّيه بهذه الصفات القيادية؟[1] .

ـ أما كان الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ يصليان خلف مروان، ولا يعيدان الصلاة؟[2] .

ـ وهل من الإنصاف في شيء أن يقبل كل ما ورد فيه من الشائنات على عواهنها من غير البحث والتحرّي فيها؟

ـ وكذلك أين جواز الوقوع في رجل بحبريرة أبيه، إن صحّت الروايات في إخراج النبي ﷺ أباه من المدينة إلى الطائف، لأجل بعض تصرفاته الشائنة . وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه سكن بالطائف على رغبة منه ونقل عن الأكثرين عدم صحة هذا الخبر، الذي لم يرد في الصحاح مع كثرة الدواعي لنقله فيها عن الصحابة، وليس له إسناد تعرف به حقيقته .

ـ وهل يجوز الطعن في مروان، بل في عثمان ـ رضي الله عنه ـ، تشبثاً بمثل هذه الروايات الضعيفة والموضوعة، والتغاضي عن محاسنه ومآثره؟

ـ ألا يرقب في مروان إلّ ولاذمة، لأنه ليس من كبار الصحابة . وهل الصغار منهم لا يستحقّون أي احترام؟

هذه التساؤلات وأمثالها تنشأ في ذهن دارس التأريخ المحايد، نظراً إلى اتجاهات بعض الكتّاب المعاصرين المنحازة . فإلى الله المشتكى !

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٥) .

(٢) الكامل (٣/ ٣٤٨)، والبداية (٨/ ٢٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* علي ـ رضي الله عنه ـ في البلاط الأموي :

أشاد الأستاذ الندوي بذكر الشاه إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي الذي قتل في ميدان «بالاكوت» (سنة ١٢٤٦هـ)[(١)]، ثم ذكر وقوع مبتدعة شبه القارة الهندية فيه، لأجل دعوته إلى التوحيد، وردّه على الشرك، فقال :

«من ٢٤/ ذي القعدة سنة ١٢٤٦هـ حتى اليوم ـ وهو أزيد من مائة سنة ـ لعل يوماً طلع، لم تصدر في صباحه فتوى لتكفير شهيد الإسلام هذا، وتضليله ـ وشهادته مسلَّمة، ومغفرة الشهداء مسلَّمة، بغض النظر عن فضائله الأخرى ـ ولم تستعمل فيه صيغة من صيغ اللعن والسب والشتم. وقد وجّهت إليه في مجلس «العلماء» لعنات لم يوجّهْ مثلها في بلاط بني أميه إلى علي ـ كرم الله وجهه ـ . . .»[(٢)].

* * *

هذا التقرير من الأستاذ الندوي يحتوي على أمرين مهمين :

(أحدهما) : مع الاعتراف بآثار الشاه إسماعيل الخالدة، ومآثره الجليلة تجاه المسلمين في الهند، وقيامه بالجهاد ضد السيخ والإنجليز من أعداء الدين، وتقديمه نفسه رخصية لإعلاء كلمة الله، لا يوصف ـ رحمه الله ـ هو ولا غيره على وجه الجزم والقطع بأنه شهيد، لأنه لا يُعلَم على وجه التحقيق إلا بالوحي.

وقد بوّب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في كتاب «الجهاد» من صحيحه بابا بقوله :

«باب لا يقال : فلان شهيد» ـ وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ :

«والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»[(٣)].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) قافلة الإيمان والعزيمة للندوي (ص٣٩ ـ الأردية ط سنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

(٣) البخاري (٦/ ٨٩ رقم ٢٨٩٨ ـ كتاب الجهاد).

وقال ابن حجر : «قوله (باب لا يقال فلان شهيد) أي على سبيل القطع بذلك إلا أن كان بالوحي، وكأنه أشار إلى حديث عمر أنه خطب فقال : «تقولون في مغازيكم فلان شهيد ومات فلان شهيداً،

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(الثاني) : في هذا التمثيل ما فيه من تحامل على بني أمية . وقد انجرف الأستاذ الندوي في هذا الأمر وراء تلك الشائعات التاريخية المشبوهة التي روّجها أعداء بني أمية من الروافض وغيرهم[(١)] .

وإن صح شيء من هذا السبّ ، فهو ـ طبعاً ـ ليس بمفهوم عصرنا من السب الذي يتبادر إليه الذهن في أول وهلة ، ويشمئز منه القلب بمجرد تصوّره ، فضلاً عن سماعه أو النطق به .

وقد سمّوا تأييد بني أمية موقفهم من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وانتقادهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على موقفه من هؤلاء سبّاً وشتماً ولعناً ، وهلمّ جرا .

وإن كان ولابد من الإصرار على إثارة مثل هذه الضغائن ، وقبول مثل هذه الروايات ، والبحث عن نقطة البداية لتأريخ هذا السب واللعن ، فعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يكون هو البادي باللعن على معاوية ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه أولاً ، ثم قيام معاوية بالردّ عليه بالمثل حسب بعض الروايات[(٢)] .

=ولعله يكون قد أوقر راحلته ، ألا لا تقولوا ذلكم ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ : من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد» وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما . . . وعلى هذا ، فالمراد النهي عن تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد ، بل يجوز أن يقال ذلك على طريق الإجمال» (فتح الباري : ٦/ ٩٠) .

(١) ألف الأستاذ المودودي كتاباً أسماه «الخلافة والملك» ، أثار فيه هذه الضغائن ضد عثمان ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، ومروان وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ وردّ عليه الشيخ الحافظ صلاح الدين يوسف رداً علمياً مفحماً أسماه «الخلافة والملك» في ميزان التأريخ والشرع» (بالأردية) .
وأرسل الحافظ صلاح الدين يوسف هذا الكتاب إلى الأستاذ الندوي أيضاً لإبداء رأيه فيه ، فكتب إليه : «استلمت كتابك المرسل إليّ ، وقرئ عليّ من أمكنة مختلفة وأنا أسمع (وكان مصاباً بمرض في عينه حينئذ) وهو كتاب علمي متين ، وأسلوبه رائع . تقبل شكري» «أبو الحسن علي» ٢٧/ يونيو ١٩٧١م (الخلافة والملك في الميزان : ص٣٦ المقدّمة) .
والأسف أن الأستاذ الندوي في كتابه «المرتضى» أثار الاعتراضات نفسها ، ولكن بشيء من الحيطة والحذر بناء على المواد التأريخية نفسها التي طعن بها المودودي أولئك الأصحاب ، ودافع عنهم الحافظ صلاح الدين في كتابه دفاعاً علمياً رائعاً . ولله في خلقه شئون !

(٢) الطبري (٥/ ٧١) ، والكامل (٣/ ٣٣٣) ، وتأريخ ابن خلدون (٢/ ١١١٧) وعنها في «الخلافة والملك في الميزان» (٥٠٥ـ٥٠٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وعلى هذا ، وقع التلاعن من الجانبين ، كما شارك الجانبان في القتال[1] .

فلماذا هذا الحياد من قبل المؤرخ المحايد؟

ثم أي سب أقزع وأشنع وأبشع ويستحقّ أن يضرب به المثل ، أسبّ بني أمية لعلي ـ رضي الله عنه ـ أم سبّ الرافضة للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل؟

وأي الفريقين أحقّ بالتمثيل بالاستبحار في معاجم اللعن وقواميسه ، بحكم الفن الأدبي ، والواقع التأريخي؟ !

* * *

لا نختلف في أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كان في أموره محقّاً ، وكان معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ مجتهداً متأولا . وهما يتراوحان بين أجر وأجرين بحكم حديث النبي ﷺ : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ ، فله أجر»[2] .

فعلينا ـ معشر أهل السنة والجماعة ـ أن نكفّ أقلامنا وألسنتنا عن الوقوع في الفريقين أو أحدهما ، لأنهم أصحاب رسول الله صغاراً وكباراً . نترحّم عليهم ، ونذكر فضلهم ، ونكفّ عن زلتهم ، ولا نذكر أحداً منهم إلا بخير ، لقول رسول الله ﷺ : «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[3] .

وقال سفيان بن عيينه : «من نطق في أصحاب رسول الله بكلمة ، فهو صاحب هوى»[4] .

---

(١) راجع «منهاج السنة» (٢/ ٢٢٤) .

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم (رقم ١٧١٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود . وله شواهد من عدد من الصحابة . راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٣٤) وهو حديث حسن . (شرح السنة للإمام أبي محمد البربهاري : ص٧٦ مع التعليق) .

(٤) راجع «شرح السنة» للبربهاوي (٧٦ ـ ٧٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وإن تعجب فاعجب من أمر بعض الكتاب المعاصرين الذين ينحازون إلى أحد الفريقين بعد مضي أربعة عشر قرناً ، ويصدرون في الفريق الآخر حكماً كأنهم من آحاد الناس ، وينسون أن المتكلّم فيهم لا يعرّج على كلامه ، بل هو نفسه بتصرّفه هذا يكون أولى بالجرح .

ومن جانب آخر ، يحرمون هذا الحياد على الصحابة أنفسهم الذين عاشوا هذه الأحداث ، مع أنهم أحرى بأن يتخذوا موقفاً صريحاً مما حصل في عصرهم من الأمور .

أعود فأكرر أن مجرّد الروايات التأريخية المبثوثة في كتب التاريخ والسير ، لا يكفي للحكم على هؤلاء الأصحاب الذين علم الله بما لهم وما عليهم وقال : ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)**﴾ [(التوبة] .

وهم ممن قال الله فيهم : ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)**﴾ [الحجر : ٤٧] .

اللهم اجعلنا ممن قيل فيهم : ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)**﴾ [الحشر : ١٠] .

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب التاسع

التناقضات

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب التاسع

التناقضات

في كتابات الأستاذ الندوي

١ ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . الأنبياء هم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التي لا يشوبها جهل ولاضلال ولا سوء فهم ولا سوء تعبير ، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم . . . » (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن : ص٥٣) .

* نقل الأستاذ الندوي عن الجلال الرومي «حكمته الإيمانية» بأسلوب الرضا والقبول حيث قال :

«جرّد نفسك من صفاتك حتى تشاهد نفسك وحقيقتها ، إنك ترى في قلبك علوم الأنبياء من غير كتاب ومعلّم ومعيد ، فإن المرآة كلما صفت تجلّت فيها الأنوار ، وإذا تفتحت نافذة نفسك دخل منها النور الإلهي من غير واسطة ، وغير حجاب» (رجال الفكر : ١/ ٢٧٨ ترجمة الرومي ، نقلاً عن «المثنوي» للرومي : ص٨٦)[١] .

٢ ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . إن الأنبياء عليهم السلام كان أوّل دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله تعالى . . . » (النبوة : ص٤٦) .

* وقال ـ وهو يذكر هدوء جو «رأي فور» ـ :

« . . . وكان يرى أهل النظر والبصيرة أن ذلك الهدوء نسبة سكينة حضرات

---

(١) تقدّم في ترجمة الرومي أن في هذا الكلام إسقاطا للرسالة ، وادعاء بمعرفة الله تعالى من غير طريق النبوة ، فلينتبه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

النقشبنديين التي تسود البيئة كلّها . وكلما كان القرب من حضرة الشيخ أقوى ، كانت تقوى هذه الكيفية ، وذلك الشعور ، كأن حركة السكينة تلك الشخصية التي أنعم الله عليها بالنفس لمطمئنة وبخزينة اليقين والرضا . . .» (سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري : ص١٢٢) .

* وقال في ميان عبد الرحيم السهارنفوري : « . . . كان شيخاً قوي النسبة ، وصاحب الكشف والتصوف[1] . . .» (المصدر المذكور : ص٣٢٠) .

٣ ـ قال الأستاذ الندوي :

«لا يغيّر الوضع الجاهلي إلا الإيمان النبوي القوي العالمي» (النبوة : ص١١٩) .

* ثم نقل عن شيخه محمد يعقوب المجدّدي أنه قال :

«أنا أبيّن لكم في وقت آخر ، أن القطب وغيره يسمعون»[2] (ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجدّدي : ص٣٩٨) .

٤ ـ قال الأستاذ الندوي :

«لا مستقبل للأمة الإسلامية إلا في طريق الأنبياء» (النبوة : ص١١٤) .

* ثم قال عن مرشده الشيخ عبد القادر الرأي فوري : «كان الشيخ يأخذ البيعة على السلاسل الأربع (القادرية ، والجشتية ، والنقشبندية ، والسهروردية) وصارت هذه السلسلة التي وصلت إليه من طريق الشاه عبد الرحيم كالعطر لمجموع لنسبتها إلى السلاسل الأربع»[3] (سيرة الشيخ عبد القادر الرأي فوري : ص٣٢٠) .

٥ ـ قال الأستاذ الندوي :

« . . . بناءً على هذه الحكم المعلومة وغير المعلومة ، اختارت القدرة الإلهية هذه

---

(١) راجع مبحث «التصرف والتأثير» في قسم «الصوفيات» ، تجد هنالك من التقارير ما يمس بكرامة العقيدة الصحيحة في الله سبحانه وتعالى .

(٢) راجع مبحث «القطب» في باب «الصوفيات» ، والردّ عليه .

(٣) راجع مبحث «التصوف وطرقه» في باب «الصوفيات» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

السلسلة (أي الجشتية) لنشر الإسلام في الهند ، وتلقّى الجشتيون إشارة غيبية لأن يتجهوا إلى الهند»[1] (تاريخ الدعوة والعزيمة : ٣/ ٢٢) .

*** ثم قال :**

« . . . أما البلاد التي انتشر فيها الإسلام بأيدي العجم فليس شأنها في هذا الأمر كذلك . . .» (الإمام الدهلوي : ص ١٤٠) .

٦ ـ قال الأستاذ الندوي بعدما ذكر القادرية والجشتية ـ بفرعيها النظامية والصابرية[2] ـ :

« . . . ولكن من الحق أن يقال : إن هذا القرن قرن الطريقة الشطارية العشقية ، التي تسلّمت زمام القيادة الروحية لهذه البلاد من الطريقة الجشتية ، وسخّرت الهند كلّها . . . وقد مزجت هذه الطريقة لأول مرة تعاليم «يوكا» [نظام الرياضات الروحية والهندوسيّة في الهند القديمة] بالتعاليم الصوفية . . . كما ضمت إلى الطريقة علم «السيمياء» . . . وتوجد قصيدة للشيخ محمد الشطاري تفيد عقيدة وحدة الوجود وعدم التفريق بين المسجد والبيعة ، والمسلم والبرهمي ، وعقيدة ظهور الإله وتجلّيه في هذه المخلوقات كلها . . .

وكان في هذا القرن من الطرق المنتشرة في الهند : الطريقة المدارية . . . وكان أساس هذه الطريقة على فكرة وحدة الوجود ، والكشف عن معانيها ومحتوياتها والتجريد الظاهري ـ حتى يقتصر على ستر العورة الغليظة ـ والتوكيل الصرف . وكلّما تطاول الزمن مالت هذه الطريقة إلى التحلل والانحطاط . . .» (الإمام السرهندي : ٢٧ ـ ٢٨ مع التعليق) .

*** ثم أشاد بمثل هذه الطرق وأهلها فقال :**

«وبجانب تلك الطرق الصوفية المشهورة . . . طرق وسلاسل أخرى ، وليدة هذه

---

(١) تقدم في مبحث «شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام» في باب التأريخ أي إسلام نشروه !

(٢) تقدمت نبذة عن مؤسسي هذه الطرق في باب «تراجم الصوفية» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

البلاد فحسب ، وهي تنتمي إلى شخصيات نبغت في الهند ودفنت في أرضها مثل الطريقة الفرووسية ، والمدارية ، والقلندرية ، والشطارية ، والمجدّية وهي سلاسل نشأت في الهند ، وصدرت بعد ذلك إلى بلاد أخرى . . .

وقد أصبحت هذه البلاد (الهند) حاملة لواء التصوف ، وإصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادي عشر ، وزعيمها إذ ذاك أحمد السرهندي وخليفته العظيم محمد معصوم[1] . . .» (المسلمون في الهند : ص١٣٤) .

٧ ـ قال الأستاذ الندوي :

«ويمتاز عدد من السلاطين في تأريخ الهند الإسلامي بحمايتهم الشريعة الإسلامية ، والسنة المطهرّة ، وكراهة الكفر والإلحاد ، ومحاربة البدع والمنكرات والحمية الدينية والغيرة الإسلامية . ويكفينا أن نذكر «محمد تغلق» و«فيروز تغلق» في القرن الثامن . . .» (الإمام السرهندي : ص٢٥) .

* وقال الأستاذ الندوي في «محمد تغلق» لأجل شدته على المتصوفة :

«الملك الجبار الذي اشتهر في تأريخ الهند بسطوته وعسفه ، وسفك الدماء ، توفى سنة ٧٥٢هـ»[2] . (الأركان الأربعة : ص٣٧ تعليقاً) .

٨ ـ نقل الأستاذ الندوي عن الإمام أبي الحسن الأشعري قوله في «الإبانة» حيث قال :

«وقولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عزّ وجل ، وبسنة نبينا عليه السلام ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ـ قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ؛ لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، رفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشكّ الشاكين فرحمة الله عليه من

---

(١) تقدمت ترجمتهما .

(٢) تقدم سبب هذا الجفاء في ترجمة «محمد تغلق» في باب «التأريخ» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

إمام مقدّم، وخليل معظّم مفخّم» (رجال الفكر : ١/ ١٢٣ ترجمة الأشعري، نقلاً عن «الإبانة» : ص ٥ . ط . حيدر آباد) .[١]

*** وقال :**

«ليس سر عظمة الأشعري في التأريخ، وجلالة العمل الذي قام به في أنه دافع عن السنة دفاعاً قوياً، ورد على المعتزلة، فالذين تولّوا ذلك كثير، إن سّر عظمته وعبقريته في أنه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين . . .» (رجال الفكر : ١/ ١٢٢) .

وقال أيضاً :

«وقد سار الأشعري في طريقه مجاهداً ومناضلاً، منتجاً معرضاً عن سخط الطائفتين : الحنابلة والمعتزلة، لا يعبأ بما يقال فيه، مؤمناً بأنه هو الطريق الذي ينفع الدين في عصره . . .» (المصدر المذكور : ١/ ١٢٥) .

٩ ـ ذكر الأستاذ الندوي «الحديث القدسي» :

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق» .

فقال : لا أدري مدى مكانة هذا الحديث عند المحدثين ولكن الصوفية ينقلونه كثيراً . . .» (ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجدّدي : ٣٥٠ ـ الأردية) .

* وذكر هذا الحديث في كتابه «الإمام السرهندي» (ص ٢٤١ ـ بالعربية) ونقل فيه كلام المحدثين بأنه «لا أصل له» .

ثم استنبط منه أنّ «أول الخلق» المحبة، بدليل «فأحببت أن أعرف»[٢] .

* * *

(١) راجع ما تقدم في باب «العقائد» من تنبيهات .

(١) راجع ما تقدم في باب «الحديث والسنة» من كلام على هذا الحديث .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب العاشر

الردود على الأستاذ الندوي

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب العاشر

الردود على الأستاذ الندوي

قام عديد من العلماء في الهند وخارجها بالردّ على الأستاذ الندوي في كثير من أفكاره وآرائه . وهذه الردود تشمل جوانب عديدة من كتاباته .

وممن ردّ عليه من العلماء في كتبهم ورسائلهم ومقالاتهم :

- العلاّمة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي .
- الشيخ حمود بن عبدالله التويجري .
- الدكتور شمس الدين الأفغاني .
- الشيخ عبد الحميد الرحماني .
- الشيخ زين العابدين الأعظمي .
- الأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم .
- الأستاذ بسطامي محمد سعيد .
- الأستاذ عادل التل .
- الشيخ رفيع أحمد .
- الشيخ رضا علي بن عبد الله .
- الأستاذ محمد أسلم .
- الأستاذ عبدالماجد الدريابادي .
- الأستاذ سيد أحمد عروج القادري
- خواجه إقبال أحمد الندوي
- الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلي

وإليكم نبذة يسيرة عن ردودهم على الأستاذ الندوي ، وبالله التوفيق :

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* العلامة محمد تقي الدين الهلالي :

انتبه الدكتور محمد تقي الدين الهلالي (أستاذ الندوي) إلى بعض صوفيات تلميذه[١] فقال :

«قال محمد أسلم : قال أبو الحسن الندوي في كتابه «سيرة السيد أحمد الشهيد»[٢] :

«وأراد ـ رحمه الله ـ في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها ، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء ، فنام وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل ، فرأى النبي ﷺ جلس على يمينه ، ورأى أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ جلس على شماله ، ويقول له ﷺ يا سيد أحمد ، قم بسرعة واغتسل ، فلما رآهما «سيّد أحمد» أسرع إلى الحوض في المسجد ، على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج ، فاغتسل من هذا الماء وفرغ منه ثم حضر في خدمته ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا ولدي الليلة ليلة القدر ، فاشتغل في ذكر الله والدعاء والمناجاة ، ثم ذهبا بعد ذلك .

قال محمد تقي الدين : هذا يذكّرنا بادعاء التجانيين لشيخهم أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا مناماً ، وحدّثه أحاديث كثيرة ذكرتُ بعضها في كتابي : «الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية» وأقمت البرهان على أن تلك الروايات كذب واضح ، إلا أن هذه الحكاية لاتتضمن ما تضمنته حكايات التجانيين عن شيخهم ، وقد تكلم النبي ﷺ في بيان ليلة القدر ، وروى أحاديثها أصحاب الكتب الستة ، وغيرهم . فأي حاجة بقيت للنبي ﷺ حتى يخرج من قبره الشريف قبل يوم القيامة لأجل أن يقول للشيخ أحمد المذكور : الليلة : «ليلة القدر» . ولم يقع هذا لأبي بكر الصديق ، ولا لأحد من الخلفاء ، ولا من الصحابة ، لأنهم أعلم وأورع من أن يأتوا بمثل هذه الحكايات التي يصدقها إلا المتصوفة الجاهلون الذين يتشبعون بما لم يعطوا ، فهم لثياب الزور لابسون ، وعن الصراط ناكبون . ونحن لايمكننا أن ننسب هذه الحكاية إلى الشيخ أحمد الهندي ـ رحمه الله ـ ويا عجباً كيف يقول النبي ﷺ لهذا الشيخ «يا سيّد أحمد» ، وهو الذي

---

(١) تقدّم ذكره في مقدّمة المؤلف .

(٢) تقدّمت ترجمته في آخر الباب الثاني من «تراجم الصوفية» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «السيد هو الله» ، وأما قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (أنا سيّد ولد آدم) ، يعني : أنه أفضلهم كما جاء في الحديث : فلدغ سيّد الحيّ ، في قصة أبي سعيد الخدري ، وهي في صحيح البخاري .»[١]

وقال العلاّمة الهلالي أيضاً بعدما ذكر مبايعة الندوى لشيخه عبدالقادر الراي فوري[٢] ـ وهو من مشايخ السلسلة الجشتية ـ :

«لم أكن أعلم أن الأستاذ علياً أبا الحسن الندوي هو أخ للشيخ محمد إلياس[٣] في الطريقة الصوفية مع أنه أفضل تلامذتي في الأدب العربي بعد مسعود عالم الندوي ، فإني كنت أظنه من أتباع الشيخ محمد إلياس في التصوف . . . . فعسى الله أن يتوب عليه من التقليد ، ويهبه الاتباع ، كما تاب على مسعود عالم الندوي ، فإن التقليد يحول بين صاحبه وبين أتباع النبي ﷺ في العقائد والعبادة والسلوك ، إن الله تواب رحيم»[٤] .

* * *

* الشيخ حمود بن عبدالله بن حمود التويجري :

نقل الشيخ التويجري ـ رحمه الله ـ بعض صوفيات الأستاذ الندوي ، عن الدكتور الهلالي والأستاذ محمد أسلم ، ثمّ قال :

«هذا كلام مردود . . . وإنما هو من أقوال أهل البدع ، الذين يدندنون حول الغلوّ في النبي ﷺ ، ويحومون حول التعلّق به ، والالتجاء إليه في استجلاب الخير ، واستدفاع الشرّ» .[٥]

* * *

(١) السراج المنير للهلالي (٧٤ ـ ٧٥) ، وتقدّمت في ترجمة السيد أحمد .

(٢) ألّف الأستاذ الندوي في سيرته كتاباً مستقلاً ، وتقدّمت ترجمته .

(٣) تقدّمت ترجمته ، وهو مؤسس جماعة التبليغ ، وللأستاذ الندوي كتاب مستقل في ترجمته أيضاً .

(٤) السراج المنير (٧٠ ـ ٧١) .

(٥) القول البليغ للتويجري (١٣٧ ـ ١٤٠) ط . أولى ١٤١٤هـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الدكتور شمس الدين الأفغاني :

لقد استوعب الدكتور شمس الدين الأفغاني بعض كتابات الأستاذ الندوي ، وخاصة سلسلة «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ، فقدّم إلى القراء خلاصة ما فيه من العواهن والعواقر والطامات ، في ألخص عبارة ، وأدقّ إشارة ، فقال :

«هو العلامة علي ابن الفهامة عبد الحي بن فخر الدين الحسيني الهندي الحنفي الماتريدي النقشبندي الديوبندي الندويّ الملقّب بمفكّر الإسلام والمنعوت بالداعية الكبير ، رئيس ندوة العلماء بالهند ، كاتب مفيد بالأردية ناثر مجيد بالعربية ، خطيب مصقع باللغتين . فاز بشهرة عالمية بسبب كتاباته في الذبّ عن الإسلام ، وقد تظاهر بالعقيدة السلفية ، وأفرد الجزء الثاني من كتابه رجال الفكر ، وتأريخ الدعوة في ترجمة شيخ الإسلام[(١)] .

فأرغم أنوف الصنوف من أهل البدع ، وأفاد فأجاد ، حارب القبورية فترجم كتاب «تقوية الإيمان» للإمام المجاهد الشاه إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ) حفيد الإمام ولي الله[(٢)] (١١٧٦هـ) وسمّاه «رسالة التوحيد» ، قمع بها القبورية ، وشفى وكفى .

ولكنه مضطرب متناقض جامع بين الضبّ والنون .

فعظّم الغزالي[(٣)] حجة إسلام الصوفية والقبورية والجهمية الأشعرية (٥٠٥هـ) (انظر تأريخ الدعوة ١/ ١٣٠ ـ ١٩٦ ورجال الفكر ١/ ١٤٥ ـ ١٩٩ ، وانظر بعض أمثلة طامات الغزالي في [جهود علماء الحنفية : ص١١١٥ ـ ١١١٦] .

بل أكبر الجلال الرومي[(٤)] (٦٧٢هـ) غاية الإكبار ، (انظر تاريخ الدعوة ١/ ٣٣٥ ـ

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي ورعه وتقواه ، واشتغاله بالذكر والدعاء ، وإنابته إلى الله تعالى ، فحاول ـ على مضض ـ أن يجعله صوفياً تحت عنوان : «شيخ الإسلام ابن تيمية كعارف بالله ومحقق : اكتشاف جديد في شخصية ابن تيمية : ١٥٥ ـ ١٧٠) ، كأن هذه المكرمات والفضائل رأس مال الصوفية فقط ، لا يشاركهم فيها غيرهم . فلينتبه !

(٢) تقدّمت ترجمة الدهلوي وحفيده ـ رحمهما الله ـ .

(٣) تقدم ما للغزالي وما عليه بشيء من التفصيل في ترجمته في باب «تراجم الصوفية» .

(٤) تقدمت ترجمته مفصلاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

٤٠٠ ورجال الفكر ١/ ٢٦١ ـ ٣٠١) مع أنه أحد أعناق الصوفية القبورية الوجودية الحلولية الوثنيّة ، وإمام النقشبندية المولوية الحنفية ، (انظر بعض كفرياته في الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود عبد الرؤوف القاسم ١٥٢ ـ ١٥٤) .

ويكفي لزندقته ما هذى به في إجلال كتابه «المثنوي» مضاهاة بالقرآن الكريم(١) : (هذا كتاب المثنوي وهو أصل أصول أصول الدين* في كشف أسرار الوصول واليقين* وهو فقه الله الأكبر* وشرع الله الأزهر* وبرهان الله الأظهر* مثل نوره كشمكاة فيها مصباح* يشرق إشراقاً أنور من الإصباح* وهو جنان الحنان* ذو العيون والأغصان* . . . ، يضل به كثيراً* ويهدي به كثيراً* وأنه شفاء الصدور وجلاء الأحزان* وكشّاف القرآن* وسعة الأرزاق* وتطييب الأخلاق* بأيدي سفرة كرام بررة* يمنعون أن لا يمسّه إلا المطهّرون* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه* والله يرصده ويرقبه* وهو خير حافظاً وأرحم الراحمين* وله ألقاب آخر لقبه الله تعالى ، واقتصرنا على هذا القليل* والقليل يدلّ على الكثير* والجرعة تدل على الغدير* والحفنة تدلّ على البيدر الكبير*) [مقدمة المثنوي لهذا الرومي ٧٠ وانظر الماتريدية ١/ ٥٣ ـ ٥٥](٢) .

كما أفرد الندوي الجزء الرابع من كتابه «تأريخ الدعوة» وهو الثالث من «رجال الفكر» في ترجمة أحمد السرهندي(٣) الملقب عندهم بمجدّد الألف الثاني ومؤسس الطريقة النقشبندية المجدّدية (١٠٣٤هـ) وأجلّه نهاية الإجلال .

مع أنه من كبار أهل وحدة الشهود التي هي وحدة الوجود المتطورة المهذّبة .

[راجع على سبيل المثال الدرر المكنونات ـ ترجمة المكتوبات للمنزاوي ٢/ ٥ـ٧ والمنتخبات من المكتوبات ١٠ ، وانظر نزهة الخواطر ٥/ ٥٣ ، ٥٤ ، في ترجمته وراجع

---

(١) ذكر الأستاذ الندوي «المباحث الكلامية وأسلوب المثنوي فيها» فقال : « . . . لذلك كان «المثنوي» العظيم مصدر إيمان جديد ، وإذعان مزيد في كل عصر . . .» (رجال الفكر والدعوة : ١/ ٢٧٨ ـ الرومي) . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

(٢) «الماتريدية» للدكتور شمس الدين الأفغاني .

(٣) تقدمت ترجمته بشيء من التفصيل .

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ما في [جهود علماء الحنفية ص ١٤٩١ ـ ١٤٩٢ ، وللعلامة الخجندي المعصومي (ـ١٣٧٩هـ) كلام مهم في مفتاح الجنة (٨٠ـ٨١) في ذكر بعض خرافاته وشركياته][1] .

مع اعترافي بأن الإمام السرهندي قد قام بأعمال طيّبة لمناصرة الإسلام وجهاد الطاغوت الأكبر أكبر بن همايون التيموري أكبر ملوك الهند (ـ١٠١٤هـ) [انظر أفاعيله وأباطيله في تحريف الإسلام وتوطيد الوثنية والقبورية في نزهة الخواطر(٥/ ٧٥ ـ ٨١)] هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى نرى الشيخ الندوي مع تظاهره بالعقيدة السلفية ، قد عظّم شأن الإمام أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) ورجح طريقته على طريقة المحدثين ، وزعم أن «الإبانة» أول تأليف له بعد رجوعه عن الاعتزال[2] .

(انظر مقدمته لكتاب الإبانة ، ١١ ط دار البيان و٣٤ ط الجامعة الإسلامية ، وراجع تاريخ الدعوة ١/ ١٠٥ ـ ١١٤ ورجال الفكر ١/ ١١٧ـ ١٢٩) .

كما نوّه بأمر أبي منصور الماتريدي (ـ٣٣٣هـ) إمام الحنفية الماتريدية الجهمية ، ورجّحه على الأشعري إمام الأشعريّة المعطلة[3] .

(انظر تأريخ الدعوة ١/ ١١٤ ـ ١١٥ ورجال الفكر ١/ ١٢٧ـ ١٢٨) .

وهكذا ترى الشيخ الندوي يعظِّم ويُجلّ ويُكْبر كبار أئمة الصوفية :

كخواجه معين الدين حسن بن الحسن السجزي الجشتي إمام الصوفية الجشتية (ـ٦٢٧هـ) ، [انظر تاريخ الدعوة ٣/ ٢٤] .

وخواجه قطب الدين بختيار (ـ٦٣٣هـ) ، [انظر المصدر نفسه ٣/ ٣١ ـ ٣٦] وخواجه فريد الدين جنج شكر مجدّد الجشتية (ـ٦٦٤هـ) [انظر المرجع المذكور ٣/ ٣٦

---

(١) جهود علماء الحنفية (١/ ٧٣) .

(٢) كما تقدم في ضوء الأدلة والبراهين ، في باب «العقائد» .

(٣) تقدم أيضاً .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ ٤٢] وسلطان المشايخ خواجه نظام الدين أولياء محمد بن أحمد بن علي الحسيني (ـ٧٢٥هـ) [انظر تاريخ الدعوة ٣/ ٥٢ ـ ١٧٤] .

ومخدوم الملك شرف الدين : أحمد بن يحيى المنيري (ـ٧٨٢هـ) ، [راجع تاريخ الدعوة ٣/ ١٧٥ ـ ٢١٢][1] .

مع أن هؤلاء هم الذين نشروا وباء التصوف السفّاك وسمّه الفتّاك في الهند ، وحسناتهم لا تغطّي طاماتهم ، ولا تبّرر إجلالهم ، ولا توجب الإغضاء عن بدعهم وخرافاتهم .

فما كل مخضوب البنان بثينة ... وما كل مصقول الحديد يمانيا[2]

* * *

(١) تقدمت تراجم هؤلاء الصوفية ، وما لهم وما عليهم .

(٢) «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للأفغاني (١/ ٧٢ ـ ٧٤ تعليقاً) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* **الشيخ عبدالحميد الرحماني :**

أبدى الشيخ عبدالحميد الرحماني بعض الملاحظات حول كتاباتُ الأستاذ الندوي ، في تقديمه لكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثره في الحركات الإسلامية المعاصرة» فقال :

« . . . ورد عديد من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى الهند وزاروا مليكها القوي الشجاع محمد تغلق ، وأقنعوه بالقضاء على خزعبلات المتصوفة وعبادة القبور ، وحثّوه على الاهتمام بإقامة الصلوات الخمس وإحياء ما اندرس من معالم الإسلام ، ورغّبوه في اختيار منهج شيخ الإسلام في العقائد والعبادات والآداب والمعاملات .

وقد أجمع المؤرّخون على اختلاف آرائهم حول شيخ الإسلام على قدوم بعض تلامذته من الشام ومصر إلى الهند وتأثيرهم في الملك محمد تغلق وإسهامهم في القضاء على العادات والتقاليد والبدع والخرافات ، وعلى رأس هؤلاء التلامذة :

العلامة عبدالعزيز الأردبيلي : قد صرّح بوروده إلى الهند وتأثيره في الملك محمد تغلق المذكور عدد من المؤرخين ، منهم : أكبر شاه النجيب آبادي في «مرآة الحقائق (آئينة حقيقت نما) ، والشيخ محمد إكرام في «ماء الكوثر» (آب كوثر) ، والأستاذ مسعود الندوي في «تأريخ الدعوة الإسلامية في الهند» ، والدكتور محمد إسماعيل الندوي في «تأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية» ، وغيرهم في مؤلفاتهم .

والشيخ علم الدين (حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني) : ذكره الشيخ محمد إكرام والنجيب آبادي وصرّح بأنه : «من تلامذة ابن تيمية ، وكان من أبرز من دعا محمد تغلق إلى إزالة البدع والمنكرات وشجّعه على استئصال الأوهام والخرافات» .[1]

والعلامة شمس الدين ابن الحريري : قال النجيب آبادي : كان حنفي المذهب ،

---

(١) مرآة الحقائق (ص ٤٣٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وكان قاضياً في مصر إلا أنه قد عزل عن القضاء لأجل تأييده الإمام ابن تيمية ، وجاء إلى الهند سنة ٧٠٨هـ في عهد السلطان علاء الدين الخلجي ، وجاء معه بأربعمائة كتاب في الحديث ، ولعل هذه الخزانة الحديثية التي وصلت إلى الهند أجدر بالذكر والتنويه من غيرها[١] .

وكان الشيخ شمس الدين يقول : «إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟ وقال بعض أصحابه : أتحبّ الشيخ تقي الدين؟ قال : نعم! والله لقد أحببت شيئاً مليحاً[٢] .

* * *

لقد أشاد هؤلاء المؤرخون وغيرهم من كبار العلماء مع بعض تعصباتهم وتصوفهم : أمثال السيد سليمان الندوي ، والأستاذ خليق أحمد النظامي بجهود تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الملك محمد تغلق وتأثر الملك بهم في حكم العباد وسياسة البلاد .

وإن تعجب فعجب من الشيخ أبي الحسن علي الندوي الكاتب المعروف الذي لا يذكر شيئاً من هذه الحقائق حتى في كتبه التي تختص بتأريخ المسلمين في الهند ، وسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ،[٣] ولا يمكن تلمّس العذر له في هذا الشأن بعدم الاطلاع على هذه الحقيقة التأريخية النيِّرة لأنه مجبول على الكتابة في التأريخ الإسلامي ، وإن وجد ذكر الملك محمد تغلق في بعض المواضع من مؤلفاته فبروايات أعدائه[٤] من المتصوفة الضالّين الذين قضى عليهم وعلى خزعبلاتهم وانحرافاتهم في عصره الزاهر تأثراً بتلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ .

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٣٣) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٤٢) والدرر الكامنة (٥/ ٣٢٠) .

(٣) هذا خلاف عادته في كتابة التراجم ، لأنه يذكر الشخصيات المتعلقة بمن يترجم له بأدنى مناسبة ، راجع على سبيل المثال ترجمة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ومن حمل طريقته عنه إلى الهند ، وفي كتابه «المرتضى» ذكر من عرف من الصوفية في الهند بانتسابهم إلى آل علي رضي الله عنه . وفي كتابه «الإمام السرهندي» ذكر من حمل طريقته المجدّدية إلى خارج الهند ، وهلمّ جرا .

(٤) مثلاً قال فيه الأستاذ الندوي : «الملك الجبار الذي اشتهر في تأريخ الهند بسطوته وعسفه وسفك الدماء توفي سنة ٧٥٢هـ» (الأركان الأربعة : ص ٣٧ ، وراجع «المسلمون في الهند» (١٤٢ ـ ١٤٣) وتقدم =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ولعل الشيخ الندوي ـ حفظه الله ـ لأجل نزعته الصوفية وولائه العميق للمتصوفة لم يجد دافعاً لذكرهم بل وصل الأمر عنده إلى حد التغاضي عنهم . والله أعلم بالصواب .

ولاأرى أي مؤلف مؤهّلاً لكتابة التأريخ إلا أن يمتاز بالتجرّد والموضوعية لأن التأريخ يحتاج إلى باحث منصف يعطي كل ذي حقّ حقَّه ، ولا يكون ديدنه أنه إذا وجد رجلاً حسنيّاً وحسينيّاً من أسرته ، أو صوفياً من المتصوفة نسب إليه كل ما يحلو له من أعمال الإصلاح والتجديد ، والبحث والتحقيق والإمامة والسيادة ، ولا يبالي في هذا الباب بالواقع الذي يخالفه .(١)

ومن جهة أخرى يتغافل عن ذكر أعمال غيرهم وإن بلغت عنان السماء ، خاصة إذا كانت هذه الآثار والمفاخر تتبع الدعوة السلفية في العصور المتأخرة وبالأخصّ في القارة الهندية ، فإن القائمين عليها لا يستحقون أي ثناء أو تبجيل لأنهم لم يرضوا بما رضي به الشيخ الندوي من الولاء للتصوف وأهله ، والغريب أنه حاول في كتابه «الإمام الحافظ ابن تيمية» (الطبعة الأردية) أن يبرز في حياة شيخ الإسلام أيضاً ناحية التصوف بتكلف لا يقبل . وسيأتي التفصيل عنه قريباً بإذن الله .(٢)

هذا هو ذنب السلفيين الذي لا يغتفر . بالتالي لا يستحقّون أن يذكروا في كتبه إلا لمماً .

ولست أنا الوحيد الذي يلاحظ عليه هذه الأمور ، بل العلماء الكبار حتى أصدقاؤه المخلصون السائرون على منهجه أمثال الشيخ عبدالباري الندوي ، والأستاذ مسعود الندوي ، والأستاذ مجيب الله الندوي وغيرهم يشاركونني في هذا الاعتقاد كلياً أو جزئياً ، وصرّحوا بذلك في كتاباتهم ومؤلفاتهم .

ووفقني الله تعالى فناقشت الشيخ أبا الحسن الندوي ـ حفظه الله ـ في مثل هذا

=الدفاع عن السلطان محمد تغلق في ضوء التأريخ الصحيح ، بأنه كان شديداً على المتصوفة فقط ، وكان يحترم العلم والعلماء ، وكان يحفظ كتاب الله عز وجل .

(١) ستأتي الإشارة إلى هذا الإفراط والتفريط في رد الشيخ زين العابدين على الأستاذ الندوي .

(٢) يوجد هذا في الطبعة العربية أيضاً على مضض .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الإهمال في كتابة التأريخ والتغاضي عن الحقائق الواضحة ، وناقشه قبلي في الموضوع نفسه العلامة محمد داود الغزنوي ـ رحمه الله ـ فوعد في أثناء هذا النقاش بالاستدراك على ما فات ، وقد رأيت الطبعة الجديدة من كتابه «المسلمون في الهند» أنه ذكر فيه بعض مدارس أهل الحديث في الهند ، وكأنهم لا يستأهلون أن يذكروا إلا ببعض مدارسهم فقط ،[1] لا بأعمالهم الجبّارة التي أنجزوها في مجال العقيدة والدين ، والسياسة والحكم ، وقمع الشرك والإلحاد ، والقضاء على العادات والتقاليد والبدع والخرفات ، فإلى الله المشتكى ! ![2] .

قال الشيخ الرحماني أيضاً :

«وتوجد ثلاثة كتب ضخمة حول سيرة شيخ الإسلام في اللغة الأردية وهاكم فكرة موجزة عنها :

١ ـ **شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية** : هو الجزء الثاني من سلسلة تأريخ الدعوة والعزيمة للأستاذ أبي الحسن علي الندوي ـ حفظه الله ـ وألّفه الأستاذ الندوي في الأردية ثم نُقلَ إلى الإنجليزية ، وقام الشيخ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي (الأستاذ بدار العلوم لندة العلماء ، ، ومحرّر مجلة «البعث الإسلامي») بطلب من المؤلف بنقله إلى العربية ، والطبعة العربية تختلف عن الطبعة الأردية ، قال المؤلف ـ حفظه الله ـ .

«قرأه المؤلّف حرفياً ، وتناوله بالتنقيح والتهذيب والحذف والزيادة ، وعلّق عليه بعض تعليقات جديدة مفيدة ، فجاء أكمل وأجمل وأوفق بالذوق العربي السليم» .[3] .

هذا هو ديدن الأستاذ الندوي ، فإنه في كتبه يلاقي العربيّ بوجه يوافق «ذوقه السنيّ السليم» ، ويلاقي العجمي بآخر يوافق ذوقه الصوفي السقيم ، ويشاركه في هذا الأسلوب كبار جماعة التبليغ وجماعة الأستاذ المودودي أيضاً .

---

(١) على العكس من ذلك ، بذل أقصى جهده في نسبة الأدوار البارزة إلى صوفية الهند المتأخرين ، حتى في ساحة القتال ضد الإنجليز ، كما تقدّم .

(٢) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٤ ـ ٢٧) مقدمة الرحماني ، ط . ثانية) .

(٣) رجال الفكر والدعوة (٢/ ٧ مقدمة كتاب «الحافظ ابن تيمية») .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وعقد الأستاذ الندوي في هذا الكتاب (الطبعة الأردية) باباً بعنوان: «شيخ الإسلام ابن تيمية كعارف بالله ومحقق»، وتحت هذا الباب فصل بعنوان: «اكتشاف جديد في شخصية ابن تيمية».[1]

ويعني بهذا الاكتشاف أن شيخ الإسلام كان يعرف بأنه عالم متكلم وفقيه جدلي ومحدّث كبير . . . لا يتخيّله الدارسون أكثر من ذلك، ولا يرون فيه شيئاً أكثر من أنه متبحّر في علوم الظاهر سوى ابن القيم فإنه الوحيد الذي بحث في ناحية أستاذه الروحية والباطنية في كتابه «مدارج السالكين».

وأثبت الأستاذ الندوي بأن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم كانا يحتلان مكاناً عالياً في المعرفة والروحانية والذوق الباطني، واكتشف الندوي في هذا العصر (مثل اكتشاف الأمريكان كرة القمر، ومثل اكتشاف كولومبس لأمريكا) أن شيخ الإسلام يستحق كل الاستحقاق أن يُعَدَّ من العارفين ورجال الله في هذه الأمة (كأنه يريد أن يرفعه إلى «المقام الرفيع» الذي يحتلّه ممدوحوه من الكبار من المتصوفة النقشبندية والمجدّدية والسهروردية والقادرية والششتية أمثال ابن الرومي، والشيخ معين الدين الششتي، والشيخ نظام الدين أولياء، والشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري الذي خصّ بهم الأستاذ الندوي المجلد الثالث من هذه السلسلة، وهو بنفسه مبايع على أكثر هذه السلاسل ويأخذ البيعة على بعضها).

«وهناك ينشرح كل صدر للاعتراف بأنه كان يتبوأ تلك المكانة، ويتمتع بجميع تلك الغايات التي لا تتيسر ـ بوجه عام ـ إلا برياضات شاقة ومجاهدات طويلة وتربية أئمة الفن ودوام الذكر والمراقبة، وذلك ما يعبر عنه الصوفية المتأخرون بالنسبة مع الله»[2]. ولا أدري ماذا يريد الأستاذ الندوي بالذكر والمراقبة والنسبة والروحانية والباطنية؟

* * *

---

(١) راجع: «الحافظ ابن تيمية» (١٥٥ ـ ١٧٠ الطبعة العربية).

(٢) الإمام الحافظ ابن تيمية (ص١٢٩)، (٥٥ ـ ١٥٦ ـ الطبعة العربية).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أما يكفيه «الإحسان» الذي عبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن كمال الإيمان وأعلى درجاته؟

وهل يحتاج المؤمن زيادة إلى أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رياضات شاقة وتربية صوفية؟

وهل كان أصحاب الرسول وتابعوهم بإحسان لم يبلغوا تلك الدرجة التي بلغها ابن الرومي والسهروردي والسمناني، والبدوي، والتيجاني وغيرهم؟

وهل الرجل لا يتمكّن من بلوغ درجات الكمال التي يريدها الأستاذ الندوي إلا بالمراقبة عند القبور التي يقوم بها أمثاله في التكايا والزوايا، وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» .؟!

وإذا تغاضينا عن هذا الجانب نجد في كتاب الأستاذ الندوي فوائد جمّة وإفادات كثيرة ووهي ثمرة لجهود ثلاثة جوانب:

(الأول): الأستاذ أبو الحسن علي الندوي المرتّب.

(والثاني): مكتبة الشاه حليم عطاء ـ رحمه الله ـ وكتاب أبي زهرة كمصدر ومأخذ.

(والثالث): الشاه حليم عطا (المدرس في دار العلوم لندوة العلماء)[(١)] وإسهامه

(١) قال الأستاذ الندوي في كتابه «في مسيرة الحياة»:

«في عام ١٨٣٩م كانت زيادة ذات قيمة وشأن في عدد الأساتذة والشيوخ بدار العلوم، لم تقتصر فائدتها على الطلاب، بل استفاد منها المدرّسون والأساتذة توجيهاً وتربية وتعليماً، ألا وهي زيادة المحدث الشيخ حليم عطا السلوني وتعيينه أستاذ الحديث في دار العلوم، وقد كنت على معرفة به من أيام الطلب . . . . وكنت لما زرته عام ١٩٣١م مع العم السيد طلحة والسيد زبير، زرت أيضاً مكتبته العامرة وتأثرت بذاكرته القوية غير العادية، ودراساته المستفيضة ومطالعته الكثيرة، فقد كان آية ونموذجاً للسلف الكرام في قوّة الذاكرة، وشغفهم بالعلم، واشتغالهم بالمطالعة.

ولعله لم يكن في الهند من تكون له مثل معرفته الدقيقة العميقة الواسعة بآثار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب، وابن عبد الهادي وابن الجوزي ومؤلفاتهم وبحوثهم وتحقيقاتهم، فكان يحفظ صفحات من كتبهم عن ظهر غيب، ورغم أنه كان من أبناء المشايخ الصوفية، كان صحيح العقيدة والمسلك، متزناً في الرأي والمذهب، مقدّراً للسنة المشرفة والحديث الشريف قدرهما، شغوفاً بهما. =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الكبير في تأليفه وترتيبه ، كما اعترف بذلك المؤلف في مقدمة كتابه في الأردية ، وأبان بأنه لا تكفي الكلمات مهما تضخّمت للتعبير عن الاعتراف بإسهامه الكبير والشكر له .

وكان الشيخ حليم عطا ـ رحمه الله ـ من سلالة صوفية ، ولكنه ترك طريق آبائه واهتدى إلى منهج السلف الصالح ، وكان من المولعين بمؤلفات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ، وعرف باطلاعه الواسع على معارف ابن تيمية وعلومه» .(١)

* * *

=وقد انتفعت به أيضاً في البحوث والدراسات القديمة ، فكان يعطف عليّ كثيراً لعلاقاتي الأسرية والوطنية القديمة ، وقد كنت أنا السبب في استقدامه إلى دار العلوم» (في مسيرة الحياة : ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(١) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٥١ ـ ٥٤) . ثم ذكر :
(الكتاب الثاني) : «الإمام ابن تيمية» (بالأردية) للأستاذ محمد يوسف كوكن العمري .
(والكتاب الثالث) : «الإمام ابن تيمية» لأبي زهرة (الطبعة الأردية) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الشيخ زين العابدين الأعظمي :

وجّه الشيخ زين العابدين الأعظمي انتقادات مهمّة حول كتابات الأستاذ الندوي عامة، وكتابه «المرتضى» خاصة، وهي تتلخص في النقاط التالية :

* **(الأولى)** : يوجد نوعان من النقص في كتابات الأستاذ الندوي يكادان يعمّان أكثر كتبه، وجّهه إليهما الأستاذ حياة الله الأنصاري[1] قبل مدة، ولكنه لم يلتفت إليهما، وهما :

(١) وضع المواضيع والمقالات التي تكون فصلاً أوباباً من كتاب، في كتاب له آخر بأكمله.[2]

(٢) ذكر مناقب كبار أسرته وصغارها.[3]

* **(الثانية)** : الإعجاب بالنفس والتعلّي، خاصة في كتابه «المرتضى»[4].

* **(الثالثة)** : التناقضات والأخطاء التأريخية.[5]

* **(الرابعة)** : تأويل حديث متفق عليه، ليوافق زعمه[6]، في «المرتضى».

* **(الخامسة)** : الاستدلال بكلام الأستاذ عباس محمود العقاد (الأديب المصري المعروف) على نقد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ.[7]

---

(١) كان الأستاذ حياة الله الأنصاري رئيس تحرير جريدة «قومي آواز» (الصوت القومي) اليومية لكهنؤ، وانتقد بعض كتابات الأستاذ الندوي في جريدته في حلقات.

(٢) هذا الصنيع لا يكاد يخلو منه كتاب من كتبه. والأعجب من هذا، أن جميع محتويات بعض كتبه المستقلة مأخوذة من كتبه الأخرى المطبوعة، راجع على سبيل المثال : «شخصيات وكتب»، و«نحو التربية الإسلامية الحرة»، و«نظرات في الأدب».

(٣) راجع «في مسيرة الحياة»، و«المرتضى»، و«المسلمون في الهند»، و«حياة عبد الحي» وغيرها من كتبه.

(٤) ذكر الشيخ زين العابدين بعض الأمثلة المهّمة من كتاباته.

(٥) تقدم شيء من هذه الأمور، وخاصة «التناقضات» في باب مستقل.

(٦) وعلى العكس من هذا، استدلاله ببعض الموضوعات على ما رآه من بعض الصوفيات كما تقدم. ولكن احترام حديث النبي ﷺ من أوجب الواجبات، ولو كان خلاف رأي الكاتب أو المؤلف!

(٧) وذلك من كتاب «العبقريات الإسلامية» للعقاد. (ومن محتوياته : عبقرية علي). وقد نقل الأستاذ الندوي في كتابه «المرتضى» عن العقاد في «عبقرياته» في نحو أربعة وعشرين موضعاً.

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه هي بعض النقاط التي تكلم عليها الشيخ زين العابدين الأعظمي ، بشيء من التفصيل في ضوء الأدلة والبراهين ، وذلك في مقاله المنشور في ثلاث حلقات في مجلة «نوائ إسلام» بدلهي .(١)

* * *

(١) مجلة «نوائ إسلام» بالأردية [صوت الإسلام] الشهرية الصادرة من دلهي : (ستمبر ١٩٨٩م وما بعده) مجلد : ٦ ، عدد : ٩ ، ١٠ ، ١١= بعنوان «الاستدراك على كتاب «المرتضى»» .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم :

نقل الأستاذ محمود القاسم من كتاب «الحافظ ابن تيمية» للأستاذ الندوي ، قول بعض الشعراء :

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر[(١)]

ثم نقل عن الأستاذ الندوي قوله :

«كانت العقائد والتقاليد المشركة نالت رواجاً بين عامة المسلمين باختلاطهم مع غير المسلمين . . . وانتشار تعليمات الجهلة والضالّة من الصوفية وأعمالهم ، فقد وجد عدد وجيه من المسلمين في ذلك الحين يعتقدون في أئمة دينهم ومشايخهم والأولياء والصالحين منهم الاعتقادات الفاسدة . . . وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ كان تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين وقبور المقدّسين عندهم . . .»[(٢)] .

ثم علّق عليه الأستاذ محمود القاسم بقوله :

«أقول : كل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ ، لم يكن تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين كما قال أبو الحسن ! وإنما هو نتيجة طبيعية للصوفية أينما وجدت ، يؤمن به كل الصوفية ، لكنهم يظهرونه عندما يأخذون قسطاً كافياً من الحرّية ، ويكتمونه تقية عندما تتفتح عليهم أعين المسلمين اعتقاداً منهم أن هذا هو رسالة الإسلام ، وقد رأينا من أقوالهم مئات النصوص التي تشير إلى هذا»[(٣)] .

* * *

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (٢/ ١٧٦ ـ ابن تيمية) .

(٢) المصدر المذكور (٢/ ١٧١ ـ ١٧٢) باختصار .

(٣) «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» (٧٨٠ ـ ٧٨١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ بسطامي محمد سعيد :

نقل الأستاذ بسطامي محمد سعيد ، كلام الأستاذ المودودي في موضوع «تجديد إقبال» حيث قال :

«إن العمل العظيم الذي أدّاه الدكتور محمد إقبال في مجال الإصلاح له قيمة كبرى لا ينساها التأريخ الإسلامي ، والعمل المهم الذي أنجزه محمد إقبال هو أنه أعلن حرباً لا هوادة فيها ضد الغرب وحضارته المادية ، فقد كان الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمّقه في فلسفة الغرب ومعرفته بحضارته وحياته ، فلما نهض يفنّد فلسفته وأفكاره المادّية بدأ يذوب سحر الحضارة الغربية ، الذي كان يبهر القلوب ، ويستولي على النفوس»[(١)] .

ثم علّق عليه قائلاً :

«واقرأ نفس الرأي للعلامة أبي الحسن الندوي في «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» (٨٢ ـ ٩٣)»[(٢)] .

ثم استطرد فقال :

«بهذه الكلمات وصف الأستاذ أبو الأعلى المودودي جهود محمد إقبال (١٨٧٧ ـ ١٩٣٨) في مجال الإصلاح والتربية وهي شهادة لها وزنها من رجل عاصره وعرفه . ويضيق نطاق هذه الدراسة عن تعداد إصلاحات إقبال ، إنما نعرض هنا لأحد كتبه الذي لا يذكر اسم إقبال في العالمين : العربي والغربي إلا ويقرن به . ذلك الكتاب الذي كان في الأصل ست محاضرات ألقاها عام ١٩٢٨م في الجامعات الهندية بطلب من الجمعية الإسلامية في مدارس ، وجمعت في كتاب باللغة الانجليزية بعنوان :

(Reconstruction of Religious Thought in lslsm) وترجم إلى

(١) مجلة «البعث الإسلامي» (ـ العدد الرابع ـ المجلد السادس : عشر شوال ١٣٩١هـ ، ص١٥) ، وعنها في «مفهوم تجديدين الدين» (ص١٣٥) .
(٢) مفهوم تجديد الدين (ص١٣٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

العربية بعنوان «تجديد الفكر الديني في الإسلام» ، فهذا الكتاب في بعض محتوياته يناقض ويهز الصورة التي رسمها العلامة المودودي لإقبال . . .»[١] .

بالغ الأستاذ الندوي ـ أكثر من الأستاذ المودودي بكثير ـ في إبراز فكر الدكتور محمد إقبال (الشاعر الكبير) ، كما أشار إليه الأستاذ بسطامي نفسه . فملاحظاته على رأي المودودي حوله تنسحب على رأي الأستاذ الندوي أيضاً[٢] .

* * *

(١) المصدر المذكور (١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٢) راجع «روائع إقبال» للندوي أيضاً ، مع «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لمعرفة هذا الموضوع .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ عادل التل :

قال الأستاذ عادل التل ـ وهو يحلّل فكر الشاعر محمد إقبال ـ :

«وقد قام فريق من العلماء بتقديم أفكار إقبال إلى العالم الإسلامي وتصدير أفكاره خارج القارة الهندية .

ومن هؤلاء من فعل ذلك بحسن نية ، ومنهم من ساهم في تقرير هذه الأفكار باعتبارها تدعم جهود «المدرسة العقلية» التي قادها ، الأفغاني ومحمد عبده .

وقد أثنى أبو الأعلى المودودي على إقبال وجهوده ، باعتقاده أن إقبالاً «أعلن حرباً لا هوادة فيها ضد الغرب وحضارته المادية» وأن إقبالاً كان «الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمّقه في فلسفة الغرب ، ومعرفته بحضارته وحياته ، فلما نهض يفنّد فلسفته وأفكاره المادية بدأ يذوب سحر الحضارة الغربية»(١) .

كما أن تقريظ أبي الحسن الندوي لشخصية إقبال وأفكاره وتأليف الكتب حول آثاره وروائعه ، ساهم في غضّ الطرف عن انحرافات إقبال وتجاهلها ، كما قامت جهود كبيرة في عرض فكر إقبال والثناء عليه ، وترجمة إنتاجه الفكري والتركيز عليه : كما فعل العقّاد وعبد الوهاب عزّام . وهذه شهادات لها قيمتها بين شباب(٢) الأمة الإسلامية . وبهذه الطريقة كان دخول إقبال إلى قلب العالم الإسلامي ، رغم الانحراف الظاهر في فكره ، وربما لم يطلع المودودي على أفكار إقبال كاملة(٣) ، وربما اغترّ هؤلاء بما حصل له من مديح وثناء واهتمام ، فغطّت تلك السحابة من الدعاية على حقيقة

---

(١) مفهوم تجد الدين (ص١٣٥) ، وعنه في «النزعة المادية في العالم الإسلامي» (٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

(٢) أبو الأعلى المودودي وأبو الحسن الندوي لهما شأنهما بين الدعاة المسلمين ، كما أن العقاد وعزاماً لهما شأنهما في عالم الفكر والأدب . (النزعة المادية : ص٢٩٣ تعليقاً) .

(٣) ليس الأمر هكذا ، بل هاجر الأستاذ المودودي من «حيدر آباد» (الهند) إلى باكستان على دعوة من الدكتور محمد إقبال للتعاون معه على «تدوين الفقه الإسلامي من جديد» في مارس سنة ١٩٣٨م وكانت هذه هي الأيام الأخيرة للدكتور ، وتوفى في الشهر التالي من هذه السنة .
كان هناك انسجام كبير في آرائهما ، «وكان كل منهما قريباً من قلب الآخر» ، ولما بلغته وفاة «محمد إقبال» كتب كلمة قصيرة ، قال فيها : «فقدت أكبر سند لي في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم» . (دعوة شيخ الإسلام : ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

أفكاره ، أو نظر هؤلاء إلى الجهود التي قام بها إقبال في مجال العمل السياسي ، في حلبة الصراع بين المسلمين والهندوس ، حيث برز إقبال كدافع عن حقوق المسلمين .

كما أن هناك شخصيات إسلامية لم تنخدع بهذه الدعاية الإعلامية المفتعلة ، ولم يتأثروا بثناء المودودي أو مديح الندوي ، وقد ظهر ذلك من خلال النقد الشديد الموجّه من قبل سيد قطب(١) ، إلى فكر إقبال ومدرسته الفلسفية المتعلّقة بأفكار هيجل من «المثاليين العقليين» وبأفكار أوجست كونت من «الوضعيين الحسيين» ، فإذا كانت هذه أفكار إقبال ، فكيف يغترّ به أهل العلم من المسلمين؟»(٢) .

ومما لا شكّ فيه كان لاهتمام الإعلان الغربي دور فعال في إبراز شخصية إقبال ، وتسليط الضوء على أفكاره ، فتناقلت أفكاره المراكز الثقافية الإعلامية الغربية ـ الخبيرة في صنع الأبطال ـ فتهيأت له الزيارات للمراكز العلمية ، واستقبل فيها بوصفه فيلسوفاً عظيماً ، فالتقى مع كبار الشخصيات الأوربية ، سواء على المستوى الثقافي أو في مجال السياسية والإعلام(٣) ، وقد اجتمع مع بعض رؤوساء الدول وقام بمدح بعضهم ، مثل

---

(١) راجع «خصائص التصور الإسلامي» للأستاذ سيد قطب .

(٢) قال الأستاذ عادل التل : «يتمثل أحد العوامل في غياب المنهج النقدي الإسلامي الشامل» (النزعة المادية : ص٢٩٤ ـ تعليقاً) .

(٣) تشير إلى كثير من هذه النواحي ترجمة الأستاذ الندوي للشاعر محمد إقبال ، فإنه قال : «ولد محمد إقبال بن نور محمد في «سيالوت» مدينة في مقاطعة بنجاب سنة ١٨٧٧م انضم إلى كلية الحكومة في «لاهور» حيث حضر الامتحان في الفلسفة وأخذ درجة ماجستر (M.A.) في الفلسفة بامتياز ، وعين أستاذاً للفلسفة الإنجليزية في نفس الكلية ، وسافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م ، حيث التحق بجامعة كمبردج وأخذ شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد ، وسافر إلى ألمانيا وأخذ من جامعة ميونيخ الدكتوراه في الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، وحضر الامتحان النهائي في الحقوق ، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن ، وحضر في المادتين ، وألقى عدة محاضرات في مدارس ، وأخرى في جامعة كمبردج ، وقد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون وعلماء الفلسفة والدين اعتناء عظيماً ، وترجم أكثر كتبه إلى الانكليزية والفرنسية والألمانية والطليانية والروسية وانتخب رئيساً للرابطة الإسلامية ، ١٩٣٠م وانتخب عضواً في المجلس التشريعي في بنجاب ، وعرض في خطته فكرة باكستان لأول مرة ، ومثل «مؤتمر المسلمين» في مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١م ـ ١٩٣٢م وأقامت له جامعة أرسطو ، وجامعة روما ، وجامعة السوربون ، وجامعة مجريط ، والمجمع الملكي في روما حفلات تكريم ، توفي في ٢١ أبريل سنة ١٩٣٨م وشيعت جنازته في حشد كبير قلّما شهد مثله ، ورثاه =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

موسوليني[١] .

يثير إقبال سؤالاً ملحاً مثل غيره من دعاة تطوير الشريعة الإسلامية «هل شريعة الإسلام قابلة للتطور؟» .

لذلك دعا إقبال إلى التجديد ، من خلال مفهوم التغيير ، فالتجديد عنده تغيير بالأصول ، لا كما يفهمه المسلمون بأنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة . . .»[٢] .

* * *

=ابنه وكبار الزعماء وقادة الفكر ، ورؤساء الحكومات ، له سبعة داووين في الفارسية ، وثلاثة في (أردو) ومحاضرات في الإنجليزية» . (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : ص٧٧ ـ تعليقاً) .

(١) راجع قصيدتين في «كليات إقبال» (مجموعة أشعاره الأردية) أسماها بـ «مسولينى» (٤٤٢ ، ٦١١ ط . سابعة ١٩٨٦م بلاهور) .

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي (٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الشيخ رفيع أحمد :

انتقد الشيخ رفيع أحمد بن محمد عاقل البستوي كتاب «إذا هبّت ريح الإيمان» للأستاذ الندوي انتقاداً علمياً[١] . وهو منشور في «مجلة الجامعة السلفية» ـ بنارس ، الهند[٢] .

* * *

* الأستاذ رضا علي بن عبد الله :

حذّر الأستاذ رضا علي من كتاب «الحبّ الخالد» الذي جمعه مؤلفه متأثّراً بالجلال الرومي في هذا الموضوع ، بعد اطلاعه على ثناء الأستاذ الندوي البالغ عليه ، في كتابه «ربّانية لا رهبانية» ـ فقال :

«نتابع التحذير من كتاب «الحب الخالد» الذي كتبه المؤلف بعد قراءة كتاب أهدى إليه أبو الحسن الندوي عنوانه : «ربانية لا رهبانية» فلما قرأ فيه ثناء أبي الحسن على المدعو جلال الدين الرومي الملقب بـ «مولانا» ـ زوراً وبهتاناً ـ قرر جمع دراسة موسعة في موضوع «الحب الخالد» الذي تأثر فيه بـ «مولانا» الرومي هذا ! ويالله ! كم هو مقدار الضلال الذي دعا إليه المؤلف بثنائه على أحد أكبر القائلين بوحدة الوجود ، وأن الله سبحانه وتعالى هو عين مخلوقاته ، بل هو الناكح والمنكوح ! ! تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

وأريد في هذه الحلقة أن أشير إلى عدد من القصص التي أوردها جلال الدين الرومي في كتابه «المثنوى» ليدرك المسلم خطورة هؤلاء القوم على الإسلام !

* ففي (ج5/ ص221) من الترجمة التركية للمثنوى يذكر الرومي قصة الجارية

---

(١) جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة (ص٣٠٢) .

(٢) وللشيخ رفيع أحمد أيضاً مقال قيّم عن جهود علماء الهند في خدمة «مشكاة المصابيح» وهو منشور في (المجلد العاشر ، العدد الخامس من «مجلة الجامعة السلفية» الصادرة ببنارس ـ الهند ـ في رجب سنة ١٣٩٨هـ .

وخلاصة هذا المقال مطبوع في آخر «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٩٨١ ـ ١٩٨٢) تحقيق الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي ، ط . ثالثة ١٤٠٥هـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

والحمار . . . والقصة طويلة اكتفيت بالإشارة السابقة عن نقلها التفصيلي لقباحتها وخلاعتها !

* وفي (ج5/ ص205) من الترجمة التركية أيضاً يذكر جلال الدين الرومي قصة الغلام الذي أتى به أحد اللوطية ليفعل به الفاحشة .

* وفي القصة عبارات فاضحة تركتها لفظاعتها وشدة استهجانها ! !

وفي (ج5/ ص272) يذكر الرومي قصة جحا مع النساء اللاتي سألت إحداهن عن مقدار ما يكره من شعر العانة . . . .

فهل يقال في مثل هذه الخلاعات أنها أصول أصول أصول الدين (! وفقه الله الأكبر (!) مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (!) بأيدي سفرة كرام بررة (!) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (!) . اللهم عفوك اللهم عفوك .

* ومن عبارات وحدة الوجود اليقينية ما ذكره جلال الرومي في البيتين (3339) و(3340) من كتابه : «المثنوى» ـ كما في الترجمة العربية (ج1/ ص584) ـ حينما شبه الذات الإلهية ـ تعالى الله عن كلام الملاحدة والكفرة علواً كبيراً ـ ببحر فياض ، وأن كل مظاهر الوجود ما هي إلا كقشة سابحة في ذلك البحر ، فكل حركة لهذا القش مصدرها البحر ، أما القش فليست له حركة ذاتية ! !

سبحانك هذا بهتان عظيم»[1] .

وقال أيضاً :

« . . . وبهذه المناسبة أقول : هنيئاً لصاحب «حسبك يا علي رضا»[2] بالمثنوي

---

(١) جريدة «المسلمون» (ص٨ = السنة الثالثة عشرة ـ العدد (٦٣٤) الجمعة ١٩/ ذي القعدة ١٤١٧هـ ـ ٢٨/ مارس ١٩٩٧م) .

وقد تعجل الأستاذ عبد الحق بشير العقبي فأخطأ في ردّه العاطفي على الأستاذ علي رضا لأن الحقّ معه . والحق لا يعرف بالرجال ، فاعرف الحق تعرف الرجال .

وقد تقدّم في ترجمة الرومي في باب «تراجم الصوفية» أن الأستاذ الندوي اعتبره مؤسس علم الكلام الجديد ، وجعل كتابه «المثنوى» العظيم ، مصدر ريمان جديد ، وإذعان مزيد .» .

وزد إلى ذلك أن باب كرامة العشق ومعجزات الحب المستفاد من كلام الرومي في «ربانية لا رهبانية» ، ضمّه في كتابه «نظرات في الأدب» أيضاً . وتقدّم أيضاً أنه ألف كتابه «ربانية لا رهبانية» لتقليل وحشة الناس من التصوف ، على توصية من صديق نجدي له فاضل ، على حدّ تعبيره .

(٢) هو : الأستاذ عبدالحق العقبى ، كما تقدّم .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الذي مدحه وعظّمه أبو الحسن الندوي ، ومؤلف «الحب الخالد» .

وقديماً قالوا :

ومن يكن الغراب له دليلاً يمرّ به على جيف الكلاب»[١]

* * *

* الأستاذ محمد أسلم :

ترجم الشيخ محمد أسلم للأستاذ الندوي في كتابه «جماعة التبليغ : عقيدتها وأفكار مشايخها» ، وذكر مبايعته على الطريقة الصوفية وجملة من صوفياته الأخرى[٢] ، التي تناولها الدكتور الهلالي في كتابه «السراج المنير» ، والشيخ التويجري في كتابه «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» بالردّ والإنكار .

فجزاهم الله خير ما يجازي به عباده الصالحين .

* * *

---

(١) جريدة «المسلمون» (العدد ٦٣٥ ـ ص٨) .

(٢) جماعة التبليغ (٢٢ ـ ٢٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ عبد الماجد الدريابادي :

قال الأستاذ عبد الماجد الدريابادي (رئيس تحرير صحيفة «صدق جديد») .ـ وهو يعلّق على كتاب «تأريخ الدعوة والعزيمة» للأستاذ الندوي ـ :

«اعتقاد المؤلف الكبير في بعض الشيوخ (مثلاً الشيخ الجيلاني ، والشيخ الرومي) يترشح من صفحات الكتاب ترشّحا ، وإنه في ترجمة الرومي تغاضى عن الانتقاد على طريقة المحدّثين البتّة ، بل يُرى فيها صوفيا ذا اعتقاد استسلاميّ ، وقد نقل فيها من غير تكلّف فقال :

«قال سبه سالار : رأيته (أي الرومي) بأم عيني مراراً بأنه دخل في الصلاة في أوّل وقت العشاء ، وأدركه الصبح في ركعتين» (ص ٤٥٠) كأنه لم يؤدّ فريضة العشاء كاملاً .

وللمصنّف ـ ما شاء الله ـ نظر عميق في الحديث والتأريخ ، ولكن قلبه الصوفي يغلب على فكره الحديثي ، ونظره التأريخي ، عند ذكر فضائل الشيوخ ومناقبهم وخوارقهم»(١) .

* * *

---

(١) صحيفة «صدق جديد» (الأردية) ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٩م . وعنها في «زندكي نو» (الحياة الجديدة) مارس ١٩٨٦م (١١٨ ـ ١١٩) ، عدد ممتاز لنشر كتاب «أنا أيضاً كنت حاضراً هناك» للأستاذ/ خواجه إقبال أحمد الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ سيّد أحمد عروج القادري :

قال الأستاذ عروج القادري (مدير مجلة «زندكي») ـ وهو ينتقد كتاب «تأريخ الدعوة والعزيمة» للأستاذ الندوي ـ :

«وقد بلغت به صلته بالتصوف، وعقيدته في الشيوخ مبلغاً جعله يختار لنفسه مكانة مريدهم من رأسه إلى أخمص قدميه، بدل أن يكون مؤرخاً محققاً وناقداً في هذا الكتاب.

وقد رأى هذا المعلّق مسحة من هذا الاعتقاد في الشيوخ في هذا الكتاب، كما رأى في كتبه الأخرى أيضاً. وقد كنت على وشك إبدائي لهذا الرأي، حتى قرأت نقداً وتعليقاً على هذا الكتاب في صحيفة «صدق جديد» لصاحبها الأستاذ عبد الماجد الدريابادي، فعلمت أن هذا الرأي ليس رأيي فقط، بل أشار إليه الأستاذ الدريا بادي بكل حسن[(١)].

ثمّ نقل الأستاذ القادري عن الأستاذ الندوي قوله حيث قال :

«نسب المؤلف الفاضل في تقديمه لهذا الكتاب إلى الأوساط الرزينة الطيبة بأنها ترى أنه لا يوجد في تأريخ الإسلام والمسلمين جهود متواصلة مستمرّة للإصلاح والتجديد، بل هناك فراغ هائل طويل يمتدّ إلى قرون».

ثمّ علق عليه قائلاً :

«بدأ هذا المعلّق يتفكر بعد قراءة هذا الكلام : أين توجد هذه الأوساط الرزينة الطيبة في الهند؟

ثمّ طاف بخلدي بعد قراءة أصل الكتاب أن من ذكره المؤلف الفاضل من المشاهير وجهودهم الإصلاحية، مَنْ منهم لم يكن يعرف في الأوساط الرزينة قبل هذا الكتاب؟

ولا يصحّ ـ هنا ـ إلا أحد أمرين :

إمّا إنه لا يوجد وسط رزين يشعر بهذا الفراغ الذي حاول المؤلف ملأه بهذا الكتاب.

وإما إن الفراغ الذي يشعر به الوسط الرزين، لم يستطع المؤلف الفاضل ملأه»[(٢)].

---

(١) كما تقدّم آنفاً.

(٢) مجلة (زندكي) الشهرية الصادرة من «رام فور» في يناير ١٩٧٠م (٦١ ـ ٦٣)، وعنها في (زندكي نو) رجب ١٤٠٦هـ = مارس ١٩٨٦م (١١٨ ـ ١٢٠).

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* خواجه إقبال أحمد الندوي :

كان الأستاذ الندوي عضواً في الجماعة الإسلامية التي أسّسها الأستاذ المودودي ، وكان خواجه إقبال أحمد (تلميذ الندوي) شاهد عين للعلاقات التي كانت بين المودودي والندوي .

ولما انعزل الأستاذ الندوي عن الجماعة الإسلامية مال إلى «جماعة التبليغ» وألّف كتابه «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينيّة» ، ومن جهة أخرى ألف كتاباً ردّ فيه على فكر المودودي وسيد قطب ، وأسماه «التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات المودودي وسيد قطب» .

وبما أن خواجه إقبال أحمد الندوي كان على علم بهذه التغيرات التي حصلت في شخصية الأستاذ الندوي ، ألّف كتابا ردّ فيه على أفكاره ، وأسماه «أنا أيضاً كنت حاضراً هناك» .

قال خواجه إقبال الندوي ـ وهو يحلّل شخصية الأستاذ الندوي ـ :

«كنت أفهم سنوات أن الباب الذهبي من حياة الأستاذ الندوي (الذي طوى عنده الآن) كان عكساً لعواطفه ومشاعره ، ولكن لمّا بدأ يزول من شخصه لون الأستاذ المودودي ، فما فهمت سببه حينئذ ، ولا بعده بسنوات .

وحينما رأيته يتلون بلون الشخصيات الأخرى ـ كما كان متلوّنا بشخص المودودي ـ فهمت أن أدواره المختلفة ، ليست عكساً لعواطفه ومشاعره ، بل تكون عكساً لعواطف تلك الشخصيات التي يتأثر بها .

ليس الأستاذ الندوي شاعراً ، ولكن الشعر من نقائصه الكبرى . كما أن الشاعر عند توارد الشعر عليه يتمتع بإنشاده مراراً وتكراراً حتى تكمل القصيدة ، كذلك الأستاذ إذا جال في ذهنه فكر ملبوس بلباس الشعر الحريري ، أو أعجبه رأي للآخر كان ينشده أو يسمعه مراراً وتكراراً حتى يصير مقالاً ، أو خطابا مؤثراً ، والآن في رأيي يتكون كتابا مستقلا» . [(١)]

ثمَّ ذكر أن الأستاذ الندوي لم ينصف مع المواضيع التي كتب فيها . وأشار إلى تناقضاته في بعض المسائل المهمة ، وتأسف عليها .

* * *

---

(١) راجع كتاب «أنا أيضاً كنت حاضراً هناك» (١٤ ـ ١٥ ـ «زندكي نو» مارس ١٩٨٦م) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلي :

ألّف الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلي كتاب «واقعة كربلاء وخلفياتها» ، فآخذ عليه الأستاذ عبد الله عباس الندوي (المدير التعليمي لدار العلوم التابعة لندوة العلماء) ، ونشر انتقاده في صحيفة «تعمير حيات» (لسان حال ندوة العلماء) .

نزعة شيعية :

قال الأستاذ عبد الله عباس في نقده لهذا الكتاب ـ بعد ما ذكر أبا سفيان وزوجه هند بنت عتبة ـ رضي الله عنهما ـ[1] ، وما أصيبا به في غزو في بدر وأحد من غمّ وهم ـ :

«أسلمت هذه العصبة بعد فتح مكة ، أو استسلمت على حد قول سيد قطب[2] ، ويستحيل عقلاً أنهم تغيروا فجأة في لحظة واحدة[3] ، حتى نسوا ما أصيبوا به في غزوة بدر ونسوا أنانيتهم . . .

---

(١) سيأتي شيء من فضلهما : باختصار إن شاء الله تعالى .

(٢) قد ردّ على مطاعن سيّد قطب في أصحاب النبي ﷺ عالمان جليلان :

(أحدهما) : هو العلاّمة الأديب محمود محمد شاكر فقد ردّ عليه في مجلة «المسلمون» المصرية (السنة الأولى ، العدد الأول ديسمبر ١٩٥١م ، والعدد الثاني يناير ١٩٥٢م ، والعدد الثالث فبراير ١٩٥٢م ، والعدد الرابع مارس ١٩٥٢م) على الترتيب بعناوين : «حكم بلا بيّنة» ، و«تاريخ بلا إيمان» ، و«ولا تسبّوا أصحابي» ، و«ألسنة المفترين» .

(والثاني) : هو أستاذنا الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي : وقد ألف كتاباً مستقلاً في الرد على سيد قطب وأسماه «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ ، فجزاهم الله خيراً .

ومن المؤسف المحزن أن الضلال من الرافضة والخوارج ومن لفّ لفّهم يتصيدون مثل هذه الكتابات السقيمة في أصحاب رسول الله ﷺ للاستدلال بها على كفرهم وضلالهم ، فنعوذ بالله من ذلك !

(دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣٠٩ ـ ٣١٠) .

(٣) لا يستحيل هذا النوع من النقلة السريعة في حياة الصحابة من الكفر الكلي إلى الإيمان بجميع مظاهره إلا في عقل رافضي أو خارجي ، لأن واقعهم يدل على سرعة استجابتهم لله ورسوله ﷺ ، وهو أكبر شاهد على ذلك .

* قال ثمامة بن أثال ـ رضي الله عنه ـ بعد أن أسلم ، مخاطباً النبي ﷺ :

«يا رسول الله ؛ والله لقد قدمت عليك وما على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، ولا دين أبغض إليّ من دينك ، ولا بلد أبغض إليّ من بلدك ، وما أصبح على وجه الأرض وجه أحب إليّ من

=

محكم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

. . . بعد غلبة الإسلام سُدّت جميع طرق المقاومة ، ولا يوجد أيّ دليل على عداوتهم المكشوفة في هذه الفترة الوجيزة من التأريخ ، ولكن كما توجد مرارة هزيمة الحروب الصليبية في قلوب الإنجليز إلى الآن ، كذلك مثل النار المشتعلة كانت عاطفة الانتقام لغزوة بدر تجيش في قلوب هذه العصبة[1] .

=وجهك ، ولا دين أحب إليَّ من دينك ، ولا بلد أحب إليَّ من بلدك» (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : ١/ ٢٨٨) .

قال عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قبل إسلامه :

«لقد رأيتني ما أحد أشد بغضاً لرسول الله مني ، ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته . . .» ـ فلما جعل الله الإسلام في قلبه قال ـ : «وما كان أحد أحبّ إليّ من رسول الله ، ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه» (مسلم رقم ١٢١) .

* وقالت هند بنت عتبة ـ زوج أبي سفيان ـ بعد أسلامها :

«يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحبّ إليّ أن يذلوا من أهل خبائك . ثمّ ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبّ إليّ أن يعزوا من أهل خبائك .

قال : وأيضاً والذي نفسي بيده . . .» (البخاري : ٧/ ١٤١ رقم ٣٨٢٥ عن عائشة) . وسيأتي معناه في فضل هند ـ رضي الله عنها ـ قريباً .

أبعد كل هذا ، يتجرأ رجل يؤمن بالله ورسوله ، ويحترم أصحاب رسول الله ﷺ على أن يقول :

«يستحيل عقلاً أنهم تغيروا فجأة في لحظة واحدة . . .» !

(١) هذا الكلام المتحامل المغرض متعارض مردود من وجوه :

(أولاً) : قال كاتبه المدير التعليمي لندوة العلماء : «لا يوجد أي دليل على عداوتهم المكشوفة» ثمّ نقض نفسه بنفسه وقال : « . . . كانت عاطفة الانتقام لغزوة بدر بجيش في قلوب هذه العصبة» .

يقال لهذا المتحامل : اتق الله ، هل شققت قلبهم؟ !

(ثانياً) : تشبيه هذه الفئة من الصحابة بالإنجليز في حقدهم المستمر ضد المسلمين ، تشبيه مع الفارق ، وفي غاية من البعد والسخافة ، لا يتجرأ عليه إلا صاحب هوى .

(ثالثاً) : كان الصحابة كلهم قبل إسلامهم من أعداء الإسلام ، إلا من رحم ربّه . فلماذا هذا التحامل البغيض على هذه الفئة دون الآخرين ، مع الاعتراف بأنه لا يوجد أى دليل على عداوتها المكشوفة للإسلام؟ !

(رابعاً) : لقد أكرم النبي ﷺ هذه الفئة من الصحابة ، وكذلك الخلفاء بعده بأنواع من التكريمات ، ومنها :

* تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان .

* أتى بأبي سفيان إلى النبي ﷺ فأسلم ، وشهد حنيناً ، وأجزل له صهره رسول الله ﷺ العطاء تأليفاً لقلبه ، وأظهر الصفاء والود للنبي ﷺ ، وكذلك كان الأمر من جانب النبي ﷺ له .

=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

وقد قضت خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ على عنادهم ضدّ الإسلام ، ولكن قلوبهم لم تصفُ نحو النبي ﷺ (١) ، أشار إلى ذلك أحمد أمين في «فجر الإسلام» ، وطه حسين في مقدّمته(٢) .

=* جعل معاوية بن أبي سفيان كاتباً للوحي .

* استعمل عمر بن الخطاب ، يزيد بن أبي سفيان على الشام ، ثمّ استعمل معاوية أيضاً على الشام بعد وفاة أخيه ، وأقرّه عثمان ، ثمّ استمرّ .

خلاصة القول أن النبي ﷺ عفا عنهم وقبل منهم إسلامهم وبايعهم على الرحب والسعة ، وصفا لهم الود للنبي ﷺ ، وكذلك كان الأمر من جانبه ـ عليه السلام ـ لهم .

بعد هذا كله ، بأي دليل يعجب «المدير التعليمي لندوة العلماء» رأى سيد قطب ، وأحمد أمين وطه حسين في الوقيعة فيهم ، ويعدّ إسلامهم استسلاماً ، وإيمانهم نفاقاً؟ !

قال الإمام الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ٣٨) : «وبلا شك أن التوثب على ثلب أعراض المشكوك في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإسلامهم جراءة غير محمودة . . .» ، فكيف بهذه الفئة ـ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؟ !

(١) ماذا بقي لهذه الفئة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إن لم تصفُ قلوبهم نحو النبي ﷺ؟ !
قال ابن كثير في أبي سفيان وهند ـ رضي الله عنهما ـ :
«أظهرا الصفا والودّ للنبي ﷺ ، وكذلك كان الأمر من جانبه ـ عليه السلام ـ لهما» (تفسير ابن كثير : الممتحنة : ١٢) فلعنة الله على الظالمين .

(٢) تشبّث الأستاذ عبد الله عباس (المدير التعليمي لندوة العلماء) بكلام هؤلاء الثلاثة للوقيعة في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ .

* أما سيد قطب فقد تقدمت الإشارة إلى من ردّ عليه في هذا الموضوع .

* أما أحمد أمين فكان كاتباً بارزاً ، سلك مسلك المستشرقين في شن الهجوم على الصحابة ، والسنّة ودواوينها ، مقنعاً بستار العلم والبحث ، فمزج السمّ بالدسم ، وخلط الحق بالباطل (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي : ص٢٣٦) .

«وبقى على آرائه حتى مات ، وهو ـ مع الأسف الشديد ـ لا يمت إلى العلم بصلة ، بل يبعث الشك في نزاهته العلمية» (دراسات في الحديث النبوي للأعظمي : ص٢٧) .

* أما طه حسين فقد تصدى للطعن في بعض قصص القرآن في كتابه «الشعر الجاهلي» ، وتهجم على مقام النبي ﷺ حيث وضع في كتابه «على هامش السيرة» (ص٥٠) تحت عنوان «شوق الحبيب إلى الحبيب» خياله النابي عن كل ذوق إنساني ، فصور سيد الخلق أمام الشباب المسلم في قضية زواجه من السيدة زينب بنت جحش في صورة أي رجل لا يبالي بالقيم الخلقية فيتطلع إلى زوجة غيره ، ويجعل كل همّه هو الحصول على هذه الزوجة .

إن الذين قراءوا هذا الكتاب ، ثمّ أتيح لهم قراءة كتاب «علي وبنوه» ، لا يجدون شيئاً غريباً في اتهام طه =

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

يمكن أن يكون هذا التحليل خاطئاً، ولكن لا يمكن أن ينظر في حوادث «الحرّة» و«كربلاء»[١] مفصولة عن هذه الخلفيات . . .»[٢] .

* * *

= حسين عبد الله بن عباس بالسرقة، ما داموا قد قرأوا له تهجمه على رسول الله ﷺ بأنه تطلع إلى زوجة غيره من أصحابه وهي لا تزال في عصمة زوجها . (أباطيل تمحى من التأريخ: ١٩٨ ـ ١٩٩ وزوابع في وجه السنة: ص١١٢) .

ولا يستدل بأحمد أمين وطه حسين في وقيعتهما في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلا من كان مثلهما ممن أعماهم الله في بصارتهم وبصيرتهم . ونعوذ بالله من الخذلان والبهتان !

(١) لا يمكن ربط حوادث «الحرة» و«كربلاء» بغزوة بدر، إلا لمن يتخلى عن عقله بعد تخليه عن التعليمات الإسلامية والأصول الدينية .

وكذلك لا يقوم بتمثيل مرارة غزوة بدر في قلوب كفار قريش بعد إسلامهم، بمرارة الحروب الصليبية في قلوب الإنجليز إلى اليوم، إلا من لا يفرق بين الإسلام والكفر . (ردّ الدكتور محمد ياسين مظهر الصديقي على عبد الله عباس الندوي (١١١ ـ ١١٢) المنشور في «الفرقان» مايو، ويونيو ١٩٩٢م، وهو ردّ علمي قيمّ، فجزاه الله خيراً) .

(٢) صحيفة «تعمير حيات» ـ لسان حال ندوة العلماء ـ (١٠/ مارس ١٩٩٢م)، وعنها في مجلة «الفرقان» الصادرة من لكناؤ (ج ٦٠، ع ٥ ـ ٦ مايو ويونيو ١٩٩٢م، ص٣٢) وهو عدد خاص بالردّ على مقال الدكتور عبد الله عباس الندوي (المدير التعليمي لندوة العلماء)، وموقف أبي الحسن الندوي منه .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بين الندوي والنعماني :

لقد وجّهت رسائل كثيرة إلى الأستاذ الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) ، احتجاجاً على هذه القولة النابية الباطلة ، والنزعة الشيعية الظاهرة ضد فئة من أصحاب النبي ﷺ ، لأنها صدرت من «المدير التعليمي» لدار العلوم ، ونشرت في مجلّة هي لسان حال «الندوة» .

* وقال الشيخ منظور أحمد النعماني (صديق الندوي ، ومشرف مجلة «الفرقان») في خطابه إلى الأستاذ الندوي بهذه المناسبة :

« . . . ألفت نظرك بهذه السطور إلى أن أسألك : هل ترضى بهذه القولة ، أم تحبّ أن تظهر براءتك وبراءة الندوة منها»؟[1]

* ردّ الأستاذ الندوي على هذا الخطاب بأنه سيُنشر مقال مدلّل في بيان مكانة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لإزالة أثر مقال عبد الله عباس الندوي .[2]

* ولكن مقال الأستاذ الندوي المشار إليه لم يُزل أي أثر لمقال عبدالله الندوي ، على حدّ قول السنبهلي . ولأجل هذا وجه الشيخ النعماني رسالة أخرى إلى الأستاذ الندوي ، وقال فيها :

«لعل هذا العاجز يعرف طبعك وتطلعك أكثر من كثير من الآخرين ، ولكن مع هذا كان من المتوقع لأجل الأهمية القصوى لهذه القضية أن تكتب شيئاً عن ذلك الجزء من المقال ، الذي يتضمن أفكاراً نابية جداً ضد أصحاب النبي ﷺ . وهكذا ينسدّ باب فتنة كبيرة بيدك ، إلا أنني يئست بعد ما اطلعت على مقالك ، ولا أجد ألفاظاً مناسبة للتعبير عنه لأجل صحبتي القديمة معك ، وتقديري القلبي لأوصافك وأخلاقك . . .»[3] .

* وقد ردّ الأستاذ الندوي على هذه الرسالة ، فقال :

---

(١) مجلة «الفرقان» (ص ٢١) .

(٢) المصدر المذكور (ص٢٢) .

(٣) المصدر المذكور (ص٢٤) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

«استلمت خطابك الموقر ، كان صحيحاً بالكلية ما سجّلت حول مقالي من ملاحظة ، ولم يتيسر لي لأجل الأشغال في رمضان وحالتي الصحية إلا ذلك . . .

وبعد خطابك هذا ، يُرسل الآن مقال مفصّل إلى «تعمير حيات» وفيه بيان لعقيدة أهل السنة في الصحابة ، مع التصريح بعقيدة مؤسسي ندوة العلماء ومسئوليها وعامليها أيضاً ، وما ساهموا به من تدوين سيرهم وتراجمهم .

وكذلك فيه بيان واضح لعقيدة المحققين من أهل السنّة حول إقدام حسين ـ رضي الله عنه ـ ، وما حصل من جرّائه في واقعة كربلاء .

وفيه بيان لعقيدتي أيضاً بكل وضوح ، التي أحبّ أن أحيى عليها وأموت . . .»(١) .

نظرة تحليلية في مقال الأستاذ الندوي :

بعد ما ذكر الأستاذ السنبهلي هذه الرسائل والردود عليها قال :

«في المقال الأول للأستاذ الندوي لم ترد أي إشارة إلى مقال الدكتور عبد الله عباس الندوي .

وفي المقال الثاني أظهر أنه كتبه لما نشأ من مقال الدكتور عبد الله عباس من حاجة ، ولم يصرّح بأنه نشأ من مقاله سوء فهم في فئة من الصحابة ، وقيل فيها : إنها لم تسلم بالقلب ، بل استسلمت ، اعتماداً على قول بعض الكتاب المعاصرين .

بل على العكس من ذلك بين الأستاذ الندوي سبب كتابة المقال ، فقال :

«هناك شبهة لنشوء سوء فهم في مسئولي ندوة العلماء وعامليها ، لذا مسّت الحاجة إلى توضيح موقفهم من الصحابة . . .»(٢) .

ثمّ ذكر الأستاذ السنبهلي أهم نقاط هذا المقال ، ومنها :

---

(١) رسالة الندوي إلى النعماني المؤرخة (٣ شوال سنة ١٤١٢ هـ) المنشورة في «الفرقان» (٢٥ ـ ٢٦) . مايو ويونيو ١٩٩٢م .

(٢) راجع مقال الندوي الذي نشر في «تعمير حيات» ، وهو منشور في «الفرقان» (٤٦ ـ ٤٩) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

١ ـ لم يكن في مقاله الأول أي ذكر لنقد الأستاذ عبد الله عباس الندوي ، وفي سبب كتابة المقال الثاني ذكر أنه ورد في مقال عبد الله عباس بعض الآراء عن أبي سفيان ، التي تؤدي إلى سوء فهم عن مسئولي الندوة وعامليها .

٢ ـ دفعاً لهذه الشبهة ثمّ توضيح عقيدتهم .

٣ ـ وصرَح في مقاله أن أبا سفيان كان مشرّفاً بصحبة النبي ﷺ ، وحاملاً لفضائل أخرى في الإسلام .(١)

هذه النقاط كلها يتمّ توضيحها في عمود واحد من مقال ذي أربعة أعمدة .

وفي العمودين إلا الربع ورد بعد ذكر أبي سفيان ما يلي :

١ ـ أجمع أهل السنة على أن الخلافة الراشده تنتهي إلى على كرم الله وجهه وأن حكومة معاوية ، ومن جاء بعده من الخلفاء لم تكن خلافة راشدة في ضوء الأحاديث الصحيحة .

٢ ـ أهل السنّة لا يعتبرون يزيد بن معاوية أهلاً للحكم على الصحابة والصالحين في ذلك العصر الفاضل .

٣ ـ وبالتالي يستصوب المحققون من أهل السنّة إقدام حسين ـ رضي الله عنه ـ الذي اختاره في مقابل يزيد .

٤ ـ ذكر بعضاً من أولاد الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ الذين رفعوا علم الجهاد ضد الخلفاء في عصورهم»(٢) .

---

(١) بعد كل هذا ، بقي السؤال قائماً : لماذا لم يصرّح الأستاذ الندوي بالردّ على عبد الله عباس (المدير التعليمي لندوة العلماء) في هذه القضية الخطيرة ، التي أثارت ضجة كبيرة بين أهل السنة في الهند؟
يظهر من هذا الهروب من الرد الصريح على عبد الله عباس ، وبعد التذكير المتكرر من قبل عدد من العلماء ، أن الأستاذ الندوي اطلع على مقاله قبل النشر ، فكان أمره الآن بين المطرقة والسندان ، فرمّم ذاك بهذا . والله أعلم بالصواب .

(٢) هذه النقاط التي وردت في مقال الأستاذ الندوي . كلها تحتاج إلى نقد نزيه وتحليل دقيق بعيداً عن العاطفة ، وليس هذا مكانه . ولكن هناك أمور يجب توضيحها ، ومنها :
(أولاً) : عدل معاوية في إيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه ، عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق الذي
=

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

في هذا المقال ذي الأعمدة الأربعة للأستاذ الندوي لم توجد كلمة تظهر الحزن والآسى ، أو تقدّم المعذرة والندامة على ما أبداه الكتور عبد الله عباس الندوي من نزعة شيعية ضدّ أبي سفيان وأمثاله من الصحابة ، الذين أسلموا يوم الفتح ، مع أنّ نقده نشر في «تعمير حيات» (لسان حال الندوة) ، والناقد كان المدير التعليمي لها»[١] .

* * *

=شأنه أهم عند الشارع ، وإن كان يظن بمعاوية غير هذا لعدالته ، وصحبته مانعة من سوى ذلك ، وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة .

وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق ، فإنهم كلهم أجلّ من ذلك وعدالتهم مانعة منه .

(ثانياً) : عدل معاوية عن الشورى ـ وهو الوجه الأفضل ـ لما كان يتوجس من الفتن والمجازر ، وعقد لابنه البيعة ، وبايعه الناس ، وتخلف عنه من تخلف فانعقدت البيعة شرعاً ، لأنها تنعقد بواحد ، وقيل اثنين .

وبايعه عد الله بن عمر (البخاري : ٧/ ٤٠٢ رقم ٤١٠٨) ، وروى البخاري (١٣/ ٦٨ رقم ٧١١١) أيضاً بسنده إلي نافع ، قال :

«لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبنيه» .

(ثالثاً) : منع الحسين ـ رضي الله عنه ـ كثير من محبيه من أهله وغيرهم من الإقدام على الذهاب إلى العراق ، ومنهم : أخوه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبد الله بن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، والفرزدق بن غالب الشاعر ، وعبدالله بن جعفر ابن أبي طالب ، وعبدالله بن مطيع العدوي وغيرهم .

(رابعاً) : أما رفع علم الجهاد ضد الخلفاء من قبل بعض أولاد الحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ كما ذكره الأستاذ الندوي ، فهو خلاف الدليل من السنة الصحيحة ، وليس في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا . (العواصم ٢٢٨ ـ ٢٣١ ، ٢٣٨ ـ ٢٤٤ ، وأباطيل : ٢٤٠ ـ ٢٤٣) .

(١) مجلة «الفرقان» (٩٠ ـ ٩٢) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

مختصر فضائل هذه الفئة المؤمنة :

إن تعجب فعجب أمر هذا المدير التعليمي لندوة العلماء ، الذي تغاضي عن فضائل هذه الفئة المؤمنة من الصحابة ، بل نال من كرامتها نيلاً عجيباً ، لا يتجرأ عليه إلا شيعي محترق .

ومن هذه الفئة :

* أبو سفيان بن حرب :

قال الإمام الذهبي :

«رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق . وله هنات وأمور صعبة ، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف . ثم بعد أيام صلح إسلامه .

وكان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم ، فشهد حنيناً ، وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مئة من الإبل ، وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك[1] . ففرغ عن عبادة «هبل» ، ومال إلى الإسلام .

وشهد قتال الطائف ، فقلعت عينه حينئذ ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك . وكان يومئذ قد حسن إن شاء الله إيمانه ، فإنه كان يومئذ يحرض على الجهاد . وكان تحت راية ولده يزيد ، فكان يصيح : يا نصر الله اقترب[2] . وكان يقف على الكراديس[3] يذكر ، ويقول : الله الله ، إنكم أنصار الإسلام ودارة[4] العرب ، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم ، اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك .

---

(١) انظر حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم (١٠٦٠) في الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، و«زاد المعاد» (٣/ ٤٧٣) وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

(٢) قال الحافظ في «الإصابة» (٥/ ١٢٩) : «وروى يعقوب بن سفيان ، وابن سعد بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : فقدت الأصوات يوم اليرموك ، إلا صوت رجل يقول : يا نصر الله اقترب ، قال : فنظرت ، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وانظر «تهذيب ابن عساكر» (٦/ ٤٠٨) .

(٣) الكراديس : كتائب الخيل ، وأحدها : كردوس ، يقال : كدرس القائد خيله : أي : جعلها كتيبة كتيبة .

(٤) في «الاستيعاب» ذادة العرب .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فإن صحّ هذا عنه ، فإنه يغبط بذلك .

ولاريب أن حديثه عن هرقل[١] ، وكتاب النبي ﷺ يدلّ على إيمانه ، ولله الحمد»[٢] .

* هند بنت عتبة :

زوجة أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ أسلمت هي وزوجها يوم الفتح ، وأظهر الصفاء والود للنبي ﷺ ، وكذلك كان الأمر من جانبه ـ عليه السلام ـ لهما[٣] .

وكانت من عقلاء النساء ، وهي القائلة للنبي ﷺ لما اشترط على النساء المبايعة (ولا يسرقن ولا يزنين) : «وهل تزني الحرة»؟[٤] .

روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت :

«جاءت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء ، أحبّ إليّ أن يذلوا من أهل خبائك ، ثمّ ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحبّ إليّ أن يعزّوا من أهل خبائك .

قال : وأيضاً والذي نفسي بيده . . .»[٥] .

«قال ابن التين : فيه تصديق لها فيما ذكرته . . .

وقال غيره : المعنى بقوله «وأيضاً» ستزيدين في المحبّة كلّما تمكن الإيمان من قلبك ، وترجعين عن البغض المذكور ، حتى لا يبقى له أثر»[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/ ٣٠ ، ٣٨) في بدء الوحي من طريق أبي اليمان ، عن الحكم بن نافع ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتب بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش . . . وهو حديث طويل ، وفيه أن أبا سفيان قال : فما زلت موقناً أنه ﷺ سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام» .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٦ ـ ١٠) مع التعليقات .

(٣) تفسير ابن كثير (الممتحنة : ١٢) .

(٤) فتح الباري (٧/ ١٤١) .

(٥) صحيح البخاري (٧/ ١٤١ رقم ٣٨٢٥) وهذا ما صحّ في بيعتها للنبي ﷺ . وأما في غيره من الأخبار التي وردت فيها ، ففيها غرابة وفي بعضها نكارة . (تفسير ابن كثير : الممتحنة : ١٢) .

(٦) فتح الباري (٧/ ١٤١) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

*** يزيد بن أبي سفيان :**

هو أمير الشام ، وأخو الخليفة معاوية ، كان من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس ، وكانوا أخواله . . . وكان أفضل أولاد أبي سفيان ، وكان يقال له يزيد الخير ، وأمه أم الحكم زينب بنت نوفل بن خلف من بني كنانة . . . وأمّره أبو بكر الصديق لما قفل من الحج سنة اثنتي عشرة أحد أمراء الأجناد ، وأمّره عمر على فلسطين ، ثمّ على دمشق لما مات معاذ بن جبل ، وكان استخلفه فأقره عمر . . .»(١) .

*** معاوية بن أبي سفيان :**

هو أمير المؤمنين ، أسلم بعد الحديبية ، وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح ، وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً . . . كان من الكتبة الحسنة الفصحاء حليماً وقوراً . . . صحب النبي ﷺ وكتب له ، وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقره عثمان ثم استمر فلم يبايع علياً ثم حاربه واستقل بالشام ، ثم أضاف إليها مصر ، ثم تسمى بالخلافة ـ بعد الحكمين ـ ثمّ استقل لما صالح الحسن واجتمع عليه الناس ، فسمّي ذلك العام عام الجماعة . . .»(٢) .

*** أم حبيبة بنت أبي سفيان :**

اسمها رملة ، وأمها : صفية بنت أبي العاص بن أمية ، أسلمت هي وزوجها عبدالله بن جحش مع السابقين الأولين ، وهاجرا إلى الحبشة ، فتنصر زوجها هناك وفارقها . ثمّ تزوجها النبي ﷺ . ويا لها من فضل(٣) .

* * *

لقد ضرب الأستاذ عبد الله عباس الندوي بهذه الحقائق الدامغة ، والفضائل الثابتة عن هذه الفئة المؤمنة من الصحابة عرض الحائط ، وبلغ به نزعته الرافضة إلى أن صرّح

---

(١) الإصابة (٦/ ٣٤١) .

(٢) المصدر المذكور (٦/ ١١٢ـ١١٣) .

(٣) المصدر المذكور (٨/ ٨٤) ، و«المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام» للمؤلف .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

بأنها أسلمت ، بل استسلمت على حد قول سيد قطب ، وبقيت على عنادها ضد الإسلام ، وعدم صفائها للنبي ﷺ ، على زعم أحمد أمين وطه حسين .

يا ناعي الإسـلام قم وانعـه زال مـعـروف وبد منكر

هذه جرأة غبية عجيبة على هذه الفئة من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

والأعجب من هذا كله ، أن الأستاذ الندوي في مقاليه اللذين نشرهما لتوضيح هذه القضية الخطيرة ، لم يصرّح بالردّ على ما أبداه عبد الله عباس من نزعة شيعية ضدّ هذه الفئة من الأصحاب ، على حدّ قول الأستاذ السنبهلي(١) .

وزد إلى ذلك أن ما سجّله الأستاذ الندوي من الآراء في بني أمية وخاصة في عثمان ومعاوية وولاتهما ـ مع شيء من الحيطة والحذر ـ في كتابه «المرتضى» وغيره ، ففيه ريبة ظاهرة(٢) .

يكاد المريب أن يقول خذوني .

أبمثل هذه النزعات يعتز ، ويقال : « . . . أحيى عليها وأموت»(٣) .

اللهم اجعلنا ممن قلت فيهم :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ⁽١٠⁾ ﴾ [الحشر : ١٠] .

* * *

---

(١) كما تقدم آنفاً .

(٢) كما تقدم تحت عنوان «بين الرفض والنصب» في باب التأريخ .

(٣) على حدّ قول الأستاذ الندوي ، كما تقدّم نقلاً «الفرقان» (ص٢٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه هي بعض المصارحات والمناقشات والملاحظات حول كتابات الأستاذ الندوي وما فيها من مخالفات . وقد انتبهت إليها ـ والحمد لله ـ هذه النوعية الواعية من العلماء والمثقفين قبلي ، والأمة بخير إن شاء الله تعالى ، وما وجد فيها أمثالهم . ولا ريب أن «الحسبة العلمية في طليعة العوامل التي صانت الأمة الإسلامية عن الانحراف عن الجادة . . . .»[1] .

والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) التفسير السياسي للإسلام للندوي (ص ٢٣) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخاتمة

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الخاتمة

بعد هذه الجولة الطويلة ـ بحمد الله تعالى ـ في كتابات الأستاذ الندوي ، وصلنا إلى نهاية المطاف ، ووقفنا فيها وقفات ـ طويلة أو قصيرة ـ على النقاط المركزية التي دندن حولها ، وحمى حماها ، وارتأها لنفسه ، واعتبرها أفضل طريق للتربية والإصلاح ، واختارها وسيلة للفوز والفلاح على علم منه واعتقاد .

ورأينا أن النزعات الصوفية (ويسمونها «الميزات الروحية») تركت أثراً بالغاً ، وبصمة واضحة في كتاباته ، ولم يخل منها حتى أشهر كتبه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» .

وكذلك اتسعت رقعة هذه الميول فشملت العقائد والتفسير والحديث والفقه والتأريخ ، فضلاً عن التصوف وتراجم أهله .

وخاصة كتاباته في التأريخ تتميز بتمثيل عجيب عن التصوف ، وتتحيز تحيّزاً واضحاً إلى المتصوفة ، وتتحامل تحاملاً بيناً على غيرهم ، بل وصل الأمر فيها ـ أحياناً ـ إلى التغاضي عن دور غيرهم ، مع التغني بأن التأريخ أمانة .

* * *

وقد اتخذ الأستاذ في كتاباته أساليب شتى لدعاية التصوف ونشره في المجتمعات الإسلامية التي لا عهد لها به ، منها :

ـ الاعتزاز بالتصوف : التصوف الطرقي ، وتسميته «إحساناً» وشتان بينهما ! .

ـ تمجيد الصوفية ، حتى أهل الوحدة والحلول والاتحاد منهم ، ثم الاحتجاج على انحرافات المتصوفة . وفي هذا الصنيع تناقض عجيب .

ـ التلذذ بذكر زهد القوم ، وغض النظر عن عقائدهم ، وهذا أمر عام .

ـ تخفيف وطأة وحدة الوجود ، بتأييد فكرة وحدة الشهود ، مع أنها صورة متطورة عن وحدة الوجود .

وزد إلى هذه الأمور :

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ التراوح بين الأشعرية والماتريدية في العقائد .

ـ وإبراز دور المتصوفة بمناسبة ودون مناسبة ، والتغاضي عن دور غيرهم في التأريخ .

لقد اختار الأستاذ الندوي هذا المنهج في كتاباته برضا منه وقناعة ، حتى تمكن من قلبه(١) ، وقال متمثلاً بقول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

وقد انتبه بعض مشايخه وغيرهم إلى اهتمامه الزائد بهذا المنهج ، فنبّهوه على خطورته ، ولكن . . . .

والسبب لوقوع الأستاذ الندوي فيما وقع فيه ، أنه بحكم نشأته لم يستوعب أن هناك طريقة أهل الحديث والسنة والأثر ، التي تقضي على طرق التربية الصوفية ، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن سبب بُعد أبي حامد الغزالي عن منهج أهل السنة ، هو عدم معرفته به ، فقال :

« . . . . ولكن هو لم يعرف طريقة أهل السنة والحديث من العارفين ، فلهذا لم يذكرها ، وهي الطريقة المحمدية المحضة ، الشاهدة على جميع الطرق .»(٢)

والظن بالأستاذ أنه لو عرف أن الحق في غير ما ذهب إليه لقال به . والله يتولّى السرائر .

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الأستاذ : «الدنيا رآها المتنورون ، لكني رأيتها أكثر منهم ، ومع هذا أقول بطريقة المبايعة الجشتية النقشبندية القادرية السهروردية . وأعمل عليها .» (السراج المنير للهلالي ، (ص ٧١) نقلاً عن مجلة «الحق» بشاور (ص ٣٤ ج ١١ ع ١ ـ ٧ ربيع الثاني ـ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ ، أبريل ـ مايو ١٩٧٦م) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٥٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

هذه الدراسة لا تعدو أن تكون حسبة علمية للتنبيه على الإفراط والتفريط ، ونصيحة دينية لتصحيح المفاهيم ، ووصية قلبية للتمسك بمبدأ «خذ ما صفا ، ودع ما كدر» قبل فوات الأوان .

وقال الأستاذ الندوي في آخر كتابه «التفسير السياسي للإسلام» ـ وهو يعلّل ردّه على الأستاذ المودودي والأستاذ سيد قطب ـ :

« . . . . وهناك أمثلة رائعة من نقد العلماء للعلماء ، والعظماء للعظماء ، يتشرف به المسلمون على مدار التأريخ ، ويتجمل به تاريخ الفكر الإسلامي عبر القرون والأجيال ، ويبرهن به المؤرخ المنصف على شجاعة العلماء الأدبية ، وأنهم مازالوا يؤدون الشهادة لله ، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، ويؤثرون مصلحة الدين على كل مصلحة .

إن الإخلاص الصادق ، وعاطفة نشدان الحق ، وحب صيانة الدين عن كل شائبة من التحريف ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، والإيمان بأن كلاً يؤخذ من قوله ويرد ، إلا النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ، كل ذلك سيجعل الإنسان لا يتضايق بهذه الملاحظات والتنقيحات ، بل سيستقبلها بصدر رحب وقلب منشرح ، لما يراها تعينه على فهم الإسلام ، وتفهيمه وصيانته ، مما سيدل على أن الغرض هو اتباع الحق ورضا الله ، لا تضخيم الشخصية أو تنميق الكلام ، أو تحبير الحديث . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .»(١)

* * *

انطلاقاً من مبدأ النصح لشباب الصحوة الإسلامية المعاصرة في هذه الفترة الدقيقة من الزمن ، يتحتم على علماء الأمة الثقات ، الغيورين على عقيدتهم ، المخلصين لدينهم ، الذين لهم كلمة مسموعة في أنحاء العالم الإسلامي أن يحذروهم من الاغترار بلوامع الأسماء والألقاب ، ويأخذوا بأيديهم إلى طريق الحق والصواب ،

---

(١) «التفسير السياسي للإسلام» للندوي (١٥٦ـ١٥٧) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ويتركوهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ـ لأنهم آمال الغد ، وقادة المستقبل فهم أمانة في أعناق الدعاة إلى الله تعالى .(٢)

فليتقوا الله فيهم ، وفي عقيدتهم ودينهم ، ومنهجهم وسلوكهم ! وليستشعروا بثقل المسؤولية أمام الله يوم يقوم الناس لرب العالمين .

❊ ❊ ❊

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)﴾[الأعراف] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾[الحشر] .

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)﴾[الزمر] ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» .

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الكويت

يوم الثلاثاء :

١٧/ ١١/ ١٤١٧هـ

٢٦/ ٣/ ١٩٩٧م

الراجي إلى عفو الله الصمد

صلاح الدين مقبول أحمد

غفر الله له ولوالديه

وإخوانه ومشايخه

---

(٢) راجع «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦) .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الفهارس

* فهرس المصادر والمراجع
* فهرس المحتويات

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

* أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ : إبراهيم علي شعوط . المكتب الإسلامي ، ط . خامسة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

* الإبانة في أصول الديانة : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري/ حماد الأنصاري الجامعة الإسلامية ١٤٠٩هـ وتحقيق الأرناوط ط . أولى ١٤٠١هـ .

* إبطال وحدة الوجود : ابن تيمية / محمد بن حمد الحمود النجدي . لجنة البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الكويت ط . أولى ١٤١٣هـ .

* أبو حامد الغزالي والتصوف : عبد الرحمن بن محمود دمشقيّة . دار طيبة . ط . ثانية ١٤٠٩هـ .

* أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً : نذر الحفيظ الندوي الأزهري . دار القلم ، الكويت ط . ثانية ، ١٤٠٧هـ .

* الأركان الأربعة : أبو الحسن الندوي . دار القلم الكويت ١٤١٥هـ .

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبدالبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . أولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

* الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر . دار الكتب العلمية ، بيروت .

* أضواء على الحركات . . . : له أيضاً . المجمع العلمي لكهنؤ ١٤١٦هـ .

* الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه : د . يوسف القرضاوي . دار العرفاء ط ثانية ١٤١١هـ .

* أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية : علي بن نفيع العلياني . دار طيبة . الرياض . ط .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(ب)

* البداية والنهاية : ابن كثير الدمشقي . دار الكتب العلمية . ط . ثانية .

(ت)

* تأريخ الدعوة والعزيمة (الأردية) خمسة أجزاء : أبو الحسن الندوي .

* تأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية : محمد إسماعيل الندوي . ط . أولى ، دار الفتح بيروت .

* تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان : محمد السبيعي . ط . ثانية ١٤١٦هـ .

* تذكرة الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي (الأردية) : أبو الحسن الندوي .

* التصوف بين الحق والخلق : محمد فهر شقفه الدار السلفية الكويت . ط . ثالثة ١٤٠٣هـ .

* التعريفات : علي بن محمد الجرجاني / إبراهيم الأبياري . دار الكتب العلمية بيروت . ط . ثانية ١٤٠٧هـ .

(ج)

* الجامع الصحيح : الإمام البخاري . ط . السلفية .

* الجامع الصحيح : الإمام مسلم . ط . فؤاد عبد الباقي .

* جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية : د . شمس الدين الأفغاني . دار الصميعي . ط . أولى ١٤١٦هـ .

* جهود مخلصة في خدمة السنّة المطهرة : د . عبد الرحمن الفريوائي . دار التأليف والترجمة بالجامعة السلفية بنارس .

* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : عبد القادر القرشي الحنفي / عبد الفتاح الحلو . الرسالة ط . ثانية ١٤١٣هـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(ح)

* حجة الله البالغة : ولي الله الدهلوي . دار التراث ، بالقاهرة . ط . أولى ١٣٥٥هـ .

* حركة الإنطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد : محمد إسماعيل السلفي / تعريب . د . مقتدى حسن دار التأليف والترجمة بالجامعة السلفية .

* الحركة الوهابية (ردّ على مقال الدكتور محمد البهي في نقد الوهابية) : د . محمد خليل هراس . طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة .

* حقيقة التصوف في ضوء الكتاب والسنة : د . محمد ربيع . ط . رابعة .

* حياة عبد الحي (الأردية) : أبو الحسن الندوي .

(د)

* دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب : أبو المكرم السلفي . دار السلام ، الرياض . ط . أولى ١٤١٣هـ .

* الدعوة الإسلامية في الهند وتطوّراتها : أبو الحسن الندوي ، المجمع الإسلامي العلمي . لكهنؤ ط . ثالثة ١٤٠٦هـ .

* دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة : صلاح الدين مقبول أحمد دار ابن الأثير الكويت . ط . ثانية ١٤١٦هـ .

* الديوبندية تعريفها وعقائدها : السيد طالب الرحمن . دار الكتاب والسنة ط . أولى ١٤١٥هـ .

(ر)

* ربّانية لا رهبانية (الأردية) : أبو الحسن الندوي . مجلس تحقيقات ونشريات إسلام لكهنؤ .

* رجال الفكر والدعوة في الإسلام (٤أجزاء) : له أيضاً . دار القلم . الكويت .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(ز)

* زوابع في وجه السنّة قديماً وحديثاً : صلاح الدين مقبول أحمد . دار ابن الأثير الكويت ط . ثانية ١٤١٤هـ .

* «زندكي نو» (الحياة الجديدة) مجلة شهرية بالأردية تصدر من نيودلهي (مارس سنة ١٩٨٦م) .

(س)

* ساعة مع أهل القلوب = ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجدّدي (الأردية) . مكتبة الفرقان ١٩٨٢م .

* السراج المنير : محمد تقي الدين الهلالي . ط . ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

* سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني .

* سلسلة الأحاديث الضعيفة : له أيضاً .

* السيد البدوي دراسة نقدية : د . عبد الله صابر . لجنة البحث العلمي ، أنصار السنّة بمصر .

* سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله شمس الدين الذهبي . الرسالة

* سيرة الشيخ عبد القادر الراي فوري (الأردية) : أبو الحسن الندوي . ط . ثالثة ١٤٠٠هـ لكهنؤ .

(ش)

* شخصيات وكتب : أبو الحسن الندوي . دار القلم دمشق ط . أولى ١٤١٠هـ .

* شذرات الذهب : ابن الحنبلي . دار الآفاق الحديثة .

* الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينيّة (الأردية) : أبو الحسن الندوي .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(ص)

* صحيح الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

* الصوفية : معتقداً ومسلكاً : د . صابر طعيمة . دار عالم الكتب . ط . ثانية ١٤٠٦هـ .

(ض)

* ضعيف الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

(ع)

* العبر في خبر من غبر : شمس الدين الذهبي / محمد السعيد زغلول . دار الكتب العلمية بيروت ط . أولى ١٤٠٥هـ .

* عوارف المعارف : شهاب الدين السهروردي . مكتبة القاهرة ١٣٩٣هـ .

* العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ : أبو بكر ابن العربي ، دار الجبل - بيروت ، ط . ثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(ف)

* فتح البارى شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني . ط . السلفية .

* الفرقان (مجلة شهرية بالأردية) الصادرة عن لكناؤ مايو ويونيو ١٩٩٢م .

* الفرق بين النصيحة والتعيير : ابن رجب الحنبلي . المكتبة القيمة . حدائق القبة .

* الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : د . محمد البهي . مكتبة وهبة . ط . عاشرة .

* في مسيرة الحياة : أبو الحسن الندوي . دار القلم . ط . أولى ١٤٠٧هـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

(ق)

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : ابن تيمية / د . ربيع بن هادي المدحلي ط . أولى ١٤١٢هـ .

(ك)

* كتب حذّر منها العلماء : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار الصميعي بالرياض ط . أولى ١٩٤٥م .

* الكشف عن حقيقة الصوفية لأوّل مرّة في التأريخ : محمد عبد الرؤوف القاسم المكتبة الإسلامية ، عمان . ط . ثانية ١٤١٣هـ .

(م)

* الماتريدية : د . شمس الدين الأفغاني . مكتبة الصديق . ط . أولى ١٤١٣هـ .

* ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي . دار الكتاب العربي بيروت . ط . ثامنة ١٤٠٤هـ .

* مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : الطبعة الأولى . الرياض .

* المرتضى (الأردية) : أبو الحسن الندوي . ط . ثانية . لكهنؤ .

* المسلمون في الهند : له أيضاً المجمع الإسلامي العلمي . ط . ثالثة ١٤٠٧هـ .

* مصرع التصوّف : برهان الدين البقاعي / عبد الرحمن الوكيل .

* معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله . الرسالة١٤١٤هـ .

* مفهوم تجديد الدين : بسطامي محمد سعيد : دار الدعوة ـ الكويت ط . أولى ١٤٠٥ه .

* ملفوظات الشاه محمد يعقوب المجددي (الأردية) : أبو الحسن الندوي .

* المنقذ من الضلال : أبو حامد الغزالي/ عبدالمنعم المتعال .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* المهند على المفند : خليل أحمد السهارنفوري ، إدارة إسلاميات لاهور .

* موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ مجلدات) : عبدالرحمن بن صالح المحمود . مكتبة الرشد ، الرياض ، ط . ثانية ١٤١٦هـ .

(ن)

* النبوة والأنبياء في ضوء القرآن : أبو الحسن الندوي ، المجمع الإسلامي لكهنو ١٣٨٣هـ

* نحو التربية الإسلامية الحرة : له أيضاً ، الرسالة ، ط . رابعة ١٤٠٢هـ .

* النزعة المادية في العالم الإسلامي : عادل التل . ط . أولى ١٤١٥هـ .

* نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : السيد عبد الحي الحسني . ط . ثانية دائرة المعارف حيدر آباد . الهند .

* النقشبندية : عرض وتحليل : عبد الرحمن دمشقية . دار طيبة . ط . ثالثة ١٤٠٩هـ .

* النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير .

* نواى إسلام (مجلة شهرية بالأردية) : دهلي .

(هـ)

* هذه هي الصوفية : عبد الرحمن الوكيل . مكتبة أسامة . الرياض .

* هل انتشار الإسلام رهين للتصوف (الأردية) : غازي عزير . دار التأليف والترجمة بالجامعة الإسلامية . بنارس .

(و)

* وقفة مع اللامذهبية : أبو بكر الغازي فوري . مكتبة الأثرية . ط . أولى ١٤١٦هـ .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

فهرس المحتويات

* الإهداء ٤

* التمهيد ٥

* الرسائل والخطابات حول الكتاب ٢١

ـ خطاب الشيخ الرحماني إلى الندوي ، المشفوع بنسخة من هذا الكتاب ٢٢

ـ خطاب الأستاذ الندوي (مع تعريبه) إلى الشيخ الرحماني ٢٥

ـ خطاب المؤلف إلى الأستاذ الندوي . ٢٩

* الاعتذار من العلم : الميزان المقلوب ٤٣

الباب الأول

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

(٣٧ ـ ٦٦)

* التصوف في أسرته الحسنيّة في ضوء كتاباته ٣٧ ـ ٥٩

ـ أسرة الأستاذ الندوي وبيئته . ٣٧

ـ السيد فخر الدين (جدّ الأستاذ الندوي) . ٤١

ـ السيد عبد الحي الحسني (والد الأستاذ الندوي) . ٤٣

ـ السيد عبد السلام الهسوي (ابن عمّ والدة السيد عبد الحي) . ٥٠

ـ السيّد ضياء النبي (من أخوال السيد فخر الدين) . ٥٢

ـ السيد عبد العلى الحسني (الأخ الأكبر للأستاذ الندوي) . ٥٥

ـ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي . ٥٧

* التصوّف في أسرته العلمية في ضوء كتاباته ٦٠ ـ ٦٦

ـ أكابر ندوة العلماء الأوائل والتصوف . ٦٠

ـ الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادي (شيخ أكابر الندوة في التصوف) . ٦٠

ـ السيد محمد علي المونكيري (مؤسس ندوة العلماء) . ٦٠

ـ السيد عبد الحي الحسني (مدير ندوة العلماء) . ٦٤

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ الأمير حبيب الله الشيرواني (العضو التأسيسي لندوة العلماء) . ٦٥

الباب الثاني

تراجم الصوفية

(٦٩ ـ ٣٧٧)

* أبو حامد الغزالي ٧٣ ـ ١٠٠

ـ الاستقرار على طريق الصوفية . ٧٣

ـ التغيير في موقف الغزالي من التصوف . ٧٦

ـ إحياء علوم الدين وسبب أثره في نفوس قرائه . ٧٨

ـ كتاب إصلاحي وتربوي (يعني كتاب تصوف) . ٨٠

ـ تضرّر بعض الناس من كتاب الإحياء . ٨٣

ـ نقاد إحياء علوم الدين . ٨٦

* الشيخ عبد القادر الجيلاني ١٠٣ ـ ١٣٩

ـ الحاجة إلى الدعوة الشعبية والإصلاح العام . ١٠٣

ـ دراسته ونبوغه . ١٠٤

ـ الاستقامة والتحقيق . ١٠٦

ـ التفويض والتوحيد . ١١٢

ـ إحياء القلوب الميّتة . ١١٩

ـ عقيدته . ١٢٠

ـ مكانته في التصوف . ١٢٢

ـ من تلامذته في التصوف : السهروردي . ١٢٥

ـ عوارف المعارف للسهروردي ما له وما عليه (تعليقاً) ١٢٦

ـ من خلفاء السهروردي في الهند : بهاء الدين زكريا الملتاني . ١٣٦

ـ دعوة الجيلاني للإسلام . ١٣٨

* جلال الدين الرومي ١٤٣ ـ ١٩٩

ـ أصحاب الجلال الرومي . ١٤٣

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ المحفل العلمي .	١٤٧
ـ من الظاهر إلى الباطن .	١٤٨
ـ انتخاب الرومي رفقاء له وسببه .	١٥٠
ـ رياضته ومجاهدته .	١٥١
ـ الدعوة إلى العشق .	١٥٢
ـ معاني بعض أبياته الفارسية .	١٥٣
ـ أثر المعنوي في العالم الإسلامي .	١٥٤
ـ مكانته في التصوف .	١٦١
ـ وحدة الوجود .	١٦١
ـ تمجيده للحلاّج .	١٦٤
ـ الحاجة إلى متكلم جديد .	١٦٦
ـ المباحث الكلامية وأسلوب «المثنوى» فيها .	١٦٧
ـ من المثنوى	١٦٩
١ ـ دعوة إلى الحكمة الإيمانية .	١٦٩
٢ ـ غاية الخلق .	١٧١
٣ ـ بين النبي وضمير الأمة مناسبة وصلة .	١٧٥
٤ ـ الجبر و الاختيار .	١٧٦
٥ ـ دعوة إلى الكدح والجهاد .	١٧٧
٦ ـ تعطل الصالحين مهد لسيادة الظالمين .	١٧٩
ـ الدعوة إلى العشق في المثنوى .	١٨٠
ـ كرامة الإنسان وشرفه .	١٨٤
تنبيهات على أوهام	١٨٥
ـ الأول : الاستهانة بقيمة الإنسان .	١٨٥
ـ الثاني : الإنسان خليفة رب العالمين .	١٨٦
ـ الثالث : مصدر إيمان جديد .	١٨٧

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ أثر الرومي في فكر الشاعر محمد إقبال . ١٩٢
ـ نهاية المطاف . ١٩٧
* الشخصيات المضنون بها على غير أهلها ٢٠٣ ـ ٢٥٤
ـ الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري . ٢٠٥
ـ الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي . ٢٠٨
ـ الخواجه فريد الدين الأجودهني المعروف بـ «كنج شكر» . ٢١٠
ـ الخواجه علاء الدين على صابر الكليري . ٢١١
ـ سبب الانتخاب لترجمة الشخصيتين من كبار صوفية الهند ٢١٥
(الأولى) : الخواجه نظام الدين الدهلوي ، المعروف بـ «أولياء» ٢١٩ ـ ٢٣٦
ـ ترجمته في «نزهة الخواطر» . ٢١٩
ـ ترجمته في تأريخ الدعوة والعزيمة . ٢٢٢
ـ تربية كسر الهمة . ٢٢٢
ـ عطايا الشيخ . ٢٢٤
ـ المحبة والذوق . ٢٢٥
ـ السماع . ٢٢٦
ـ حكمة أخرى للسماع عند الأستاذ الندوي ٢٢٧
ـ كيفيته عند السماع . ٢٢٩
ـ الالتزام بالشريعة والاهتمام باتباع السنّة . ٢٣٠
ـ نظره في الحديث والفقه . ٢٣٠
ـ الكشف والكرامات حجاب الطريق . ٢٣٢
ـ اعترافات ٢٣٤
١ ـ الغلو في عقيدة وحدة الوجود . ٢٣٥
٢ ـ كثرة محافل السماع . ٢٣٥
٣ ـ الاهتمام بالاحتفال بالقبور . ٢٣٦
(الثانية) : الخواجه شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري ٢٣٩ ـ ٢٥٤

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ قيامه في دهلي .	٢٣٩
ـ رجوعه من دهلي بإشارة غيبيّة .	٢٤٤
ـ اضطراب العشق .	٢٤٥
ـ في غاية «راجكير» .	٢٤٧
ـ اتباع السنّة .	٢٤٩
ـ تنبيهات	٢٥١
* الأول	٢٥١
* الثاني	٢٥٢
* الثالث	٢٥٣
* الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ٢٥٧ ـ ٣٠٠	
ـ ترجمته .	٢٥٧
ـ معارف الصوفية .	٢٦٣
ـ الطريقة النقشبندية .	٢٦٣
ـ الشريعة .	٢٦٤
ـ التوحيد .	٢٦٥
ـ بين وحدة الوجود ووحدة الشهود .	٢٦٦
ـ وحدة الشهود .	٢٧٠
ـ مركز الإمام السرهندي الاجتهادي والتجديدي .	٢٧٢
ـ رأى السرهندي في ابن عربي .	٢٧٥
ـ وحدة الشهود في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية .	٢٧٦
ـ السلسلة المجدّدية .	٢٨١
ـ مشاهير خلفاء السرهندي	٢٨١
* الشيخ محمد معصوم بن أحمد السرهندي .	٢٨١
* السيد آدم البنوري (صاحب السلسلة الأحسنيّة) .	٢٨٢
* السلسلة المجدّدية المعصومية ومشايخها الكبار .	٢٨٣

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* السلسلة الأحسنية ومشايخها الكبار . ٢٩٠
ـ اعتراف بالفضل . ٢٩٩
* الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله» الدهلوي ٣٠٣ ـ ٣٦٩
ـ عصره وبيئته . ٣٠٣
ـ المقررات التي درسها الدهلوي . ٣١٢
ـ التصوف . ٣١٣
ـ التقليد . ٣١٨
ـ مميزات المذاهب الأربعة . ٣٢٠
* تنبيهات وملاحظات . ٣٢٠
ـ الحديث . ٣٢٣
ـ الحق بين التفقّه والظاهرية . ٣٢٥
ـ ترجيح مذهب الفقهاء المحدّثين . ٣٢٧
ـ استياء حنفية الهند من موقف الدهلوي . ٣٢٩
ـ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ مبادئها ومصادرها وغايتها . ٣٣٥
ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب معاصر الدهلوي . ٣٣٧
ـ من خصوم دعوة الإمام ابن عبد الوهاب في الهند . ٣٣٨
* الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ٣٣٩
* الشيخ محمد أنور الكشميري ٣٤٢
* الشيخ حسين أحمد المدني ٣٤٣
ـ مقارنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والدهلوي . ٣٤٦
ـ وقفات . ٣٤٧
ـ أثر شيخ الإسلام في دعوة الدهلوي . ٣٥٣
ـ مقارنة بين الإمام ابن عبد الوهاب والدهلوي . ٣٥٤
ـ ما الفائدة من هذه المقارنات . ٣٥٥
ـ تناقضات في كتابات الدهلوي . ٣٥٩

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

- أهل الحديث في شبه القارة الهندية وحقيقة نسبتهم إلى الدهلوي . ٣٦١
* غربة الحديث في شبه القارة الهندية . ٣٦١
* جهود الدهلوي في نشر الحديث . ٣٦٢
* قيادة الإمامين : ٣٦٥
- السيد نذير حسين المحدّث الدهلوي . ٣٦٥
- السيد صديق حسن البوفالي . ٣٦٦
* تنبيه وتذكير . ٣٦٨
* مع الدهلوي المحدّث فقط ٣٦٩

*** السيد أحمد بن عرفان البريلوي ٣٧٣ ـ ٣٧٧**

- تأليفات في سيرته . ٣٧٣
- الطريقة الأحسنيّة المجدّدية ، وصلته بها . ٣٧٣
- بعض الصوفيات . ٣٧٤
- اعترافات . ٣٧٦

الباب الثالث

الصوفيات

في كتابات الأستاذ الندوي

(٣٨١ ـ ٥١١)

* اتخاذ الشيخ . ٣٨٣
* الأضرحة والقبور . ٣٨٧
* الالتفات والتوجه . ٣٩٠
* أول خلق الله : المحبة . ٣٩١
* البيعة والإجازة والخلافة والنسبة . ٣٩٣
* تربية كسر الهمة والاستسلام للشيخ . ٣٩٩
* ترك الجمع والجماعات والأعياد . ٤٠٣
* التصرف والتأثير في الأشخاص والأكوان . ٤٠٦

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* التصوف وطرقه . ٤٠٩
* التواصي بالجماعات والشخصيات الصوفية . ٤١٩
* التوسل . ٤٢٥
* الخلوة . ٤٢٨
* الذكر وطرقه ٤٣٣
* الرياضيات والمجاهدات ٤٣٩
* السماع الصوفي . ٤٤٢
* الشطحات والدعاوي . ٤٥٢
* الشيخ والمريد . ٤٥٧
* الصمت والسكوت . ٤٦٠
* طلب العلم ودراسة الكتب . ٤٦٣
* الظاهر والباطن . ٤٦٦
* العشق . ٤٦٩
* عناية النبي ﷺ وزيارته وتربيته وعيادته . ٤٧٣
* الغيب . ٤٧٦
* الفتوح . ٤٧٨
* الفناء . ٤٨٠
* القبور في المساجد . ٤٨٣
* القطب وغيره يسمعون . ٤٨٥
* الكتب المهمة عند الصوفية . ٤٨٧
* المحوية والاستغراق . ٤٩٠
* المراقبة . ٤٩٢
* مفهوم اتباع السنة ٤٩٤
* المكاشفة والإشراف على الخواطر . ٤٩٧
* وحدة الوجود ، ووحدة الأديان والدفاع عن ابن عربي وأمثاله . ٥٠٤

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الخاتمة : انحراف التصوف عن الصراط المستقيم . ٥٠٨

الباب الرابع
العقائد
(٥١٥_٥٢٦)

* الأشعرية الكلابية . ٥١٥
* الماتريدية الحنفية . ٥٢٢
* وحدة الشهود في التصوف . ٥٢٤

الباب الخامس
التفسير
(٥٢٩_٥٣١)

* تفسير آية ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ . ٥٢٩
* تفسير آية ﴿إن ربيّ على صراط مستقيم﴾ . ٥٢٩
* تفسير آية ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ . ٥٣٠

الباب السادس
السنّة والحديث
(٥٣٥_٥٤٣)

* خطوط عريضة لتدريس السنة والحديث . ٥٣٥
* نظرات في هذه الخطوط . ٥٣٦
_ (الأولى) : موضوع الحديث والسنّة . ٥٣٦
_ (الثانية) : الاختلاف في الحديث . ٥٣٦
_ (الثالثة) : حجية الحديث ومكانة السنّة . ٥٣٨
_ (الرابعة) : كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة . ٥٣٩
* نماذج من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في تأييد الصوفيات . ٥٤١

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

الباب السابع

الفقه

(٥٤٧ ـ ٥٥٤)

* التغاضي عن بيان أسرار رفع اليدين في الصلاة والتأمين بالجهر . ٥٤٧
* مسألة الطلقات الثلاث . ٥٤٨
* شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة . ٥٤٩
* حكم شاتم الرسول ﷺ في الفقه الحنفي . ٥٥٢
* السماع الصوفي . ٥٥٣

الباب الثامن

التأريخ

(٥٥٧ ـ ٦٥٩)

* **الإسلام في الهند ٥٥٩ ـ ٥٧٢**

ـ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين . ٥٥٩
ـ الإسلام في العهد الأموي ، والعباسي والغزنوي . ٥٦٠
ـ الدعوة إلى الكتاب والسنّة في القرون الأربعة الأولى . ٥٦١
ـ أهل الحديث في القرن الرابع . ٥٦١
ـ من مآثر هذه القرون وآثارها في مجالات مختلفة . ٥٦٢
ـ بداية الدور الصوفي وتسرّب الأفكار الدخلية إلى الإسلام . ٥٦٥
ـ التغاضي عن تأريخ القرون الأربعة الأولى في القارة الهندية ٥٦٨
ـ بداية العهد الإسلامي في الهند في نظر الأستاذ الندوي . ٥٦٨
ـ تساؤلات . ٥٧٠
ـ شهد شاهد من أهلها . ٥٧١

* **شائعة دور الصوفية في نشر الإسلام في الهند ٥٧٣ ـ ٥٨١**

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

- الجانب الدعائي . ٥٧٣
- بين الدعاية والواقع . ٥٧٤
- الإسلام في ظل الكشوف والخوارق . ٥٧٤
- نشر الإسلام ليس من أهداف التصوف الأساسية . ٥٧٦
- أسباب التغاضي عن هذا الهدف السامي . ٥٧٨

* الصوفية والجهاد في سبيل الله ٥٨٢ ـ ٦٢٥
- شائعة دور الصوفية في الجهاد في سبيل الله . ٦٠٠
- تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله . ٦٠٢
أمثلة من واقع التأريخ . ٦٠٢
- أسباب تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله . ٦١٦
- أسباب اهتمام أعداء الإسلام بالتصوف وأهله . ٦٢٠
- تساؤلات . ٦٢٤

* شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٢٦ ـ ٦٣٢
- دور تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية في نشر الدعوة في الهند . ٦٢٨
- التغاضي عن ذكر دورهم . ٦٣٠
- سبب هذا التغاضي . ٦٣٢

* السلطان محمد تغلق ٦٣٣ ـ ٦٤٣
- ترجمته ٦٣٣
- تشويه ٦٣٧
- مآثره ٦٣٨
- أسباب شدته على الصوفية ٦٤٠
- دفاع ٦٤١

* بين النصب والرفض ٦٤٤
- مكانة الصحابة . ٦٤٤
- عثمان ـ رضي الله عنه ـ في قفص الاتهام . ٦٤٥

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

ـ الاتهامات في الميزان . ٦٤٦

ـ نبذة عن عمّال عثمان . ٦٤٧

* وليد بن عقبة . ٦٤٨

* عبد الله بن سعد ابن أبي سرح . ٦٥٠

* مروان بن الحكم . ٦٥٢

ـ عليّ ـ رضي الله عنه ـ في البلاط الأموي . ٦٥٤

الباب التاسع

التناقضات في كتابات الأستاذ الندوي

(٦٦٣ ـ ٦٦٧)

الباب العاشر

الردود على الأستاذ الندوي

(٦٧١ ـ ٧١٢)

* الدكتور محمد تقي الدين الهلالي . ٦٧٣

* الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ٦٧٤

* الدكتور شمس الدين الأفغاني . ٦٧٥

* الشيخ عبد الحميد الرحماني . ٦٧٩

* الشيخ زين العابدين الأعظمي . ٦٨٦

* الأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم . ٦٨٨

* الأستاذ بسطامي محمد سعيد . ٦٨٩

* الأستاذ عادل التل . ٦٩١

* الشيخ رفيع أحمد عاقل . ٦٩٤

* الشيخ رضا علي بن عبدالله ٦٩٤

* الأستاذ محمد أسلم ٦٩٦

* الأستاذ عبدالماجد الدريا آبادي ٦٩٧

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

* الأستاذ سيد أحمد عروج القادري ٦٩٨
* خواجه إقبال أحمد الندوي ٦٩٩
* الأستاذ عتيق الرحمن السنبهلي ٧٠٠
- نزعة شيعية ٧٠٠
- بين الندوي والنعماني ٧٠٢
- نظرة تحليلية في مقال الندوي ٧٠٥
- مختصر فضائل هذه الفئة المؤمنة ٧٠٨
* أبو سفيان بن حرب ٧٠٨
* هند بنت عتبة ٧٠٩
* يزيد بن أبي سفيان ٧١٠
* معاوية بن أبي سفيان ٧١٠
* أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ٧١٠
الخاتمة ٧١٥ـ٧١٨
الفهارس ٧٢١
* فهرس المصادر والمراجع . ٧٢١
* فهرس المحتويات . ٧٢٨

* * *

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

www.KitaboSunnat.com

كتب للمؤلف

■ التحقيقات:

* مسألة العلو والنزول لابن طاهر ، مكتبة ابن تيمية بالكويت .

* مختصر المؤمل في الردّ إلى الأمر الأول ، لابن شامة ، مكتبة الصحوة .

* إرشاد النقاد للأمير الصنعاني ، الدار السلفية .

* تحفة الأنام لمحمد حياة السندي مكتبة المعلا .

* المتواري لابن المنير الإسكندراني مكتبة المعلا .

* الإمتاع بالأربعين ، لابن حجر العسقلاني ، الدار السلفية .

* الزهر النضر في الحال الخضر ، له أيضاً . مجمع البحوث الإسلامية نيودلهي .

* الحمية الإسلامية للسرّمرّي وقصيدة اليافعي في الدفاع عن شيخ الإسلام ـ نيودلهي .

* تحفة المودود بأحكام المولود ، لابن القيم (مع الآخرين) دار إيلاف الدولية ـ بالكويت .

■ التعريبات:

* موقف الجماعة الإسلامية من الحديث لمحمد إسماعيل السلفي الدار السلفية بالكويت .

■ التأليفات:

* دعوة شيخ الإسلام وأثرها في الحركات المعاصرة (الطبعة الثانية) دار ابن الأثير بالكويت :

* زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً (الطبعة الثانية) دار ابن الأثير بالكويت .

* المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام ، دار إيلاف الدولية بالكويت .

* الأستاذ أبو الحسن الندوي : الوجه الآخر من كتاباته .

محکم دلائل و براہین سے مزین، متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ